

مُوسَى عَلَيْهِ
السَّلَامُ

الْمَجْلَدُ الرَّابِعُ

٤



جَامِعَةُ الْمُؤَصَّل
وَرَّارَةُ التَّعْلِيمِ الْعَالِي وَالْبَحْثِ الْعِلْمِيِّ

مَوْصُوعَاتُ لِوَصْلِ الْحَضَرَاتِ

لِلْمَجَلَّةِ الرَّابِعَةِ

دار الكتب للطباعة والنشر - جامعة الموصل

حقوق الطبع محفوظة لدار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل

الطبعة الاولى ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م
٩١٠٢٥ / ٤٠٠٠ / ٤



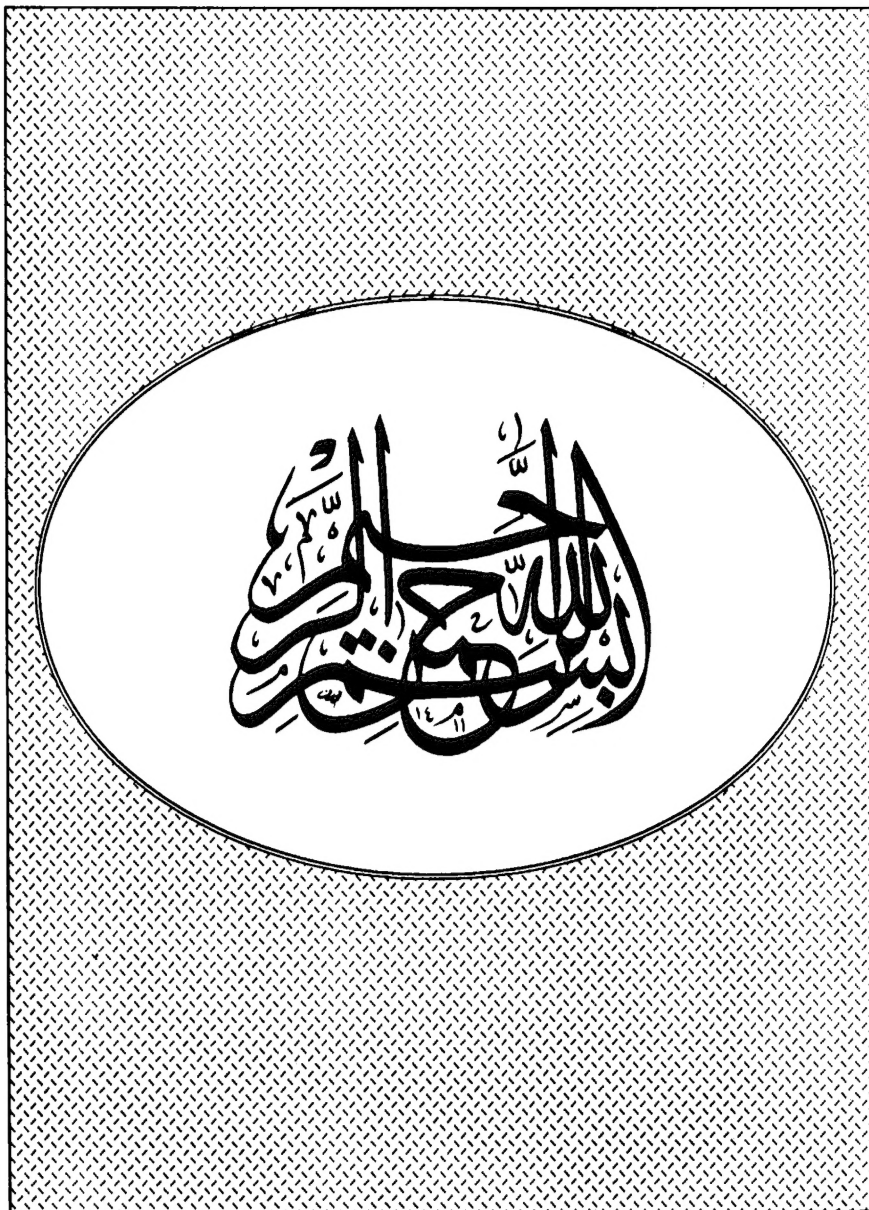
نشر وطبع وتوزيع :

دار الكتب للطباعة والنشر- جامعة الموصل

شارع ابن الاثير- الموصل - جمهورية العراق

هاتف ٧٦٣٢٣١

تلكس ٨٠٩٢



هَيْئَةُ تَحْرِيقِ مَوْسَمِ التَّوْحِيدِ وَالْحَضَرَةِ الْكَلْبِيَّةِ

رَبِيعُ التَّمْرِ	الْأُسْتَاذُ الذَّكُورُ هَاشِمُ بَيْحِي الْمَلَّاحُ
عَصْرًا	الْأُسْتَاذُ الذَّكُورُ عَمْرُو سَيْلَمَانُ
عَصْرًا	الْأُسْتَاذُ الذَّكُورُ أَحْمَدُ قَانِمُ الْجُمُعَةِ
عَصْرًا	الذَّكُورُ إِبْرَاهِيمُ حَلِيلُ أَحْمَدُ
عَصْرًا وَمَعْرًا	الذَّكُورُ أَحْمَدُ عَبْدُ اللَّهِ الْجُسُوعُ

الْأَشْرَافُ الْفَتَوَى : يُوسُفُ ذَنُونُ

توطئة

عُرفت الموصل بأصالتها وعراقتها الحضارية منذ العصور القديمة. وفي الحقبة العربية الاسلامية، اُسم تاريخ الموصل بالحيوية والازدهار والاشراق.. مما ترك الأثر الكبير في حياة هذه المدينة العظيمة.

اما في الحقبة الحديثة التي تمتد من مطلع القرن السادس عشر الميلادي (العاشر الهجري) حتى مطلع القرن العشرين (الخامس عشر الهجري) فقد واجهت الموصل احداثاً خطيرة وتحديات جسام، منها السيطرة الأجنبية والحروب والكوارث الطبيعية كالجفاف والأمراض والأوبئة. ومع ذلك فقد صمدت الموصل بوجه تلك التحديات والعوارض، وتفاعلت مع المتغيرات السياسية والاقتصادية التي مرّ بها العالم في مطلع العصر الحديث بكل حيوية واندفاع. وكان لموقعها الجغرافي ولأهميتها الاقتصادية، ولجديّة ابنائها وحيويتهم أثر كبير في ذلك.

لقد وقعت الموصل تحت السيطرة العثمانية سنة ١٥١٦، وأبدى العثمانيون اهتماماً بها، فأتخذوا منها قاعدة رئيسة على الطريق الأوسع والأقرب بين بغداد حاضرة العراق، واستانبول عاصمة الدولة العثمانية آنذاك. كما انهم اتخذوا منها مركزاً متقدماً لضرب النفوذ الإيراني وإبعاده عن المشرق العربي كله.

وعلى الرغم من المحن والتحديات التي واجهتها الموصل إبان السيطرة العثمانية التي امتدت حتى سنة ١٩١٨م، فإن الموصل حافظت على عروبته وشخصيتها الحضارية. وظهر ذلك واضحاً من خلال نجاح الموصليين في انتزاع الحكم من أيدي العثمانيين، طوال حقبة تزيد على المائة عام امتدت من ١٧٢٦ وحتى ١٨٣٤.

وخلال هذه الحقبة قام في الموصل حكم محلي عرف بالحكم الجليلي، نالت الموصل خلاله شرف الانتصار على جيوش الغزاة الفرس بقيادة نادرشاه، التي حاصرت المدينة لأكثر من اربعين يوماً ابتداءً في ١٤ أيلول ١٧٤٣. وفشل هذا الحصار فشلاً ذريعاً.. على الرغم من ان نادرشاه قد حشد جيشاً قوامه ربع مليون مقاتل. وأكسبها صمودها هذا فخر النياحة عن العرب في حراسة البوابة الشرقية، وإبعاد الخطر الذي كان يهدد الوطن العربي طوال قرون ثلاثة.

احتفظت الموصل خلال العهد الجليلي بشخصية محلية واضحة المعالم - ثقافياً واجتماعياً وعمراًياً وسياسياً واقتصادياً - فأصبحت اللغة العربية لغة الدوائر الرسمية والمؤسسات التعليمية. واحتضن الولاية الجليليون الشعراء والأدباء والأطباء والمؤرخين، واتسعت حركة التأليف باللغة العربية، وظهرت مجاميع من الدراسات القرآنية واللغوية والفقهية وعلوم الحديث والتاريخ والطب والموسيقى.

ونتيجة لذلك تأكد عمق إحساس المواطن العربي في الموصل بشخصيته العربية، وبدأ يسعى لتطوير بلدته وتخليص مؤسساتها شيئاً فشيئاً من السيطرة المركزية العثمانية، وكان لذلك كله التركيب في ظهور نهضة ثقافية علمية كبيرة مهدت فيما بعد، لبروز نزوع عربي قومي مستقل.

لقد وُثِدَت هذه التجربة ، في عهد السلطان محمود الثاني ١٨٠٨ - ١٨٣٩ ، وأعيد الحكم المباشر الى الولايات العثمانية وطالت هذه السياسة المركزية ، الأسرة الجليلية ، ومرت الموصل باضطراب في اوضاعها العامة حتى اواسط القرن التاسع عشر ، حين اتخذت الدولة العثمانية سلسلة من التدابير الاصلاحية ضمن خطة التنظيمات التي شُهِدَتها الدولة .. فتأثرت الموصل بهذه التدابير وشهدت مؤسساتها شيئاً من التحديث في الادارة والمحاكم والقضاء والبلدية والجيش والتعليم والطباعة والصحافة .

وسرعان ماتغلغل رؤوس الاموال الاجنبية وخاصة الاوربية الى الموصل ، فانتسعت حركة التبادل التجاري ، وتفاعل اقتصاد الموصل مع الاقتصاد الاوربي ، بعد ان كان اقتصاداً تقليدياً يعتمد على إشباع الحاجة والاكتفاء الذاتي . كما تأسست في الموصل غرفة للتجارة والزراعة والصناعة . وظهرت البنوك فيها لتسهيل التعامل المصرفي ، وكان لتلك المتغيرات انعكاسات كثيرة في طريقة تفكير الناس والمجتمع .

ووجدت الاتجاهات الفكرية المختلفة التي ظهرت في الوطن العربي اواخر القرن التاسع عشر ، صدًى لها في الموصل ، فتنامت الحركة العربية القومية ، وانتهجت الصحف الموصلية المنهج القومي الذي كان سائداً في الصحف العربية آنذاك ، من حيث الاهتمام باللغة العربية والتاريخ العربي والدعوة الى احياء كيان العرب السياسي .

وتأسست في الموصل جمعيات وأحزاب سياسية ضمت عدداً من الشباب الموصلين المتحمسين الذين لعبوا دوراً كبيراً في بث الروح القومية ، وتنبية الأذهان الى مساوئ الحكم العثماني . ولم تتخلف الموصل عن ارسال نوابها الى مجلس المبعوثان (النواب) ضمن دوراته الانتخابية الممتدة من ١٩٠٨ وحتى ١٩١٤ . وقام نواب الموصل بنقل مطامح ورغبات اهل وطنهم وسكان بلدتهم .

وبعد نشوب الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ، وإعلان الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦ ، وضعت امام العراقيين والموصلين منهم مهام جديدة تمثلت في النضال ضد الاحتلال البريطاني الذي جثم على ارض العراق خلال الحرب . وعندئذ بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الموصل ، الذي سيكون احد محاور الجزء الخامس من هذه الموسوعة .

وفي ضوء ما تقدم ، فقد وجدت هيئة تحرير الموسوعة ، أن من الواجب عليها إعطاء الحقبة الحديثة من تاريخ الموصل ، ما تستحقه من اهتمام . فخصّصت هذا الجزء لدراسة التطورات السياسية في الموصل للتحقّب الواقعة بين السيطرة العثمانية سنة ١٥١٦ والاحتلال البريطاني سنة ١٩١٨ .

وكان من الأسس التي استند عليها هذا الجزء ، هو تأكيد فكرة الديمومة والتواصل بين احداث الموصل عبر عصورها القديمة والوسيلة والحديثة ، وعدم الاقتصار على الجوانب السياسية من العملية التاريخية ، وإنما الاهتمام بالجوانب الحضارية .. لذلك اخذت الجوانب الادارية والقضائية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والتعليمية حيزاً واسعاً في هذا الجزء .

وهيئة تحرير الموسوعة ، على ثقة بأن يحظى هذا العمل بالكثير من القبول من محبي تاريخ الموصل وتراثها الثر ، وحسبها انها حاولت إعطاء صورة واضحة عن حياة هذه المدينة المعطاء ، بما يتناسب مع مكانتها ودورها الانساني والحضاري .

رئيس لجنة التاريخ الحديث والمعاصر

المحتويات

الموصل في التاريخ الحديث تاريخ الموصل بين السيطرة العثمانية والاحتلال البريطاني (٩٢٢ - ١٣٣٦ هـ ١٥١٦ - ١٩١٨)

التطورات السياسية

- | | | |
|-----|--|---|
| ١٣ | الموصل بين السيطرة العثمانية وقيام الحكم الجليلي | أ. د. خليل علي مراد
كلية التربية ، جامعة الموصل |
| ٢٢ | علاقة الموصل بالولايات العراقية الاخرى | علي شاكر علي
كلية الاداب ، جامعة الموصل |
| ٣١ | الموصل خلال الحكم الجليلي | د. سيار كوكب علي الجميل
كلية الاداب ، جامعة الموصل |
| ٥٤ | صمود الموصل بوجه الغزو الفارسي | أ.د. طارق نافع الحمداني
كلية التربية ، جامعة بغداد |
| ٧٢ | الموصل وولاية بغداد من المالك | أ.د. علاء موسى كاظم نورس
كلية الآداب ، جامعة بغداد |
| ٧٦ | الموصل من نهاية الحكم الجليلي الى الاطيرة | د. سيار كوكب علي الجميل |
| ٩٤ | الموصل في العهد الحميدي | جاسم محمد حسن القنول
كلية التربية ، جامعة الموصل |
| ١١٣ | الموصل في العهد الاتحادي | جاسم محمد حسن القنول |

الموصل والحركة العربية القومية في مطلع القرن العشرين	١٢٩
د. ابراهيم خليل أحمد كلية التربية ، جامعة الموصل	
رواد الحركة العربية القومية في الموصل	١٤٤
د. سيار كوكب علي الجميل	
التشكيلات الادارية العثمانية	١٦٢
نظم الحكم والادارة والجيش علي شاكر علي	
الموصل وحركة التنظيمات العثمانية	١٧٤
علي شاكر علي	
بدايات حركة التحديث	١٨٠
نمير طه ياسين كلية التربية ، جامعة الموصل	
المحاكم والقضاء	٢٠٣
جاسم محمد حسن العدول	
التشكيلات العسكرية في الموصل	٢٢٢
د. شكري محمود نديم	
الحياة الاقتصادية	
النظام الاقطاعي في الموصل	٢٣٣
أ.د. عماد احمد الجواهري كلية التربية ، جامعة القادسية	
النظام المالي	٢٤٧
أ.د. خليل علي مراد	
تجارة الموصل	٢٦٨
أ.د. خليل علي مراد	
الحياة الاجتماعية	
التنظيمات الاجتماعية	٢٨١
أ.د. عماد عبد السلام رؤوف كلية التربية ، جامعة بغداد	
مظاهر الحياة الاجتماعية	٢٨٧
أ.د. عماد عبد السلام رؤوف	
الحياة الثقافية	
الحياة الفكرية في الموصل إبّان العهد العثماني	٢٩٤
د. ابراهيم خليل أحمد	

د. سيار كوكب علي الجميل	٣١١	طبيعة الحياة الثقافية والعلمية في الموصل
د. إبراهيم خليل احمد	٣٣٣	حركة التربية والتعليم
أ.د. عادل نجم عبو كلية الاداب ، جامعة الموصل	٣٤٤	فن تجليد الكتب
إدهام محمد خنش	٣٥٣	الخط العربي في الموصل
د. ابراهيم خليل أحمد	٣٦٢	النشر والصحافة في الموصل
د. محمود الحاج قاسم محمد	٣٧٧	الطب
د. عادل البكري	٣٨٩	الموسيقى

الموصل في تاريخ الحديث

تَارِيخُ الْمُوصِلِ

بَيْنَ السَّيْطَرَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَالْاِحتِلَالِ الْبَرِيطَانِيّ

(٩٢٢ - ١٣٢٦ هـ / ١٩١٨ - ١٩١٦ م)

التَّطَوُّراتُ السِّيَاسِيَّةُ

المُوصِلُ بَيْنَ سَيِّطَرَةِ الْعُثْمَانِيَّةِ وَقِيَامِ الْحُكْمِ الْحَاكِمِيِّ

(٩٢٢ - ١٣٣٩ هـ / ١٩٢٦ - ١٩١٦ م)

أ.د. خليل علي مراد

الأناضول بين سنتي ١٥٠٥ - ١٥٠٧ م بما في ذلك ديار بكر التي احتلها في السنة الأخيرة. ^(٣) وقد ضمن له ذلك السيطرة على المناطق الكردية المجاورة، إذ انحاز الى جانبه، بعد الاستيلاء على ديار بكر، عدد من الامراء والزعماء الاكراد ومنهم حكام امارة بهدينان في العمادية. كما اعتقل الشاه اسماعيل عدداً آخر منهم بضمنهم امراء جزيرة ابن عمر (بوتان) وحصن كيف وبدليس. ^(٤) ومالبت الشاه أن استولى على بغداد والمناطق الوسطى من العراق وجنوب غرب بلاد فارس سنة ١٥٠٨ م. ^(٥) اما بالنسبة للموصل فان الآراء تختلف بشأن تاريخ احتلالها من لدن الشاه اسماعيل، فقد أرخ بعضهم ذلك بسنة ١٥٠٨ م، ^(٦) ويؤرخها بعض آخرون بسنة ١٥١٠ م. ^(٧)

ويبدو من سياق الأحداث السابقة أن الاحتلال الصفوي للموصل قد حدث في سنة ١٥٠٨ م. وقد عين الشاه اسماعيل أحد الأمراء

كانت الموصل في مطلع القرن السادس عشر بلدة صغيرة خاضعة لحكم دولة الآق قويونلو التركمانية، ^(١) التي شملت ممتلكاتها معظم بلاد فارس والعراق والجزاء الجنوبية الشرقية من الأناضول (آسيا الصغرى)، لاسيما ديار بكر (آمد) والمناطق المجاورة لها. ^(٢) وكانت تلك الدولة تمر حينئذ بمرحلة ضعف وتفكك نتيجة للصراع المستمر على السلطة فيها، منذ أواخر القرن الخامس عشر، بين أفراد الأسرة الحاكمة. غير أن التحدي الأخطر لدولة الآق قويونلو، الذي حدد مصيرها في غضون سنوات قلائل، تمثل في قيام الدولة الصفوية في بلاد فارس سنة ١٥٠١. فقد تمكن مؤسس تلك الدولة الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠١ - ١٥٢٤) من إلحاق جميع ممتلكات الآق قويونلو بدولته. فقد استولى على شمال وغرب ووسط بلاد فارس بين سنتي ١٥٠١ - ١٥٠٣ م، ثم استولى على المناطق الجنوبية الشرقية من

وقع اول صدام مسلح مباشر بين الدولتين العثمانية والصفوية عندما قاد السلطان العثماني سليم الاول (١٥١٢ - ١٥٢٠م) حملة عسكرية كبيرة باتجاه بلاد فارس في سنة ١٥١٤م. وكانت المعركة الحاسمة بين الطرفين في ٢٣ آب ١٥١٤م بوادي چالديران شمال شرق بحيرة وان في اذربيجان. وانتهت المعركة لصالح العثمانيين الذين تفوقوا في استخدام سلاح المدفعية، أما الشاه اسماعيل فقد فر من ميدان المعركة مخلفاً وراءه عدداً كبيراً من القتل والجرحى بضمنهم عدد من كبار قادة جيشه. ثم دخل السلطان سليم الاول العاصمة الصفوية تبريز في ٥ أيلول ١٥١٤م وانسحب منها بعد وقت قصير الى مدينة أماسيه في الاناضول حيث امضى فصل شتاء ١٥١٤ - ١٥١٥م.

كانت معركة چالديران نقطة تحول قلبت موازين القوى في مناطق شرق وجنوب شرق الاناضول وشمال العراق. فقد ادى الانتصار العثماني الى زعزعة مركز الصفويين في تلك المناطق، لاسيما ان سكانها كانوا ينفرون من الصفويين وسياساتهم. (١٢) وقد هيا هذا الوضع فرصة مناسبة للسلطان سليم الاول من اجل بسط السيطرة العثمانية عليها مستخدماً الدبلوماسية حيناً والقوة العسكرية حيناً آخر.

لقد لجأ السلطان سليم الاول الى الدبلوماسية لكسب الأمراء والزعماء الاكراد في تلك المناطق. فقد أدرك السلطان العثماني صعوبة استخدام القوة العسكرية لاختضاع المناطق الكردية ذات الطبيعة الجبلية الوعرة، فضلاً عن افتقاره الى قوات كافية للقيام بتلك المهمة. (١٣) وقد اعتمد في هذا المجال على جهود المؤرخ والعلامة الكردي ادريس البديسي (ت ٩٢٧هـ / ١٥٢١م). (١٤) فقد

الصفويين، وهو احمد بك أفشار حاكماً على الموصل. وقد بقي أحمد بك أفشار حاكماً على الموصل حين استيلاء العثمانيين عليها في أواخر سنة ١٥١٦م. (١٥)

لقد كان سيطرة العثمانيين على الموصل في سنة ١٥١٦م وبغداد في سنة ١٥٣٤م والبصرة في سنة ١٥٤٦م نتيجة غير مباشرة للصراع العثماني - الصفوي من جهة، والصراع العثماني - البرتغالي في الخليج العربي من جهة اخرى (١٦) وبقدرة تعلق الأمر بالموصل فان احتلالها كان نتيجة غير مباشرة للصراع الاول، اي الصراع العثماني - الصفوي.

ان قيام الدولة الصفوية في بلاد فارس وتوسعها على حساب المناطق المجاورة لها في العراق والاناضول جعل الصراع بينها وبين الدولة العثمانية امراً لا يمكن تجنبه، لاسيما أن قضاء الشاه اسماعيل الصفوي على بقايا دولة الآق قوينلو في الاناضول أزال حاجزاً كان قائماً بين الدولتين العثمانية والصفوية وزاد من فرص الاحتكاك بينهما. وقد اتسم هذا الاحتكاك بالعداء والسلبية نتيجة عوامل عدة. ففضلاً عن الاختلاف المذهبي بين الدولتين نظرت الدولة العثمانية بقلق الى التوسع الصفوي في جنوب شرق الاناضول، وإلى نشاط الدعاة الصفويين بين المجموعات التركمانية في الاناضول. وكان هذا النشاط من بين العوامل التي أدت الى حدوث تمرد مسلح ضد العثمانيين في منطقة الاناضول الوسطى سنة ١٥١١م كلف العثمانيين جهداً كبيراً لاحتوائه. (١٧) وكان للصراع بين الدولتين دافع اقتصادي ايضاً، اذ تطلع العثمانيون الى السيطرة على طرق التجارة المهمة في المنطقة مثل طريق تجارة الحرير الذي يبدأ من العاصمة الصفوية تبريز متجهاً غرباً الى مدن ارضروم وطوقا وبورصة في الاناضول، وطريق تجارة التوابل من البصرة الى حلب عبر طريق الصحراء غرب نهر الفرات وامتداده الآخر من البصرة الى بغداد والموصل ومن ثم

أرسله السلطان سليم الاول من أماسية الى تلك المناطق ليقوم بالدعاية والترتيبات اللازمة لضمان اعتراف الأمراء والزعماء الاكراد هناك بالحكم العثماني. (١٥) وقد صادف ادريس البدليسي نجاحا استحق عليه الثناء والتكريم من السلطان سليم الاول. (١٦) وكان من بين من اعترف بالحكم العثماني حكام الامارات الكردية المهمة مثل اماره بدليس، اكبر الامارات في كردستان الغربية، وامارات بهديان وأردلان وجزيرة ابن عمر (بوتان) وغيرها. وصارت هذه الامارات تحت الحماية العثمانية، لكنها احتفظت بنظمها الداخلية وقوانينها وعاداتها. (١٧) وحسبما ذكر ستيفن همسلي لونكريك (١٨) S.H. Longrigg فان «امتلاك الاكراد لكردستان الوسطى وشمال العراق... لم يتضمن أكثر من توزيع البزات والفرمانات [أي المراسيم السلطانية العثمانية] وقبول الطاعة والمهاديا...».

اما في بقية مناطق جنوب شرق الاناضول وشمال العراق فقد استخدم العثمانيون اسلوب القوة العسكرية لالحاقها بالدولة العثمانية. فبعد انقضاء فصل الشتاء غادر السلطان سليم الاول مدينة اماسية في ربيع سنة ١٥١٥م واستولى على قلعة كباخ وامارة ذو القدر (١٩) الواقعة بين الدولة العثمانية ودولة المالك في بلاد الشام ومصر والتي كان كل منها تدعى وقوعها تحت نفوذها، ثم عاد السلطان العثماني الى العاصمة اسطنبول في ١١ تموز ١٥١٥. (٢٠) وقد ترك مهمة اكمال احتلال بقية تلك المناطق والقضاء على مؤيدي الصفويين فيها الى احد قادة جيشه وهوييقي محمد باشا. (٢١) وقد نجح هذا الأخير، بدعمه قوتان يقود احدها ادريس البدليسي ويقود الثانية والي سيواس شادي باشا، (٢٢) في احتلال مدن ديار بكر (آمد) وخربوط وصار أول والي عثماني على ديار بكر. (٢٣) وتمكن ييقي محمد باشا من الحاق هزيمة كبيرة بالقوة

الصفوية الرئيسية في المنطقة التي كان يقودها القائد الصفوي قروخان في معركة «قَرغَن ده ده» قرب موقع كوجك حصار على بعد ١٧ كم جنوب غرب مدينة ماردين في ٤ أيار ١٥١٦م. (٢٤) وقد حددت هذه المعركة مصير الوجود الصفوي في المدن والمواقع الأخرى في منطقة جنوب شرق الاناضول وشمال العراق والتي سقط معظمها بيد العثمانيين. ومن هذه المدن والمواقع: الموصل واربيل وكركوك وماجاورها. (٢٥) ولاتوافر معلومات كافية عن تفاصيل الاحتلال العثماني للمدينة الموصل باستثناء اشارة المؤرخ العثماني خوجه سعد الدين افندي (١٥٣٦-١٥٩٩م) الى أن ييقي محمد باشا انتزع المدينة من حاكمها الصفوي احمد بك أفشار بمعونة احد أمراء الأكراد يدعى بدر بك، وان هذا الامر تم بعد احتلال السلطان سليم الاول مدينة حلب (٢٨ آب ١٥١٦م)، ويؤكد مؤرخ معاصر (٢٧) ان ييقي محمد باشا استولى على الموصل بعد معركة عنيفة، وان ذلك تم بعد انتصار السلطان سليم الاول على المالك في معركة مرج دابق في ٢٤ آب ١٥١٦م. وان ذلك السلطان ارسل بعد تلك المعركة تعزيزات عسكرية الى ييقي محمد باشا، وقد استفاد منها في احتلال مدينتي ماردين والموصل. وهذا يعني ان الاحتلال العثماني للموصل كان في اواخر سنة ١٥١٦م.

وتقتضي الضرورة الاشارة هنا الى أن بعض المصادر والمراجع التاريخية الموصلية تذكر معلومات غير دقيقة بهذا الصدد مؤداها ان السيطرة العثمانية للموصل تم على يد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) في سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م وهي السنة التي احتل فيها السلطان المذكور مدينة بغداد. (٢٨) علماً بأن المصادر التاريخية التي تطرقت الى حملة السلطان سليمان القانوني ضد الدولة الصفوية سنة ١٥٣٤، والتي قادته الى احتلال بغداد، تؤكد عدم مرور السلطان سليمان القانوني

بمدينة الموصل في حملته ذهاباً وإياباً. (٢٩)

ومها يكن من أمر، فإن الغموض يكتنف جوانب عدة من تاريخ الموصل في اوائل العهد العثماني بسبب قلة المعلومات. ولكن مايتوفر لدينا يشير الى ان الموصل صارت بعد الاحتلال العثماني مباشرة لواء (سنجق) عثمانياً تابعاً لولاية ديار بكر، (٣٠) ثم صارت الموصل في سنة ١٥٣٩م مركزاً لولاية عثمانية قائمة بذاتها. (٣١) ويبدو أنها عادت لواءً في بداية النصف الثاني من القرن السادس عشر، إذ تشير السجلات الرسمية العثمانية الى الموصل بوصفها لواءً تابعاً لولاية بغداد. (٣٢) ثم تشير اليها في الربع الأخير من ذلك القرن بوصفها مركز ولاية عثمانية قائمة بذاتها. (٣٣) ويؤكد ذلك المؤرخ العثماني فريدون بك (ت ٩٩٠هـ / ١٥٨٢م) ايضاً. (٣٤) وإلى شيء من هذا القبيل ايضاً يشير المؤرخ المعاصر دونالد بتر D.E Pitcher عندما يذكر ان الموصل لم تكن ولاية دائمة حتى أواخر القرن السادس عشر. (٣٥) اما بعد ذلك فقد استقر وضع الموصل ادارياً بوصفها مركز ولاية عثمانية ترتبط بها ادارياً ستة الوية هي باجوانلو واسكي موصل وكشاف وتكرت وهارون وزاخو. (٣٦)

ولاشك ان جعل الموصل مركزاً لولاية عثمانية قائمة بذاتها يرتبط ايضاً باستعادة هذه المدينة مكانتها التاريخية والاقتصادية في القسم الشمالي من العراق، ناهيك عن الأهمية الاستراتيجية التي تمتعت بها من وجهة النظر العثمانية، خاصة فيما يتعلق بالصراع مع الدولة الصفوية. فقد اتخذ العثمانيون الموصل احياناً قاعدة لحملاتهم العسكرية باتجاه اذربيجان في شمال غرب بلاد فارس، او باتجاه سوريا احياناً أخرى. (٣٧) فضلاً عن دور الموصل التقليدي في المساهمة في الحملات العثمانية باتجاه المناطق الوسطى والجنوبية من العراق حيثما تطلبت الحاجة ذلك كما سيأتي ذكره لاحقاً. ان تأخر ظهور الموصل مركزاً لولاية عثمانية دائمة

في القرن السادس عشر ربما يُفسر لنا قلة المعلومات عن ادارة المدينة حتى نهاية ذلك القرن. فالمصادر التاريخية المحلية الموصلية والسجلات العثمانية (الكتب السنوية) الخاصة بولاية الموصل تبدأ بذكر ولايتها اعتباراً من سنة ١٠٠٠هـ / ١٥٩١ - ١٥٩٢م. (٣٨) ويُستفاد من هذه المصادر أن الموصل شهدت حكم ١٠٢ والي بين ١٠٠٠هـ - ١١٣٩هـ / ١٥٩١ - ١٧٢٦ تولى بعضهم هذا المنصب اكثر من مرة. (٣٩) وكان منهم بعض الاشخاص من اهل الموصل والمناطق المجاورة لها. ففي سنة ١٠٠٩هـ / ١٦٠٠ - ١٦٠١م عُهدت ولاية الموصل الى حاكم العمادية حسن باشا الذي ولها مدة ثلاث سنوات وسبعة اشهر (٤٠) كما عُهدت الولاية في سنة ١٠٣٠هـ / ١٦٢٠ - ١٦٢١م الى احد ابناء الموصل وهو بكر باشا بن يونس الموصل، الذي تولى المنصب مرة أخرى لبعض الوقت في سنة ١٠٣٥هـ / ١٦٢٦م. ويقول فيه المؤرخ الموصل محمد أمين بن خير الله العمري (١٧٣٨ - ١٧٨٨م) أنه «كان رجلاً شهماً، له رياسة من اهالي الموصل. وساعده الاقدار، وعُرف عند رجال الدولة فوجهت له ولاية الموصل سنة واحدة. ثم صُرف عنها وتقل في المناصب والولايات ثم اعيد اليها سنة خمس وثلاثين [وَأُلْف]. فطالت يده وامتدت الى المظالم، وتملك عقارات الناس وارضيمهم. وعمر سور الموصل ثم ضم اليه مدينة خرت برت [خربوط] ولم تطل ايامه فات...» (٤١)

والى جانب تنظيم الادارة اهتمت الدولة العثمانية، بعد احتلال الموصل مباشرة، بتهدئة الاوضاع في المدينة والقضاء على ما تركه غيرهم فيها من آثار ثقافية واجتماعية (٤٢). سيما وان سكانها اتخذوا موقفاً سلبياً من العثمانيين آنذاك. (٤٣) وقد سعت الدولة العثمانية الى تحقيق تلك الأهداف من خلال العمل على كسب تأييد السكان لها، ونشر

المذهب الحنفي في الموصل وهو المذهب الرسمي للدولة العثمانية. وكان لاستقدام بعض الشخصيات من الحجاز الى الموصل علاقة بهذا المسعى كما يبدو. فقد اصدر السلطان سليمان القانوني أمراً باستقدام كل من الحاج قاسم العمري (ت ١٥٩١م) من مكة المكرمة والسيد عبيدالله الاعرجي الحسيني من المدينة المنورة الى الموصل. وقد سكن الاول في المحلة المعروفة باسم باب العراق في القسم الجنوبي من الموصل حينئذ، وبني له جامعاً كبيراً في سنة ٩٧١هـ / ١٥٦٣م وغدا اماماً وخطيباً فيه. وسكن الثاني في المحلة المعروفة باسم محلة السادة في القسم الشمالي من مدينة الموصل، ولا تزال تعرف بمخبرة السادة. وكان وصول هاتين الشخصيتين الى الموصل في اواسط القرن السادس عشر.^(٤٤) وقد انحدرت من الاول الأسرة العنبرية التي كان لها دور سياسي وثقافي في تاريخ الموصل فيما بعد.^(٤٥) اما المنحدرون من الثاني فقد انحصرت فيهم نقابة الاشراف في الموصل.^(٤٦)

وفضلاً عن الأجزاء السابق فان السلطات العثمانية في الموصل قامت بمراقبة واعتقال وبني من يُشك في ولائه للدولة العثمانية أو وجود ميول مؤيدة للصفويين لديه. ومع أننا لا نمتلك معلومات عن مدى تطبيق هذه الاجراءات في اوائل العهد العثماني، فان الوثائق العثمانية تشير الى تطبيقها في الموصل والمناطق المجاورة لها ابان النصف الثاني من القرن السادس عشر.^(٤٧)

ويبدو ان مركز العثمانيين في الموصل لم يواجه تحدياً مهماً يذكر طيلة القرن السادس عشر والرابع الاول من القرن السابع عشر. غير ان الظروف التي كانت تمر بها الدولة العثمانية وتطورات الاحداث في مناطق اخرى من العراق ادت الى وقوع الموصل مجدداً تحت الاحتلال الصفوي منذ اواخر سنة ١٦٢٣م. ففي بداية القرن السابع عشر كانت الدولة العثمانية تعاني من مشكلات عدة من بينها

كثرة تمردات الجيش الانكشاري العثماني، وتعاقب سلاطين ضعاف اهتموا بشؤون الدولة على الحكم، وتدخل الحرم في شؤون الدولة. والازمة الاقتصادية التي تمثلت في انخفاض قيمة العملة والعجز في ميزانية الدولة.^(٤٨) وقد انعكست هذه الحالة سلباً على هبة السلطة المركزية العثمانية في الولايات، لاسيما البعيدة منها حيث كثرت حوادث الخروج على تلك السلطة، وكانت ولاية بغداد من ضمن تلك الولايات. ففي سنة ١٦٢٣م قام احد ضباط الجيش الانكشاري في بغداد هو بكر الصوباشي بحركة تمرد ضد الوالي واعلن نفسه حاكماً على المدينة.^(٤٩) وقد رفضت السلطات العثمانية في اسطنبول قبول هذا الوضع وارسلت حملة عسكرية بقيادة والي ديار بكر حافظ احمد باشا ضد بكر الصوباشي، وقد انضمت الى هذه الحملة قوات عسكرية من ولاية الموصل.^(٥٠)

وعند وصولها الى بغداد فرضت قوات الحملة العثمانية حصاراً عليها، فبادر بكر الصوباشي الى طلب المساعدة من الدولة الصفوية، وكان على عرشها يوسمئيل الشاه عباس الاول (١٥٨٨-١٦٢٩م). وأرسل الصوباشي مفاتيح بغداد الى الشاه الصفوي ثمناً لقيام الأخير بفك الحصار العثماني عن بغداد والاعتراف بالصوباشي حاكماً عليها. وقد رحب الشاه عباس الاول بهذا العرض على الفور على أمل استغلال الفرصة لاعادة اخضاع بغداد للحكم الصفوي، وأصدر أوامره الى بعض قادته بالتوجه مع قوات صفوية الى بغداد ثم اعقبهم الشاه بنفسه على رأس حملة كبيرة. وحال سماع حافظ احمد باشا بهذه الأنباء قرر التفاهم مع بكر الصوباشي خشية من وقوع بغداد بيد الصفويين، فاعترف بالصوباشي والياً على بغداد وأسند اليه مهمة الدفاع عنها.^(٥١) وحينئذ حاول الصوباشي اقناع القوات الصفوية المتجهة نحو بغداد بانتفاء الحاجة اليها وطلب منها، بطريقة

ودية ، العودة الى بلادها. لكن القوات الصفوية التي كان هدفها احتلال بغداد لالنجدة بكر الصوباشي ، واصلت تقدمها باتجاه بغداد وفرضت عليها الحصار. ثم وصل الشاه عباس نفسه في صيف ١٠٣٣هـ/ ١٦٢٣م للاشتراك في الحصار الذي دام حوالي ثلاثة اشهر، (٥٢) سقطت المدينة بعدها بيد الصفويين. ومن هناك وسع الشاه عباس نطاق الاحتلال الصفوي ليشمل الحلة وكربلاء والتجف، وأرسل حملة عسكرية ضد الموصل بقيادة قرجفاي خان. وقد حاصرت هذه القوة مدينة الموصل التي تحصن سكانها داخل اسوارها وياشروا الدفاع عنها ببسالة. وعندما طال امد الحصار أرسل الشاه عباس الاول تعزيزات عسكرية بقيادة قاسم سلطان أفشار لدعم قوات قرجفاي خان. ونتيجة لتشديد الحصار وتدهور الأوضاع داخل المدينة بسبب انقطاع وصول المؤن والامدادات اليها اضطر سكان الموصل الى طلب الأمان وفتحوا أبواب المدينة بوجه الغزاة ، الذين قتلوا كثيراً من سكانها وسلبوا أموالهم وعندما هدأت الحالة ونجح الصفويون في تأمين سيطرتهم على المدينة عاد قرجفاي خان الى بغداد تاركاً أمرها الى قاسم سلطان افشار الذي منحه الشاه لقب «خان» وأناط به حكمها وخصص له حامية عسكرية صفوية لمساعدته في الاستحواذ على اطرافها والدفاع عنها أمام هجمات العثمانيين المتوقعة. (٥٣)

استمر الاحتلال الصفوي للموصل حوالي ثلاث سنوات رفض الموصليون خلالها اقامة أي شكل من اشكال التعاون مع المحتلين. (٥٤) وازاء قسوة قاسم خان وسوء معاملته مع سكان المدينة اضطر كثير منهم الى مغادرتها ، ومن بينهم بعض أفراد الاسرة العمرية الذين هاجروا الى العبادية والى جزيرة ابن عمر. (٥٥) وفي سنة ١٦٢٦م استرد العثمانيون الموصل بعد ان نجحت قوة عثمانية يقودها جركس حسن باشا في طرد قاسم خان من الموصل

وتعقب فلول قواته حتى جنوب كركوك. (٥٦)

استأنفت الموصل ، بعد استعادتها من الصفويين ، دورها في الاستراتيجية العسكرية العثمانية اذ عادت قاعدة عسكرية مهمة للحملات العثمانية التي كان هدفها استرداد بغداد والمناطق الاخرى من الصفويين. (٥٧) لاسيا حملة السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠م) التي مرت بالموصل سنة ١٦٣٨م وأمضت فيها عشرة أيام للراحة واكمال الاستعدادات النهائية للتوجه نحو بغداد. (٥٨) واستقبل فيها السلطان العثماني سفيراً من امبراطور المغول في الهند. (٥٩) وقد اشتركت قوات من ولاية الموصل في حملة السلطان تلك. (٦٠)

وخلافاً للترز اليسير من المعلومات التي بين أيدينا عن تاريخ الموصل في القرن السادس عشر فان لدينا قدراً افضل من المعلومات عن الفترة اللاحقة. وتساعدنا هذه المعلومات على تكوين فكرة واضحة ، الى حدما ، عن تاريخ الموصل السياسي إبان القرن الذي يبدأ باستعادة الموصل من الصفويين سنة ١٦٢٦م وينتهي بتولي الأسرة الجليلية حكم المدينة سنة ١٧٢٦م.

لقد تعاقب على ولاية الموصل في ذلك القرن عدد كبير من الولاة امضى قسم منهم سنة او أكثر في المنصب وامضى القسم الآخر أشهراً قليلة فيه. وكان معظم هؤلاء غرباء عن الموصل باستثناء بعضهم ، فمثلاً عُيِّن ميرزا بك الداسني ، من عشيرة الداسني البزيدية المعروفة والياً على الموصل بين سنتي ١٦٤٩ - ١٦٥٠م. وكان هذا قد شارك في حملة السلطان مراد الرابع ضد بغداد سنة ١٦٣٨م ، كما كان على علاقة طيبة مع الصدر الاعظم العثماني قره مراد باشا الذي رشحه والياً على الموصل برتبة باشا. وعندما عزل الصدر الاعظم قره مراد باشا في سنة ١٦٥٠م فقد ميرزا بك دعمه وعزل بدوره عن ولاية الموصل. (٦١) وفي ثمانينات

القرن السابع عشر عُين عربي من أهل الموصل والياً عليها هو عرب علي باشا الشهير بعلي قدوم اوكدوم. وقد تولى هذا منصبه مرتين كانت الاولى سنة ١٦٨٣م والثانية سنة ١٦٨٦ - ١٦٨٧. (٦٢) وقد عُرف بعدله وحزمه، وصلحت أحوال ولاية الموصل في عهده وقطع دابر للصوص فيها. (٦٣) وقد أنشأ لنفسه قصرًا منيفاً على تل صغير جنوب الموصل قريباً من مزار الشيخ محمد الغزلائي، استمرت آثاره قائمة حتى عهد قريب وعرف باسم «الايوان». (٦٤) اما بقية ولاية الموصل فلم تسجل عهودهم ما يستحق الذكر باستثناء مدد ولايتهم، وقد عُرف عن بعضهم الظلم والسيرة الذميمة مثل ابراهيم باشا الذي كان والياً عليها سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م، التي تصادف فيها حدوث مجاعة وموجة غلاء في الموصل دفعت قسماً من اهاليها الى تركها بحثاً عن الرزق في مناطق اخرى. (٦٥) وكانت حوادث المجاعة والغلاء نتيجة انحباس المطر او موجات الجراد، وكذلك انتشار الاوبئة والامراض الفتاكة لاسيما وباء الطاعون من الامور التي تكررت مرات عدة في تاريخ الموصل ابان القرن السابع عشر واولال القرن الثامن عشر. (٦٦)

ومما تسجله المصادر التاريخية بوضوح. مساهمة الموصل في جميع الحملات العسكرية العثمانية التي استهدفت تأكيد السيطرة العثمانية على جنوب العراق ومواجهة الحركات المسلحة التي حدثت ضدهم هناك وخاصة في البصرة ومنطقتها. ومن ذلك مساهمة ولاية الموصل في الحملات التي قادها والي بغداد في سنتي ١٦٦٥م و١٦٦٧م ضد أسرة أفراسياب التي كانت تحكم البصرة منذ سنة ١٥٩٦. وفي حملة والي بغداد ضد قبيلة المنتفق في البصرة سنة ١٦٩٢م، وفي الحملة التي قادها والي بغداد ايضاً سنة ١٧٠٠م لاستعادة البصرة والقرنة من ايدي امراء الحوزة، وفي حملة سنة ١٧٠٢م لضرب عشيرة الخزاعل، وحملة سنة ١٧٠٧م

ضد قبيلة المنتفق في اطراف البصرة. (٦٧)

وفضلاً عن ذلك أسهم والي الموصل، الى جانب ولاية بغداد وشهرزور وديار بكر، في الحملة العسكرية التي ارسلتها الدولة العثمانية الى حلب في سنة ١٧١٩م لقمع التمرد الذي قام به العرب المعروفين بالعباسيين هناك. (٦٨)

ومن الاحداث المهمة في تاريخ الموصل، قبيل تولي آل الجليلي السلطة فيها، النزاع بين الولاة الاتراك والاستقرائية المحلية من الأسرة العمرية حول السلطة والنفوذ فيها. وقد تطور ذلك النزاع الى مصادمات مسلحة الخقت اضراً باقتصاد الموصل وهددت أمنها واستقرارها. (٦٩) وتفسر بعض المراجع التاريخية بواعث ذلك النزاع بنظرة الحسد التي كان ينظرها الولاة الاتراك الى نفوذ وراء بعض أفراد الأسرة العمرية. (٧٠) ويضيف بعضهم بُعداً قومياً للنزاع بالقول «ان عروبة الموصل بفنائها الاجتماعية وطبقاتها المتباينة كانت دائمة الرفض لكل والٍ تركي غريب». (٧١) غير ان من الصعب قبول هذا الرأي تماماً، ذلك ان مواقف سكان الموصل اختلفت في ذلك النزاع ما بين مؤيد للعمريين ومؤيد للولاة الاتراك.

كان اول نزاع بين الأسرة العمرية والوالي الموصل العثماني ابراهيم باشا في سنة ١١٢٣هـ / ١٧١١م. وقد اتخذ النزاع شكل فتنة اهلية انقسم فيها سكان الموصل بين مؤيد لهذا الطرف أو ذاك، وامتدت تلك الفتنة اياماً تعرضت فيها مصالح سكان الموصل لضرر كبير. (٧٢) وتكرر النزاع مرة أخرى في سنة ١١٣٨هـ / ١٧٢٥م بين الوالي العثماني والمفتي علي افندي العمري وعُرف هذا النزاع بـ «فتنة علي افندي العمري». (٧٣) وقد تطور النزاع الى مصادمات مسلحة استمرت ستة اشهر نهدت خلالها الحوانيت وقتل كثير من أهالي الموصل. (٧٤) وبعد أشهر قليلة من انتهاء تلك المصادمات اسندت الدولة العثمانية ولاية الموصل في سنة ١١٣٩هـ /

P.Jackson & the Late L. Lockhart (eds.); The Cambridge history of Iran, vol. 6, (Cambridge-1986) pp. 220-222.

(١١) صالح اوزيران ، الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤-١٥٨١ (بغداد-١٩٧٩ - ترجمة عبد الجبار ناجي) ص ، ٢٧ ، سيار كوكب الجميل ؛ دراسات في السيطرة العثمانية على الموصل واقليم الجزيرة سنة ١٥١٦ ، القسم الأول ، مجلة بين النهرين - السنة ٨ - العدد ٣٠ - ١٩٨٠ ، ص من ١٩٧-١٩٨ .

(١٢) Donald E. Pitcher; An historical geography of the Ottoman empire (Leiden-1972) P. 103.

(١٣) Stanford J, Shaw; History of the Ottoman empire and modern Turkey (Cambridge-1977) vol. I, p.82.

(١٤) ادريس البليسي علامة ومؤرخ كردي عمل لدى ملاط الآق قوبلوق في تبريز ، وبعد قيام الدولة الصفوية ذهب الى اسطنبول ودخل في خدمة العثمانيين حيث عمل لدى السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢ م) وألف بناء على طلب الأخير كتاباً في التاريخ العثماني بعنوان «هشت بهشت» أي الجنان الثمانية : وبعد ذلك عمل البليسي لدى السلطان سليم الأول . وله مؤلفات عدة في العلوم الدينية . وتوفي سنة ١٥٢٧ هـ / ١٥٢١ م . انظر عنه ؛ بروسه لي محمد طاهر ؛ عثمانلي مؤلفلي (اسطنبول- ١٣٤٢ هـ) جلد ٣ ، ص ٦-٧ ، شرفخان البليسي ؛ شرقنامه (القاهرة- ١٩٦٢ - ترجمة محمد علي عوني) ج' ، ص ٣٥١-٣٥٢ .

(١٥) H.Uzunçarşılı; Osmanlı Tarihi (Ankara-1949) 2 cilt, p. 261.

(١٦) راجع نص المرسوم «الفرمان» الذي اصدره السلطان سليم الأول في شهر شوال ٩٢١ هـ / ١٥١٥ م بشأن تكريم ادريس البليسي في ؛ خوجة سعد الدين ؛ تاج التواريخ (اسطنبول- ١٢٧٩ هـ) ج' ، ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(١٧) ايفانوف ؛ المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(١٨) لونكريك ؛ المصدر السابق ، ص ٢٠ .

(١٩) محمد فريد بك ؛ تاريخ الدولة العلية العثمانية (بيروت- ١٩٧٧) ، ص ٧٤ .

(٢٠) Yılmaz Öztuna; Büyük Türkiye tarihi (İstanbul-1983) 3. cilt, P. 223.

(٢١) Shaw; op. cit, vol. I, p. 82.

(٢٢) Öztuna; op. cit, 3. cilt, P. 224.

(٢٣) Pitcher; op. cit, P. 103.

(٢٤) ايفانوف ؛ المصدر السابق ، ص ٨٥ .

(٢٥) Öztuna; op. cit, 3. cilt, p. 225.

(٢٥) Pitcher; op. cit, p.103. سيار الجميل ؛ دراسات في السيطرة العثمانية... القسم الثاني ، مجلة بين النهرين ، العدد ٣١ ، ١٩٨٠ ، ص ٣٣٤ .

(٢٦) سعد الدين ؛ المصدر السابق ، ج' ، ص ٣١٩ ، ٣٢١ ؛ سنانة الموصل لسنة ١٣٣٠ هـ ، ص ٥٨ .

١٧٢٦ م الى اسماعيل الجليلي ، وهو من أسرة تجارية محلية ذات ثروة ونفوذ في الموصل . وكان هذا التعيين فاتحة عهد جديد من تاريخ الموصل وهو عهد الأسرة الجليلية الذي استمر حتى سنة ١٢٤٩ هـ / ١٨٣٤ م .

الهوامش

(١) الآق قوبلوق (الخروف الابيض) يُعرفون بالبايندرية ايضاً نسبة الى بايندرجدهم الاعلى . وهم مجموعة قبائل تركمانية مواطنها الاصلية في تركستان ، وقد تحركت في اواخر القرن الثالث عشر الميلادي صوب خراسان وانتهى بها المطاف بالاستقرار في المنطقة الواقعة بين اذربيجان وخويو وديار بكر في اواخر القرن الرابع عشر الميلادي . وأقامت فيها بعد اماره مركزها ديار بكر ، وتوسعت هذه الامارة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر الى دولة واسعة شملت بلاد فارس والعراق ايضاً ، لمزيد من التفاصيل راجع ؛

İsmail H. Uzunçarşılı; Anadolu Beylikleri ve AK Koyunlu, Kara Koyunlu devletleri (Ankara-1969) pp.180-187 وكذلك ، عاد الجواهري ؛ صراع القوى السياسية في المشرق العربي ؛ من الغزو المغولي حتى الحكم العثماني (الموصل ١٩٩٠) ، ص ٣١-٤٥ .

(٢) عبدالله بن فتح الله البغدادلي ؛ التاريخ العثماني ، الفصل الخامس ١٥٦-٨٩١ هـ / ١٢٥٨-١٤٨٦ م (بغداد- ١٩٧٥ - دراسة وتحقيق طارق نافع الحمداني) ، ص ٣٧٢ ، ٣٨٣ .

(٣) Roger M. Savory; "the consolidation of Safavid power in Persia", Der Islam, No. 41, 1965, pp. 75-76.

(٤) John S. Guest; The Yezidis, A study in Survival (London- 1987) P. 44.

(٥) Savory; op. cit, pp. 76-77.

(٦) راجع مثلاً ؛ سنانة ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠ هـ ، ص ٦٦ وكذلك ؛

(٧) راجع مثلاً ؛ ستيفن همسلي لونكريك ؛ اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث (بغداد- ط ٣- ١٩٦٢ - ترجمة جعفر خياط) ص ١٨ ، الجواهري ؛ المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٨) سنانة ولاية الموصل لسنة ١٣٣٠ هـ ، ص ٦٦ .

(٩) نيقولا ايفانوف ؛ الفتح العثماني للاقطار العربية (بيروت- ١٩٨٨ - ترجمة يوسف عطاالله) ص ٨٣ .

(١٠) راجع تفاصيل ذلك في ؛ روبرت اولسن ؛ حصار الموصل والملاقات العثمانية - الفارسية ١٧١٨-١٧٤٣ (الرياض- ١٩٨٣ - ترجمة عبدالرحمن الجليلي) ص ٥٧-٥٨ .

الحكم المحلي ١٧٢٦ - ١٨٣٤ م (التجف الاشرف - ١٩٧٥)

ص ٤٩.

(٤٣) إبراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني

١٥١٦ - ١٩١٦، (الموصل - ١٩٨٣) ص ٤٢.

(٤٤) صانع، المصدر السابق، ج'، ص ص ٢٦٦ - ٢٦٧، ميار

المجمل، «الحياة الاقتصادية والاجتماعية لولاية الموصل في

العهد المحلي ١٧٢٦ - ١٨٣٤» في: الحياة الاجتماعية في

الولايات العربية اثناء العهد العثماني (زغوان - ١٩٨٨) ص ٢٤٩.

(٤٥) عن دور الاسرة العمري، لاسيا الثقافي، راجع، سنون يونس

حسين الطائي، الانتاجات الاصلاحية في الموصل في اواخر

العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني (رسالة ماجستير غير

منشورة - كلية الاداب - جامعة الموصل - ١٩٩٠) ص ٢٥

وما بعدها.

(٤٦) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢٦٧.

(٤٧) C.H. Imber; "The persecution of the Ottoman

Shiites according to the mühümme defterleri 1565-

1585" Der Islam, Band 56, Juli-1979, PP. 246-248.

(٤٨) Edward Creasy; History of the Ottoman Turks

(London-1878) P. 246.

(٤٩) راجع تفاصيل تمرد بكر الصوياني في، لوتريك، المصدر

السابق، ص ص ٥٢ - ٥٤، علي شاكور علي، تاريخ العراق

في العهد العثماني ١٦٣٨ - ١٧٥٠ (الموصل - ١٩٧٥)

ص ص ٢٩ - ٣٢.

(٥٠) علي، المصدر السابق، ص ٣٢.

(٥١) المصدر نفسه، ص ٣٤، مرتضى افندي نظمي زادة، كلشن

خلقا (التجف - ١٩٧١ - ترجمة موسى كاظم بورس) ص

٢١٨.

(٥٢) فريد بك، المصدر السابق، ص ١٢٥.

(٥٣) القهواني، المصدر السابق، ص ص ٣١٧ - ٣١٨.

(٥٤) علي، المصدر السابق، ص ١٥٥.

(٥٥) ياسين العمري، المصدر السابق، ص ١٧٣، صانع، المصدر

السابق، ج'، ص ص ٢٦٩ - ٢٧٠.

(٥٦) فون هاهم ر، دولت عثمانية تاريخي (استانبول - ١٣٣٥ هـ -

مترجمي محمد عطا) ج ٩، ص ص ٢٥ - ٢٦.

(٥٧) رؤوف، المصدر السابق، ص ٣٠.

(٥٨) هاهم ر، المصدر السابق، ج ٩، ص ٢٤٨.

(٥٩) عباس الزراوي، تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد -

١٩٤٩) ج ٤، ص ص ٢١١ - ٢١٢.

(٦٠) Guest; op.cit, p. 47.

(٦١) Ibid, p. 47.

(٦٢) ياسين العمري، المصدر السابق، ص ص ٧٧ - ٧٨،

رؤوف، المصدر السابق، ص ٣١.

(٦٣) صانع، المصدر السابق، ج'، ص ٢٧١.

(٦٤) المصدر نفسه، ص ٧٧٠، محمد أمين العمري، المصدر

السابق، ج'، ص ١٣٩.

(٦٥) صانع، المصدر السابق، ج'، ص ٢٧١.

(٢٧) إيفانوف، المصدر السابق، ص ٨٥.

(٢٨) راجع مثلاً؛ ياسين بن خيرالله الخطيب العمري، مئة الأدياء

في تاريخ الموصل الحداية (الموصل - ١٩٥٥ - تحقيق سعيد

الديوبجي) ص ٧١، محمد أمين بن خيرالله العمري، منهل

الآلياء ومشرّب الاصفاء من سادات الموصل الحداية

(الموصل - ١٩٦٧ - تحقيق سعيد الديوبجي) ج'، ص

١٣٤، القس سليمان صانع، تاريخ الموصل (مصر - ١٩٢٣)

ج'، ص ٢٦٢.

(٢٩) راجع خط سير حملة السلطان سليمان القانوني المذكورة، في؛

حسين محمد القهواني، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الاول

والثاني ١٥٣٤ - ١٦٣٨ (رسالة ماجستير غير منشورة - كلية

الاداب - جامعة بغداد - ١٩٧٥) ص ص ٩٢ - ١٠٧،

١٢٣ - ١٢٤.

(٣٠) Metin Kunt; Sancakten Eyalet, 1550-1650

arasinda Osmanli umerasi ve il idaresi (Bogaziçi

universitesi yayinlari, No. 154) p. 130., Encyc. of

Islam, New Edition, Art. "Diyar Bakr" vol, 2, p.

345.

(٣١) Baş Vekalet Arşivi; Tapu defteri, No. 195 (Mosul)

ويرجع تاريخ هذا الدفتر الى سنة ٩٤٦ هـ / ١٥٣٩ - ١٥٤٠ م

ويذكر الموصل بوصفها مركز ولاية عثمانية ترتبط بها عدة الوية.

(٣٢) Kunt; op.cit, P. 144.

(٣٣) Baş Vekalet Arşivi; Tapu defteri, No. 660 (Mosul)

ويرجع هذا الدفتر الى عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ -

١٥٩٥ م).

(٣٤) فريدون بك، منشآت السلاطين (استنبول - ١٢٧٥ هـ /

١٨٥٨ م) ج'، ص ٤٠٧.

(٣٥) Pitcher; op. cit, p. 128.

(٣٦) Kunt; Op. cit, P. 196. وهناك اختلافات نسبية بين تحديد

المؤرخين والجغرافيين العثمانيين لحدود ولاية الموصل والألوية

التابعة لها في القرن السابع عشر. ويُعزى ذلك الى حقيقة ان

حدود الولاية وتقسيماتها الادارية لم تكن ثابتة، بل عرضة للتغيير

من وقت لآخر، راجع التفاصيل في؛ خليل علي مراد، تاريخ

العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٦٣٨ -

١٧٥٠ (رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الاداب - جامعة

بغداد - ١٩٧٥) ص ص ٥١ - ٥٣.

(٣٧) Shaw; op. cit, vol, I, P. 129.

(٣٨) محمد أمين العمري، المصدر السابق، ج'، ص ١٣٥،

ياسين العمري، المصدر السابق، ص ٧١، سالتانة ولاية

الموصل لسنة ١٣١٠ هـ / ١٣٠٨ روسي، ص ٦٠.

(٣٩) سالتانة ولاية الموصل لسنة ١٣١٠ هـ / ١٣٠٨ روسي،

ص ص ٦٠ - ٦٤.

(٤٠) المصدر نفسه، ص ٦٠.

(٤١) محمد أمين العمري، المصدر السابق، ج'، ص ص ١٣٥ -

١٣٦.

(٤٢) عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، فترة

- (٦٩) رؤوف، المصدر السابق ص ٤٩.
 (٧٠) صالح، المصدر السابق، ج'، ص ٢٧١، لوتركرك؛
 المصدر السابق، ص ١٥٥.
 (٧١) الجميل، الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٢٥١.
 (٧٢) ياسين العمري، منية الادباء، ص ٧٩، رؤوف، المصدر
 السابق، ص ٥٠.
 (٧٣) صالح، المصدر السابق، ج'، ص ٢٧٢.
 (٧٤) محمد امين العمري، المصدر السابق، ج'، ص ١٤٢، علي؛
 المصدر السابق، ص ١٥٧.

- (٦٦) ياسين العمري، المصدر السابق، ص ص ١٧٥ - ١٧٧؛
 علي، المصدر السابق، ص ١٥٦.
 (٦٧) ياسين بن خيرالله الخطيب البغدادي العمري، غاية المرام في
 تاريخ محاسن بغداد دار السلام (بغداد - ١٩٦٨) ص ص،
 ١٧٤ - ١٧٦، رؤوف، المصدر السابق، ص ص ٣٢ - ٣٣.
 (٦٨) سليمان فائق بك، حروب الايرانيين في العراق - مخطوط رقم
 ١٩٥٣ - المتحف العراقي، ورقة ١، كامل حسين الغزي، نهر
 الذهب في تاريخ حلب (بيروت - ١٩٢٣ - ١٩٢٦) ج'،
 ص ٥٢٩.

علاقة الموصل بالولايات العراقية الأخرى

(٩٢٢ - ١٣٣٦هـ) ١٥١٦ - ١٩١٨م

علي شاكرو علي

توطئة:

العثماني الى منطقة الموصل حتى انسحاب القوات
 العثمانية منها، تشير الى ثلاثة أمور:
 أولاً أن من الصعوبة تتبع علاقة ولاية الموصل
 بالولايات العراقية الأخرى: «بغداد»^(١)،
 البصرة»^(٢)، شهمزور»^(٣) منذ النصف الثاني من
 القرن السادس عشر حتى مطلع القرن السابع عشر
 الميلادي، وذلك لعدم استقرار الأوضاع السياسية
 في العراق بسبب تفاقم الصراع العثماني - الفارسي
 من العراق،^(٤) وما كان يتبع ذلك، من انعكاسات
 على الحدود الإدارية للولايات العراقية من حيث
 قضم منطقة من ولاية والحاقها بولاية الأخرى أو
 بالعكس»^(٥).

أما الأمر الثاني فهو أن الولاية، وهي أكبر
 وحدة إدارية كانت تحكم نفسها بنفسها الى حد
 كبير في الشؤون الإدارية. ولكن علاقتها مع
 الولايات الأخرى ظلت تخضع لتوجيهات السلطة
 المركزية في الباب العالي، وهذه مسألة مهمة في
 تحديد المقصود بعلاقة ولاية الموصل بالولايات
 العراقية الأخرى، وهي لاتتعدى إطار الالتزامات
 الرسمية للهيئة الحاكمة^(٦) في مقر الولاية تجاه
 السلطان العثماني، هذا في المجال السياسي

في النصف الأول من القرن السادس عشر
 الميلادي، دان العراق للنفوذ العثماني، وإذا ما تتبعنا
 مراحل السيطرة العثمانية على العراق، نجد أن
 الموصل هي من أولى المناطق التي دخلت في الأطار
 العثماني، وتحديدًا منذ ٤ مايس ١٥١٦،^(١) وبعد
 مايقرب من عقدين من الزمن، أمتد النفوذ العثماني
 الى بغداد، في أعقاب الحملة العسكرية التي قادها
 السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ - ١٥٦٦)
 بنفسه سنة ١٥٣٤. وكان لهم الأول للسلطان
 العثماني هو إزالة الآثار التي تركتها السيطرة الفارسية
 الصفوية في العراق، خاصة فيما يتعلق بالتنظيمات
 الإدارية والاقتصادية التي عُدت من البدع التي
 يجب أزالتها^(٢). كما كان على السلطان العثماني، أن
 لايسقط من حسابه أمر البصرة ذات الأهمية
 الجغرافية والاقتصادية، لأية سلطة قائمة في بغداد.
 هذا فضلاً عن أن التطورات السياسية السريعة في
 شمال الخليج العربي، كانت تستوجب وجوداً
 عثمانيّاً فعلياً فيها، لهذا دخلت البصرة في النفوذ
 العثماني المباشر سنة ١٥٤٦ م.^(٣) وبقدرة تعلق الأمر
 بعلاقة ولاية الموصل بالولايات العراقية الأخرى
 خلال ١٥١٦ - ١٩١٨م، أي منذ أمتداد النفوذ

والعسكري، أما في المجال الاقتصادي فأن علاقة الولاية بأخواتها كانت تتم بنوع من المرونة في التعامل التجاري في إطاره التاريخي، ونقصد بذلك العلاقة الاقتصادية القديمة بين المدن العراقية الرئيسة التي نهضت مراكز للولايات العراقية الأربع (بغداد، البصرة، شمرزور، الموصل)^(١٠)

ويبقى الأمر الثالث وهو حرص العثمانيون عند تقسيم العراق الى ولايات في القرن السادس عشر الميلادي المحافظة على التوازن بين ولايتي بغداد والموصل، لأعتبارات سياسية، وهذا ساعد على تنشيط عملية تاريخية قديمة، كانت قد توقفت منذ سقوط الخلافة العباسية في بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، ونعني بذلك محاولة بغداد، ربط منطقة الموصل بها^(١١)، وتقليص أرتباطاتها السياسية بمحور الجزيرة وبلاد الشام، هذا الأرتباط الذي تعمق خلال القرون الثلاثة التالية لزوال الخلافة العباسية^(١٢)، غير أن محاولة بغداد، لم يكتب لها النجاح الا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي، عندما نشط ولاية بغداد المالك في توسيع دائرة نفوذهم السياسي، ليشمل العراق بأكمله^(١٣).

أثر حوادث الولايات العراقية في ولاية الموصل حتى النصف الثاني من القرن ١٨ :

قبل الحديث عن أثر حوادث الولايات العراقية في الموصل علينا أن نشير الى مسألتين جوهريتين هما : أولاً، أن امتداد النفوذ العثماني الى العراق بحدوده المعروفة في تلك الحقبة ربط ولاية الموصل بواحد من أهم الطرق التجارية التي تربط الشرق الأقصى بأوروبا بوساطة الخليج العربي أو بغداد- حلب- دمشق- صيدا^(١٤). ثانياً : أن ولاية الموصل باعتبارها أقرب الولايات العراقية الى الأناضول تحملت أعباء عسكرية واقتصادية، اذ تحولت عملياً الى قاعدة عسكرية، في أثناء حملة

السلطان سليمان القانوني على العراق أخذت الموصل نقطة اتصال (متزل) في الحملة الموجهة الى الجنوب لفترة قصيرة. كما ظلت الموصل منزل ونقطة توقف في الطريق الى أذربيجان^(١٥)، ومن جانب آخر، فإن دخول الموصل تحت السيطرة العثمانية منذ سنة ١٥١٦م، وتطبيق النظام الأقطاعي العثماني فيها، قد أنعش الحياة الاقتصادية في المنطقة، ومن بعد أصبحت هذه المدينة مهيةاً تماماً لمعالجة كل الأوضاع الاقتصادية الاستثنائية في كل من ولايتي بغداد والبصرة. وقد أشار الى هذا الأمر الرحالة الهولندي الدكتور (ليونهارت راوولف) أثناء وجوده في بغداد سنة ١٥٧٤م حين قال : «أثناء وجودنا في بغداد وتجوّلنا فيها لمسّت أن الفاقة مازالت جداً ظاهرة فيها، وأنها قد تتعاطم وتزداد اذا لم تسارع المدن القائمة على دجلة والفرات- ولاسيما مدينة الموصل- الى إرسال كميات كبيرة من المؤن»^(١٦). كما كانت المناطق المجاورة لولاية الموصل، مثل ديار بكر وحلب وغيرها تسهم هي الأخرى في تنشيط الحياة الاقتصادية في المدينة. ولعل الملاحظة التي أوردها أحد المؤرخين المحليين^(١٧)، عندما أشار الى ان (العقر) تعرف عند الناس بـ«ججك» (كوجوك) اسلامبول (أي اسطنبول الصغيرة) لعلاقتها التجارية النشطة مع الموصل، كدليل أكيد على أهمية المدينة من الناحية التجارية وعمق أرتباطاتها مع المراكز التجارية في أطرافها.

وفي ضوء ماسبق، فإن حوادث الولايات العراقية كانت تؤثر في الموصل إما بنحو مباشر أو غير مباشر، والأمثلة في هذا المجال كثيرة، ففي سنة ١٥٧٤م ١٥٦٦م أسهمت قوات من الموصل^(١٨) في الحملة التي قادها أسكندر باشا والي بغداد، لمواجهة حركة ابن عليان في البصرة، وفي سنة ٩٩٠ هـ «ولي بغداد الوزير حسن باشا بن الوزير محمد باشا (فلما دخلها أجرى شعبة من دجيل الى أراضي

(كذا)، فكان محصول تلك الشعبة تلك السنة عشرين ألف دينار، ثم حصلت له فئنة مع عسكر العراق (الأنكشارية) فرحل الى الموصل وجمع العسكر، وعاد الى بغداد وحاربهم^(١٩)، أن هذا النص التاريخي يكشف عن دور الموصل في توطيد الأمن في بغداد، وتوجيه مسار أحداثها.

ومن أخطر الأحداث التي وقعت في بغداد سنة ١٦٢٣م. تمرد أحد ضباط الأنكشارية وهو بكر صوباشي ضد سيده، فطورت الأمور الى محاصرة بغداد من قبل الصفويين مرة أخرى، وقد توقعات الموصل الزحف الصفوي اليها، فبادرت منذ الأيام الأولى الى الدفاع عن نفسها ومسالكها التجارية، وذلك بأرسال حملة عسكرية لأخراج الصفويين من بغداد، قادها والي الموصل كور حسن باشا، وبمعيته خمسمائة من الفرسان وعدد من المشاة، غير أن زمان بك أحد القواد الصفويين المكلفين بمحاربة الجهات الشمالية من بغداد، أعترض سبيل الحملة الموصلية بالقرب من رباط قديم، ووقع بين الطرفين، قتال ضار تراجع فيه كور حسن باشا الى الخلف، ليستنفر العشائر، ولما عاود الكرة وقع قتيلًا في المعركة، وانسحب جيشه الى جهات الموصل، لاسيما عند سماعهم أنباء سقوط بغداد بيد الصفويين.^(٢٠)

بعد دخول القوات الصفوية بغداد جهز الشاه عباس حملة عسكرية بقيادة قره جغاي، لأرسالها الى الموصل، بهدف احتلالها، فقد فرض قائد الحملة حصاراً قاسياً على المدينة، غير أن السكان تحصنوا في القلعة وباشروا بالدفاع عن مدينتهم ببسالة نادرة، متحدين القوات الغازية حتى اضطرت قائد الحملة الصفوية الى طلب مساعدات عسكرية من الشاه عباس، فأرسلت حملة عسكرية جديدة بقيادة قاسم خان سلطان، فضيق هذا الخناق على السكان الصامدين، غير أنهم اضطروا الى طلب الأمان في الأخير، فأنفذت

القوات الغازية من أبواب القلعة، فقتلوا كثيراً من سكانها.^(٢١) كما نهبوا أموال الناس نهباً ينع عن حقد دفين، واضطرت أسر كثيرة الى التزوج الى الجزيرة والعمادية، ومن جملة الأسر التي نزحت هي الأسرة العمري، فقد خرج موسى الخطيب العمري ابن الحاج قاسم العمري، الى الجزيرة واقام فيها ثلاثة أعوام، ومن رحل عن الموصل أخو الشيخ المذكور مراد العمري ابن علي العمري، وأخوه محمد العمري بن علي العمري، اذ توجهوا الى العمادية.^(٢٢)

لقد عاد قائد الحملة الصفوية قره جغاي الى بغداد، تاركاً قاسم سلطان حاكماً على الموصل، غير أن عامه الأول لم ينته حتى داهمته حملة عثمانية قوامها ٣٠٠٠ مقاتل ضم خليطاً من العرب والأكراد والأتراك أرسلهم حافظ أحمد باشا بقيادة حسن باشا لطرد الفرس من المدينة غير أن قاسم سلطان نجح في صد الهجوم العثماني خارج مدينة الموصل، وبعد عودته الى الموصل، تفشى مرض الطاعون في جيشه.

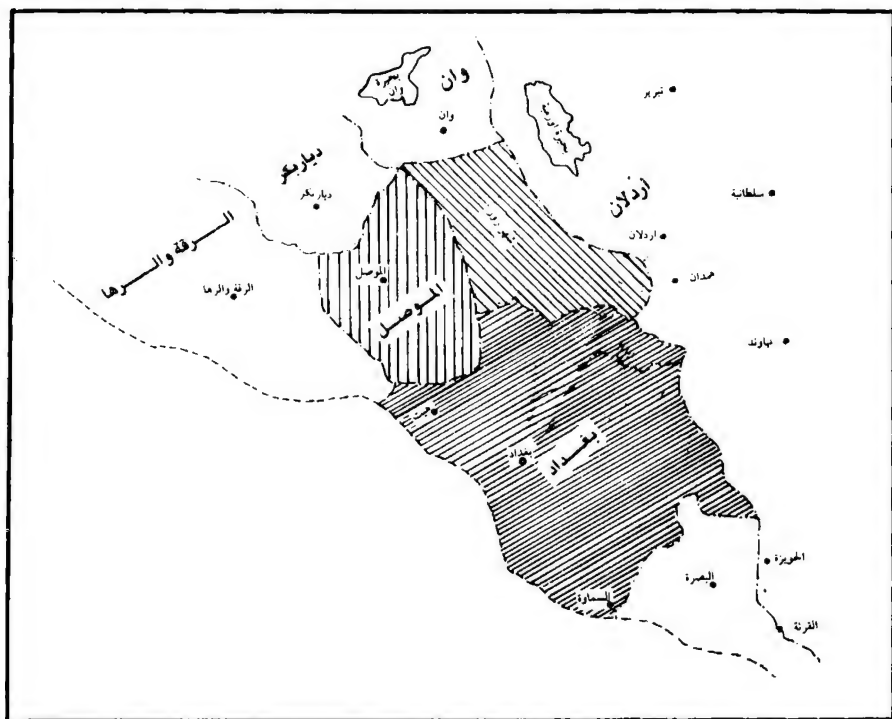
لقد أسهم الطاعون، ومعه المقاومة الصامدة للسكان في التعجيل برحيل القوات الغازية التي تركت المدينة سنة ١٦٢٦م بمجرد اقتراب الحملة العسكرية التي قادها كوجوك أحمد باشا حاكم ماردين،^(٢٣) في حين استمرت بغداد تحت السيطرة الصفوية حتى سنة ١٦٣٨م حيث قاد السلطان مراد الرابع (١٦٢٣-١٦٤٠م) آخر السلاطين العثمانيين الغزاة، حملة عسكرية ناجحة، أنهت بطرد الفرس من بغداد «انبل مدن اسيا». ويعلق (روبرت أولسن) على النتائج التي ترتبت على السيطرة العثمانية الثانية ١٦٣٨م، فيقول: اعتبرت الموصل منذ الآن مركز الدفاع عن الطرق المؤدية الى قلب الأناضول والى البحر المتوسط، كما اتخذت نقطة وثوب في المستقبل في جميع الحملات على العراق، وترتب على ذلك أن

- ١- حملة ابراهيم باشا ١٦٦٥ والي بغداد الموجهة ضد حكومة أفراسياب في البصرة. (٢٦)
- ٢- حملة قره مصطفى باشا ١٦٦٧ م ضد حكومة أفراسياب في البصرة أيضاً. فقد شارك حاكم الموصل أمير الأمراء موسى باشا فيها، وأُنيطت به مهمة حماية الجيش العثماني عند عبوره شط العرب. (٢٧)
- ٣- حملة مصطفى باشا دلتبان سنة ١٦٦٩ م لطرد الفرس من البصرة وأطرافها، وكان على رأس القوات المرسله من الموصل، واليها محمد باشا جاجوش زادة وبمعيته حاكم شهرزور حسن باشا أضافه الى قوات أقطاعية كردية. (٢٨)
- ٤- خلال الفترة الممتدة بين ١٦٩٢ حتى سنة

تجاوزت حركة تنقلات القوات والقوافل المرور بديار بكر وغدت تأتي رأساً من حلب الى الموصل. (٢٤)

والمصادر التاريخية المحلية والحوليات العثمانية تفيض في الإشارة الى الخدمات التي قدمتها الموصل لأختها الكبرى بغداد لمواجهة المشكلات التي عصفت بها، «من غزوات فارسية أو مشاكل إدارية، أو انقسامات داخلية أو أخطار قبلية. وقد جاء كل ذلك نتيجة للتركيبه المتباينة التي حكمت طبيعة المجتمع العراقي التي تراكمت مع خط حكم السيطرة الأجنبية على العراق منذ الغزو المغولي، وتضاعف العصور الوسيطة ثم القرون الحديثة» (٢٥)

وبإمكاننا أن نحدد المشاركة الموصلية في مواجهة أحداث الولايات العراقية، استناداً الى المصادر والمراجع التي أهتمت بهذه الحقبة التاريخية :-



خارطة ولاية الموصل وما جاورها من الولايات العراقية الأخرى إبان السيطرة العثمانية

١٧٠١ م التي شهدت فيها البصرة موجة من الاضطرابات والفوضى، بحيث هددت الوجود العثماني في هذه المنطقة. فقد وقع الثقل الأكبر في استيابة الأمن والنظام على عاتق القوات التي أرسلت من الموصل وكرجوك وديار بكر وشهرزور فضلاً عن القوات التي كانت ترافق قائد الحملة العسكرية، الذي كان عادة هو والي بغداد.^(٢٩)

هكذا نجد تعاظم الدور الذي أنيط بالموصل خلال الفترة التالية لحملة السلطان مراد الرابع على بغداد ١٦٣٨ م، غير أن الأمور لم تستمر على هذه الصورة فالتطورات السياسية الخطيرة في إيران، والمتمثلة بالغزو الأفغاني لها، وخشية الباب العالي من امتداد هذا الغزو إلى العراق، جعلت الباب العالي يمنح صلاحيات غير اعتيادية لوالي بغداد حسن باشا^(٣٠) (١٧٠٤-١٧٢٣ م) وبعده لأبيه أحمد باشا (١٧٢٣-١٧٤٧ م)، ولعل أبرز مثل لهذه الصلاحيات السماح لها بالاعتماد على عنصر جديد غير متأثر بمفاسد الأنكشارية أو القوات المحلية، هذا العنصر هم المالك، الذين أثبتوا جدارة وكفاءة عالية في حملات الأب والأبن (واليا بغداد) في الأراضي الأيرانية خلال العقد الثالث من القرن الثامن عشر الميلادي، ومثلما كانت المواجهة العثمانية-الأيرانية مسؤولة عن تعاظم نفوذ ولاية بغداد، فإنها كانت في الوقت ذاته مسؤولة عن قيام الأسرة الجليلية في الموصل بأستلام مقاليد الحكم فيها، عندما أنبرت هذه الأسرة لتحمل نفقات الجيش الموصلية بما يحتاج إليه من الذخائر وأمداده بالسيف والمال في أثناء مشاركته في الحملات العثمانية الموجهة ضد إيران سنة ١٧٢٣ م، وقد كانت هذه المبادرة الذاتية من أسرة محلية خير مشجع للسلطان العثماني، في مكافأة أحد أفرادها وهو «أسماعيل الجليلي» سنة ١٧٢٦ م بمنحه حكم ولاية الموصل مع رتبة

الكلركي وشارة التشريف «الطوغ»^(٣١)

وبقدر تعلق الأمر بهذه التطورات السياسية في بغداد ومعها أحتدام الصراع العثماني-الإيراني في العقدين الثالث والرابع من القرن الثامن عشر الميلادي-وأمداده في الأراضي العراقية على نحو لم يسبق له مثيل - والدور الكبير الذي لعبته الموصل في أفشال خطط نادر شاه التوسعية سنة ١٧٤٣ م،^(٣٢) فإن أحداث بغداد بدأت تؤثر في الموصل، فأمتد نفوذ ولاية بغداد إلى ماوراء ولاية الموصل، إذ ضمت إليها مدينتي ماردين ونصيبين^(٣٣)، وهما مفتاح طريق الموصل-حلب التاريخي.

وما لاشك فيه أن الامتداد الجغرافي لولاية بغداد قد ساعد حاكم بغداد أحمد باشا (١٧٢٣-١٧٤٧ م) في تنفيذ السياسة المرسومة له من الباب العالي في أخضاع العراق لدائرة نفوذه، غير أن الغزو الأيراني، كان يفرض عليه تأجيل مشاريع هذا الأخضاع بعض الوقت، وما يؤيد هذا الرأي هو قيام أحمد باشا والي بغداد سنة ١٧٣٣ م أي بعد زوال الخطر النادرى الأول بأرسال عساكره بقيادة أحمد أغا كئخذاً للتحرش بأراضي ولاية الموصل «فعبروا الزاب ونهبوا قرايا اليزيدية من أعمال الموصل فقبعهم والي الموصل الوزير حسين باشا الجليلي وأستولى على مانهوه وأعادته إلى الرعية»^(٣٤)، وفي سنة ١٧٣٥ م، نفي أحمد باشا الفرقة السابعة والعشرين الأنكشارية «أورطة الأكرمي يدي» إلى الموصل «فقدّموا إلى الموصل وعملوا صفقة»^(٣٥)، ولا يستبعد أنه قصد من وراء عمله هذا أحداث الفوضى في الموصل، وأخذها ذريعةً للتدخل في أمورها الداخلية ثم كرر تحرشه بالموصل سنة ١٧٣٨ م، أرسل سرية مع كنج محمد أغا فأغار صباحاً على نساء الموصل اللواتي كن يغسلن الثياب على شاطئ النهر، ونهبوا الثياب وعادوا.^(٣٦) ومع سذاجة هذا العمل فإنه

كان أشعار للأسرة الجليلية بنوايا حكومة بغداد ، وجاء الغزو الفارسي الثاني ليدفع بغداد والموصل الى ساحة المصالحة ، للتفرغ لمواجهة الخطر القادم من الشرق .

ولكن بعد أندحار نادر شاه في الموصل ، عادت العلاقات بين ولايتي الموصل وبغداد مرة أخرى الى مجارها السابقة ، ويفهم هذا التدهور في العلاقات من نص أورده ياسين بن خير الله العمري عند ترجمته لمراد باشا بن الحاج حسين باشا الجليلي حيث يقول : كان فيه شجاعة وحدة ولم يل حكماً بل كان له رتبة باشا وكان كسختا والده وكان جريئاً جسوراً ، ولما حصلت وحشة بين ابيه وبين والي بغداد أحمد باشا أدت للمشاحنة والمخاصمة ، ثم أرسله ابوه الى بغداد ليعقد الصلح مع أبيه فأكرمه أحمد باشا ، وكان مدة اقامته في بغداد كل يوم يهب له شيئاً^(٣٨) ، هكذا نجد تأثير أحداث ولاية بغداد في الموصل ، والذي كان الهدف منه الحد من تعاظم نفوذ الأسرة الجليلية .

أثر أحداث ولايتي بغداد والبصرة في الموصل حتى مطلع القرن العشرين

كانت وفاة أحمد باشا والي بغداد سنة ١٧٤٧م في اثناء عودته من قتال البابانيين بداية لأضطراب الأوضاع في بغداد ، ومرد هذا الاضطراب محاولة الباب العالي القضاء على النفوذ المملوكي المتنامي في بغداد ، غير أن هذه المحاولة باءت بالفشل ، فاضطر السلطان العثماني الى الاعتراف بسلطان باشا (١٧٥٠-١٧٦٢م) حاكماً على بغداد ،^(٣٩) وبه ابتدأ الحكم الرسمي للمماليك في العراق . ولم يشذ حكام بغداد الجدد في سياستهم تجاه الولايات العراقية الأخرى ، عن سياسة أسلافهم ، في التمسك بشعار إخضاع كل المناطق العراقية لدائرة نفوذهم ، بل أن الظروف أصبحت ملائمة لتطبيق هذه السياسة ، والتي

يمكن أيجازها بما يأتي من الأمور :

أولاً : أن اعتراف السلطان العثماني بالوجود السياسي المملوكي في بغداد كان يعني أضفاء طابع شرعي على حكمهم ثم الموافقة الضمنية لسياستهم التي لاتعتمد الفائدة للدولة العثمانية .

ثانياً : أن امتداد الحدود السياسية لولاية بغداد الى ماوراء ولاية الموصل خاصة في الجهات الشمالية حيث العادة^(٤٠) وماردين ونصيبين في الجهات الشمالية الغربية كان يكبل بالضرورة نشاط الجليليين في التخلص من هذا الطوق ، ويعتقد أن الجليليين كانوا على علم تام بما يخطط لهم من مشاريع لأحتواء استقلالهم الذاتي ، لذا كانوا على استعداد كامل للتعاون مع اية جهة عراقية لأحباط محاولات حكام بغداد كما سنوضح ذلك في الصفحات اللاحقة .

لقد دأب والي بغداد المملوكي سليمان باشا الملقب بـ «أبوليله» كسلفه التحرش بأراضي ولاية الموصل ، ففي سنة ١٧٥٢م مجرد حملة عسكرية على اليزيدية في سنجار من أعمال الموصل ، وقتل عدداً كبيراً منهم ، وقيل أنه أمر بأجلاء ٣ آلاف يزيدي الى ماردين في محاولة لكسر شوكتهم^(٤١) .

على أية حال ، فقد وجد سليمان باشا في الفتنة التي أنشبت أظفارها في الموصل سنة ١٧٥٧م بسبب تأييد عبد الفتاح بك (باشا فيما بعد) وجاعته للوالي الدخيل رجب باشا نكاية بأسرة أمين باشا الجليلي ، فأعلن سليمان باشا تأييده للوالي الجديد ، بل أنه أرسل رسوله يحمل أمر سرياً بمجز رؤوس أتباع أمين باشا الجليلي من الأنكشارية ، لأن هذه المحاولة قد باءت بالفشل بسبب تمسك الأنكشارية بسيدهم الجليلي^(٤٢) .

والمتبع للمصادر والمراجع الخاصة بهذه الحقبة التاريخية يتلمس محاولة الباب العالي ، ضرب

القوتين الرئيسيتين ببعضها بعض، ففي سنة ١٧٧٥-١٧٧٦م وفي اثناء تأزم الموقف العسكري في العراق بسبب تعرضه الى عدوان ايراني في الجنوب حيث حاصر كريم خان الزندي البصرة^(٤٣)، وتقدمت قوات ايرانية أخرى باتجاه شمال العراق حيث (قلا جولان) مقر الأمانة البابانية أصبح موقف والي بغداد عمر باشا حرجاً بسبب عجزه عن معالجة هذه الأوضاع غير الاعتيادية، فبدأت اصابع الاتهام تتجه اليه، وقد انبرى الجليليون في الموصل بتأكيد صحة هذه الاتهامات ومسؤولية عمر باشا في إخفاء أنباء التحركات الأيرانية فأصدر الباب العالي أمراً بعزل عمر باشا عن ولاية بغداد، وأناط مسؤولية الحكم في ولايتي البصرة وبغداد بأمين باشا الجليلي، في حين أصبح ولده سليمان باشا بن أمين باشا الجليلي حاكماً على ولايتي الموصل وشهرزور، ولولا مرض أمين باشا الجليلي ووفاته في نفس السنة، تمكن الجليليون من تصفية المالك في العراق^(٤٤) خاصة وأن الأب والابن كانا يمسكان بمقاليد الأمور في العراق بأكمله. هكذا أنقذ القدر المالك من المصير المحتوم.

ونستطيع القول إن كل الحكام المالك في بغداد كانت عيونهم ترنو نحو الموصل وتختلج في صدورهم آمال عريضة، بتوحيد الموصل مع بغداد، بعد القضاء على الحكم الجليلي فيها.

لقد اتسعت دائرة المنافسة بين ولايتي الموصل وبغداد في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، في فترة حكم سليمان باشا الصغير^(٤٥) الذي كان يدرك أهمية الموصل العسكرية والاقتصادية بالنسبة لبغداد، فأستلأوه عليها يعني نجاحه في ضرب البابانيين في السلطانية، واليزيديين في سنجار بدلاً من الاعتماد على باشوات الموصل من آل عبد الجليل بتقديم المساعدات للحملات بغداد ضد البابانيين وهي وعود لم تتحقق في معظم الأحيان،

فضلاً عن أن ولاية الموصل في هذه الفترة كانت كبيرة نسبياً، ويمكن أن تقدم (٦٠٠) فارس و (٢٠٠) من السباهية، وكان تعداد الأنكشارية من (٦٠٠-٧٠٠) مقاتل، عدا حرس الباشا، كما كانت تضم عدداً ليس بالقليل من السكان كان يقدر بحوالي خمسين ألف نسمة. وفضلاً عن هذا كانت تجارتها زاهرة، والعامل الأساس في هذا الأزدहार ارتباطها ببغداد، وعندما تولى داود باشا (١٨١٧-١٨٣١م) حكم بغداد، كان أول طلب له من الباب العالي، هو عزل والي الموصل أحمد باشا الجليلي الذي كان يسعى للتخلص من نفوذ والي بغداد، فأستجاب الباب العالي لطلبه، بل خوله صلاحية تعيين من يراه أهلاً لحكم المدينة، عندما أرسل اليه فرماناً خالياً من الاسم لملاؤه داود حسب مايراه، فأسند الباشوية الى حسن باشا، غير أن هذا لم يتمتع بمنصبه إلا أياماً معدودة لقي ربه في نهايتها، فأسرع والي الموصل السابق أحمد باشا الى التوجه الى بغداد للأعتذار من داود طالباً عفوه والوساطة لدى السلطان ليستعيد منصبه^(٤٦)، وهذا ماتحقق، وبذلك يكون داود باشا قد حقق حلم المالك في ادخال الموصل في المجال المملوكي، وقد كانت الموصل خير عون لداود باشا في حربه مع إيران سنة ١٨٢٠م. غير أن نفوذ داود باشا في الموصل لم يلبث أن تعرض الى هزة حقيقية سنة ١٨٢٦م خلال فترة حكم يحيى باشا الجليلي، الذي واجه ثورة شعبية أحد اسبابها الضيق الاقتصادي في البلد، وتحريض العمرين الناس على الثورة على الوالي الجليلي الذي لم يجد أزاءه الحالة بدأ من الحرب الى داود باشا في بغداد.

لقد أدرك داود باشا أن وقوفه متفجعاً على أحداث الموصل يعني التخلي عن سياسة توحيد العراق، فطلب من الباب العالي أعادة يحيى باشا الجليلي الى حكم الموصل، فوافق الباب العالي على

غامر، غير أن أحداث سنة ١٩٠٩ التي أدت الى خلع السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩م) وتبني سياسية عنصرية من قبل الاتحاديين. كل هذه الأحداث جعلت النخبة المثقفة في الولايات العراقية (البصرة وبغداد والموصل) تعمل على مواجهة هذا المد العنصري دفاعاً عن الذات والأنهاء القومي، واصبح التواصل والعمل المشترك أمراً وارداً، ففي سنة ١٩١٣ قدم الى الموصل سليمان فيضي، مندوباً عن السيد طالب النقيب في محاولة لفتح فرع لجمعية البصرة الاصلاحية في الموصل ولتوحيد الكفاح القومي في العراق، وكان داود الملاح وهو من العناصر القومية أحد المتعاونين معه،^(٥١) ولولا قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨م) لكان النشاط السياسي للعراقيين في هذه الحقبة المضطربة اتخذ اتجاهاً آخر أكثر صلابة في الدفاع عن الذات، وأعمق استيعاباً لمجريات الأحداث والتطورات السياسية القومية والعالمية.

الهوامش

(١) Yılmaz Öztuna. Buyuk Türkiye. TARİH 3. cilt İstanbul 1983. O. 225.

(٢) تفاصيل ذلك في «واقدم وثيقة عثمانية مؤرخة في ١٤ شباط ١٣٣٧/٤ رمضان ١٣٤٣هـ، تعريب وتعليق وتخصية عطا تزري باشي»، مجلة المورد، بغداد، المجلد الثامن. العدد الرابع. سنة ١٩٧٠ - ٥٢٢ - ٥٢٤.

(٣) د. صالح أوزيران. الأتراك العثمانيون والبرغاليون في الخليج العربي. ١٥٣٤ - ١٥٨١م. ترجمة د. عبد الجبار ناجي. مركز دراسات الخليج العربي. البصرة ١٩٧٩ ص ٢٨ وما بعدها.

(٤) على رأي الباحث السوفيتي نيقولاي ايخانوف. الفتح العثماني للأقطار العربية ١٥١٦-١٥٧٤م. نقله الى العربية. يوسف عطاالله. دار الفارابي. (بيروت ١٩٨٨). ص ٨٩ أن بغداد نهضت كولاية قائمة بذاتها.

(٥) أصبحت البصرة ولاية عثمانية سنة ١٥٥٢م أنظر: على شاكر علي «التنظيمات الإدارية العثمانية في البصرة». مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية العدد ٣٥ لسنة ١٩٨٣ ص ١٢٧.

طلبه، فأعيد الباشا الحارث الى الموصل تحت أسنة حراب جنود داود باشا، غير أن الباشا التابع لداود لم يهنأ بعدوته فقد نجح الثوار في الموصل في طرده سنة ١٨٢٨م، بعد أن نجح قاسم العمري من كسب تأييد عدد كبير من وجهاء المدينة.^(٥٢) ويعتقد أحد الباحثين أن قاسم العمري كان يهدف من وراء طرد الجليليين الى أن يحل هو في محلهم، ومهما يكن من أمر فقد أضطر الباب العالي الى الموافقة على تعيين قاسم العمري حاكماً على الموصل ١٨٣٠م، دون أن يحرك داود ساكناً، وفي السنة التالية اشترك قاسم العمري في حملة علي رضا اللاز لتصفية المالك في بغداد، فلقب مصرعه أثناء اقتحام المدينة.^(٥٣)

لقد انطوت صفحة المالك في بغداد ١٨٣١، وبعدها بثلاث سنوات ١٨٣٤م سقطت حكومة الجليليين في الموصل، والعباسيين في بھدنان سنة ١٨٤١م، والبابانيين في شهرزور ١٨٥٠م، وأعيد تنظيم الولايات على أسس مركزية جديدة.^(٥٤) والملاحظة الجديرة بالذكر هنا أن فرمان تولية علي رضا اللاز نص على حكم «بغداد وحلب وديار بكر والموصل» وهي مجموعة ولايات لم يسبق أن أسندت حكمها الى والٍ واحد، غير أن هذا التنظيم الإداري لم يستمر طويلاً، ففي سنة ١٨٥٠م^(٥٥) أصبحت الموصل سنجقاً تابعاً لبغداد، وظل الأمر هكذا حتى سنة ١٨٧٩م حين نهضت كولاية قائمة بذاتها.^(٥٦)

والمتابع لأحداث ولايتي البصرة وبغداد خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن التاسع عشر الميلادي لا يجيد أي تأثير لها في الموصل بسبب سماتها المحلية ومحدودية تأثيرها، وخضوع الولايات العراقية كلها لسلطة مركزية واحدة. وظل الأمر هكذا حتى سنة ١٩٠٨م حيث قامت ثورة الاتحاد والترقي، وماتبعها من إعلان للدستور ٢٣ تموز ١٩٠٨م، الذي استقبل من قبل المثقفين العراقيين بفرح

(٢٣) نظمي زادة مرتض أفندي. كلشن خلفا. ترجمة. موسى كاظم نورس. مطبعة الآداب. النجف الاشرف. ١٩٧١ م. ٢٢١ ص. وما بعدها.

(٢٤) حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية ص ٨١.

(٢٥) سيار الجميل، حصار الموصل، الصراع الاقليمي وأندجار نادرشاه، مطبعة الجمهورية، (الموصل ١٩٩٠)، ص ٩٥.

(٢٦) علي شاكركلي، المرجع السابق. ١٤٣.

(٢٧) كلشن خلفا. ص ٣٠٤.

(٢٨) غاية المرام. ص ١٧٦؛ كلشن خلفا ص ٢٦٩.

(٢٩) كلشن خلفا. ص ٢٦٤-٢٨٠ أنظر كذلك عباس الزاوي. تاريخ العراق بين احتلالين. بغداد ١٩٥٣. ج ٥. ص ١٣٥-١٥٩.

(٣٠) عن حكم حسن باشا وولده احمد باشا في بغداد أنظر: علي شاكركلي، المرجع السابق ص ١٠١-١١٩.

(٣١) منزل الأولياء ج ١. ص ١٤٦.

(٣٢) الطبع: - Tough شعار تركي قديم يتكون من علم ابيض يعلوه ذيل حصان يحمل في أوقات الحرب، مكان لكرات السباحة الحق في رفع طوي واحد، في حين ليكريريكي أن يحمل طوعين. الوزراء سواء كانوا وزراء القبة أو الولايات ثلاث أطوار. أنظر: كج. المرجع السابق. ج ١. ص ١٩٧.

(٣٣) أنظر أحدث دراسة عن دور الموصل في مواجهة التوسع النادر في سيار الجميل المرجع السابق. الفصلان الرابع والخامس.

(٣٤) عاد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني ص ١٨٠.

(٣٥) غاية المرام. ص ١٨٠.

(٣٦) هكذا ورد في غاية المرام ص ١٨٠-١٨١، أعقد أن المؤلف أراد بذلك الاشارة الى قيامهم بالفرض بعد ترحيلهم الى الموصل.

(٣٧) المرجع نفسه ص ١٨١.

(٣٨) غاية المرام. ص ٣٢٤.

(٣٩) للوقوف على تفاصيل أوضاع بغداد في الفترة أنظر: الشيخ رسول الكركوكلي. دوحه الوزراء في تاريخ بغداد الزوار. نقله عن التركية موسى كاظم نورس. مكتبة النهضة-بغداد. لا. ت. ص ١٠٥ وما بعدها.

(٤٠) كان أمراء العبادية البيديتانيون العباسيون يدفعون ضريبة سنوية لحكام بغداد مقابل أصدار أوامر تعيينهم في منصب الأمانة، أنظر: غاية المرام ص ٩٣ وقارن مع مايلكره: عبد ربه سكران ابراهيم الوائلي. تاريخ الأمانة الباسانية الكردية (١٧٨٤-١٨٥١ م) رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب. جامعة القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٢.

(٤١) أحمد واصف أفندي. محاسن الآثار وحقائق الأخبار. مطبعة بولاق. القاهرة ١٨٣٠ م. ص ١٤-١٥.

(٤٢) عاد عبد السلام رؤوف. الموصل في العهد العثماني. ص ١٢٨.

(٤٣) دوحه الزوار. ص ١٥٠.

(٤٤) عاد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني ص ١٣٣.

(٤٥) سليمان باشا الصغير (١٨٠٨-١٨١٠ م) كان أكثر حكام المالكين أندفاعاً في ضم الموصل الى عو بغداد غير أن هجمات

(٦) أصبحت شهرزور ولاية سنة ١٥٥٤ م أنظر: ايغانوف، المرجع السابق ص ٨٩.

(٧) س. ه. لونكرليك، أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث. ترجمة جعفر خياط الطيبة الرابعة بغداد ١٩٦٨. ص ٣٦-٤٨.

(٨) كانت تكثرت سجناء تابعاً لولاية الموصل، غير أنها الحقت بولاية بغداد فيها بعد. أنظر: علي شاكركلي. تكثرت في العهد العثماني ١٥١٦-١٧٣٣ م. بحث مقدم الى ندوة تكثرت لسنة ١٩٩٠ ص ١٢.

(٩) عبد الكريم رافق. العرب والعثمانيون ١٥١٦-١٩١٦. الطبعة الأولى. دمشق ١٩٧٤، الفصل الأداري.

(١٠) عن حدود الولايات العراقية أنظر: خليل علي مراد. تأريخ العراق الأداري والاقتصادي ١٦٣٨-١٧٥٠ م. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب. جامعة بغداد ١٩٧٥ ص ٤٥-٦٠.

(١١) عاد عبد السلام رؤوف. الموصل في العهد العثماني. فترة الحكم المحلي ١٧٦٦-١٨٣٤ م. مطبعة الآداب. النجف الاشرف ١٩٧٥ ص ١٢٣.

(١٢) لقد تمتع هذا الأرباط خلال القرون التي سيطر فيها الحكام الأجانب على العراق من مغول وتيموريين وتركمان وفرنس، فكانت العينون تنزو الى المالكين في مصر وبلاد الشام لتحرير البلاد. أنظر دراسة: سالم يونس المولى. العراق في السياسة المملوكية رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الآداب-جامعة الموصل ١٩٨٩. الفصل الرابع.

(١٣) للوقوف على تفاصيل هذا الموضوع أنظر: علاء نورس وعاد عبد السلام رؤوف، عهد المالكين والاسر الحاكمة. في كتاب. العراق في التأريخ. بغداد ١٩٨٣ ص ٦١٠-٦١١.

(١٤) عبد الكريم رافق، المرجع السابق. ص ٦٨.

(١٥) روبرت دبليو اولسن. حصار الموصل والعلاقات العثمانية الفارسية (١٧١٨-١٧٤٣). ترجمة: عبد الرحمن بن الحاج امين بك الجليلي دار العلوم (الرياض ١٩٨٣). ص ٨١.

(١٦) رحلة المشرق (الى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين) ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي. دار الحرية للطباعة-بغداد ١٩٧٨. ص ١٧٦.

(١٧) ياسين خير الله العمري. غاية المرام في تأريخ محاسن بغداد دار السلام. مطبعة دار البصري-بغداد ١٩٦٨ ص ٩٦.

(١٨) غاية المرام. ص ١٧٠.

(١٩) المصدر نفسه. ص ١٧٠.

(٢٠) حسين محمد القهواني: العراق بين الاحتلالين الأول والثاني (١٥٣٤-١٦٣٨ م) أطروحة ماجستير في التأريخ الحديث، كلية الآداب. جامعة بغداد ١٩٧٥، غير منشورة، ص ٣١٧.

(٢١) المرجع نفسه. ص ٣١٧.

(٢٢) ياسين بن خيرالله العمري. زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية. أنتخب زبده داؤد الجلي. حققه وعلق عليه عاد عبد السلام رؤوف. مطبعة الآداب-النجف الاشرف ١٩٧٤. ص ٦٦.

الوهابين على العراق ، حالت دون نجاحه في سماعه ومع ذلك فقد طالت غاراته الجزيرة بقراها وقصباتها ، وكذلك أوره والرقه وسنجار. أنظر: دوسة الوزراء ص ص ٢٤٢-٢٤٧ وقارن مع مايلذكرو: سليمان فائق بك. تاريخ بغداد. نقله عن التركية موسى كاظم نورس مطبعة المعارف. بغداد ١٩٦٢ ص ٣٧ ومايلبعدها.

(٤٦) أنظر من التفاصيل أنظر: عبد العزيز سليمان نوار. داود باشا والي بغداد دار الكاتب العربي. القاهرة ١٩٦٨ ص ص ٤٤-٤٩ وقارن مع مايلذكرو عباد عبد السلام رؤوف. الموصل في العهد العثماني ص ١٥١ ومايلبعدها.

(٤٧) أنظر: إبراهيم خليل أحمد. تأريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٦ م الموصل ١٩٨٦ ص ٩٦ ومايلبعدها.

(٤٨) من المفيد مراجعة المصادر والمراجع التالية للوقوف على أحداث بغداد في نهاية حكم داود باشا: س. ه. لونكيرك، المرجع

السابق. ص ص ٣٢٧-٣٣٠، علاء موسى كاظم نورس. حكم المالك في العراق. دار الحرية للطباعة-بغداد ١٩٧٥ الفصل الخامس. جيمس ريموند ولستيد. رحلتي الى بغداد في عهد داود باشا بغداد ١٩٨٤.

(٤٩) أنظر: عباد عبد السلام رؤوف العطار: الحياة الاجتماعية في العراق ابان عهد المالك (١٧٤٩-١٨٣١). رسالة دكتوراة غير منشورة قدمت الى كلية الآداب-جامعة القاهرة ١٩٧٦. ص ١٤.

(٥٠) لونكيرك، المرجع السابق. ص ٣٣٦.

(٥١) المرجع نفسه. ص ٣٧٦.

(٥٢) أنظر دراسة ابراهيم خليل أحمد، «داود الملاح ودوره في اثاره الوصي القوي العربي في الموصل»، مجلة بين الترين. العددان (١٨-١٩) لسنة ١٩٧٧ ص ص ٢٧٧-٢٨٣.

الموصل خلال الحكم الجليلي

(١١٣٩ - ١٢٤٩ هـ) ١٧٢٦ - ١٨٣٤ م

د. سيار كوكب علي الجميل

مقدمة :

تعد فترة الحكم العثماني - المحلي (الجليلي) للموصل ١٧٢٦ - ١٨٣٤ م / ١١٣٩ - ١٢٤٩ هـ من الفترات التاريخية الخصبة في التاريخ السياسي الحديث لولاية الموصل إبان عهد السيطرة العثمانية إذ تميّزت تلك الفترة بحكم الاسرة الجليلية المرتبط بالسلطة العثمانية ارتباطاً لامركزياً ، أي حكم شبه ذاتي دام أكثر من قرن كامل . غدت الموصل خلاله متميزة بشخصيتها وخصوصياتها في مختلف الجوانب ، وذلك لطبيعة المكونات التاريخية التي بلورتها .

إن من أبرز تلك المكونات : المكانة الجغرافية ، والتطورات السياسية ، والأدوار الفعالة في الحروب الاقليمية والدفاعات الوطنية ، والقيادات الشجاعة .. ثم الأدوار الاقتصادية والسياسات الضريبية وعوامل أخرى معقدة قادت الى صراعات داخلية واسعة النطاق اثر تفاعل قوي لانتقاسمات السلطة التي قادت الى انتقاسمات الجيش ، وهذه

قادت الى انتقاسمات اجتماعية كبيرة .. ولكن بقي دور الموصل خلال القرن الثامن عشر فعلاً ومؤثراً ليس في تاريخ العراق فحسب ، بل في تاريخ المشرق العربي قاطبة . ولم يكن بغريب ظهور اسرة حاكمة كالجليليين في الموصل ، فقد حكم آل العظم دمشق ، وحكم الشهابيون جبل لبنان ، وحكم المالك الكولة مند بغداد ... الخ وقد أضفى العامل الجغرافي للموصل اهمية استراتيجية بالغة خلال القرون المتأخرة^(١) ، وكمركز اقتصادي فعال أثر تأثيراً كبيراً في تكوين اطار ذلك العهد المحلي المتميز بإدارته القوية ، واقتصادياته المتنوعة ، وسطوته الدفاعية - العسكرية ، ونقله الاجتماعي ، وميراثه الثقافي والفني والحضاري^(٢) .

الموصل والصراع الاقليمي : الاسبقيات التاريخية :

دخلت الموصل تحت حكم السيطرة العثمانية بعد شهر مايس ١٥١٦ م ، اثر سقوط الممتلكات

حالة من عدم الاستقرار.. وعلى مدى حقبة تاريخية طويلة من الحكم العثماني : مارس الولاة الأتراك خلالها ضرباً من القسوة الادارية والجور الاقتصادي على الرغم من فترات حكمهم القصيرة، وازدادت حالة الموصل سوءاً بتفاقم النكبات والكوارث وخاصة المجاعات والطواعين.. ورغم ذلك كله بقيت الموصل مركز تموين اقتصادي، وقاعدة انطلاق عسكرية باتجاه الاضطرابات التي حفلت بها اوضاع العراق الاقليمية عصر ذاك^(٥).

ولادة الحكم المحلي :

أما بالنسبة لتركيب البنية الداخلية / السكانية للموصل فقد تنازعها مصالح القوى الاجتماعية المتمثلة ببعض الاسر القديمة ضد السلطات الرسمية لكل من الولاة في الادارة والاغوات في الجيش. وقد نتج عن ذلك ، صدامات مسلحة ، وأوضاع متدهورة تلات جميعها رفقة عوامل خارجية كان من ابرزها ضعف السلطة المركزية للدولة على اقاليمها .. وبخاصة ابرز الأقاليم العربية ومنها : العراق وبلاد الشام^(٦).

وكان البلاط العثماني مجبراً على ان يعترف بالجهود العسكرية والمالية المخصصة التي تبذلها القوى المحلية من الأسر الناشئة والعوائل الجديدة وتلك المتوطنة القديمة في تلك الأقاليم.. فضلاً عن اعتماده على اقواها اقتصادياً لغرض هيمنتها البيروقراطية كبديل لسياسته المركزية التي اتبعتها طويلاً ، ونتيجة لضعف امكاناته وقدراته المباشرة المؤثرة في تسيير شؤون الدولة ومرافقتها كافة وفي جميع قسماها الاقليمية.. لقد توالد ذلك الضعف في الدولة نتيجة هزيمتها التاريخية امام جيوش التحالف الاوربية ، ابان الحصار العثماني الثاني لقينا عاصمة الهابسبورك النمساوية عام ١٦٨٣ م^(٧).

هكذا ، كانت الأوضاع إذن مهياة لاستقبال

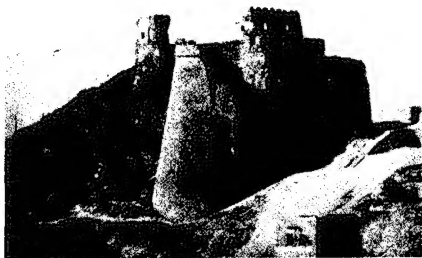
الصفوية امام التقدم العثماني . وكان سقوط الموصل قد جرى أسوة بمدن شمال العراق قاطبة ، بعد المواجهة الحاسمة والاقليمية في (قَرغَن ده ده) قرب ماردين ، فكان سقوط الموصل بمثابة انتصار للارادة العثمانية التوسعية ، كون الموصل هي قاعدة بلاد الجزيرة ، فاستخدمت مركزاً لضرب الاطماع والوجود الايراني في كل من ارمينيا والعراق^(٨).

وقد حكم العثمانيون الموصل على مدى قرنين من الزمن حكماً مركزياً مباشراً ، بتصميمهم عليها ولاة بلقب «باشا» وبدرجة «بكلربكي» وكان أغلبهم من الأتراك.

وتأسس في القرن السادس عشر النظام الاقطاعي / العسكري العثماني في الموصل ، إذ قسّمت ولاية الموصل بموجبه الى وحدات اقطاعية متعددة وبدرجات ثلاث هي : (خاص / زعامت / تيمار) ، فضلاً عن تقسيمها ادارياً وعسكرياً جديداً ، والى عدد من السناجق. وقد صنّفت الوحدات الاقطاعية سكانياً واقتصادياً لغرض جمع الضرائب وترتيب الرسوم عن الواردات والمنتجات الزراعية والثروات التجارية. ناهيك عن تطبيق كافة مايتعلق بالنظام الاداري الذي اقره السلطان سليمان القانوني أثناء وجوده في العراق ١٥٣٤ - ١٥٣٥ م^(٩).

وفي القرن السابع عشر سقطت الموصل بيد الصفويين الايرانيين عام ١٦٢٣ م / ١٠٣٣ هـ ، اثر سقوط بغداد على يد الشاه عباس في العام نفسه ، فأثار ذلك قلقاً سياسياً واجتماعياً كبيراً عبّر عنه هروب بعض الأسر الموصلية الى جبال العادية وجزيرة ابن عمر، ونصب الايرانيون أحد «خاناتهم» لحكم الموصل التي قاوم سكانها الاحتلال الصفوي وبفعل تآزرم وتلاحمهم اجلجت القوات الصفوية عنها ، فعاد العثمانيون الى حكمها من جديد ، لتغدو مركزاً استراتيجياً قوياً في تموين الحملات العثمانية ، ولكن المدينة شهدت

الموصل، إذ كان عبد الملك قد نزح إليها من الاناضول بعد ان ولد له ولد اسمه عبد الجليل في ديار بكر سنة ١٦٢٠م / ١١٣٠هـ^(٩)؛ وانه امتن التجارة الاقليمية بينها وبين الموصل.. فاستطاع ان ينمو بتجارته وثروته من خلال عملياته النهرية. وبعد استقراره في الموصل نجح في انخرطه في نظام «المالكانة» العثاني للاراضي الاقطاعية الكبرى، ونظام الالتزام فتأهل الى وضع او مكانة قادة التيارات العسكرية اوزعاه الزعامات الشاسعة بعد تملكه لأرض المالكانة في قره قوش الواقعة قريباً من الموصل، أي للشمال - الشرقي منها^(١٠).



• قلعة الموصل الرئيسة (باش طايه) التي اهتم بتجديدها وتقوية استحكاماتها الحاج حسين باشا الجليلي قبيل الغزو الفارسي سنة ١٧٤٣.

ودارت كتابات متناقضة متعددة حول عقيدة عبد الجليل في مصادر كثيرة، ولا تزال المعلومات مبهمة حول مسائل تخص اصل هذه الاسرة، وكيفية وصولها الى حكم الموصل.. وكيف كان باستطاعتها ان تكسب ولاء الفئات الاجتماعية، وذلك بالارتكاز على قاعدة اقتصادية متينة أهلتها - فيما بعد - للوصول الى مركز السلطة، ناهيك عن الأساليب والوسائل الحسنة التي مارسوها في التعامل الاجتماعي - الاقتصادي فبدأ نفوذ الأبناء السبعة الذين انجبهم عبد الجليل بالتزايد في السوق، وحق الجباية لبعض المقاطعات.. ودخلهم معترك عمليات مالية واسعة كضمان رسوم الاحتساب للضرائب ضمن استمرار آلية عمل



• جامع الحاج حسين باشا الجليلي (جامع الباشا).

عهد محلي جديد في الموصل؛ وستبدأ السلطة الجليلية ترسخ نفسها يوماً بعد آخر.. وستشهد الموصل خلاله ابرز الأحداث التاريخية خلال القرن الثامن عشر. وهكذا ايضاً، اذ لم يمض على وفاة الوزير حسن باشا والي بغداد اقل من سنتين، حتى نصبت اسماعيل باشا بن عبد الجليل والياً على الموصل سنة ١٧٢٦م / ١١٣٩هـ، وقضى في منصبه قرابة سنة واحدة ليخلفه ولاية اترك.. وبعد وفاته بثلاث سنوات خلفه ولده الحاج حسين باشا الجليلي، الذي نصّب والياً على الموصل لأول مرة سنة ١٧٣٠م / ١١٤٣هـ.. ويقعد الحاج حسين باشا الزعيم المؤسس لحكم الولاية من الجليليين في الموصل^(٨).

مجتمع الموصل وبروز الاسرة الجليلية :

تجمع اغلب المصادر التاريخية على ان أصل هذه الاسرة قد تعددت فيه الآراء حتى بالنسبة للطبقة الارستقراطية العليا في المجتمع الموصلية ابان القرن الثامن عشر، وهي طبقة تركبت من مجموعة من الاسر القديمة المتنفذة بسلطاتها الاقتصادية والدينية، ونافست الولاية اترك مقاليد الادارة والحكم، بل وكانت موضع اهتمام الباب العالي في معالجة الشؤون الداخلية.

ان المصادر التاريخية والرسمية لا ترقى الى اكثر من عبد الجليل بن عبد الملك الذي لم يكن عريقاً في

كل من اغنياء الجليليين والعمرين وأسر أخرى لها مكانتها في المجتمع الموصل (دون الفقراء منهم) ليكونوا من المناصرين الأشداء لحكم العثمانيين.. كما وأنهم عاشوا لفترات تاريخية طويلة في صراعات محلية ضد عوائل «السادة» كالنقيب والمفتي والفخري .. بفعل الاختلافات المذهبية بين الطرفين^(١٣).

نظام الالتزام العثماني^(١١).
ويُفعل تدهور نظام السباهية (الفرسان) الاقطاعي، وما رافقه من قلة في الضبط العسكري تمكن الجليليون من امتلاك وحدات التيجار الاقطاعية وضحوا فرساناً من ممالك السلطان العثماني، ومن ذوي الاقطاعات بدرجة «زعامات» في اقليم خصب جداً بأراضيه الزراعية كالموصل^(١٢).



• برج دفاعي في سور الموصل.

طبيعة الادارة الجليلية – اللامركزية للموصل :

تشير المصادر التاريخية الى ان ثمة مساعدات مالية قد قدّمت من الموصل بغرض تجهيز فصائل من الجيش العثماني، والتي اشتركت في الحملة العسكرية التي قادها والي بغداد الوزير احمد باشا ضد ايران الصفوية^(١٤). ويبدو ان الدور الذي قام به اسماعيل آغا الجليلي كان كافياً لمنحه رتبة «امير»

ويبدو ان امكانات محلية واسعة قد توافرت لاسماعيل آغا بن عبد الجليل لكي يتولى مقاليد الولاية بعد منحه رتبة «الباشوية»، لاسيما قدرته في الوصول الى كسب ثقة السلطة العثمانية المركزية بعيداً عن أبرز الشخصيات والأسر الموصلية الاخرى. وكان العمرين من ابرزهم؛ أي الأغنياء منهم.. وقد تألفت الارستقراطية المحلية التي يمثلها



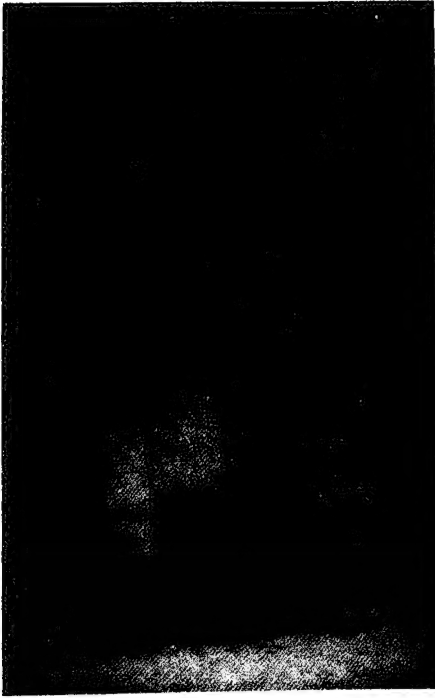
• باب لكش : (أحد ابواب مدينة الموصل الرئيسية).

غريباً حكم الموصل^(١٧).
ويبدو للمؤرخ بأنّ الجليليين قد نجحوا في
استمرار حكمهم للموصل مركزاً وولاية، وكسبوا ثقة
الناس بتألفهم معهم ضد الحكام الغرباء،
ومنحهم الناس حرية في التحرك والعمل وكسب
العلوم والتجارة والرحلات (وخاصة بعد فشل
حصار نادرشاه للموصل سنة ١٧٤٣م) فكسبوا
ولاءات متعدّدة لمتخلف الطبقات والفئات
والتنظيمات الحرفية واورطات الانكشارية.. وقد
ساعدتهم كثرة رجالم، إذ بلغ عدد بيوتاتهم
(١٥) بيتاً جليلاً في منتصف القرن الثامن
عشر^(١٨).

استطاع الجليليون ايضاً استغلال الروح
الموصلية العربية ضد الغرباء من الولاة الاتراك
خاصة، فضلاً عن اثاره المتاعب والشقاكات بين
اورطات الانكشارية من اجل اسقاط اولئك الولاة
الغرباء، واثارة الفوضى والعصيان والشارع السياسي
ضدهم، وقد استمرت هذه السياسة بمناوراتها
واحداثها الصاخبة ردحاً طويلاً من الزمن^(١٩). وقد
تبلورت خلال مائة سنة من الحكم المحلي
انقسامات سياسية عديدة قادت الى صراعات
حامية نتج عنها مشكلات وتناقضات واسعة،

وتنصيبه والياً على الموصل مع منح لقب
«بكلربكي» (رتبة الباشوية بطوغين) سنة
١٧٢٦م^(٢٠)، فبدأت فترة الحكم المحلي في
الموصل، وهو الحكم الذي تميّز بسيادة القوى
المحلية في الادارة، وكان الجليليون على رأس تلك
القوى، مع تحالفات لأسر محلية اخرى.. اذ كان
العُمريون - مثلاً - يسيطرون على الاجهزة الدينية
(الافتاء / القضاء / التدريس..) ^(٢١).. كما
تموصلت قطاعات اخرى في الولاية وعلى رأسها
اورطات (فرق) الجيش وجهاز الادارة في الحكومة
المحلية.

على هذا الأساس، فقد انفضّ الصراع بين
القوى المحلية والقوى التركية، ولتحوّل الى
صدامات وانشقاقات بين القوى المحلية ذاتها، الآ
في حالة تنصيب والٍ غريب عن المدينة. وعليه فقد
احتكر الجليليون حكم الموصل لأكثر من قرن كامل
(١٠٨ سنوات) تخلّلتها حكم متقطع لولاة من
غيرهم، الا انهم امتلكوا سيادة الموصل الاقتصادية
والاجتماعية، وامتدّ نفوذهم الى أماكن اخرى، وقد
بلغ حكمهم الحقيقي زهاء (٩٠) سنة، تولى خلالها
(١٦) والٍ من الجليليين حكم الموصل أما ال
(١٨) سنة الباقية، فقد تولّى فيها (٢٥) والياً



• باب الجديد الذي أمر بتجديده احمد باشا الجليلي سنة ١٢٣٧ هـ
(١٨٢١ م).

وادارة بغداد (٢٠).

وممكننا ان نجمل ابرز انجازاته العسكرية التي قدّمها للدولة ضد الامتدادات الايرانية ، فقد صد على رأس جيشه ، قوات ايرانية ارسلها نادرشاه (نادرشاه فيما بعد) سنة ١٧٣٢ م / ١١٤٥ هـ الى الموصل والمؤلفة من (٨٠٠٠) مقاتل ايراني بقيادة نرکزخان الذي قتل في المعركة وتبعثت قواته ، وقد ساهم في ذلك الحدث أبرز الزعماء الجليليين منهم : أخوه عبدالفتاح بيك وولدا حسين باشا : مراد بيك ومحمد امين بيك واولاد عمه . كما شارك الحاج حسين باشا بتقديم المساعدات « اللوجستية » لحملة الصدر الاعظم طوبال عثمان باشا في حربه وانتصاره على نادرشاه سنة ١٧٣٣ م / ١١٤٦ هـ ، إذ جعلت الموصل مركز مراقبة وتجمع واسعاف طبي

سواء تلك التي كانت على مستوى الولاء بين الاسرة الجليلية من طرف ، والاسر الموصلية الاخرى من طرف آخر.. او مادار من صراعات بين زعماء الاسرة الجليلية انفسهم على تولّى المناصب القيادية واستقطاب المصالح العليا . وقد برز ولاة منهم ذوو قدرة سياسية وادارية فعالة ، ونالوا شهرتهم في الاحداث التاريخية ليس المحلية فحسب ، بل الاقليمية والعثمانية .. في حين ظهر منهم ولاة ضعاف لم يستطيعوا مقاومة التحديّات الاقليمية المحيطة بهم ، بل وحتى المشكلات المحلية التي برزت معهم ..

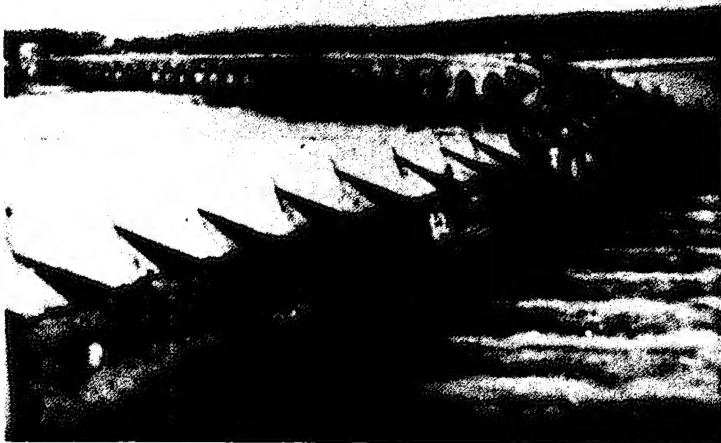
لنتوقّف قليلاً عند ابرز تلك الأسماء اللامعة من القادة الجليليين :

زعماء بارزون :

الحاج حسين باشا الجليلي :

قضى اسماعيل باشا بن عبدالجليل في منصبه سنة واحدة ، ليخلفه بعد وفاته بثلاث سنوات ولده الحاج حسين باشا الذي نصّب سنة ١٧٣٠ م / ١١٤٣ هـ والياً على الموصل .. ويعتبر هذا الرجل هو المؤسس الحقيقي لسلالة حكم الولاة من الجليليين ، والتي رسّخها من خلال جهوده العسكرية والادارية محلياً واقليمياً في حكم الموصل أولاً ، وفي ادارته وولايته للعديد من ولايات الاقاليم الشرقية للدولة العثمانية .

لقد نجح الحاج حسين باشا الجليلي في ادارته للموصل منذ تنصيبه عليها ، وكان رتبة « بكسر بكى » أي : (رئيس بيكات : باشا ذو طوغين) . وكان حكمه للموصل متقطعاً غير متواصل خلال (٢٨) سنة من حياته الحافلة ، منها (١٣) سنة حكم خلالها ولاية الموصل ، وما تبقى منها من سنوات ، فقد تولّى حكم ولايات مهمة في الادارة العثمانية ؛ هي : اماسية ووان وارضروم وقارص وادنه وسيواس وكوتاهيه اضافة الى البصرة وحلب



• الجسر القديم والقناطر الحجرية التي جدد عمارتها الحاج حسين باشا الجليلي والي الموصل .

الازمات الداخلية في الأقاليم الصعبة ، واتحاد الفتن في المدن^(٢٢) .. وكان الرجل يعد من اكفأ وأقدر الولاة الجليليين الذين حكموا الموصل خلال العهد العثماني على وجه الاطلاق لما تحلّى به من صفات قيادية وقدرات ادارية .. وقد توفي سنة ١٧٥٨م / ١١٧١هـ بعد حياة قيادية حافلة على الرغم من حالة الانقسام الأسري والسلطوي والاجتماعي التي ستولد في عهده بالموصل والتي حالت وفاته دون معالجتها .. وقد مدحه الشعراء ، وكتب عنه المؤرخون كثيراً ، ولا تزال انجازاته واعماله بحاجة الى بحث ودراسة من الأجيال الحديثة .

الغازي محمد امين باشا الجليلي وآخرون :

هو الوزير محمد أمين باشا بن الحاج حسين باشا الجليلي الذي حكم الموصل حكماً متقطعاً لست مرات منذ عام ١٧٥٢م / ١١٦٦هـ وعلى مدى زمني يقترب من (١٥) سنة اطولها الفترة الخامسة بين ١٧٦١ - ١٧٦٨م / ١١٧٥ - ١١٨٢هـ^(٢٣) ، وعلى الرغم من الصراعات

ضد الفرس . واشتركت قوات الموصل في معركة كركوك الدامية ضد جيش نادرشاه ، إذ شارك الحاج حسين باشا في قيادة الحملة العثمانية تحت زعامة طوبال عثمان باشا الذي وقع صريعاً في المعركة اثر ارتداد العثمانيين وهزيمتهم ، واستطاع حسين باشا على رأس قواته أن ينسحب نحو مدينته الموصل باعجوبة بالغة .

أما أبرز الأعمال التاريخية الخالدة التي يجب ان تذكر للزعيم الحاج حسين باشا ، فهي قيادته الكبرى لقوات الدفاع المشتركة في الموصل ، وتخطيطه دون أية مساعدات عثمانية لسياسة حربه الشريفة ضد نادرشاه الذي فرض حصاره الشديد على الموصل سنة ١٧٤٣م / ١١٥٦هـ ، وانتصار الموصل العظيم على الجيوش الايرانية التي بلغت اكثر من ثلاثمائة الف مقاتل .. اضافة الى اعماله وانجازات عسكرية اخرى ساهم بها على تخوم الامبراطورية العثمانية^(٢٤) .

وفضلاً عن ذلك ، فقد اعتمد البلاط العثماني على الوزير الحاج حسين باشا في الادارة ، وانهاء

حرب اهلية قاسية ذهب ضحيتها عشرات الضحايا^(٢٧).

رجال آخرون

وهناك سليمان باشا بن الغازي محمد أمين باشا الذي ولي الموصل اربع مرات ومجموع سنوات حكمه قرابة (١٤) سنة ، استطاع خلالها ان يفرض هبة الامن والنظام في المدينة ، كما وكلفته الدولة العثمانية بضبط بعض القبائل المناوئة واتخاذ الاضطرابات في الاقاليم المجاورة ، وقد جدد خلال حكمه اسوار الموصل^(٢٨).

اما اخوه محمد باشا بن الغازي محمد أمين باشا فقد حكم الموصل طويلاً إذ استمر عهده (١٨) سنة ، استطاعت الموصل ان تكون في وضع سياسي ، سلمى ومستقر نتيجة للسياسة الدبلوماسية الهادئة التي اتبعها الرجل ، ونجح محمد باشا في أن يحول دون اشتراك جيشه في الحرب ضد الوهابيين^(٢٩).

ومن غير الجليليين كان هناك عصام الدين عثمان افندي الدفترى العمري صاحب كتاب «الروض النضر...» ، شارك فعلياً في الدفاع عن الموصل عام ١٧٤٣ م ، ولازم الحاج حسين باشا ، وكان سياسياً بارعاً وادارياً قديراً في إشرافه على بغداد ، ثم قائمقاميتها .. وقد جرت الإدارة عليه الاتعاب والواجع بين سجن ونشر ونفي وبقي ثابت العزيمة راسخ الاعتزاز بالنفس بعد ملاحظات كل من علي باشا وعمر باشا والي بغداد^(٣٠).

ومن الزعماء القديرين الآخرين : يحيى باشا الجليلي آخر وال جليلي حكم الموصل لمرة ، وعلى الرغم من محاولاته في الاحتفاظ بالسلطة له ولاسره من بعده فان الظروف والخطط العثمانية من طرف وافكار ابراهيم باشا بن محمد علي باشا وتكتيكاته من طرف آخر حالت دون بقاء يحيى باشا زعيماً . وتشير الوثائق الى ان هذا الرجل قد تحالف مع ابراهيم باشا حاكم الشام واتفق مع صفوك شيخ

الداخلية التي حفل بها عهده في الموصل ، فإن الرجل برز قائداً عسكرياً عثمانياً لامعاً في الجيش العثماني ابان الحرب العثمانية - الروسية عام ١٧٦٩ م ومن خلال ادارته لأقاليم عثمانية في الأناضول ، إذ قاد جيشه وشارك في فتح مدينة خوتن Khotin في بسارابيا ، ودافع في ظروف سيئة جداً عن مدينة بندر Bender في مولدايا .. وقد تقهرت الجيوش العثمانية ، فأمر محمد أمين باشا وارسل الى العاصمة الروسية بطرسبورغ^(٣١) ، وبقي في الأسر حتى عام ١٧٧٤ م ، إذ اخلت سبيله بعد توقيع معاهدة كوجك كينارجي بين روسيا والدولة العثمانية^(٣٢) ، فاستقبله السلطان عبد الحميد الأول ومنحه لقب «الغازي» وولاه الموصل ، واصدر اليه اوامره بتنفيذ خطة اصلاحية تعمل على تعديل نظام بلاد الشرق والعراق^(٣٣) ، لكنه بعد ان عاد الى بلده الموصل ، عاش ظروفاً صعبة منها مرضه الذي حال دون انجاز مهامه الرسمية.

اما عبدالفتاح باشا الجليلي ، اخو الحاج حسين باشا ، فقد كان له دوره في تاريخ الساحل السوري الذي كان يهدده حاكم مصر علي بيك الكبير بتقدم هذا الأخير نحو سوريا عام ١٧٧٠ م . وكان بمثابة خطر داهم يهدد منطقة الهلال الخصيب العثماني ، فأصدر السلطان مصطفى الثالث اوامره عام ١٧٧١ م الى عبدالفتاح باشا ومنحه رتبة الوزارة واطواغها ، وتولي ولاية طرابلس الشام اضافة الى ولاية الموصل ، ولكنه لم يلق ترحيباً سورياً ، إذ دخل ابناء طرابلس ضده في صراع سلطوي واخرجوه منها ، بسبب فرضه عليهم مبالغ كبيرة من المال ، وقد توفي ودفن هناك . وكان الرجل قد سبب مشكلات كبيرة في البيت الجليلي الحاكم في الموصل بسبب خلافاته الجذرية مع محمد أمين باشا حول السلطة ، وقد قادت تلك المشكلات السلطوية الى انقسامات حادة في الادارة والمجتمع الموصليين ، كان من نتائجها نشوب

شمر الجربا من اجل فض العلاقة مع العثمانيين.. ولكنه لم يوفق في عملياته فانتهى الحكم الجليلي عام ١٨٣٤م^(٣١).

الموصل : الصراعات الداخلية من خلال انقسام السلطة والجيش :

كان لانتصار الموصل على حصار نادرشاه لها عام ١٧٤٣م/١١٥٦هـ اثر بالغ في تحولات كبيرة اصابته البنية الاجتماعية ، والهياكل الاقتصادية ؛ اذ توسعت الاعمال والخدمات اثر ترسخ الاسرة الجليلية الحاكمة والتي انقسمت على نفسها سياسياً . وقاد الصراع بين زعمائها الى تبلور صراعات الولاء بين سكان الاحياء من طرف ، وتآلف اورطات الانكشارية العسكرية بين هذا الحي اوذاك من طرف آخر. وكان لابد للزراعات القديمة ان تظهر من جديد بعد تحول البنية الاجتماعية من حالة تألفية دفاعية ضد الاعداء الغريب الى حالة وحدات انتاجية تقودها المصالح الاقتصادية ومراكز النفوذ السياسي^(٣٢).

انقسمت اورطات الانكشارية الى حزبين متنافسين : اولها اورطة الاوتوزبير (الفرقة ٣١) المقيمة في باب العراق جنوبي المدينة ، وثانيها اورطة اليكرمي يدي (الفرقة ٢٧) المقيمة في باب الميدان . اما الاورطات الثلاث الاخرى : اللي ايكي ، (الفرقة ٥٢) واللي سكر (الفرقة ٥٨) ، واوننجي (الفرقة ١٠) فقد تفضلت موافقها وفقاً للتوازن الجغرافي بين قطبي الصراع الداخلي الذي اثر فيه تأثيراً بالغاً : انقسام الاسرة الجليلية الحاكمة الذي يعود في اسبابه الى مصالح اقتصادية منشؤها الميراث والملكيات والأراضي والوقفيات... فضلاً عن مصالح سياسية متنافرة وتبلورت اثر غياب الوزير الحاج حسين باشا عن الساحة... بين اخيه عبدالفتاح بيك من طرف وبين ولده محمد امين

باشا الذي تولى حكم الموصل لأول مرة سنة ١٧٥٢م/١١٦٦هـ ومصطفى اغا ابن ابراهيم اغا ابن عبدالجليل من طرف آخر^(٣٣).

لقد كلف هذا الانقسام شراء رضا والي بغداد الذي منحوه ثروة طائلة ، كما منحوه فرصة ثمينة للتدخل في شؤون الموصل الداخلية.. كما وخلق في المدينة جبهتين اجتماعيتين متصارعتين بين السكان ، فانفجر الموقف بعد تأزم شديد ، ولوحق عبدالفتاح بيك حتى اجبر على الرحيل مع اتباعه . وعاد ابن اخيه الوالي فقفا عنه... ولكن ؟ لم تنفع التجربة عبدالفتاح بيك الذي استغل تعيين والي غريب على الموصل ، فتقرب اليه ، واوغر صدره ، فكسب تأييده.. وسرعان مااثارت الانكشارية على الوالي الجديد الذي بدأ يجمع الاموال وفرض الضرائب ، فعزل وجردته الدولة من رتبته الوزارية وغادر الموصل^(٣٤).

تولى الموصل اسعد اغا الجليلي بصفة وكيل الوالي ، فاضع البلد.. ولكن ما ان تولى رجب باشا الحلبي ولاية الموصل عام ١٧٥٧م/١١٧١هـ حتى نشب الصراع بين الحزبين اعلاه من جديد : حزب الميدان الموالي لمحمد امين باشا ، وحزب باب العراق الموالي لعبدالفتاح بيك ؛ فلم يستطع رجب باشا التحرك باتجاه رأب الصدع خاصة ، وانه قد استمالته قوى عبدالفتاح بيك في حين كان المواصلة يتعاطفون مع محمد امين باشا.. اما والي بغداد فقد عجز عن فض الازمة بالصلح كونه طلب مبالغ كبيرة من الاموال^(٣٥).

وانفجرت حرب اهلية قاسية بين الطرفين على مدى (٤٢) يوماً في شوارع الموصل ذهب ضحيتها ثلاثون قتيلاً وعشرات الجرحى ، وكادت تخرب المدينة لولا تنصيب الحاج حسين باشا الجليلي عليها بسرعة ، فارسل الى اخيه عبدالفتاح ينصبه متسلماً الى حين وصوله لكي يحول دون فزازه ، فتوقف اطلاق النار ، ونخف الجميع لاستقباله بطل

الدفاع ، والجميع يتذرع بالولوية التقرب اليه .. ودخل حسين باشا بلده والشوق لاعجه وهو في اجواء احتفالات الموصل التي سأم اهلها التشتت والحرب والصراع فاستمع على مدى ثلاثة ايام الى ميررات كل من الطرفين ، ثم اصدر امره بالقبض على اخيه عبدالفتاح بيك واتباعه (٣٦) .. ولم تنفع هدايا هذا الاخير النفيسة لاختيه ، إذ صادر امواله وسجن امراء اورطة الاوتوزير وصادر اموالهم واعدم اثنين من الاشرار (٣٧) .

كانت وفاة الوزير الحاج حسين باشا بعد مرض مفاجئ سبباً في انقاذ الجميع من العقاب ، فتولى الموصل ولده محمد امين باشا سنة ١٧٥٨م / ١١٧٢ هـ فاصدر عفواً عن جميع المشتركين في الحرب الاهلية وبضمنهم عمه عبدالفتاح بيك الذي بدأ يعمل من جديد لحرق الصفحة البيضاء الجديدة والقضاء على ابن اخيه الذي نقل والياً على شهرزور ضمن فترة انتقالية ، حاول الوالي نعمان باشا الحلبي في الموصل ان يشن حرباً اهلية طويلة ، لكنه عزل وجرد من رتبته الوزارية وغادر الموصل ، فعاد اليها محمد امين باشا سنة ١٧٦٠م / ١١٧٣ هـ (٣٨) .

لم تمض الا اشهر حتى عزل محمد امين باشا نتيجة مؤمرات والي بغداد ، فيغادر الموصل الى اورفه لاجئاً ، فساءت احوال الموصل كثيراً على الرغم من تصالح بعض القوى الانكشارية ، وتحالف بعضها ضد الاخر .. فضلاً عما اصاب الحياة الاقتصادية من توقف (٣٩) ، فلم يكن امام السلطة العثمانية العليا الا اعادة محمد امين باشا من جديد .. ومرة اخرى يتساهل الرجل ايضا في مسألة تجريم مراكز القوى ومعاينة المسيئين وعناصر الشغب . واقتصر على تغريمهم بعض الاموال ، فعاد الصراع بين الاورطات من جديد حالما رحل محمد امين باشا من الموصل ، وقدم اليها الوالي الجديد مصطفى باشا الشاه سوار اوغلو (٤٠) . وعلى الرغم من محاولة هذا

الاخير تثبيت مركزه في بيئة صعبة مليئة بالمشكلات تقرب اليه عبدالفتاح بيك الذي وجد الفرصة سانحة للنيل من خصومه الالداء وعلى رأسهم محمد امين باشا .. فعادت الحرب الداخلية من جديد اثر تغير العلاقات بين الاورطات ، فقد انقلبت المعادلة لصالح عبدالفتاح بيك اثر تحالف اهل الميدان معه . وتشتت اهل باب العراق !

هكذا ، نجد ان الحرب تندلع حالما يتولى الموصل والي غريب .. لقد تدهور الموقف وتقطعت الطرقات ، وانهم الرصاص على مدى ايام ... وتعطلت صلاة الجمعة وقتل صباح يوم عيد الاضحى (شوال ١١٧٥ هـ) سبعة عشر رجلاً من الطرفين ، وامر الوالي باطلاق المدفعية ، فانطلقت (١٢٥) قذيفة (= كغلة) ، واستمر القتال عنيفاً حتى بدأ يتحول شيئاً فشيئاً لصالح محمد امين باشا ، بدعوة كل من الوالي وعبدالفتاح بيك سكان بعض الاطراف للتدخل (٤١) ، وانتهت الاحداث لصالح اعلان محمد امين باشا والياً على الموصل ، فهرب الخصمان واستتب الامور بعد استمرار الاحداث الدامية اكثر من ستة اشهر كاملة (أي للفترة ١٢ كانون الثاني ١٧٦٢م حتى ٢٢ تموز ١٧٦٢م) واستقرت الاوضاع في المدينة والولاية ، وامتد حكم محمد امين باشا بين ١٧٦١-١٧٦٨م / ١١٧٥-١١٨٢ هـ ، وهو عهد طويل زاهر تحسنت خلاله الظروف والاحوال السياسية فانعكس ذلك على تطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية للموصل (٤٢) .

تفاقم الصراعات والتغيرات السياسية : جيل ثان من الحكام المحليين - الجليليين :

كان للتحالفات العسكرية - الانكشارية الجديدة اثرها في التغيرات السياسية بالموصل التي بدأت صفحة جديدة ، فقد بدأت تشتبك في حكمها عناصر قيادية جديدة ، إذ انقسمت

ارتبكت الاوضاع الداخلية ، وفربعض الخصوم الى ولايات اخرى ، في حين اعلن بعض آخر ندمه ، وعاشت الموصل حالة سياسية ونفسية عصبية (١٧) .

تدرع سليمان بيك بقصره ، ولم يكن موقف الجاهير ايجابياً تجاه تنصيب الخصم القديم ما عدا بعضاً من حلفائه بالامس (١٨) ، ودخل المنشق العتيد مدينته باحتفال كبير في ١٤ نيسان ١٧٧٠ م (١٩) ، وما ان دخل قصره حتى اصدرَ اوامره بمصادرة اموال اسعد اغا ولكن بوساطة حاكم قره جولان تصالح الاثنان على عشرة الاف دينار تضاف الى اموالهم المصادرة . ثم بدأت سياسة المصادرة والاستئذنة والاستئصال إذ يذكر صاحب « الدر المكنون » انه « استندان من تجار الموصل ثمانين الف قرش (القرش يعادل ٨ دراهم وعتبار ٦٠٪) مقابل ارتيان املاكه .. » ولكنه لم يملك في الموصل طويلاً ، إذ تولى بعد أشهر قليلة ولاية طرابلس الشام ، فاوكل مهامه الى احد بني عمه وولده (٢٠) .

كان كابوساً ثقيلاً انتزاع بمغادرة عبد الفتاح الموصل ، فعاد خصومه النافون عليه من الساسة والزعماء العسكريين لفرض ارادتهم مرة اخرى ، وعاد التحالف بين الاورطلات ضد المتسلّم وابن الوالي واورطة واحدة منشقة ، واندلع القتال على مدى (١٥) يوماً ، ثم عقد الصلح بجهود حاكم ماردين ليوم واحد (٢١) ، ولكن القتال سرعان ما عاد من جديد عنيفاً على مدى (٤٠) يوماً ، ثم عقد صلح ثان فكان صلحاً ناجحاً وذلك لتدخل سليمان بك ، وسار الى عبد الرحمن بك ابن عبد الفتاح باشا وقد يمثل زعماء الانكشارية ، فغدر بهم وقتلهم جميعهم ، واستقرّ الامر له على مدى ثمانية ايام ولكنه فوجئ بنجر نمي والده والي الموصل عبد الفتاح باشا وتنصيب الدولة مكانه سليمان بك (= باشا) ، ففر من الموصل متخفياً نحو بغداد كلاجئ سياسي بحماية واليا عمر باشا (٢٢) .

الولاءات السياسية فيها مرة اخرى تجاه الانشقاق الحاد في البيت السلطوي الجليلي ، فبرز الى السطح من جديد حزبان كبيران (٢٣) . اولهما كان منشؤه انضمام « اليكرمي يدي » (المستقرة في الميدان) الى عبد الفتاح بيك بتحالف مع اورطتي « اوننجي » و « الي سكر » . وثانيهما حزب جديد يقوده كل من سليمان بك بن محمد امين باشا واسعد اغا الجليلي ويضم اورطتي « الاوتوزير » و « الي ايكي » .

كانت الدسائس تعمل في الخفاء ، ولكن سرعان ما انفجر الصراع ويعنف بين الحزبين السياسيين ، وقد تبلورت الاوضاع عن اتحاد الفرقاء ضد انحسار « اليكرمي يدي » التي بقيت لوحدها في الميدان ، فكان من السهل تطويقها والقضاء عليها ، واحداث المزيد من التدمير لولا سياسة الروح التي اتبعتها القادة الجليليون .. ولما كان عبد الفتاح بيك لاجئاً سياسياً في بغداد منذ احداث عام ١٧٦١ م الدامية يراقب الامور (٢٤) .. وقد لجأ اليه (٧٠) من اغوات « اليكرمي يدي » وقد وجد في غضبهم « وسيلة ذهبية تمكنه من العودة الى مسرح الاحداث » (٢٥)

بدأ عبد الفتاح بيك يخطط من جديد للوصول الى السلطة ، وقد غدت القيادة بيد سليمان بك ابن محمد امين باشا والذي لم يستطع ان يرسخ مجموعة التحالفات وقيادة الوفاق السياسي ، فانفجر القتال مرة اخرى بين القوى المتحالفة والاوتوزير التي طمحت في الحصول على الاموال ، فدام النزاع (٨) ايام ، ولكنه انتهى لصالح بيت محمد امين باشا مرة اخرى (٢٦) .

صعقت الموصل اثر انتشار خبر تعيين عبد الفتاح بيك (باشا) والياً على الموصل سريعاً ، فقصّ الخبر مضاجع خصومه من زعماء وقادة وضباط وتجار كبار .. وذلك في كانون الثاني ١٧٧٠ م / رمضان ١١٨٣ هـ ، وبينما نال عبد الفتاح مأربه الذي ناضل من اجله طويلاً فقد

القرن التاسع عشر، تخلصت الموصل خلالها من اوضاع ومشكلات وتعقيدات عدة سببها فوضى الصراع الداخلي بين الاورطات... والمحاولات الخارجية لاقصاء الاسرة الجليلية عن الحكم، وانشاقق الاسرة على نفسها، وغدا الناس يخشون الفتن والاضطرابات التي كانت تثيرها اورطات الانكشارية^(٥٧).

وقد ازداد النفوذ السياسي للموصل خلال عهد محمد باشا نتيجة لعلاقاته الخارجية الجيدة، واسلوبه الدبلوماسي الهادئ في معالجة قضايا ساخنة عاشها الاقليم كله في مطلع القرن التاسع عشر، ونجح كما فعل اخوه من قبله في ابعاد الموصل عن شبح الحرب العثمانية الوهابية في نجد وذلك من خلال شراء مواقفه بالمال والغلال^(٥٨).. كما اكتسبت الموصل خلال عهده مكانة سياسية في المنطقة الاقليمية، فاستقرت اوضاعها السياسية والامنية كما نجح في ادارته الزبنة.. واعتنى بالتجارة فتوافرت المواد الغذائية اثر انعاشه للسوق المحلية في الموصل، فازدهرت الحياة الاقتصادية فيها، وغدت مركزاً مهماً للقوافل.. كما وتوسعت الصناعات وازداد عدد السكان الذين احبوا حاكمهم «الباشا» حبا جماً، واحترموا كثيراً^(٥٩)، وقد مات الرجل مشلولاً عام ١٨٠٦م، فتسلم السلطة في الموصل ولده محمود بيك الذي لم تكن له شخصية والده القوية.

عودة الصراع والبنية السياسية : من الانقسام نحو التشكك.

لم يمض على تسلم محمود بيك حكم الموصل خمسة اشهر، حتى تفجّر صراع جديد على السلطة بقيادة اسعد بيك ابن الحاج حسين باشا الجليلي الذي كان يرى بأنه احق بالولاية من حفيد اخيه محمد امين باشا، لاسيما وان اسعد قد سجل صفحة تاريخية في النضال ضد عبد الفتاح باشا...

هكذا اذاً، تولّى سليمان باشا بن محمد امين باشا ولاية الموصل لمدة طويلة تقدر ب (٧) سنوات لم يقطع خلالها الا لمرتين امدهما قرابة السنة، استقرت الاوضاع في الموصل في اثناء وجوده، إذ تمتع بمقدرة عالية في ضبط مقاليد السلطة، وكان غيابه سبباً في حدوث قلاقل واضطرابات بين صفوف اورطات الانكشارية وخصوصاً في عهد من خلفه من الولاة الغبراء مثل: مصطفى باشا يازجي زاده وديمور باشا الوائلي الذي حدث في عهده انقسام بين اهل الموصل الى فريقين: ازرشيه وكرمليسيه^(٥٩).

اما عبد الباقي باشا الجليلي ١٧٨٥ - ١٧٨٦م / ١١٩٩ - ١٢٠٠ هـ فلم يكن عهده مستقراً، إذ جرت فيه تصفية للخصوم، وتجاوز هو نفسه حدوده في نظام الحكم المحلي^(٥٩)، وقد قتل صريعاً على ايدي الدنادية الزيدية في اثناء خروجه لقتالهم، ثم عاد سليمان باشا الجليلي مرة اخرى الى الموصل سنة ١٧٨٦م / ١٢٠٠ هـ، فحكمها اربعة اعوام متواصلة حكماً هادئاً ميسوراً، وقد ارتاحت الموصل كثيراً بعد ان عاشت حياتها التاريخية المضطربة والصعبة على مدى نصف قرن كامل من القرن الثامن عشر. ولابد ان نذكر ان سليمان باشا اعتذر عن تنفيذ مهمة حربية عليا دعاه السلطان لها وهي مقاتلة الوهابيين، إذ تدّرّج بحجة المرض ثم استقال سنة ١٧٨٩م / ١٢٠٤ هـ^(٥٥)، وبقي في الموصل حتى توفي سنة ١٧٩٦م / ١٢١١ هـ، وكانت للرجل سماته القيادية وشخصيته الادارية^(٥٦)..

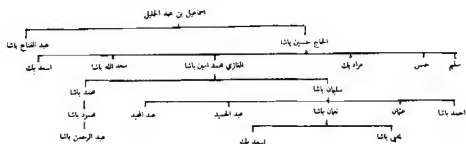
تولى حكم الموصل بعد سليمان اخوه محمد باشا ابن محمد امين باشا، وقد استغرق عهده طويلاً ومتواصلًا للفترة ١٧٨٩ - ١٨٠٦م / ١٢٠٤ - ١٢٢١ هـ أي على مدى (١٨) سنة، وبالضبط خلال عهد السلطان سليم الثالث. وكان عهداً محلياً سلمياً هادئاً. ويعد فترة نقاهة عند مطلع

٢- انقسام بين اسعد بيك ابن حسين باشا وبين محمود بيك ابن محمد باشا ابن محمد امين باشا بتحالف جميع اعيان الاسرة ضد اسعد بيك (أي : انقسام بيت الحاج حسين باشا : عم ضد حفيد اخيه).

هكذا، عاد النزاع يتشكّل أخرى بين اسعد بيك ونعمان بيك الذي حسم الفتنة بمحاصرة دار اسعد بيك وقصفها بالمدافع.. وجرت مفاوضات مع المحاصرين انتهت بنفي اسعد بيك الى اربيل، فهدأت حالة الموصل السياسية، واستتب الامن الداخلي، واقرّت السلطنة ولاية نعمان، ومنحته الهاشمية برتبة «وزير» وقد فرض هيمنته بامسليه الخاص على الموصل، وبمساعدة اولاده واخوته في تدبير الامور، اذ كان يعاني من المرض والذي قضى عليه بعد اشهر^(١٢)، فانتهى حكمه بعد اكثر من عام واحد استطاع خلاله ان ينتصر لبيت محمد امين پاشا، وقد بقي حكم الموصل يابدى هذا البيت سنوات طويلة.

ويبدو للمؤرخ أن الاسرة الجليلية قد عانت حتى سنة ١٨٠٧ م (أي حتى مطلع عهد السلطان محمود الثاني) من انقسامين شديدين داخل بنيتها السياسية :

١ - انقسام بين عبد الفتاح بيك وبين محمد امين
 پاشا بتحالف جميع اعيان الاسرة ضد عبد
 الفتاح بيك (أي: انقسام بيت اسماعيل
 پاشا: عم ضد ابن اخيه).



الحكم المحلي والحركة الانقلاية في عام ١٨٠٩ م:

وتعاقب الولاة الجليليون على حكم الموصل حتى عام ١٨٣٤م ، أي خلال عهد السلطان

٩- محمد امين باشا ابن عثمان بك ابن سليمان باشا
الجليلي حكم للفترة ١٨٢٨-١٨٢٩ م.

تقلد بعد ذلك اثنان من غير الجلبيين حكم
الموصل على اثر ثورة مناوئة، ف جاء الى السلطة قاسم
باشا بن حسن افندي العمري، فبقي في الحكم
للفترة ١٨٣٠-١٨٣١ م، ثم عقبه محمد سعيد
آل ياسين المفتي، فحكم للفترة ١٨٣١-
١٨٣٣ م^(٦٦).. ثم اقتحم الموصل يحيى باشا
الجليلي، فحكم الموصل ثانية، وكان آخر والي من
الاسرة الجليلية، إذ حكم الموصل للفترة ١٨٣٢-
١٨٣٤ م^(٦٧) وينتهي به الحكم المحلي لولاية
الموصل، لتبدأ بعده صفحة جديدة في تاريخها
الحديث، وفي حكم الادارة المركزية العثمانية.

الموصل والعلاقات الاقليمية:

١. ممالك بغداد الكؤله مند:

تشكل ولاية الموصل جزءاً حيوياً ومركزياً من
«بلاد الجزيرة الفراتية» الفسيحة وقاعدتها الموصل
على امتداد عصور طويلة، فتميّزت الولاية
بخصوصيتها الاقليمية وعروبيتها. وامكانياتها
الاقتصادية العالية، ونموها الديمغرافي الكبير..
ووحداها الاجتماعية- الحضرية العملية، فضلاً
عن بيئتها الجغرافية المتنوعة. وقد كانت السيطرة
العثمانية وانظمتها الادارية المركزية واللامركزية في
كل من بغداد والموصل سبباً في مدّ نفوذ بغداد نحو
الموصل اوجزره عنها نسبة الى قوة النظام السياسي
الذي تحظى به ولاية بغداد.. وقد تجسّد ذلك
كثيراً ابان حكم المالك الكؤله مند لها ونظامهم
السياسي اللامركزي- العثماني الذي تأسّس في
بيت حسن باشا وولده احمد باشا، وهو النظام
الذي انبثقت عنه اول حكومة اقليمية قوّة
اعتمدت «المالك» كقوة عسكرية وادارية في
فرض الهيمنة على مناطق شاسعة من الاراضي

محمود الثاني ١٨٠٨-١٨٣٩ م، (وتكاد تغيب
جملة واسعة من المعلومات التاريخية عن الموصل
خلال العقدين الاخيرين من الحكم الجلبي لها،
وذلك بفعل النقص الكبير في الأدبيات والكتب
التاريخية)^(٦٨).. ناهيك عن ضمور دور الموصل
الاقليمي على الساحة العثمانية سواء باتجاه
أسطنبول أم بغداد، بل غدت الموصل واقعة تحت
تأثير سياسة المالك الكؤله مند في بغداد
وهيمنتهم، وعلى الأخص ابان عهد الوالي داؤد
باشا ١٨١٧-١٨٣١ م^(٦٩). ويمكننا ذكر ولاية
الموصل من الجلبيين الذين جاءوا الى الحكم بعد
حركة انقلاب أحمد باشا ابن بكر افندي، وهم:
١- محمود باشا ابن محمد باشا ابن محمد امين
باشا الجلبي حكم للفترة
١٨٠٩-١٨١٠ م.

٢- سعدالله باشا ابن الحاج حسين باشا الجلبي
حكم للفترة ١٨١٠-١٨١٢ م.

٣- أحمد باشا ابن سليمان باشا بن محمد امين
باشا الجلبي حكم للفترة
١٨١٢-١٨١٧ م.

٤- حسن باشا ابن الحاج حسين باشا الجلبي
حكم للفترة ١٨١٧-١٨١٨ م.

٥- أحمد باشا ابن سليمان باشا ابن محمد امين
باشا الجلبي (للمرة الثانية) حكم للفترة
١٨١٨-١٨٢١ م.

٦- عبد الرحمن باشا ابن عبدالله باشا ابن مراد
باشا الجلبي حكم للفترة
١٨٢١-١٨٢٢ م.

٧- يحيى باشا ابن نعمان باشا ابن سليمان باشا
الجلبي حكم للفترة ١٨٢٢-١٨٢٧ م.

٨- عبد الرحمن باشا ابن محمود باشا ابن محمد
باشا ابن محمد أمين باشا حكم للفترة
١٨٢٧-١٨٢٨ م.

العراقية ، وبقي ذلك النفوذ المملوكي يحافظ على أمن العراق الاقليمي لأكثر من ثمانين سنة حتى سقوط المالك بانتهاء عهد الوالي القدير داود پاشا ١٨١٧ - ١٨٣١ م^(٦٨) .

وبالقدر الذي كان طموح ولاية بغداد يسعى لفرض الارادة على حكام الموصل فان قوة الولاة الاوائل من الجليليين ونفوذهم كانا يحدان من تحقيق طموحات المالك ، ولكن ضعف الحكام المتأخرين من الجليليين ، كان سبباً وراء قيام مشكلات اقليمية عدة . وعلى الرغم من التحالف الاقليمي بين الموصل وبغداد ضد الفرس على ايام كل من الواليين القديرين الحاج حسين پاشا (عن الموصل) ، واحمد پاشا ابن حسن پاشا (عن بغداد) الا ان ذلك لم يمنع من قيام توترات وتحريشات وملاحقات .. تعقبها مصالحات وتحالفات ضد العدو المشترك المرتبص في ايران^(٦٩) .

ولكن كثيراً ما كان الولاة المالك في بغداد وراء حدوث الازمات والصراعات الداخلية في الموصل ، إذ كان المالك يخامرهم الشك والخوف من تألف الاسرة الحاكمة في الموصل في حكم ولاية غنية بالموارد الاقتصادية ومتأسكة في بيئتها الاجتماعية ، علماً بأن الجليليين كانوا في اعين الزعماء المالك بمثابة الرقباء عليهم من قبل السلطة المركزية .. لقد حدثت تدخلات عدة من قبلهم في شؤون الموصل الداخلية ، وخصوصاً من قبل سليمان پاشا وعمر پاشا^(٧٠) .

وكان لكل من الجليليين والمالك مراكز قوى مؤيدة لكل جانب منها في العاصمة اسطنبول إذ لم يكن للحكام الجليليين من اهداف سياسية الا ضرب زعامة عمر پاشا الذي كان سبباً مباشراً في اساءة العلاقات مع ايران التي كان يحكمها الزنديون (كريم خان زند) كما جاء في التقرير الذي رفعه سليمان پاشا ابن محمد امين پاشا الى الباب العالي^(٧١) .. فكان ان حظي الجليليون بثقة

السلطان العثماني بالاعتماد عليهم في ادارة الشؤون العراقية^(٧٢) .

ولكن على الرغم من التخلص من عمر پاشا فان النفوذ المملوكي بدأ يستعيد مكانته من جديد . وقد سجلت حكومة سليمان پاشا الكبير ١٧٨٠ - ١٨٠٢ م تحسناً في العلاقات بين بغداد والموصل سياسياً واقتصادياً ، ثم استمرت العلاقات الطيبة بين الطرفين على عهد علي پاشا والي بغداد ١٨٠٢ - ١٨٠٧ م ، الا ان مصرع الاخير انهى حالة الود والهدوء على عهد سليمان پاشا الصغير ١٨٠٨ - ١٨١٠ م الذي سعى لاسناد ولاية الموصل لغير الجليليين ومنهم : احمد پاشا ابن بكر افندي ، وصولاً لمد النفوذ المملوكي الى الموصل^(٧٣) .

وكانت الموصل وراء عزل سليمان پاشا الصغير والي بغداد ومصادرة أمواله رسمياً ، نتيجة للسياسة التعسفية التي اتبعها . وعيناً حاولت الدولة السيطرة على الموقف ، اذ تحالفت القوى الاقليمية بقيادة الموصل ، وانطلقت منها في آب ١٨١٠ م نحو بغداد ، فدارت معركة بينها وبين قوات سليمان پاشا .. وكان الوضع في بغداد مضطرباً ضده ، وكان محمود پاشا الجليلي والياً على الموصل ، واشتعلت المعارك ، وغدت الكفة لصالح الموصل في حين انفض عن سليمان پاشا اعدائه وجنده ، وبقي في الميدان وحده ، فاضطر الى الهرب مع بعض اتباعه الى اطراف نهر دبالى حيث قتل هناك^(٧٤) .

اما بالنسبة للسليمانية فكان هناك ثمة تحالف بين الجليليين والبابانيين من اجل الحفاظ على الرقعة الشالية كيلا تذوب في كيان المالك . وعلى الرغم من احتفاظ الموصل بكيانها الاقليمي ، وتمتعها بحكومتها القوية ، فان محاولات تدخل بغداد في شؤون الموصل قد رجعت من جديد ، وعلى أشدها بعد وصول داود پاشا الى حكم بغداد سنة ١٨١٧ م ، إذ كان يطمح الى تأسيس حكومة

عراقية تحت ادارته المركزية^(٧٥). فاصطدم داود پاشا بوالى الموصل ايامئذ احمد پاشا الجليلي ١٨١٢ - ١٨١٧ م الذي لم يهتم به ولم يكثر بمقامه.. فاستخدم داود پاشا نفوذه لعزل والى الموصل، فعزل وعين مكانه حسن پاشا ابن حسين پاشا الجليلي الذي توفي بعد حين، وقد توطدت خلال ذلك اواصر العلاقة بين داود پاشا والوالى المعزول احمد بك، فتدخل من جديد لاعادته، فعاد ليحكم الموصل قرابة اربع سنوات^(٧٦).. فتوثقت اواصر العلاقات بين بغداد والموصل سياسياً بعد ذلك.

وتولى يحيى پاشا الجليلي حكم الموصل عام ١٨٢٢ م / ١٢٣٨ هـ، واستمرت العلاقات طبيعية بين الرجلين حتى في ثورة زعماء الانكشارية في الموصل ضد يحيى پاشا عام ١٨٢٦ م إذ لم يعمل داود پاشا على تغيير الاوضاع في الموصل، بل ساند حكومة الموصل الشرعية ومن المحتمل ان الرجلين قد تحمسا بوادر التغيير في سياسة البلاط العثماني نحو اللامركزية، وان السلطان محمود الثاني يسعى الى القضاء على النظام القديم، ومنها مثلاً قضاؤه على الانكشارية قضاءً مبرماً في حزيران ١٨٢٦ م^(٧٧).. فكانت شراكة الرجلين في السياسة والنوايا شراكة سوية.

الاقاليم والامارات المجاورة :

اما بشأن علاقة ولاية الموصل بالاقاليم والامارات المجاورة فقد كانت ساخنة تشغلها الاضطرابات والروابط السياسية السلبية، وخاصة بين حكومة الموصل وامارة بهدينان في العمادية التي حاصرها الحاج حسين پاشا الجليلي لمدة شهرين، ثم تصالح مع اميرها لقاء دفع مبلغ من المال.. وكانت العلاقة بين الطرفين فيما بعد تأخذ طابع التنافر اذ ساءت بين الموصل وبغداد، او تأخذ حالة التلاقي اذا تحسنت.. اضافة الى عوامل متنوعة

اخرى^(٧٨). ووقعت «امارة الشيوخان» بين سطوة كل من القوتين المتصارعتين.. وقد قامت حملات عديدة من قبل حكومة الموصل على هذه «الامارة» التي يشكها «اليزيديون» التابعين لسيادة الموصل الاقليمية. وقد تعرضت امارة الشيوخان الى حملتين عسكريتين جليليتين فقط، في حين توالى الحملات العسكرية، واستمرت ضد يزيدية جبل سنجار الذين قام الجليليون ضدهم بالزيد من الحملات لأسباب متنوعة ابرزها اسباب اقتصادية وتأمين المسالك التجارية امام القوافل.. والحصول على اكبر قدر من الموارد الزراعية والمنتجات الحيوانية^(٧٩).

اما بالنسبة للوقائع المريرة التي عاشتها كل من الموصل (واغتيال واليها عبد الرحمن پاشا الجليلي) وبغداد (ومصرع متسلمها قاسم پاشا العمري فيها).. فقد قاد ذلك الى حدوث فراغ سياسي كبير في الموصل بفقدان استقلاليتها، وغدت تحت سيادة رسمية لبغداد مع ضعف اداري - حكومي مارسه المتسلم محمد سعيد آل ياسين الفتحي منذ تموز ١٨٣١ م / صفر ١٢٤٧ هـ بفقدان الزعامة الجليلية. وتعرضت الموصل، مدينة وولاية، الى اخطرتوسع اقليمي ضدها في عام ١٨٣٢ م، قاده امير راوندوز الشهير محمد پاشا ميركور الذي استغل انحسار السلطة المركزية العثمانية، وضعف حكومتي بغداد والموصل، فبدأ يوسع من امارته على حساب اراضي ولاية الموصل^(٨٠)..

سيطر محمد پاشا ميركور على اربيل التابعة للامارة البابانية، وانطلق ليسيتر على عدد وافر من المدن والقصبات، ولم يستطع علي رضا پاشا اللاز فعل أي شيء.. امام تقدم قوات ميركور على طريق اربيل - كركوك، او نحو اراضي امارة بهدينان واستيلائه على العمادية وعقرة^(٨١). هكذا، انفتح المجال امامه للتقدم نحو الموصل التي تحصنت بقلاعها وحصونها وابراجها واسوارها، وازيل

جسرها على نهر دجلة .. وقد استولى ميركور على قرى الموصل ، ثم حاصر الموصل ، وعقد الصلح مع محمد سعيد آل ياسين الذي استسلم خاناً خاضعاً لميركور الذي امتدت فعالياته العسكرية نحو دهوك وزاخو ، وهاجمت قواته نصيبين وماردين .. ناهيك عن عبثه في القرى المحيطة بمدينة الموصل وقد وصل تفوقه انه بدأ يهدد القوات العثمانية بدليل رواية المكرياني القائلة بعقد اتفاق جرى بين ميركور ومحمد علي باشا والي مصر ضد العثمانيين^(٨٢) .

يجي باشا ونهاية حكم الجليليين للموصل : الانشقاق والثورة

يعد يحيى باشا الجليلي آخر الولاة المبرزين في تاريخ الموصل الحديث ، وقد حكم الموصل لمرتين (للفترة ١٨٢٢ - ١٨٢٧ م) و (للفترة ١٨٣٢ - ١٨٣٤ م) . وكان قد واجه ازمات اقتصادية وسياسية متصاعدة ، منها غائلة المجاعة التي اكتسحت اقليم الموصل عام ١٨٢٥ . وعلى الرغم من اجراءاته الاقتصادية للتخفيف من حدة النكبة فان العناصر المناوئة للجليليين اتهموه وحكومته بالوقوف وراء غلاء الاسعار . وتفاعلت الاسباب لاندلاع ثورة علنية ضده ، فانتقل الى بغداد ، فنهب سراي الحكومة ومرافقه ، وسرقت الاموال ، وفقد الامن ..

وقد دلت هذه الاحداث في سنة ١٨٢٧ م بما لا يدع مجالا للشك على ان نهاية الجليليين في حكم الموصل قد ازفت .. وقد نقل يحيى باشا الى ولاية ديار بكر^(٨٣) فتولى الموصل عبد الرحمن باشا ابن محمود بن محمد باشا بن الغازي محمد امين باشا فحكمها لاقول من سنة (أي : للفترة ٢٠ تموز ١٨٢٧ - ١٥ نيسان ١٨٢٨ م) ، وهي اخطر مرحلة في الحكم الجليلي للموصل ابان العهد العثماني^(٨٤) .

يعزو د . عباد عبد السلام رؤوف اسباب ذلك

الى ان «تحولاً جذرياً كانت تمر به الموصل من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية ، وهو تحول حدد - منذ مستهل القرن التاسع عشر - مصير السلطة السياسية في الولاية . فقد ادى التوسع الحرفي الكبير ، ونمو الصناعات المحلية ، وما جر اليه من تعاطف القوة العاملة في المدينة ، الى خلق فئات جديدة من العامة لم تكن معروفة من قبل ... فقد ادى ذلك الى كثرة الأيدي العاملة ، وانخفاض مستوى الحياة المعاشية للقوة العاملة ، وهو امر من شأنه أن يهز أسس النظام الاقتصادي في الولاية هزاً خطيراً»^(٨٥)

ويمكننا اضافة عامل اساسي آخر ، هو توجه البلاط العثماني نحو سياسة العثمنة المركزية في الادارة المباشرة التي اخذت تطوق الخناق على حكومات الاسر المحلية ليس في الموصل فحسب ، بل في ولايات عربية واناضولية أخرى .. ان انزال ولاية كالموصل مثلاً انزاعاً اقتصادياً وهي تعاني من كوارث طبيعية متلاحقة كالحقح والجداد والجفاف والطاعون .. كلها كانت عوامل مساعدة لبعض العناصر التي استغلته لزيادة ثرواتها^(٨٦) .. فكان ان بدأ المجتمع بالتبرم من الاحوال الاقتصادية .. كما وغدت القوى الانكشارية القديمة منخرطة مع فئات المجتمع الاخرى لتحمل همومها وآلامها .

في يوم ١٥ نيسان ١٨٢٨ م ، اغتيل الوالي عبد الرحمن باشا وقتل شقيقه (كنخددا الولاية) محمد بك ابن محمود باشا^(٨٧) ، فتكتل الجليليون في مواجهة سياسية ضد الثوار الذين استولوا على السلطة دون بروز قيادة منهم ، وكان التكتل الجليلي يضم ايضاً الاعيان والعلماء وامراء الجيش ، وورشوا محمد امين باشا ابن الحاج عثمان بيك الحياثي الجليلي لمنصب الولاية ، وقد صادق والي بغداد داود باشا على ذلك ، ثم وافقت السلطات العثمانية عليه ايضاً بفرمان تموز ١٨٢٩ . ولم يعاقب الوالي الجديد الجناة من الثوار الا عقاباً خفيفاً بنفيهم الى تلعفر ،

قاسم العمري اللعبة والمؤامرة^(٩١) ، علماً بأن الباب العالي لم يصدر عنه أي فرمان يؤكد الروايات المضطربة !

لما كانت بلاد الشام مهددة من قبل جيوش محمد علي باشا والي مصر؛ ولما كانت الاوضاع في الموصل ضعيفة مهزوزة، فقد خشيت الدولة العثمانية ان يسيطر داود باشا على جميع الولايات العراقية ويؤسس له كياناً سياسياً منفصلاً عنها.. فبدأ السلطان محمود الثاني اتباع سياسته المركزية، بتصفية القوى الاقليمية المؤثرة في العراق، وعلى رأسها داود باشا، كونه وبقية الحكومات اللامركزية غداً يشكلون خطراً أكيداً على كيان الامبراطورية، وتحسباً بما سيؤول اليه امر قوة داود باشا، مقارنة بما حدث مع كل من محمد علي باشا في مصر والحسينيين في تونس. فكلّف السلطان والي حلب علي رضا باشا اللّاز بقيادة جيشه والقضاء على داود باشا، بالاعتماد على قوى اقليمية منشقة في الموصل وديار بكر وحلب.. وعند وصوله الموصل، اعلن اللّاز اعترافه بحكم قاسم العمري الخصم للدود لداود باشا^(٩٢).

وبدأت قوات قاسم باشا العمري تعمل للتوجه نحو بغداد على رأس حملة تعززها قوات من قبائل شمر وعقيل، وكانت اوضاع بغداد مزرية إذ كان الفيضان والطاعون قد فتكا بها فتكاً ذريعاً، وقد انتهت الاعمال العنيفة التي قادها العمري واتباعه، وولدت هواجس الرعب الذي سببه تحفز العشائر لاغتيا ل قاسم العمري وطرّد قواته من بغداد^(٩٣). اما الموصل فقد تسلمها محمد سعيد آل ياسين المفتي بأمر اللّاز الذي غادرها نحو بغداد، ويبدو للمؤرخ أن العثمانيين قد سعوا في حملتهم الى اعتماد العناصر الانتقالية الموصلية للقضاء على قوتين اقليميتين قديمتين هما: جليلو الموصل ومالك بغداد. ودخل اللّاز بغداد بعد مقاومة عنيفة واسر داود باشا ثم روعها بمذبحة قضى فيها على المالك الكّولة مند

فكانت لهم فرصة ذهبية لتنظيم قواتهم على مدى شهر واحد، جردوا بعد ذلك حملتهم من قبل سكان تلعر ضد حكومة الموصل.

وصلت الحملة ابواب الموصل في تشرين الثاني ١٨٢٩م، فانشقت اورطات الانكشارية على نفسها، فنها من ذهب مؤيداً الحملة، ومنها من بقي يدافع عن الجليليين.. فاندلع قتال عنيف في شوارع الموصل على مدى (٢١) يوماً، قتل خلاله ابو الوالي عثمان بيك الجليلي، وصالح افندي السعدي رئيس ديوان الانشاء، واحمد بيك الآي بكوي وبعض القواد من الانكشارية وعدد كبير من الناس.. اما الوالي فقد اختفى في مخبأه، ثم هرب نهائياً الى بغداد^(٨٨).

نجح الثوار في حركتهم، وقاموا بتصفية رجالات الحكومة الجبلية، وفرضوا سيطرتهم على الموصل، وكان من ابرز قادة الثورة:

- ١- قاسم افندي (باشا) ابن حسن افندي العمري (على رأس الجناح المدني).
- ٢- محمد سعيد افندي آل ياسين المفتي (على رأس الجناح العسكري)
- ٣- خالد اغا ابن صالح اغا آل شويخ (اغا اورطة اللي ايكوي).
- ٤- محمد اغا ابن ملا عبدالله السعري (قائد جيش).
- ٥- سعيد اغا ابن ملا عبدالله السعري (قائد جيش).

تولى السلطة قاسم افندي العمري بتمنصب متمسك للبلد (رئيساً يصل قرار أو فرمان الولاية) ونصب محمد سعيد افندي كتنخذه له اي نائباً له^(٨٩). وسرعان ما دب الخلاف بين زعماء الانقلاب، إذ بقي قاسم العمري لوحده. في الميدان، ولم يخف داود باشا والي بغداد استيائه منه. فامتنع عن الاعتراف به لدى السلطات العليا في اسطنبول.. فسرعان ما دب الخلاف بين

الرجلين بصورة علنية^(٩٠).. ولما كان داود باشا يمتلك زمام السلطة الشرعية، فقد تناقلت الروايات المحلية خبر صدور الاوامر بقتل قاسم واعوانه، وارجاع محمد امين الجليلي الى منصبه، فاكشف قضاء تاماً بعد حكمهم الطويل لبغداد^(٩١).. وبدأ العراق عام ١٨٣١ م عهداً عثمانياً جديداً تحت ظل احكام الادارة المركزية المباشرة.

يحيى باشا : محاولة اعادة الحكم : الصورة المتأخرة الفاشلة :

اقام يحيى باشا الجليلي في حلب بعد عزله عن ولاية ديار بكر يقرب الاحداث المصرية في العراق، وغادرها قبيل وصول قوات ابراهيم باشا المصرية في منتصف شهر تموز عام ١٨٣٢ م^(٩٢)، متوجهاً نحو الموصل التي وصلت اليه اخبار اغتيال واليها عبد الرحمن باشا الجليلي. فعقد اتفاقاً مع شيخ شمر صفوك الفارس الذي كان يجمع قواته التي بلغت (٤) آلاف رجل من العرب، وتوجه بهم نحو الموصل، واستطاع يحيى باشا من دخول الموصل، وفرض سيطرته على معظم احيائها الا حي واحد فقط اقترب من السقوط بقي فيه محمد سعيد آل ياسين المقتي واعوانه المناصرين لعلي رضا باشا اللار^(٩٣).

واستمر تحالف يحيى - صفوك بعد اعادة شرعية الحكم للجليليين في الموصل، وتشير الكتابات الحديثة الى ان ذلك التحالف قد استند اساساً على اتفاق مع ابراهيم باشا الحاكم المصري الجديد لسوريا، وان مراسلات جرت بين اعيان الموصل وعلمائها وبين القيادة المصرية في الشام. وتشير الروايات التاريخية الى ان حكم يحيى باشا الجديد كان يسعى للقضاء على الوجود العثماني برمته، وسحق سلطات علي رضا باشا اللار الذي تخوف كثيراً من التحالفات العربية المتجمعة في الموصل ضد العثمانيين، وقد تحكّموا في الطريق الاستراتيجي بين الموصل وحلب باتجاه اسطنبول، علماً بان يحيى باشا قد لاقى تأييداً جماهيرياً واسعاً

النطاق في الموصل^(٩٤)... ولاندري ان كان اللار قد اضطر الى الاعتراف بحكومة يحيى باشا في الموصل، وتوجيه الولاية اليه رسمياً ام ان ذلك لم يحدث؟

وبينما كان اللار يراقب ماستنول اليه الامور في شمالي العراق وسوريا حاصرته ببغداد قوات شمر بقيادة صفوك والتي وقفت ضدها قوات عزرة فاشتبكت فيما بينها على نحو عنيف: فاشغلها، ووجه بعض قواته العثمانية ضد يحيى باشا في الموصل ولم تنفع مناشدة الاخير لصفوك الذي بدأ يواجه سيلاً من القوات اثر فكّه الحصار عن بغداد، وجرى عزل اللار لصفوك عن مشيخة شمر بتحالفه مع أحد المرشحين الطامحين الى المشيخة^(٩٥). لقد انهار كل شيء بعد نجاح خطط اللار، وعزل يحيى باشا عن ولاية الموصل في كانون الثاني ١٨٣٤ م / رمضان ١٢٤٩ هـ^(٩٦)، فانهى حكم الاسرة الجليلة نهائياً في الموصل، واستدعي يحيى باشا الى اسطنبول ليغدو فيها بعد عضواً في مجلس شوري الدولة. ومنحه لقب «كبير الوزراء» بغرض ابعاده عن تحقيق طموحاته، وبقي في اسطنبول حتى وفاته عام ١٨٦٧ م.

منجزات العهد الجليلي : تطور تاريخ الموصل

لقد اكتسب الجليليون وجودهم من خلال الملكيات الاقطاعية والعقارية التي استحوذوا عليها في الموصل ابان مطلع القرن الثامن عشر، فاهلّتهم امكانياتهم الى تبوأ ابرز مركز اجتماعي في الولاية. أما سياسياً، فقد كان لدورهم القيادي في الدفاع عن الموصل ابان حصار نادرشاه لها عام ١٧٤٣ م قد اكسبهم شرعية تاريخية في استحوذهم على السلطة السياسية لبعود طويلة من الزمن. ويعدّ حدث «الحصار» من ابرز الاحداث التاريخية ليس في حياة العراق الحديث، بل في تاريخ المشرق العربي والدولة العثمانية.

هكذا، نجحت سلالته ذات البيوتات

المتعددة (= الباباوات / البيكات / الاغوات) في تمثيل الروح الموصلية المحلية على الرغم من الانتقادات اللاذعة التي وجهت الى ابرز زعمائهم وخصوصاً خلال الازمات الاقتصادية والكوارث المدمرة... ولكن تلك «الروح» قد آلت الى صراعات اهلية خلال عهودهم.. ومع كل الانقسامات في داخل الهيئة الحاكمة (= السلطة) والجيش (= الاورطات) والمجتمع (= الاحياء والاسواق)، الا ان الموصل قد حفلت بكثرة السكان، وتطور الصناعات والحرف والتنظيمات والاصناف الى جانب زخارة الحياة الادبية والثقافية وازدياد المجالس والمنتديات والمدارس وكثرة التأليف والتصانيف.. ونمو في طبقة «العلماء والادباء».. فضلاً عن ان عهدهم قد شهد تطورات في العلاقات العامة والترانسيست والسياح الاجانب.. وبروز نزعات متعدّدة كالتزعة السلفية- الاصلاحية، وانتشار الكشلكة- المسيحية، وتوطن الغرباء في الموصل، وتأسيس المرافق العامة والمنشآت وتجديدات في الاسواق والجوامع والكنائس والاسوار والقلاع والمدارس والخانات^(١٠٠).

إذن، فان البداية الحقيقية للتاريخ المحلي الحافل للموصل يبدأ بانتصارها على نادرشاه عام ١٧٤٣م، وينتهي مع انهيار حكم محبي باشا الجليلي عام ١٨٣٤م. فالحصار يعد حدثاً تاريخياً ومنطلق فترة تاريخية- تراكمية في حياة المنطقة والموصل بالذات، وان تاريخها السياسي خلا الحكم المحلي ينبؤنا عن دورها الخارجي الذي لعبته من خلال اكتفاء رجالها بانتاجها بغداد والعراق، او باتجاه عروبة المشرق العربي، او باتجاه الامبراطورية العثمانية ازاء خصوصها القدماء.. ويمكننا ان نتوقف للذكر ابرزهم وهم على التوالي:

١. الحاج حسين باشا الجليلي — دوره القيادي في الدفاع عن الموصل سنة ١٧٤٣م.

٢. الغازي محمد امين باشا الجليلي — دوره القيادي في الحرب العثمانية- الروسية سنة ١٧٦٩- ١٧٧٤م.

٣. عبد الفتاح باشا الجليلي — دوره في بلاد الشام ضد امتداد علي بيك الكبير سنة ١٧٧٠م.

٤. سليمان باشا الجليلي — دوره في الحرب العثمانية- الوهابية.

٥. محمد باشا ابن محمد امين باشا الجليلي — دوره في استقرار الاوضاع الاجتماعية بالموصل.

٦. محبي باشا الجليلي — دوره في العلاقات العربية مع ابراهيم باشا ١٨٣٢- ١٨٣٤م.

٧. عصام الدين عثمان الدقيري العمري — دوره دفتاردارا لبغداد ودوره النضالي ضد والي بغداد.

٨. قاسم باشا العمري — دوره في محاولة القضاء على علي رضا باشا اللاز ببغداد.

اما كيف تطورت الموصل اقتصادياً وحضارياً كأبرز مدينة عربية منتجة خلال العهد المحلي؟

لقد تطورت علاقات الموصل الانتاجية مقارنة بغيرها من الاقاليم والسناجق والدساكر والتخوم المجاورة لها او البعيدة عنها.. اذ غدت مدينة منتجة وذات مؤسسات بيروقراطية مهيمنة في حركتها الاقتصادية على جميع تلك المسالك التي تربط الشرق بالغرب، مستثمرة حركة التجارة العالمية من خلال تطور التجارة الاقليمية والمحلية.

وتطورت صناعات الموصل التي راجت في اسواق اوربا كالسروج والأحزمة والسجاد الحريري المطرز بالازهار، ومصانع الحديد والنحاس، اضافة الى مصنوعات المنسوجات المختلفة، وخصوصاً صناعة «الموصلين» الحريري الذي كان يصدر الى اوربا، وقد كانت شهادات الرحالة الاجانب كافية لتوضيح تلك التطورات الاقتصادية، والتي أدت بدورها الى تطور في التنظيمات الحرفية، والعلاقات الانتاجية بين الاصناف المختلفة، وتطور القيم

النقابة والعمل من خلالها^(١٠١).

وزدادت الفصائل في الوحدات الاجتماعية المتنوعة في المدينة والتي شكّل الحرفيون والصناع فيها أساساً في طبيعة العلاقات المحلية منذ ازمان بعيدة ، وقد زاد التضامن في التطور الحرفي بين مختلف العناصر، وزاد من روح العمل النقابي وتطور تكويناته وحقوقه وميادينه.. وبرز ذلك بشكل منظم ودقيق له اعرافه في الحياة الموصلية، وحتى مباحجه في المناسبات الدينية والرسمية، باقامة المهرجانات، وتسيير الكرنفالات التي كان الوالي الجليلي يرفعها بنفسه، ويوزع جوائزه على المشاركين فيها^(١٠٢).

من طرف آخر، فان هذه التطورات، رافقها سريان العمل في النظام الضرائبي ناهيك عن ثمة كوارث اقتصادية التمت بالموصل.. ويظهر للمؤرخ أن المدينة قد تحولت من مركز دفاعي عسكري/ اقطاعي الى مركز مدني ثقافي/ تجاري بازدياد السكان والمصالح والمؤسسات والتقاليد الحضرية.. وفي حين ازدهرت صناعاتها فانها قد بقيت اسيرة جموح الظروف الطبيعية نسبة الى ازدهار اودمار المنتوجات والمحاصيل الزراعية والآفات المناخية، فتحوّلت بعد ان كانت الموصل تحكمها العلاقات الاقطاعية الى مركز يتصرف في شؤونه الاقتصادية اصحاب رؤوس الاموال والتجار الكبار والصغار من الاقليميين والمحليين.. مما زاد من تعقد الاحوال المعاشية والاجتماعية عما كان عليه الوضع في السابق.

وعليه، فان الموصل خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر كانت هي السبابة بين الولايات العثمانية والعربية في تطبيق مشاريع الاصلاحات العثمانية - الرسمية على اثر تكليف محمد باشا اينجه البيرقدار بولاية الموصل، والاضطلاع بمهام الاصلاحات وبخاصة في المؤسسات والاجهزة العسكرية والعمرانية والاقتصادية.

اما بالنسبة للصفحات الاخرى من حياة العهد المحلي - الجليلي فقد حفلت الموصل بارتقاء مدوناتها الادبية وازدهار حركتها الثقافية، وتنوع حقول الاداب والمعارف والعلوم فيها، بازدياد مدارسها العلمية التي تخرج فيها العشرات من الادباء والعلماء الذين نتحسّس اليوم «عروبهم» في مضامين كتاباتهم واشعارهم ومخطوطاتهم ومساجلاتهم.

ان ابرز ما يمكننا ذكره ايضا أن الحكم المحلي - الجليلي قد شهد في الموصل حدثان اساسيان في تاريخها الاجتماعي الحديث اولها وصول الارساليات التبشيرية الى الموصل كالاعسطيين والكركمليين والكوشيين الذين حققوا قدراً كبيراً من النجاح في نشر المذهب الكاثوليكي. وثانيها: ولادة الحركة الاصلاحية السلفية الاسلامية على ايدي بعض العلماء الموصليين خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر.

الهوامش

(١) من أجل تفاصيل موسّعة عن مكانة الموصل الاستراتيجية، انظر الفصل الأول من كتاب:

Robert W.Olson, *The Siege of Mosul and Ottoman - Persian Relations 1718 - 1743*, Indiana Univ., 1975.

(٢) لقد كتب العديد من الرحالة والمبشرين والقناصل معلومات ثرة عن الموصل في العهد المحلي، أمثال: كريستيان نيبروج اوبته وجاكسون وليم جونز واوليفيه وجون أشر وكلوديوس ريج وج كينير ولايارد وغيرهم.

(٣) انظر: د. سيار الجميل، «دراسات في السيطرة العثمانية على الموصل واقليم الجزيرة سنة ١٥١٦م»، مجلة بين النهرين، القسم الأول/ العدد (٣٠)، القسم الثاني العدد (٣١)، الموصل ١٩٨٠.

(٤) For details; see, R.A.ABou EL - Haj, "Taxation, Trade, Production and Society in 16th C. Mosul (According to the Liva Kanunameler); in *La vie sociale dans les provinces arabes a Le'p-oque ottomane*, Tome 3, Ed. A. Temimi, - Zaghouan, 1988, pp.17 - 39.

(٥) انظر التفاصيل في: د. سيار الجميل، حصار الموصل: الصراع الاقليمي واتحاد نادر شاه، ط ١، الموصل، ١٩٩٠.

١٧٥٣ الى ١٧٧١، ترجمه عن الايطالية القس روفائيل بيداريد (اعتمدت على النسخة المخطوطة ذات المعلومات الواسعة في مكتبة الأوقاف العامة بالموصل، جلبي رقم ١٦٣).
(٢٠) انظر ملحق د. صديق الجليلي لتحقيقه ديوان حسن عبد الباقي، الموصل، ١٩٦٦، ص ١٠٣ / ١٢٠ وانظر: محمد بن مصطفى الغلاسي، لشامة العنبر والزهر المعنبر، تحقيق: د. سليم التميمي، بغداد، ١٩٧٧، ص ٨٨، ملاحظة رقم (٢).
اضافة الى مخطوطة ياسين الخطيب العمري، قرعة العين في تراجم الحسن والحسين، ورقة ٣٧ أ (نسخة مصورة بمخزوة الباحث)

Details in, S.H. Longrigg, *Four Centuries of Modern Iraq*, Oxford, 1925. p. 157.

وانظر ايضاً: د. سيار الجميل، *حصار الموصل: الصراع الاقليمي واندحار نادرشاه* (سبق ذكره)، ص ١٩٦ - ١٩٩. وانظر: Percy Kemp, *Mosul and Mosuli Historians of the Jalili era 1726-1834*, (Unpublished ph.D. Thesis). Oxford Univ., 1980.

(٢٢) تاريخ صبيحي محمد افندي صبيحي، اسطنبول ١٧٨٣ - ١٧٨٤، ص ١٢٥.

(٢٣) الشامة، ص ١٤٥ رقم (١).

(٢٤) ياسين الخطيب العمري، (زبدة) الآثار الجلية في الحوادث الارضية، انتخب زيدته: د. دادر الجلي، حققه: د. عباد عبد السلام رؤوف، النجف، ١٩٧٤

(٢٥) انظر التفاصيل في: احمد راسم، عثمانى لارنجي، اسطنبول، ١٣٢٨ هـ. ج ٦، ص ٩٣٨.

(٢٦) Cf. Sayyar K. AL-Jamil, *op.cit.*, vol.2 p. 422.

Ibid., vol. 2, P. 409. انظر:

(٢٨) الزبدة، ص ١٣٦ - ١٣٧.

(٢٩) اخباره في ياسين الخطيب العمري، غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، نشره: د. صديق الجليلي، الموصل، ١٩٤٠، صفحات متعددة.

(٣٠) انظر مقدمة د. سليم التميمي لتحقيقه كتاب عصام الدين عثمان افندي الدقري العمري، الوهن النضري في ترجمة ادياء العصر، ج ١، بغداد، ١٩٧٤.

(٣١) راجع مكاتبه عن كل من: د. عبد العزيز نوار ود. عباد عبد السلام رؤوف وديمي كيمب ..

(٣٢) للتوسع في اسباب حصار الموصل التاريخية انظر الفصل الاخير من كتاب:

Robert W. Olson, *The Siege of Mosul and Ottoman - Persian Relations 1718-1743*, Indiana Univ. Press, 1975.

والتوسع في نتائج حصار الموصل التاريخية، انظر: د. سيار الجميل، *حصار الموصل: الصراع الاقليمي واندحار نادرشاه* (سبق ذكره)، ص ١٩٥ - ٢١٨.

(٣٣) قراءات متنوعة في الكتاب المحلي الكبير والدر المكون في المآثر

(٦) Details in, Sayyar K.AL-Jamil, *A Critical Edition of al-Durr al-Maknun fi al-Ma'athir al-Madiya min al-Qurun of Yasin al-Umari (920-1226 A.H. = 1514/1515 A.D. - 1811/1812 A.D.)*; ph.D Thesis, vol.I: Introduction and Notes, St.Andrews Univ., Scotland, p.129.

(٧) راجع تفاصيل هذا الحدث في: د. سيار الجميل، *الحصار العثماني الثاني ل فينا عاصمة الهابسبورك التساوية سنة ١٦٨٣م*، *المجلة العربية للعلوم الانسانية*، جامعة الكويت، العدد (١٦)، المجلد (٤)، خريف، ١٩٨٤.

(٨) انظر: د. عباد عبد السلام رؤوف، *الموصل في العهد العثماني: فترة الحكم اعلي ١٧٢٦ - ١٨٣٤م*، النجف، ١٩٧٥، ص ٥١ - ٦٤.

(٩) ان اقرب مصدر تاريخي في معلوماته الوثيقة هو: علي اميري، *لذكرة شعراء آمد*، اسطنبول، ١٣٢٨، المجلد الأول، ص ٢٥٨.

(١٠) د. عباد عبد السلام رؤوف، *المرجع السابق*، ص ٤١ - ٤٢.

(١١) د. سيار الجميل، *الحياة الاقتصادية والاجتماعية لولاية الموصل في العهد الجليلي ١٧٢٦ - ١٨٣٤*، في *الحياة الاجتماعية في الولايات العربية أثناء العهد العثماني*، جمع وتقديم: د. عبد الجليل التميمي، الجزءان الأول والثاني، (سيرميدي) زغوان، ١٩٨٨، ص ٢٤٥.

(١٢) عن استراتيجية الموصل الاقتصادية، انظر: *المصدر نفسه*، ص ٢٣٢ - ٢٣٥.

(١٣) Historical details in, Sayyar K.AL-Jamil, *op.cit.*, vol.I, pp.15-29; vol.2 (= Text), pp.389-390; vol.3 (= Apparatus Criticus) pp.948-949.

(١٤) محمد أمين الخطيب العمري، *منهل الايلاء وشرب الاصفياء من سادات الموصل الحديباء*، تحقيق ونشر: سعيد الديوه جي، ج ١، الموصل، ١٩٦٧، ص ١٤٦.

(١٥) تاريخ عاصم جلبي زاده، اسطنبول، ١٢٥٣ هـ، ص ١٢٨ (وهو مطبوع على ذيل كتاب راشد). وقارن: محمد تريا، *سجلي عثمانى ياعود لذكرة مشاهير عثمانية*، ج ١، اسطنبول، ١٣٠٨، ص ٣٦١.

(١٦) عن قراءة معمقة مخطوط ياسين الخطيب العمري، *منهج القنات في تراجم القضاة* (عن النسخة التي يحرز عليها د. محمود الجليلي في مكتبته الخاصة).

(١٧) قارن: سالتانه دو موصل ولايتي، سنة ١٣٢٥ هـ، ص ٨٥ - ٨٧، وانظر: د. عباد عبد السلام رؤوف، *المرجع السابق*، ص ٥٧.

(١٨) مقارنة بين المعلومات التي اوردتها مخطوط *الطومار الجليلي* مع *شجرة الاسرة الجليلية* في: Sayyar K.AL-Jamil, *op.cit.*, vol. I, pp.147-150.

(١٩) انظر مذكرات الأب دومنيكو لانزا، ملخص تاريخ رحلات الاب لانزا من الاخوة الواعظين بين روما والشرق من سنة

en details ; see, *Andrien Dupre, Voyage en Perse* (٦٢)
attendant les années 1807 – 1809 en traversant la
Mésopotamie Paris, 1819, PP. 102 –
11

وانظر عن نعيان باشا : مخطوط (مجهول المؤلف) بعنوان : **مجموع
التواريخ في مدح وزراء بني عبد الجليل** ، مكتبة الإرفاق ، العام
في الموصل (خزانة د. داود الجليلي رقم ٤٤) ، ورقة ١٩١ .
(٦٣) يجد القارئ تفاصيل تاريخية موسعة عن هذه الحقبة الأهم
في :

Sayyar K. Al. – Jamil. *Op. cit.* Vol. 3, pp.
124 – 127.

أضافة الى مكتبته المؤرخ ياسين الخطيب العمري في «... ملطوما
"السيف المهند" وكتاب "غرائب الأثر".

(٦٤) يعود السبب في ذلك الى وفاة أبرز المؤرخين المصنفين ، الذين
يقف على رأسهم المؤرخ ياسين الخطيب العمري ، الى ما
أشهر مؤرخ عراقي حفظ ودون تفاصيل واسعة في تاريخ العراق .
(٦٥) أنظر ماكتبه د. عباد عبد السلام رؤوف ، المرجع السابق ،
ص ١٢٢ – ١٤٨ .

(٦٦) احمد الصوفي ، المالك في العراق : صحائف مطبوعة
تاريخ العراق القريب ١٧٤٩ – ١٨٣١ ، الموصل ، ١٩٥٢
ص ١٨٨ – ١٩٠ .

(٦٧) راجع ماكتبه كل من د. عبدالعزيز نوار ، تاريخ العراق
الحديث ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٩٤ ، ود. ج. م.
السلام رؤوف ، المرجع السابق ، ص ٢٠٢ – ٢٠٩ .

(٦٨) انظر : د. علاء نورس ، حكم المالك في العراق ١٧٥٠
١٨٣١ م ، بغداد ، ١٩٧٥ ، ص ٢٥ – ١١٣ .

(٦٩) استنتاجات عن قراءات تاريخية مقارنة عديدة .

(٧٠) انظر ماكتبه دوينيكولا لانزا ، المصدر السابق ، ص ٥٠ – ٥٩ .

(٧١) التفاصيل التاريخية في : احمد جودت ، تاريخ حدود العراق
تقسيم جديد ، ج ٢ ، اسطنبول ، ١٣٠٢ هـ ، ص ١٣ – ١١ .

(٧٢) د. عباد عبد السلام رؤوف ، المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(٧٣) د. علاء نورس ، المرجع السابق ، ص ١٧٦ – ١٧٧ .

(٧٤) التفاصيل التاريخية ومعلومات جديدة عن خلافة الموصل ، العراق ،
ميسانيا واقلية واقتصاديا في : Sayyar K. Al. – Jamil, *op. cit.*

vol.3, pp. 1232 – 1237. وانظر أيضاً : غرائب الأثر ، ص ١١٦ .

(٧٥) د. عبد العزيز نوار ، داؤد باشا والي بغداد ، القاهرة ، ١٩٦٨
ص ١٤٥ .

(٧٦) محمد ثريا ، سبجلي عثماني .. (سيرة ذكراء) ، ص ١٠ –
ص ٢٨٧ .

(٧٧) لقد سجل في مخطوطتها : خورشيد باشا ، سياحنامه حاكم
وعبد السلام المارديني ، تاريخ ماردين مطبوعة ، ص ٥٠ – ٥١ .

بهذا الصدد .

(٧٨) صديق الدملوجي ، امانة بهديتان او امانة العادبة ، الموصل ،
١٩٥٢ ، ص ٤١ .

(٧٩) ان ابرز مصدر تاريخي يتضمن تفاصيل تلك العائلات الاثنية

الماضية من القرون : ياسين الخطيب العمري (تحقيق : د.

سيار الجميل ، الجزءان الثاني والثالث ، اسكندرية ، ١٩٨٣) .

(٣٤) انظر ماكتبه دوينيكولا لانزا في مذكراته المترجمة والمنشورة تحت

عنوان : الموصل في الجليل الثامن عشر ترجمة : د. روفائيل

بيداوي ، الموصل ، ١٩٥٣ ، ص ٤٠ – ٤٢ .

(٣٥) راجع تحليلات د. عباد عبد السلام رؤوف ، المرجع السابق ،

ص ٦٩ – ٧٠ .

(٣٦) انظر ماكتبه دوينيكولا لانزا ، المرجع اعلاه ، وراجع ماكتبه

ياسين الخطيب العمري في كتابه مئة الادباء في تاريخ الموصل

الحدباء ، تحقيق : سيد الديوب جني ، الموصل ، ١٩٥٣ ، ص ٨٥ .

(٣٧) الزبدة

(٣٨) Details in Sayyar K. Al. – Jamil, *Op. cit.*, vol. 2, p.

384 – 5

(٣٩) دوينيكولا لانزا ، المصدر السابق ، ص ٥٨ .

(٤٠) الثنية ص ١٨٤ .

(٤١) الزبدة ، ص ١٨ .

(٤٢) الثنية ، ص ١٨٥ .

(٤٣) د. سيار الجميل ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لولاية

الموصل ... (سبق ذكره) ، ص ٢٦١ . وانظر تحليلات د.

عباد عبد السلام رؤوف ، المرجع السابق ، ص ٧٠ – ٧٥ .

(٤٤) Sayyar K. AL – Jamil, *Op. cit.*, vol. 3, p. 948.

(٤٥) د. عباد عبد السلام رؤوف ، المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٤٦) دوينيكولا لانزا ، المصدر السابق ، ص ٧٢ .

(٤٧) Sayyar K. AL – Jamil, *Op. cit.*, Vol. 2, p. 404.

(٤٨) دوينيكولا لانزا ، المصدر السابق ، ص ٧٥ .

(٤٩) المنهل ، ج ١ ، ص ١٨٤ .

(٥٠) Sayyar K. AL – Jamil, *Op. cit.*, vol. 2, p. 406.

(٥١) *Ibid*, vol. 2, P. 409.

(٥٢) الثنية ، ص ١٨٧ .

(٥٣) د. عباد عبد السلام رؤوف ، المرجع السابق ، ص ٨٥ .

(٥٤) المنهل ، ج ١ ، ص ١٩٦ .

(٥٥) ياسين الخطيب العمري ، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار

السلام ، نشر : دار البصري ، بغداد ، ١٩٦٧ ، ص ٣٢٧ .

(٥٦) Sayyar K. Al – Jamil, *op. cit.*, vol. 2, P. 473.

(٥٧) غاية المرام ، ص ٣٢٩ .

(٥٨) غرائب الأثر ... ، ص ٦٥ .

(٥٩) د. عباد عبد السلام رؤوف ، المرجع السابق ، ص ٨٩ (نقلا

عن رحلة ابي طالب خان الى العراق واوريا سنة ١٢١٣ هـ /

١٧٩٩ م ، تعريب د. مصطفى جواد ، بغداد ، ١٩٦٩ ، ص

٣٧٥) ؛ علماً بأن الادبيات المحلية للموصل لا تقدم الصورة

التاريخية ذاتها التي رأها ابو طالب خان !

(٦٠) غرائب الأثر ، ص ٧٢ ، وقارن المعلومات بـ (Sayyar K.)

(٦١) المصدر نفسه ، ص ٧٣ ، وراجع التفاصيل التاريخية أيضاً في :

Sayyar K. Al – Jamil, *op. cit.*, vol. 3, P. 1212.

الساختة هو كتاب حوليات الدر المكنون في الآثار الماضية من القرنين لياسين الخطيب العمري.

(٨٠) راجع التفاصيل في: محمد أمين زكي، تاريخ الدول والامارات الكردية، ترجمه عن الكردية: محمد علي عوني، القاهرة، ١٩٦١، ص ٤٠٠-٤٠٢، وقارن: د. عبد العزيز نوار، تاريخ العراق الحديث، (سبق ذكره)، ص ١٠١-١١٠.

(٨١) انظر: صديق الدملوجي، المصطلح السابق، ص ٤٠. وللتوسع عن مركزه وسياسته، انظر: د. سيار الجميل، «رحلة جوستن بيركنس عبر شمال العراق: الارض الكلاسيكية ١٨٤٨» مجلد المورد، العدد (٤)، المجلد (١٨)، بغداد، ١٩٨٩، ص ١٧٦-١٧٨.

(٨٢) راجع التفاصيل في: حسين حسني المكرياني، أمراء سوزان، ترجمه عن الكردية، محمد الملا عبد الكريم، بغداد، د. ت. ص ٥٤، وقارن اخباره في: محمد أمين زكي، المصطلح السابق، ص ٥٠١-٥١٥.

(٨٣) انظر: علي اميري، فذكره شعراء آمد (بالتركية) سبق ذكره، ج ١، ص ٢٦٠. وقد قارن الباحث ذلك مع اوراق تاريخية مخطوطة مصورة عن مكتبة المرحوم د. صديق الحلبي عام ١٩٧٦.

(٨٤) د. عباد عبد السلام رؤوف، المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٨٥) المرجع نفسه، ص ١٨٣.

(٨٦) د. سيار الجميل، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لولاية الموصل... (سبق ذكره)، ص ٢٦٣. وقارن ايضا تحليلات المؤرخ برسي كيمب:

Percy Kemp, *op. cit.*, pp. 111 - 160.
(٨٧) عباس المزاري المحامي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ١، بغداد، ١٩٥٤، ص ٣٠٠-٣٠١.

(٨٨) انظر: سليمان صانع، تاريخ الموصل، ج ١، القاهرة، ١٩٢٣، ص ٣٠٤.

(٨٩) د. عباد عبد السلام رؤوف، المرجع السابق، ص ١٨٦-١٨٧ (نقلا عن اوراق مخطوطة).

(٩٠) احمد الصوفي، المصطلح السابق، ص ١٩٠، وانظر ايضا مقارنا: سليمان صانع، المصطلح السابق، ج ١، ص ٣٠٥.

(٩١) سليمان صانع، المصطلح نفسه، ج ١، ص ٣٠٥.

(٩٢) S. H. Longrigg, *op. cit.*, P. 282.

(٩٣) سليمان فائق، تاريخ الممالك المتوكلية مند في بغداد، ترجمه عن التركية: محمد نجيب اونتازي، بغداد، ١٩٦١، ص ٦١.

(٩٤) عباس المزاري، المصطلح السابق، ج ٧، ص ٢٠-٢١.

(٩٥) د. عباد عبد السلام رؤوف، المرجع السابق، ص ٢٠٢ (مستندا على الوثائق القومية المصرية).

(٩٦) المرجع نفسه، ص ٢٠٣ (مستندا على الوثائق القومية المصرية).

(٩٧) المرجع نفسه، ص ٢٠٤، وقارن: عبد العزيز نوار، تاريخ العراق الحديث (سبق ذكره)، ص ١٩٤.

(٩٨) المرجع نفسه، ص ٢٠٥ (مستندا على الوثائق القومية المصرية).

(٩٩) محمد ثريا، المصطلح السابق، ج ٤، ص ٦٤٤.

(١٠٠) من المجهود اجراء قراءات مقارنة لكتابات اربعة من المؤرخين في تاريخ الموصل الحديث ايان عهد السيطرة العثمانية وهم: روبرت اولسن وعباد عبد السلام رؤوف وبرسي كيمب وسيار الجميل.

(١٠١) Dina Rizk Khoury, "People and Taxes in the Iraqi Cities during the Early Ottoman Modern Period" in *Le IVe Symposium International d'etudes oHomanes*" (CEROMDI and A. C. O. S) 20-26 Janvier 1990, Zaghawan - Tunis.

(١٠٢) د. سيار الجميل، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لولاية الموصل، المرجع السابق، ص ٢٦١.

Sayyar K. Al-Jamil, *op. cit.*, vol. P. 141.

صُمُوْدُ الْمَوْصِلِ نَوَجُهُ الْعِرَاقِ الْفَارِسِيِّ

(١١٤٥-١١٥٦ هـ - ١٧٣٢-١٧٤٣ م)

أ. د. طارق نافع الحمداني

مقدمة:

الصفوية وسقطها عام ١٧٢٢ على يد الافغان، واستغلال العثمانيين لتلك الظروف في دفع نفوذهم الى أقصى مدها باتجاه الشرق على حساب الأراضي الفارسية.

غير أن هذا التوسع لم يستمر طويلاً، فقد استطاع قائد مغموريدعى نادر قلي، عرف فيما بعد بـ «نادر شاه»، ان يعيد الحياة للدولة الصفوية،

وصلت العلاقات العثمانية- الفارسية الى حالة كبيرة من التوتر في الربع الثاني من القرن الثامن عشر، وانعكست حالة التوتر هذه على الحواضر العراقية باعتبارها كانت خاضعة للحكم العثماني، مما جعلها مسرحاً لكثير من الحروب الدامية التي دارت بين تلك الدولتين. وتعود حالة التدهور في العلاقات العثمانية- الفارسية الى انحلال الأسرة

وان يطرد الافغان من فارس ، ومن ثم اتجهت انظاره نحو العثمانيين ، حيث طالب الشاه طهاسب الثاني (١٧٢٢- ١٧٣٠) ، السلطان العثماني احمد الثالث باعادة جميع المقاطعات التي تقع تحت السيطرة العثمانية ، وهدده بالحرب في حالة رفضه ذلك . وقد توصل الطرفان الى عقد صلح بينها عام ١٧٣٠ ، وتم الاتفاق على اعادة جميع المقاطعات الفارسية^(١) .

اثار هذا الاتفاق السخط لدى الرأي العام العثماني ، واتهم السلطان بالضعف والعجز ، فتم طرده وعين محمود الاول (١٧٣٠- ١٧٥٤) بدلاً عنه . وعند ذلك كرر العثمانيون استيلاءهم على مناطق واسعة من غربي فارس ، وقد اضطر الشاه طهاسب ان يطلب الصلح من العثمانيين ، فاستغرقت المفاوضات الاشهر الاخيرة من عام ١٧٣١ والايام الاولى من عام ١٧٣٢ ، حيث امضيت المعاهدة في العاشر من كانون الثاني ، وكانت شروطها - على حد قول لونكريك - « معتدلة »^(٢) .

لقد رفض نادرشاه الاعتراف بالمعاهدة الموقعة بين الطرفين الصفوي والعثماني ، واتخذها حجة لخلع طهاسب الثاني وتنصيب ابنه الطفل عباس الثالث ، على ان يكون هو وصياً عليه ، فامتلك عندئذ مقاليد السلطة الفعلية في البلاد ، وبعث برسالة الى السلطان العثماني يخبره فيها بعدم اعترافه بالمعاهدة ، كما بعث في الوقت نفسه برسالة تهديد ووعيد الى احمد باشا ، والي بغداد ، يخبره فيها : « نحن سائرون حالاً على رأس جيشنا المظفر لتسليم هواء سهول بغداد العليل ولتستريح في ظل أسوارها »^(٣) .

وفي خضم تلك الظروف غزت قوات نادرشاه المدن العراقية الرئيسية مرتين عام ١٧٣٢- ١٧٣٣ ، ولقيت فيها الهزيمة ، وكانت نتيجة ذلك أن عقدت معاهدة صلح بين نادرشاه وأحمد باشا ، في ١٩ كانون الاول عام ١٧٣٣ ، عادت فيها الحدود وفقاً لمعاهدة زهاب عام ١٦٣٩ . غير ان

العثمانيين لم يوقعوا على هذه المعاهدة ، مستغلين في ذلك إضطراب الأمور في فارس ، لكن نادرشاه الذي تمكن من اخماد الاضطرابات في بلاده سرعان ماتوجه بجيشه نحو المناطق التي كانت لاتزال بحوزة العثمانيين فانزل بهم الهزيمة عام ١٧٣٥ . لقد دفعت انتصارات نادرشاه هذه ، العثمانيين الى مائدة المفاوضات ، فأُسفرت عن عقد معاهدة صلح جديدة عام ١٧٣٦ ، عادت فيها الحدود الى خطوطها التقليدية . بيد أن العثمانيين والفرس قد اخفقوا في التوصل الى اتفاق حول الخلافات المذهبية التي اثارها نادرشاه ، وكان هذا الامر فضلاً عن اطاعه التوسعية ، ذريعة لاستئناف العدوان ، كما سنرى .

لم تتحسن العلاقات العثمانية - الفارسية في السنوات التالية ، على الرغم من انشغال نادرشاه بغزواته في الهند ، ويعود السبب في ذلك لاصراره على فرض شروط كان من المتعذر على الدولة العثمانية ان تقبلها .

وهذه الشروط - كما يقول لونكريك - « تجعل الفرد يرتاب بوجود خلل في التوازن العقلي الذي كان منشؤه الطمع المفرط الذي صحبته القسوة الجنونية والجشع اللذان عرف بهما الشاه في سني حياته الاخيرة »^(٤) . اذ بعث الى السلطان من قندهار في عام ١٧٣٨ ، يطلب ديار بكر وارمينية ، وان يتخلل عن حلفه مع المغول في الهند ، وان يهدم ما يصلح من سور بغداد ، فلم يجبه السلطان^(٥) .

في آذار عام ١٧٤١ وصل الى استانبول مبعوث فارس ، لمناقشة الخلافات المذهبية مع أولي الأمر هناك . ومع أن العثمانيين لم يغيروا رأيهم حول هذه المسألة الحساسة ، لكنهم لم يعطوا الرد المباشر للمبعوث الفارسي ، وشكلوا وفداً رسمياً لمقابلة نادرشاه ، وتسليمه رسالة السلطان المعبرة عن اعتذاره لقبول مطالب نادرشاه المذهبية . وقد هدد الشاه الفارسي في رسائل حملها الوفد العثماني عام ١٧٤٢ ، السلطان والصدر الاعظم والعلماء ، بأنه سوف ينفذ ما يريد بقوة السلاح ، فأخذت الدولة

العثمانية تستعد للحرب ، وجرت استعدادات عسكرية في بغداد وأرضروم ، غير أن نادراً لم يستطع أن ينفذ تهديداته لمدة ثلاثة عشر شهراً لانشغاله التام بمحاربة اللزك وحلفائهم في داغستان^(٦) .

وفي بداية عام ١٧٤٣ ، وقبل رحيل نادرشاه عن داغستان ، وصل وفد عثماني آخر الى معسكره وسلمه رسالة من السلطان يكرر فيها اعتذاره شخصياً عن عدم امكان تلبية طلب نادرشاه بصدد المسألة المذهبية ، فأجاب نادر مهزداً السلطان بتقدمه الوشيك ، وكانت المدن العراقية ، ومن بينها الموصل ، ضحية التهديد والعدوان الفارسي .

الأوضاع السياسية في الموصل وعلاقتها ببغداد :

حدثت تغيرات كثيرة في الدولة العثمانية في النصف الاول من القرن الثامن عشر ، بخاصة في الولايات العربية التي كانت خاضعة لها . ويعود السبب في ذلك لقيام ثورات كثيرة في الدولة العثمانية ، خلال عهد السلطان احمد الثالث ، وقد أدت تلك الثورات الى زيادة قوة الحكام المحليين ، وكان حسين باشا الجليلي ، والي الموصل ، واحداً منهم . وعلى هذا الأساس ستقوم بدراسة الجليليين الذين تسنموا السلطة في الموصل من جهة ، وعلاقتهم بالدولة العثمانية وولاية بغداد من جهة اخرى .

الجليليون في الموصل :

اتسمت حالة الموصل بعدم الاستقرار السياسي بسبب تعاقب الولاة العثمانيين على حكمها منذ الاحتلال العثماني لها في القرن السادس عشر وحتى تسنم الأسرة الجليلية السلطة في العقد الثالث من القرن الثامن عشر ، بحيث أن تغير ولايتها كان يجري بمعدل والي واحد في كل عام تقريباً . وما زاد في حالة عدم الاستقرار استفحال حدة الصراع بين الولاة العثمانيين في الموصل والقوى المحلية ، بخاصة الاسرة العميرية التي كانت تحتل الاقضاء في المدينة ،

مما عرض الموصل لكثير من حالات الاضطراب السياسي^(٧) . فضلاً عن ذلك ، فان ظاهرة أخرى تسترعي انتباه الباحث في تاريخ الموصل هي كثرة حدوث الكوارث الطبيعية في النصف الاول من القرن الثامن عشر ، ومن بينها الطاعون الذي تعرضت له المدينة عام ١٧٣٧ ، وفيه مات عدد كثير من الناس ، بحيث بلغ عددهم - كما يقول العمري - اكثر من الف نفس في اليوم الواحد^(٨) . عمد الجليليون الى الاستفادة من محصلة تلك الظروف مجتمعة ، الى اقصى حدود الاستفادة ، من اجل التخطيطي نحو تسلم السلطة في الموصل . ففي العقد الثالث من القرن الثامن عشر ، وعندما كانت خزينة ولاية الموصل تعاني من نقص خطير ، ساهم اسماعيل الجليلي في عدد من المشاريع الاصلاحية والخيرية ، وقد كانت هذه الاعمال مدعاة الى رفع منزلة الأسرة الجليلية في نظر الموصلين^(٩) . والى جانب ذلك ، فقد ساهم الجليليون في الحملة العسكرية التي قامت بها الدولة العثمانية للتوغل في الاقسام الغربية من فارس عام ١٧٢٣ ، حيث تحملوا نفقات الجيوش في الموصل ، وأمدوها بالسلاح والمال . ولاشك أن مثل هذه المبادرة الطيبة من آل الجليلي ، كانت موضع تقدير السلطان العثماني الذي كافأ اسماعيل الجليلي بتعيينه والياً على الموصل عام ١٧٢٦ ، وبذلك ابتداء حكم الجليليين في الموصل^(١٠) .

كانت ولاية الموصل ، كما قلنا ، تستقبل كل سنة والياً وتودع آخر ، وكان الولاة الجليليون من بين من شغلتهم عملية التبديل ، بحيث ان حسين باشا الجليلي ولي الموصل خمس مرات حتى حصار نادرشاه للمدينة عام ١٧٤٣ . وعلى أية حال فان كثرة عدد الولاة وسرعة تبديلهم لايمكن ربطه الا بسياسة الدولة العثمانية القائمة على الحذر من طول بقاء الوالي الواحد في الولاية ، بخاصة اولئك الذين يمثلون الأسر المحلية ، وهذا ما فعلته ازاء افراد الاسرة الجليلية ، لاعتقادها بانهم قد يمارسون سياسة مستقلة تؤدي الى صعوبة قيادتهم .

لم تكن سياسة الحذر العثمانية نابعة من فراغ وإنما كان لها أساس في الواقع ، ذلك ان الحكام الغرباء في الموصل كانوا يلاقون معارضة من اهل المدينة ومواطنيها ، وكان من الصعوبة عليهم ممارسة سلطتهم دون الحصول على رضاهم ، وهو مالم يحدث في الغالب . ولقد انتبه الى هذه الظاهرة كثير من الرحالة الاوربيين ، وتساءلوا عن سر بقاء الاسرة الجليلية في الحكم مدة طويلة . دون غيرهم من الحكام العثمانيين حيث يقول الاب دومينيكو لانزا في مذكراته :

« لقد دلت التجارب مراراً على عدم وجود من يستطيع ضبط امر الموصل غير آل عبد الجليل . فهل هذه الحقيقة ناجمة عن كون أهالي الموصل متمردين (كذا) لا يريدون حكم الترك المطلق بل يبقون حريتهم العربية ، ام انها سياسة هذه الاسرة التي تحرك الاهالي سراً على القيام لاجل ازعاج الحكام الغرباء ؟ ان في هذا نظراً ، فان لكل من الاحتمالين وجوهاً » (١١) .

ويمكن القول ان كلا هذين السببين هما العامل الحقيقي لقبول أهل الموصل للولاة الجليليين ، باعتبارهم أصبحوا يمثلون كل اهدافهم وتطلعاتهم القومية ، وهي أمور كان يفقر اليها الحكام الغرباء . لقد أثبتت التجارب الكثيرة أن كل الولاة الغرباء الذين يأتون الى الموصل كانوا لا يستطيعون ممارسة سلطتهم دون صعوبات كبيرة . وعلى هذا الاساس فان الوالي كان بحاجة لأن يحتفظ دائماً بقوة كبيرة من الجنود التي تكلف خزينة الولاية نفقات كثيرة ، وكان عليه ان يختار احد امرين : اما الامتناع عن دفع الأموال المقررة ارسالها الى السلطان او التخلي عن رواتبه والأموال المقررة لمعيشته . ولذا فقد كان من السهل على أسرة عبد الجليل ان تتبوأ منصب الولاية في الموصل ، بخاصة وانها كانت تنال ثقة سكان الموصل على اختلاف فئاتهم من جهة ، كما أن الوالي الذي يعين منها لا يحتاج الى قوة كبيرة من الجيش ، وبهذا يستطيع تأمين متطلبات الولاية اكثر من غيره من جهة

اخرى . والى جانب هذا كله ، كما انتبه الى ذلك نيبور : « فإن من مصلحة أهالي الموصل أن يكون واحد منهم هو الوالي . وان الوالي الذي يريد ان يبقى في الحكم دائماً يسعى لكسب رضا الناس وثقتهم بخلاف الوالي الاجنبي الذي لا يعرف مدى بقاءه في الحكم ولأجل ذلك فانه لا يحرص اهتمامه بجمع الاموال والحصول على نفقات سفره فقط وإنما كان عليه ان يقدم للسلطان المال ويرسل الهدايا الى القسطنطينية لكي يضمن ولاية اخرى إذا ما استدعي من ولايته هذه » (١٢) .

وكان من الطبيعي ان يصبح الجليليون هم اصحاب القوة الحقيقية في الموصل ، وذلك بحكم سيطرتهم على القوات العسكرية فيها ، وامتلاكهم ثقة الاهالي ، وقد حملت هذه الحالة السلطان على ان يعين والياً من بين افرادها ، كلما تعرضت الولاية للخطر . وهذا ما حدث عندما بدأ خطر نادرشاه يلوح في الافق مهدداً الموصل ، حيث رأت الدولة العثمانية انها بحاجة كبيرة الى والي ذي قدرة عسكرية فذة ، يكون باستطاعته درء الخطر ، فلم تجد غير حسين باشا الجليلي . وهكذا اصبح حكم الاسرة الجليلية في الموصل ، الذي استمر حتى عام ١٨٣٤ ، تنويجاً لسيادة القوى المحلية في هذه المدينة .

الغزو الفارسي للموصل ودوافعه ١٧٣٢ - ١٧٤٣

لم تكن احداث الغزو الفارسي للموصل ، في الفترة ما بين ١٧٣٢ - ١٧٤٣ بمزول عن غزو المدن العراقية الاخرى ، التي وقعت جميعها ضمن المخططات الفارسية التوسعية ، غير ان فشل غزوات نادرشاه على الموصل ، والمقاومة البطولية التي ابدتها هذه المدينة ، تدعونا لدراستها دراسة عميقة ومعركة كل ظروفها وملاساتها .

غزوات نادر شاه على الموصل عامي ١٧٣٢ و ١٧٤٣ .

دخلت القوات الفارسية الاراضي العراقية عام

١٧٣٢ ، وقد توزعت تلك القوات التي كانت تقدر بمائة الف جندي ، ضمن عدة محاور فتقدم قسم منها باتجاه كركوك - اربيل وقسم اخر باتجاه الموصل ، في حين كانت القوة الرئيسية تواصل زحفها نحو بغداد . ويبدو ان مسألة ارسال قسم من القوات الفارسية باتجاه الموصل كان يقع ضمن خطة استراتيجية تهدف الى قطع الصلة بين القيادة العثمانية وبغداد ، واحكام السيطرة الفارسية على الاقسام الشمالية من العراق ، ولكن هذه الخطة اثبتت فشلها عام ١٧٣٢ ، فكرها نادر شاه مرة اخرى في حصاره الثاني للموصل عام ١٧٤٣ كما سنرى .

يعود فشل حملة نادرشاه ضد الموصل ، والتي كانت بقيادة نكر خان - كما يبدو - الى صغر حجم القوة الفارسية الموجهة ، وإلى المقاومة الموصلية الباسلة . اذ تؤكد المصادر المعاصرة أو القريبة من اكثر احداها ، الى ان عددها كان محدود ثمانية الاف مقاتل (١٣) .

والظاهر ان الثقل الرئيس في حملة نادر شاه عام ١٧٣٢ كان منصّباً على مدينة بغداد ، أما مدينة الموصل فقد اعتقد ان أمرها سيكون سهلاً ، اذا ما تم له احتلال بغداد . يقول في ذلك محمد امين العمري ، الذي كان قريب عهد بتلك الاحداث ثم وارسله (اي نكر خان) بالعساكر المذكورة لتخريب قراها (الموصل) ، وتضعيفها ومضايقة اهله ، حتى إذا اخذ بغداد يتوجه اليها ليكون أخذها عليه هيناً (١٤) .

بيد أن الامر لم يكن سهلاً كما ظن نادرشاه ، ذلك لان القوة الفارسية المهاجمة قد واجهها الموصليون ببسالة متناهية ، وعلى رأسهم حسين باشا الجليلي واتباعه فردت على اعقابها ، وقتل نكر خان قائد الحملة نفسه ، يقول في ذلك سليمان الصانع : « تقدّمت - الجيوش النادرية - الى الموصل وظهرت صباح يوم الخامس والعشرين من

شوال (١١٤٥ هـ) سنة ١٧٣٢ على أرض الغزالي (جنوبي الموصل) . فقام الحاج حسين باشا بهتته المفطور عليها وغيرته الشديدة واستحث همم الاهالي مستنضاً غيرتهم وحميتهم الوطنية باقوال حماسية حتى اثار جميعهم وهبوا بسلاحهم الى حومة القتال ، فالتحمت الحرب بين الفريقين ودامت من الصباح حتى العصر فأبلى الموصليون في تلك الحرب بلاء حسناً وظهروا فيها من الحماسة وضروب الشجاعة وفنون الحرب ما يتبى له العقل ويدل على شديد وطنيتهم وغيرتهم ... ومن ثم اندحرت جيوش نادر شاه ولاذت بالهزيمة منكصة على الاعقاب » . (١٥)

وقد مدح الشعراء حسين باشا الجليلي لدوره الفعال في هذه المعركة ، ومن بينهم حسن عبد الباقي الموصل ، الذي انشد يقول واصفاً المعركة : ورهط من الاعجام بين مدرع على لاحق وافى وبين مزرد فجاءوا صفواً والقنا يقرع القنا كغيم كثيف او بناء مشيد ونادت بنات الحمي اين رعائنا وابن الفتى المنعوت في كل مشهد ابا حسن ضاق الخناق ولم نجد سواك ملاذاً خبير ذخر ومنجد سرى في مثار النقع بدرأ تحفه نجوم وفي يمناه شعله فرقده فاضحت نحر العجم غمد صوارم وكل عنيف كالعمود الممدد فلم ينج منهم غير أمرد ناعم

يقاد أسيراً كالغزال المقيد . (١٦)

وفي عام ١٧٤٣ شن نادر شاه هجومه الواسع على العراق ، وذلك على رأس قوة كبيرة . وبعد اجتيازه الحدود العراقية اتجه بقواته نحو مدينتي كركوك واريل ، بقصد التقدم منها صوب الموصل واحتلالها . وكانت خطته في هذه السنة ماثلة لخطة

قتل ، وأسر أكابرها ، وضبط أموالها ، واخذ رجالها وجعلهم جنوداً معه » (٢٣).

وعندئذ اقترت جيوش نادر شاه من الموصل ، وانتشر الجنود في أطراف المدينة واستولوا على قراها وأقصيتها المجاورة من ذلك كرمليس وبرطلة وقره قوش وتلكيف وباطانيا وتلأسقف والقوش ، حيث قتل خلقاً كثيراً ، ثم قفلوا راجعين الى أربيل بحثاً عن وسيلة تمكنهم من الهجوم على مدينة الموصل (٢٤). ومن المعروف ان نادر شاه استخدم الرسل في نقل تحذيراته الى المسؤولين في الموصل ، مهدداً بذلك عملية الغزو وحصار المدينة .

ب. العلاقة بين نادر شاه وأحمد باشا وصلتها بحصار الموصل عام ١٧٤٣ :

تكشف المصادر العراقية المحلية عن وجود مراسلات بين نادر شاه وأحمد باشا ، والي بغداد ، قبل أن يتقدم الاول لحصار الموصل . وتضيف تلك المصادر ان احمد باشا قد عرض على الشاه الفارسي بأن يستولي على الموصل أولاً ، فاذا ما تم له ذلك سيكون والي بغداد من المطيعين له . (٢٥) يقول ياسين العمري في هذا الصدد « فأحتال عليه والي بغداد الوزير أحمد باشا وأرسل اليه : ارحل الى الموصل فان ملكتها فنحن لك مطيعون » (٢٦) . ويؤيد الصائغ ما ذهب اليه العمري ، ويؤكد أن عمل احمد باشا هو من قبيل الحيلة والخدعة - « والحرب خدعة » ، كما يقول . (٢٧) وعلى اية حال ، وقبل ان نحكم على فعوى تلك الروايات يجب ان نلقي الضوء على موقف أحمد باشا في بغداد ، وسياسته ازاء السلطان العثماني من جهة ونادر شاه من جهة اخرى .

شغل احمد باشا عدة مناصب في الدولة العثمانية ، ومن بينها منصب ولاية بغداد منذ عام ١٧٢٣ وبقي فيها حتى وفاته عام ١٧٤٧ ، ماعدا نقله منها عام ١٧٣٤ الى اورفه ثم عودته اليها عام

عام ١٧٣٢ ، ترمي الى احتلال الموصل وقطع صلاتها بالدولة العثمانية ، الا أنها كانت بشكل أوسع مما هي عليه الخطة السابقة ، حيث وجه نحو الموصل قوةً تقدرها المصادر بـ (١٧٠٠٠٠) جندي (١٧) ، هذا ولما كانت اهمية الموصل السوقية غير خافية على العثمانيين أيضاً ، اذ انها لم تكن مجرد مدينة من المدن ، بل كانت البوابة لآسيا الصغرى فان احتلالها يعني افساح المجال أمام نادر شاه للتوغل الى قلب الدولة العثمانية (١٨) ، لذلك أمر الباب العالي والي الموصل ، حسين باشا الجليلي ، بأن يضع المدينة في حالة دفاع (١٩) . والى جانب ذلك ، لما كان نادر شاه قد شعر بخيبة أمل كبيرة لفشل حملته ضد الموصل عام ١٧٣٢ ، فقد جعل الموصل محور هجومه هذه المرة ، وذلك عندما عاود عدوانه على العراق عام ١٧٤٣ . (٢٠)

ومها يكن من أمر ، فان المعروف أن نادر شاه توجه الى مدينتي كركوك وأربيل ، قبل تقدمه نحو الموصل ، حيث فرض حصاراً شديداً على مدينة كركوك ، وقد دافع عنها الاهلون - كما يقول الكركوكلي - دفاعاً مستميتاً ، وبعدها رماها بعشرين ألفاً من القذائف المدفعية وعشرين ألفاً بالمنجنيق [اي المدافع التي كانت موجودة آنذاك] اضطر أهلها الى التسليم (٢١) . غير ان مقاومة الأهلين هذه لم تكن مجدية ، ذلك لان حاكمها حسين باشا حال اوغلي ومحافظها أحمد باشا قد هربا الى الموصل ، ومنها الى بلاد الروم . (٢٢) ولقد كان يؤمل ، على غرار ما قام به حسين باشا الجليلي في الموصل ، أن يعمد حاكم كركوك ومحافظها ، ويشجعوا الأهلين على الثبات ، الا أن الظاهر أن امر البلاد لم يكن يعنى شيئاً ، لانها مجرد موظفين اجنبيين فيها ، ولم يشعروا بشعور المواطن والائتماء للارض . وزحف نادر شاه نحو أربيل أيضاً وفرض حصاراً عليها الى أن تمكن من احتلالها ، وعمل بها وبأهلها ما عمله بأهالي كركوك ، « حيث قتل من

١٧٣٦. (٢٨) وبمرور الوقت اظهر احمد باشا تعلقه الشديد بولاية بغداد، مما أثار شكوك الباب العالي تجاهه. وبما عززت تلك الشكوك تزايد قوة أحمد باشا وفشل الخزينة المركزية في تسلم الموارد السنوية المقررة على ولاية بغداد، فزاد ذلك من سخط الباب العالي، الذي اتبع مختلف الوسائل المتاحة لازاحة احمد باشا عن منصبه (٢٩).

ساورت الباب العالي الشكوك حول ولاء أحمد باشا في اثناء تقدم نادر شاه لغزو المدن العراقية، وبلغ الامر بالباب العالي أنه أخذ يرسل الفتاوى التي كانت تتعلق بالخلافات المذهبية التي ترد من نادر شاه وتصدر من الدولة العثمانية، لا الى احمد باشا، بل الى غريمه حسين باشا الجليلي، والي الموصل (٣٠).

اما بالنسبة لسياسة احمد باشا تجاه نادر شاه فيبدو انها كانت قائمة على أساس استخدام الوسائل الدبلوماسية، اكثر من وسائل المجاهدة. ويعتقد لوكهارت ان سبب ذلك يعود لاعتقاد احمد باشا بانه اذا ما استطاع ان يهادن نادر شاه، «ستصبح السلطة في بغداد حقيقة ملموسة لا مجرد خيال» (٣١).

لقد مال احمد باشا الى استخدام الوسائل الدبلوماسية كثيراً، من ذلك انه استقبل رسل الشاه عام ١٧٤١، وتقبل الهدايا الثمينة التي بعثت اليه، ورد عليها بالمثل (٣٢). وفي عام ١٧٤٣، وعندما وجه نادر شاه جيوشه نحو المدن العراقية، فقد تم تبادل الرسل بينه وبين احمد باشا، وهذا ما دعى أوتر otter، الى القول: «بان هناك اجاعاً بان «حرب ١٧٤٣»، قد نتجت بسبب المكائد والدسائس بين احمد باشا ونادر شاه» (٣٣). ومع ان اوتر قد يميل الى المبالغة، ويفضل الدوافع التوسعية لنادر شاه تجاه العراق، لكن الذي اراد تأكيده هو مسألة قيام عدد من السفارات بين نادر شاه واحمد باشا، وهذا ما جعل الشكوك تدور حول العلاقات

بينها.

وفي هذا الوقت وصل المبعوث الفارسي، محمد أغا أفندي، الى احمد باشا يطالبه بتسليم بغداد، وجاء في رسالة الشاه الاتي: «باني قد قصدت الروم، وكان القصد بغداد، ولكن لكونك فيها لم اكدر خاطرك، ولم اقدم عليها، ولكني ذاهب الى تسخير ممالك الروم». (٣٤) وقد أجاب احمد باشا على مطالب الشاه هذه، برسالة تضمنت رغبته في ادامة علاقات الصداقة مع نادر، ونيته في وضع حل للمشاكل القائمة بينها لاسيما المذهبية منها وقد ختم احمد باشا رده بأنه ناشد نادر شاه تأجيل بحث تلك المشاكل. لقد حمل محمد اغا رسالة احمد باشا الى نادر شاه، ويبدو أن الاخير، كما يقول لوكهارت، «قد تقبلها قبولاً حسناً» (٣٥)، ولكنه مع ذلك أرسل مجموعات من جيشه لاحتلال مناطق متعددة من العراق.

واذا معنا النظر في هذه الرسالة نجد أنها تهدف الى تهدئة المشاعر وكسب الوقت، بخاصة وان احمد باشا قد لحق الى مسألة حل الخلافات المذهبية، وهي المسألة التي سبق لنادر شاه ان بعث بشأنها مبعوثاً الى الباب العالي بواسطة احمد باشا وكهنته. ويعتقد فون هامر أن احمد باشا قد اقترح التدخل في هذه المسألة، لعلمه بأن الباب العالي سوف لن يوافق على هذه المسألة ايداً، وبذلك سيتاح له المجال لتقوين بغداد، وتزيم اسوارها وحصونها. (٣٦)

ومن جانب آخر، تشير كثير من الدلائل الى أن نادر شاه كان يشيد بقدرات احمد باشا على المناورة، من ذلك ما نقله اوتر، «بان احد الايرانيين أخبره بان نادراً سأل مرة أحد افراد حاشيته من هو، في رايه، اعظم من نادر؟ أجاب المسؤول بانه لا يعلم بوجود حتى من يماثله فكيف بمن هو اعظم منه! قال نادر: انت مخطئ... ان احمد باشا والي بغداد بلا ريب هو اعظم مني،

ذلك عدة وسائل : دبلوماسية وعسكرية وشعبية واقتصادية .

المقاومة السياسية : الطرق والمراسلات الدبلوماسية :

لما لاشك فيه ان الحرب النفسية تشكل ركناً أساسياً في الحرب الحديثة ، ولما لم تكن الجيوش المتحاربة في القرن الثامن عشر تمتلك من الوسائل الاعلامية للتأثير على العدو الا القليل فقد كانت الرسائل المتبادلة بمثابة الوسيلة المباشرة في التأثير على الطرف الاخر والتقليل من معنوياته : وهذا ما سنجده في الرسائل التي تبادلها نادر شاه وحسين باشا الجليلي احدهما مع الآخر في اثناء حصار الموصل عام ١٧٤٣ . وقد اطلقنا على الرسائل المتبادلة بينها ، وما حملته من معاني نفسية وسياسية بعيدة المدى ، بالمقاومة السياسية ، لكونها اتخذت الطابع الدبلوماسي .

ارسل نادر شاه من مقره في أربيل رسالة الى حسين باشا الجليلي ، مليئة بالوعد والوعيد والثبور وعظائم الامور ان لم ترضخ الموصل وتستسلم لنادر شاه . ويعد ان يُعَدّ غزواته للهند والسند والترك واحتلاله لها يقول : « أوليس لكم في اثار الماضين نبصرة ومعتبر ، الا فتذكروا اخبار الهند والسند والترك فيما وصل اليكم من وقائعهم وملاحمهم ووقائع جيرانكم من أهل كركوك وما والاها ، كيف تعتوا فتندموا ثم اطاعوا فنجوا منهم ذو الحظ في جلباب أمن وأمان وشفقة ودعة وامتنان ، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة »^(١٠) .

ويستدل من مضمون هذه الرسالة أن نادر شاه أظهر فيها ثقة كبيرة بنفسه وبقدرة جيوشه ، وذلك بقصد التأثير على أهل الموصل واضعاف معنوياتهم ، إذ كان يميل فيها الى اشاعة روح اليأس حيث يقول ايضاً : « فان كنتم لا تقدرّون الدفاع فلا تعرضوا اعزازكم للانقطاع »^(١١) .

فهو يحافظ على كيانه لمدة طويلة بين عدوين قويين ، أنا والسلطان محمود ، وهو يفعل معنا ما يريد »^(١٢) . ومهما تكن مصداقية هذه الرواية ، فانها تشير الى اعتراف الشاه بدهاء احمد باشا ، واعتقاده بإمكانية استخدام الوسائل الدبلوماسية معه بدلاً من تهديده مباشرة .

أن هذه الامثلة وغيرها من الدلائل تشير الى حنكة احمد باشا السياسية ، وقدرته على مراوغة كلا من نادر شاه والباب العالي للمحافظة على استقلال ولاية بغداد ، ولا دليل قطعاً على أن أحمد باشا كان ينوي ان يفرط بتلك الولاية لصالح الشاه الفارسي . أن هذه النزعة التي اتبعها احمد باشا جعلت نادر شاه يخاطب رئيس الوفد العثماني في مفاوضات الصلح التي تمخضت عن عقد معاهدة ١٧٤٦ قائلاً : « أن هذا الباشا (اي احمد باشا) من الوزراء المخلصين والصادقين في خدمة بلادهم »^(١٣) .

فذلك هو ما جرى سراً وعلانية بين نادر شاه واحمد باشا قبل عام ١٧٤٣ وبعده ، وهذا ما جعل الموصليين في صيف تلك السنة ، على ثقة بان مكر احمد باشا وتخاذله سيؤديان الى أن يوجه نادر شاه هجومه نحو الموصل ، لاسيما وان أحمد باشا كان يشعر بامتناع حصول حسين باشا الجليلي على مكانة في الموصل توازي مكانته في بغداد . وكما يقول اوتر : « فان احمد باشا إذا لم يكن قد ساعد بصورة مباشرة في مواصلة نادر شاه هجومه ، فانه بكل تأكيد لم يقف في طريقه عندما تقدم نحو كركوك واربيلا ومن ثم الموصل قلعة الجليليين الحصينة »^(١٤) .

وعلى أية حال ، ففي الوقت الذي كان يتم فيه تبادل الوفود بين الشاه ووالي بغداد احمد باشا عام ١٧٤٣ ، وسط مظاهر الضيافة والحفاوة الكاذبة ، كانت الموصل تستعد للدفاع عن كيائها بحماسة رسمية وشعبية منقطعة النظير ، وقد استخدمت في

وعندما وصلت رسالته هذه الى الموصل أمر حسين باشا الجليلي سكان المدينة على اختلاف فئاتهم ان يجتمعوا خارج المدينة، في «مقام الخضرة» المعروف بالجامع الاحمر، وقرأ عليهم الرسالة، ثم طلب من الحاضرين ان يبدوا رأيهم فيها، فاجتمع أمرهم على المقاومة وعدم الاستسلام بحال من الاحوال وفوضوا الوالي بما أجمعوا عليه، وقد لاقى ذلك قبولاً كبيراً في نفسه فقرر البدء بالدفاع عن المدينة مهما كلف الامر.^(١٢) وعندئذ أوعز حسين باشا الجليلي الى المفتي يحيى الفخري كتابة جواب مناسب جاء فيه: «وصل كتابكم الرسول الى العامة المشتمل بزعمكم على الطاعة، فلا تغرنكم الحياة الدنيا... فما وعيدكم عندنا الا كصيرير باب، او كما طن في لوح الهجير ذباب، تذكرنا بما فعلتم بالسند والهند مع اولئك العلوج، وتدهشونا بما فتحن من قلعتي كركوك واربيل وترعبونا بامثال تلك الاباطيل» واستهزأ حسين باشا الجليلي من غرور نادر شاه ببيتين من الشعر:

قام الحما على البازي يهدده
واستصرخت باسود البر أضبعه

يا من يسد فم الافعى باصبعه
يكفيه ما قد يلاقي منه أضبعه^(١٣)

وعلى اية حال، فقد كان جواب حسين باشا الجليلي يعبر عن الروح المعنوية العالية التي تجلب عليها أهل الموصل، والهمة العالية في الدفاع عن المدينة والاستبسال في سبيلها، اذ جاء فيه: «نحن الاسود الضارية، والسباع الكواسر العادية، اسبافنا صقيلة، وسطوتنا ثقيلة، وحلومنا رزينة، وقلوبنا كالحديد متينة، وبلدتنا - بحمد الله - حصينة...»^(١٤).

لقد اشتد غيظ نادر شاه من جواب حسين باشا الجليلي المفحم، ولذلك تقدم نحو الموصل واتخذ من ياربجة - على بعد ثلاثة أميال من جنوب المدينة - مقراً لقيادته. ومن هناك أرسل رسولاً آخر

الى الموصل يدعو أهلها الى التسليم له بالطاعة والاذعان والابتعاد عن المكابرة والعناد، لانهم بهذا يوردون بأنفسهم واموالهم موارد التهلكة والتلف وينذرهم العذاب الشديد ان هم لم يستجيبوا لرغبته هذه حيث يقول: «فان سلكتهم جادة الطاعة والتذلل، واسرعتن الى الاستقبال مستعطفين، فلم تروا إلا خيراً، اما إذا خالفتن فسيكون وبال سفك الدماء في اعناقكم». ^(١٥)

ومع شدة هذا التهديد، فان حسين باشا الجليلي، الذي عرف بقوة قلبه واصالة رأيه وحجاسته وغيرته ووطنيته، قد اعلم الرسول انه لن يشني عن رأيه حتى يسفك اخر قطرة من دمه، ويقتل آخر فرد في بلده، وعلى هذا رد الرسول بجواب خيب فيه امال سيده، قال فيه: «انا لواقون بالله ان يمدنا بالنصر المبين، فما بيننا وبينكم الا السيف والسنان فلا تعاودنا بالرسل والتهديدات وان اتانا منكم رسول آخر لأعيدنه اليكم جثة بلا رأس فتقدموا ولا تبطلوا»^(١٦). وعاد الرسول، كما يقول الصائغ، متعجباً من بسالة الاهالي وثباتهم ومعنوياتهم العالية، فابلف نادر شاه بذلك^(١٧).

وبينما كان الموصليون يتفجرون طاقة ومعنوية، مر بالموصل محمد اغا، ككتخدا (نائب الوالي) والي بغداد احمد باشا، في طريقه الى استانبول لمواجهة السلطان العثماني، وعرض مسألة التوفيق بين المذاهب، التي وعد أحمد باشا نادر شاه بحلها. وقد اجتمع بوالى الموصل حسين باشا الجليلي وقادة الجيش، واعلمهم انه سائر الى السلطان يعلمه بما عليه جيش نادر شاه من قوة وعدد، وعرض لهم بالاستسلام اليه، وحذرهم من مقاومته ولما انتشر هذا الخبر في المدينة، تحمهر الاف الناس حول السراي، يريدون قتل الكيتخدا الذي عدوه خائناً ارسل لبث التخاذل بين صفوفهم^(١٨).

وعلى اية حال، ومع أن اهل الموصل قد أعدوا العدة لمواجهة العدو ومقاومته، فان دعوة محمد اغا للاستسلامية هذه جعلتهم يشكون بمواقف أحمد

باشا ، والى بغداد ، وهذا مادعا المصادر الموصلية الحلية - كما اسلفنا ، لان تعده مسؤولا عن توجيه نادر شاه نحو الموصل .

وبعد فشل عمليات الحصار التي فرضها نادرشاه على الموصل نهائيا بادر الى طلب الصلح ، فأبى حسين باشا الجليلي مصالحته ، الا اذا قررت ترك المدينة . ويدوان نادرشاه قد ارسل مبعوثيه بقصد التعرف على حالة المدينة وأهلها ، ومقدار التأثير الذي احدثه القصف الفارسي . فلم يجد هؤلاء - كما نقلوا لنادرشاه - اي اثر لمدفعيتهم الكثيرة في المدينة ، ولم يشعروا بأي ملل على السكان ومعنوياتهم ، وعلى ذلك كرر ارسال مبعوثيه الى الموصل^(٤٩) .

يتضح من رسائل نادرشاه السابقة ، ومن الظروف التي اصبحت تحيط به ، انه اصبح مضطراً لعقد الصلح مع حسين باشا الجليلي . وعلى هذا الاساس ، فقد اختلفت لهجة الرسائل التي بدأ نادرشاه يبعثها الى خصمه ، اذ تحولت من رسائل تهديد ووعيد الى رسائل التماس وتواضع . فقد كتب نادرشاه الى حسين باشا الجليلي يلتزمه ارسال اثنين من قبله لعقد الصلح بينها . فأرسل القاضي والمفتي وقرّة مصطفى من أعيان البلد ، فعندما وصلوا الى قرية القاضية ، حيث كان نادرشاه مخيماً ، استقبلوا بخفاوة بالغة ، مما يدل على موقفه الضعيف ، ورغبته في عقد الصلح مضطراً . وبعد تردد الرسل تقررت قواعد الصلح بين الطرفين^(٥٠) . ولم يلبث نادرشاه الا قليلاً حتى بدا يشد رحاله عن مدينة الموصل وهو يرمق المدينة الالية بحسرة وكمد ، غير أن اهل الموصل لم يطمئنوا الى موافقته ولم يأمنوا معاودته فبقوا متربصين حتى قطعوا الشك باليقين^(٥١) .

المقاومة العسكرية :

بعد نجاح الموصلين في ردّ هجوم نادرشاه الواسع على مدينتهم من الامور التي تلفت نظر الباحثين باستمرار ، وذلك للتباين الواضح بين

قواتهم وقوات العدو ، والتباين في مستوى التسليح ايضا . فن الامور المتواترة ان قوة الرتل الشمالي الذي قاده نادرشاه نحو الموصل يقدر ب (١٧٥,٠٠٠) مقاتل . وقد التحق به رتل الاسناد الثقيل الذي يقدر ب (٤٠,٠٠٠) مقاتل ، فصار مجموع القسم الاكبر (٢١٥,٠٠٠) مقاتل على ابواب كركوك . وبطرح خسائر المعارك المتعاقبة وما أفرزته من حامية على طريق المواصلات ، وما خصص من ارتال ثانوية لواجبات المشاغلة والتثبيت ، فضلاً عن الرتل الثانوي الذي افرز للتقدم على طريق زاخو - جزيرة ابن عمر والمقدر ب (٣٠,٠٠٠) مقاتل ، يكون قد تبقى قبالة الموصل ما يقرب من (١٧٥,٠٠٠) مقاتل نظامي وغير نظامي . وهذا هو الرقم الذي صرح به مفتي الجيش الفارسي ، ولتصريح المناوئ دلالة غير خافية .

أخبرنا مفتيهم أنّ الفشة

خمس وسبعون تليها مئة وانما تمييز ذي الاعداد الف بلا نقص ولا أزيد^(٥٢)

ولم تكن قوات الموصل ، ازاء ذلك كله ، الا نحو (٣٠,٠٠٠) اي بنسبة (١ الى كل ٦) ، موزعين كالآتي :

٥٠٠٠ حامية الموصل النظامية المؤلفة من خمسة افواج معززة بالمدفعية .

٢٠٠٠ النجدة الحلية مع المحافظ حسين باشا القازوقجي .

١٥٠٠ متطوعون اكراد

٥٠٠ خيالة الارياض

٥,٠٠٠ قوات محلية شبه نظامية

١٦,٠٠٠ ابناء الموصل من القادرين على حمل

السلاح وبعض ابناء العشائر العربية

٣٠,٠٠٠ المجموع الكلي

وفي الوقت الذي كانت فيه قوات نادرشاه تجهز باحدث الاسلحة آنذاك ، فان قوات الموصل النظامية ، التي انقطعت صلتها الحقيقية بالقيادة

العامة للقوات المسلحة العثمانية منذ اواخر القرن السابع عشر، لم تمتلك من المعدات والاسلحة الا قليلاً. كما انها لم تكن قد شاركت في معارك دفاعية يمثل هذا المستوى من قبل، ولم يسبق للسكان انفسهم ان ساهموا في حرب منذ ان احتل العثمانيون المدينة قبل قرنين من تاريخ الحصار^(٥٣).

ومهما يكن من امر، فان أخبار دخول القوات الفارسية الاراضي العراقية كانت قد تسربت الى الموصل قبل وصول نادرشاه الى كركوك، وقد يكون ذلك التسرب عن طريق القوافل التجارية التي تسلك طريق بغداد- الموصل. وعلى اثر وصول نادرشاه الى كركوك وأربيل واحتلاله هاتين المدينتين، فقد استنفرت الجهود قاطبة للدفاع عن الموصل.

والى جانب الخطر الوشيك الذي كان يحيط بالمدينة فقد كان هناك شعور عام بأن اسوار الموصل قد لاتصمد طويلاً امام هجوم قوي، بخاصة وان تلك الاسوار- كما يقول لانزا- ليست على درجة كبيرة من الحصانة^(٥٤). وفضلاً عن ذلك، فان وجود نقص في التجهيزات الحربية قد أثار شكوكاً مماثلة حول الفترة التي يمكن للموصل ان تصمد في حالة الحصار، اذ يقول نيور في ذلك: «لم تكن لدى حسين باشا الجليلي الاستعدادات الكافية للقتال والمؤن والذخائر الحربية اللازمة»^(٥٥). ومع ذلك، فان اوتر Otter، الذي ترك المدينة في حزيران عام ١٧٤٣، شاهد بأن اعمال تجديد اسوار الموصل قد بدأت بالفعل^(٥٦).

وعلى اية حال، عندما تأكد حسين باشا الجليلي ان الموصل ستصبح هدف نادرشاه، فقد بدأ أولى اعماله الرئيسية وذلك بالعمل على اعادة تحصين اسوار المدينة، وهو مشروع حقق فيه هذا القائد نجاحاً كبيراً، في شهري تموز وآب^(٥٧). بدأت اعمال التحصين بحفر الخنادق حول المدينة، وهي مهمة لم يكن انجازها سهلاً لولا

تفاني الموصليين التام في ذلك. فقد استجاب الناس على اختلاف شرائحهم الاجتماعية لنداء الوالي، وكان للجميع دور فعال في عمليات الحفر، حتى ان حسين باشا الجليلي واولاده قد ساهموا في هذا المشروع الضخم^(٥٨). ثم تناول العمل الاجزاء المتصدعة من سور الموصل القديم، وظهر الجميع همة عالية في تعمير ماتهدم منه، حيث بنوا بالحجارة الجديدة كل الثلم والثغرات الموجودة فيه. واسرع الاهالي لتلبية امر حسين باشا الجليلي لتسوية كل العوارض الطبيعية من روابي وتلال حول المدينة لئلا يستفيد منها الغزاة في التسلط على المدينة^(٥٩). ثم أعدت اخر الاستعدادات حيث حصنت القلاع بالمدافع وجهزت بالذخيرة اللازمة، وبفضل هذه التعزيزات الحسنة التوقيت رفض حسين باشا الجليلي بكل ابناء وشمم طلبات الوفد الفارسي القاضية بالاذعان للشاه، وارسل اخاه عبدالفتاح بك، مع قسم من قواته ليقاوم طليعة الجيش الفارسي.

لقد ازدادت القوات العاملة والمحاربة في الموصل عن طريق وصول عدد كبير من اهالي القرى المجاورة الى الموصل، الذين تركوا قراهم بوجه اعمال نادرشاه التخريبية. وقد وجد هؤلاء ملاذهم في هذه المدينة الصامدة، اذ رحب بهم حسين باشا الجليلي، وشجعهم بأن يستعيدوا معنوياتهم بوجه هجوم نادرشاه المتوقع، وعمل على توفير السلاح للقادرين منهم على حملته^(٦٠). ولعل الاهم من ذلك، كما يقول القس حبش بن جمعة، الذي كان شاهد عيان للاحداث، ان حسين باشا الجليلي نفسه قد امر سكان القرى المحيطة بالموصل، ومن بينهم سكان مدينة قرة قوش (مركز قضاء الحمدانية اليوم)، بالقدوم الى مدينة الموصل قبل ان يلحقهم اذى القوات الفارسية الغازية، وقد استجاب هؤلاء لنداء الوالي الغيور^(٦١).

وفي تلك الظروف اثبت حسين باشا الجليلي انه

بطل من طراز غير اعتيادي ، وذلك لما امتاز به من دور كبير كقائد في المعركة. فنذ اللحظات الاولى بدأ هو واولاده وافراد أسرته الآخرون في مشاركة الناس بأعمال التحصين ، وحينما بدأت المعارك برهن على كفاءته النادرة ، لكونه من اولئك الرجال الذين تلعب قدرتهم عند اشتداد الازمات. وتحدثنا المصادر التاريخية الكثير عن مشاركة حسين باشا الجليلي الفعالة في سير المعارك ، اذ عندما استطاعت المدفعية الفارسية ان تحدث صدعاً في بعض ابراج باشطاليا ، كان هو نفسه اول العاملين على اصلاح الصدع ، على الرغم من ان احجار السور- كما يقول المصري- كانت تهوي عليه كالطمر.^(١٢)

كان الجليلي يراقب الاسوار ليلاً ونهاراً ، وفي الوقت نفسه كان يطوف على المقاتلين ويقوي عزائمهم ويحثهم على الثبات. يحدثنا في ذلك حسين باشا القازوقجي الذي كان مرافقاً لحسين باشا الجليلي قائلاً : «كنا نتفقد الطايبات دائماً ونقيم فيها ليلاً ونهاراً... كما كنا نقف وراء ابطالنا ، ونقوي ونشوق رؤوسا العساكر واحاد الجنده...»^(١٣) كشف لنا اشتداد المعارك ، بخاصة «معركة الالغام والسلام» ، طبيعة العلاقة القوية بين القائد وجنوده. فبينما كان حسين باشا يقاتل مع الجنود الذين اظهروا التفاهم حوله ، كان نادرشاه يقف مسافة بعيدة عن جنوده ، وكان قد وضع ثلة من الخيالة - وهو معهم - خلف المهاجمين ، وامرهم بأن يفتكوا بالمنزيمين من جيشه عند اشتعال اوار المعركة. والى هذا اشار التقرير الرسمي لحسين باشا القازوقجي بقوله : «وكان الشاه بين الخيالة في منخفض هناك ، حيث اراد منع الفارين وارجاعهم ، وكان يسير بجواده يساراً ويميناً وينادي باعادة الرجال ، فلم يصغوا ولم يلتفتوا»^(١٤).

وفي سير العمليات العسكرية استخدم الطرفان خططاً مختلفة وفقاً لتغير مجرى الحرب. فبعد ان فشلت خطة نادرشاه في اجبار الموصليين على

الاستسلام عن طريق المراسلات الدبلوماسية ، لجأ الى فرض الحصار على مدينتهم ومهاجمتها. وكانت اولى مناوراته في هذا المجال ان حاول جرّ قوات الموصل الى معركة خارج اسوار المدينة ، حيث ارسل قوة فارسية تقدر بعشرة آلاف فارس ، فخرجت للقائها مفرزة من الخيالة الموصلية تقدر بـ ٧٠٠ او ٨٠٠ فارس ، بقيادة أخيه والي الموصل الشاب عبدالفتاح الجليلي. وقد حاولت قوة فارسية اخرى اسر هذه المفرزة وقطع خط الرجعة عليها ، ولكن قائد المفرزة فطن للمكيدة فاستطاع العودة بجنوده الى داخل المدينة ، حيث سدت الابواب وبدأت مرحلة جديدة في سير القتال.^(١٥)

وعند ذلك اتخذ نادرشاه من يارجه ، التي تبعد ثلاثة اميال عن الموصل ، مقراً لقيادته ، وكانت خطته في هذه المرة تقضي بقصف المدينة قصفاً شديداً ومركزاً ، لاحداث اكبر خسائر ممكنة بها ، واجبارها على الاستسلام غير المشروط له. وعلى ذلك امر بنصب العاير عبر دجلة ، اعلى الموصل واسفلها وارسل قسماً من قواته الى الجانب الغربي من النهر ، كي يكلوا الاحاطة بالمدينة وأمر في الوقت نفسه بنشيد اثني عشر برجاً كل منها يقابل برجاً من ابراج الموصل ، ونصب عليها مدافعه الضخمة التي تتكون من ١٦٠ مدفعاً ثقيلًا ، و ٢٣٠ مدفعاً خفيفاً.^(١٦)

في ٢٨ ايلول ١٧٤٣ فتحت المدفعية الفارسية نيرانها دفعة واحدة ، واستمر القصف على هذه الشاكلة ثلاثة ايام بلياليها دون اي توقف. ومن جهة اخرى فقد اقام حسين باشا الجليلي مدفعيته مقابل ابراج العدو ، حيث بدأت ترد على نيران المدفعية المعادية بالمثل.^(١٧)

عندما لم يجد القصف الفارسي نفعاً عمد نادرشاه الى تغيير خطته ، فأمر بقصف المدينة من جانب واحد ، بقصد احداث ثغرة في السور للنفاذ منه عنوة ، فركزت مدفعيته نيرانها على برج باشطاليا

الشامي، وهو مقر قيادة الوالي حسين باشا الجليلي، الذي اضطر الى تركه، والتوجه الى السراي. ومع ان هذا القصف قد ادى الى احداث ثغرة في السور، غير ان صمود المدافعين ومثابرتهم الباسلة قد مكنتهم من سد تلك الثغرة، دون ان يستفيد العدو منها. ويعلق نيبور على هجوم نادرشاه هذا بقوله: «وكان «نادرشاه» لا يعرف شيئاً من فنون حصار القلاع، اضافة الى ان الفرس كانوا لا يحسنون فن المدفعية. فلقد هاجم نادرشاه المدينة من الجهة الشمالية الغربية عند الباب العمادي حيث كان من اشد جهات سور المدينة حصانة، كما كانت هذه الجهة خالية من السكان تقريباً»^(٦٨).

لقد قدر ما ألقي على المدينة من قنابل بأربعين الف او خمسين الف قنبلة ومائة الف قذيفة مدفع^(٦٩) الا ان تأثير هذه القنابل كان قليلاً، لان مفعولها كان يطل بفعول آبار الخنادق القائمة خلف السور، او انها تنفجر في الهواء وتسقط بين البيوت المبنية من الجص والحجر دون ان تنفجر، فليجأ الموصليون - كما يقول نيبور - الى جمعها واستعمالها مرة اخرى ضد الجيش الفارسي^(٧٠).

وبعد ان يش نادرشاه من احتلال الموصل عهد الى خطط عسكرية ومعنوية اخرى، اكثر تأثيراً على السكان، حيث قام بتحويل احدى شعبي دجلة، وبالذات تلك التي تجري تحت الموقع المعروف بقره سراي (السراي الاسود) والتي كان الناس يشربون ويأخذون حاجتهم منها، حولها الى شعبة اخرى بعيدة بقصد تعطيش الناس وايدائهم، مما اضطرهم الى شرب مياه الابار^(٧١) واستعمل في الوقت نفسه عنصر المباغثة في مهاجمة السكان، اذ تظاهر بالمسير عنهم اياماً حتى يركنوا ويأوؤا الى بيوتهم مطمئنين ثم يباغتهم على حين غرة. وقام خلال ذلك بمهاجمة القرى المحيطة بالموصل ونهب كل ما فيها من مواد ومؤن غذائية، ووصل بجيوشه الى جزيرة ابن عمر، ولم يسلم احد من

فتكه^(٧٢) الا ان عزائم أهل الموصل لم تغتر البتة، على الرغم من اتباع الفرس شتى أساليب الحيل والخداع خلال فترة الحصار، اذ كان اهلها - حسبما يقول الصائغ - قد زادوا في تحصينها مدة غيابه، وحكموا اسوارها واستحضروا المؤن والعدة^(٧٣).

لم تكن جعية نادرشاه قد خلت بعد، فلما عاد الى الموصل بدأ يجرّب خطة عسكرية اخرى، هذه الخطة تقوم على وضع الغنام تحت سور المدينة لنسفه بالبارود وتهديمه، على ان يقوم بعض الجنود الفرس باعتلاء اسوار المدينة بواسطة السلالم، ومن ثم يلقي هؤلاء بأنفسهم الى داخل المدينة ساعة النصف. غير ان هذه الخطة لم تكن بأحسن من سابقتها، اذ لم يتفجر من اللغام الا اثنان، وقد ألحق هذان اللغمان اضراراً بالقوات الفارسية اكثر مما ألحقاه بالموصليين انفسهم، في حين تعطلت الاخرى بسبب الرطوبة المتسربة من الابار.^(٧٤)

لقد وقع الجنود الذين تسلقوا سور المدينة فريسة سهلة بيد المقاتلين الموصليين، الذين لم يتركوا احداً منهم الا اردوه قتيلاً بوابل من نيران بنادقهم، وكان هذا هو شأن من كان منهم في الخنادق ايضاً، بحيث كان عدد القتلى الفرس في ميدان المعركة لذلك اليوم وحده زهاء ٤٥٠٠ بينما لم يستشهد من جنود الموصل الا نحو مائة نفر^(٧٥) وبهذه المعركة الفاصلة حسمت نتيجة الحصار، بعد ان دام اكثر من اربعين يوماً، فقد الفرس فيه كثيراً من الرجال والمعدات ورجعوا ويجرون اذيال الخيبة دون ان ينالوا من المحاصرين - كما يقول لانتزا - قلامة ظفر بعد ان كانوا قد اعترموا سلهم.^(٧٦)

وخلاصة القول، فقد اظهرت الموصل التفافاً حول قيادة الوالي حسين باشا الجليلي الذي تمكن من الوقوف بوجه الحصار ومقاومته ببطولة وبسالة، فأثبت من خلال حنكته السياسية وكفائته العسكرية انه جدير بالقيادة. اذ تحدثنا المصادر

التأريخية بأنه كان يراقب تحركات الجيش الفارسي باستمرار، ويخطط لما يتوقعه منهم، فيعد العدة لمقابلتهم، وهو في ذلك لم يكن يقطع في قراره الا بمشورة قواده العسكريين واعيان البلد (٧٧)

المقاومة الشعبية :

قبل التحدث عن المقاومة الباسلة التي أبدتها المجتمع الموصل لرد الفرس الغزاة ، لابد من دراسة هذا المجتمع ومعرفة عناصره المختلفة التي وقتت صفاً واحداً في المعركة. فلقد تميزت الموصل ، عبر حقبة التاريخ ، بتعدد العناصر البشرية التي سكنتها من العرب والاكرد والتركمان ، فضلاً عن الاقليات الدينية الاخرى. وقد عاشت هذه العناصر ازماناً طويلة متجاورة ، تجمعها روابط تاريخية وحضارية وسياسية مشتركة ، ادت بالتالي الى صهر تلك العناصر في بوتقة واحدة ، بخاصة وان مدينة الموصل كانت سوقاً تجارية كبيرة ، فاختلطت فيها العناصر المختلفة. وفضلاً عن ذلك ، فقد كان لتولي آل الجليلي مقاليد السلطة السياسية في الموصل ، اثر كبير في توحيد تلك العناصر حتى حازوا على ثقة وولاء المدينة بأسرها (٧٨) وهذا ما حصل ايضاً اثناء حصار الموصل حيث شارك الجميع -كما سنرى- في الذود عن المدينة. (٧٩)

والحقيقة ان حسين باشا الجليلي استطاع تعبئة قواته المحلية على نحو يثير الاعجاب ، كما نجح في اثارة حماس مواطنيه وفي تجسيد المخاطر التي ستحيط بهم لو تمكن نادرشاه من احتلال مدينتهم. لقد وخذ الجليلي مختلف ابناء الموصل وبهذا قادهم الى النصر. والى هذا المعنى اشار القس حبش بن جمعة بقوله : فاجتمع اهالي المدينة ، ودعاهم الجليلي الى نبذ الخلافات وان يكونوا قلباً واحداً ويدا واحدة... كما اوصاهم قائلاً : وايها الاخ الاعزاء يجب علينا ان نقاتل سوية حتى الموت : ينتصر علينا هذا الطاغية (نادرشاه) ميسي فيياتنا

المحصنات وامهاتن ويتهكهن ، واذا ماوقع هذا الامر الشنيع ماذا تنفعنا الحياة بعد». وعلى ذلك - كما يقول ابن حبش - قاموا قومة رجل واحد وهبوا اسلحتهم واعادوا ونصبوا المنجنيقات (المدافع) على اسوار المدينة واقاموا عليها رجالاً اشداء يحافظونها ليلاً ونهاراً ويقفون بوجه العدو الفارسي الذي لا يعرف معنى الرحمة. (٨٠)

لقد عبأ حسين باشا اهل الموصل واعدهم اعداداً معنوياً ومادياً. فن الناحية المعنوية ، حاول ان يستثير همهم الى اقصى الحدود منذ الساعات الاولى التي تعرضت فيه المدينة لخطر الحصار. فعندما ارسل نادرشاه رسوله الاول الى مدينة الموصل ، طالباً استسلامها ، جمع الجليلي اهل المدينة وخطب فيهم ، وطلب منهم ان يبدوا رأيهم في الامر فما كان منهم الا ان اجابوه بصوت واحد قائلين : «انكم قد عينتم والياً علينا وادع اليكم أمور بلدتنا وتدير شؤوننا ومحافظتها فانت الامين المطاع من كبيرنا وصغيرنا ولك الامر فيما تراه وترده ، وليس بيننا من يخالف من تأمر به ، فنحن كلنا مستعدون لتنفيذ كل ما تأمر به». (٨١) ومن الناحية المادية ، عمد الجليلي الى توفير كل المستلزمات التي يتطلبها المدافعون من مؤونة وسلاح ، وفي هذا يقول فتح الله القادري في ارجوزته المشهورة :

ورتب الرايات والبنودا

وحرض الرجال والجنودا

اعطى من السلاح والسيوف

وصرنا لانحش من الخوف

وفي سياق التعبئة المعنوية والمادية ايضاً ، دعا حسين باشا الناس الموجودين خارج الموصل ، بخاصة سكان القرى المحيطة بها ، بأن يدخلوها خوفاً من تسلط العدو عليهم. وقد دخل المدينة بالفعل اعداد كبيرة ، وقد استقبل حسين باشا هؤلاء

بترحاب كبير، وإعداد الثقة الى نفوسهم، فتحولوا الى قوة كبيرة عاملة، اذ ساهموا مع اهل الموصل في تدعيم الاسوار والحصون وحفر الخنادق واجراء الماء فيها، وجلبوا للمدينة القوينات التي قيل بان المدينة كانت بأمنس الحاجة اليها ائذذاك. يقول لائرا في ذلك: «لما قدم نادرشاه هذا القطر بجيش جرار للاستيلاء على الموصل لجأ اليها عدد كبير من العرب والاكرد ومن نصارى القرى المجاورة وتحالفوا على الدفاع عنها وصاروا جميعاً يحفرون الخنادق المحيطة بسور المدينة ويبنون بالجص والحجارة الاجزاء المتصدعة منه» (٨٢).

لقد اشترك المجتمع الموصلّي بكافة فئاته المختلفة في الدفاع عن المدينة، الجنود والعمال والبنائون، وكان حسين باشا الجليلي يدور حول الاسوار والبلد، يقوي المقاتلين والعمالين على الصمود والثبات، ويصدر العدو بعيونهم، كما كان المشجعون يطوفون على السور والابراج يحثون الجيش على الثبات. اما سكان المدينة الآخرون من النساء والاطفال والشيوخ، الذين تعرضوا لقصف مدفعي شديد، فقد انزلوا الى السرايب الموجودة تحت الارض، وذلك حفاظاً على أرواحهم، ولم يبق خارج السرايب الا الذين يقاتلون من فوق الاسوار (٨٣). وهكذا تضافرت جهود جميع الموصلين في الدفاع عن المدينة وحمايتها، وكان لحسين باشا الجليلي الدور الاكبر في تنظيم المقاومة الشعبية لابناء المدينة بشرائعهم المختلفة، حيث اقبلوا على العدو بحماسة وإيمان.

المقاومة والصمود الاقتصادي :

لا يقل الصمود الاقتصادي اهمية عن العوامل الآخري في الدفاع عن المدينة وثباتها، وذلك لما يعنيه توافر المؤونة والطعام من طمأنينة في المواطنين، بخاصة وان العدو كان يطبق سياسة التجويع والتعطيل على مدينة الموصل. فن المعروف ان نادرشاه ومنذ ان احتل مدينتي كركوك واربيل امر قواته بتدمير القرى المجاورة للموصل وتخريبها ليحول

دون استفادة المدينة من مصادر تموينها بأي طريقة من الطرق. وقد كرر هذه العملية حتى في اثناء حصار الموصل، اذ وجه قسماً من جيشه لتخريب قرى الموصل وحرقها، وذلك بقصد قطع القوينات عن هذه المدينة، واثارة الخوف والبلبل بين أهاليها. وعلاوة على ذلك، فقد سبقت الاشارة الى ان نادرشاه حاول تحويل احدى شعبي دجلة عن المدينة مستهدفاً منع وصول الماء الى السكان، بحيث اضطروا الى شرب مياه الابار. وقد اشار القازوقجي الى ذلك بقوله: «حصل ضيق وحيرة من جراء ذلك عند المحافظين المحصورين، لكن بفضل انفجار الينابيع، لم يقم في قلوبهم الملأى بالغيرة، ولا في عواطفهم اضطراب وتشويش» (٨٤).

كما سجلت لنا الارجيز التي تناولت حصار الموصل، كثيرا من الحقائق التاريخية، ومن بين ذلك مسألة تحويل احدى فروع نهر دجلة القريبة من المدينة، حيث جاء في ارجوزة فتح الله القادري الآتي :

وقبلها بخمسة ايام

قد قطعوا الماء عن الانام

قد جاءه الملعون كي يقطعه

وعن عباد الله ان يمنعه

عارضه المولى الوزير الاكرم

السيد الحبر الجليل الافخم

قد جاء بالاخشاب والدلاء

واستحضر الاحواض للسقاء

قابل ذا الملعون بالرصاص

ماكان للسائقين من خلاص

فامتنع الناس عن الماء

بل تركوا السقي بلا استثناء

ثم ابتدأنا شرب ماء البير

كل كبير كان او صغير (٨٥)

وعلى الرغم من ان اثار الحصار الفارسي

للموصل كانت مريرة وقاسية، فان هنالك حقائق

اساسية مهمة بالنسبة لوضع الموصل الاقتصادية وصمودها تبث على الاطمئنان ، اشار اليها كثير من الرحالة الاوربيين . فمن الملاحظ ان سكان الموصل اهتموا كثيراً بتشديد مخازن خاصة تحت الارض لحفظ الحنطة بكميات كبيرة ، قد تصل مدة حفظها - كما يقول لانزا - الى عشرين سنة او اكثر . ويضيف في وصف تلك المخازن قائلاً :

«وهناك نوع آخر من البنايات تحت الارض ، الكبيرة منها والصغيرة ، ويسمى الصغير منها ١٠٠ او ٢٠٠ كيس من الحنطة ، والكبير الى ٤٠٠ وهي عميقة تحيط بها جدران قوية مطلية بالزفت لحفظ الحنطة التي يحتاج اليها الاهلون وتسد باهتمام . وحياناً يسد قم الحفرة الى عمق ذراع تحت الارض بحيث لا يشك أحد بوجود شيء في ذلك المحل» (٨٦) .

وما يؤكد ذلك مذكره نيور عند زيارته للموصل عام ١٧٦٦ ، حيث شاهد بعض المخازن المملوءة بالخبز اليابس (الرقاق) ، التي مضى على خزينها خمس عشرة سنة او اكثر (٨٧) .

ومما يكن من امر ، فمن المعروف أن قرى الموصل المتعددة ، كانت ولا تزال ، تنتج كميات كبيرة من الحنطة والعدس والحمص والسمسم ، وقد استطاعت هذه المدينة ان تدخر كميات وافرة منها ، حتى قبل أن يفرض نادرشاه حصاره عليها . وقد عبر عن ذلك الشاعر فتح الله القادري بقوله :

هذا وقد صار حصاد الغله

وكان بالموصل منها قله
فأخرج الناس الى الحصاد

أجابوا بالسمع بلا عناد
وقالوا دوسوا ثم ذروا وانقلوا

غلتكم ، واحذروا نصحي تهملوا
هذا وقد أوى لكل قرية

مباشراً لحفظ تلك الغله

فكل من كان قريب الموصل
فاز بتبن وبقوت وحلي

واشتغلت أهل القرى بالنقل

من غلة وخشب ويقل (٨٨)

وعلى ذلك استطاعت مدينة الموصل ان تصمد اقتصادياً ، كما صمدت سياسياً وعسكرياً وشعبياً ، فشقت طريقها نحو النصر .

ان حصار نادرشاه للموصل كان واحداً من اضخم الحصارات التي شهدتها القرن الثامن عشر ، الا ان فشله في احتلالها قد أدهش المؤرخين ، المعاصرين منهم والمحدثين ، وذلك لعدم وجود توازن في العدة والعدد بين المهاجمين والمدافعين . فبينما جمع نادرشاه جيشه من مناطق عديدة من امبرطوريته الواسعة ، ومن المناطق التي احتلها ، فقد اقتصر قوة الموصل على قواتها الذاتية ، تلك القوات التي أهم ما كانت تمتاز به انها التفت حول قيادة الوالي حسين باشا الجليلي ، وصمدت بالتعاون مع أهل المدينة ، فتوج ذلك الصمود بنصرها ، واندحار نادرشاه وتركه العراق مذعوراً خائباً .

ان دراسة حصار الموصل وفشله ، تجعل المؤرخ امام عدد من الحقائق المهمة :

١- ان تمسك أهل الموصل بأرضهم وإيمانهم بعدالة قضيتهم وخشيتهم على حريتهم واموالهم من بربرية الجيش الفارسي منحهم القوة والجلد وشدة البأس ودفعهم ذلك كله الى الاخلاص في البذل والتضحية لصعد عادية ذلك الغازي المتعطش للدماء .

٢- ان فشل نادرشاه في احتلال الموصل ، ونجاح أهل الموصل في الدفاع عن مدينتهم ، لم يكن ليعود الى جهود السلطة المركزية العثمانية ، بل الى جهود حكومة الموصل واهاليها انفسهم ، الذين وقفوا جنباً الى جنب خلف الوالي الكفوء حسين باشا الجليلي .

٣- ان صمود الموصل بوجه الغزاة قد أدى الى عدول نادرشاه عن حصار بغداد نهائياً ،

- (١٠) عاد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني : فترة الحكم المحلي ١٧٢٦- ١٨٣٤ (مطبعة الاداب في النجف الاشرف، ١٩٧٥)، ص ٥٣- ٥٤.
- (١١) الموصل في القرن الثامن عشر، عرّبها عن النص الايطالي القس روفاليل بيميدويد (مطبعة الشرقية في الموصل، ط ٢، ١٩٥٣) ص ٤٦.
- (١٢) كارستني نيور، رحلة نيور الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمه عن الالمانية الدكتور محمود حسين الأمين (شركة الجمهورية للنشر والطبع، بغداد، ١٩٦٥)، ص ١١٢.
- (١٣) محمد أمين بن خير الله العمري، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدياء، حققه ونشره سعيد الديوه جي (مطبعة الجمهورية، الموصل، ١٩٦٧)، ج ١ ص ١٤٧، القس سليمان صانع الموصل، تاريخ الموصل (المطبعة السلفية بمصر، ١٩٢٣) ج ١ ص ٢٧٥.
- (١٤) العمري، منهل الاولياء، ج ١ ص ١٤٧.
- (١٥) الصانع، تاريخ الموصل ج ١ ص ٢٧٧.
- (١٦) ديوان حسن عبد الباقي (١١٠٠- ١١٥٧ هـ)، حققه ونشره محمد صديق الجبلي (مطابع الجمهورية، الموصل، ١٩٦٦) ص ص ٤١- ٤٢، انظر القصيدة ايضا في العمري، منهل الاولياء، ص ص ١٤٨- ١٤٩.
- (١٧) العمري، منية الادباء، ص ١٨.
- (١٨) د. عبد الامير محمد امين، عرض لكتاب السيد روبرت و. أولسن، حصار الموصل والملاقات الفارسية العثمانية ١٧١٨- ١٧٤٣، دراسات (الاردن)، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع (١٩٨٧) ص ٢٣٤.
- (١٩) ل. لوكهارت، حملة مايين النهرين، ترجمة عبد القادر التحاني، مجلة الرسالة الاسلامية، العدد (١٠٣)، السنة العاشرة (نيسان، مايس، ١٩٧٧)، ص ٨٤.
- (٢٠) الصانع - المصدر السابق، ج ١ ص ٢٧٨.
- (٢١) رسول حاوي الكركوكلي، دوحه الزوراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء، نقله من التركية موسى كاظم نورس (بيروت، د. ت) ص ٥٠.
- (٢٢) العمري، منهل الاولياء، ج ١ ص ١٥٠، العمري، منية الادباء، ص ١٨٠.
- (٢٣) المصدر نفسه ص ٨.
- (٢٤) القس حبش بن جمعة، غزوه طهاسب للراق في وثيقة سريانية (مكتبة عام ١٧٤٦)، نشرها بهنام دانيال، مجلة بين النهرين، السنة العاشرة، العدد ٣٧- ٣٨ (١٩٨٢)، ص ١٣٢.
- (٢٥) العمري، منية الادباء، ص ١٨٠.
- (٢٦) ياسين العمري، زبدة الآثار الجلية، ص ١٠٠، وتؤكد سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣٢٥ هذا الخبر ايضا بالصيغة نفسها. انظر: ملحق منية الادباء رقم (١١)، ص ٢٧٣.
- (٢٧) الصانع، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٧٨.
- (٢٨) محمد ثريا، سجل عثماني، او تذكارة مشاهير العثمانيين (استنبول، ١٣٠٨)، ج ١ ص ٢٥٠ نقلًا عن علاء موسى كاظم نورس، حكم المالك في العراق ١٧٥٠- ١٨٣١ (دار

وسحب قواته من المدن العراقية الاخرى، وتراجع عن مطالبه التي اتخذها ذريعة للهجوم على العراق. وفي معاهدة ١٧٤٧ الموقعة بينه وبين الباب العالي وافق على التنازل عن الاراضي العراقية التي كان قد احتلها^(٨٩).

٤- ويرى (اولسن): ان فشل نادرشاه في احتلال الموصل انقذ الامبراطورية العثمانية من الانهيار العاجل، ووفر لها فرصة الحياة لمدة قرنين آخرين. ومع ان هذا القول لا يخلو من المبالغة، الا انه فيما يخص العراق قد قضى على طموحات نادرشاه التوسعية تجاه هذا القطر، فضلا عن حرمانه من الاندفاع في آسيا الصغرى، واجهاض الامبراطورية الواسعة التي كان يحلم بها في منطقة الشرق الاوسط.

الهوامش

- (١) علي شاكور علي، تاريخ العراق في العهد العثماني: ١٦٣٨- ١٧٥٠ دراسة في احواله السياسية (مشتورات مكتبة ٣٠ تموز، نينوى، ١٩٨٥) ص ١٨٢.
- (٢) ستيفن هيسلر لونكرنك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله الى العربية جعفر خياط (دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، ١٩٤٩) ص ١٣٠.
- (٣) المصدر نفسه، ص ١٣٣.
- (٤) المصدر نفسه، ص ١٤٠.
- (٥) المصدر نفسه، ص ١٤٠.
- (٦) ل. لوكهارت، حملة مايين النهرين، ترجمة عبد القادر التحاني، مجلة الرسالة الاسلامية، العدد ١٠٢ (اذار- نيسان، ١٩٧٧) ص ٨٨، انظر ايضا الدكتور علاء نورس، العراق في العهد العثماني: دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠- ١٨٠٠ (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩) ص ١٨٦.
- (٧) علي، المصدر السابق، ص ١٥٥.
- (٨) ياسين بن خير الله العمري، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية، حققه وعلق عليه عاد عبد السلام رؤوف. (مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ١٩٧٤)، ص ٩١.
- (٩) ياسين العمري، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدياء، تحقيق ونشر سعيد الديوه جي (مطبعة الهدف، الموصل، ١٩٥٥)، ص ٨٠.

- (٥٠) العمري، منهل الأولياء، ج ١ ص ١٦٠ - ١٦١، الصانع، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٦ - ٢٨٧.
- (٥١) عبد الجبار العمر، صفحات من الحروب العراقية - الإيرانية: ملحمة الموصل، الملاحق عريية، العدد ٦ - ٨ (نيسان، ١٩٨١) ص ٣٧.
- (٥٢) عبد القادر زيل التحاني، صمود الموصل والبصرة تجاه الغزو النادرى ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣، مركز البحوث والمعلومات، ندوة الفكر العسكري العربي (بغداد، ١٩٨٦)، ص ١٦.
- (٥٣) الدكتور عبد عايد السلام رؤوف، معارك العراق ضد الغزاة، في كتاب الجيش والسلاح (بغداد، ١٩٨٨) ج ٥ ص ٣٥٧.
- (٥٤) الموصل في القرن الثامن عشر، ص ١١.
- (٥٥) نيبور، المصدر السابق ص ١١٦.
- (٥٦) Quoted by: Olson, op. cit, p. 170.
- (٥٧) Olson, op. cit, p. 170.
- (٥٨) العمري، منهل الأولياء، ج ١ ص ١٥١.
- (٥٩) المصدر نفسه.
- (٦٠) Olson, op. cit, p. 170.
- (٦١) جمعة، المصدر السابق، ص ١٣٠ - ١٣١.
- (٦٢) العمري، منهل الأولياء، ج ١ ص ١٥٦.
- (٦٣) التقرير الرسمي لحسين باشا القازوقجي، ص ٢٨٦ - ٢٨٧.
- (٦٤) المصدر نفسه، ص ٢٨٧.
- (٦٥) سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣٢٥، ملحق منية الادباء رقم ١١، ص ٢٧٥.
- (٦٦) الصانع، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٨.
- (٦٧) المصدر نفسه، ج ١ ص ٢٨٤.
- (٦٨) نيبور، المصدر السابق، ص ١١٦.
- (٦٩) انظر تلك التقديرات في العمري، منهل الأولياء، ج ١ ص ١٥٥ - ويقدره قتح الله القادري بنحس واربعين الف قبلة حيث يقول:
- خمس واربعون الف قنبرة
من بعدها خمسون الف حجرة
بل مائتا الف من الطرود نعم
قد حده الحاسب هكذا رقم
- (٧٠) رحلة نيبور، المصدر السابق، ص ١١٦.
- (٧١) القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٣، وما يذكر ان نهر دجلة ينقسم الى شعتين بعد قرية بعبورة، احداهما يشرب منها اهل الموصل وهي تجري من تحت قره سراي، وتستمر في وادها الحمال الذي يجري فيه، والثانية تجري تحت قرية القاضية ولم تزل آثار مجراها واضحا.
- (٧٢) المصدر السابق، ص ١٣٥.
- (٧٣) الصانع، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٥.
- (٧٤) للتفاصيل انظر جمعة، المصدر السابق، ص ١٣٦، العمري، منهل الأولياء، ج ١ ص ١٥٧ - ١٥٨.
- (٧٥) القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٨، الصانع، المصدر السابق، ص ٢٨٦.
- (٧٦) الموصل في القرن الثامن عشر، ص ٢٨٣.
- (٧٧) القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٣.
- (٧٨) رؤوف، المصدر السابق، ص ٣٢٤.
- الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥) ص ٢٢.
- (٢٩) Robert W. Olson. The siege of Mosul and ottoman - Persian relations 1718 - 1743, (Indiana university) Blooming, 1975, p. 169, 180.
- (٣٠) Ibid, pp. 16, - 70.
- (٣١) حملة ماين التهرين، مجلة الرسالة الاسلامية، العدد (١٠٢)، ص ٨٩.
- (٣٢) الكركوكلي، المصدر السابق، ص ٤٦.
- (٣٣) نقلا عن Olson, Op. cit, p. 188.
- (٣٤) عبد الرحمن السويدي، حديقة الوزراء (مخطوط)، نشرها محمد بهجت الأتري في كتاب، ذرائع الصيانت العنصرية في آثار الحرب وحملات نادرشاه على العراق في رواية شاهد عيان، (مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨١)، ص ٨١. وما يذكر ان لوتكرينك يورد لنا معنى هذه الرسالة ايضا دون ان يشير الى مصدرها، حيث جاء فيها: «انا لا ارجب في ضرك ولا في الاضرار ببغداد، انما انا مازع للسلطان، فلم الي ولايتك، وسوف لا تنتم على ذلك»، المصدر السابق، ص ١٤١.
- (٣٥) حملة ماين التهرين، مجلة الرسالة الاسلامية، العدد (١٠٣) ص ٨٢.
- (٣٦) نقلا عن لوتكهارت، المصدر السابق، ص ٨٢.
- (٣٧) نقلا عن لوتكهارت، المصدر نفسه، مجلة الرسالة الاسلامية، العدد (١٠٢)، ص ٨٩.
- (٣٨) الكركوكلي، المصدر السابق، ص ٨٣.
- (٣٩) Quoted by Olson, op. cit, p. 170.
- (٤٠) انظر صورة من الرسالة في مخطوط محفوظ في مكتبة الدراسات العليا بكلية الاداب، جامعة بغداد تحت رقم (٤٤)، ونشرها مع رسالة الجواب سليمان صانع في كتابه تاريخ الموصل، ج ١ ص ٢٨٠ - ٢٨٣، ونشر النص الاصيل الذي كتبه مفتي كركوك نفسه، عاد عبد السلام رؤوف ضمن ملاحق كتابه الموصل في العهد العثماني، ص ٥١١ - ٥١٧.
- (٤١) المصدر نفسه.
- (٤٢) سالنامه ولاية الموصل لسنة ١٣٢٥، ملحق منية الادباء رقم (١١)، ص ٢٧٤، العمري، منهل الأولياء، ج ١ ص ١٥١.
- (٤٣) انظر نص الرسالة في رؤوف، المصدر السابق، ص ٥١٥ - ٥١٦، الصانع، المصدر السابق، ص ٢٨٣.
- (٤٤) المصدر السابق.
- (٤٥) حسين باشا القازوقجي، التقرير الرسمي الذي رفعه المحافظ حسين باشا القازوقجي الى السلطان محمود الاول، ملحق منية الادباء، رقم (١٢)، ص ٢٧٩.
- (٤٦) العمري، منهل الأولياء، ج ١ ص ١٥١. انظر نص الجواب ايضا في الصانع، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٣.
- (٤٧) المصدر نفسه.
- (٤٨) سعيد الديوه جي، صمود الموصل امام غزو نادرشاه سنة ١١٥٦ هـ، المورد، المجلد الخامس عشر، العدد الثالث (١٩٦٦)، ص ٤٨.
- (٤٩) العمري، منهل الأولياء، ج ١ ص ١٦٠، الصانع، المصدر السابق، ج ١ ص ٢٨٦.

- (٧٩) جمعة ، المصدر السابق ، ص ١٣٣ .
 (٨٠) المصدر نفسه .
 (٨١) سالتامه ولاية الموصل لسنة ١٣٢٥ ، ملحق مئة الادباء رقم (١١) ، ص ٢٧٤ ، وورد المعري في كتابه ، مهمل الاولياء ، ج ١ ص ١٥١ ، القول نفسه ايضا .
 (٨٢) الموصل في القرن الثامن عشر ، ص ٣٧ .
 (٨٣) نبيور ، المصدر السابق ، ص ١١٦ .
 (٨٤) المصدر السابق ، ص ٧٨٣ .
 (٨٥) نقلا عن نبيل محمد سلمان ، الشمر العراقي في النصف الاول من القرن الثامن عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الاداب ، جامعة بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٢٦٦ .
 (٨٦) الموصل في القرن الثامن عشر ، ص ١٠ - ١١ .
 (٨٧) نبيور ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ .
 (٨٨) ارجوزة القادري ، نقلاً عن سلمان ، المصدر السابق ، ص ٢٥٦ - ٢٥٧ .
 (٨٩) الكركوكلي ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .
 (٩٠) المصدر السابق ، ص ٢٣٥ .

الموصل وولاه بغداد من الممالك

(١١٣٩ - ١٢٤٩ هـ - ١٧٢٦ - ١٨٣٤ م)

١. د. علاء موسى كاظم نورس

يجهدون في سبيل تحقيقه بشكل أو آخر، لان فيه مابينهم على مواجهة المعضلات التي خفل بها عهدهم . وهي في مجملها كانت تمثل أزمة حكم المالك في العراق .

ولعل من أكثر المعضلات خطورة وتعقيداً ذلك الصراع داخل السلطة نفسها ، وتفاقم الحركات العشائرية ، وتدخل ايران في الشؤون الداخلية وبخاصة في المنطقة الشمالية واستخدامها القوة المسلحة لانتزاع أجزاء من أرض العراق^(١) .

لقد مارست الموصل دوراً فاعلاً في معالجة ومجابهة تلك المعضلات ، سواء بالاسهام في الفعل العسكري أم السياسي ، وكانت آنذاك تحت سلطة الاسرة الجليلية العربية التي ابتداءً حكمها سنة ١٧٢٦ م . والواقع أن ظهور هذه الاسرة على المسرح السياسي ، يعد أحد أبرز التطورات المهمة التي شهدتها العراق في العصر الحديث ، لما تميز به عهد الجليليين الذي دام أكثر من قرن وامتد من ١٧٢٦ حتى ١٨٣٤ من تأكيد للشخصية العربية وتبريزاً لها ، الى جانب التأثير الكبير ليس في مجرى الاحداث السياسية حسب ، وانما في خلق أنشطة حضارية عدة أسهمت في ازدهار الحياة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والعمرانية^(٢) .

إن ارتفاع الممالك السلطة في بغداد (١٧٥٠ - ١٨٣١) ، يشكل إحدى الظواهر الرئيسة التي اتسمت بها الحقبة العثمانية في القرون المتأخرة ، حيث إن الضعف الذي باتت عليه الدولة العثمانية وسلطتها في الولايات قد أحدث متغيرات سياسية عدة ؛ كان أبرزها قيام حكومات محلية حققت الى حد كبير استقلالاً ادارياً وعسكرياً وأحياناً نفوذاً سياسياً بمعزل عن السلطة المركزية .

وأن خصوصية الاحداث التي كان العراق يشهدها آنذاك قد أعطت لظاهرة الممالك أبعاداً سياسية كانت الدولة العثمانية ترى فيها ما يهدد ليس سلطتها الفعلية حسب ، وانما احتمالات انحسار نفوذها تماماً عن البلاد ، وبخاصة وإن قوى محلية أخرى كالجليلين والبابانيين كانت تمارس دورها بهذا الاتجاه .

ويمكن القول بأن قيام حكم الممالك في بغداد ، وهي مركز الثقل السياسي والحضاري في العراق منذ العصور الوسطى الاسلامية ، قد أعطى لنفوذهم السياسي اتساعاً في أجزاء متعددة من البلاد ، وفي الوقت نفسه التطلع لتحقيق المزيد من الدور القيادي للولايات الاخرى^(٣) باتجاه شدها الى سلطتهم في بغداد . وهو شد كان الممالك

إن تطلع المالك للموصل يمثل في جانب منه إدراكاً للأهمية السوقية التي تتميز بها هذه المنطقة ، كما يعد استمراراً لذات المسار الذي دأبت جميع القوى التي تسلمت السلطة في بغداد على السعي لتحقيقه ، إذ ترى فيه ما يوفر لها وضعاً سوقياً دفاعياً مهماً سواء في ما يتصل بأخطار خارجية أم حركات تقوم بها قوى محلية . ذلك أن موقع الموصل يشكل مفتاح العراق الشمالي باعتباره عقدة المواصلات التجارية والعسكرية في المنطقة . هذا فضلاً عن تحكمه بحوض نهر دجلة واطليم الجزيرة .

ومن هنا فقد اتخذ العثمانيون من الموصل قاعدة لتخليص العراق بأكمله من الوجود الصفوي الإيراني ، ثم استخدامها خط دفاع ثانياً (بعد بغداد) ، في مواجهة أي توسع إيراني صوب العراق ، من المنفذ الشرقي الرئيسي عند بغداد ، وللتحكم في طريق بغداد - أربيل الحيوي ، وهو الطريق الذي سلكته جيوش الصفويين في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، ومن بعدهم جيوش نادرشاه خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر.^(٤)

وفي الوقت نفسه ، فإن الموقع السوقي المهم للموصل قد وضعها آزاء أعباء ومسؤوليات كبيرة ، كانت في جانب منها تتعلق بالحفاظ على كيائها الذاتي ، وهذا ما حفل به عهد المالك في العراق بخاصة . كما أن تميز الأسرة الجليلية بقدرات عالية من الكفاءة في الحكم ، وبروز عدد من رجالها قادة عسكريين لامعين ، قد جعل الدولة المركزية نفسها فضلاً عن المالك يحرسون على إشرافهم في معالجة ما يواجهونه من معضلات ، واناطة ولايات مهمة اليهم .

وكانت الموصل قد مارست دوراً كبيراً في مواجهة الاخطار الإيرانية ، حيث شاركت مشاركة فاعلة في الحرب العثمانية - الإيرانية سنة ١٧٢٣ م.^(٥) كما أسهمت في التصدي للغزوات

الإيرانية التي شهدتها العراق خلال الفترة (١٧٣٢ - ١٧٤٣) ، والتي اتخذت ابعاداً خطيرة بسبب محاولات نادر شاه المتكررة لاحتلال أجزاء مهمة من الأرض العراقية . ولقد واجهت الموصل تحت زعامة واليا حسين باشا الجليلي ، بشجاعة منقطعة النظير ، عدواناً إيرانياً واسع النطاق سنة ١٧٤٣ م ، وكان لصمودها الرائع الاثر الكبير في دحر العدوان وانشال مخططات إيران التوسعية.^(٦) مما أدى الى تعزيز مكانة آل الجليلي وازدياد أهميتهم لدى الدولة العثمانية ، باعتبارهم أبطال الصمود ، فأسندت اليهم حكم ولايات مهمة عدة ، كانت تعاني من ضغط إيراني توسعي ، أو من اضطرابات داخلية ، هي البصرة وأدنة وقارص وكوتاهي وسيواس وحلب.^(٧)

أن الموصل التي شاطرت بغداد مجد الدفاع عن العراق ضد الاطاع الإيرانية ، وحفظت لنفسها مكانة وتأريخاً تميزت به بين مدن العراق الاخرى قد ازداد دورها اتساعاً في عهد المالك ، إذ أملت الأوضاع غير المستقرة التي كانت تسود البلاد في تلك الحقبة ، على الولاة المالك ، أن يستعينوا بالامكانات الكبيرة الموجودة لدى الموصل في أي مجهود عسكري يقومون به ، وبخاصة وأنهم كانوا في الاساس يمارسون ضغطاً ملحوظاً على الموصل لتتصوي تحت جناحهم مثلاً انضوت شهرزور والبصرة من قبل.^(٨)

لقد أسهمت قوات الموصل في معظم العمليات العسكرية التي كان المالك يلجأون اليها لمواجهة التردات التي تشهدها المنطقة الشمالية بين حين وآخر ، حيث كانت إيران تتدخل تدخلاً مباشراً وبالقوة المسلحة في جعل المنطقة ميدان صراع لا يهدأ لفرض نوع من الهيمنة السياسية عليها . ففي سنة ١٧٥٠ م ، جرد والي بغداد سليمان باشا إلى ليله حملة عسكرية على المنطقة ، ساعدته فيها قوات الموصل وعاضدته في القيام بأعبائها وبعد

سنتين ثلاث استعان أبو ليله بقوات الموصل أيضاً عندما قاد حملة عسكرية واسعة النطاق على بعض التمردين في جبل سنجار، وأعانه أمين باشا الجليلي بخبرته وإخلاصه. ^(٩)

كما أن الدولة العثمانية، وقد اختبرت كفاءة الولاة الجليليين، دأبت على تكليفهم بالمشاركة في حروبها الأوربية ^(١٠)، بل وعهدت اليهم، حين قررت معالجة ماتواجهه من مشكلات في الشرق وخاصة في العراق، تنفيذ ماسمي «بالخطة الاصلاحية الشاملة لنظام الشرق والعراق». ^(١١)

وكانت الدولة العثمانية تواجه تطورات سياسية وحربية خطيرة في الساحة الأوربية وفي أجزاء من الوطن العربي، فقد خرجت من حرب خاسرة مع روسيا وتم التوقيع على معاهدة كرجك كينارجي المذلة (١٧٧٤)، وفي الشام كانت انتصارات علي بك الكبير حاكم مصر، وظاهر العمر في فلسطين، والعراق يواجه عدواناً ايرانياً يستهدف غزو البصرة (١٧٧٥). ^(١٢) يقول لونكريك: ان سنة ١٧٧٤ قد حلت على حاكم بغداد المملوكي عمر باشا وهو مصادف «أملأ» خائباً كان يعلقه بمساعدة السلطان له، وجاراً ايرانياً يبلع في أحداث الاشتباك الحربي. وكان كل يوم يأتي بالتضرعات من البصرة المهددة، وبأنواع الاحاديث عن تعديات الايرانيين في شہرزور وتدخلهم بخلع هذا الحاكم الباباني أو ذاك. ^(١٣)

وحين اشتد الموقف في العراق على أثر تحقق الغزو الايراني للبصرة سنة ١٧٧٦ ^(١٤) حاولت الدولة العثمانية ان تواجه ماحدث باتخاذ قرار يقضي بالتخلص من حكم المالك واعادة العراق الى حكمها المباشر، وهو قرار يعبر في حقيقة الأمر عن عجزها في تلك الفترة من الدخول في حرب مع ايران حيث كانت لاتزال تجاهد في الوقوف على قدميها أمام جيوش قيصرية روسيا (كاترين الثانية). ولذا وجدت خيارها في معالجة الموقف في العراق

بالقاء تبعة ماحدث على عاتق الحاكم المملوكي، وبخاصة وأنها كانت تسعى جدياً لاعادة سيطرتها المباشرة على العراق، وتعهد كلاً سنحت الفرصة الى محاولة تحقيق هدفها هذا. ^(١٥)

ومرة أخرى، يبرز دور الموصل في مواجهة معضلة خطيرة، حيث كلف الباب العالي حاكمها أمين باشا الجليلي مع القادة العثمانيين الآخرين (والي الرقة ووالي ديار بكر)، لقيادة حملة عسكرية الى بغداد. ^(١٦)

وكانت بغداد تتربّع عوناً من الدولة العثمانية لمواجهة العدوان الايراني الذي يتعرض له البصرة. ولذا أعلن والي بغداد عمر باشا بأن وصول قوات لردع العدوان بات وشيكاً. ^(١٧) ولم يكن يتوقع أن قدومها سيؤدي الى الاطاحة به.

وحين بدأت القوات بالوصول الى بغداد، وكانت تقدر بثمانية آلاف جندي، قوي الامل بانقاذ البصرة من الغزو الايراني ^(١٨)، وبخاصة وأن الهدف الذي أعلنه قادتها هو القيام بتلك المهمة. ^(١٩)

بيد أن الاحداث سرعان ما تطورت باتجاه آخر، حيث عزل عمر باشا استناداً الى فرمان سلطاني أمثلت اليه الوالي المملوكي بعد أن أدرك أن الهدف الذي قدمت من أجله القوات العثمانية لا يخرج عن تنفيذ مانص عليه فرمان بالقوة المسلحة. ونص فرمان سلطاني آخر على تعيين والي الموصل أمين باشا الجليلي، والياً على بغداد والبصرة، وولده سليمان باشا والياً على الموصل وشہرزور، ^(٢٠) وتلك مهمتهم عند الازمات.

وتزاحمت الاقدار على بغداد، حيث توفي الباشا الجليلي قبل مباشرته مهام منصبه، وتعاقب على حكمها ولاية غير مقتدرين جعلها تنوء بخمس سنين من الفوضى وعدم الاستقرار. ^(٢١)

وفي سنة ١٧٨٠ بدت الاوضاع السياسية في العراق بعامه، تشهد شيئاً من الاستقرار، فالعدوان

الايرواني انخسر عن البصرة (١٧٧٩)، والباب العالي أدرك قصور سياسته في معالجة تلك الاوضاع، فتخلّى عن فكرة القضاء على الحكم المملوكي^(٢٢)، وأعلن العزم على إعادة توحيد الولايات العراقية الثلاث، بغداد والبصرة وشهزور، تحت حكم قوي موثوق ليكون مقبولا ومؤثرا^(٢٣). ولذا كان اختياره لوالي البصرة وبطل صمودها عند الغزو الايرواني، سليمان باشا^(٢٤)، للمنصب المذكور، وصدر فرمان بتعيينه في ربيع ١٧٨٠^(٢٥). وطلب السلطان من والي الموصل سليمان الجليلي تدبير شؤون الحكم في بغداد لحين وصول الوالي الجديد، حيث كان قد أعيد لتولي ولاية البصرة سنة ١٧٧٩^(٢٦).

وفي عهد سليمان باشا الكبير (١٧٨٠-١٨٠٢)، وحيث عادت بغداد الى تأكيد نفوذها على أجزاء واسعة من البلاد يبرز دور الموصل مرة أخرى في تحقيق هذا الانجاز. فلقد أسهمت اسهاماً رئيساً في فرض سلطة بغداد على مناطق من اقليم الجزيرة كماردين ونصيبين^(٢٧). وشاركت قواتها في عمليات عسكرية كانت تشهدها المنطقة الشمالية^(٢٨). كما أن سليمان باشا كان يجد في امكانات الموصل مايعينه على مواجهة الازمات التي حفل به عهده^(٢٩).

ولقد استمرت الموصل تقوم بدورها المهم هذا في شؤون العراق عامة، خلال فترات حكم الولاة المالك الذين تعاقبوا على السلطة من بعده، وبخاصة في عهدي علي باشا^(٣٠) وسليمان باشا الصغير^(٣١). ثم شاعت الاقذار أن تكون نهاية حكم المالك في بغداد^(٣٢) سنة ١٨٣١، ونهاية حكم الجليليين في الموصل سنة ١٨٣٤.

الهوامش

- (١) امتد حكم المالك المباشر الى ولاية شهزور وولاية البصرة ومنطقة ماردين، فضلا عن بغداد نفسها، وبذلك فقد كانت سلطتهم تشمل معظم أنحاء العراق الحالي، وجزءا من الجزيرة.

كما أنهم مارسوا اشرافا غير مباشر على مناطق أخرى، أهمها اماره بهديان التي يشمل حكمها العادبة وزاخو وعقرة، وكانت هذه الامارة تحكمها أسرة عباسية وراثية تنتمي نسباً الى أحد أسفاد الخليفة المستعصم العباسي، يدعي بهاء الدين فنسبت اليه، وعرفت بالبهديانية وبعد أن كان الاشراف على شؤون الامارة يأتي مباشرة من الدولة العثمانية المركزية، تولى ولاية بغداد هذه المهمة منذ مفتح القرن الثامن عشر، فأصبحت ولاية بغداد هي المسؤولة عن اقار تولى أمراء هذه الاسرة الحكم. وشبه بهذا الوضع ماكانت عليه الامارة البليانية في مناطق كوي وحريز وقلاجولان، فقد تولى ولاية المالك مهمة الاشراف على شؤون هذه الامارة الوراثية، وتدخلوا في تعيين أمراءها وعزلهم. أما ولاية الموصل فقد كانت تحتفظ بحكم خاص يتولاها وينتمون الى الاسرة الجليلية العربية منذ أن تولى أول ولاتهم اسماعيل باشا الجليلي الحكم سنة ١٧٢٦م واستمر حكم هذه الاسرة لغاية سنة ١٨٣٤م؛ أنظر: علاء نورس وعبد السلام رؤوف، عهد المالك والامر الحاكم بحث ضمن كتاب "العراق في التاريخ"، بغداد ١٩٨٣، ص ٦١٠-٦١١.

- (٢) للتفاصيل، أنظر: علاء موسى كاظم نورس، حكم المالك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١، بغداد ١٩٧٥.
- (٣) أنظر: حماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، النجف الاشرف ١٩٧٥.
- (٤) رؤوف، المصدر السابق، ص ٩٤ و ١٢٣.
- (٥) سليمان فاتق، حروب الايرانيين، مخطوط، ورقة ٤٩ لونيكرين، أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث، نقله الى العربية جعفر الخطيب، ط ٤، بغداد ١٩٦٨، ص ١٦٢.
- (٦) أنظر: علاء موسى كاظم نورس، العراق في العهد العثماني (دراسة في العلاقات السياسية)، بغداد ١٩٧٩، ص ١٨٩-١٩٤.
- (٧) رؤوف، المصدر السابق، ص ١١٤.
- (٨) نورس، حكم المالك في العراق، ١٧٦؛ عبد العزيز نوار، داود باشا والي بغداد، القاهرة ١٩٦٧، ص ١٤٣.
- (٩) محمد أمين العمري، منهل الاولياء ومشرّب الاصفاء من سادات الموصل الحدياء، حققه ونشره سعيد الديوبه جي، الموصل ١٩٦٧، ص ١٦٧، لونيكرين، المصدر السابق، ص ٢١١.
- (١٠) لعل من أبرز العمليات العسكرية الكبرى التي شارك فيها الوالي الجليلي تلك التي دارت في أوربا الشرقية سنة ١٧٦٩، حيث كانت الحرب قد أعلنت بين الدولة العثمانية وروسيا القيصرية.
- (١١) رؤوف، المصدر السابق، ص ١١٥، ١١٧.
- (١٢) نوار، المصدر السابق، ص ٣٠، ٣٢، نورس، حكم المالك في العراق، ص ٣٦.
- (١٣) أنظر: أربعة قرون من تأريخ العراق الحديث، ص ٢١٧.
- (١٤) للتفاصيل، أنظر: علاء موسى كاظم نورس، السياسة الايرانية في الخليج العربي أبان عهد كريم خان ١٧٥٧-١٧٧٩ وهو من اصدارات معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، بغداد ١٩٨٣.

(١٥) أنظر: نورس، حكم المالك في العراق، ص ٣٦-٣٧، ٢٤٩، نوار، المصدر السابق، ص ٣١-٣٢، لونكريك، ص ٢١٨.

(١٦) رؤوف، المصدر السابق، ص ١١٧-١١٨.

(١٧) رسول حاوي الكركوكلي، دوحه الوزراء في تأريخ وقائع بغداد الزوراء، ترجمة موسى كاظم نورس، بيروت ١٩٦٣، ص ١٥٢.

(١٨) المصدر نفسه، ص ١٥٣.

(١٩) رؤوف، المصدر السابق، ص ١٣٣، عباس المزاري، العراق بين احتلالين، ج ٦، ص ٥٤.

(٢٠) دوحه الوزراء، ص ١٥٣.

(٢١) للتفاصيل، أنظر: علاء نورس، حكم المالك في العراق، ص ٣٧-٤٥، دوحه الوزراء، ص ١٥٣-١٧١، لونكريك، ص ٢١٧، ٢١٩-٢٢٤.

(٢٢) نوار، المصدر السابق، ص ٣٢.

(٢٣) لونكريك، المصدر السابق، ص ٢٢٣-٢٢٤ وأنظر النص الانكليزي، ص ١٨٦.

(٢٤) شغل سليمان باشا وهو من المالك ولاية البصرة لأول مرة سنة ١٧٦٥، وعزل بعد ثلاث سنوات من حكمه لها، ثم أعيد في نهاية سنة ١٧٦٨، وبقي يشغل هذا المنصب لمدة عام تقريبا،

حيث عزل مرة أخرى، وأعيد سنة ١٧٧١ ولغاية الغزو الإيراني (١٧٧٦)، أنظر: علاء نورس، العراق في العهد العثماني، هامش ص ٢٥٠.

(٢٥) نورس، حكم المالك في العراق، ص ٤٥.

(٢٦) دوحه الوزراء، ص ١٧٠-١٧١، لونكريك، ص ٢٢٤، رؤوف المصدر السابق، ص ١٣٦.

(٢٧) ياسين العمري، هزائب الاثر في حوادث القرن الثالث عشر، الموصل ١٩٤٠، ص ٢٣-٢٤، رؤوف، المصدر السابق، ص ١٣٨، ويقول لونكريك (ص ٢٥٢)، كان ادخال ماردين ضمن باشوية بغداد منذ قرون ثلاثة قد جاء معه إليها بمشاكل الجزية الشبالية.

(٢٨) لونكريك، ص ٢٤٩.

(٢٩) للتفاصيل، أنظر: المصدر نفسه، ص ٢٣٩-٢٥٤.

(٣٠) نولي الحكم سنة ١٨٠٢ ولغاية اغتياله في آب سنة ١٨٠٧.

(٣١) نولي الحكم سنة ١٨٠٨ ولغاية الاطاحة به ثم اغتياله في تشرين الاول سنة ١٨١٠.

(٣٢) للتفاصيل عن العوامل التي أدت الى انتهاء حكم المالك وعودة الحكم العثماني المباشر، أنظر: علاء موسى كاظم نورس، حكم المالك في العراق، الفصل الخامس ص ٢٤٩-٢٧٠.

الموصل من نهاية الحكم الجليلي إلى الإدارة المباشرة

(١٢٤٩ - ١٢٨٦ هـ - ١٨٣٤ - ١٨٦٩ م)

٥. سيار كوكب علي الجميل

مقدمة:

وتبدل كبير في شخصية الولاة انفسهم وأدوات الحكم وأساليبه.

لقد اتخذ تاريخ العراق خلال القرن التاسع عشر مساراً جديداً بعد ان تألب عليه علي رضا باشا اللاز الذي اعقب داود باشا في حكم بغداد عام ١٨٣١م، إذ كان العراق معرضاً لتنفيذ خطط جديدة لعلاقات سياسية جديدة على ايدي البعض من زعمائه امثال: يحيى باشا الجليلي والي الموصل، ومحمد باشا ميكرو حاكم راوندوز، والشيخ صفوك شيخ مشايخ شمر الذين كانوا على اتصال مع ابراهيم باشا حاكم بلاد الشام وقائد الجيش المصري فيها^(١)... وكانت تحركاتهم الواسعة النطاق والتي حدثت بين اطراف عديدة على حساب

تكسب هذه الفترة التاريخية الحرجة من تاريخ الموصل الحديث خلال القرن التاسع عشر ١٨٣٤ - ١٨٦٩م أهمية بارزة من نواح متعددة، ذلك انها اعقبت الحكم الجليلي للموصل الذي استمر أكثر من قرن كامل ١٧٢٦ - ١٨٣٤م تمتعت الموصل خلاله بشخصيتها المحلية والاقليمية وباسلوب حكم الادارة اللامركزية. وقد راقت المرحلة التالية من حكم الادارة العثمانية - المركزية جملة من الاصلاحات وتأثير التنظيمات العثمانية ابان عهد السلطان محمود الثاني ١٨٠٨ - ١٨٣٩م، وعهد عبدالحجيد الاول ١٨٣٩ - ١٨٦١م، وعهد عبدالعزير الاول ١٨٦١ - ١٨٧٦م، فحدثت تغيرات واضحة في طبيعة الحكم العثماني،

١٩٠٨^(٨) . وكانت تلك القنصليات الثلاث : الانكليزية والفرنسية والروسية في الموصل ، تقم في احياء تقع في قلب المدينة ، وفيها تعقد المجالس ، وعنها تنتشر الأخبار والاشاعات والآراء السياسية في المدينة . وفي مطلع القرن العشرين تم تأسيس القنصلية الألمانية في الموصل سنة ١٩٠٥ م .. كما وتسابت كل من ايطاليا والنمسا وامريكا في ارسال وكلاء وقناصل لهم الى الموصل^(٩) .

ولا بد لنا ان نتساءل عن هذا التسابق الدولي نحو الموصل خلال القرن التاسع عشر .. كما وعلينا بفحص مختلف الوثائق الدولية وخصوصاً الانكليزية والفرنسية عن اوضاع الموصل التاريخية ابان تلك المرحلة الخطيرة من حياة العراق سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .

الاصلاحات العثمانية : المراحل والتحولات

لقد اختلفت أوضاع الدولة العثمانية كثيراً بين الذي كانت عليه خلال القرن الثامن عشر ، والذي آلت إليه خلال القرن التاسع عشر ، وخصوصاً بعد مجي السلطان محمود الثاني الى السلطة عام ١٨٠٨ م ، فكان لا بد أن تتأثر الولايات العثمانية بما كان يجري في العاصمة اسطنبول من تحولات سياسية واقتصادية ، وبخاصة محاولات أرجاع السيطرة الادارية المركزية ، والقضاء على الحكومات الاقليمية اللامركزية ، والاثنية القبلية / العشائرية التي انتشرت في تلك الولايات على امتداد القرن الثامن عشر ... ولا سيما في الولايات الاستراتيجية المهمة المتوزعة في مناطق جد حساسة في الجغرافية - السياسية العثمانية . ويبدو ان للسياسة التي اتبعها والي مصر محمد علي باشا تأثير بالغ في احداث تلك التحولات العثمانية ، وخاصة من الناحية الادارية^(١٠) .

لقد ارتبطت تلك «التحولات» ؛ بالاصلاحات العثمانية التي شهدت الدولة اولى

السلطة العثمانية ، مدعاة اساسية لأن تستعجل الدولة فرض هيمنتها على بغداد ، ثم القضاء على ما تبقى من حكومات اقليمية وما رافقها من الفوضى السياسية . وتبدأ بتنصيب الولاة الأتراك الأشداء ، فكان اللازم نصيب بغداد ، وكان اليرقدار من نصيب الموصل .. وقد اشترك كلاهما في فرض هيبة الدولة العثمانية في ارجاء العراق^(١١) .

ولعل ما يلفت النظر ، صعوبة البحث في هذا الموضوع الشائك بسبب قلة المصادر التاريخية ، بل وندرة المعلومات حتى الأساسية منها في تاريخ الموصل خلال المرحلة المعنية ١٨٣٤ - ١٨٦٩ م . وقد كان هذا «الموضوع» ولم يزل بحاجة الى المزيد من الدراسات والتقصي للكشف عن معلومات جديدة سواء كانت وثائقية رسمية ام تاريخية مخطوطة ... وخاصة عن عهود الولاة الاتراك الذين حكموا الموصل خلال القرن التاسع عشر .. اذ ان المعلومات التي كتبها المؤرخ سليمان صايغ في تأريخه للموصل (في جزئيه الاول والثاني)^(١٢) لا تفي بالغرض العلمي أبداً ، على الرغم من اعتمادنا عليها اعتماداً كبيراً ... ناهيك عما يحتاجه المؤرخ من ترجحات لكتب ومذكرات وتقارير كتبها رحالة وآثاريون وسفراء وقناصل ومبشرون وعلماء .. لم تزل أعمالهم غير معروفة بالعربية حتى يومنا هذا^(١٣) .. وخاصة عندما نعلم بأن أول قنصل بريطاني تم تعيينه في الموصل هو كريستيان رسام في ٣١ كانون الأول سنة ١٨٣٩ والذي توفي سنة ١٨٧٢ م^(١٤) ، وأعقبه عدد من القناصل الآخرين^(١٥) . وفي سنة ١٨٤٢ م وبعد افتتاح القنصلية الفرنسية في الموصل ، ارسلت فرنسا لها العالم الاتاري الشهير پول بوتان^(١٦) الذي ساهم مساهمة بارزة في استكشاف مدينة نينوى القديمة . وبعد اربعين سنة وجدت روسيا ان من الأهمية تعيين قنصل لها في العراق ، فبادرت سنة ١٨٨٣ بتعيين قنصل لها في الموصل ، واستمر توافد القناصل الروس الى الموصل حتى سنة

الموصل والتحولات من الاقليمية اللامركزية نحو حكم الادارة المركزية :

بعد جميع مواقع في ولاية الموصل خلال القرن التاسع عشر جزءاً اساسياً من حالة تطبيق ماسبق ذكره من تحولات في الدولة وما طرأ فيها من تغييرات. وعلى الرغم من حدة التطورات التي شهدتها العاصمة اسطنبول ، الآ ان العراق بقي بعيداً عنها وعن مؤثراتها. الا ماسيشهده من بطء في التطبيق والممارسة ماعدا التجربة المتأخرة التي سيثيرها الوالي مدحت پاشا ١٨٦٩ - ١٨٧٢م في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وخاصة من ولاية بغداد.

لقد اختلف الوضع بالنسبة لولاية الموصل التي عايشت بضعة بوارد اصلاحية عثمانية رسمية ، وعلى يد أشهر وائ تركي حكم الموصل خلال القرن المذكور، الا وهو محمد پاشا اينجة البيرقدار الذي حكم الموصل للفترة ١٨٣٣ - ١٨٤٣م بعد القضاء على الحكم المحلي ، وبالضبط بعد العهد المضطرب لمحمد سعيد پاشا آل ياسين المفتي الذي عزل سنة ١٨٣٥ ، فبدأت صفحة تاريخية جديدة تمثلها الادارة العثمانية المركزية ، وذلك قبل صدور «خطي شريف كولخان» سنة ١٨٣٩م. ويبدو ان ذلك كله قد جاء اثر قرار سلطاني اتخذه السلطان محمود الثاني ليس بالنسبة لولاية الموصل حسب ، بل لولايات أخرى كبغداد وطرابلس الغرب وحلب ودمشق وغيرها من ولايات الدولة العثمانية.

كان تنصيب محمد پاشا اينجة البيرقدار امراً محتملاً بالنسبة لولاية الموصل التي عاشت اضطرابات سياسية واجتماعية داخلية واسعة في داخل مدينة الموصل ، فضلاً عما كان يسود عموم اراضي الولاية من اضطرابات اقليمية خلال عهد محمود الثاني ، فهناك في بلاد الشام غرب الموصل تحركات ابراهيم پاشا المصرية الخطيرة.. وهناك في امارة راوندوز شرق الموصل تتفاعل توسعات

تطبيقاتها الفعلية على عهد السلطان سليم الثالث ١٧٨٩ - ١٨٠٧م ، والذي يعد الاب الحقيقي للتحديث العثماني. وهو الذي نجح في إنشاء مؤسسات عسكرية ومدارس ومعاهد فنية ، ولكن دفع اخيراً حياته ثمناً لتطبيق مبادئه الاصلاحية في مواجهة الفئات الرجعية ، وعلى رأسها القوى الانكشارية. ويعد عهد محمود الثاني ١٨٠٨ - ١٨٣٩م ، امتداداً حقيقياً لتطبيق المبادئ الاساسية في الاصلاحية العثمانية التي ارتكزت على اسس جديدة... فقد نجح محمود الثاني في القضاء على الانكشارية عام ١٨٢٦م ، وألغى الاقطاعات العسكرية ؛ وشكل جيشاً جديداً انتشرت وحداته وفعالته على الولايات الاساسية في الدولة. ليساعد في اخضاعها للادارة المركزية ، وقد نجح فعلاً في القضاء بصورة مباشرة او غير مباشرة على الاسر والحكومات الاقليمية في العراق وغيره^(١١).

هكذا عدت تلك الاجراءات بمثابة مرتكزات اساسية للتطبيقات الاصلاحية التي سيشهداها عهد السلطان عبدالمجيد الاول ١٨٣٩ - ١٨٦١م ، والتي دعت بـ «التنظيمات الخيرية» والتي شملت اصلاحات متعددة من النظم الادارية وأساليب العلاقة السياسية ، ومعالجات للاوضاع الاجتماعية والقومية والعرقية ، وتنظيم قانون الضريبة وشؤون الخدمة العسكرية.. ثم إعتنت مراسيم اخرى بحقوق الرعايا الدينية والعرقية ، والتي تجسدت فيما بعد على عهد السلطان عبدالحميد الثاني ١٨٧٦ - ١٩٠٩ الذي أعلن «الدستور العثماني» لتوفير المبادئ الحرة والعمل على فصل السلطات ، ولكن على الرغم من إلغاء السلطان العمل بالدستور ، الا أننا يمكننا تقسيم عهد الاصلاحات العثمانية الذي استغرق قرناً كاملاً ١٨٠٨ - ١٩٠٨ الى مرحلتين :

١ - مرحلة الاصلاحات والتنظيمات.

٢ - مرحلة الدستور (المشروطية)^(١٢).

وطرده عن الحدود. ولما أنهى خبره الى والي بغداد أرسل فاستقدمه اليه سنة ١٨٣٣م / ١٢٤٩هـ ، وولاه متصرفية كركوك حيث بقي زهاء سنتين وشيّد فيها قصراً منيفاً لدار الحكومة على نهر شاطري^(١٤).

معنى هذا أن للبيرقدار سابق معرفة - من خلال ادارة كركوك - بالموصل ، وان ردّ فعله كان قوياً ضد أبناء الموصل عندما تسنّى له ان يحكمها بعد ان اعلنت عن عدم ترحيبها له ، فضلاً عن الصلاحيات التي زوّدها اياها الدولة لفرض النظام الاداري المركزي الجديد.. كما ان له قدرة في فهم الاوضاع السياسية وقد اثبت ذلك في فرض مقدرته الادارية على مدى السنوات التي حكم خلالها الموصل إبان السنوات الاخيرة من عهد محمود الثاني ومطلع عهد عبدالمجيد الاول ، وهي فترة خطيرة جداً في حياة الدولة العثمانية. ويعود الفضل في تنصيبه لوالي بغداد علي رضا باشا اللاز، فدخل البيرقدار مدينة الموصل ليتسلّم ادارته الجديدة وهو يقود ثلاث كتائب من القوات النظامية وحوالي ثلاثمائة من قوات الخيالة.^(١٥) وهكذا استندت مهمته المركزية في فرض الأمن والسيطرة على الاوضاع الداخلية في الموصل، وجعلها قاعدة انطلاق لضرب القوات المصرية غرباً، واخضاع الامارات الكردية شمالاً وشرقاً.

١ - طبيعة العلاقات الاقليمية :

١/١ اماره بهديان: وهي اماره اتخذت العاديّة عاصمة لها. وكانت في حالة صراع مع الجليليين لأسباب اقليمية واقتصادية من أبرزها النفوذ على منطقة الشيخان التي يتشربها اليزيدية^(١٦). وقد ازدادت حدة الصراع الاقليمي بين مركز الموصل وتابع العاديّة إبان ضعف الدولة العثمانية فازدادت الفوضى كثيراً، وعمّ الاضطراب الاقتصادي بسبب تقطّع المواصلات^(١٧).. ناهيك عما كان

حاکمها محمد باشا ميركور، اما في شمالها ، فكانت تهديدات البهدينانيين لانتوقف سياسياً او اقتصادياً منذ عهد الحاج حسين باشا الجليلي. نستنتج أن الفوضى السياسية التي عاشها العهد المحلي الاخير للموصل قد لحقها المزيد من المخاطر التي كان محمد سعيد باشا آل ياسين عاجزاً في :

١ - السيطرة الادارية على اوضاع المدينة الداخلية التي عاشت انقسامات اسرية وصراعات اجتماعية على السلطة.

٢ - القضاء على الاضطرابات الاقليمية ، ودرء المخاطر في الحفاظ على الجوانب الامنية العثمانية للولاية قاطبة.

وهكذا فإن المرحلة الجديدة شهدت بعد نهاية العهد المحلي عام ١٨٣٤م :

١ - نهاية حكم الامارة السورانية في راوندوز عام ١٨٣٦م.

٢ - سقوط الامارة البهدينانية في العاديّة عام ١٨٤٢م.

٣ - سقوط الامارة البابانية في السليمانية عام ١٨٥٠م^(١٨).

حكم محمد باشا ابنه البيرقدار للموصل ١٨٣٣ - ١٨٤٣م :-

بعد محمد باشا ابنه البيرقدار رجلاً ادارياً (بيروقراطياً) تركياً قوياً، وكانت له تجاربه العسكرية العثمانية في كل من مصر وبلاد الشام وكركوك اخيراً قبل ان ينصب والياً على الموصل. يقول المؤرخ سلمان صانع : «كان محمد باشا (ابن) البيرقدار) تركي الاصل من مدينة بارطين في ولاية قسطنطيني. وكان قد خدم في السلك العسكري في مصر وغيرها.. ثم رحل الى الشام حيث مكث مدة طويلة حتى جمع له عدداً من التابعين والمناصرين فشخص بهم الى ديار بكر ثم الى الموصل. ونزل بظاهرها قريباً من باب سنجان، فخرج عليه الاهالي

لولاية بغداد من تأثير سياسي واضح في تأجيج حدة المواقف آنذاك في المنطقة.

ويبدو للمؤرخ أن الدولة العثمانية كانت تراقب عن كثب الاوضاع الخطيرة في شمال العراق ، وتركت الصراع الاهلي والتطاحن القبلي بين الامراء الاكراد يصل الى أعلى درجاته باستيلاء بعضهم على ممتلكات البعض الآخر، وتآلب قبائل ضد اخرى. فكان ان اعدت خطة عسكرية للقضاء عليهم لاسما وانهم يمثلون خطراً ليس على ولاية الموصل وأقاليم العراق ، بل على مصالح الدولة العليا وخاصة ازاء ايران في الشرق. فكان ان نصبت في قيادة الحملة محمد رشيد باشا الصدر الاعظم السابق والي سيواس (قائداً اعلى) سر عسكر جيوش الشرق برفقة المشير عثمان باشا والقائد حافظ محمد باشا، وكلاهما يمتلك تجارب حربية في المنطقة ، فاندفعت القوات العثمانية لكي تحسم استفحال شأن محمد باشا ميركور الراوندوزي اساساً الذي لم يكن يمثل في امتداداته العسكرية غزواً عادياً عرفه الامراء الاقطاعيون كالبهدينانيين مثلاً^(١٨).

٢/١. اماره سوران : وهي اماره اتخذت من راوندوز قلعة كبرى لتوسعها الاقليمي اثر تشكلها نتيجة للضعف السياسي الذي لحق بمقدرات الدولة العثمانية ، فقد غدت راوندوز ، وهي قلعة استراتيجية في شمال العراق^(١٩) ، امتلكت قوة فعالة شبه سياسية اثر تمتعها بالسيطرة الاقطاعية / القبلية في عام ١٨١٠ ، واستطاعت ان تنمو يوماً بعد آخر على يد محمد بك الاعور الذي اشتهر باسم «محمد ميركور» مذ بدأ حكمه عام ١٨١٣م^(٢٠) ، وتمكن أن يخضع القبائل العديدة كالشيروان والبرادوست ويحد من نفوذ السورجيين ويسيطر على دشت حرير بطرده لحاكمه الباباني^(٢١) ، ثم سيطر على أربيل والتون كوهري ، واقتطع رانبه من

البابانيين ، ثم سيطر على انحاء العاديه من البهدينانيين^(٢٢) .. وبدت دهوك وزاخو من توابعه ، واحتلت قواته جزيرة ابن عمر ، ثم بدأ يهدد ماردين ونصيبين.. وتعرض سهل الموصل وقراه شرقي نهر دجلة الى العديد من عملياته الهجومية القاسية. ولم يجد والي بغداد علي رضا باشا اللازبداً من الاعتراف بسلطته ، ومنحه درجة «الباشوية»^(٢٣) . لقد استطاع هذا القائد الراوندوزي ان يفاجئ الدولة العثمانية بنمو قوته السياسية ، وتوسعاته الاقليمية في اراضي ولاية مهمة كالموصل والتي اصبح يهددها يوماً بعد آخر.

٢- تساؤلات وتغليلات ومقارنات :

كيف كانت اذاً مهمة محمد باشا ابنجة البيرقدار ازاء امارتي البهدينان والسوران ؟ بادئ ذي بدء ، فان الوالي الجديد بدأ حكمه للموصل بشن عمليات حربية على اماره بهدينان سنة ١٨٣٣ ، فحاصر جيشه العاديه ، واستطاع السيطرة عليها ، وأدّى ذلك الى هرب اميرها اسماعيل باشا ، فأخضعها ، ثم سار نحو اماره سوران فهرب أميرها محمد باشا ميركور من امام جيشه ، وتخصّن في اعماق الجبال. فدعا ذلك الدولة العثمانية الى ارسال جيش كبير بقيادة الصدر الاعظم السابق رشيد محمد باشا... فتجحفلت ضمن قواته ارتال والي بغداد علي رضا باشا اللاز ووالي الموصل محمد باشا ابنجة البيرقدار فتقدّمت نحو سوران^(٢٤) ، فصادفت صعوبات جغرافية وعسكرية في دشت حرير.. فكيف جرد ذلك كله ؟

انطلق الجيش العثماني من ديار بكر بقيادة محمد رشيد باشا وكان قائداً حربياً لامعاً ووزيراً عثمانياً بارزاً ، وكان جيشه يتكون من اثني عشر فوجاً من النظاميين ، فتوجه نحو جبل سنجار ، ضارباً اليزيدية ، وأوقع فيهم خسائر جسيمة ، ثم انتقل نحو تلعفر ، فأخمد التمردات القائمة فيها ، ثم عبر نهر

دجلة عند نقطة اسكي موصل - كما هو مرجح - متقللاً الى نقطة الالتقاء لقدة طرق ومسالك جغرافية ، منها حافة جبل دهوك - عقرة... ومن هناك انطلق في سهل اربيل ، واتخذ من سهل (دشت) حريرقاعدة للعمليات بعد أن اجتمع به علي رضا باشا اللاز على رأس جيشه القادم من الموصل ، وبدأوا يخططون لبدء العمليات ضد راوندوز^(٢٥).

يذكر محمد أمين زكي أن الجيش العثماني بقيادة محمد رشيد باشا وصل الى الموصل أولاً عن طريق جزيرة ابن عمر - زاخو ، وانضم اليه جيش الموصل بقيادة اينجة بيرقدار اوغلي ، ثم توجهوا معاً نحو زاوندوز^(٢٦) . وهذا ما يذكره لونكريك ايضاً ، ولكن يقول بانطلاق الجيش من ماردين^(٢٧) . ان مجمل العمليات العسكرية قد حالت دون نجاحها عوامل جغرافية تميزت بها البيئة الجبلية الصعبة.. فلم يستطع العثمانيون احراز اي تقدم ، او احراز اية نتائج تعمل في القضاء عسكرياً على محمد باشا ميركور ، فلجأ رشيد محمد باشا الى الحيلة ، فأمنه ، ولكن ما ان التى الاثنان حتى القى القبض عليه ، وأرسله الى العاصمة اسطنبول ، فحكم عليه بالاعدام ، فوضع موته حداً لحياة اماره سوران التي زالت من الوجود سنة ١٨٣٦م^(٢٨) .

فكيف حدث ذلك ؟

كان القائد الاعلى محمد رشيد باشا يرى أن الاسلوب الدبلوماسي المسالم هو الاسلم والافوق لمصلحة الدولة العليا ، فاذا ماهزم جيشه فسوف تتعاظم خطورة الامير الراوندوزي ، وقد تواجه الدولة معضلة معقدة تهدد سلامتها وأمنها كاملاً ، في حين كان كل من والييين اللاز والبيرقدار يريان العكس. فهي يرجحان استئصال محمد باشا ميركور بأسلوب القوة والحرب... فتصلب محمد رشيد باشا في رأيه ولاسيا عندما علم بأن قوات ميركور قد احتلت مضيق گلي علي بيك الاستراتيجي ،

فأرسل لميركور كتاباً يؤمنه على حياته ومستقبله السياسي ، ويمتنحه تطمينات قوية بالعفو عنه واعادته الى مكانه.. وما ان حضر الراوندوزي ميركور حتى قبض عليه وارسله مخفوراً الى العاصمة اسطنبول . وارسل محمد رشيد باشا شفاعته بحق ميركور ، فكان لها اثرها في نفس السلطان العثماني ، فأمر بالعفو عنه ، وأمر بارجاعه الى محله ، ولكن صادف ان توفي محمد رشيد باشا فجأة ، فانتهز علي رضا باشا اللاز المناسبة لكي يرسل سرّاً الى اسطنبول ، يتخوف من رجوع الراوندوزي وان ثمة مشكلات اقليمية سيحدثها الرجل فبدل العفو بالاعدام في فرمان سلطاني.. ولما كان ميركور قد غادر اسطنبول ، فقد ادركه الفرمان وهو في مدينة سيواس بضيافة واليا ، فنقذ فيه حكم السلطان إذ اعدم في سنة ١٨٣٩م^(٢٩) .. وانتهت اسطورة رجل صعب الرأس ، وانهارت امارته الراوندوزية التي عاشت اكثر من ربع قرن.

هكذا ، انفتح الطريق واسعاً فواصلت الحملة سيرها نحو اماره بهدينان فسيطرت عليها ، وقبض على اسماعيل باشا الذي ارسل مكبلاً نحو بغداد ، فألحقت المناطق الشالية بالموصل من جديد وهي العمادية وعقرة. وزالت اماره بهدينان هي الاخرى^(٣٠) . وهكذا وفي النتيجة ايضاً ، تمكن العثمانيون ان يخضعوا شمالي العراق ، وأن يعيدوا للموصل مكانتها الاستراتيجية ونفوذها السياسي ، كما كانت عليه اوضاعها على العهد الجليلي إبان القرن الثامن عشر. ولم يكن عمل محمد باشا اينجه البيرقدار كاملاً في عملياته في شمال العراق ، فلولاً قوات محمد رشيد باشا وحافظ باشا لما استطاع ان يفرض بقواته المحلية سيطرته الاقليمية على شمال العراق كما يفرض الأمن والاستقرار في داخل المدينة.

٣- المعضلة اليزيدية : الموصل وجبل سنجار

تخبرنا «سالنامه الموصل لسنة ١٣١٣هـ

(١٨٩٥ - ١٨٩٦م) أن محمد باشا اينجة البيرقدار قد قبض على علي ييك أمير اليزيدية وقتله في موقع يدعى بـ «كر محمد عرب» مع جماعة من الاغوات الانكشارية واغوات الاكراد وجاء قرار البيرقدار باعدام هذا الرجل الذي كان قد فقد مسؤولياته وسلطاته وعزه ومكانته ليس خوفاً منه بل تنفيذاً لسياسة الدولة القاضية بتصفية الزعامات الكردية (٣١). وبناء على ذلك فقد همّ البيرقدار بقطع رؤوس شيوخ الطرق الصوفية الاكراد، ومنهم: الشيخ طاهر النقشبندي شيخ تكية بامرني والشيخ نور الدين البريفكاني شيخ تكية بريفكان، ولكن البيرقدار استمع الى نصيحة رئيس ديوانه (٣٢)، كون ذلك سيفجر دون شك ثورة عارمة ضده وذلك للمكانة الدينية الجليلة التي كان يتمتع بها كل من الشيخين في الاوساط الاجتماعية الكردية قاطبة.

كانت العضلة اليزيدية حالة تاريخية معقدة تفاقمت كثيراً في القرن الثامن عشر. ويكتب العالم الاتاري السير هنري لايارد معلومات موسعة عن علاقة باشوات الموصل باليزيدية في جبل سنجار، وكان الرجل شاهد عيان للاحداث الدموية. ولم تكن الاحقاد كامنة بين الدولة وبينهم منذ عهد طويل وهذا هو الصحيح، بل كانت قوية وحادة بين اليزيدية وبين البوتان الاكراد: وكثيراً ما خلعت الصراعات الدموية الآلاماً وجروحاً غائرة لم تندمل بسرعة (٣٣). كما وإن الحكومة العثمانية لم تترك الموصل في حالة سلم دائم مع الاطراف وخاصة جبل سنجار، ومنذ زمن طويل نتيجة اسباب معقدة ومزمنة شكلت طبيعة العلاقة بين الطرفين صفحة دموية قانية.

وفي عهد محمد باشا اينجة البيرقدار، انطلقت حملة حافظ باشا العثمانية ضد اليزيدية في عام ١٨٣٤م، فكانت تتضمن احداثاً قاسية غاية في الهول أكثر بكثير مما فعلته حملة محمد رشيد باشا

ضدهم في عام ١٨٣٥م والذي استطاع ان يفصل ماردن عن الموصل بعد سلسلة الاضطرابات والمشاغبات في ماردن (٣٤). ويفضّل المؤرخ صديق المدلوجي في كتابه «اليزيدية» في طبيعة الصراع العثماني ضد اليزيدية، ويكشف عن أخيار الحملات العثمانية والعمليات اليزيدية المضادة اضافة الى شروحاته بخصوص العلاقات بين اليزيدية وبين السكان من العرب والاكرد (٣٥).

وعلى الرغم من بقاء الموصل قاعدة انطلاق حربية نحو التوابع والاقاليم المجاورة، فانها لم تكن في حقيقة الامر وراء الاحداث الدموية التي بقيت مستمرة. يبين حكوماتها المتعددة وبين جبل سنجار إبان القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. فقد كانت السياسة العثمانية وراء المحاولات القاسية والعمليات المريعة لقطع جذور بعض السكان والاقليات والعشائر عن معتقداتهم. وقد دلت الاحداث التاريخية مدى الشدة والبأس والقسوة المستخدمة في حلقات تلك الاحداث وعملياتها.. ولم يتورع العثمانيون عن استخدام المدفعية ضد المتمردين من اليزيدية - ولاسباب واهية كما نراها اليوم - تتعلق بالمعتقدات اليزيدية.. وبقاء ذلك الصراع المحتدم بين الطرفين حتى سقوط الدولة العثمانية في مطلع القرن العشرين.

لقد كانت هناك حملات عثمانية اساسية ضد اليزيدية في جبل سنجار، وهي:

١. حملة حافظ باشا سنة ١٨٣٤م.
٢. حملة محمد رشيد باشا سنة ١٨٣٥م.
٣. حملة محمد باشا اينجة البيرقدار على سنجار بعد قمعه التمرد في تلعفر.
٤. حملة محمد شريف باشا والي الموصل سنة ١٨٤٤م.
٥. حملة محمد باشا كريددي سنة ١٨٤٥م.
٦. حملة طيار باشا سنة ١٨٤٧م (٣٦).

٤- اصلاحات محمد باشا اينجة البيرقدار وانجازاته :

لم يحظَ تاريخ الموصل خلال القرن التاسع عشر بعهد سياسي طويل كالذي شهدته في عهد محمد باشا اينجة البيرقدار الذي دام حوالي عشر سنوات ١٨٣٣-١٨٤٣ م. واشتهر خلال ذلك العهد كونه زعيماً قوياً مارس ادارة صلبة وشرسة في الموصل ، وكأحد الولاة العثمانيين القلائل الذين فرضوا مكانتهم البيروقراطية المتطرفة في تاريخ العراق الحديث ، ولكنه نجح في تنفيذ عدة خطط اصلاحية وتطبيقاً للسياسة العثمانية المركزية وخصوصاً بعد صدور قوانين التنظيمات العثمانية .

لقد نجح البيرقدار في تأسيس حكومة قوية ومتنفذة في ولاية الموصل مركزاً ولواحق واستطاع ان يعتمد عليها في تنفيذ برنامجه الاصلاحى الذي تضمن عدة منجزات. وذلك من خلال تعيينه الموظفين الاداريين الاكفاء الذين كانوا تحت مراقبته المباشرة. كما استطاع ان يعتمد في بناء مالية حكومته على ما فرضه من ضرائب متعددة : كالمكس والعشار والمسفقات وعلى الانعام كاللواشى والابقار، وعشر المحاصيل الزراعية، فتكونت في خزينته « مالية » اعتمدت عليها في دفع الرواتب لجنده وموظفيه ولخطباء الجوامع .. الخ (٣٧).

نجح البيرقدار ايضاً في فرض ارادته على اعيان المدينة من اغنيائها ونجارها الكبار للمشاركة في الصرف والاعمار، واصلاحات متعددة للمدينة التي كان الالهال قد اصابها كثيراً في جميع هياكلها الادارية ، فضلاً عما حلَّ بشوارعها واسواقها ومراقفها العامة من تأخر وأضرار (٣٨). فقد وصفها الرحالة الانكليزي (بگنڭهام) في ذكرياته عندما زار الموصل في سنة ١٨١٦م بقوله : « منظر المدينة العام يدل على تأخرها ولم يكن فيها مايسترعى الانتباه .. الشوارع ضيقة متعرجة غير مبلطة ، وكثيرة المنعطفات .. البيوت قائمة من احجار غير

مصفوفة .. والابواب منافذها على الشوارع ، في حين ان شبابيكها تطل على دواخلها فقط .. اذ ليس من نافذة تطل على من جدرانها الخارجية . اما الاسواق ، فطابعها متأخر ، وتتصف بقدرتها الشديدة ، على الرغم مما تحتويه من السلع الموفية لضروريات الحياة والتي تجلب من كردستان .. الشوارع ملأى بالمقاهي الكبيرة الممتدة على طول الشارع لمسافة تقدر بمائة ياردة .. وقد صفت التخت على جانبي الطريق .. وكان عدد الحمامات كثيرة اذ يقترب من الثلاثين حماماً ، الا أنها متأخرة جداً مقارنة بما هي عليه حمامات القاهرة والشام وحلب ... » (٣٩).

ونجح البيرقدار في تعمير دور الحكومة في الموصل ، وخاصة انشاء بنايتي « القشلة » الاولى : « القشلة الملكية » اي المدينة والثانية « القشلة العسكرية » وقد صممتا كلا البنايتين على جانب من الجبال والعناية (٤٠) . وقد استفاد البيرقدار من القائد الالماني الشهير فون مولتكه الذي كان ماراً بمدينة الموصل ، فاستقبله وطلب منه ان يضع له مخططاً لاجهزة الحكومة ومنشأتها الخاصة ، فتم له ما اراد ، فتقبل فون مولتكه هدايا البيرقدار ، وحمل معه اجمل الذكريات عن مدينة الموصل . كما جدد البيرقدار شوارع المدينة ، وفتح شوارع اخرى جديدة ، وقام بتأسيس مستشفى .. كما واهتم بأحوال الاسواق وقام بتسقيف بعضها ورصف اخرى (٤١) .

وفضلاً عن جميع هذه الاهتمامات والانجازات لحياة الموصل المدنية ، فان اهتماماته وانجازاته العسكرية كانت اكبر من ذلك بكثير ، فقد اهتم بأحوال المراكز العسكرية لجنده ، فقام بتأسيس بعض الثكنات المهمة ، كل حسب اختصاصاته كالدفعية والمشاة والخيالة (تلك الثكنات التي لم تترك بقاياها موجودة حتى يومنا هذا وقد اندثر اغلبها). وقام بانشاء عدة أفران خاصة بالجيش

واهتم بالميرة العسكرية ، فضلاً عن انشائه مصنعاً للأسلحة الذي بدأ بصناعة مدافع وقنابل ، انتج حوالي ثمانين مدفعاً ، واستطاع ان يعتمد على جيش قوي في الموصل ، قاتل به في العديد من الاطراف^(٤٢).

أما من الناحية الاجتماعية فقد جدّد البيرقدار بعض الاصرحة الموجودة في الموصل^(٤٣) ، كما واقتصر من المجرمين والشقاة بالغائه نظام الهايئة^(٤٤) وعناصره من المرتزقة لغرض فرض الأمن وسيادته ، مؤسساً بدل ذلك « النظام » البوليسي الشقي ، اجهزة الشرطة والدرك العسكري كقوات نظامية كانت لهم ثكنتهم^(٤٥) . وقد أصدر في عام ١٨٣٥م قانون « القرعة » اي : التجنيد الاجباري ، فكان ذلك مثار هياج الاهالي ومعارضتهم له ، ونشوب انتفاضتهم الثورية ، وقتلهم لرئيس ديوانه ، فما كان منه الا أن يصوب عشرين مدفعاً نحو المدينة ، وقبض على الثائرين من اعيان المدينة ونفاهم الى البصرة . وبذلك تكون الموصل هي السباق في تطبيق قانون التجنيد الازلامي (المذي دعي بالقرعة) ، والذي تأخر تطبيقه في العراق حتى عام ١٨٧٠م. ومارس البيرقدار سياسة جائرة في تجنيد ابناء الموصل بصورة اجبارية مما أثار عليه الرأي العام^(٤٦).

وكان البيرقدار رجلاً بيروقراطياً : قاسياً في احكامه ، وشرساً في ادارته ، وفظلاً في حملاته ، ودكتاتوراً في عقوباته . وخاصة في حملاته العسكرية لقمع ثورة سنجار وتلعفر وضد عشائر ثمر . وقد انصبت اصلاحاته جميعاً في الجوانب العسكرية اكثر من اهتماماته بالمرافق العلمية والاصلاحات المدنية ، فهو لم يؤسس المدارس ودور العلم ، ولم يكن يهتم هو نفسه بالعلم والعلماء كما فعل والي بغداد داود باشا مثلاً إبان حكمه لبغداد للفترة ١٨١٧ - ١٨٣١م . ولعل من أبرز الاسباب في ذلك كله : ما كانت تحتججه الموصل من إمكانات

عسكرية خلال تلك الظروف الصعبة التي كانت تعيشها . اضافة الى ما كان يحيطها من تهديدات اقليمية .. ناهيك عن الشخصية العسكرية التي تمتع بها البيرقدار.

لقد أسس محمد باشا ابنجة البيرقدار حكومة محلية كفتاً. كما ألغى القوضى الضريبية التي كانت ضاربة اطنابها في الموصل ، وكانت الضريبة تعرف في اغلب مناطقها ب « الاتاوة » لعدم وجود نسب محددة لها ، وعمل على تنظيم جباية الضرائب ، فازترت ايرادات الولاية المالية واضحت كافية لدفع مرتبات الجند والموظفين وبقية العاملين في الادارة داخل الولاية^(٤٧).

أوضاع الموصل بين نهاية البيرقدار ومجيئ مدحت باشا :

توفي محمد باشا ابنجة البيرقدار سنة ١٨٤٣م بعد ان حكم الموصل قرابة عشرين سنوات ، وقد دفن في جامع النبي شيت^(٤٨) ؛ فتعاقب على حكم ولاية الموصل للفترة ١٨٤٣ - ١٩٠٨م اكثر من خمسين والياً (وقد وصل عددهم الى ٥٩ والياً حتى الاحتلال البريطاني للموصل عام ١٩١٨م) ، ولكن لم يصل اي واحد منهم الى درجة الكفاءة والمقدرة التي تمتع بها البيرقدار ، وربما كانت الموصل ستحظى باصلاحات عثمانية واسعة النطاق لاحدهم لو بقي فترة طويلة في الحكم ، اذ كانت عهود جميعهم قصيرة جداً لم تساعدهم ابداً في فهم احتياجات المدينة ، وادراك ظروفها وخصوصيتها . وقد أمعن اولئك الولاة في تطبيق المركزية العثمانية ، والتعصب للتركية التي فرضوها لغة رسمية في الدوائر الرسمية . وكان للمدارس الدينية الموصلية ذلك الدور المؤثر في الحفاظ على العربية ، وعلى مجموعة من التقاليد والخصوصيات الموصلية . وقد أدى ذلك الى ضعف في الثقافة وانحطاط في العلوم ، وضعف في التدريسات ، وركاكة في

اساليب الشعر والادب. ان الذي تبقى من آثار ونصوص ومخطوطات ورسائل متداولة.. ما خلفه زواد الثقافة والعلوم الدينية والآداب العربية في الموصل إبان العهد الجليلي^(١٩).

وقد شهد النصف الثاني من القرن التاسع عشر جهود بعض المهتمين في الحقول الادبية والعلمية اثر انتشار الوسائل والاساليب الجديدة، والتي كانت ثمرة جهود بعثات وعلاقات رجال النهضة العربية، مما أدى الى توسع العلاقات الثقافية، ناهيك عن مساهمة الارشاليات الاجنبية في تحديث بعض المرافق العلمية والثقافية.

إذن، فلنوضح الاوضاع السياسية والادارية للموصل إبان النصف الثاني من القرن التاسع عشر:

لقد ازدادت قوة السلطة المركزية العثمانية على الولايات العربية في الفترة التاريخية المبينة اعلاه، مع ازدياد التسلط الاقتصادي على الموارد بازدياد الضرائب والاناوات والمكوس، اذ تفاقمت اساليب الجباية من قبل الولاة على نحو كبير، وذلك من اجل ان يحافظوا على مناصبهم. كما وازدادت الرشوة واشكال الفساد الاداري. ونصب الولاة الاتراك الجهلاء وتولوا مقاليد الامور في الموصل، فكثرت المفاسد، وتردّت الاحوال العامة، وازداد الفقر والعوز والفاقة. وعاشت المدينة في خضم مشاكل اقتصادية وادارية لا تحصى^(٢٠). ويرسم الشاعر الموصل الشهير بشعر المهجاء: عبدالله راقم افندي لنا صورة نقدية عن اولئك الولاة الذين مارسوا ادوارهم القصيرة في ادارة الموصل اذ يخاطبهم في احد قصائده قائلاً:

رستم بلا علم ولا حلم ولا
وسدتم بلا أصل ولا فضل ولا
ساقسم يمينا بالذي خلق الملا
يمينا لقد نجستموا رتب العلا
وألبستموها بعد عزتها ذلاً

فتباً لدهر أنتمو عظماءه
وأنتم أراضيه وأنتم سماؤه
فلو كنتم ممن لا يرد قضاؤه
صفعت زماناً أنتمو رؤساءه
بنعل ولكن صفعه بكم اولى^(٢١)

لقد أضّر حكم الولاة الاتراك بالموصل كثيراً على مدى القرن التاسع عشر بعد أن تهيأت للمدينة فرص ممتازة لتفاعل عوامل النهضة العربية فيها، أسوة ببعض المدن العربية الاستراتيجية المهمة في بلاد الشام، ولكن سوء الادارة العثمانية فيها قد أضّر بتاريخها وتطور مجتمعا وبيئتها السكانية التي تهيأت فيها امكانيات ووسائل وأساليب متعددة. خصوصاً عندما نعلم بأن آثاماً جسيمة قد إقترفها أولئك الولاة الاتراك بحق مجتمع الموصل واقتصادياته، كما وصف ذلك دي فوصيل القنصل الفرنسي في بغداد^(٢٢).

ويمكننا ان نتوقف عند احد اولئك الولاة الاتراك، واسمه «كريدي محمد باشا» الذي حكم الموصل للفترة ١٨٤٥ - ١٨٤٦. ويعد هذا الوالي من اقصى الولاة الاتراك على اهالي الموصل، وكان فظاً في تعامله، ولم يتورع ان يقبض على بعضهم، لكي يزجهم في السجون البائسة، وكان قد شدد في جمع الاموال الاميرية. وقد أراد أن يكتشف موقعه في قلوب الناس، فتمارض في احد الايام، واعلن عن احتضاره، ففرح الناس بهذا النبأ، وكان جواسيسه يلتقطون الاخبار والمواقف الحقيقية والآراء السياسية المعارضة.. فاستطاع ان يعقل بعض وجوه البلد، لكي يفرض عليهم غرامات وهدايا واموالاً طائلة، ولم تكف عناصره الهوليسية والسرية من التحرك داخل المدينة، بل بدأت السلب والنهب من قبل عناصر جيشه.. وعاشت الموصل خلال شهور سنة ١٨٤٥ حالة يرثى لها^(٢٣).

٧. علي أشقر باشا ١٢٦٥ - ١٢٦٦ هـ / ١٨٤٩ - ١٨٥٠ م
٨. محمد كامل باشا ١٢٦٦ - ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠ - ١٨٥١ م
٩. مصطفى مظهر باشا ١٢٦٧ - ١٢٦٧ هـ / ١٨٥١ - ١٨٥١ م
١٠. متصرف حلمي باشا ١٢٦٧ - ١٢٧٤ هـ / ١٥١ - ١٨٥٧ م.
١١. مصطفى باشا ١٢٧٤ - ١٢٧٥ هـ / ١٨٥٧ - ١٨٥٨ م
١٢. ويسى باشا ١٢٧٥ - ١٢٧٦ هـ / ١٨٥٨ - ١٨٥٩ م
١٣. عبدالله باشا ١٢٧٦ - ١٢٧٧ هـ / ١٨٥٩ - ١٨٦٠ م
١٤. حاجي يوسف باشا ١٢٧٧ - ١٢٧٨ هـ / ١٨٦٠ - ١٨٦١ م
١٥. عطا الله بك ١٢٧٨ - ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ - ١٨٦١ م
١٦. كنعان باشا ١٢٧٨ - ١٢٨٤ هـ / ١٨٦١ - ١٨٦٧ م
١٧. متصرف آصف أفندي ١٢٨٤ - ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٧ - ١٨٦٨ م
١٨. شبلي باشا ١٢٨٨ - ١٢٨٩ هـ / ١٨٧١ - ١٨٧٢ م^(٥٧)

الوالي مدحت باشا والموصل :

يبدو أن انعطافاً ملحوظاً طرأ على الحالة الادارية في الموصل أثر تسلم مدحت باشا منصبه كوالي لبغداد عام ١٨٦٩م إبان عهد السلطان عبدالعزيز ١٨٦١ - ١٨٧٦م بعد منح مدحت باشا صلاحيات استثنائية في ادارة الاقاليم العراقية. فقد ادخلت تحديثات تنظيمية في ادارة الحكومة العثمانية على يد مدحت باشا الذي يعد رائداً في اصلاح الادارة العثمانية ليس على مستوى الاقاليم العراقية

ويجادنا دي فوسيل نقلاً عن القنصل الفرنسي في الموصل سنة ١٨٤٥ ، محلاً شخصية والي الموصل كريدي محمد باشا ، قائلاً بأن « هذا الاقليم (= الموصل) قد سُلم يداً بيد الى لص شقي قاطع طريق حقيقي متمثلاً بشخص هذا الوالي (= كريدي محمد باشا) الذي لا يتورع عن اقتراف كل الآثام ، إذ لاقدسية لشيء في نظره. ولا حرمة لديه لحياة او اموال وشرف العوائل والاسر^(٥٤) ».

ولم تكن أدوار بقية الولاة الذين حكموا الموصل بعد كريدي محمد باشا ، بأحسن حالاً إذ بقيت الاضطرابات مستمرة ، وازدادت عمليات السلب والنهب من قبل قطاع الطرق وبعض القبائل التي قامت بدورها في الغزو والاغارة على المدن^(٥٥) . وهذا أمر طبيعي بالنسبة لانباء مدينة الموصل منذ عصور خلت ، وهي تتعرض لمثل تلك العمليات .. كما وتعرضت بعض المناطق التابعة للموصل الى عمليات عسكرية تأديبية قام بها بعض الولاة الاتراك ، وخاصة ضد اليزيدية^(٥٦) .

ويمكننا أن نجمل أذناه أسماء الولاة الاتراك الذين حكموا الموصل وعهدهم منذ سقوط الحكم المحلي سنة ١٨٣٤م وحتى بداية عهد الادارة العراقية المباشرة سنة ١٨٦٩م وهم كالآتي :

١. محمد باشا اينجة البيرقدار ١٢٤٩ - ١٢٥٩ هـ / ١٨٣٣ - ١٨٤٣ م
٢. محمد شريف باشا ١٢٦٠ - ١٢٦١ هـ / ١٨٤٤ - ١٨٤٥ م
٣. كريدي محمد باشا ١٢٦١ - ١٢٦٢ هـ / ١٨٤٥ - ١٨٤٦ م
٤. طيار باشا ١٢٦٢ - ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٦ - ١٨٤٧ م
٥. أسعد باشا ١٢٦٣ - ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٧ - ١٨٤٨ م
٦. وجيهي باشا ١٢٦٤ - ١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ - ١٨٤٩ م

فحسب ، بل على مستوى الدولة العثمانية إبان عهد عبدالعزيز. فقد أحلّ مدحت باشا محل الهاشوات المستبدن بآرائهم واساليبهم وسياساتهم : فئة عريضة من الموظفين النظاميين الذين يدعون بـ «الافندية»^(٥٨).

لقد بدأت صفحة تاريخية أخرى في حياة الموصل الادارية إبان القرن التاسع عشر، اذ تأثرت بالمنجزات الواسعة التي أداها مدحت باشا للعراق، وخاصة تنظيم التشكيلات الادارية العراقية على نحو جديد من الناحية الاصلاحية. أما من الناحية الاقتصادية، فان سنة ١٨٦٩م، ترتبط بمحدث تاريخي كبير ومؤثر في استراتيجية المنطقة، هو فتح قناة السويس.. ذلك الانجاز الذي استقطب من خلاله الجزء الاوفى من الاقتصاديات الدولية، فتحوّلت عن الموصل كقاعدة تجارية دولية إبان المرحلة التاريخية التجارية الدولية : الطرق والمسالك التجارية البرية بين الشرق والغرب، فلحقها ضرر كبير جراء ذلك الانجاز الواسع، وغدت المكوس التي كانت تفرض على ترانسييت القوافل التجارية ضعيفة بل ومنعدمة في كثير من الاحيان.. وساءت الاوضاع الاقتصادية في الموصل كثيراً، حتى يزداد تفاقم النوائب في الحياة الاجتماعية^(٥٩) بعد ان عمّ الغلاء الشديد في الموصل عام ١٨٧٨، وهو الغلاء المعروف بـ «غلاء الليرة».

ولكن كيف كانت وضعية التشكيل الاداري ومساحته في الموصل مقارنة بكل من بغداد والبصرة؟ تمد وضعية التشكيل الاداري والحدود الادارية للموصل على امتداد عهود السيطرة العثمانية غير مستقرة ابداً، وازدادت قلقاً وعدم استقرار خلال القرن التاسع عشر، فند عودة حكم المركزية الادارية على يد محمد باشا اينجة البيرقدار عام ١٨٣٤ والذي أوقف حالة التداعي التي كانت تعيشها الموصل أثر تفاقم خطر حكم الامارات

الكردية في شمالي العراق، ضعف شأن الموصل كولاية إدارية بضمور بعض الجوانب فيها. وعلى الرغم من حالة الاستقرار النسبي، فإن العراق بقي مقسماً الى ولايتين كبيرتين :

الاولى : ولاية بغداد شاسعة الاطراف، والتي اتسعت اتساعاً كبيراً في القرن التاسع عشر والثانية : ولاية الموصل التي بدأت مساحتها الادارية تقلص تدريجياً، حتى الغي تشكيلها كولاية، واصبحت سنجقاً تابعاً لولاية بغداد عام ١٨٥٠، ولم تستعد تشكيلها الكامل كولاية مهمة لها استراتيجيتها الا في عام ١٨٧٩. وقد عاشت البصرة في الجنوب أزمة الانتقال ايضاً من متسلمية الى ولاية عام ١٨٥٠، ثم الى متصرفية لواء عام ١٨٦٢ لتعود ولاية عام ١٨٧٥، ثم تغدو متصرفية في عام ١٨٨٠، ثم عادت ولاية في عام ١٨٨٤^(٦٠).

يعلما أكثر من مصدر تاريخي أن فترة الثلاثين سنة الممتدة بين ١٨٣٩ - ١٨٦٩م أي بين سقوط الحكومات الاقليمية وبين تأسيس الادارة العراقية المباشرة، هي فترة لم تشهد الا تطبيقات جزئية لمجمل الاصلاحات عاماً، ومنها الاصلاح المالي خصوصاً. وذلك بفعل عوامل نضوج الصراعات الداخلية المحتدمة بين الحكومات العنصرية / الاثنية، وبين السلطة وخصوصاً في شمالي العراق، فطبعت تلك العقود الثلاثة بطابع عدم الاستقرار. ولكن هيكل الادارة المالية الجديد بدأ يكتسب تدريجياً على الرغم من عجزه في ممارسة صلاحياته بشكل كامل .. اذ لم تأخذ الممارسات الاصلاحية طريقها الى التطبيق العملي على نحو جاد الا في عهد مدحت باشا ١٨٦٩ - ١٨٧٢م، والذي يعتبر عهده نهاية تاريخية لمرحلة الانتقال والتحول من حكم اللامركزية المحلية الادارية الى حكم المركزية التركية.

ويعد حكم محمد باشا اينجة البيرقدار للموصل

استنتاجات تاريخية : المؤثرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية

على الرغم من مجمل الاصلاحات المدنية والعسكرية التي اذاهها محمد باشا اينجة البيروقراطي للموصل. الا أن اوضاعها بقيت مهملة على امتداد العقود الثلاثة التالية ، إذ لم يطرأ عليها أية تغييرات حتى ولو كانت شكلية ظاهرية ، وذلك نتيجة لكثرة الولاة الذين تعاقبوا على حكمها^(٦٣). وكانوا يهتمون على مقاليد الولاية المختلفة بصورة مطلقة ، إذ كانوا يتمتعون بسلطة نافذة في الابتزاز من خلال الاجهزة التي تعمل جميعها على تحقيق مصالحهم الشخصية ، وآمرهم في السلطة والنقوذ .. وكان جميع ذلك يجري ضمن آلية التوجيه العثماني المركزي الذي عمل طويلاً على فرض الهيمنة الادارية المركزية في عصر انهيار الاجهزة الاقتصادية القديمة ، وبداية عصر تكوين المؤسسات الجديدة في خضم عمليات الاصلاحية والتنظيمات العثمانية. ويبدو أن موقف الرأي العام في الموصل كان واضحاً ازاء أساليب التسلط المختلفة التي مارسها جميع الولاة الاتراك ، وخاصة محمد باشا اينجة البيروقراطي ومحمد كريددي باشا وغيرهما. وقد تجسدت صور التعبير من الاستياء العام إبان فرض قانون التجنيد الالزامي من قبل البيروقراطي، فواجهه الموصليون بالاستنكار والرفض ، وقاد ذلك الى التمرد والعصيان ، مما يدل على عدم إيمان أهالي مدينة الموصل بالاهداف السياسية العثمانية ، ولكن البيروقراطي كان أسرع في المواجهة وحسم الموقف والقضاء على الانتفاضة الشعبية بنصب المدافع حول مدينة الموصل وتهديدها ، وفرض أحكامه العرفية القاسية^(٦٤).

يقول المؤرخ سليمان صايغ : « وكان محمد باشا (البيروقراطي) شديداً فيما يرومه قاسياً على العصاة ، فظاً شرساً مع الاهلين من ذلك إنه لما ثارت أهالي

وعلى مدى عشر سنوات بداية حقيقية لخطوات الاصلاح الذي لم يتخذ منه طابعاً مظهرياً على الرغم من انه يستند كلياً عن جوهر التحولات والاصلاح الحقيقي. ومن خلال مقارنته مع حكم علي رضا باشا اللاز لبغداد ١٨٣١-١٨٤٢م ، يكاد يكون الفرق كبيراً بين الاثنين.. علماً بأن المشكلات المحلية والاقليمية التي كانت تواجه الموصل هي اكبر بكثير مما كانت تعانها بغداد. ولكن الظاهرة الاصلاحية تنطبق على البيروقراطي وحده ، إذ لم يتمتع بها أي وال تركي حكم الموصل من بعده على الرغم من اهتمام الدولة العثمانية وحرصها الكبير من خلال ماصدرته من قوانين ومراسم باصلاح المرافق الادارية والمالية.. وشعورها بالمعالجة للخلل الاداري والفساد البيروقراطي الذي أصاب هياكل تلك المرافق ، وخصوصاً المالية منها^(٦٥).. واستمرت الدولة في معالجتها تلك للاوضاع على امتداد القرن التاسع عشر دون فائدة تذكر ، ولاسيما تفشي الرشوة والاختلاس على نحو كبير.

ان المؤسسات الادارية والمالية الجديدة لم تظهر في العراق ظهوراً حقيقياً وملموساً الا في عهد مدحت باشا ١٨٦٩ - ١٨٧٢م ، فالضرائب والرسوم - مثلاً - كمصدرين رئيسيين متداخلين : امتدت المرحلة الاولى منها والمحصورة ما بين عودة الحكم العثماني المباشر في ١٨٣١ ومجي مدحت باشا في ١٨٦٩. وقد تميزت هذه المرحلة بطغيان الحدث السياسي المقترب بالفعل العسكري الهادف الى تطبيق سياسة تركز السلطة وفرض هيمنتها على جميع المناطق في العراق^(٦٦). فظهرت فيها أولى البوادر للهيكل الشكلي للادارة الحكومية الحديثة في مؤسساتها وموظفيها وفق مفاهيم الاصلاح ، ولكن على حساب تدهور الوضع الاقتصادي في العراق الى درجة خطيرة.

الموصل، وأبوا قبول القانون العسكري وتنفيذه
ارسل اليهم احد أعوانه يدعى قاسم أفندي
ليدعوهم الى الطاعة ويقنعهم في الاذعان الى
القانون العسكري. فلما أقبل رسوله الى الاهالي ثاروا
عليه وقتلوه، فأحضر محمد پاشا عشرين مدفعاً
صوبها على المدينة ثم أرسل عليها بعض الكتائب
النظامية فدخلوها ونهبوا اسواقها وسفكوا دماء ابرياء
كثيرين. ثم أمسك بعضاً من وجوهها وارسلهم نفيّاً
الى البصرة ومن ثم انقاد الاهلون الى الاذعان.
وصار محمد پاشا يجتد الاهالي من غير مراعاة السن
والحال فكان يبيت عسكرياً في شوارع المدينة ليأتوه
بمن يصادفونه أباً كان...» (٦٥).

ان الاصلاحات الادارية والمالية في الموصل لم
تأخذ طريقها للتنفيذ الا في عهد مدحت پاشا
للعراق ١٨٦٩ - ١٨٧٢م، إذ شهدت الولايات
العراقية تحولات اساسية في النظم والمياكل
والممارسات... وهي التي شكّلت ركائز في محاولات
تحديث العراق، ولكنها لم تستمر بفعل انتهاء ولاية
مدحت پاشا، ففدت خطوات بطيئة بفعل سياسة
قديمة لمؤسسات جديدة.

لقد زار الموصل في مطلع النصف الثاني من
القرن التاسع عشر أبو الثناء الألوسي في طريقه الى
اسطنبول، إذ كانت رحلته نحوها للفترة ١٨٥١ -
١٨٥٣، وقد وصف الرجل مدينة الموصل وصفاً
رومانسياً جميلاً قائلاً: «وهي مدينة عذبة المماء،
طيبة التربة والهواء، طعامها هنيء وشراها مري،
واسعة البلاد وسرتها، ووجهها الصبيح وغرتها تلد
الربيع في السنة مرتين، فهي بين البلاد ام
الربعين.. وهي كالعرائس في حليها وزخارفها...
ولا عيب فيها سوى انها ايام الربيع تسرق العائهم
الخضر من السادة.. وانها تنبت العلماء المحققين كما
تنبت الاقحوان والنسرين وتخرج الاخيار كما تخرج
الازهار...» (٦٦).

ويبدو جلياً للمؤرخ أن مجتمع الموصل عاش

خلال الفترة ١٨٤٣ - ١٨٦٩م على بقايا الثقافة
العربية الرصينة التي خلفتها المرحلة الجليلية إبان
العهد المحلي الذي استمر أكثر من قرن كامل حفلت
الموصل عصر ذلك بالانشطة الفعالة والابداعات
المتميزة باعتبارها من المدن المنتجة الرئيسة على
الرغم من النكسات المبررة التي تعرضت لها سياسياً
واقتصادياً ناهيك عن سوء الادارة وعنف الحكام
الانراك واضرارهم بالمصالح الاجتماعية التي اكتسبها
اهالي الموصل منذ حصار نادرشاه للمدينة عام
١٧٤٣م (٦٧).

ويندهش القنصل الفرنسي في الموصل من
اهاليها الذين كانوا يعلمون اخبار فرنسا ونابليون
بونابرت، فقد كتب في تقريره المؤرخ في سنة
١٨٥٤م قائلاً فيه: «... لانني ازداد اندهاشاً
واستغراباً كل يوم من ان تاريخ الامبراطورية
(الفرنسية) يعرفه الناس هنا (=الموصل) ...» (٦٨).
وليس هذا التحسّس بغريب على مثقفي الموصل
عصر ذلك اذا ما علمنا بالشأو الكبير الذي كانت
الثقافة في الموصل قد بلغت، إذ كانت مدينة عربية
مرشحة لكي تنهض بدور ريادي في النهضة العربية
الحديثة.

ولكن كانت الموصل قد غدت ولاية اعتيادية
بعد انتهاء الحكم المحلي، ازدادت مشكلاتها
وتفاقمت المخاطر من حولها، وضر دور الاسر العلمية
والسياسية، ففي حين عاش يحيى باشا الجليلي بقية
سنوات حياته في العاصمة العثمانية معزراً
مكروماً (٦٩). فإن بقية أحفاد بيت الغازي محمد
أمين پاشا قد اصبحوا في عداد ملاكي الاراضي
من الطبقة الارستقراطية في البلد.. ولم نعر على أية
معلومات توضح لنا أية محاولة جليلية جديدة لاستعادة
السلطة الشرعية - المحلية في الموصل للفترة
١٨٣٤ - ١٨٦٩م.. مما يدل على انتهاءهم سياسياً
امام سطوة الولاة الانراك القسا.. ولم تكن آراء
وأفكار بقية الاسر الموصلية الاخرى بمختلفة، إذ لم

تنحازية اسرة الى جانب أولئك الولاة.. بدليل أن
البيروقراطية نفسها قد فرض هيئته بالقوة والقسوة
والصرامة.

لقد كان لتردي الأوضاع أثره في هجرة كثير من
العلماء والادباء الموصليين الذين غادروا الموصل إبان
عهود الولاة الاتراك نذكر منهم : الاديب قاسم بن
يحيى الموصلي الشهير بمحضر زاده الذي رحل الى
حلب ثم عاد الى الموصل^(٧٠) ، والأديب عبدالرحيم
الفائز الذي رحل نحو بلاد الشام ومصر^(٧١) ..
وهناك حسن حسني الذي إرتحل نحو بلاد
الشام^(٧٢) وديار بكر، وقد وصف رحلته التي قام
بها سنة ١٨٦٧م الى ديار بكر في رسالة بعنوان :
«الرحلة من الموصل الزاهرة الى ديار بكر
العامرة»^(٧٣). وهناك ايضاً : كل من الشعاعين
الشهيديين : عبدالغفار الاخرس^(٧٤) وعبدالباقي
الفاروقي.^(٧٥)

من جانب آخر، غدت مدينة الموصل خلال
الفترة المعنية ، مركز استقطاب مهم لرجال علم
الآثار وعلم الانسان .. فضلاً عن كثير من المبشرين
والقناصل والدبلوماسيين.. إذ أصبحت الموصل
قبة للاروبيين نظراً لاهميتها التاريخية والاجتماعية ،
فكثرت الارساليات الدينية - التبشيرية ، وفعاليات
الآباء الدومنيكان في التعليم والصحة والطباعة . ان
الموصل كأبرز مدينة شرقية ، احتلت موقعاً مهماً في
التفكير الاوربي خلال العصر الحديث ، وقد وفد
الآباء الدومنيكان الفرنسيون الى الموصل في اوائل
سنة ١٨٥٧ ، ووسّعوا نشاطاتهم الطبية والتعليمية
والتبشيرية في الموصل وضواحيها.. وكان لوجود
القنصلية الفرنسية في الموصل اثر كبير في تحويل
عدد كبير من السريان الى الكاثوليكية في قره قوش
وبرطلة ، وقد اهتم القنصل الفرنسي ولاة الموصل
الاتراك باثقال كواهل السكان ولاسيما المسيحيين
منهم بالضرائب الفادحة .. وكان يبعث في الوقت
نفسه بالمرسلين الدومنيكان الى المسيحيين يرغبون في

طلب الحاية الفرنسية من اجل التخلص من تلك
الضرائب ، شريطة الخضوع لباپا روما.^(٧٦)
لقد تنبه كل من الانكليز والامريكان لنشاطات
الفرنسيين في الموصل ، فبدأوا يوفدون الارساليات
البروتستانتية الى العراق^(٧٧) ، وكان على رأسهم كل
من المبشرين غرانت Grant سنة ١٨٣٩م
وبيركنس Perkins سنة ١٨٤٨م الامريكيين..
وعلى الرغم من قلة انتشار البروتستانتية في شمال
العراق، فقد أنشأ في الموصل اول مقر لارسالية تبشيرية
امريكية على يد غرانت.. ثم تتابع وصول بعض
المبشرين الامريكان مثل : وليم بيرى فوك والمستر
فورد والمستر كمبرلاند والدكتور حزقيل وزوجته
الذين شيّدوا مدرسة في الموصل وغادراها سنة
١٨٦٤م^(٧٨) . وكان للقنصل البريطاني في الموصل
دوره في دعم الانشطة البروتستانتية والآثارية على
امتداد سنوات القرن التاسع عشر متمثلة بمجهود
عيسى رسام الموصلي الذي اعتمدت بريطانيا عليه
اعتماداً كبيراً^(٧٩) .

ان حصيلة الجهود المتسابقة لكل من الفرنسيين
والانكليز والامريكان قد شملت مجالات عمل واسعة
النطاق وخصوصاً في الصحة والتعليم والآثار
والطباعة.. وقد استقبل المجتمع الموصل خلال
الفترة المعنية العشرات من الرجال والنساء
الغربيين، وقد ساندتهم القنصليات المتعددة..
وكان تأثيرهم واضح المعالم على ذلك المجتمع الذي
ستضطلع النخبة فيه لانجاز المهام النهضة في حياة
العرب القومية عند مطلع القرن العشرين . اذ كانت
الظروف السياسية والاجتماعية قد نضجت كثيراً ،
فتأثرت بها.. وبدأت تعبر عن ارهاصات القومية
ضمن اساليب مختلفة .

الاستنتاجات العامة :

بدأت صفحة تاريخية جديدة في حياة تاريخ
الموصل الحديث ، وذلك اثر العودة الى نظام

عليه حالها ابان القرن الثامن عشر.

لقد زاول البيروقراطية اجراءات اصلاحية عدة ، اثر تنفيذه سياسة شرسية وتطبيق اداري صارم للمركزية العثمانية بادخاله موظفين اكفاء ، وفرض ضرائب عديدة كالمكس والاعشار والمسقفات . وبدأ بدفع رواتب للجنود والموظفين والخطباء ونجح في تجديد دور الحكومة من خلال مساهمات تجار المدينة وجهائها . ولما مر القائد الالماني الشهير «فون مولتك» بالموصل ، طلب منه البيروقراطية ان يضع مخططاً لمشآت الموصل ، فحصل على ما اراد . واهتم البيروقراطية بتنظيم جيشه ، وأسس الاقربان والمعامل العسكرية (=الطوبخانات) وشيد مستشفى الموصل ، وفتح شوارع جديدة ، وجدّد الاضرحة .. وفرض الأمن ، وحد من القوضى باستحداثه جهاز للشرطة كقوات نظامية بوليسية لهم ثكنتهم ، الى جانب ثكنات للجيش حسب صفوفهم كالمشاة والخيالة والمدفعية واذعن اهالي الموصل بعد رفض مستميت لقانون التجنيد الالزامي .. وقع جميع الانتفاضات ، وانصبت اصلاحاته على الجوانب العسكرية اكثر من الجوانب العلمية والمدينة .

توفي محمد پاشا اينجة البيروقراطية سنة ١٨٤٣م / ١٢٥٩ هـ ودفن بالموصل بعد ان حكمها قرابة عشر سنوات ، فتعاقب بعده عدد من الولاة الاتراك ، ولم يبرز اي واحد منهم كبروز البيروقراطية كونهم لم يمتلكوا كفاءته السياسية ومقدرته البيروقراطية اولا ، اضافة الى قصر فترات عهدهم في ادارة الموصل ثانياً . لقد فرضوا اللغة التركية في الدوائر الرسمية ، فانحسرت العربية في المدارس الدينية ، فكان ان عدّ هذا العهد فترة اغفال للثقافة العربية مع اشتداد التسلط المركزي للدولة في فرض الضرائب والاتاوات .. كما وكثرت المفاصد وتردت الاحوال .. وعاشت الموصل في خضم مشكلات ادارية واجتماعية واقتصادية كثيرة .. ولم يرغب ذوو الكفاءات بالهجرة اليها ، وكثيراً ما اقترفت الولاة

الادارة العثمانية المركزية في السنوات الاخيرة من عهد محمود الثاني . ويبدو للدارس بأن تنصيب الوالي محمد پاشا اينجة البيروقراطية على الموصل ، كان اجراء مرحلياً للفصل بين السلطات السياسية والاجتماعية . أي بمعنى : عملية فصل بين مصالح اكبر اسرتين متنفذتين في المجتمع عصر ذلك : الجليليين والعمرين مع لواحقها من الاسر التجارية والاسر العسكرية (=الجليلية والاغوات) وفروعها من الاقرباء الفقراء .. اضافة الى اتباعهم من «الكولات» (جمع كوله - بالتركية) ، أي : «الخزنجية» (بلغة اهل الموصل) . اضافة الى رفع يد الادارة المحلية عن مسؤوليتها على الاقتصاديات في المدينة والاقليم وتأسيس الانظمة البلدية لتنظيم علاقات تلك الاقتصاديات بالمجتمع وخصوصاً وحداته التجارية وصنوفه المهنية تختلف الشرائح المعروفة .

جاء تنصيب محمد پاشا اينجة البيروقراطية ايضا لأسباب خارجية وقرها البلاط العثماني الى جانب الاوضاع الداخلية .. ويعتبر البيروقراطية من الولاة الاتراك القساة الحازمين ، وكان من الاصلاحيين البيروقراطيين ، فدام حكمه للموصل طويلاً ، وقف على رضا پاشا اللازم وراء تعيينه عام ١٨٣٣م . فوضع البيروقراطية حداً للمشكلات الاقليمية والعرقية التي عاشتها ولاية الموصل والامارات المجاورة لها ، بشنة حملة على امارة بهدينان سنة ١٨٣٣م ، ونجح ايضا من خلال مساعدات الدولة العثمانية على يد رشيد محمد پاشا الصدر الاعظم الاسبق ، فوضعا حداً للاضطرابات الدموية باعتقال محمد پاشا ميركور الذي ارسله الى اسطنبول ، فأقدمه العثمانيون ، وموته زالت امارة سوران سنة ١٨٣٦م / ١٢٥٢ هـ . كما تم الاستيلاء على امارة بهدينان سنة ١٨٤٢م ، والحقت جميع المدن والقصبات بالموصل .. كما واستطاع البيروقراطية ان يخضع شمال العراق ، ويعيد للموصل نفوذها السياسي كما كان

الآثام تجاه ابناء الولايات العربية ، وكانوا يهتمون بالآلة والبذخ .

وبعد عهد البيرقدار ايضا : افتقد الأمن وكثر اللصوص وقطاع الطرق ، وازدادت اعمال السلب والنهب والاغارة على المدن من قبل القبائل كما حدث في عام ١٨٥٤م ، حين حرض واليا بغداد وكركوك العشائر للاغارة على الموصل بقصد السلب والنهب ، ولم تقطع الغارات على الزيدية منذ العهد المحلي ومطاردتهم لاغراض دينية واقتصادية / تاريخية .. فجرت مذابح دموية مريعة .

لقد حكم ولاية الموصل بعد وفاة محمد باشا اينجة البيرقدار عام ١٨٤٣م حتى الاحتلال البريطاني للموصل عام ١٩١٨م قرابة (٥٩) والياً تركياً ، وبادخال عهد البيرقدار ، فان عهد الادارة المركزية العثمانية يشكّله تركيب غريب متعدّد ومتنوّع من (٦٠) والياً للفترة ١٨٣٤-١٩١٨م (قرابة ٨٤ سنة) ، في حين ان (٣٩) من الولاة الاثراك والجليليين قد تقلدوا حكم ولاية الموصل للفترة ١٧٢٦-١٨٣٤م ، اي خلال (١٠٨) سنوات ، علماً بأنّ قسماً منهم قد تقلّد الولاية لاكثر من مرة ، ولقد انتهى حكم الولاة العثمانيين للموصل اثر الاحتلال البريطاني لها عام ١٩١٨ لتبدأ صفحة تاريخية جديدة في حياتها المعاصرة .

الهوامش :

- (١) خير من عالج هذه الجوانب بالتفصيل : د. مجاد عبد السلام رؤوف ، الموصل في العهد العثماني : فترة الحكم العثماني ١٧٢٦-١٨٣٤ ، النجف ، ١٩٧٥ ، ص ١٩٢-١٩٧ .
- (٢) S. H. Longrigg, *Four Centuries of Modern Iraq*, Oxford, 1925, p. 282.
- (٣) سليمان صايغ ، تأريخ الموصل ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٢٧ ، ج ٢ ، بيروت ١٩٢٨ .
- (٤) أن هناك معلومات كثيرة عن الموصل في كتب الرحلات ولآثارهم والأجانب .. ومن الضروري الاستفادة منها في معرفة تفاصيل الأحداث خلال الفترة موضوع البحث .
- (٥) كريستيان رسّام هو أنجو هرزد رسّام ، العالم الآثاري الشهير

الذي أعمدت بريطانيا عليه أيضاً ولكن في الشؤون الآثارية ، أنظر :

H. A. Layard, *Nineveh and its Remains*, ed., intro. and notes written by H. W. F. Saggs, London, 1970, p. 7.

(٦) من القناصل الأنكليزي في الموصل : جون فردريك رسل للفترة ١٨٧٧-١٨٨٣ ، (وهو ويليام فردريك رسل) وويليام شو كلايد ريتشارد للفترة ١٨٨٣-١٨٨٥ ، وهاري هارلنج لاسب للفترة ١٨٨٥-١٨٨٦ م ، وبون فردريك رسل (ثانية للفترة ١٨٨٦-١٨٨٧ م ، وبني المركز شاعراً للسفيرة ١٨٨٧-١٨٩٣ م ، فأخذت بريطانيا تعيّن وكلاءاً ونواباً قناصل في الموصل ، وسنهم : نيسرود رسّام للفترة ١٨٩٣-١٩٠٨ .

(٧) هو السيد بول اميل بوتّا P. E. Bota القنصل الفرنسي في الموصل الذي اتاه بعد أن كان يشغل المنصب نفسه في الاسكندرية والن ، وشارك في التنقيب عن الآثار الاشورية الى جانب لايارد ، ولكنه لم يكن مئخج كلاسيكي فاستفاد من لايارد كثيراً ، وأجرى بعض التنقيبات الى جانب منصبه الدبلوماسي في الموصل ، أنظر :

Seton Lloyd, *The Archaeology of Mesopotamia*, London, 1978, p. 17.

(٨) بيردي فوسيل ، الحياة في العراق منذ قرن ١٨٤٢-١٩١٤ ، ترجمة : أكرم فاضل ، بغداد ، ١٩٦٨ ، ص ١٥٤ .

(٩) ذنون يونس الطائي ، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل في أواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني . (رسالة ماجستير غير منشورة) ، كلية الآداب / جامعة الموصل ، ١٩٩٠ ، ص ١١٨ (بالاعتداع على مصادر وثائقية) .

(١٠) د. سيار الجميل ، العثمانيون وتكوين العرب الحديث : من أجل بحث رؤوي معاصر ، بيروت ، مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٩ ، ص ٢٠٨ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ١٣٠ .

(١٢) Cf. Stanford J. Shaw and Ezel K. Shaw, *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey*, vol. 2, Cambridge Univ. press, 1977, pp. 61 - 85.

(١٣) أنظر التفاصيل في : د. عبد العزيز سليمان نوار ، تأريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٠١-١١٢ ، وأنظر أيضاً : محمد أمين زكي ، تأريخ الكرد والكردستان . ترجمة عن الكردية : محمد علي عوني ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٣٦ ، ص ٢٢٧-٢٣٨ .

(١٤) القس سليمان صايغ ، المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٣١٠ .

(١٥) المصدر نفسه ، ج ١ ، ص ٣١١ .

(١٦) Sayyar K. AL - Jamil, *A critical Edition of al - Durr al - Maknun ft al - Ma'athir al - Madiya min al - Qurun of yasin al - Umari (920 - 1226 A.H. = 1514/1515 A.D. - 1811/1812 A.D.)*, vol.

- (٣٢) الدملوجي، المصلر السابق، ص ٦٧.
- (٣٣) لقد كتب العالم الآثاري الشهير هنري لايارد معلومات واسعة جداً عن هذه المعضلة الزمنية المستعصية، أنظر: Henrey Layard, *Nineveh and its Remains*, London (New ed.) 1970, pp. 23 – 49.
- (٣٤) *Loc. cit.*
- (٣٥) صديق الدملوجي، البزيدية، الموصل، ١٩٤٩. ص ٤٥٦-٥١٤.
- (٣٦) التفاصيل التاريخية في المصلر نفسه اعلاه، ص. ن.
- (٣٧) أنظر: سليمان صايغ، المصلر السابق، ج ١، ص ٣١٤.
- (٣٨) (S. H. Longrigg, *op. cit.*, p. 283).
- (٣٩) J. Buckingham, *Travels in Mesopotamia*, London, 1827, p. 91.
- (٤٠) أحمد الصوني، مخطط الموصل، ج ٢، الموصل، ١٩٥٣، ص ٢٨.
- لا بد لنا أن نشير الى ان موقع كل من القشتلين الملكية والعسكرية بالموصل في المنطقة المطلة على نهر دجلة خارج أسوار الموصل. وفي المكان الذي تقوم فوقه اليوم بناية بلدية الموصل ودار المحافظ والمستشفى العسكري. وقد هدمت القشلة الملكية لكي ينشأ فوقها "دار الصياغة" الذي هدم هو الآخر ليقيم بدله "دار المحافظ". أما الميادين الكبرى الواقعة مقابل كل من القشتلين، فقد بني على جانب منها: متحف الموصل القديم والمتحف الحضاري بالموصل أمامه. أضافاً الى "حديقة الشهداء". أما بلدية الموصل الحالية، فهي تقوم في المكان الذي كانت تقوم فيه دائرة الأملاك السنية التي أنشأها السلطان عبد الحميد الثاني.. في حين كانت بناية البلدية القديمة وحديقها الغناء عند الروبة التي تقع قرب باب الجسر (=جسر نينوى) وفي المكان الذي خصص اليوم لكي يكون ساحة لوقوف السيارات (المعلومات عن أوراق وصور قديمة في حوزة كاتب البحث).
- (٤١) سعيد الديوه جي، بحث في تراث الموصل، الموصل، ١٩٨٢، ص ١٣٧.
- (٤٢) المرجع نفسه، ص ٣٧، وانظر: صايغ، المصلر السابق، ج ١، ص ٣١٣. والمزاوي، المصلر السابق، ج ٨، ص ٧.
- (٤٣) د. داود الجبلي، مخطوطات الموصل، بغداد، ١٩٢٧، ص ٢٠٥.
- (٤٤) المايته: مصطلح يعني قوة من المرتزقة تكون مسؤولة عن حفظ الأمن.
- (٤٥) احمد الصوني، تاريخ محاكم الموصل من ١٥٣٤-١٩١٨، الموصل، ١٩٤٩، ص ١٨.
- (٤٦) سليمان صايغ، المصلر السابق، ج ١، ص ٣١٣. وانظر: د. عبد العزيز نزار، تاريخ العراق الحديث. (سبق ذكره)، ص ٨٦.
- (٤٧) أنظر: غانم محمد علي، النظام المالي العثماني في العراق ١٨٣٩-١٩١٤ (رسالة ماجستير غير منشورة). كلية آداب/ جامعة الموصل، شباط ١٩٨٩، ص ٨٧.
- 1, St. Andrews Univ, Scotland, 1983, p. 116.
- (١٧) صديق الدملوجي، أمانة هديتان الكردية أو أمانة العمادية، الموصل، ١٩٥٢، ص ١١-٢٠.
- (١٨) راجع التفاصيل في: حسين حوزي موكرباني، تأريخ الامراء السووان (بالكردية)، زاودوز، ١٩٣٥، ص ٨٢، هناك نسخة منه ترجمت الى العربية من قبل محمد الملا عبد الكريم، بغداد، د. ت. د.).
- (١٩) توصيف ذلك من: د. سيار الجميل، "رحلة جوستن بيركنس عبر شمال العراق: الأرض الكلاسيكية عام ١٨٤٨ م"، مجلة المورد، المجلد (١٨)، العدد (٤)، بغداد، ١٩٨٩، ص ١٧٦-١٧٧.
- (٢٠) أنظر تحليل ذلك عند المؤرخ لونريك: (S.H.Longrigg, *op - cit.*, p. 284).
- (٢١) أنظر: حسين حوزي موكرباني، المصلر أعلاه، ص ١٠١.
- (٢٢) د. كاسو نغان، الأكراد والأميراطورية العثمانية، ترجمه عن الروسية الى الكردية: د. جليل جاسم، بغداد، ١٩٨٧، ص ١٦٥-١٦٧.
- (٢٣) محمد أمين زكي، تأريخ: (سبق ذكره). ص ٢٣١.
- (٢٤) عبد الفتاح علي مجي، "المجموع العثماني على كردستان وسقوط أمانة سووان"، مجلة كازران، العدد (٥٢/٥٣)، السنة (٦) كانون الثاني/ شباط ١٩٨٧، ص ١٣٨.
- (٢٥) المرجع نفسه، ص ١٣٨-١٣٩.
- (٢٦) محمد أمين زكي، المصلر السابق، ص ٢٤٦.
- (٢٧) أذكر ما ذكره لونريك (Longrigg, *loc. cit.*).
- (٢٨) أنظر بخصوص طبيعة البيئة الصعبة من: A. M. Hamilton, *Road Through Kurdistan: The Narrative of an Engineer in Iraq, with a foreward by Major-General Raw An-Robinson*, London, n.d., p. 279.
- وعن تفاصيل الاحداث التاريخية، أنظر سليمان صايغ، المصلر السابق، ج ١، ص ٣١٢. وراجع أيضاً: عباس المزوي، تأريخ العراق بين احتلالين، ج ٢، بغداد، ١٩٥٦، ص ٣٦.
- (٢٩) راجع تفاصيل القصة الدرامية لنهاية حكم محمد باشا ميركور في: Jemal-eddin Nebez, *aus Sulaimani Kurdistan Der Kurdische Furst Mir Muhammad - i Rawandizi genanat Mir - i Kora im Spiegel der Morgenlandischen und Abendlandischen Zeugnisse* (Ein Beitrag Zur Kurdischen Geschichte): Dissertation Zur Erlangung der Doktorwurde der philosophischen, Fakultät der Universität Hamburg, 1970, pp. 111 – 149.
- (٣٠) سليمان صايغ، المصلر السابق، ج ١، ص ٣١٣. وأنظر: صديق الدملوجي، المصلر السابق، ص ٤٧.
- (٣١) سالنامه در موصل ولايتي لسنة ١٣١٣ هـ، ص ٤٤٤.

- (٤٨) جاء في "سالتانه الموصل" بأن محمد باشا إينجة البيروقراطية توفي بمرض الدوسنتاريا ودفن في جامع النبي شيت بالموصل (انظر: سالتانه درموصل ولايتي لسنة ١٣١٢ هـ، ص ٤٤٤).
- (٤٩) الطائي، المرجع السابق، ص ٥٧.
- (٥٠) راجع ما كتبه د. يوسف عز الدين في كتابه: الشعر العراقي: أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، القاهرة، ١٩٦٥، ص ٢٠.
- (٥١) ديوان شعر عبدالله رالم القندي (مخطوط بحوزة كاتب البحث)، ورقة ٢٩ ب.
- (٥٢) دي فوسيل، المصدر السابق، ص ٧٨.
- (٥٣) صايغ، المصدر السابق، ج ١ ص ٣١٧-٣١٨.
- (٥٤) دي فوسيل، المصدر السابق، ص ٨٠.
- (٥٥) د. يوسف عز الدين، دافد باشا ونهاية المالك في العراق، ط ٢، بغداد، ١٩٧٦، ص ١٣.
- (٥٦) صايغ، المصدر السابق، ج ١ ص ٣١٧.
- (٥٧) راجع: سالتانه در موصل ولايتي لسنة ١٣٢٥ هـ.
- (٥٨) ج. كيرك، موجز تأريخ الشرق الأوسط، ترجمة: عمر الأسكندري، مراجعة: د. سليم حسن، القاهرة، د. د.، ص ١٦٣.
- (٥٩) د. سيار الجميل، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لولاية الموصل في العهد الجليلي ١٧٢٦-١٨٣٤م، في الحياة الاجتماعية للولايات العربية أثناء العهد العثماني، تقديم وتحرير الأستاذ د. عبد الجليل القيسي، ج ١، تونس، ١٩٨٨.
- (٦٠) انظر ما كتبه لونكريك: (S. H. Longrigg, op. cit., p. 313).
- (٦١) أنظر: المستور، المجلد (٢)، المادة (٢) / (٣) / (٤) بعنوان: "مجموعة التنظيمات العثمانية"، ترجمها: نوفل نعمة الله نوفل. بيروت، ١٣٠١ هـ / ١٨٨٤ م.
- (٦٢) قازن: عباس الزواوي، المصدر السابق. ج ٧، بغداد ١٩٥٥، ص ٤٢. وكتاب: د. عبد العزيز نوار، المرجع السابق، ج ١، ص ١٧٣-١٨٣.
- (٦٣) د. عبد العزيز نوار، تأريخ العراق الحديث (سبق ذكره)،

الموصل في العهد الحميدي

(١٢٩٣-١٣٢٧ هـ ١٨٧٦-١٩٠٩ م)

جاسم محمد حسن العلول

مقدمة:

خلال السنوات الثلاث الاولى من العهد الحميدي تعد واحدة من سناجق (ألوية) سبعة كانت تتألف منها ولاية بغداد وهي: بغداد، والسليمانية،

بدأ العهد الحميدي باعتلاء السلطان عبد الحميد الثاني عرش الدولة العثمانية في عام ١٨٧٦، واستمر حتى خلعته في عام ١٩٠٩. وكانت الموصل

وكربلاء، والعمارة، والموصل، وشهرزور،
والحلة^(١).

وقد ظلت الموصل على تلك الحال حتى عام ١٨٧٩ حينما أصبحت ولاية مستقلة^(٢)، وغدت تضم فضلاً عن سنجد الموصل كلاً من سنجقي السليمانية وشهرزور^(٣). وعُد الخط الذي يبدأ من عانة على نهر الفرات، حتى مدينة تكريت على نهر دجلة، بمثابة الحدود الفاصلة بين ولايتي الموصل وبغداد^(٤). اما عن مساحة ولاية الموصل فكانت تقدر بـ (٩١,٠٠٠) كم^٢^(٥).

وفي حين كانت ولاية بغداد تعد ولاية من الدرجة الأولى، وولاية البصرة ولاية من الدرجة الثانية، فقد كانت ولاية الموصل ولاية من الدرجة الثالثة. وكان مرتب والي الموصل يقل عن مرتب نظيره في بغداد والبصرة. فبينما بلغ مرتب والي بغداد (٢٠,٠٠٠) قرش، ومرتب والي البصرة (١٧,٠٠٠) قرش، كان مرتب والي الموصل يساوي (١٥,٠٠٠) قرش^(٦).

ولقد تعاقب على حكم ولاية الموصل خلال العهد الحميدي الذي استمر مدة (٣٣) عاماً، اربعة وعشرون والياً، تراوحت فترات حكمهم بين اقل من سنة واحدة، وخمس سنوات^(٧). وقد وُصف اولئك الولاة بوجه عام بأنهم كانوا على درجة من الكفاءة والمقدرة، ولو ان ذلك لم يحل دون ان يكون بينهم عدد من الولاة الضعفاء والمرتشين^(٨).

الموصل وانتخابات البرلمان العثماني الاول :

كان السلطان عبد الحميد الثاني قد اوعز في السنة الاولى من اعتلائه الحكم بتشكيل لجنة قوامها اربعة اعضاء، مهمتها اجراء بعض التعديلات على الخطة التي كان قد وضعها مدحت باشا بشأن انتخابات اعضاء البرلمان العثماني الأول. وأعدت اللجنة خطة جديدة تألفت من سبعة مواد^(٩)، ونشرت رسمياً في ٢٨ تشرين الاول عام

١٨٧٦، وجرى تعميمها في الحال على حكام الولايات العثمانية كافة.

وقد اشارت المادة الثانية من الخطة الى انه بالنظر لضرورة اجراء الانتخابات بأسرع وقت ممكن، فإن النواب سوف لا ينتخبهم الشعب مباشرة، بل ينتخبهم اعضاء مجالس الادارة في مراكز الولايات وفي السناجق والمناطق. فيما نصت المادة الرابعة على ان الحكومة العثمانية هي التي تتولى تحديد عدد نواب كل ولاية^(١٠).

اما عن طريقة الاقتراع فكانت كالآتي: يكتب الناخب في بطاقة الاقتراع اسماء عدد من الاشخاص مساوياً للعدد المنصوص عليه في بطاقة الاقتراع من المرشحين المسلمين ومن غير المسلمين، يختارهم من بين مواطني ولايته ومن تتوافر فيهم الشروط الانتخابية. ثم تدفع بطاقات الاقتراع وتوضع في مظروف مختم بالشمع، وترسل الى القائمقام في حالة ما اذا كانت الانتخابات قد جرت في قضاء، والى المتصرف في حالة ما اذا كانت قد جرت في السناجق، ويتولى المتصرفون ارسالها الى والي. كذلك يصوت اعضاء مجلس الادارة في مركز الولاية بطريقة مشابهة لتلك التي تجري في الاقضية والسناجق. ويتم فتح المظروف في مركز الولاية وبحضور لجنة تتألف من (١٥) عضواً يرأسها والي. وتشكل من وجهاء الولاية وعلماء الدين ورؤساء الطوائف الدينية الاخرى. وبعد فرز الاصوات تعلن اللجنة اسماء اولئك الذين احرزوا اكثريه الاصوات. وبعد ابلاغ المرشحين الفائزين بفوزهم ترسل البطاقات والقوائم الانتخابية الى استانبول لكي يصار الى تدقيقها من قبل مجلس الدولة^(١١).

ومهما يكن من امر فقد تم انتخاب ثلاثة اشخاص عن ولاية بغداد والتي كانت الموصل آنذاك جزءاً منها للدورة البرلمانية الاولى وهم: عبدالرحمن وصفي آل شريف بك، وعبدالرزاق

الدائرة الانتخابية التي انتخبوا عنها ، وكان الناخبون غالباً ما يلحون على النواب بتحقيق مطالب ذات طابع شخصي بحث^(٢٢) .

٣- ان عملية الانتخابات جرت بهدوء تام وأسفرت عن فوز اولئك الذين أرادت الحكومة فوزهم^(٢٣) .

اما عن مساهمة الموصل في تلك الانتخابات فكانت محدودة جداً وذلك لان الموصل لم تكن وقت اجراء الانتخابات ولاية مما حال دون تخصيص مقاعد لها في البرلمان العثماني الاول. وعلى الرغم من ان المصادر التاريخية التي تناولت تاريخ الموصل في هذه الفترة لم تورد - حسب علمنا - اية اشارة الى موضوع الانتخابات في الموصل ، الا انه بالامكان ان نستنتج - طبقاً للمادة الثانية من خطة الانتخابات التي كنا قد اشرنا اليها آنفاً - ان مساهمة الموصل في الانتخابات اقتصر على انتخابات محدودة جرت في مجلس ادارة لواء الموصل ، وفي مجالس ادارة الاقضية التابعة له .

الموصل والحرب الروسية العثمانية لعام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ :

كان من بين الاحداث التي واجهتها الموصل في مطلع العهد الحميدي نشوب الحرب الروسية العثمانية في عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ ، وهي الحرب التي عرفت في التاريخ العثماني باسم حرب (طقوسان اوج) اي حرب الثالثة والتسعين^(٢٤) ، نسبة الى العام الرومي الذي وقعت فيه وهو عام ١٢٩٣ رومية (١٨٧٧م)^(٢٥) . وقد اطلق العراقيون على هذه الحرب اسم (طقناووز)^(٢٦) ، حيثاً ، (ودقة الغريبة) حيثاً آخر. وكانت الغريبة تعني في اللهجة العراقية جهة الشمال ، وهي اشارة قصد بها جبهة قفقاسيا ، وهي احدى جبهتي حرب عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ .

لعل الحرب الروسية العثمانية كانت اول حرب في تاريخ العراق الحديث وفي تاريخ الموصل ، قاتل فيها العراقيون خارج حدود وطنهم . فقد استدعت

افندي ، ومناحيم صالح افندي^(٢٧) . وبالنظر الى ان تعداد سكان ولاية بغداد آنذاك كان يبلغ (١,٦٠٤,٤٧٦) نسمة^(٢٨) ، فقد كان كل نائب من نواب ولاية بغداد الثلاثة يمثل (٥٣٤,٨٢٥) نسمة^(٢٩) .

استغرقت اجتماعات الدورة البرلمانية الاولى زهاء ثلاثة اشهر ونصف الشهر ، إذ بدأت في ١٩ آذار عام ١٨٧٧ ، واختتمت في ٢٨ حزيران من العام نفسه عندما صدرت ارادة سلطانية بهذا الشأن^(٣٠) . وبلغ عدد الجلسات التي عقدت خلال تلك الدورة ما يقارب (١٠٠) جلسة^(٣١) . وبالنسبة لانتخابات الدورة البرلمانية الثانية فقد أسفرت عن فوز كل من رفعت بك ، وعبدالرزاق افندي ، ومناحيم صالح افندي^(٣٢) . وقد بدأت اعمال هذه الدورة في ١٣ كانون الاول عام ١٨٧٧ ، وانتهت في ١٤ شباط عام ١٨٧٨ حينما قرر السلطان تعطيل البرلمان لاجل غير مسمى^(٣٣) . وقد تراوح عدد جلسات الدورة الثانية ما بين ١٥ الى ١٦ جلسة^(٣٤) ، كرس معظمها لمناقشة الاوضاع في منطقة البلقان والسياسة الخارجية للحكومة^(٣٥) .

لقد اتسمت انتخابات البرلمان العثماني الاول بدورتيه الاولى والثانية بسماة ابرزها :

١- ان توزيع المقاعد البرلمانية على الولايات لم يتم بصورة عادلة ، فقد كان يفترض ان يخصص لولاية بغداد (١٤) مقعداً بالنظر لكثرة سكانها ، لكن ما خصص لها في الواقع لم يزد عن ثلاثة مقاعد في كلتا الدورتين البرلمائيتين الاولى والثانية^(٣٦) .

٢- إن الناخبين لم يكونوا على دراية كافية بمعنى الحياة النيابية ، او بالمسؤوليات المناطة بهم . فقد ذكر مصدر بأن سكان الولايات العثمانية كانوا - بوجه عام - يعتقدون أن مرشحي كل دائرة انتخابية انما يمثلون فقط ابناء

الكفيلة لتسهيل عملية انسحاب الثلاثة عشر فوجاً، التي كانت قد أرسلت من العراق، وتأمين عودتها اليه بأسرع وقت ممكن^(٣٦).

وحري بالاشارة ان الحرب الروسية - العثمانية تركت آثاراً سلبية على الموصل والعراق عموماً، إذ حملت السلطات العثمانية على مضاعفة الضرائب على المواطنين، وابتزاز الاموال منهم تحت ستار جمع التبرعات للحرب.

واخيراً فقد أدت هزيمة العثمانيين في تلك الحرب، وفقدانهم اراضي واسعة في الاناضول والبلقان، الى ان يزدوا من اعتمادهم على الاقطار العربية ولاسيما العراق الذي غدا في مقدمة الاقطار العربية التي اعتمد عليها السلطان عبد الحميد الثاني^(٣٧). وكان مرد ذلك يعود الى محاولة السلطان عبد الحميد الثاني استغلال العراق وبضمنه الموصل في امداد جيوشه بالجنود وتمويل خزائنه بالاموال^(٣٨).

كارثة المجاعة عام ١٨٧٩ في الموصل وآثارها على الصعيد السياسي :

مع ان كارثة المجاعة التي حلت بالموصل في عام ١٨٧٩،^(٣٩) تعد من المشكلات الاقتصادية، فاننا سوف نقصر معالجتنا لها على الانعكاسات التي خلفتها على الصعيد السياسي. إذ ادى اخفاق السلطات الحكومية في معالجة الآثار المترتبة على الكارثة الى ردود فعل سلبية تجاهها. فلقد كان من بين الاجراءات التي اتخذتها السلطات الحكومية للحد من مخاطر المجاعة تحويلها السلطات البلدية صلاحية مداومة بيوت الاغنياء والاستيلاء على المواد الغذائية الفائضة عن حاجتهم وتوزيعها على الفقراء. الا ان الموظفين الذين كلفوا بتنفيذ تلك المهمة كانوا يفتقرون الى النزاهة وروح الشعور بالمسؤولية. فقد تأثروا بالاعتبارات الشخصية حيناً، وبالرشوة حيناً آخر، وكانوا يعمدون الى

الحكومة العثمانية قوات الجيش السادس (وهو الاسم الذي يطلق على القوات العسكرية التي تربط في العراق) للقتال في تلك الحرب. وقدر مصدر حجم تلك القوات بـ (١٣) طابوراً^(٤٠) (فوجاً). فيما أشار مصدر آخر الى ان عدد الجنود الذين اسهموا في تلك الحرب من ولاية بغداد - الموصل وقتذاك جزء منها - بعشرة آلاف جندي، فضلاً عن اعداد اخرى من المتطوعين^(٤١) من ابناء العشائر العراقية (مثل عشيرة الهاوند التي كانت تتخذ من جبال الواقعة بين كركوك والسليمانية موطناً لها)^(٤٢) الذين قاتلوا ضمن قوات الباشا يوزق (وهي قوات خيالة غير نظامية) واثبتوا بسالة في الحرب^(٤٣).

لقد كان على الجيش السادس ان يقاتل في جبهة الاناضول. وحال تأخر وصوله الى هناك وذلك لعدم توافر وسائل نقل سريعة كالسكك الحديدية مثلاً، دون تمكنه من المشاركة الفعيلة في المعارك^(٤٤)، وعلى اية حال، فقد قدم الموصليون شأنهم في ذلك شأن اشقائهم من العراقيين تضحيات جسيمة في تلك الحرب، قدرت بحوالي ٨٠٪ من مجموع الجنود العراقيين^(٤٥). مات معظمهم جراء البرد القارس والجوع. ولم يقدر لغير عدد ضئيل من الجنود العودة الى وطنهم^(٤٦). وكانت التضحيات الكبيرة للموصلين وللعراقيين بوجه عام في الحرب - والتي لم تكن لهم فيها اية مصلحة مباشرة، سماً وانها حرب بين دولتين اجنبيتين - سبباً لظهور وروج النوحية المشهورة (اوبلاخ يادقة الغربية)^(٤٧). وقد اخذت بقايا القوات التي ارسلت من العراق وبضمنها الموصل تعود ادراجها الى الوطن في اعقاب الاوامر التي اصدرتها القيادة العليا للجيش العثمانية الى قيادة الجيش الرابع - التي تتخذ من ارزنجان الواقعة في شرق الاناضول مقراً لها - في ايلول عام ١٨٧٨ (شوال ١٢٩٥ هـ)، وكانت تقضي باتخاذ التدابير

التاسع عشر بتبني سياسة من شأنها تشديد قبضتها على المناطق التابعة لها. وقد تجسدت تلك السياسة بالقضاء على الامارات التي كانت تتمتع بالاستقلال. ففي العراق مثلاً، لم يكتف العثمانيون باستعادة حكمهم المباشر على بغداد وجنوب العراق في عام ١٨٣١، بعدما اقصوا المالك عن حكمها، بل التفتوا الى الموصل حيث قضوا في عام ١٨٣٤ على الامارة الجليلية التي كانت تتولى حكمها. وغدت الموصل منذ ذلك الحين تخضع للحكم العثماني المباشر. كذلك أجهز العثمانيون على تلك الامارات التي كانت تقوم في شمال العراق مثل الامارة البابانية في السليمانية، والامارة البهدينانية في العبادية والامارة السورانية في راوندوز في حوالي منتصف القرن التاسع عشر.

ويبدو أن النجاح الذي حققه العثمانيون في مضمار القضاء على الامارات المستقلة شجعهم على محاولة التوسع في تطبيق السياسة المركزية بحيث تشمل المناطق العشائرية. وبغية تحقيق هذا الهدف اقدموا على اتخاذ سلسلة من الاجراءات ضد العشائر. فلم يكتفوا برفض الاعتراف بالنظام العشائري^(٤١) فحسب، بل حاولوا تقويضه^(٤٥). واتبعوا في سبيل ذلك وسائل بعضها سلمي وبعضها الآخر قهري.

فأما الوسائل السلمية فقد اشتملت على مواصلة العمل بسياسة توطين العشائر، التي كان قد بدأها الوالي مدحت باشا (١٨٦٩ - ١٨٧٢)، وتأسيس مدرسة في استانبول خاصة ببناء شيوخ العشائر البارزة تعرف باسم (مكتب العشيرة الخاص)، في محاولة من السلطات العثمانية لخلق جيل جديدة من شيوخ العشائر أكثر طوعية لها^(٤٦). وكذلك اغراء شيوخ العشائر بتقلد المناصب الحكومية. فقد عمدت السلطات العثمانية الى تحويل بعض المناطق العشائرية الى وحدات ادارية، اناطت رئاستها بشيوخ العشائر. كما

تسرب اخبار التفتيش الى الاغنياء مما كان يتيح لهؤلاء فرصة اخفاء مالههم من مواد غذائية فائضة. وتسبب هذا في جعل التفتيش اجراءً عقيماً، وعلاوه على ذلك لم يتورع بعض المسؤولين الحكوميين عن استغلال أزمة المجاعة لتحقيق الثراء الفاحش.^(٤٧)

وزاد الطين بلة أن الحكومة العثمانية اجرت تخفيضاً كبيراً على قيمة عملتها في العراق إبان كارثة المجاعة، إذ تدنت قيمة المجيدي (وهي عملة من فئة عشرين قرشاً) الى ثمانية قروش، وغدا الشللك (وهي عملة من فئة خمسة قروش) بساوي قرشين فقط. وزاد هذا التخفيض من معاناة المواطنين، وتضرر بسببه المئات منهم^(٤٨).

وهكذا فعل الجوع فعله في المواطنين ولاسيما الفقراء منهم،^(٤٩) فأخذوا ينددون علانية بالحكومة العثمانية ويهتفون بسقوطها.^(٥٠)

علاقات الحكومة المحلية في ولاية الموصل مع عشائر شمر الجربا:

واجهت الحكومة المحلية في الموصل عدداً من المشكلات كان في مقدمتها نزوع العشائر الى الاستقلال، ورفضها تدخل السلطات الحكومية في شؤونها. إذ اعتادت العشائر ولاسيما القوية منها على بسط سيطرتها على مناطق معينة كانت تعدّها مناطق نفوذ خاصة بها، اصطلاح على تسميتها بـ (الدير) وكانت العشائر تفرض على المسافرين والقوافل التجارية التي تمر عبر ديارها دفع رسوم لها وهي ما عرفت باسم الخوة او الخاوة بالاصطلاح المحلي. وقد ازدادت مقاومة العشائر للسلطات الحكومية عندما حاولت الاخيرة تطبيق نظام الخدمة العسكرية الالزامية على العشائر. كذلك دأبت بعض العشائر على الامتناع عن دفع الضرائب للحكومة باعتبارها سلطة غريبة عنهم.

وكانت الحكومة العثمانية قد بدأت منذ القرن

اغدت تلك السلطات على شيوخ العشائر الالقاب والخلع والنياشين في محاولة منها لكسب ودهم ، وللإبقاء على ولائهم للحكومة العثمانية . وعلاوة على ذلك ، ضمت تلك الاساليب اسلوب اثاره الخلافات بين العشائر^(٤٧) ، واذكاء حدة النزاعات بينها^(٤٨) ، وكسر شوكة الشيوخ الذين ينجحون في بسط نفوذهم خارج نطاق عشيرتهم^(٤٩) ، وكذلك عقد ندوات مع شيوخ العشائر ، وحشهم فيها على الاخلاص الى السكينة^(٥٠) ، والاستعانة احياناً ببعض الشخصيات العراقية المتنفذة لاقتناع العشائر على دفع الضرائب للحكومة ، وللحيلولة دون قيامها بحركة ضدها^(٥١).

في حين كانت اساليب الحكومة العثمانية القمعية قد تضمنت استخدام القوة العسكرية لارغام العشائر على تنفيذ التزاماتها ازاء الحكومة ، وفي القضاء على ثوراتها ، وكذلك نفي شيوخ العشائر الثائرة احياناً ، وترحيل العشائر الثائرة في احيان اخرى .

وسوف نتخذ من علاقات الحكومة المحلية في الموصل مع عشائر شمر الجربا نموذجاً للعلاقات القائمة بين تلك الحكومة والعشائر بوجه عام . اما سبب اختيارنا لعشائر شمر الجربا بالذات فيعود الى اسباب اهمها ان هذه العشائر كانت تعد اقوى العشائر في ولاية الموصل ، وكانت تمارس نفوذاً على مناطق واسعة في شمال العراق .

كانت مضارب عشائر شمر الجربا تقع في منطقة الجزيرة الكائنة في شمال العراق بين نهري دجلة والفرات . وفي فصلي الشتاء والربيع حيث موسم الامطار والكلا كانت عشائر شمر توسع نطاق ترحالها بحيث تشمل المناطق الواقعة بين نهر الخابور في اعالي الجزيرة شمالاً ، وبين الحلة جنوباً . اما عن عدد افراد عشائر شمر ، فقد قدر بحوالي مائة الف نسمة^(٥٢) . وكانت عشائر شمر تقوم بفرض الخوة على

التجار والمسافرين على الطريق الذي يربط بين الموصل وبغداد ، وكذلك على الطريق الذي يصل بين الموصل وبلاد الشام . كما كانت تأخذ رسوماً على الاغنام والخيول العائدة الى العشائر الاخرى والتي كانت تجوب منطقة الجزيرة مثل عشائر طي ، والجحيش ، والبو حمد ، والحديدين ، والجبور^(٥٣) . وتعكس هذه الظاهرة بوضوح قوة نفوذ عشائر شمر في منطقة الجزيرة ، وذلك ما حمل الحكومة العثمانية والسلطات المحلية في الموصل على استتالة شيوخ هذه العشائر والسعي للإبقاء على ولائهم لها .

يمكن القول بأن علاقات عشائر شمر مع السلطات الحكومية في ولاية الموصل إبان العهد الحميدي قد اتسمت بطابع ودي بوجه عام . فقد حافظ شيخا شمر وهما (فرحان باشا) ، و(محمود باشا) اللذان توليا مشيخة شمر خلال ذلك العهد على ولائهما للحكومة المحلية في الموصل .

فأما فرحان باشا الذي كانت مشيخته قد امتدت حتى وفاته في عام ١٨٩٠ (ذي القعدة ١٣٠٧) ، فقد ابدى استعداداً للموافقة على سياسة توطين العشائر التي كانت السلطات العثمانية قد تبنتها منذ عهد الوالي مدحت باشا اذ بنى فرحان باشا داراً له في الشرجاط الى الجنوب من الموصل وذلك في عام ١٨٧٨ ،^(٥٤) على امل ان يحذوا ابتداء عشيرته حذوه . وقد كافأته السلطات العثمانية على موقفه هذا فنحته لقب (باشا)^(٥٥) . كما خصصت منحة سنوية له مقدارها (٣٠٠٠) ليرة ثمناً لتعهده بالمحافظة على النظام في منطقته ، ولحملة على اقناع عشيرته بالاستقرار . وعادت السلطات العثمانية فنحت فرحان باشا اراضي اخرى في الفرحاتية قريباً من بلد وفي جنوب سامراء نظراً للصعوبات التي حالت دون نجاح الزراعة في الشرجاط .^(٥٦) وقد بقي فرحان باشا على علاقات حسنة بالسلطات العثمانية حتى قيل انه لم يبد طيلة فترة مشيخته اية معارضة

ضد الحكومة. (٥٧) وشجع اولاده الصغار على تعلم اللغة التركية (٥٨)، في محاولة منه لكسب ود السلطات التركية. كما كان يحرص على الحصول على اذن من والي بغداد فيما اذا اراد السفر الى بغداد او مغادرتها (٥٩) وقد ابدى بعض ولاة بغداد من جانبهم مودة خاصة للشيخ فرحان إذ كانوا احياناً يصطحبونه معهم في جولاتهم التفقدية (٦٠). وظلت العلاقات جيدة بين الطرفين حتى ان الشيخ فرحان تبرع بمبلغ (٥٠٠) قرش لاعادة اعمار احدى المنشآت العسكرية في بغداد (٦١). وأعاد فرحان باشا احياناً الاموال التي كانت قد استولت عليها عشيرته الى الحكومة، كما حدث مثلاً في عام ١٨٩٩، عندما ارسلت السلطات الحكومية قوة ضده في اعقاب الغارات التي شنتها شمر على القوافل التجارية في كل من ولايتي الموصل وبغداد. حيث لم يكتف فرحان باشا بعدم مقاومة تلك القوة فحسب، وانما رد اليها الاموال المنهوبة، بل قدم الهدايا الى قائد القوة. (٦٢)

وهكذا نجحت الحكومة العثمانية - بفضل ولاء فرحان باشا لها - بالسيطرة على شمر. واتخذت تلك السيطرة مظاهر من بينها ان السلطات الحكومية استطاعت ان تنجي الضراب من شمر بسهولة (٦٣). على ان ولاء فرحان باشا للسلطات الحكومية لم يحل من جهة اخرى دون ايوائه لابن عمه (الشيخ إسمير)، الذي كانت السلطات العثمانية تلاحقه بتهمة قتل بعض جنودها عقب إعدام شيخ شمر وهو الشيخ عبدالكريم خلال ولاية مدحت باشا على العراق، وكان فرحان باشا يرد على نداءات السلطات العثمانية بتسليمها الشيخ إسمير، بانه يجهل مكان وجوده (٦٤).

ومن جانب آخر، واجه الشيخ فرحان منافسة قوية من قبل اخيه الشيخ فارس. وكان الاخير قد غادر العراق الى حائل في اعقاب اعدام الشيخ عبدالكريم ثم عاد الى العراق في عام ١٨٧٥، وكان

عمره آنذاك (٢٤) عاماً. وقد اخذ نفوذ الشيخ فارس ينمو بسرعة في أوساط شمر، سيما وانه كان من المعارضين لسياسة الحكومة العثمانية الرامية الى توطين العشائر، كما كان يمتاز على اخيه - بنظر عشيرته - بأن امه من اصل بدوي، في حين ان ام فرحان كانت من اصل حضري وقد بلغ من اتساع نفوذ الشيخ فارس ان قدر عدد اتباعه بنحو من نصف عشيرة شمر.

وسواء أكان الشيخ فارس هو الذي بادر بالاتصال بالسلطات العثمانية حينما عرض تقديم المساعدة لها في معالجة بعض الشؤون العشائرية مقابل حصوله على اموال من تلك السلطات، ام ان الاخيرة هي التي بدأت بمفاتحة الشيخ فارس للدخول في مفاوضات معها بهدف كسبه الى جانبها فقد دارت مفاوضات بين الشيخ فارس، وحسين باشا حاكم دير الزور، ولعل السبب في اختيار الاخير لهذه المهمة هو ان السلطات العثمانية في العراق ارادت تفادي الحرج إن هي تعاملت مع شيخين لعشيرة واحدة وفي وقت واحد. هذا الى جانب ان حاكم دير الزور كان ينحدر من اصل عربي مما يضمن لمفاوضاته مع الشيخ فارس مزيداً من فرص النجاح.

ومهما يكن من امر فقد وجه حسين باشا دعوة الى الشيخ فارس لزيارة دير الزور. ولبي فارس الدعوة، واستقبل بحفاوة بالغة من قبل حسين باشا، وتمخضت الزيارة عن التوصل الى اتفاق تعهد الشيخ فارس بموجبه بالمحافظة على الامن في منطقة البادية، مقابل حصوله على مرتب شهري من السلطات العثمانية، علاوة على مساندة الاخيرة له في صراعه ضد ابني اخيه فرحان (٦٥)، وهما عاصي ومجول اللذان كانا يناصبانه العداء بسبب تنامي نفوذه، بل انها حاولا توريطه في نزاعات مع السلطات العثمانية عن طريق شنّها غارات على بعض العشائر في منطقة الفرات،

وتحميل رجال الشيخ فارس مسؤوليتها. وهكذا انقسمت عشيرة شمر بين زعيمين ، وهو ما كان ينسجم مع السياسة العثمانية القاضية بتمزيق وحدة العشيرة .

وبصدد مشيخة مجول ، التي بدأت في سنة ١٨٩١ ، على أثر وفاة ابيه فرحان باشا ،^(٦٦) فقد شهدت ازدياد سيطرة الحكومة على مجول وجدير بالذكر ان الشيخ مجول كان موضع ارتياح من قبل السلطات العثمانية قبل توليه مشيخة شمر. فقد كانت الحكومة المحلية في بغداد قد ناشدت في عام ١٨٨٢ (جباى الاولى ١٢٩٩هـ) الحكومة المركزية في العاصمة مكافأة الشيخ مجول ، تقديراً لجهوده في مسألة جمع تعويضات من عشيرته (الودي) ، واستجابت الحكومة الاخيرة لطلب الحكومة المحلية في بغداد فنحت مجول رتبة (قبوحي باشا)^(٦٧) .

وقد حدث في اعقاب الشكوى التي رفعها لفيف من تجار بغداد ممن استولت شمر على امواهم ، الى والي بغداد الحاج حسن باشا (١٨٨٩ - ١٨٩٤) ، ان استدعى الاخير الشيخ مجول الى مركز الولاية في سنة ١٨٩١ ، وفرض عليه دفع تعويضات عن الاموال المنهوبة مقدارها (١٣٠٠٠) قرش وهدده في حالة قيام رجاله بغارات اخرى على القوافل التجارية لتفريجه اضعاف ماينهبونه ، فضلاً عن إنزال اقصى العقوبات فيهم. كما حثه على طلب المساعدة منه عند شعوره بالعجز عن ردع اولئك الذين يواصلون سلب القوافل التجارية ، وتعهد له في هذه الحالة بأن يرسل اليه على جناح السرعة قوات من الجندرمه لمساعدته.^(٦٨)

وحرص مجول من جانبه على اظهار الود للسلطات العثمانية ، كما يستدل على ذلك من ارساله أخاه حميدي الى استانبول في سنة ١٨٩١ ، للاتحاق بمدرسة العشائر فيها.^(٦٩)

واصلت شمر مهاجمة القوافل التجارية في ولاية

الموصل ، وبالنظر لعجز الحكومة المحلية في الموصل عن وضع حد لها ارسلت السلطات المركزية الفريق عمر وهبي باشا الى العراق في سنة ١٨٩٢ ، للقيام - علاوة على مهام اخرى - باخضاع شمر وتوطيئها. وعلى الرغم من ان الفريق عمر باشا كان قد نجح في تجريد شمر من بعض اسلحتها ، فانه عجز عن اخضاعها ، وهكذا استأنفت شمر شن غاراتها على القوافل التجارية^(٧٠) .

وفي الامكان ان نعلل شن تلك الغارات - في ذات الوقت الذي كان الشيخ مجول يحرص فيه على استمرار العلاقات الحسنة مع الحكومة - بانها كانت من تدبير فئات خارجة عن سيطرة مجول.

ومها يكن من شيء ، فقد واصل مجول مساعيه الرامية الى نيل رضا السلطات الحكومية ، كما يتضح ذلك من موافقته في عام ١٨٩٩ على حضور الاجتماع الذي عقده مجلس ادارة ولاية بغداد والذي ترأسه والي بغداد نامق باشا (١٨٩٧ - ١٩٠٠) للبحث في النزاع الذي كان محتتماً بين عشائر شمر والدليم. وقد انتهى الاجتماع بعقد صلح بين العشريتين ، وتعهد شيخاها بالامتناع عن القيام باي عمل من شأنه تعكير صفو الامن.^(٧١)

كذلك أسهم الشيخ مجول مع شيوخ عشائر اخرى في التبرع بعدد من الجياد الاصيله الى الجيش السادس في عام ١٨٩٩. وقد كافأت الحكومة العثمانية اولئك الشيوخ بان منحت كلاً منهم وساماً من النوع المجيدي ومن الدرجة الخامسة^(٧٢) . كما زج الشيخ مجول ببعض ابناء عشيرته للقتال الى جانب القوات العثمانية وقوات ابن الرشيد ، ضد ابن سعود في عام ١٩٠٤.^(٧٣)

ويبدو ان الخطوة الاخيرة هي التي دفعت السلطات العثمانية الى تكريم الشيخ مجول بمنحه لقب (بك) في عام ١٩٠٥ ، فضلاً عن منحه مرتباً سنوياً مقداره (٢٠٠) ليرة عثمانية^(٧٤) .

ولعل من المفيد ان نشير الى ان الحكومة المحلية في الموصل كانت قد اعتقلت كلاً من عاصي بك ، والهادي وهما من ابناء فرحان في عام ١٩٠٤ ، بتهمة يرجح انها تتعلق بقيامهما بالاخلال بالنظام والأمن ، ولو انه اطلق سراحهما في السنة نفسها بعد صدور عفو عنها من السلطان عبدالحميد الثاني. (٧٥)

ويبدو ان علاقات مجول مع السلطات الحكومية اخذت تتدهور قبيل الانقلاب الدستوري الذي حدث في عام ١٩٠٨. إذ اقدمت السلطات العثمانية على اعتقال الشيخ مجول عشية ذلك الانقلاب دون ان تفصح عن سبب اعتقاله. (٧٦)

وفي عام ١٩٠٩ عادت شمر الى اخذ الضرائب من تجار الموصل ، فقد قدرت الاموال التي حصلت عليها شمر من تجار الموصل في ذلك العام بما يزيد على (٦٠٠٠) ليرة عثمانية. (٧٧)

علاقات الحكومة المحلية في الموصل مع الزيديين :

كانت مناطق الزيديين تتركز في بعض ارجاء ولاية الموصل ولاسيما في منطقتي سنجار والشيخان. وكانوا يمارسون طقوساً خاصة في عبادتهم (٧٨). وقد حاولت السلطات العثمانية في مطلع السبعينات من القرن التاسع عشر شمول الزيديين بأداء الخدمة العسكرية الالزامية ، لكن الزيديين ناشدوا تلك السلطات من خلال عريضة رفعوها اليها ، اعفاءهم من الخدمة الالزامية ، بحجج منها انها تعيقهم عن اداء واجباتهم الدينية. وقد استجابت السلطات العثمانية آنذاك لطلبهم ، فوافقت على استثنائهم من اداء الخدمة العسكرية واستعاضت عنها بقبول البدل التقدي من الزيديين. وظل الحال على ذلك حتى اعتلاء السلطان عبدالحميد الثاني عرش الدولة العثمانية. وقد تبنى الأخير سياسة جديدة تهدف الى بعث قوة الدولة العثمانية من جديد وتمكينها من مواجهة الاخطار الخارجية وذلك برفع شعار (الجامعة الاسلامية) (٧٩).

بدأت الحكومة العثمانية منذ العقد الاخير من القرن التاسع عشر باستخدام أساليب العنف ضد الزيديين لارغامهم على اعتناق الاسلام. إذ ارسلت عدداً من الحملات العسكرية ضدهم. وكابد الزيديون خلالها شتى صنوف الاضطهاد مما أثار سخطهم على الحكومة العثمانية . وقد بلغ هذا السخط ذروته على اثر ارسال الحكومة العثمانية الفريق عمر باشا الى العراق في عام ١٨٩٢ ، لاغراض من بينها محاولة تحويل الزيديين الى الاسلام.

كان عمر باشا قد اتبع مع الزيديين في بادئ الامر اساليب سلمية. إذ اتصل بـ (ميرزا بك) ، احد زعماء الزيديين في منطقة الشيخان ودعاه الى زيارة الموصل. وقد لبى مرزا بك الدعوة حيث وصل الى الموصل بصحبة عدد كبير من اتباعه. وقد اغتنم عمر باشا فرصة تلك الزيارة لممارسة أقصى قدر ممكن من التأثير في نفوس الزيديين . اذ أعد حفلاً ضخماً لاستقبالهم وكان هو على رأس المستقبلين. وقد شارك في الاستقبال علماء الدين ، وبعض القطعات العسكرية المربطة في الموصل ، فضلاً عن فرقة موسيقية عسكرية. وعقد عمر باشا اجتماعاً مع مرزا بك ورجاله في دار الحكومة وخلال ذلك دعا عمر باشا الزيديين الى الاعلان عن تخليهم عن عبادتهم واعتناقهم الاسلام ، لكن الزيديين - وباستثناء ميرزا بك واخيه واثنين من رجاله - احجموا عن ذلك وأثار هذا الموقف استياءً شديداً لدى عمر باشا اضطره الى استخدام اساليب العنف ضد الزيديين . حيث ضرب الاخرون ضرباً مبرحاً حتى مات بعضهم ، فيما اصيب بعضهم الاخر بجروح نقلوا على اثرها الى المستشفى (٨٠).

وعلى الرغم من الفشل الذريع الذي مني به عمر باشا فانه حاول ايها السلطات الحكومية بنجاح مهمته ، اذ ارسل برقية الى حكومة ولاية

الموصل، ادعى فيها بأنه نجح في اقتناع كافة الزيديين في ولاية الموصل باعتناق الاسلام طواعية.^(٨١) بل انه بعث ببرقة اخرى الى استانبول زعم فيها بأنه نجح في تحويل (٢٠) الف من الزيدية الى الاسلام. وناشد السلطات العثمانية ان تمنح اوسمة الى مرزا بك واخوته. ويبدو ان السلطات الاخيرة اقتنعت بادعاءات الفريق عمر باشا بدليل انها بعثت اليه بالوسمة ، وقلدت لاصحابها بالفعل.^(٨٢)

لم يحل فشل محاولة عمر باشا المذكورة آنفاً دون استمراره في مساعيه السلمية الرامية الى تحويل الزيديين الى الاسلام. فقد ارسل فريقاً من المعلمين الى منطقة الشيخان، لتعليم الزيديين اصول الدين الاسلامي، اضافة الى تعليمهم مبادئ القراءة. وقد قاطع الزيديون اولئك المعلمين وطردهم وهددوهم بالقتل اذا ماعادوا ثانية. ولما وصلت اخبار ذلك الى اسماع عمر باشا استشاط غضباً، وارسل ابنه على رأس كتيبة من الجنود الى منطقة الشيخان وقام افراد الكتيبة بقتل اعداد من الزيديين ونهبوا بعضاً من قراهم واستحوذوا على مواشيهم، فيما اشعلوا النار في بعض آخر من القرى^(٨٣). كذلك نهبوا مقر الامير واستولوا على سناجق الزيديين،^(٨٤) وارسلوها الى بغداد حيث اودعت في احدى الخزانات التابعة للجيش السادس، وبقيت هناك حتى عام ١٩٠٨ حينما وقع الانقلاب العثماني اذ سمح قادة النظام الجديد بارجاع السناجق الى اماكنها في مرقد الشيخ عدي ابن مسافر في وادي لالش.^(٨٥)

اثارت سياسة عمر باشا هذه ردود فعل شديدة في اوساط الزيديين في سنجار فقد اعلن هؤلاء العصيان، وذلك ماحمل عمر باشا على ان يقود بنفسه حملة كبيرة ضدهم، بلغ قوامها عشرة افواج من المشاة، وكتيبتان من الخيالة، ووحدات من المدفعية، فضلاً عن بعض العشائر الموالية

للحكومة ودارت رحى معركة عنيفة بين الطرفين في نيسان عام ١٨٩٣، استمرت ثلاثة ايام في موقع يعرف بـ (زوقاية). وقد تكبدت القوات الحكومية خلال المعركة خسائر فادحة، فيما كانت خسائر الزيديين اقل منها نسبياً. ويعزى تفوق كفة الزيديين في المعركة الى عوامل منها الطبيعة الجبلية لمنطقة سنجار، والى استماتة الزيديين في القتال. ولعل من المفيد ان نشير الى ان القوات العشائرية التي كانت تقاتل في صف القوات الحكومية تخلت عن تأييدها للقوات الحكومية حينما ادركت ان سير القتال لم يعد في صالح هذه القوات. واضطر عمر باشا ازاء هذا الفشل الى ايقاف القتال، بل انه عقد هدنة مع الزيديين، واستأنف من جديد محاولاته السلمية معهم لحملهم على اعتناق الاسلام.^(٨٦) وبينما كانت المفاوضات تجري بينه وبين الزيديين بشأن عقد صلح بينها، اذ اصدرت الحكومة العثمانية قراراً بعزل عمر باشا بعد ان ادين امام لجنة تحقيقية - كانت ارسلتها الى الموصل للتحقيق في الشكاوى المرفوعة ضده - بارتكاب اعمال قذرة متعددة ضد الزيديين.^(٨٧) وقد أثار عزله ارتياحاً كبيراً في اوساط الناس في سنجار، حيث هتفوا بحياة السلطان عبد الحميد الثاني، لاعتقادهم بأنه هو الذي امر بعزل عمر باشا بسبب استيائه من اعماله.^(٨٨)

وقام الزيديون عقب ذلك بأعمال انتقامية ضد بعض العشائر التي شاركت في حملة عمر باشا، كما بدأوا بالتعرض للقوافل التجارية مما اضطر السلطات الحكومية مرة اخرى الى ارسال قوة ضدهم في عام ١٨٩٥، استطاعت ان تنزل باليزيديين - الذين كانوا قد اتخذوا مواقعهم في القرى القريبة من سنجار - خسائر فادحة، واضطرتهم من بعد الى الاستسلام للسلطات الحكومية. وحدث ان امرت السلطات الحكومية قائد تلك القوة، قبل ان ينتهي من مفاوضات

الاستسلام مع اليزيديين، بوقف القتال والانسحاب الى سنجار^(٨٩). لكن الاجراء الاخير لم يؤد الى تحسن العلاقات بين السلطات الحكومية واليزيديين لاصرار الاولى على شمول اليزيديين بالخدمة الازامية، ورفض اليزيديين ذلك.

وعادت الحكومة العثمانية مرة اخرى الى اتباع الاساليب السلمية مع اليزيديين بغية اقناعهم باعتماد الاسلام. ووافدت لهذا الغرض عدداً من الوفود الدينية، كان من بينها الوفد الذي ارسلته في عام ١٨٩٧ والذي كان يرأسه مفتي ديار بكر مسعود افندي الا ان الوفد اخفق في مساعاه^(٩٠).

وعلى اية حال فقد اتخذت الحكومة العثمانية منذ عام ١٩٠٤ بعض الخطوات بغية تحسين علاقاتها مع اليزيديين، كان من بينها انها وافقت، بناء على اقتراح قدمه والي الموصل نوري باشا (١٩٠١ - ١٩٠٤) على ترك اليزيديين وشأنهم، وقبول البديل النقدي منهم عوضاً عن الخدمة الازامية^(٩١). كما اعادت السلطات الحكومية الى اليزيديين مرقد الشيخ عدي في عام ١٩٠٧^(٩٢). إلا ان كل تلك الاجراءات اخفقت في تحسين العلاقات بين الحكومة العثمانية واليزيديين.

ولقد ادى غياب وجود سياسة ثابتة للحكومة العثمانية تجاه اليزيديين الى ان يستخفوا بها حتى روي ان يزيديي سنجار كانوا يغتالون موظفي الحكومة ليلاً، ويهاجم بعض شقاتهم مقر الحكومة في وضع النهار. وكان الفوج المربط في سنجار يحجم عن تقديم الحماية للمؤسسات الحكومية فيها بحجة عدم حيازته على اوامر بذلك^(٩٣).

انتفاضة الموصل ضد عمر باشا :

أشرنا فيما سبق الى ان الفريق عمر باشا قد قدم الى العراق لاجراء عدد من الاصلاحات فيه - وكما أشرنا الى ذلك من قبل - . وكان من جملة اعماله انه

ضرب على ايدي المفسدين في الموصل، واتبع معهم اساليب غاية في الشدة كالتشهير بهم علناً. فمن ذلك انه عاقب احد الموظفين المتهمين بقبول الرشاوى بأن اركبه على حمار ووجهه الى الخلف، وطوف به في طرقات الموصل. ويبدو ان عمر باشا اشتط كثيراً في معاملة الناس، وتقادى في الحاق الاذى والضرر بهم، حتى انه اضطر بعض المواطنين ممن كانت بدمتهم ديون للحكومة الى بيع ثيابهم وبيوتهم كي يسددوا تلك الديون. ومن جانب آخر، فرض عمر باشا على وجهاء الموصل واثريائها دفع مساعدات مالية اجبارية للحكومة. وهكذا اتسع نطاق الاحتجاج ضد عمر باشا. ولما حاول مواطنو الموصل وتجارها ارسال برقيات احتجاج ضده الى الحكومة المركزية، اصدر عمر باشا تعليمات الى دائرة البرق في الموصل منعها بموجها من ارسال البرقيات دون عرضها عليه أولاً^(٩٤).

وقد زادت العلاقات تدهوراً بين اهالي الموصل وعمر باشا على اثر الامر الذي اصدره الاخير في عام ١٨٩٢، والذي يقضي باجراء تعداد عام للسكان في الموصل وقد استغل خصوم عمر باشا هذه الفرصة للايقاع به، فأخذوا باطلاق شائعات مفادها ان عمر باشا يحاول استغلال عملية التعداد لانتهاك حرمت البيوت. وقد لاقت تلك الشائعات قبولاً من قبل جماهير الموصل فأعلن الاضراب العام، وأغلقت الاسواق، وطافت مدينة الموصل مظاهرات ردد المتظاهرون خلالها اهازيج تندد بعمر باشا^(٩٥).

اجبرت مقاومة اهالي الموصل لمشروع التعداد العام للسكان، عمر باشا على التخلي عنه، لكنه عزم في الوقت نفسه على الانتقام من اهالي الموصل فزاد من بطشه بهم، وتسربت اخبار ذلك الى الحكومة العثمانية^(٩٦). فارسلت لجنة للتحقيق في الاتهامات الموجهة ضده. وقد وصلت اللجنة الى الموصل في نيسان عام ١٨٩٣، واستدعت عمر باشا للمثول

امامها على الفور. ولما تأكدت اللجنة من صحة الاتهامات ضد عمر باشا، ابرقت تقريراً بذلك الى العاصمة فوردت اوامر من الاخيرة تقضي بايقافه عن العمل وباستدعائه الى استانبول وغادر عمر باشا الى استانبول بصحبة اللجنة التحقيقية.^(٩٧)

زج الموصلين بالحرب ضد الوهابيين :

عمد العثمانيون الى اشراك الموصلين في حروبهم ضد الوهابيين فقد دعت الحكومة العثمانية في عام ١٩٠٤ قيادة الجيش السادس الى اعداد قوة عسكرية وارسالها لمحاربة الوهابيين في الجزيرة العربية. وقد ارسلت القوة- التي ضمت اعداداً من الموصلين- وحقت بالتعاون مع قوات ابن الرشيد- وهو احد خصوم الوهابيين البارزين- قدراً كبيراً من النجاح ، حتى ان ابن سعود، وهو الذي تولى زعامة الوهابيين ، اضطر بعد اندحاره الى ان يقدم اعتذاراً الى الحكومة العثمانية ، وقبلت الاخيرة اعتذاره بل انها عينته قائم مقام لنجد.

ويدون العلاقات بين الطرفين تدهورت من جديد في اواخر عام ١٩٠٤ عندما أرسل العثمانيون حملة ثانية من العراق الى نجد تمكنت من دخول مدينة بريدة دون اية مقاومة.^(٩٨) وجدير بالذكر ان السلطات العثمانية اصدرت في عام ١٩٠٤ نداء ناشدت فيه المواطنين بالتبرع بالاموال بغية تمكين الجيش من شراء الحمال.^(٩٩) وكانت حصيلة ذلك النداء جمع مبلغ من ولاية الموصل قدر بحوالي الف ليرة ارسلت الى قيادة الجيش السادس.^(١٠٠)

شهامة علماء واهالي الموصل :

كان محمود شكري الآلوسي واحداً من كبار علماء الدين في ولاية بغداد. وقد تأثر بالحركة الوهابية على الرغم من الجهود التي بذلها ابو الهدى الصيادي (وهو احد كبار رجال الدين المقربين من السلطان عبدالحميد الثاني ، للحيلولة دون انتشار الافكار الوهابية في العراق^(١٠١))

وقد بدأ الآلوسي دعوته الى نبذ البدع والخرافات ، وشن حملات عنيفة ضد رجال الدين المتزمتين^(١٠٢) وقد اثار دعوته سخط فريق من رجال الدين المحافظين الذين حملوا على دعوته ، واتهموه بالكفر ، وانكار الرسل وبأنه يحث على سفك الدماء ، وإباحة المحرمات. وقد استغل هؤلاء الخصوم فرصة وجود والي معروف بمناوئته لاي اصلاح وهو والي بغداد عبدالوهاب باشا (١٩٠٢-١٩٠٣) للايقاع بالآلوسي وتخريض الوالي عليه ، حتى انهم اقنعوا الاخير برفع مذكرة الى السلطان عبدالحميد الثاني اخبره الوالي فيها بتعاطف نفوذ الآلوسي ، واتهمه بترويج الحركة العربية والانفصال عن الدولة العثمانية. واقترح الوالي على السلطان عبدالحميد الثاني ابعاد الآلوسي عن بغداد ، وباتزال أقسى العقوبات في اعوانه وانصاره قبل ان يستفحل خطر دعوته ، وتزج بالدولة- حسب قول الوالي- في مشكلات هي في غنى عنها.^(١٠٣)

وقد استجاب السلطان عبدالحميد الثاني لاقتراح الوالي ، إذ أصدر اوامراً ببعاد بحق الآلوسي ورفاقه في عام ١٩٠٥ وكيايلي : ابعاد الآلوسي على الفور الى ولاية سيواس ، وابعاد ابن عمه وهو ثابت ابن امي البركات نعان خير الدين الآلوسي الى ديار بكر^(١٠٤) وابعاد عدد من مواطني البصرة الى قونية.^(١٠٥)

ولدى وصول محمود شكري الآلوسي بصحبة اثنين من رفاقه المبعدين الى الموصل وهم في طريقهم الى اماكن ابعادهم خرجت جماهير الموصل لاستقبالهم. وقد بالغ مواطنو الموصل في الاحتفاء بالآلوسي وزميليه ، ثم مالبت ان توسط لهم علماء الموصل ووجهائها لدى السلطان عبدالحميد الثاني وناشدوه ابقاءهم في الموصل. وقد استجاب السلطان لطلبهم. اذ وردت برقية من استانبول تفيد بصرف النظر عن امر ابعادهم.^(١٠٦) وقد استغرقت

اقامة الرجال الثلاثة في الموصل مدة شهرين ، لقوا خلالها كل صنوف الحفاوة والتكريم^(١٠٧) ، ثم عادوا بعدها الى بغداد في اعقاب العفو الذي اصدره السلطان عبدالحميد الثاني بحققهم في سنة ١٩٠٥ (١٣٢٣ هـ) ، وقد بلغوا بمضمونهم من خلال برقية وردت من رئاسة كتاب المابين^(١٠٨) وقد خرجت جواهر الموصل لتوديعهم.

مراسم احتفالات الموصل بالمناسبات الرسمية للدولة العثمانية :

جرت العادة في الموصل ، شأنها في ذلك شأن غيرها من الولايات ، على اقامة احتفالات كبيرة في المناسبات الرسمية للدولة العثمانية مثل ذكرى جلوس السلطان عبدالحميد الثاني التي كانت تصادف يوم ٣١ آب من كل عام. وفيما يلي وصف لوقائع الاحتفالات التي جرت في الموصل بمناسبة الذكرى الثلاثين لجلوس السلطان عبدالحميد الثاني :

وزعت حكومة الولاية بطاقات الدعوة على كبار المدعوين عشية يوم الاحتفال. وفي اليوم التالي وهو يوم الاحتفال حضر الوالي نوري باشا الى مقر الولاية بصحبة قائدي القوات النظامية والقوات الاحتياطية (الرديف) ، ورئيس دائرة الاملاك السنية (السلطانية) ، وكانوا يرتدون البزات الرسمية ، ويزينون صدورهم بالوسمة ، ثم توالى حضور المدعوين الى مكان الاحتفال وهم كبار الموظفين المدنيين والعسكريين في الولاية ، وعلماء الدين المسلمون ، ورؤساء الطوائف الدينية الاخرى ، ووجهاء المدينة ، وكلاء قناصل الدول الاجنبية ، كما حضرت الى موقع الاحتفال وحدات رمزية تمثل صنوف الجيش وقوات الجندرية والبوليس ، وطلبة المدارس ، علاوة على فرقة موسيقية عسكرية. وافتتح الاحتفال بدعاء القاه احد علماء الدين البارزين في الموصل وهو محمد الشعار ، ابتهل فيه الى الله ان يمد في عمر السلطان

وان يديم حكمه. وكان الحاضرون يرددون بين فترة وأخرى كلمة (آمين). كما تليت كلمة باسم طلبة المدارس الرسمية والاهلية في الموصل ، وتلا ذلك عزف السلام الحميدي من قبل الجوق الموسيقي العسكري. ثم اتجه الوالي الى قاعة الاستقبال وعندها بدأت جميع المهنيين بتقديم التبريكات اليه. وقدمت خلال الحفل المرطبات والحلوى والسيكاير الى المدعوين. وقد استغرق الحفل بضع ساعات ، واطلقت المدفعية (٢١) اطلاقة ، كما اقيمت اقواس النصر على المباني الحكومية المهمة ، ورفعت فوقها الاعلام واللافتات. وعلى صعيد آخر اقيمت احتفالات شعبية في الموصل من قبل التجار واصحاب الحوانيت. وفي المساء ازدانت المدينة بالاضواء الملونة حيث اوقدت القناديل على المباني الحكومية والمدارس والمساجد والتكايا ودور العبادة للطوائف الدينية الاخرى.^(١٠٩)

وقد جرت عادة السلطات الحكومية في تلك المناسبات على وضع حجر الاساس لبعض المشاريع. فعلى سبيل المثال احتفلت الموصل بوضع حجر الاساس لمبنى سجن جديد في الموصل في عام ١٩٠٧ بمناسبة عيد جلوس السلطان عبدالحميد الثاني.^(١١٠) كذلك جرت عادة تلك السلطات على اصدار بعض القرارات التي من شأنها التخفيف عن كاهل المواطنين ، كما حدث مثلاً في عام ١٩٠٥ (رجب ١٣٢٣ هـ) حينما اصدر السلطان عبدالحميد الثاني وبمناسبة الذكرى الثلاثين لجلوسه قراراً اعفى بموجبه المواطنين مما تبقى بذمتهم من ديون للدولة. وقد تولت وزارة الزراعة العثمانية مهمة إعدام مضمون القرار على الولايات. وقد علقت جريدة (الموصل) وهي الجريدة الرسمية الوحيدة في الموصل آنذاك على ردود فعل المواطنين تجاه القرار بقولها « ان المواطنين ابدوا ارتياحاً للقرار ، وانهم ابتلوا الى الله بأن يمد في عمر السلطان ، وان يمن عليه بدوام العافية »^(١١١)

محاولة اغتيال السلطان عبد الحميد الثاني واصداؤها في الموصل :

كان السلطان عبد الحميد الثاني قد تعرض الى محاولة اغتيال فاشلة في يوم ٢١ تموز عام ١٩٠٥ على يد بعض المنظمات المعادية لسياسته وكانت خطة الاغتيال تقضي بتفجير عربة مليئة بالمتفجرات حال انتهاء السلطان من اداء صلاة الجمعة في احد الجوامع التي اعتاد السلطان على اداء تلك الصلاة فيها. وتصادف ان تأخر السلطان في الخروج من الجامع فانفجرت العربة في وقت كان السلطان لا يزال داخل الجامع. وهكذا نجا السلطان من محاولة الاغتيال ، إلا انها اودت بحياة (٢٦) شخصاً ، علاوة على (٥٨) جريحاً. (١١٢)

ولما وصلت أنباء فشل محاولة اغتيال السلطان عبد الحميد الثاني الى الموصل ، عقدت اجتماعات حاشدة في مساجدها وكنائسها ، والتي رجال الدين خلالها كلمات عبروا فيها عن استيائهم للمحاولة ، وحمدوا فيها الله على نجا السلطان ، ودعوا له بدوام التوفيق وبالنصر على اعدائه. وكان من بين تلك الكلمات كلمة القاها الشيخ محمد الشعار (١١٣) ، واخرى القاها اسطيفان نائب بطريرك الكلدان. (١١٤)

الحركة القومية العربية في الموصل خلال العهد الحميدي :

واجه الوعي القومي العربي في الموصل ، عتاً شديداً ، وازدادت قبضة السلطات الحكومية على الموصل بدرجة أكبر مما كانت عليه في ولايتي بغداد والبصرة ولعل ذلك يرجع الى ان ولاية الموصل كانت اقرب من الولاياتين المذكورتين الى استانبول وهذا اعاق نمو الحركة القومية فيها. وهذا فضلاً عن ان القانونين اللذين اصدرتهما الحكومة العثمانية في عامي ١٨٨٠ و ١٨٨٢ القاضيان بايقاف عملية تسجيل الاراضي في العراق ، لم يطبقا في الموصل

وفي الاجزاء الشمالية من العراق. وقد ترتب على هذا ان اصبح ماسجل من اراضي في دوائر الطابو (دوائر التسجيل العقاري) في الموصل يفوق كثيراً تلك التي سجلت في بقية انحاء العراق. وكان لهذه الخطوة نتائج على الصعيدين الاقتصادي والسياسي ، حيث غدا كبار الملاكين ، وهم الذين سجلت الاراضي باسمهم ، يعتمدون كلية على الحكومة للحماية مابحوزتهم من املاك ضد غضب الفلاحين. وبعبارة اخرى لم يكن اولئك الملاكين في وضع يسمح لهم بالقيام بأي نشاط ضد الحكومة. (١١٥)

وقد تميزت الموصل كذلك بوجود اعداد من أنصار العهد الحميدي في الموصل والذين كانوا قد تأثروا بتزعمه الدينية (١١٦) وفضلاً عن ذلك فقد اتبع السلطان عبد الحميد الثاني سياسة من شأنها تشديد قبضته على ولاية الموصل ، بل الوطن العربي عموماً وذلك بعد هزيمة جيوشه امام روسيا في حرب عام ١٨٧٧ - ١٨٧٨ والتي أدت الى ضياع اراضي واسعة في البلقان والاناطول. اضيف الى ذلك ان اكثر املاك السلطان الخاصة كانت تتركز في الولايات العربية. (١١٧) واعتمد السلطان عبد الحميد الثاني وسائل شتى للابقاء على سيطرته على الوطن العربي ، ولكسب ود العرب كان من بينها تجنب استفزاز المشاعر القومية العربية. حيث تخاشى السلطان عبد الحميد الثاني السياسة العنصرية ، واعتبر جميع السكان كعثمانيين بغض النظر عن قومياتهم. وهكذا طغى مفهوم العثمانية على اي مفهوم آخر. كذلك دأب عبد الحميد الثاني على التقرب من العرب من خلال اختيار حرسه الخاص منهم ، واطرائه العرب بعبارات المديح كقوله فيهم (قوم نجيب عرب) (١١٨)

وفي الوقت نفسه حاول السلطان عبد الحميد الثاني السعي لطمس المشاعر القومية لدى العرب والتأكيد بدلاً من ذلك على الروابط الدينية معهم ، سيما وان اكثرية الشعب العربي كانت تدين

بالاسلام، الذي كان له مكانة كبيرة في نفسه. وتنفيذاً لهذه السياسة اعلن السلطان عبد الحميد الثاني عن تبنيه سياسة الجامعة الاسلامية التي كانت تدعو الى اتحاد العرب والأتراك تحت لوائه. وكان من مظاهر تطبيق هذه السياسة، ولضمان فرص اكبر لنجاحها، ان حرص عبد الحميد الثاني على خطب ود الاسر المنتفذة في المدن العربية ولاسيا الاسر الدينية منها، عن طريق اغداق الامتيازات عليها. كما سعى في الوقت نفسه الى كسب ولاء الجماهير الشعبية عن طريق رعايته للمراقد الدينية ومنحه الهبات السخية لها. واسباغ الطابع الديني على بعض مشاريعه. فعلى سبيل المثال، ناشد السلطان عبد الحميد الثاني وسائل الاعلام في دولته بذل اهتمام خاص بالدعاية لمشروع سكة حديد الحجاز^(١١٩)، والتأكيد على ان هدف السلطان منه هو توحيد الولايات العربية وربطها ببعضها وتسهيل عملية نقل الحجاج الى الديار المقدسة.

واخيراً، اولى السلطان عبد الحميد الثاني علماء الدين البارزين عناية خاصة ففتح اوسمة لبعضهم. فعلى سبيل المثال منح السلطان عبد الحميد الثاني في مناسبات عديدة اوسمة الى يوسف الرضائي وهو من رجال الدين البارزين في الموصل^(١٢٠). كما أغدق على البعض الاخر منهم منحا سخية، وخصص لهم مرتبات عالية.^(١٢١)

حالت تلك الاجراءات دون قيام اية تنظيمات سياسية في الموصل حتى عام ١٩٠٨، وهو العام الذي حدث فيه الانقلاب الدستوري في الدولة العثمانية. وكان اول تنظيم حزبي تشهده الموصل، هو تأسيس فرع جمعية الاتحاد والترقي بعد اعادة العمل بالدستور العثماني في ٢٣ تموز عام ١٩٠٨.^(١٢٢)

واستمر الحال على تلك الشاكلة حتى عام ١٩٠٩، عندما نُحيي عبد الحميد الثاني عن

العرش، وسيطرت جمعية الاتحاد والترقي على مقاليد السلطة في الدولة العثمانية. وقد تحولت الاخيرة الى سياسة التريك التي كانت ايذاناً ببدء النزاع بين العرب والأتراك^(١٢٣).

ولقد رد العراقيون على تلك السياسة بأن التفوا حول قوميتهم العربية، ولم يتأخر الموصليون عن اداء واجهم نحو قوميتهم، بل انهم تقدموا الصفوف، حتى ان ولاية الموصل امتازت على شقيقتها ولايتي بغداد والبصرة بانها سبقتها في الدعوة للحركة العربية التي هيمنت عليها آنذاك بعض العوائل التي كانت تتمتع بنفوذ واسع خلال العهد الحميدي، علاوة على رجال الدين.^(١٢٤)

اصداء الانقلاب الدستوري العثماني في الموصل:

لم يكن لاعادة الدستور في الدولة العثمانية في اعقاب الانقلاب الذي قاده جمعية الاتحاد والترقي في ٢٣ تموز عام ١٩٠٨، تأثير كبير في العراق حيث كان العراق شأنه في ذلك شأن الولايات الاخرى البعيدة عن استانبول، لم يرم عناء عهد الاستبداد إلا القليل.^(١٢٥) كما لم تكن ردود فعل العراقيين عموماً تجاه الانقلاب ردوداً ايجابية. فقد استقبلت الجماهير الشعبية انباء الانقلاب بمشاعر الاستغراب، ووجدت صعوبة في ادراك مضامين الحملات الدعاية والشعارات التي اطلقها النظام الجديد^(١٢٦).

اما بالنسبة للموصل، فكان صدى الانقلاب العثماني فيها محدوداً، سيما وان السلطان عبد الحميد الثاني كان يحتل مكانة في نفوس ابناء الموصل بوصفه خليفة المسلمين ورائد الجامعة الاسلامية. ولعل مرد هذا ان سكان الموصل كانوا قد تأثروا بالحملات الدعاية التي كان يروجها اعوان السلطان عبد الحميد الثاني من دعاة الجامعة الاسلامية. ومن جانب آخر كان الوعي

وقد سخر قلمه لكتابة مقالات مستفيضة دافع بها
عن الانقلاب. (١٣٥)

اسماء ولاية الموصل منذ تحويلها الى ولاية في عام ١٨٧٩ وحتى انتهاء العهد الحميدي

ت	اسم الوالي	فترة حكمه بالسنتين المحرية	فترة حكمه بالسنتين البلدية
١-	فخري باشا	١٢٩٥ - ١٢٩٥	١٨٧٨ - ١٨٧٨
٢-	عبدالقادر افندي	١٢٩٥ - ١٢٩٦	١٨٧٨ - ١٨٧٩
٣-	مير باشا و وكيل فريق	١٢٩٦ - ١٢٩٨	١٨٧٩ - ١٨٨١
٤-	تحسين باشا	١٢٩٨ - ١٣٠٣	١٨٨١ - ١٨٨٥
٥-	فاتح باشا	١٣٠٣ - ١٣٠٤	١٨٨٥ - ١٨٨٦
٦-	رشيد باشا	١٣٠٤ - ١٣٠٥	١٨٨٦ - ١٨٨٧
٧-	طاهر باشا	١٣٠٥ - ١٣٠٧	١٨٨٧ - ١٨٩٠
٨-	عبدالقادر كالي باشا	١٣٠٧ - ١٣٠٨	١٨٩٠ - ١٨٩١
٩-	عثمان باشا	١٣٠٨ - ١٣٠٩	١٨٩١ - ١٨٩٢
١٠-	عزيز باشا	١٣٠٩ - ١٣١١	١٨٩٢ - ١٨٩٤
١١-	صالح باشا	١٣١١ - ١٣١٢	١٨٩٤ - ١٨٩٥
١٢-	الفريق عبيد الله باشا	١٣١٢ - ١٣١٢	١٨٩٥ - ١٨٩٥
١٣-	زهدي بك	١٣١٢ - ١٣١٣	١٨٩٥ - ١٨٩٦
١٤-	عبدالعاب باشا	١٣١٣ - ١٣١٤	١٨٩٦ - ١٨٩٧
١٥-	المشير عارف باشا	١٣١٤ - ١٣١٤	١٨٩٧ - ١٨٩٧
١٦-	حازم بك	١٣١٤ - ١٣١٧	١٨٩٧ - ١٨٩٩
١٧-	ناظم بك	١٣١٧ - ١٣١٧	١٨٩٩ - ١٩٠٠
١٨-	الحاج رشيد باشا	١٣١٧ - ١٣١٨	١٩٠٠ - ١٩٠١
١٩-	نوري باشا	١٣١٨ - ١٣٢١	١٩٠١ - ١٩٠٤
٢٠-	مصطفى بك	١٣٢١ - ١٣٢٤	١٩٠٤ - ١٩٠٦
٢١-	الفريق زكي باشا	١٣٢٤ - ١٣٢٤	١٩٠٦ - ١٩٠٦
٢٢-	رشيد باشا	١٣٢٤ - ١٣٢٥	١٩٠٦ - ١٩٠٧
٢٣-	الفريق اول محمد فاضل باشا	١٣٢٥ - ١٣٢٦	١٩٠٧ - ١٩٠٨
٢٤-	طاهر باشا	١٣٢٦ وحتى	١٩٠٨ وحتى
		انتهاء العهد الحميدي	انتهاء العهد الحميدي

المصدر: موصل ولاتني سالتامه ومجيبيل ١٣٣٠، موصل مطبعة سنه طبع اوتقشدر،
ص ١٠٥ - ١٠٦. وقد اعتدنا في تحويل السنوات المحرية الى السنوات الميلادية على
يوسف ايكاروفيتش اوبيل، جداول تحويل السنوات المحرية الى السنوات الميلادية،
ترجمة حسين قاسم العزيز، مجلة المورد، المجلد ٣، العدد ٤، ١٩٧٤، ص ١٣٥ - ١٣٧.

الهوامش

- (١) Robert Devereux, The First Ottoman Constitutional Period, The Johns Hopkins Press, (Baltimore: 1963), p. 283
- (٢) ستيفن هيمسلي لونكرينك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، نقله الى العربية جعفر الخياط، ط ٤، مطبعة المصمات، (بغداد: ١٩٦٨)، ص ٣٧٦

الديمقراطي ضعيفاً في اوساط سكان ولاية الموصل. (١٢٧) ومن الجدير بالذكر ان بعض الاوساط المحافظة في الموصل ابدت تحفظات على دعوة النظام الجديد الى مساواة المسلمين بغيرهم لاعتقادها بأن ذلك سوف يؤدي الى تجريدها من امتيازاتها القديمة. (١٢٨) واتخذ الاكراد موقفاً مماثلاً من الانقلاب، فقد نظر رجال الدين الاكراد الى الدستور، وكأنه امر يتناقض مع الدين، كما رأى الشيوخ والمتنفذون الاكراد في الدستور وسيلة للحد من نفوذهم، كذلك اعراب الرجل الكردي العادي عن مخاوفه من ان يؤدي العهد الدستوري الى الخروج عن الآداب العامة والتقاليد المرعية. (١٢٩) على ان تلك المشاعر لم تحل من جهة اخرى دون ترحيب بعض ابناء الموصل بالانقلاب. (١٣٠) فقد اعراب هؤلاء عن تأييدهم الانقلاب عن طريق اقامة الصلوات في المساجد، وزيارة مرقد النبي يونس (ع) كما نظموا تظاهرات طافت طرقات الموصل، وأقيمت معالم الزينة في بعض البيوت وفي الدوائر الحكومية. وازدانت طرقات الموصل بالاضواء ليلاً. وكانت العيارات النارية تطلق بين أونة واخرى احتفاءً بالمناسبة، كما جرى عرض بالالعاب النارية. (١٣١)

ونظم الشاعر الموصلبي محمد حبيب العبيدي قصيدة من تسعة ابيات اعراب فيها عن ترحيبه باعادة الدستور، واثني فيها على الانقلاب الذي وصفه بالثورة. (١٣٢) وانتقد في قصيدة اخرى السلطان عبدالحميد الثاني ولاسيما نزعتة الاستبدادية. وقد جاء فيها قوله:
أولم يكفه ثلاثون حولاً

وهو يلهو بالملك كيف يشاء (١٣٣)

وحذا الحاج محمد ضياء الدين الموصلبي حذو العبيدي في هذا الشأن (١٣٤) كذلك كان فهمي عبدالرحمن المدرس وهو من الشخصيات الثقافية البارزة من اوائل المؤيدين للانقلاب الدستوري،

- (٢) الزوراء (صحيفة)، ع ٨٠٧، ٣٠ صفر ١٢٩٦
- (٤) الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، ج ١، ط ١، مطبعة جامعة البصرة، (البصرة: ١٩٨٢)، ص ١٠
- (٥) يكياشي محمد نصر الله وآخرون، ممالك محروسة شاهانية مخصوص مكل ونفصل اطلس، شركة مرتبة مطبعة سي، (استانبول: ١٣٢٥)، ص ١٠٢
- (٦) عباس الزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٨، شركة التجارة والطباعة المحمود، (بغداد: ١٩٥٦)، ص ٥٠
- (٧) للاطلاع على اسماء ولاية الموصل وسنوات حكمهم انظر قائمة بأسمائهم في متن البحث.
- (٨) صديق الدمولجي، اماره بديتان الكردية او اماره العادبة، مطبعة الاتحاد الجديدة، (الموصل: ١٩٥٢)، ص ٧١
- (٩) للاطلاع على نصوص هذه المواد انظر سليم فارس، كتر الرغائب في منتخبات الجواب، ج ٥، ط ١، مطبعة الجواب، (الاستانة: ١٢٩٤)، ص ٣٣٨-٣٤١
- (١٠) Devereux, Op. Cit., p. 124
- (١١) Ibid, p.p. 125 – 126
- (١٢) Ibid, p.261
- ذكر مصدر خطأ اسم عبدالرحمن الباججي بدلاً من عبد الرحمن وصفي ال شريف بك. انظر علي ظريف الاعظمي، مختصر تاريخ بغداد، مطبعة الفرات، (بغداد: ١٩٢٩)، ص ٢٤٥. وحري بالاشارة ان اكثر من مصدر ذكر بان عبدالرحمن وصفي ال شريف بك كان قد انتخب نائباً عن ولاية الموصل انظر الزاوي، المصدر السابق، ص ٣٣ وكذلك حسين جميل، الحياة النيابية في العراق ١٩٢٥-١٩٤٦ وموقف جاعة الاهالي منها، ط ١، (بغداد: ١٩٨٣)، ص ١٥. وفي رأينا ان ذلك خطأ بدليل ان الموصل لم تكن وقت اجراء الانتخابات ولاية قائمة بذاتها. وقد نشر احد المصادر صوراً لتواب بغداد الثلاثة ضمن منشوره من صور لتواب الولاية العثمانية الا انه اورد اسم دانيال افندي بدلاً من مناحيم صالح افندي. انظر رسلي كتاب (مجلة)، استانبول، جلد ١، نومرو ٤، كانون اول ١٣٢٤، ص ص ٣٢١، ٣٢٤.
- (١٣) Devereux, Op. Cit, p.140
- (١٤) Devereux, Op. cit, p.139
- (١٥) Ibid, p. 206
- (١٦) احمد صائب، تركيا دن مجلس مبعوثان، نجم استقبال مطبعة سي، (دوسمادت: ١٣٢٨)، ص ٦
- (١٧) Devereux, Op. cit., p. 269
- (١٨) محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، دارالجيل، (بيروت: ١٩٧٧)، ص ٣٦٧
- (١٩) صائب، المصدر السابق ص ٦
- (٢٠) عبدالوهاب القيسي، حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها
- في العراق ١٨٣٩-١٨٧٧، مطبعة العاني، (بغداد: ١٩٦١)، ص ٥
- (٢١) Devereux, Op. cit., p. 140
- (٢٢) سليمان البستاني، عبرة وذكرى او الدولة العثمانية قبل الدستور وبمده، تحقيق خالد زيادة، ط ١، دار الطلبة للطباعة والنشر، (بيروت: ١٩٧٨)، ص ٢٤٠.
- (٢٣) ابراهيم خليل احمد، محافظة نينوى في المصور الحديثة، في عامر سليمان وآخرون، محافظة نينوى بين الماضي والحاضر، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل: ١٩٨٦)، ص ١٠٣.
- (٢٤) شكري محمود نديم، احوال العراق في مرحلة المشروطية الثانية ١٩٠٨-١٩١٨، رسالة دكتوراه غير منشورة قدمت الى جامعة بغداد عام ١٩٨٥، ص ٣٤.
- (٢٥) انظر السلطان عبدالحميد الثاني، مذكراتي السياسية ١٨٩١-١٩٠٨، ط ٢، (بيروت: ١٩٧٩)، ص ١٢
- (٢٦) نديم، المصدر السابق، ص ٣٤
- (٢٧) علي الورد، لهات اجتماعية في تاريخ العراق الحديث، ج ٣، مطبعة الشعب، (بغداد: ١٩٧٢)، ص ٣٥
- (٢٨) الزوراء، ع ٧٨٥، ١٥ شوال ١٢٩٥
- (٢٩) الاعظمي، المصدر السابق، ص ٢٤٥
- (٣٠) E.B. Soane, Confidential Report on the Sulaimania District of Kurdistan, (Calcutta, India: 1918), p.78
- (٣١) باسيل نيكيكين، الاكواد، الترجمة العربية، (بيروت: ١٩٥٨)، ص ١٥٥
- (٣٢) لوي بحري، سكة حديد بغداد، شركة الطبع والنشر الاهلية، (بغداد: ١٩٦٧)، ص ١٢١.
- (٣٣) سليمان فيضي، في غمرة النضال، شركة التجارة والطباعة المحدودة، (بغداد: ١٩٥٢)، ص ٥٧
- (٣٤) الاعظمي، المصدر السابق، ص ٢٤٥
- (٣٥) الورد، المصدر السابق، ص ٣٥
- (٣٦) الزوراء، ع ٧٨٥، ١٥ شوال ١٢٥٩
- (٣٧) فؤاد مبداني، اسرار الجاسوسية في القضية العربية، مجلة الاسرار، السنة الاولى، ع ١٥، ١٢ تموز ١٩٣٨، ص ١
- (٣٨) محمد هاشم الكتي، عصر السلطان عبدالحميد واثره في الاقطار العربية ١٨٧٦-١٩٠٩، ج ٨، المطبعة الحاشمية، (دمشق: ١٩٣٩)، ص ٢٣٣
- (٣٩) للاطلاع على تفاصيل كارثة المجاعة في الموصل في عام ١٨٧٩ انظر ناظم العمري، مخطوطة ناظم العمري في مكتبة الاوقاف العامة بالموصل، خزائن دارو الجليلي تحت رقم ١٢٩-٩٠، ص ص ١٤-١٥ وسليان الصانع، تاريخ الموصل، ج ١، المطبعة السلفية، (مصر: ١٩٢٣)، ص ص ٣١٤-٣١٥، بدير دي فوسيل، الحياة في العراق منذ قرن ١٩١٤-١٩١٤، ترجمة اكرم فاضل، مطبعة الجمهورية، (بغداد: ١٩٦٨)، ص ص ٨٣-٨٤. وليس بدج، رحلات الى العراق، نقله الى العربية فؤاد جميل، ج ١، ط ١، مطابع دارالزمان، (بغداد: ١٩٦٦)، ص ٢٨٦ وكذلك ن. أ. خالقين، الصراع على كردستان، ترجمة احمد عثمان ابو بكر، مطبعة الشعب،

- (٦٤) Blunt, Op. cit., Vol. I, p. 273
- (٦٥) Ibid, p. 320
- (٦٦) الزواوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٨، ص ١٠٣
- (٦٧) الزوراء، ع ١٠١٢، ٢٣ جادى الاول ١٢٩٩. وجدير بالذكر أن رتبة قوجي باشا كانت تعادل رتبة رئيس المحجّاب. انظر الزواوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٨، ص ١٢٣
- (٦٨) الزوراء، ع ١٤٨٥، ٢٦ ربيع الآخر ١٣٠٩
- (٦٩) الزوراء، ع ١٥١٨، ٥ محرم ١٣٠٩
- (٧٠) الصائغ، المصدر السابق، ص ٣١٦
- (٧١) الزواوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٨، ص ١٣٧
- (٧٢) الزوراء، ع ١٨٣٢، ١٤ جادى الاول ١٣١٧
- (٧٣) امين الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته، ط ٥، (الرياض: ١٩٨١)، ص ١٤٠-١٤١
- (٧٤) Robin Bidwell, The Affairs of Arabia 1905 - 1906, Vol. I, Part 11, (London: 1971), p. 33
- (٧٥) موصل، (صحيفة)، نومبر ٧٧٤، ٢٦ ذي الحجة ١٣٢٢
- (٧٦) الرقيب (صحيفة)، ع ٧٤٠، ذي القعدة ١٣٢٧ نقلاً عن محمد، المصدر السابق، ص ٩٠
- (٧٧) النجاشي (صحيفة)، ٢٢ ذي الحجة ١٣٢٨ نقلاً عن ابراهيم خليل احمد، اوضاع ولاية الموصل الاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقد الاول من القرن العشرين، مجلة آداب الرافدين، (الموصل)، ع ٧، ١٥ تشرين الاول ١٩٧٦، ص ٢٢٢.
- (٧٨) للاطلاع على تفاصيل حول معتقدات الزيديين وطقوس عبادتهم راجع اسماعيل بك جول، الزيدية قديماً وحديثاً، نشره قسطنطين زريق، المطبعة الاميركانية، (بيروت: ١٩٣٤)، ص ٧٣-١٠٨
- (٧٩) للحصول على تفاصيل وافية عن حركة الجامعة الاسلامية واهدافها وتطبيقاتها راجع المدلول، المصدر السابق، ص ٦٣-٦٦
- (٨٠) الصائغ، المصدر السابق، ص ٣١٨-٣١٩
- (٨١) الزوراء، ع ١٥٢٢، ٣ صفر ١٣١٠
- (٨٢) الوردى، المصدر السابق، ص ٣
- (٨٣) الزواوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٨، ص ١٢٠
- (٨٤) كان للزيديين ستة سناجق يتوكل منها ثمان على هيئة ديك أو طاووس من انتحاس او غيره يسمى طاووس ملك. انظر ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى جامعة بغداد عام ١٩٧٥، ص ١٠٨، هامش ٣٠٧
- (٨٥) صديق المدلولجي، الزيدية، مطبعة الاتحاد، (الموصل: ١٩٤٩)، ص ٥٧
- (٨٦) الصائغ، المصدر السابق، ص ٣١٩
- (٨٨) المدلولجي، الزيدية، ص ٥٠٩
- (٨٩) المصدر نفسه، ص ٥١٠
- (٩٠) المصدر نفسه، ص ٥٠٦
- (بغداد: ١٩٦٩)، ص ١١٣ وكذلك
- Tristram J. Ellis, On a raft and through the Desert, (London), Vol. I, p.p. 97 - 100.
- (٤٠) فوسيل، المصدر السابق، ص ٨٤
- (٤١) بدج، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٧
- (٤٢) فوسيل، المصدر السابق، ص ٨٤
- (٤٣) المصدر نفسه، ص ٨٥
- (٤٤) طلعت الشيباني، واقع الملكية الزراعية في العراق، ط ٢، مطبعة الزمان، (بغداد: ١٩٥٨)، ص ٤٨
- (٤٥) المركز الوطني لحفظ الوثائق، ملفه تسلسل ٥، تحت رقم ١٠٥/٣ بعنوان تقارير ادارية حول البصرة، ١٩١٧، ص ١٠
- (٤٦) للحصول على معلومات عن مدرسة العشائر الخاصة وشروط القبول فيها راجع: جاسم محمد حسن المدلول والعراق في العهد الحبيدي ١٨٧٦-١٩٠٩، هي رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى جامعة بغداد عام ١٩٧٥، ص ١٦٠.
- (٤٧) Anne Blunt, Bedoun Tribes of the Euphrates, Vol. I, (London: 1968), p. 110. Office of the Civil Commissioner, The Arab of Mesopotamia, (Basrah: 1917), p.p. 55 - 56.
- (٤٨) ويليام ويلكوكس والعراق كما عرفته بين سنتي ١٩٠٨ و ١٩١١، البلاد (صحيفة)، ع ٤٣٧، ٩ كانون الاول ١٩٣٥ وكذلك J.A. Saldanha, Precise of Turkish Arabia Affairs 1801 - 1905, Part I, (London: 1905), p.77
- (٤٩) Office of the Civil Commissioner, op. cit., p.55.
- (٥٠) الزوراء، ع ١٨٣٦، ١٣ جادى الاخرى ١٣١٧
- (٥١) محمد بهجت الاتري، اعلام العراق، المطبعة السلفية، (القاهرة: ١٣٤٥)، ص ٥٦
- (٥٢) محمد احمد محمود، احوال العشائر العراقية العرية وعلاقتها بالحكومة ١٨٧٢-١٩١٨، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى جامعة بغداد في عام ١٩٨٠، ص ١٢
- (٥٣) المصدر نفسه، ص ١٦
- (٥٤) ج.ج. لويزر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ج ٤، طبعه جديدة معدلة ومنقحة اعدتها قسم الترجمة بمكتب امير دولة قطر، مطابع علي بن علي، الدوحة، (د.ت)، ص ٢٢٠٩.
- (٥٥) عباس الزواوي، عشائر العراق، ج ١، مطبعة بغداد، (بغداد: ١٩٣٧)، ص ١٥٨.
- (٥٦) محمود، المصدر السابق، ص ٨٢
- (٥٧) الزواوي، عشائر العراق، ج ١، ص ١٥٨
- (٥٨) لويزر، المصدر السابق، ص ٢٢٠٩
- (٥٩) الزواوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٨، ص ٣٩
- (٦٠) الزوراء، ع ٧٨١، ١٦ رمضان ١٢٩٥ نقلاً عن محمود، المصدر السابق، ص ٨٢
- (٦١) الزوراء، ع ١٢٥٧، ٢٩ جادى الاول ١٣٠٣ نقلاً عن محمود، المصدر السابق، ص ٨٢
- (٦٢) Saldanha, Op. cit., p. 77
- (٦٣) الزوراء، ع ١٠٥٢، ٢٦ ذي القعدة ١٢٩٩

- (٩١) دأود الجلبلي مخطوطات الموصل، مطبعة الفرات، (بغداد: ١٩٢٧). ص ٢٥٢ وكذلك عبدالرزاق الحسيني، الزبيديون في حاضرهم وأضيقهم، ط ٥، المطبعة المصرية، (صيدا: ١٩٦٨)، ص ١٦٨.
- (٩٢) ستيفن هيمسلي لونكريك، العراق الحديث من سنة ١٩١٠- إلى سنة ١٩٥٠، ترجمة سليم طه التكريتي، ج ١، مطبعة حسام، (بغداد: ١٩٨٨)، ص ١٠٥.
- (٩٣) الدملوجي، الزبيدي، ص ١٢٥.
- (٩٤) الصانع، المصدر السابق، ص ٣١٦.
- (٩٥) الرودي، المصدر السابق، ص ٥٠. وتجدر الإشارة إلى أن الأوساط المحافظة في الموصل واصلت تحفظاتها تجاه عمليات تعداد السكان. فقد اندلعت تظاهرات في الموصل في أواسط العقد الأول من القرن الحالي احتجاجاً على عملية تعداد للسكان كانت السلطات الحكومية ترمع القيام بها آنذاك. وكان على رأس تلك التظاهرات رجل موصل يعرف بـ (محمد أبو جاسم). ولما لقت السلطات الحكومية القبض عليه وزجته في السجن تولى ابن اخته وهو سرخان بن ذوالنون قيادة المظاهرات بدلاً منه. وكان من جملة الأهازيج التي نظمها الأخير «هذا الخال وإني ابن اخته، عند الموت خالي عرفت» وقد لقي القبض على سرخان أيضاً ولقي به في السجن، وقيل أنه اغتيل فيه انظر على التوالي: خيرى العمري، حكايات سياسية من تاريخ العراق الحديث، مطابع دار الهلال، (مصر: ١٩٦٩)، ص ٩٨؛ فيصل محمد الأرحم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ١٩٠٨-١٩١٤، مطابع الجمهور، (الموصل: ١٩٧٥)، ص ٩٩.
- (٩٦) فوسيل، المصدر السابق، ص ٨٩.
- (٩٧) الصانع، المصدر السابق، ص ٣١٩.
- (٩٨) لونكريك، العراق الحديث، ص ١٢٢.
- (٩٩) موصل، نومرو ٧٦٦، ٢٤ رمضان ١٣٢٢.
- (١٠٠) المصدر نفسه، نومرو ٧٦٩، ٢٩ شوال ١٣٢٢.
- (١٠١) محمد كرد علي، المذكرات، ج ١، مطبعة التراثي، (دمشق: ١٩٤٨)، ص ٢٤٤.
- (١٠٢) خيرى أمين العمري، شخصيات عراقية ١، مطبعة دار المعرفة، (بغداد: ١٩٥٥)، ص ١٠.
- (١٠٣) محمد بهجت الآزري، محمود شكري الآلوسي وراؤه اللغوية، المطبعة الكاثلية (دين مكان طبع: ١٩٥٨)، ص ٨٧.
- (١٠٤) موصل، نومرو ٧٨٩، ٢٦ ربيع الآخر ١٣٢٣.
- (١٠٥) فيضي، المصدر السابق، ص ٥٦.
- (١٠٦) موصل، نومرو ٧٨٧، ٤ ربيع الآخر ١٣٢٣.
- (١٠٧) محمد بهجت الآزري، اعلام العراق، المطبعة السلفية، (مصر: ١٣٤٥)، ص ١٠١.
- (١٠٨) موصل، نومرو ٧٨٩، ٢٦ ربيع الآخر ١٣٢٣.
- (١٠٩) المصدر نفسه، نومرو ٧٩٦، ٣ رجب ١٣٢٣.
- (١١٠) مذكرات الطران بولس دانيال، مخطوط لدى السيد سهيل قاشا الذي يعمل حالياً معلماً في مدرسة الطائفة بالموصل، حوادث سنة ١٩٠٧، ص ٥.
- (١١١) موصل، نومرو ٧٩٦، ٣ رجب ١٣٢٣.
- (١١٢) أوزغان محمد علي، السلطان عبدالحميد الثاني حياته وأحداث عهده، ط ١، دار الأنبار، (الزماوي: ١٩٨٧)، ص ١٦٣.
- (١١٣) يرجع أنه محمد ضياء الدين الشمارانظر ترجمة لحياته في احمد محمد المختار، تاريخ علماء الموصل، ج ٢، ط ٢ (الموصل: ١٩٨٤)، ص ٤٠.
- (١١٤) للاطلاع على نص الكلمتين انظر موصل، نومرو ٧٩٥، ٢٣-٢٤ جادي الآخر ١٣٢٣.
- (١١٥) وميض جلال عمر نظمي وآخرون، التطور السياسي المعاصر في العراق، (بغداد: د.ت)، ص ٤٥-٤٦.
- (١١٦) البرت م. منتشاشغلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني ترجمة هاشم صالح التكريتي، (بغداد: ١٩٧٨)، ص ١١٥.
- (١١٧) توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، دار الحنا للطباعة، (مصر: ١٩٦٠)، ص ٣٣.
- (١١٨) علي جودت، ذكريات علي جودت ١٩٠٠-١٩٥٨، ط ١، مطبعة الوفاء، (بيروت: ١٩٦٧)، ص ٢٥-٢٦.
- (١١٩) لونكريك، العراق الحديث، ج ١، ص ٧٣. لمزيد من المعلومات عن خطط تحديد الحجاز انظر سعد أبو دية، «الدور التاريخي للنخط الحديث الحجازي»، مجلة المورخ العربي (بغداد)، ع ٣٤، السنة الثالثة عشرة ١٩٨٨، ص ٥٨-٦٦.
- (١٢٠) المختار، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٩.
- (١٢١) موصل، نومرو ٧٨٢، ٢٢ صفر ١٣٢٣.
- (١٢٢) إبراهيم خليل احمد، «الحركة العربية في الموصل قبيل الحرب العالمية الأولى»، مجلة الخليج العربي، (البصرة)، العدد ٧، ١٩٧٧، ص ٨٦.
- (١٢٣) توفيق السويدي، مذكراتي نصف قرن من تاريخ العراق والقصبة العربية، ط ١، مطابع دار الغد، (بيروت: ١٩٦٩)، ص ٢٠.
- (١٢٤) لونكريك، العراق الحديث، ج ١، ص ٨٣.
- (١٢٤) تديم، المصدر السابق، ص ٥٣.
- (١٢٦) Ghassan R. Atiyah, Iraq 1908 - 1921, A Political Study, Beirut, 1973, p. 52.
- (١٢٧) احمد، ولاية الموصل، دراسة في تطوراتها السياسية، ص ٣٥.
- (١٢٨) F.O. 371/546/35261, From the British Vice Consul in Mosul, Young to Sir G. Lowther. Dated Mosul, August 23, 1908. Quoted in Atiyah, Op. cit., p. 52.
- (١٢٩) الدملوجي، اماره بهديتان الكردية، ص ١٥٥.
- (١٣٠) أشار مصداقاً إلى إعلان الدستور- وهو أول نتائج انقلاب عام ١٩٠٨- لم يلق ترحيباً في الموصل إلا لأنه كان سبباً في عزل الوالي مصطفى بك الذي لم يكن محبوباً انظر: نجدة فتحي صفوة، العراق في مذكرات الدبلوماسيين الأجانب، ط ٢، (بغداد: ١٩٨٤)، ص ٧٧ وتطبيقاً على ذلك هو أن فترة حكم الوالي مصطفى بك وبها مكثت في نهاية البحث كانت بين عامي ١٩٠٤-١٩٠٦ وعليه فإن الرواية بحاجة إلى

(١٣١) محمد هليل الجابري ، الحركة القومية العربية في العراق بين ١٩٠٨ - ١٩١٤ ، رسالة دكتوراه غير منشورة قدمت الى كلية الآداب بجامعة بغداد في ١٩٨٠ ، ص ٦٩
(١٣٢) ذكرى حبيب ديوان السيد محمد حبيب العبيدي . تحقيق احمد الفخري ، مطبعة الجمهورية ، (الموصل : ١٩٦٦) ، ص ٦

الموصل في العهد لآتحادى

(١٣٢٦ - ١٣٣٦ هـ ١٩٠٨ - ١٩١٨ م)

جاسم محمد حسن العلول

الوعي الكافي بمعنى الانتخابات^(١). بل لم يكن الذين يدركون قواعد الانتخابات حتى في العاصمة استانبول يشكلون سوى اقلية ضئيلة^(٢). كذلك لم يتسن للناخبين ان يدلوا باصواتهم خلال الانتخابات بحرية ، لاسيما انها كانت اقرب الى التعيين منها الى الانتخابات. هذا فضلاً عن احجام كثير من كان يحق لهم الادلاء باصواتهم عن المشاركة في الانتخابات لأسباب لعل من أبرزها خوفهم من ان تكون بمثابة خدعة يقصد بها سوقهم الى الخدمة العسكرية او جباية الضرائب منهم او ماشابه ذلك^(٣).

ومع ان الانتخابات كانت قد جرت في كثير من أنحاء العراق في أجواء من الهدوء التام^(٤) إلا أن الانتخابات التي جرت في الموصل رافقها بعض اعمال العنف ، فقد اخبر احد مبعوثي ولاية الموصل رحالة انكليزياً خلال لقاء جرى بينها مصادفة على ظهر باخرة كانت تبحر في طريقها الى استانبول ، «ان خمسين شخصاً قتلوا خلال انتخابي وقيل إن عملية فرز الاصوات لم تجر بصورة دقيقة»^(٥).

وكانت جمعية الاتحاد والترقي قد تولت بنفسها الاشراف على عملية الانتخابات ، اذ حرصت على ان تديرها بطريقة تضمن بموجبها فوز الاغلبية العظمى من مرشحيها^(٦). بل ان الجمعية لم تتورع

شهدت ولاية الموصل في العهد الاتحادي (١٩٠٨ - ١٩١٨) سلسلة من الاحداث والتطورات المهمة. ولغرض الاحاطة بكل تلك الاحداث والتطورات فسوف نقسم الفترة موضوعة البحث الى مرحلتين وكما يأتي :

اولاً : الموصل بين عامي ١٩٠٨ - ١٩١٤ :

واجهت الموصل خلال عامي ١٩٠٨ - ١٩١٤ جملة من الاحداث والتغييرات كان بعضها بمثابة ردود افعال لاحداث جرت في مناطق اخرى من الدولة العثمانية وعلى النحو الآتي :

اجراء الانتخابات النيابية في اواخر عام ١٩٠٨ :

شهدت الموصل في مطلع العهد الاتحادي اجراء انتخابات نيابية لانتخاب نواب عن ولاية الموصل في البرلمان العثماني الثاني^(١). وكان السلطان عبد الحميد الثاني قد اصدر مرسوما في ٢٤ تموز عام ١٩٠٨ دعا فيه الولاة كافة الى اجراء انتخابات في ولاياتهم لانتخاب نواب عنها الى البرلمان المذكور وفقاً لاحكام دستور عام ١٨٧٦. وقد قرر ان تجري الانتخابات في شهري تشرين الثاني وكانون الاول من عام ١٩٠٨^(٢).

ولم يشارك الممثلون الحقيقيون للشعب في تلك الانتخابات^(٣) ولم يكن الشعب نفسه يمتلك آنذاك



• السلطان عبد الحميد الثاني ١٨٧٦-١٩٠٩ م.

الفترة السابقة بحجة ان الضرورة قضت بذلك ،
وادعى انه عمل خلال تلك الفترة على نشر العلوم
والمعارف في انحاء الدولة العثمانية كافة وذلك ما همل
الدولة العثمانية - بحسب قوله - الى تحمل
مسؤولياتها . وقد استمع المبعوثون لخطاب السلطان
بتأمل وهدوء ، لكنهم صفقوا له حينما اكد «بانه
عازم على ادارة الدولة على اساس الدستور»^(١٦) .

دور مبعوثي الموصل في مجلس المبعوثان :

اما عن الدور الذي قام به مبعوثو الموصل في
مجلس المبعوثان فقد تمثل في تقديم عدد من
التوصيات والمقترحات وفي مختلف الشؤون . ففي
اثناء مناقشة ميزانية الدولة العثمانية لسنة ١٩١٠ ،
دعا مبعوث الموصل محمد علي فاضل بالاشتراك مع
عدد آخر من المبعوثين العراقيين والعرب السلطات
العثمانية الى الغاء بعض الضرائب ، وتخفيض البعض
الآخر منها في محاولة منهم للتخفيف عن كاهل
المواطنين ذوي الدخل المحدود ، وشددوا على القول

عن التدخل في تلك الانتخابات بصورة سافرة .
فكان يقف مالا يقل عن اثنين من مندوبي جمعية
الاتحاد والترقي على كل صندوق انتخابي لمراقبته
وحراسته . كما كان مندوبو الجمعية يطوفون على
المنازل ويسلمون الناخبين من المرحلة الاولى جداول
باسماء المرشحين الذي يجب عليهم انتخابهم في
المرحلة الثانية ، وكان هؤلاء بالطبع من اعضاء
جمعية الاتحاد والترقي^(١٧) .

وتجدر الاشارة الى ان الدستور العثماني كان قد
اشتراط توافر عدد من الشروط في المبعوث من بينها
اجادة اللغة التركية^(١٨) ، ونتيجة لتلك الاجراءات
ولعدم وجود منافس قوي لجمعية الاتحاد والترقي في
الانتخابات^(١٩) فقد فاز مرشحو الجمعية بالاغلبية
الساحقة من مقاعد مجلس المبعوثان .

لقد اسفرت تلك الانتخابات عن فوز خمسة
نواب عن ولاية الموصل وهم : محمد علي فاضل
آل عبد الحافظ ، وداؤد يوسفاني عن سنجق (لواء) الموصل
ونائبان عن سنجق كركوك هما محمد علي بك فيردار
وصالح نفلجي ، ونائب واحد عن سنجق
السلجانية وهو الحاج سعيد الكركوكي^(٢٠) .

واقامت ولاية الموصل - بناء على أوامر تلقتها من
الحكومة العثمانية - احتفالاً بمناسبة افتتاح البرلمان
العثماني الثاني اذ أطلقت المدافع واوقدت القناديل
والقوانيس ليلاً في كل من مراكز الولاية والسناجق
والاقتضية التابعة لها^(٢١) . كما ارسل عدد من كبار
المسؤولين في ولاية الموصل ببرقيات التهنئة الى البرلمان
بمناسبة افتتاحه مثل والي الموصل ، ورئيس
بلديتها^(٢٢) .

افتتح مجلس المبعوثان اعماله في ١٧ كانون الاول
عام ١٩٠٨ وحضر السلطان عبد الحميد الثاني
حفل الافتتاح ، والقى رئيس كتاب المايين الهايويني
(وهو مايقابل حالياً رئيس الديوان) خطاب العرش
نيابة عن السلطان . وقد حاول السلطان في
الخطاب ان يُبرّر تعطيل الحياة البرلمانية خلال

وفي مطلع عام ١٩١١ أسهم مبعوثا الموصل مع عدد آخر من المبعوثين العراقيين والعرب في تقديم تقرير الى مجلس المبعوثان حملوا فيه بشدة على والي بغداد حسين ناظم باشا (١٩١٠ - ١٩١١ م) وانتقدوا تحويله صلاحيات واسعة^(٢٠) واتهموه باساءة استخدام تلك الصلاحيات واهماله الزراعة ومحاباته بعض شيوخ العشائر، وتغاضيه عن قطاع الطرق مما ادى الى انتشار الفساد^(٢١)، ومع هذا ايد محمد علي فاضل في جلسة لاحقة زميله شوكت باشا مبعوث الديوانية وكان الاخير قد امتدح نزاهة والي ناظم باشا الا انه شكك في قدراته الادارية واتهمه بالاعتداء على موظفين غير اكفاء^(٢٢).

الاحداث الخارجية وتأثيراتها على الموصل:

واجهت الدولة العثمانية سلسلة من المشكلات الخطيرة خلال الفترة بين عامي ١٩٠٩ و ١٩١٣. وقد تركت تلك المشكلات اصداء في ولاية الموصل ومن بين تلك المشكلات:

اولاً- سلب جزيرة كريت عن الدولة العثمانية عام ١٩٠٩:

حدث الاحتلال اليوناني لجزيرة كريت في عام ١٩٠٩ صدئاً واسعاً في الموصل. فقد عقد اجتماع حاشد في الساحة الكائنة بين القشلة (الشكنة) العسكرية والمدرسة الاعدادية رفعت خلاله لافتات يضاء كتب عليها اسم كريت باللون الاحمر. وكان على رأس الحاضرين والي والامراء فضلاً عن كبار الموظفين والمشايخ وعلماء الدين ورؤساء الطوائف الدينية الاخرى، والقيت في الاجتماع عدد من الكلمات تضمنت شرحاً للقضية الكريتية. وكان من بين تلك الكلمات كلمة القاها محمد الفخري (الرئيس الأول لادارة نادي جمعية الاتحاد والترقي في الموصل) واخرى القاها فتح الله رسم (صاحب امتياز جريدة نينوى الموصلية) وكلمة ثالثة تلاها

بان حاجة الدولة للضرائب يجب الا تكون سبباً في ارهاق كاهل المواطنين^(١٧). ويبدو أن الضرائب كانت موضع اهتمام خاص من قبل النائب المذكور. ففي اللقاء الذي جرى بين محمد علي فاضل وأحد الرحالة الانكليز- وقد اتينا على ذكره سابقاً- قدم فاضل للأخير عرضاً بأهم الموضوعات التي تستأثر باهتمامه وكان في مقدمتها تثبيت ضريبة الارض وازضاف الى ذلك قوله إن التجار والفلاحين سوف لا يرحبون بتلك الخطوة نظراً لأن التجار يرغبون في التزام الضرائب، في حين ان الفلاحين يفضلون التعاقد مع الحكومة مباشرة بشأن الضرائب. كذلك اعرب المبعوث نفسه عن ضرورة اجراء تعديلات على عقد امتياز سكة حديد بغداد- برلين للحيلولة دون تمكين الشركة صاحبة الامتياز من سرقة ثروة البلاد^(١٨).

وفي اواخر عام ١٩١٠ قدم مبعوثا الموصل محمد علي فاضل وداؤد يوسفاني تقريراً من (٧) نقاط تطرقا فيه الى اعمال السلب والنهب التي كانت تقوم بها بعض العشائر في انحاء الموصل. وقد بلغت الجراءة بهذه العشائر الى حد أنها كانت تهاجم القوات الحكومية التي كانت ترسل لاجل استعادة المنهيات. وازضاف الى ذلك قولها انه بالرغم من لقاء السلطات الحكومية القبض على (١٣) شخصاً ممن اتهموا بارتكاب تلك الاعتداءات لكنه لم يصل منهم الى الموصل إلا شخص واحد في حين اخلي سبيل الباقيين دون ان تقدم السلطات الحكومية ايضاحات حول ذلك. وخلص التقرير الى القول بانه على الرغم من اطلاق الصدر الاعظم ووزير الداخلية على تلك الامور إلا انه لم يتخذ اي اجراء بصدد. وقد عاود مبعوث الموصل محمد علي فاضل طرح الموضوع ثانية، وانتقد صمت الحكومة تجاهه وأكد على أن سكوت السلطات الحكومية على تلك التجاوزات من شأنه ان يشجع العشائر على مواصلة التعرض للقوافل التجارية.^(١٩)

داؤد الملاح آل زيادة. ورفع المجتمعون في نهاية الاجتماع برقيات الى الصدارة العظمى ورئاسة مجلسي الاعيان والمبعوثان اعربوا فيها عن سخطهم على الاعتداء اليوناني على كريت وابدوا استعدادهم للتضحية في سبيل عودة الجزيرة الى السيادة العثمانية. وقام الوالي رشيد باشا بزيارة الى مقرنادي جمعية الاتحاد والترقي في الموصل بصحبة لقيف من وجهاء الموصل وعلمائها للاعراب عن تضامنهم مع الحكومة العثمانية^(٢٣).

ثانياً - الاحتلال الايطالي لليبيا عام ١٩١١ :

اثار العدوان الاستعماري الايطالي على ليبيا في اواخر ايلول عام ١٩١١ ردود فعل غاضبة في الموصل. ومن الجدير بالذكر ان الحكومة العثمانية اعلنت في اعقاب ذلك العدوان حالة التعبئة العامة في كل ارجاء الامبراطورية العثمانية وفرضت زيادات على الضرائب^(٢٤). ولقد تمثلت ردود الفعل في الموصل في تأسيس العديد من اللجان في مدن وقصبات ولاية الموصل لجمع التبرعات دعماً للمجهود العثماني الحربي. واسهمت بعض الصحف الموصلية مثل صحيفة (النجاح) في حث اهالي الموصل على المشاركة في التبرعات لتعزيز قوة الاسطول العثماني^(٢٥). ومن جانب آخر أعرب قسم من اهالي الموصل من خلال البرقيات التي رفعوها الى مركز الولاية عن رغبتهم في التطوع للقتال الى جانب اشقائهم الليبيين^(٢٦).

ثالثاً - حرب البلقان عام ١٩١٢ :

كانت العصبة البلقانية (اليونان، وصربيا، وبلغاريا) والتي تأسست منذ شباط عام ١٩١٢ قد اعلنت الحرب على الدولة العثمانية في ١٨ تشرين الاول من العام نفسه^(٢٧). وكان لهذه الحرب تأثيرها وصداها في الموصل. اذ اصدر علماء بغداد والتجنف وكربلاء فتوى دعوا فيها ابناء العراق

الى الجهاد والتضحية بالأرواح والأموال^(٢٨). وتشكلت لجنة في الموصل في كانون الثاني عام ١٩١٣ لجمع التبرعات حيث اخذت التبرعات العينية والتقدية ترد الى رئاسة اللجنة. كما عقدت اجتماعات في الاقضية التابعة لولاية الموصل القيت خلالها كلمات تدعو المواطنين الى شد ازر الدولة العثمانية ضد قوى العدوان^(٢٩).

ومن جانب اخر قامت السلطات الحكومية بتوزيع بيان في الموصل في ١٢ شباط عام ١٩١٣ شرحت فيه ابعاد تلك الحرب ومارافقتها من اعتداءات على حياة الرعايا العثمانيين وممتلكاتهم في منطقة البلقان. واهابت باهالي الموصل الى المشاركة في دعم المجهود الحربي من خلال اقتناء سندات القرض التي اصدرتها الحكومة العثمانية وهي من فئتين الاولى وهي من فئة المائة قرش وحدد سعرها بـ (١٢٠) قرشاً والثانية بنصف هذا المبلغ. وجدير بالذكر ان تلك السندات كانت سندات مؤقتة حيث لم تكن السندات الاصلية قد صدرت بعد^(٣٠). ومن جانب آخر أرسلت لجنة جمع التبرعات في الموصل تاجراً موصلياً بوصفه مبعوثاً عنها ليقوم ببيع سندات القرض في بغداد، ولشرح ابعاد موقف الحكومة العثمانية من حرب البلقان لكبار المسؤولين فيها^(٣١).

ومن جانب آخر كانت أنباء العدوان الايطالي على ليبيا وحرب البلقان حافزاً قوياً لكثير من الشعراء والخطباء ورجال الدين الموصليين في نظم القصائد الشعرية والقاء الخطب الداعية الى وجوب التصدي لدول العدوان. وكان في مقدمة هؤلاء محمد حبيب العبيدي الذي هزته احداث الاعتداء الايطالي على ليبيا فالتى قصيدة من حوالى خمسمائة بيت بعنوان (الواح الحقائق) في المنتدى الادبي العربي في استانبول في عام ١٩١١ حذر فيها الغرب من التماذي في العدوان وتغنى بأجداد الامة العربية ودعاها الى الذود عن الكرامة العربية^(٣٢).

كما اصدر العبيدي بمناسبة حرب البلقان كتيباً بعنوان: (خطبة نادي الشرق). وقد اوضح الغرض منه في مقدمته حينما قال: «عسى أن يستيقظ راقد وينهض قاعده»^(٣٢). وضمن الكتيب دعوة الى اتحاد العرب والأتراك وبقية المسلمين للذود عن حمى الاسلام وصدد اعتداءات دول الغرب^(٣٤).

وما ان عاد العبيدي الى الموصل في ١١ آذار عام ١٩١٢ حتى استأنف نشاطه فيها اذ التي خطاباً مهماً في ساحة قضيب البان (وهي ملعب الادارة المحلية حالياً) على حشد كبير من علماء ووجهاء واهالي الموصل في نيسان من العام نفسه^(٣٥)، استعرض فيه ابرز الاحداث التي تمر بها الدولة العثمانية ودعا الى التصدي للمخاطر التي تهدد الدولة العثمانية^(٣٦).

انتخابات عام ١٩١٢ في الموصل:

بدأت مظاهر التأييد التي قولت بها جمعية الاتحاد والترقي في بداية انقلاب عام ١٩٠٨ بالانحسار التدريجي. حيث اخذت تنكشف حقيقة الاتحاديين العنصرية. كما أن ممارسات الاتحاديين داخل مجلس المبعوثان اظهرت زيف شعاراتهم المتمثلة بالحرية والعدالة والمساواة. وزاد الطين بلة حدوث انشقاقات في صفوف الاتحاديين، واخيراً أدى فشل الدولة العثمانية في الدفاع عن ليبيا بوجه المستعمرين الايطاليين في عام ١٩١١ الى ازدياد حدة المعارضة لجمعية الاتحاد والترقي داخل مجلس المبعوثان وخارجه، ومن جانب اخر نجحت قوى المعارضة في رص صفوفها وتشكيل حزب لها باسم (حزب الحرية والاتلاف)^(٣٧). وذلك في ٨ تشرين الثاني عام ١٩١١، وضم هذا الحزب عناصر من (الحزب الحر المعتدل) واخرى من (حزب الاهالي) اضافة الى تلك العناصر التي كانت قد انشقت عن جمعية الاتحاد والترقي. وكان

مبعوث الموصل داؤد يوسفاني احد الاعضاء الثلاثة الذين أسسوا أول هيئة ادارية برلمانية لحزب الحرية والاتلاف^(٣٨). كما كان يوسفاني مديراً مسؤولاً ل (جريدة تنظيمات) وكانت تعمل على ترويج افكار ومبادئ حزب الحرية والاتلاف^(٣٩).

تفاقم الصراع بين الاتحاديين والاتلافيين في مجلس المبعوثان ويهدف وقف تدهور مكانة الاتحاديين في الدولة العثمانية، وتمهيداً لعقد صلح مع ايطاليا ارتأت جمعية الاتحاد والترقي حل مجلس المبعوثان، ونجحت الجمعية في حمل السلطان محمد الخامس على اصدار ارادة بهذا الشأن في ١٨ كانون الثاني عام ١٩١٢، وتقرر بموجب الارادة نفسها الشروع بأجراء انتخابات جديدة في غضون ثلاثة اشهر من تاريخ حل المجلس السابق.

وأصدرت وزارة الداخلية العثمانية سلسلة من التعليمات تقضي بضرورة تهيئة مستلزمات الانتخابات من قوائم وصناديق انتخابية. وشددت التعليمات على وجوب ان يكون المرشح للانتخابات مُسجلاً في نفس الولاية التي يترشح عنها وان يكون مقيماً فيها وقد عللت الوزارة هذه الاجراءات بحجة ضمان سلامة الانتخابات^(٤٠).

اختلفت الانتخابات الجديدة التي بدأت في اواخر كانون الثاني عام ١٩١٢ عن انتخابات عام ١٩٠٨. فبينما كان الاتحاديون قد انفردوا تقريباً في الانتخابات الاخيرة، فقد شهدت انتخابات عام ١٩١٢ تنافساً حاداً بين جمعية الاتحاد والترقي وحزب الحرية والاتلاف. ففي الموصل مثلاً خاض كل من محمود العمري ورشيد العمري الانتخابات بوصفهما مثليين عن حزب الحرية والاتلاف وتولت (جريدة النجاح) الموصلية الدعاية لها على صدر صفحاتها، فيما تبنت (جريدة نينوى) الموصلية ايضاً الدعاية لمرشحي جمعية الاتحاد والترقي^(٤١).

وجدير بالذكر ان الاتحاديين اصدروا تعليمات

الى الولاية والمتصرفين دعوهم خلالها الى الاسراع في عقد الانتخابات ، كما ارسلوا تعليمات سرية تخولهم ممارسة كل انواع الضغط على الناخبين كحملهم على انتخاب مرشحي الاتحاديين حتى لو تطلب ذلك استخدام القوة معهم^(٤٧). وتم بالفعل اجراء الانتخابات في وقت مبكر وقبل ان يتمكن بعض المبعوثين من العودة الى مناطقهم كما هو الحال مثلاً بالنسبة لـ (داؤد يوسفاني) مبعوث الموصل في مجلس المبعوثان السابق والذي لم يستطع الوصول الى الموصل الا بعد مرور شهرين على بدء الحملة الانتخابية^(٤٨). وبفضل تلك الاساليب نجح الاتحاديون في الفوز في الانتخابات وتشكيل مجلس مبعوثان جديد ذي غالبية موالية لهم^(٤٩).

لقد انتخب اربعة نواب عن ولاية الموصل وهم : محمد علي فاضل آل عبد الحافظ عن لواء الموصل ونائبان آخرون عن لواء كركوك ونائب رابع عن لواء السليمانية^(٥٠).

حل مجلس المبعوثان :

على الرغم من ان الاتحاديين كانوا قد فازوا بالأغلبية الساحقة في انتخابات عام ١٩١٢ ، فانهم سرعان ماواجهوا معارضة شديدة لاسيما في صفوف الجيش العثماني. وقد اعلن فريق من ضباط الجيش في مناستر برئاسة البيوزباشي (التيق) طيار بك ثورة على الحكومة الاتحادية ولجأوا الى الجبال في ١١ حزيران عام ١٩١٢ ودعوا من هناك الى تحقيق عدد من المطالب مثل تشكيل حكومة جديدة من غير اعضاء جمعية الاتحاد والترقي وحل مجلس المبعوثان ، واجراء انتخابات جديدة ، وابعاد الجيش عن التدخل في الشؤون السياسية والحيلولة دون تدخل جمعية الاتحاد والترقي في شؤون الدولة^(٥١).

واستجابة لتلك الضغوط اضطرت الحكومة القائمة آنذاك والتي كانت برئاسة سعيد پاشا الى

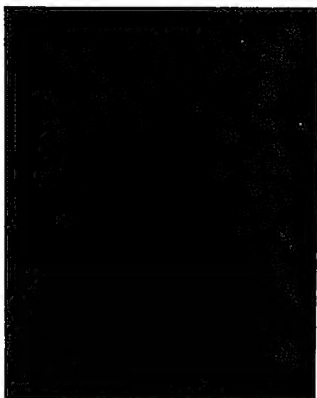
الاستقالة في ٩ تموز عام ١٩١٢ ، وخلفتها حكومة اخرى برئاسة احمد مختار پاشا في ١٧ تموز من العام نفسه . ولم يرافق استقالة حكومة سعيد پاشا حل مجلس المبعوثان الذي كان يتألف في غالبيته من الاتحاديين. وهكذا استمرت الاحتجاجات على بقاء مجلس المبعوثان في بعض الاوساط المدنية والعسكرية . اما عن موقف الاتحاديين فقد عارضوا في البداية حل مجلس المبعوثان بحجة انه اجراء غير دستوري^(٥٢) . وازاء تفاقم الاحتجاجات ضد بقاء مجلس المبعوثان عقد اجتماع سري بين عدد من اعضاء الحكومة واطباء من مجلس الاعيان نوقشت خلاله مسألة حل مجلس المبعوثان وتقرر على اثره اجراء تصويت حول استمرار بقاء مجلس المبعوثان او حله وقد ايد (٢٨) صوتاً حل المجلس فيما عارضت (٥) اصوات حله . وهكذا اصدرت ارادة سلطانية بحل مجلس المبعوثان في ١٥ آب عام ١٩١٢ ولم يكن قد مضى على انعقاده سوى بضعة أشهر^(٥٣).

قررت وزارة احمد مختار پاشا البدء باجراء انتخابات جديدة قبل نهاية آب عام ١٩١٢ . وقاطع الاتحاديون في البداية الانتخابات لكنهم مالبثوا ان شاركوا فيها اخيراً . وبسبب حرب البلقان التي اندلعت - كما اشرنا الى ذلك من قبل - في تشرين الثاني عام ١٩١٢ قررت حكومة كامل پاشا الائتلافية تأجيل الانتخابات^(٥٤).

وفي غضون ذلك شن الاتحاديون حملات عنيفة ضد حكومة كامل پاشا واتهموها بالتفريط بالسيادة العثمانية ثم مالبت الاتحاديون ان اجبروا كامل پاشا على الاستقالة والقوا وزارة من بين اعضائهم في ٢٣ كانون الثاني عام ١٩١٣ برئاسة محمود شوكت پاشا^(٥٥).

وتجدر الاشارة الى ان الانقلاب الاخير أثار مشاعر سخط بين ابناء الموصل ، فقد رفع

في الموصل الزام اغنياء الموصل بانشاء شركات صناعية مساهمة وتحديد نسبة مساهماتهم فيها مالم يبادر اولئك الاشخاص الى تأسيس تلك الشركات في غضون سنة واحدة. لكن الاقتراح لم يعرض للمناقشة لعدم حصوله على الاصوات التي تؤهله للمناقشة^(٥٧).



• محمد علي فاضل آل عبد الحافظ مبعوث (نائب) الموصل الى مجلس المبعوثان العثماني.

كذلك ساهم مبعوثو ولاية الموصل مع حوالي (٨٠) مبعوثاً آخر في رفع توصية الى مجلس المبعوثان في ٢ حزيران عام ١٩١٤ دعوا فيها الى الزام الدوائر الحكومية بشراء احتياجاتها من المصنوعات الوطنية وتغريم الموظفين الذين يخالفون ذلك^(٥٨). كما تولى نائب الموصل محمد علي فاضل الرد على وزير المالية العثماني جاويد بك الذي طعن في صحة الأوقاف الخاصة بمراقد الانبياء في الموصل. وتجدر الإشارة في هذا الصدد الى ان وزارة المالية العثمانية كانت قد اصدرت تعليمات وضعت يدها بموجبها على تلك الاوقاف وعرضتها للايجار عن طريق المزايدة العلنية^(٥٩).

المسترهوني مساعد القنصل البريطاني في الموصل تقريراً في شباط عام ١٩١٣ وصف فيه ردود الفعل في الموصل تجاه الانقلاب الذي قام به الاتحاديون ضد حكومة كامل پاشا بقوله «انه قابل بالاشمئزاز من اهالي الموصل»^(٥١). ومهما يكن من امر فقد صدرت الاوامر باجراء انتخابات جديدة في اواخر عام ١٩١٣ ومطلع العام التالي^(٥٢). وقد عاود الاتحاديون اللجوء الى اساليب الضغط والاكراه في هذه الانتخابات بل انهم عمدوا -كما هو الحال في العراق مثلاً- الى ارسال (٦٤) ضابطاً برتبة ييكباشي (مقدم) لاجل التدخل في الانتخابات وضمان فوز مرشحيهم فيها، حتى انهم عينوا مبعوثاً تركياً عن ولاية الموصل^(٥٣).

ونتيجة للاجراءات والاساليب الآتفة الذكر اسفرت هذه الانتخابات عن فوز مرشحي جمعية الاتحاد والترقي في كل الولايات العراقية باستثناء ولاية البصرة التي فاز فيها مرشحون من اعضاء الجمعية الاصلاحية^(٥٤). وقد اعلنت نتائج الانتخابات في ٤ كانون الثاني عام ١٩١٤ وكانت أسماء الفائزين فيها عن لواء الموصل كل من: صالح السعدي، ومحمد علي فاضل، وداود يوسفاني، وابراهيم فوزي^(٥٥)، وافتتح مجلس المبعوثان الجديد جلساته في ١٤ آيار عام ١٩١٤ واستمر الى آب من العام نفسه حينما اصدر السلطان محمد الخامس ارادة سلطانية بتعطيله بالنظر لظروف الحرب العالمية الاولى^(٥٦).

نشاطات مبعوثي الموصل في مجلس المبعوثان الجديد:

تمثل دور مبعوثي الموصل في مجلس المبعوثان الجديد في تقديم عدد من المقترحات والاراء فقد تقدم مبعوث الموصل صالح السعدي في اثناء الجلسة التي عقدها مجلس المبعوثان في ٢ حزيران عام ١٩١٤ لمناقشة مشروع لأئحة (تشجيع الصناعة) باقتراح دعا فيه الى ان يتولى المجلس البلدي

علاقات السلطات الحكومية مع الزيديين وعشائر شمر الجريا :

أ- العلاقات مع الزيديين :

لم تختلف علاقات السلطات الحكومية مع الزيديين خلال العهد الاتحادي كثيراً عما كانت عليه في العهد الحميدي. ومن الجدير بالذكر ان العلاقات شهدت قدراً من التحسن في مطلع العهد الاتحادي بدليل الزيارة التي قام بها احد امراء الزيدية وهو اسماعيل بك جول الى استانبول في ٢٥ شباط عام ١٩٠٩ ، وحاول خلالها حمل السلطات العثمانية على وضع حد للاجراءات التي كانت قد اتخذتها ضد الزيديين منذ عام ١٨٩٢ . ولقد التقى اسماعيل بك خلال تلك الزيارة بكل من الصدر الاعظم ومبعوث الموصل داود يوسفاني . وقد تعهد هؤلاء لاسماعيل بك أن يبذلا ما في وسعهما لتلبية مطالب الزيديين . وصدر بالفعل قرار بهذا الشأن وصادقت عليه الحكومة العثمانية ومجلس المبعوثان^(٦٠) .

لكن العلاقات بين الطرفين سرعان ماتدهورت من جديد فقد رفض الزيديون الامتثال للقانون الذي اصدرته الحكومة العثمانية في عام ١٩٠٩ والذي يقضي بتوسيع نطاق نظام الخدمة العسكرية الالزامية بحيث يشمل السكان غير المسلمين^(٦١) .

ومن جانب آخر لم يتبع الاتحاديون سياسة ثابتة تجاه الزيديين بل استخدموا معهم سياسة اللين احياناً واساليب العنف احياناً اخرى . وقد ترتب على هذه السياسة ان استخف الزيديون بالسلطات الحكومية ، وأخذوا يشتون هجمات متتالية على دار الحكومة في سنجار . لهذا ارسلت الحكومة المحلية في ولاية الموصل فوجين من القوات النظامية مع اثنين من بطريات المدفعية الجبلية واشتبكت هذه القوة مع الزيديين في ٥ ايلول عام

١٩١٢ وكانت هذه الحملة سبباً لاستقرار الأمن في منطقة سنجار^(٦٢) .

ب- العلاقات مع شمر الجريا :

اما فيما يتعلق بعلاقات السلطات الحكومية مع عشائر شمر الجريا فقد واصلت الاحيرة فرض (الخوة) على العشائر الاخرى التي كانت ترعى اغنامها في المراعي العائدة لشمر . فكانت تأخذ على كل قطيع خروفان واربع نعاج واربعه طليان وستة مجدييات^(٦٣) وحصلت شمر على مايقرب من (٦٠٠٠) ليرة من تجار الاغنام الموصليين في عام ١٩٠٩ . وفي العام التالي حصلت شمر من التجار انفسهم على مبلغ (١٠٠٠) ليرة وظالبهم بدفع المزيد من الاموال مما اضطر التجار الى رفع شكوى ضد شمر الى والي بغداد ناظم باشا طالبين منه حاية اغنامهم واموالهم^(٦٤) .

واستجابة لتلك المطالب ارسل ناظم باشا قوة عسكرية ضد شمر في مطلع عام ١٩١١ قوامها اثني جندي ، فضلاً عن قوات اخرى من بعض العشائر . وانيطت قيادة تلك القوة بالعقيد رضا بك رئيس هيئة اركان الجيش السادس ، واستطاعت القوة تطويق اربعة الاف من رجال شمر بصحبة بعض شيوخهم مثل مجول والعاصي وشلال وذلك في منطقة الحضر وحصلت منهم على وعود بتسديد مايدمتهم من ضرائب متأخرة بلغت قيمتها سبعة آلاف ليرة تركية . كما صادرت القوة اعداداً من الجمال والاغنام . كما قام قائد القوة المذكورة بعزل مجول عن مشيخة شمر ونصب مكانه حاجم بن العاصي . وقد اثار الاجراء الاخير غضب الشيخ حميدي الذي كان قد تعاون مع القوة التركية^(٦٥) . ويبدو ان الاتفاق الآنف الذكر لم يصمد فترة طويلة فقد عادت المناوشات بين شمر والقوات الحكومية في العام نفسه . اذ أرسلت الاخيرة مفرزة من الجندرمة الى الشرقاط . وقد اشتبكت المفرزة مع

شمر مما نسب في مقتل ثلاثة من أبناء شمر، وارسلت السلطات الحكومية بتعزيزات اخرى من قواتها تمكنت بواسطتها من السيطرة على الموقف^(٦٦).

وعلاوة على ما ذكرنا فقد استمر طابع الشك يطغى على علاقات السلطات الحكومية مع بعض شيوخ شمر وكمثال على ذلك وصل العاصي وهو الرئيس الفعلي لقبائل شمر الى الموصل قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى وبعد ان تلقى ضمانات من الحكومة المحلية في الموصل بعدم التعرض له، إلا أن الاخيرة سارعت الى زجه في السجن ولو أنها عدلت عن موقفها بعد قليل فاطلقت سراحه^(٦٧).

وفي الامكان ان نستنتج من خلال العرض السابق ان شمر كانت قد فقدت الكثير من نفوذها وقتها خلال الفترة الممتدة من بداية سبعينات القرن التاسع عشر وحتى الحرب العالمية الاولى بسبب التطورات العديدة التي شهدتها خلال تلك الفترة كان من ابرزها الانقسامات المتعددة التي حصلت في زعامة شمر، وصراعاتها المزمعة مع عشائر عترة. ومن جانب اخر ازدادت قوة العثمانيين بفعل تكثيف وجودهم العسكري في المناطق المتاخمة لشمر، وزيادة عدد دوريات البادية واستخدام العثمانيين البغال في حملاتهم ضد شمر فضلاً عن استخدامهم اسلحة اكثر تطوراً كالبنادق الحديثة. كما استفادت تلك القوات من وسائل الاتصالات الحديثة كالبقر. وهكذا فقدت شمر كثيراً من مزاياها القتالية السابقة كسرعة الحركة وعنصر المباغتة^(٦٨).

الموصل خلال الحرب العالمية الاولى :

اعلنت الدولة العثمانية النفي العام في الثاني من آب عام ١٩١٤^(٦٩). وفي صباح ذلك اليوم استيقظ العراقيون على اصوات الطبول تدق على غير العادة وظهرت ملصقات تحمل صورة مدفع

ويندية^(٧٠) كتب في اسفلها (سفر برلك وارء عسكر اولانلر سلاح باشنه)^(٧١) ومعناها ان النفي العام قد اعلن وعلى الجنود ان يكونوا على اهبة الاستعداد بأسلحتهم^(٧٢) وفي الموصل جرى تعليق تلك الملصقات على الجدران وابواب الجوامع والمساجد والكنائس ودور الحكومة وفي الساحات العامة والشوارع والمنعطفات^(٧٣).

بدأت السلطات العثمانية على الفور حملات واسعة النطاق لتجنيد الشباب شملت أولئك الذين تراوحت اعمارهم بين (٢٠ الى ٤٠) سنة حتى خلت المدن والقرى من الرجال ولم يبق فيها سوى النساء والشيوخ^(٧٤) وجرى ارسال أولئك المجندين الى جهات قفقاسية ووان^(٧٥). وايدى اهالي الموصل، شأنهم في ذلك شأن اشقائهم في بقية المدن العراقية الاخرى امتناعهم من التجنيد، فلاذوا بالفرار الى الجبال والبادي والتجأ نقر غير قليل منهم الى المناطق العشائرية ولما كثرت اعداد الهاربين من الخدمة العسكرية اصدر المشير انور باشا وكيل القائد العام للجيش التركي ووزير الحرية اوامر الى ضباط التجنيد والمجالس العسكرية والولاة باعدام نصف الهاربين المقبوض عليهم وسوق النصف الاخر الى الجبهات الحربية تحت الحراسة^(٧٦). وتم بالفعل تنفيذ احكام الاعدام رمياً بالرصاص بعدد من الهاربين من الخدمة في موقع الدندان (جنوب مدينة الموصل)^(٧٧).

ويهدف تأمين احتياجات القوات العثمانية من المواد الغذائية والتموينية فقد تشكلت في الموصل لجان عديدة وكما يأتي :

(١) لجنة التموين وكانت تتألف من أربعة اعضاء من وجهاء الموصل وبرايسها رئيس البلدية ومهمتها وضع اليد على كل مافي السوق من مواد غذائية وملابس وعدم السماح ببيعها الا بتصریح من قبلها.

(٢) لجنة الاعانات : وقوامها اربعة اعضاء ثلاثة

الانكليزية^(٨٥) في حين ارسل بعض آخر منهم الى ايران لمشاغلة القوات الروسية فيها ولايقاف تقدمها عند راوندوز وبنجوين^(٨٦).

وتجدر الإشارة الى ان اعداداً كبيرة من ابناء الموصل لقوا - شأنهم في ذلك شأن اقربائهم في بقية المدن العراقية - حتفهم في جبهة القوقاز جراء الجوع والبرد^(٨٧) ووقع بعضهم ممن قاتلوا في جنوب العراق في أسر القوات الانكليزية^(٨٨). واودت الحرب بحياة الاف من ابناء الموصل^(٨٩).

علاقات شمر الجريا مع السلطات العثمانية خلال الحرب العالمية الاولى:

سعت السلطات العثمانية الى استرضاء عشائر شمر الجريا خلال فترة الحرب العالمية الاولى. ونجحت تلك السلطات في الابقاء على ولاء شمرها من خلال منح شيوخها بعض المناصب العسكرية الثانوية ودفعها رواتب سخية لهم. وقد استخدم الاتراك شمر الجريا كقوات احتياطية لمقاتلة القوات البريطانية في جنوب العراق. فقد شاركت مجموعة من ابناء شمر في الهجوم الذي قامت به القوات التركية ضد المواقع التي احتلها الانكليز في الشبيعة قرب البصرة في ١٢ نيسان عام ١٩١٥^(٩٠).

كارثة المجاعة في الموصل (١٩١٧-١٩١٨):

بدأت بوادر المجاعة تظهر في الموصل بصورة تدريجية منذ خريف عام ١٩١٧ ثم أخذت تتفاقم في شتاء ذلك العام حتى شهدت الموصل غلاء لم تعرف مثيلاً له من قبل. ويمكن أن نعزو أسباب تلك المجاعة الى عوامل منها:

١ - رداءة الموسم الزراعي لعام ١٩١٧: إذ وصفت حالة المزروعات في ذلك الموسم بأنها غير جيدة^(٩١). وقد زاد من الحالة سوءاً أقدام السلطات التركية على أخلاء مناطق زراعية بأكملها نتيجة العمليات الحربية وسوق عدد

منهم من اعضاء اللجنة السابقة وتولت جمع التبرعات النقدية والعينية من الاهالي وتمكنت من جمع مبلغ خمسة الاف ليرة ذهبية بوقت قصير.

(٣) لجنة المبيعات وتشكلت من اربعة اعضاء من الاهالي و برئاسة ضابط ومهمتها جمع ضرائب العشر من المزارعين^(٩٨)

كما تأسست لجنتان فرعيتان هما (لجنة التشويق) اي التشجيع على التطوع ومهمتها حث ابناء العشائر على التطوع في الجيش، والاخرى (لجنة الفارين) أو (لجنة التعقيب) وتتولى تعقيب الهاربين والمتخلفين وسوقهم الى الجيش^(٩٩) كذلك تالفت جمعية اخرى في الموصل لجمع التبرعات عرفت باسم (مدافعه مليه جمعيتي) اي جمعية الدفاع الوطني^(١٠٠).

ومن جانب اخر أصدر السلطان العثماني محمد الخامس وشيخ الاسلام سلسلة من البلاغات والفتاوي في تشرين الثاني عام ١٩١٤ تدعو الجيش والاهالي الى الجهاد^(١٠١). وقررت تلك الفتاوي في جوامع الاقطار الاسلامية كافة عقب الانتهاء من خطبة صلاة الجمعة^(١٠٢).

لعبت الدعوة الى الجهاد بعض القبول بين ابناء الموصل فاتجهوا الى الجوامع التي اتخذت كمراكز لاستقبال المتطوعين. ووصف شاهد عيان الموصل حينذاك بأنها غدت «ثكنة نموج بالرجال»^(١٠٣). وقالت جموع المتطوعين داخل العراق وخارجه. اذ تقرر ارسال فريق منهم في اواخر عام ١٩١٤ الى حلب. وحضر ذوهم لتوديعهم. ولما كان الوقت ليلاً فقد اضطر هؤلاء الى التعرف على ابنائهم واقاربهم في ضوء عيدان اللقاب ولذلك اشتهرت هذه الحادثة باسم (طابور ابو شخاطة)^(١٠٤). اما الفريق الاخر من المتطوعين فقد ارسل بعضهم الى جنوب العراق لمقاتلة القوات

كبير من أبناء الريف القادرين على العمل للخدمة في الجيش أو القيام بأعمال السخرة مما سبب انخفاضاً كبيراً في مساحة الأراضي الزراعية في عموم العراق وقد بلغت مساحة الأراضي الزراعية التي تركها أصحابها في ولاية الموصل وحدها حوالي ٥٠ ٪ من مجموع الأراضي الزراعية^(٩٢).

٢-

اشتداد وطأة الضرائب على السكان : لقد أدت العمليات العسكرية في أثناء الحرب العالمية الأولى الى زيادة تأزم الوضع الاقتصادي في العراق حيث أستخدم كلا الجانبين المتحاربين جميع امکانات والثروات المتوفرة في البلاد لتلبية احتياجات القوات المسلحة^(٩٣). والقت السلطات التركية من جانبها ثقل النفقات العسكرية كافة على أكتاف الشعب العراقي خاصة الفلاحين الذين يعدون دافعي الضرائب الأصليين. اذا أقتصرت نشاط تلك السلطات في أثناء الحرب على جمع الضرائب وشراء المحاصيل الزراعية بأسعار بخسة جداً^(٩٤) وبالعملة الورقية التي تددت قيمتها^(٩٥) الشرائية الى حد بعيد بحيث أصبحت كل ثمان ليرات ورقية تساوي ليرة ذهبية واحدة بل أن السلطات العثمانية لم تدفع أحياناً أية نقود مقابل ما كانت تستولي عليه من أموال المواطنين فمن ذلك أن موظفي الحكومة ورجال الشرطة كانوا يصادرون كل مالدى البدو الذين كانوا يقيمون قريباً من المدن من قطعان الاغنام والأبل بأسم (التكاليف الحربية) واذا ماتجراً أحد من هؤلاء بمطالبة الحكومة برد أمواله فكان يزوج به في السجن ولايطلق سراحه الا في حالة أجباره على التبرع بنصف تلك القطعان الى الحكومة ويعطى ايضاً بقيمة

النصف الباقي على أمل تسديده عقب أنتهاء الحرب العالمية الأولى من أموال التعويضات التي سوف تحصل عليها الدولة العثمانية من خصومها^(٩٦). وجدير بالذكر أن لجان الضرائب لم تكن تراعي الفروق المعاشية بين دافعي الضرائب فكانت تفرض على البقالين وغيرهم من الأصناف نفس الضريبة التي كانت تفرضها على كبار المزارعين ممن كانت مخازنهم السرية مليئة بالموونة . ومن جانب أخر كانت تلك اللجان تلزم الأشخاص على دفع الضريبة بصورة عينية مما أضطربهم الى شراء الكمية المفروضة عليهم من المحتكرين وبأثمان باهظة جداً واضطر بعض الناس الى بيع أثاث بيوتهم وحلي نسائهم كي يسددوا ثمن تلك الكمية . وعمدت السلطات العثمانية الى الاستعانة برجال الشرطة لاستحصل الضرائب من أبناء القرى . وقد عانى الناس الكثير على يد رجال الشرطة الذين كانوا يبتزون أموال المواطنين حتى أنهم لم يتورعوا عن «دخول دار العجوز التي لاتملك سوى مايسد رقها فيصادرونه منها عنوة فتشتريه المسكينة منهم لقاء نقود ذهبية مرة فثانية أو ثلاثة تخلصاً من الموت جوعاً»^(٩٧). وأدى كل ذلك بالمزارعين الى أخفاء حاصلاتهم عن أنظار السلطات العثمانية ثم الى شحة المواد الغذائية .

٣-

تدفق أعداد كبيرة من المهاجرين الى الموصل : لقد شهدت الموصل وصول موجات كبيرة من المهاجرين اليها ولاسيما من الأرمن والأكراد . وقد قدر مصدر عدد الأرمن الذين دخلوا الموصل في عام ١٩١٧ بنحو من (٨٠٠٠) نسمة . كذلك وصلت الى الموصل أعداد كبيرة من المهاجرين الأكراد ممن أضطربهم السلطات التركية الى ترك ديارهم

٤- أزداد حاجة القوات العثمانية الى المواد التموينية : دأب قادة القوات العثمانية على تخزين كميات كبيرة من الذخائر والمواد التموينية للجيش قريباً من جبهات القتال لكنهم لم يولوا عناية كافية بتوفير الحماية اللازمة لها وأدى ذلك الى وقوع كميات كبيرة من الذخائر والمؤونة بيد القوات الانكليزية لاسيما في جبهة دجلة ثم الى ظهور نقص شديد في الامدادات الغذائية التي تحتاجها القوات العثمانية (٩٩) .

٥- الحصار البحري : كانت دول الحلفاء قد فرضت حصاراً بحرياً على الدولة العثمانية ، وهكذا تعذر دخول السفن التجارية الى الموانئ العثمانية وتوقفت التجارة الخارجية . واصيبت تجارة الصادرات بأضرار بالغة اذ توقفت تقريباً تجارة القصب والصمغ (١٠٠) وهما من حاصلات ولاية الموصل (١٠١) كما توقف تصدير القرو الى روسيا . ومن جهة أخرى أنخفض أستيراد البضائع الصناعية من الخارج خاصة في المناطق التي تقع تحت سيطرة القوات العثمانية وعانت الموصل كسائر المناطق الأخرى من نقص شديد في الغزول والأقمشة الصوفية والكبروسين والاصباغ والسكر وماشابهها . وواجهت المؤسسات الصناعية التي كانت تعمل قبل الحرب كساداً لا مثيل له بسبب توقف أستيراد الخامات نصف المصنعة التي تحتاجها كالغزول والاصباغ وغيرها . أما الحرف اليدوية المحلية فأنها لم تستطع بناء قاعدة تقنية متقدمة تحكمها من النهوض بمستوى الإنتاج . وسبب توقف أستيراد المكائن في المناطق المحاصرة من العراق عرقله نمو الإنتاج الصناعي أثناء الحرب بالرغم من توفر ظروف

وأدى هبوط الإنتاج الزراعي وتوقف أستيراد البضائع الصناعية الى أرتفاع فاحش في الاسعار حيث أرتفعت أسعار الأقمشة في عام ١٩١٦ الى ثلاثة أضعاف ما كانت عليه في عام ١٩١٣ ، وأزدادت اسعار الغزول في عام ١٩١٥ (٢,٤) مرة عما كانت في ١٩١٣ ايضاً والخيوط الى (٣) أضعاف والشموع الى (٤,٥) ضعفاً والأصباغ الى (٥) أضعاف وهكذا . كما أرتفعت أسعار المواد الغذائية أرتفاعاً فاحشاً حيث أرتفع سعر الخبز ثلاث مرات عما كان عليه قبل الحرب (١٠٣) . وبلغ سعر وزنة الحنطة (الوزنة تساوي ١٣,٥ كغم) ثلاث ليرات ذهبية (١٠٤) وذلك مادفع بالموصلين الى أن يطلقوا على مجاعة عام ١٩١٧ اسم «سنة الثلاث ليرات» (١٠٥) كما أرتفع سعر البيضة الواحدة الى (٣٠) قرشاً (١٠٦) .

٦-

تدهور قيمة النقد العثماني : طرحت الحكومة العثمانية بفعل اشتداد وطأة الحرب عليها ، وزيادة النفقات العسكرية كميات كبيرة من النقود الورقية . وكانت اسعار هذه النقود عرضة للصعود والهبوط . وهكذا تدهورت قيمتها الشرائية في السوق اذ أصبح سعر الورقة النقدية من فئة المائة قرش لايساوي في السوق أكثر من عشرين قرشاً من مثيلتها من العملة المعدنية (١٠٧) ، وكانت السلطات الحكومية تلزم الأهالي على دفع مابذمتهم لها من أموال بالعملة المعدنية في حين لم تكن تدفع لهم أموالاً إلا بالنقود الورقية . وكان الموظفون يتقاضون رواتبهم بالعملة الأخيرة . كما كانت تلك السلطات تستبدل لدى التجار مالديها من عملات ورقية بأخرى ذهبية وبالسعر الرسمي . وتمارس رقابة شديدة

على الصيارفة وكانت تعاقب بشدة أولئك الذين يتعاملون بالنقود الورقية بأقل من سعرها الرسمي^(١٠٨).

اختلفت المصادر في تقدير عدد ضحايا كارثة المجاعة. فقد قدر مصدر عدد ضحايا تلك الكارثة بعشرة الاف شخص^(١٠٩)، فيما قدرها مصدر آخر بحوالي عشرين الف نسمة^(١١٠) وكانت الخسائر في صفوف المهاجرين فادحة جداً. فقد روي أنه لم ينبج من كارثة المجاعة سوى ثلاثة أشخاص فقط من أصل ستة الاف مهاجر كانوا قد لجأوا الى الموصل من ولاية وان^(١١١)

وقد أستغل بعض من ذوي النفوس الشريرة كارثة المجاعة في الموصل لأرتكاب جرائم شنيعة تمثلت في ذبح الأطفال وأستخدام لحومهم في تحضير القليلة (وهي من الاكلات المشهورة في الموصل) وبيعها في السوق. وقد أقررت تلك الجرائم بأسم عبود بن علي جاويش بن توفيق وزوجته عيشة^(١١٢) وتراوح عدد ضحاياه بين ٩-١١ طفلاً^(١١٣) وسبق المجرم بعد أنكشاف أمره الى المجلس العرفي وصدر الحكم عليه وعلى زوجته بالأعدام شنقاً ونفذ الحكم فيها في اليوم نفسه في ميدان باب الطوبى وذلك يوم ١٠ نيسان ١٩١٨.^(١١٤)

وقد طالبت المجاعة أيضاً القوات العسكرية العثمانية اذ تردت نوعية الأرزاق التي كانت تقدم للجنود الى حد بعيد حتى وصف أحدهم الحساء (الشورية) التي كانت تقدم للجنود بالمقيثات التي توصف لبعض المرضى ووجد أحدهم ماء في الصمون الذي كان يتناوله الجنود وأضاف في معرض وصفه للمواد التي كان يصنع منها ذلك الصمون بقوله «ان كل شيء فيها عدا الخنطة والشعير»^(١١٥) ولجأت السلطات العسكرية في محاولة منها لترشيد أستهلاك المواد الغذائية الى الأيعاز بنقل بعض الفرق العسكرية الى خارج

العراق كما هو الحال عندما نقلت الفرقة (٤٦) من الموصل الى فلسطين. وللغرض نفسه صدرت أوامر بتسريح (٥٠٠٠) جندي من ابناء الموصل لحين موسم الحصاد كذلك نقلت أعداد من حيوانات النقل الى حلب وترتب على تلك الأجراءات أن قلت أعداد الجنود وفقدت القوات العسكرية قدرتها على التحرك. وكانت أرزاق المقاتلين تتناقص تدريجياً فقد أنقصت أرزاق الجنود الى النصف وفي خلال الشهور الأربعة الأولى من عام ١٩١٨ خفضت مرة أخرى الى الربع^(١١٦). حيث بلغ أستحقاق الجندي (١١٠) غم من الخبز في اليوم الواحد الى أقل من صمونة واحدة، وخفض أستحقاق الحيوان الواحد الى مايزيد قليلاً عن نصف كيلو غرام من العلف يومياً^(١١٧).

وفي عام ١٩١٨، وهو العام الذي بلغت فيه المجاعة ذروتها أخذت أعداد كبيرة من الجنود بالهرب من جبهات القتال^(١١٨). وأزاء كل ذلك بادر قائد القليل السادس خليل باشا الى الأنصال بمقر القيادة العامة في أستانبول وأستحصل على أمر منها في أواخر أذار عام ١٩١٨ يقضي بجلب أمدادات من الخنطة والشعير من قونية قدرت ببيع ملايين من الكيلوغرامات لسد رمق الجيش السادس من المواد الغذائية وقد تأخر وصول تلك الأمدادات الى محطة نصيبين حتى أواسط نيسان عام ١٩١٨، ثم نقلت بصورة تدريجية على ظهور الجبال الى الموصل، وعندها تمكن الجيش من زيادة أستحقاق الجنود من الربع الى النصف ثم الى الثلثين حتى موسم الحصاد المقبل^(١١٩). وقدر مصدر حجم الخسائر التي مني بها الجيش السادس خلال شهري كانون الثاني وشباط من عام ١٩١٨ جراء المجاعة والأمراض بتسعة الاف جندي^(١٢٠) وفضلاً عن ذلك أدت المجاعة وجثث الموتى المتفسخة الى تفشي مختلف أنواع الأمراض والأوبئة كالطاعون والكوليرا^(١٢١) والتيفوس والهيبضة

وقد اودت تلك الأمراض بأرواح عدد كبير من الناس^(١٢٢)، خاصة وأن العناية الصحية كادت أن تكون معدومة تماماً.

نهاية السيطرة العثمانية على الموصل:

كانت وزارة الحرب البريطانية قد بعثت في الأول من تشرين الثاني عام ١٩١٨ الى الجنرال مارشال Marshal قائد القوات البريطانية في العراق تخبره فيها بعقد الهدنة. واوز الأخير الى الجنرال كاسلس Cassels بالزحف نحو الموصل وأحتلالها بحجة «أن الأتراك ينسحبون منها وأن هناك خطراً من احتمال قيام بعض العناصر بأثارة الاضطرابات وأفلاق الأمن في المدينة»^(١٢٣). وفي ٢ تشرين الثاني تقدم الجنرال كاسلس بقواته واحتل النقاط المهمة والطرق المؤدية الى مدينة الموصل. وفي صباح اليوم التالي طلب كاسلس من القائد التركي أحسان باشا أخلاء الموصل لكن الأخير رفض الطلب في بادئ الأمر. وخلال المؤتمر الذي انعقد في الموصل في ٧ تشرين الثاني والذي ضم كبار المسؤولين البريطانيين والأتراك وضع مارشال ستة شروط وطلب من أحسان باشا الموافقة عليها وتوقيعها فوراً^(١٢٤). واضطر أحسان باشا على الموافقة على تلك الشروط التي قال عنها أنها املتت عليه أملاءً وتوجب عليه أخلاء مدينة الموصل بصورة كلية في غضون عشرة ايام^(١٢٥).

وأنسحب أحسان باشا من الموصل إذ استقل سيارة نقلته الى نصيبين ومرافقة مدرعات أنكليزية وابقى ممثل عنه في الموصل وهو اليوز باشي (الرائد) حسن بك الكركوكي^(١٢٦). وفي ٩ تشرين الثاني شرعت القوات البريطانية بالدخول الى مدينة الموصل في حين أنسحبت القوات التركية الى نصيبين^(١٢٧). وفي ١٢ تشرين الثاني أصدر نوري بك وكيل والي الموصل بلاغاً دعا فيه كافة الدوائر والموظفين الى مواصلة أعمالهم بصورة اعتيادية^(١٢٨).

ومهما يكن من أمر فقد غادر نوري بك الموصل بناء على طلب من الكولونيل لجمن Leachman في ١٣ تشرين الثاني ١٩١٨^(١٢٩).

وتجدر الإشارة الى أن الموصليين أظهرها قدراً كبيراً من ضبط النفس في أثناء أخلاء الموصل من قبل الأتراك فقد قابل وفد من وجهاء الموصل وكيل الوالي نوري بك وأعربوا له عن استعدادهم لتشكيل قوة حراسة تتولى المحافظة على الأمن والنظام في الموصل عشية انسحاب علي أحسان باشا. وقد أجبأ وكيل الوالي هذا الطلب. وتشكلت فرق للحراسة في كافة المحلات^(١٣٠) وقد غدا الكولونيل لجمن حاكماً عسكرياً وسياسياً لمدينة الموصل وأتخذ على الفور سلسلة من الاجراءات للسيطرة على الموقف في الموصل كأصداره أوامر بإطلاق النار في الحال على كل من يتجول في المدينة عقب حلول الظلام وقام بسلسلة من المdahات لبيوت الموظفين الأتراك ومكاتبهم بحثاً عن السجلات. وأحتجز عدداً ممن أتهموا بأرتكاب السرقات أو مخالفات أخرى. كما أطلقت النار على عدد قليل من المواطنين ممن أتهموا بالقيام بأعمال نهب في المدينة^(١٣١). وأصدر الجنرال فانشو قائد القوات الأنكليزية في جبهة الموصل أمراً دعا فيه كافة الموظفين المدنيين الى الاستمرار في أعمالهم ريثما تصل تعليمات جديدة بشأنهم^(١٣٢). ولم تأت نهاية شهر تشرين الثاني ١٩١٨ حتى أتم الأنكليز احتلال بقية المدن الأخرى في ولاية الموصل مثل تلعفر وسنجار وعقرة والزبار والعادية وزاخو^(١٣٣).

الهوامش

- (١) كان البرلمان العثماني قد أفتتح في عام ١٨٧٧ وعطل في مطلع العام التالي.
- (٢) M. S. Anderson, The Great Powers and the Near East 1774 – 1923, (London: 1970), P. 150.
- (٣) فلاديمير بروسوفيتش لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمة د. عفيفة البستاني، (موسكو: ١٩٧٢)،

- (٢٢) المصدر نفسه، ص ١٤٦.
- (٢٣) احمد، المصدر السابق، ص ص ٥٧-٥٨.
- (٢٤) البرت م. منتشاشفيل، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي، (بغداد: ١٩٧٨)، ص ١١٣.
- (٢٥) احمد، المصدر السابق، ص ص ٥٨-٥٩.
- (٢٦) المصدر نفسه، ص ٥٨.
- (٢٧) ه. آ. ل. فشر، تاريخ اوروبا في العصر الحديث (١٧٨٩-١٩٥٠) تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضيع، ط ٤، (القاهرة: ١٩٦٤)، ص ص ٤٥١-٤٥٢.
- (٢٨) مجلة لغة العرب، ج ١١، السنة ٢، ايار ١٩١٣، ص ٥٣٦.
- (٢٩) للتفاصيل انظر المصدر نفسه، ج ٧، السنة الثانية، كانون الثاني ١٩١٣، ص ٣١٨. وتجدر الاشارة الى ان احد المصادر عزا ضالّة التبرعات التي كان يقدمها العراقيون الى عدم تقبم بتزاه المسؤولين عن جمعها واحتال سرقهم اياها خاصة وأنه لم تكن هناك اية رقابة على جمع التبرعات انظر منتشاشفيل المصدر السابق، ص ١١٣ وهامش ١٠٣ في الصفحة نفسها. وذكر مساعد القنصل البريطاني في الموصل ان الموصليين قابلوا حملة التبرعات بمشاعر السخط ونقل عن المفتي الاول في الموصل قوله: «ان اية اموال تقدم الى السلطان غير شرعية بل هي حرام» انظر فؤاد قزنجي، العراق في الوثائق البريطانية ١٩٠٥-١٩٣٠، (بغداد: ١٩٨٩)، ص ٩٢.
- (٣٠) قزنجي، المصدر السابق، ص ص ١٠٥-١٠٦.
- (٣١) المصدر نفسه، ص ٩٣.
- (٣٢) انظر مقاطع من القصيدة في رثايل بطي، الادب المصري في العراق، قسم المنظوم، ج ١، (مصر: ١٩٢٣)، ص ص ١٤٨-١٥٢. محمد حبيب العبيدي، ذكرى حبيب ديوان السيد محمد حبيب العبيدي، تحقيق احمد الفخري، (الموصل: ١٩٦٦)، ص ص ٥-٩.
- (٣٣) محمد حبيب العبيدي، خطبة نادي الشرق، (الموصل: ١٣٣١هـ)، ص ٢.
- (٣٤) العبيدي، ذكرى حبيب، ص ٧.
- (٣٥) المصدر والصفحة نفسها.
- (٣٦) احمد، المصدر السابق، ص ص ٦٠-٦١.
- (٣٧) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ٨٠.
- (٣٨) برو، المصدر السابق، ص ٣٠٢ هامش ١.
- (٣٩) احمد، المصدر السابق، ص ٧٠.
- (٤٠) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ٨١.
- (٤١) احمد، المصدر السابق، ص ص ٧٢-٧٤.
- (٤٢) عثاني عربي، حرب الانتخابات في الدولة العلية العثمانية، (مصر: د. ت)، ص ص ١١-١٢.
- (٤٣) احمد، المصدر السابق، ص ٧٦.
- (٤٤) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ٨٤.
- (٤٥) احمد، المصدر السابق، ص ص ٧٦-٧٧.
- (٤٦) برو، المصدر السابق، ص ٣٨٣.
- (٤٧) محمد مظفر الادهمي، الحركة البرلانية العثمانية في العراق، ص ٤٠٠.
- (٤) عباس الزواوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٨، (بغداد: ١١٥٦) ص ١٦٥.
- (٥) توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني ١٩٠٨-١٩١٤ (القاهرة: ١٩٦٠)، ص ١٠٠.
- (٦) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٣ (بغداد: ١٩٧٢) ص ١٦٧.
- (٧) عبدالكريم الملاط، بغداد القديمة، ط ١، (بغداد: ١٩٦٠)، ص ١٧٤.
- (٨) Mark Sykes, The Caliph's Last Heritage, (London: 1915), P. 484.
- وتجدر الاشارة الى ان مورخاً محدثاً استطاع من خلال بعض الاوصاف التي اوردتها المصدر الاخير للمبعوث المذكور كوصف لحبه وعينه وبالاتساع بعض الشخصيات التي عاصرت تلك الفترة من معرفة اسم المبعوث وهو محمد علي فاضل، انظر: ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد: ١٩٧٥، ص ٤٦.
- (٩) جورج انطونينوس، بقطة العرب، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس، ط ٧، (بيروت: ١٩٨٢)، ص ص ١٧٨-١٧٩.
- (١٠) برو، المصدر السابق، ص ١٠٤.
- (١١) المصدر نفسه، ص ١٠١.
- (١٢) المصدر نفسه، ص ١١٤.
- (١٣) مصطفى نور الدين الواظ، الروض الازهر في تراجم آل السيد جعفر، (الموصل: ١٩٤٨)، ص ٢٣٧. وقد ذكر مصدر اسم مبعوث كركوك محمد علي بك قيردار على النحو الآتي: الحاج علي ابن الحاج مصطفى قيردار. انظر الزواوي، المصدر السابق، ج ٨، ص ١٦٦.
- (١٤) صحيفة نغم وقائع (استانبول) برنجي سنة، ٧٢٤، ٢٨ ذي القعدة ١٣٢٦، ص ٢.
- (١٥) المصدر نفسه، برنجي سنة، ع ٧٣، ٢٩ ذي القعدة ١٣٢٦، ص ص ٦-٧.
- (١٦) الواظ، المصدر السابق، ص ص ٢٣٩-٢٤٠.
- (١٧) عصمت برهان الدين عبدالقادر، دور التواب العرب في مجلس الميوان العثماني ١٩٠٨-١٩١٤، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة الموصل ١٩٨٩، ص ص ١١٢-١١٣.
- (١٨) Sykes, Op. cit., P. 484.
- (١٩) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ١٤٢.
- (٢٠) كان ناظم باشا يتمتع بصلاحيات واسعة جداً فبالإضافة الى منصبه كوالي على بغداد فقد كان في الوقت نفسه قائداً للجيش السادس في العراق وتمتع بصلاحيات اخرى في ولايتي البصرة والموصل، إذ اتيحت به مهمة اقرار الامن واخضاع العشائر في الولاياتين الاخيرتين. انظر: برو، المصدر السابق، ص ٢٠٤.
- (٢١) عبدالقادر، المصدر السابق، ص ١٤٥.

- ٦٦) احمد، المصدر السابق، ص ١١٥.
- ٦٧) المسيل، المصدر السابق، ص ١٦٣.
- ٦٨) Williamson, op. cit., P.P. 81-96.
- ٦٩) انطونيوس، المصدر السابق، ص ٢١٦، محمد طاهر العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ١م، (الموصل: ١٩٢٤)، ص ١٣٢.
- ٧٠) الوردى، لغات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٤، (بغداد: ١٩٧٤)، ص ٨١.
- ٧١) العمري، تاريخ مقدرات، م ١، ص ١٣٢.
- ٧٢) الوردى، المصدر السابق، ج ٤، ص ٨١.
- ٧٣) احمد، المصدر السابق، ص ١٧٤.
- ٧٤) العمري، تاريخ مقدرات، م ١، ص ١٣٢ وتجدر الاشارة الى ما ذكره مصدر من ان الذين استدعوا للخدمة العسكرية تراوحت اعمارهم بين (٢٠-٤٥) سنة انظر، عبدالنعم الغلامي، والموصل خلال الحرب العالمية الاولى، مجلة المعرفة (بغداد)، ج ٥٠، السنة الثالثة، ١ شباط ١٩٦٣ ص ٩.
- ٧٥) الزاوي، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٦٧.
- ٧٦) العمري، تاريخ مقدرات، م ١، ص ١٣٣-١٣٤.
- ٧٧) الغلامي، المصدر السابق، ص ١٠.
- ٧٨) المصدر نفسه، ص ٩.
- ٧٩) احمد، المصدر السابق، ص ١٧٨.
- ٨٠) المصدر نفسه، ص ١٨٣.
- ٨١) انطونيوس، المصدر السابق، ص ٢٢٢.
- ٨٢) الزاوي، المصدر السابق، ج ٨، ص ٢٦٧.
- ٨٣) احمد، المصدر نفسه، ص ١٧٥.
- ٨٤) عبد الحليم اللاوند، نظرات في زجل الموصل (الموصل: ١٩٦٩) ص ٥٠-٥١.
- ٨٥) عبد العزيز القصاب، من ذكرياتي، ط ١، (بيروت: ١٩٦٢)، ص ١١١.
- ٨٦) احمد، المصدر السابق، ص ١٨٠-١٨١.
- ٨٧) العمري، تاريخ مقدرات، م ١، ص ١٣٣.
- ٨٨) احمد محمد مختار، تاريخ علماء الموصل، ص ٢، ج ١، (الموصل: ١٩٨٤)، ص ٥٨.
- ٨٩) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٧٠.
- ٩٠) Williamson, Op. Cit., p. 97
- ٩١) محمد أمين العمري، تأريخ حرب العراق، (بغداد: ١٩٣٥)، م ٣، ص ٩٠.
- ٩٢) ل. ن. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق، تحرير د. عبد الواحد كرم، ط ٢، بيروت: ١٩٧٥، ص ٦٨.
- ٩٣) المصدر نفسه، ص ٦٤.
- ٩٤) المصدر نفسه، ص ٦٧.
- ٩٥) الواظ، المصدر السابق، ص ١٦.
- ٩٦) فاضل الفصين، المظالم في سوريا والعراق والحجاز، القبة: ١٩١٨، ص ١٢
- مجلة آفاق عربية، السنة الثانية العدد ٦، شباط ١٩٧٧، ص ٢٧.
- ٤٨) المصدر نفسه، ص ٢٧.
- ٤٩) المصدر نفسه، ص ٢٧.
- ٥٠) عبد القادر، المصدر السابق، ص ٨٨.
- ٥١) قرانجي، المصدر السابق، ص ٨٧.
- ٥٢) الادبي، المصدر السابق، ص ٣٠.
- ٥٣) أحد أعضاء الجبهات العربية، ثورة العرب، (مصر: ١٩١٦)، ص ١٠٩.
- ٥٤) سليمان فيضي، في غمرة النضال، (بغداد: ١٩٥٢)، ص ١٤٠.
- ٥٥) المصدر نفسه، ص ١٤٠ وقد اورد الدكتور ابراهيم خليل احمد نبذة عن مبعوثي الموصل وكالاني: كان صالح السعدي عضواً في محكمة الاستئناف في الموصل عام ١٩٠٧ ثم اصبح رئيساً للبلدية الموصل في عام ١٩١٢. اما محمد علي فاضل فكان يتمتع بمكانة كبيرة في اوساط رجال الدين والوجهاء في الموصل وكان يعمل قبل دخوله معتزك الحياة النيابية في المحاكم. على حين كان داود يوسفاني احد ابناء الطائفة الكلدانية والتي هي اكبر الطوائف المسيحية في الموصل وكان يحظى بتأييد بطريرك الكلدان. وأما ابراهيم فوزي فكان تركياً وشغل سابقاً منصب قائد للجنود (الشرطة) في الموصل انظر: احمد: المصدر السابق، ص ٧٨-٧٩.
- ٥٦) المصدر نفسه، ص ٨١.
- ٥٧) المصدر نفسه، ص ٨٠-٨١.
- ٥٨) المصدر نفسه، ص ٨١.
- ٥٩) عبد القادر، المصدر السابق، ص ١٦٨. ذكر سليمان فيضي الذي كان مبعوثاً عن البصرة في عام ١٩١٤ انه تلقى عرضة موقعة من علماء وشيوخ الموصل ناشدوه فيها حث الحكومة العثمانية على اعادة النظر في قانون التجنيد الجديد والذي يقضي بتجنيد الميعالين والطلبة. انظر فيضي، المصدر السابق، ص ١٦٠ وتعلقنا على ذلك هو ان العرضة كان يفترض ان ترسل الى مبعوثي الموصل أو لعل السبب في ارسالها الى سليمان فيضي انه موصل اولاً وانه معروف بقدرته ونشاطه وجرأته ثانياً.
- ٦٠) اسماعيل بك جول، الزيدية قديماً وحديثاً، نشر قسطنطين زريق، (بيروت: ١٩٣٤)، ص ٢٨-٣٠.
- ٦١) متشاشفلي، المصدر السابق، ص ١٢١.
- ٦٢) صديق المملوحي، الزيدية، (الموصل: ١٩٤٩)، ص ٥١٢.
- ٦٣) المسيل، فصل من تاريخ العراق القريب، نقله الى العربية جعفر الخطاط، ط ٢، (بيروت: ١٩١)، ص ١٦٥.
- ٦٤) احمد، المصدر السابق، ص ١١٤.
- ٦٥) John Frederick Williamson, A Political History of the shammir Jarba Tribe of AL-Jazirah: 1800- 1958. Unpublished Ph. D. Thesis, Indiana University (U.S.A.) 1974, P.P. 95-96.

- (٩٧) العمري، تأريخ مقدرات، م ١ ص ١٤٠
 (٩٨) أحمد، المصدر السابق، ص ٢٠٨-٢٠٩
 (٩٩) العمري، تأريخ مقدرات، م ١ ص ١٣٦
 (١٠٠) كوتلوف، المصدر السابق، ص ٦٧.
 (١٠١) الكسندر ادا موف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة هاشم صالح التكريتي، ج ٢، (البصرة: ١٩٨٩). ص ٢٣٥
 (١٠٢) كوتلوف، المصدر السابق، ص ٦٧-٦٨
 (١٠٣) المصدر نفسه، ص ٦٩
 (١٠٤) العمري، تأريخ مقدرات، م ١ ص ١٣٨. كانت قيمة الليرة الذهبية تساوي ثلاثة دنانير ونصف الدينار أنظر الواعظ، المصدر السابق، ص ٦٩٣. العلاف، المصدر السابق ص ١٧٠-١٧١.
 (١٠٥) أنظر: د. إبراهيم خليل أحمد ومحافظه نينوى في المصود الحديثة وفي عامر سليمان وآخرون، محافظة نينوى بين الماضي والحاضر، (الموصل: ١٩٨٦، ص ١١٢
 (١٠٦) الغلامي، المصدر السابق، ج ٥٠، ص ١١
 (١٠٧) المصدر نفسه، ص ١٠
 (١٠٨) العمري، تأريخ مقدرات، م ١ ص ١٣٣
 (١٠٩) كوتلوف، المصدر السابق، ص ٦٩
 (١١٠) المختار، المصدر السابق، ج ٢، ص ٧٠
 (١١١) القصاب، المصدر السابق، ص ١٨٦
 (١١٢) الغلامي، المصدر السابق، ص ١١
 (١١٣) أحمد، المصدر السابق، ص ٢١٨، أورد مصدراً بأن الشرطة كانت قد عثرت في حفرة في بيت عبود على مائة مجمعة أنظر الزودي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٩٢
 (١١٤) الواعظ، المصدر السابق، ص ٥١٧. وللأطلاع على تفاصيل المرافعة التي جرت بين الحاكم الذي تولى النظر في تلك القضية وبين زوجة عبود أنظر: الزودي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٣٩٢-٣٩٣.
- (١١٥) الواعظ، المصدر السابق، ص ٥١٨
 (١١٦) العمري، تأريخ مقدرات، م ١ ص ١٣٧-١٣٨
 (١١٧) شكري محمود نديم، حرب العراق ١٩١٤-١٩١٨، ط ٤، (بيروت: ١٩٦٤)، ص ١٧٣
 (١١٨) العمري، تأريخ مقدرات، م ١ ص ١٣٨
 (١١٩) المصدر نفسه، ص ١٣٩-١٤٠
 (١٢٠) الزودي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٢٩٣
 (١٢١) كوتلوف، المصدر السابق، ص ٦٩
 (١٢٢) أحمد علي الصوفي، تأريخ بلدية مدينة الموصل، ج ١، (الموصل: ١٩٧٠) ص ٣٣
 (١٢٣) أحمد، المصدر السابق، ص ٣١٥
 (١٢٤) للاطلاع على تفصيل تلك الشروط أنظر Arnold T. Wilson, Mesopotamia 1917 - 1920 A Clash of Loyalties, London: 1931, p. 20
 (١٢٥) سبنغ هيمسلي لوتريك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ترجمة سليم طه التكريتي، ج ١، ط ١، (بغداد: ١٩٨٨، ص ١٥٦)
 (١٢٦) العمري، تأريخ مقدرات، م ١ ص ١٤٨
 (١٢٧) أحمد، المصدر السابق، ص ٣١٩
 (١٢٨) أنظر نص البلاغ في العمري، تأريخ مقدرات، م ١، ص ١٥٢
 (١٢٩) عمر ابو النصر، الحرب العالمية الاولى موسوعة تأريخية مصورة ١٩١٤-١٩١٨ م، ٣، ص ١٤٩
 (١٣٠) العمري، تأريخ مقدرات، م ١، ص ١٥٠
 (١٣١) Wilson, Op.cit., p.21
 (١٣٢) العمري، تأريخ مقدرات، م ١، ص ١٥٣

الموصل والحركة العربية القومية في مطلع القرن العشرين

د. إبراهيم خليل احمد

مقدمة :

اللغة العربية أصبحت لغة الدوائر الرسمية آنذاك. واتسعت حركة التأليف باللغة العربية وتسلم ابتاء المدينة الحكم بانفسهم وتؤكد عمق احساس المواطن العراقي في الموصل بشخصيته، وبدأ يسعى

شهدت الموصل ابان حكم الجليليين لها (١٧٢٦- ١٨٣٤)، نهضة ثقافية علمية واسعة.. وخلال هذه الفترة، استطاعت الموصل الحفاظ على كيانها وشخصيتها الحضارية العربية حتى ان

وكان عنده ثلاثون ألف مقاتل، خرج اليهم وهزمهم وأبعدهم عن عكا. ثم يشير العمري الى ذهاب المجاهدين من ابناء ولاية الموصل لنصرة اخوانهم المصريين ثم عودتهم الى بلدتهم بعد ان أسهموا مع اخوانهم المصريين في القتال ضد الغزاة.

ان هذا الذي أورده العمري يدل دلالة واضحة على تضامن الموصلين جميعاً مع اخوانهم في مصر، حين سمعوا بأبناء العدوان الاجنبي عليهم. وبعد ان تأكدت في الموصل اخبار جلاء الغزاة عن مصر والشام، عم فرح شديد، واقامت المهرجانات على مدى ثلاثة أيام في مختلف انحاء الولاية، احتفالاً بالنصر المبين^(٥).

وحين شهد الوطن العربي منذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر حركات ذات طابع ديني - سياسي عدها المؤرخون ردود فعل على سيطرة العثمانيين واحتجاجاً على عجزهم وفسادهم وتحلفهم واستغلالهم، كانت الموصل في مقدمة الولايات التي ظهرت فيها مثل هذه الحركات. وقد ارتكزت الحركة السلفية في الموصل على اساس ردع البدع والفضلات التي لحقت بالاسلام. والتأكيد على التوحيد ومقاومة الفساد بكل اشكاله، وان الاسلام الذي كان السلطان العثماني يدعي حمايته ليس بالاسلام الحقيقي، وهذا يعني ضمناً ان السلطان ليس الامام المناسب للامة العربية^(٦).

لقد أحدث ظهور الحركة السلفية صراعاً فكرياً حاداً في الموصل بين السلفيين المجددين الداعين الى العودة بالاسلام الى نقائه الاول، وبين بعض اصحاب الطرق الصوفية الذين استفادوا من التقاليد المستندة الى البدع والدروشة والخرافات المنتشرة بين الاوساط الشعبية. وكان لهذا الصراع أثره في أن تصبح الموصل بؤرة حيوية للنقاش والحوار الذي ادى بالسلطة العثمانية الى الانحياز نحو ممثلي التيار الصوفي، ومحاربة الدعوة السلفية الجديدة التي تهدد وجودها واستمراريتها في حكم

لتطوير بلده، وتخليص مؤسساتها شيئاً فشيئاً من السيطرة المركزية العثمانية. وكان لذلك كله اثر كبير في بروز نزوع عربي قومي مستقل، حتى شاع في أدب العصر تلقيب الولاة الجليليين بـ «الملوك» بل ودعيت حكومتهم بـ «الدولة العلية الجليلة» على غرار «الدولة العلية العثمانية»، وهو الاسم الرسمي للدولة المركزية^(١). ورغم ان الدولة كانت اسلامية ذات مقومات دينية بحتة، فقد عد الوالي الجليلي نداً للسلطان العثماني، فالاول يمثل العرب، والثاني يمثل الاتراك^(٢).

وكان لموقع الموصل الجغرافي والستراتيجي، ولامتلاك الموصل تراثاً نضالياً يمتد الى حقب طويلة من تاريخها اثر في ذلك. كما أن انتصارها على جيوش الفرس في عهد نادرشاه سنة ١٧٤٣ وصمودها قرابة (٤٠) يوماً أسهم في منحها شرف النيابة عن العرب في حراسة الثغور الشرقية وابعاد خطر كان يهدد الوطن العربي طوال قرون ثلاثة.

لقد ولد الموقف البطولي ذلك، لدى الموصلين شعوراً عميقاً بعروبيتهم، وإيماناً راسخاً بأن من وقف ضد الغزاة، ليس الجيش العثماني، وانما قواتهم المحلية، والتلاحم الوثيق بين جميع الفئات والطوائف التي تتألف منها الموصل. وقد اتضح التوجه العروبي في القصائد الشعرية التي خلد بها الموصليون دفاعهم عن مدينتهم ضد الطامعين^(٣).

كما كان لموقف الموصلين في نصره إخوانهم المصريين اiban الغزو الفرنسي لمصر سنة ١٧٩٨ دور كبير في تنامي حسهم العربي وبروز نزعته القومية. ويصف لنا المؤرخ الموصلية المعاصر للغزوي ياسين بن خير الله الخطيب العمري^(٤) (١٧٤٤ - ١٨١٦)، مدى متابعة الموصلين لما كان يجري في مصر من احداث في تلك المرحلة الخطيرة. وينتقل الى اساليب الغدر والخيانة والحيلة التي لجأ اليها الفرنسيون في اثناء غزوهم لمصر، وكيف ان قائدهم (برته بول) أي بونابرت زحف الى عكا. ويقول ان حاكم عكا الوزير احمد باشا الجزائر،

ولكن هذا لم يمنع دعاة التوجه الاصلاحي السلفي من مواصلة العمل من اجل مقاومة مظاهر الضعف والتواكل والسلبية. وقد كان من أبرز من مثل هذا التوجه في العقود الاولى من القرن العشرين: الشيخ عبد الله النعمة (١٨٧٤-١٩٥٠) والشيخ عبد الله الحسو (١٨٩٠-١٩٦٠) وغيرهما من الذين أرسوا دعائم مدرسة اصلاحية اسلامية لاتزال ظاهرة في الموصل حتى يومنا هذا^(٨).

الحركة العربية القومية في الموصل بعد الانقلاب الدستوري ١٩٠٨:

لقد تطورت وقويت الاتجاهات الجديدة بنحو خاص بعد انتصار الانقلاب الدستوري العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨ وخلع السلطان عبد الحميد الثاني سنة ١٩٠٩ وانهاء حكم الاستبداد الذي دام قروناً. واطلاق العنان لدعاة الاصلاح والتغيير. وقد تأثر الوعي القومي في هذه الفترة بالذات بما كان يجري سواء في مركز الدولة، أو في الولايات التابعة لها. وشهدت السنوات من ١٩٠٨-١٩١٤ تنامي الوعي القومي للعناصر التي تتألف منها الدولة العثمانية. ولم تكن الموصل بعيدة عن ذلك. فقد كانت على اتصال وثيق بالحركة الفكرية في سوريا ومصر، وذلك عن طريق وصول عدد من الصحف والمجلات السورية والمصرية. ولقد كان تأثير المطبوعات السورية بدرجة اكبر من غيرها، ولعل ذلك يرجع الى سهولة الاتصال بسوريا عبر البادية الشمالية^(٩).

وكانت حركة الوعي القومي العربي في سوريا أقدم عهداً، وأقوى تنظيمياً، وأكثر انصاراً بالقياس الى الاقطار العربية الاخرى^(١٠). ولقد سبقت كما هو معروف، حركة الوعي هذه نهضة فكرية، ولما كان لكل حركة أن تضمن لنفسها واقعاً تعمل من خلاله، فقد أثمرت تلك النهضة وبدأ صداها يترك أثره في الاوضاع السياسية^(١١).

واذا كانت حركة الوعي القومي قد اتخذت في سوريا شكلاً منظماً جلب انتباه المؤرخين فليس معنى هذا انه لم يكن هناك في الولايات العربية الاخرى عوامل تعمل عملها في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية وفكرية، تفاعلت بعضها مع بعض، وادت الى ظهور الوعي القومي. وقد كان نصيب الموصل من هذا كله، كما سبق ان قدمنا، ان برزت فئة من مثقفيها اعتنقت الافكار القومية وعملت على اثاره الوعي القومي بدرجة لاتقل أهمية عما جرى في الولايات العثمانية الاخرى. وقد لوحظ في الموصل ايضاً ان الوعي القومي لم يكن سوى جزء من ذلك الوعي العربي العام في مختلف الولايات العربية. كما اتبع نفس اساليب التوعية في الاقطار العربية، واتجه بانجاساتها وتأثر بكل الاحداث والوقائع^(١٢). ومن ذلك مثلاً ماحدث في الموصل من أصداء العدوان الايطالي على ليبيا ١٩١١. اذ أحدث هذا العدوان هزة عنيفة في الموصل، وحالما تزامت الى الموصلين الانباء حتى نشطوا في شجب العدوان وتنظيم المظاهرات، وجمع التبرعات، وارسلها الى اخوانهم عرب ليبيا. كما اعرب كثير منهم عن رغبتهم في التطوع والذهاب الى ساحة المعركة^(١٣).

واذا كانت الصحافة الموصلية^(١٤)، هي احدى الاساليب التي انتهجها ممثلو التيار القومي العربي فان التنظيمات الحزبية كانت كذلك اسلوباً آخر مما يتطلب القاء نظرة عليها للكشف عن طبيعتها وظروفها.

حزب اللامركزية الادارية العثماني - فرع الموصل:

تأسس حزب اللامركزية الادارية العثماني في القاهرة أواخر سنة ١٩١٢. وكان هدفه السعي لتطوير اسلوب الحكم في اقطار الدولة العثمانية على اساس اللامركزية^(١٥). وفي الموصل أسس فرع لحزب اللامركزية، وكان نشاطه سرى، خاصة وان سطوة الاتحاديين كانت يومذاك في الموصل أقوى مما كانت عليه في غيرها من المدن العراقية^(١٦).

عمل الفرع المذكور فترة من الزمن ، حتى بعد نشوب الحرب العالمية الاولى ، حين عثرت السلطات العثمانية على الرسائل التي كان يبعث بها حقي العظم سكرتير الحزب من القاهرة الى محمود المحمصاني في دمشق . ومن هذه الرسائل ، رسالة مؤرخة في ١٦ نيسان سنة ١٩١٤ تضمنت بعض المعلومات عن فروع الحزب المذكور وبيان بأسماء معتمديه . وقد جاء فيها مايدل على وجود فرع في الموصل . وبعد قيام جبال باشا (السفاح) بحملته المشهورة ضد المنتمين الى الجمعيات العربية ، ومنها حزب اللامركزية كتب الى والي الموصل آنذاك سليمان تنظيم (١٩١٣ - ١٩١٥) ان يعاقب العاملين في ذلك الحزب . وقد اعتقل ثلاثة اشخاص من المشتغلين في الحركة العربية وهم : سعيد الحاج ثابت ، وابراهيم عطار باشي ، وداؤد الملاح آل زيادة^(١٧) . وصادف ان كان هؤلاء من المترددين على سليمان فيضي الحماسي ، مبعوث طالب النقيب ، من قادة الحركة القومية في البصرة ابان وجوده في الموصل سنة ١٩١٣ من اجل فتح فرع مماثل للجمعية الاصلاحية في البصرة ، فربط الوالي بين هذا الاتهام وذاك النشاط ، وكاد الاشخاص الثلاثة يذهبون الى حبل المشنقة لولا ان تدخل بعض الوجهاء الذين انكروا للوالي ان يكون لاولئك الاشخاص أي نشاط سياسي آنذاك^(١٨) .

كما جرت سلسلة من الاتصالات السرية بين العرب القوميين في الموصل وبغداد . وأشارت بعض المصادر الى مغادرة تاجر عربي الموصل الى بغداد في شباط ١٩١٣ . وقد اتصل هذا بالعاملين هناك في الحركة القومية وتباحث معهم حول اهمية التنسيق في العمل السياسي ، لكن السلطات الاتحادية سرعان ما أحسّت به فاستدعته واستجوبته^(١٩) .

ووصلت الموصل في ٢٣ نيسان سنة ١٩١٣ مجموعة من المشورات السياسية ، التي ارسلتها جمعية بيروت الاصلاحية (تأسست سنة ١٩١٢ وتدعو الى اللامركزية) تدعو الاهالي الى المشاركة

الفعلية في النشاط القومي والمطالبة بالاصلاح واللامركزية^(٢٠) . وازداد النشاط السياسي لحزب اللامركزية خاصة بعد ان أصدر الاتحاديون في ٥ ايار سنة ١٩١٣ قانوناً جديداً للولايات جاء على النقيض من اهدافه تماماً ، فاخذ يطبع المنشورات المعادية للسلطة ويرسلها عن طريق البريد الى من يثق بهم . وكان هؤلاء يوزعونها بين الناس سرّاً . وقد أبرق الموصليون الى استانبول في منتصف شهر ايار ١٩١٣ برقية أعلنوا فيها عن سحقهم على القانون الجديد بوصفه غير كاف لاصلاح ولايتهم وطلبوا بادارة لامركزية للولايات العربية . كما نظموا مع البصريين والبغداديين لائحة جديدة بالاصلاحات^(٢١) . وبما تضمنته هذه اللائحة المطالبة بان يكون الوالي عراقياً ، وان يُعطى مجلس الولاية صلاحيات واسعة لتطوير الولاية اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً^(٢٢) .

لقد جرت محاولة لفتح فرع مماثل لجمعية البصرة الاصلاحية وبيروت الاصلاحية . وارسل طالب النقيب ، كما ذكرنا انفاً سليمان فيضي الموصل الى الموصل لهذا الغرض وكذلك للتباحث حول توحيد الاتجاه القومي العربي في العراق . وقد وصل فيضي الى الموصل في ٢٢ آب ١٩١٣ ، واتصل ببعض العاملين بالحركة العربية وعددهم كما اشار الى ذلك في مذكراته (٤٦) شخصاً من مدنيين وعسكريين منهم (رؤوف الغلامي وحلمي جليمران ومحمود الملاح ، وسعيد الحاج ثابت وداؤد الحلبي وياسين الهاشمي وأبوب الشيخ عبد الواحد ، وعبد المجيد شوفي البكري ومكي الشربتي ومحمد شريف الفاروقي وفوزي القاوقجي) ، لكن السلطات الاتحادية سرعان ما اكتشفت أمره وكانت استخبارات الشرطة من القوة بحيث أحاطت به ، وقيدت حركاته ورصدت نشاطاته وطوقته بالجواسيس من كل جانب . وقد أصدر مدير الشرطة خالد بك ، وكان اتحادياً متطرفاً أمراً بمنع الاهالي من الاتصال به ، وأشاع في المدينة ، ولا سيما في الاوساط الدينية ، أن فيضي يعمل على نبذ



• جميل المدفعي .

في تأسيس الجمعية نخبة من الضباط العرب المتحمسين للقضية القومية العربية امثال سليم الجزائري وطه الهاشمي وجميل المدفعي ونوري السعيد وعلي جودت الايوبي ومولود مخلص وباسين الهاشمي وغيرهم^(٢٧). ولا يوجد تاريخ دقيق لنشأتها. فقد ذكر عزيز علي المصري بانه أسس الجمعية في سنة ١٩١٢^(٢٨) بينما حدد جورج انطونيوس^(٢٩) بداية سنة ١٩١٤ تاريخاً لنشأتها. أما أمين سعيد، فقد وضع اليوم الثالث والعشرين من تشرين الاول ١٩١٣ تاريخاً لتأسيس هذه الجمعية. وهذا هو التاريخ الصحيح لنشأة الجمعية^(٣٠).

سميت هذه الجمعية بهذا الاسم، لأن إتهام اي عضو اليها يعد بمثابة «عهد» بينه وبين الله على خدمة الامة العربية^(٣١). اما بالنسبة لأهداف الجمعية فتمتة اختلافات في تحديدها، فهناك من يقول ان هدفها كان الحصول على الاستقلال الداخلي للاقطار العربية^(٣٢). في حين يذكر احد مؤسسي الجمعية بان هدفها «كان منحصرأ في اصلاح الحال على اساس النظام الاتحادي (فيدراسيون)... ولم يفكر أحد منا في الانفصال عن الامبراطورية العثمانية، وانما كان تفكيرنا منصبأ في الحصول على ادارة عربية محلية ولغة عربية رسمية على ان نشترك والعنصر التركي في ادارة سياسة الدولة العامة..^(٣٣)». ويشير فوزي القاوقجي^(٣٤) في مذكراته الى ان الجمعية كانت تعمل من اجل الاستقلال العربي والتحرر من السيطرة العثمانية.

التقاليد الدينية وعصيان الدولة^(٢٣).

وعلى الرغم من ذلك، فقد أستفاد فيضي من مولده في الموصل، ونشأته فيها، ومن المكانة التي يتمتع بها والده كرجل دين لمعكث في الموصل قرابة اربعين يوماً. وقد استقر الرأي على ان تظهر الجمعية الاصلاحية بمظهر أدبي، وذلك لأختلاف وضع الموصل السياسي آنذاك عن وضع البصرة^(٢٤). وطلب فيضي من سلطات الولاية منحه رخصة لتأسيس ناد باسم «النادي الادبي»، ولكن المحاولة فشلت فعاد فيضي الى البصرة في ٢٩ ايلول ١٩١٣^(٢٥).

ومها يكن من أمر، فأن لنشاط سليمان فيضي، والضجة التي أثارت حولها، أثراً لاينكرين كثير من الشباب الموصلين الذين جعلتهم حركته يتحسسون بالوعي القومي ويشعرون باهمية تنظيم انفسهم. كما وجدت الفكرة القومية طريقها بين الاهالي والحرفيين والتجار واصحاب الدكاكين وغيرهم. وكان ذلك بجهود عدد من الموصلين العاملين في الحركة القومية العربية^(٢٦).

لقد سار الاتحاديون، برغم كل الاحتجاجات، وحتى اواخر الحرب العالمية الاولى بسياسة مركزية متطرفة أثارت حفيظة العرب. وقد انعكس ذلك بطبيعة الحال بردود الفعل القومي الذي تمثل في قيام جمعيات واحزاب قومية نذكر منها جمعية العهد التي فتحت لها فرع في الموصل بين اواخر ١٩١٣ وبداية ١٩١٤ وجمعية العلم السرية التي تأسست في الموصل سنة ١٩١٤.

جمعية العهد فرع الموصل ونشاطاتها قبيل الحرب العالمية الاولى :

قام بتأسيس جمعية العهد السرية في استانبول، الرئيس الاول (الرائد) عزيز علي المصري، وكان من ابرز الضباط العرب في الجيش العثماني، وقد اشتهر بزعته العربية القومية (ولد سنة ١٨٨٠ في القاهرة وتوفي سنة ١٩٦٤). وقد شاركه

الموصل يعود الى عبد الله الدلسي وهو ضابط موصل حمل ختم الجمعية الخاسي الاركان والمعمول من الخشب والحديد والمطاط وفي وسطه دائرة صغيرة مكتوب فيها (العهد) ، وفي زاوية كل ركن الآية القرآنية: «ليس للانسان إلا ما سعى»^(٤٠)



عل جوده الايبي

لقد فاتح الدلسي عدداً من العسكريين من الذين عرفوا باتجاهاتهم القومية أو ممن كانوا اعضاء في الجمعية في استانبول ، فلبى دعوته عدد منهم ، بينهم : ياسين الهاشمي ، ومولود مخلص وعلي جودت الايوبي ومحمد شريف الفاروقي^(٤١) . وعقد هؤلاء اجتماعاً في دار الدلسي تدارسوا فيه الخطة التي يجب اتباعها لفتح الفرع^(٤٢) . فتشكلت لجنة مركزية من عبد الله الدلسي ، وياسين الهاشمي ، وعبد الرحمن شرف ومجيد حسون ومحمد شريف الفاروقي^(٤٣) ، تولت قبول المرشحين للعضوية والاشراف على ادايتهم التبين وكان التبين يتم امام لجنة مُنقّعة ، ويقسم العضو المرشح على القرآن الكريم ، وسيف ومسدس ، بالاخلاص للجمعية والعمل في سبيل تحرير العرب^(٤٤) . وقد تحدث علي جودت الايوبي^(٤٥) عن تأسيس فرع الموصل فقال : «... انشأنا في الموصل مركزاً (فرعاً) سوريا للجمعية ، وياشرنا تحليف الضباط الذين تظمّن الى ميوطهم وافكارهم فحالفنا النجاح » .
والى الشيء نفسه يشير فوزي القاوقجي^(٤٦) قائلاً : «وكثر اتصالي بالضباط العرب (في

لقد حرص عزيز علي المصري على ان تقتصر الجمعية على العنصر العسكري وحده . وكان العراقيون اكثر الجماعات عدداً في الجيش العثماني من العرب ، لذلك كانت لهم قوتهم في مجالس جمعية العهد^(٣٥) . وقد انشأ الضباط العراقيون في اواخر سنة ١٩١٣ وبداية سنة ١٩١٤ فروعاً للجمعية في الموصل وبغداد والبصرة^(٣٦) .

كانت الموصل في سنة ١٩١٣ ، مقراً للفيلق الثاني عشر العثماني بقيادة كل من أمير اللواء أسعد باشا الدرزي ورئيس اركانه المقدم ياسين الهاشمي . وكان اسعد باشا الدرزي يشغل منصب وكيل الوالي .. وقد عرف بأنه يعطف على الحركة العربية القومية سرّاً .^(٣٧) وقد ضم الفيلىق عدداً من الضباط ، فضلاً عن ياسين الهاشمي : عبد الله الدلسي وفوزي القاوقجي ، ومجيد حسون وعبد الرحمن شرف ومختار الطرابلسي ومحمد شريف الفاروقي (العربي) وجميل روجي وعاصم حافظ وتوفيق الخليلي ومولود مخلص وعلي جودت الايوبي وغيرهم . وكان عدد من هؤلاء الضباط على صلة



• مولود مخلص .

وثيقة بعزيز علي المصري وغيره من الضباط العرب القوميّين في استانبول ، وبعد ان علموا بقيام جمعية العهد العسكرية في استانبول ، قرروا في اواخر سنة ١٩١٣ تأسيس فرع لها في الموصل ، وقد حمل جميل المدفعي منهاج الجمعية من استانبول^(٣٨) . وهناك^(٣٩) من يشير الى ان الفضل في تأسيس فرع

الموصل) ، وفوجئت ليلة بصديق من الضباط ينفرد بي ويسألني اذا كنت مخلصاً حقاً لبلادي أن اتبعه من غير سؤال . شد الضابط على عيني منديلاً ، وقادني الى دار لم أكن اعرفها ، حتى اذا وصلناها حل الرباط ، فأذا بي أمام جماعة مقنعة باللبسة سوداء لا يظهر منها سوى عيونها ، وقد تجمعوا حول مائدة عليها نسخة من القرآن الكريم وسيف ومسدس . وطلب إليّ احدهم ان أقسم بيمين الاخلاص للجمعية تعمل في سبيل تحرير العرب ، ففعلت ثم اغمض الضابط عيني ثانية وعاد بي الى منزلي .

لقد تألف فرع جمعية العهد العسكرية في الموصل اواخر سنة ١٩١٣ من عدد من الضباط العراقيين والسوريين امثال ياسين الهاشمي (بغدادى) ومولود مخلص (موصلى) وعلي جودت الايوبي (موصلى) ومحمد شريف الفاروقى (موصلى) وعبد الله الدلشبي (موصلى) وعبد الرحمن شرف (بغدادى) وحسن فهمي وتوفيق المحمود وفوزي القاوقجي من السوريين . كما ضم فرع الجمعية ضباطاً آخرين من غير العراقيين والسوريين منهم على سبيل المثال : احمد مختار الطرابلسي ، صديق ورفيق عزيز علي المصري ، الذي استشهد فيها بعد في حروب بلده طرابلس الغرب ضد الاستعمار الابيطالي^(١٧) .



• محمد شريف الفاروقي (المصري) .

اقتصرت عضوية الجمعية على العسكريين فقط . وكانت اجتماعاتها سرية . اذ يجتمع اعضاء

الجمعية حيناً في دار مولود مخلص ، وحيناً آخر في دار محمد شريف الفاروقي . كما اشار القاوقجي^(١٨) ان الجمعية كانت تعقد بعض اجتماعاتها في ناحية حمام العليل المعروفة بعيونها الكبريتية الشديدة الحرارة والتي يؤمها الموصليون للاستشفاء والاصطياف وتبعد عن الموصل حوالي (٢٥) كيلو متراً . ويضيف القاوقجي الى ذلك قوله ان المجتمعين كانوا يخرجون فرادى متنكرين بالزي العربي ، وذلك لكي يتجنبوا أعين السلطات وجواسيسها .

لقد كان للجمعية مراسلات مع مركز الجمعية في استانبول^(١٩) وكان من الذين انتدبهم المركز الى الموصل ضابط الركن طه الهاشمي ، والضابط جميل المدفعي . اذ وصلا الموصل ومعهما نشرات وبيانات ليطلع عليها اعضاء الجمعية . كما اوعد فرع الموصل عبد الرحمن شرف الى البصرة للاتصال بفرع الجمعية هناك^(٢٠) . وارتبطت الجمعية ارتباطاً غير مباشر مع العناصر العربية القومية من المدنيين في الموصل أمثال سعيد الحاج ثابت وابراهيم عطار باشي ورؤوف الغلامي وغيرهم . كما كان للجمعية مراسلات مع فرع بغداد^(٢١) . وربما كان فرع الموصل حلقة وصل بين بغداد واستانبول^(٢٢) .

قام فرع الجمعية في الموصل بنشاط ملحوظ ، وذلك بجهود ياسين الهاشمي الذي استفاد من سلطته العسكرية ، ومن تساهل وكيل الوالي اسعد باشا الدرزي كما اشرنا الى ذلك من قبل ، وقد اتسمت اعمال الجمعية بالهدوء والنظام والانضباط والحفاظ على السرية والكتان . وسارت على مبدأ القسم والتحليف في ضم الضباط الى صفوفها^(٢٣) . وكانت اجتماعات الفرع تدور حول اظهار مساوئ حكم الاتحاديين ومناقشة الوضع السياسي ، ومتابعة ما يستجد من اخبار في استانبول . وفي نهاية كل اجتماع كان يطلب من الاعضاء نشر هذه الاخبار والمعلومات والافكار بين افراد عوائلهم ومن يأتونهم من الاهالي والعسكريين لأثارة تقيمتهم على الحكم العثماني^(٢٤) . وقد تمكن ياسين الهاشمي في

هذه الفترة من إقناع بعض الضباط الأتراك بعدالة القضية العربية ، وضرورة إيجاد حل لها يضمن تعاون العنصرين العربي والتركي في مواجهة سيطرة الاتحاديين على مقدرات الحكم في استانبول^(٥٥) .

قال المؤرخ الموصل عبد المنعم الغلامي في كتاباته^(٥٦) أنه لم يؤسس فرع لجمعية العهد في الموصل ، بل اقتصر الأمر على عقد اجتماع في دار عبد الله الدلشي .. اما الضباط الذين حضروا الاجتماع فهم مولود مخلص ومحمد شريف الفاروقي وياسين الهاشمي وداؤد الجليبي ، وهو طبيب عسكري من الموصل . وقد تبادل المجتمعون الأفكار الوطنية وتطرقوا الى ضرورة تشكيل فرع للجمعية في الموصل ، غير انه لم يتقرر فيما بينهم تشكيل هذا الفرع وانما اكتفوا كعادتهم السابقة في ذكر مساوئ الأتراك ، وهضمهم لحقوق العرب .

ان ماجاء به الغلامي لا يختلف كثيراً عما ذكره محمد طاهر العمري^(٥٧) ، او لعله اعتمد عليه في معلوماته عن هذا الموضوع ، أو أنه اراد ان يظهر جمعية العلم السرية التي تشكلت في الموصل خلال هذه الفترة بمجهود أخيه محمد رؤوف الغلامي ، على انها الجمعية الوحيدة التي قادت النضال في الموصل ضد الأتراك في الفترة الواقعة قبيل الحرب العالمية الاولى وخلالها .

لقد اشار العمري الى أن الضباط العراقيين في الموصل مالوا الى فتح فرع لجمعية العهد ، غير أن ذلك لم يتحقق ، واقتصر الأمر على الاستمرار في عقد الاجتماعات الخاصة التي كان يحضرها عدد من شباب المدينة المواليين للفكرة العربية القومية^(٥٨) .

يمكن القول بأن ما ذكره علي جودت الايوبي وفوزي القاوقجي اقرب الى الحقيقة وذلك لانهما من الضباط المؤسسين لفرع هذه الجمعية العسكرية في الموصل وصاحب البيت أدري بشؤونهم . وقد ورد في مذكرات تحسين العسكري ، المارة الذكر ، ما يؤكد ذلك . كما ورد في مذكرات طه الهاشمي^(٥٩) ما يفيد ان الهاشمي بعد ان تعين في ٢٦ كانون الاول

١٩١٣ لأركان حرب الفيلق العثاني السابع في الجن توقف في طريق عودته الى بغداد بالموصل فاقفل بفرع جمعية العهد فيها .

غدا نشاط جمعية العهد في الموصل محدوداً لسببين اثنين : اولهما ان السلطة الاتحادية بعد ان اصبح لجمعية العهد نشاط كبير في استانبول ، وتسربت الاخبار عن نشوء فروع لها في بعض المدن العربية ، وانها قد لقيت تأييداً من الضباط العرب قررت أن تقاوم ذلك كله وتعمل على ان تفرق رجال هذه الحركة وتبعدهم قبل ان يشتد ساعدتهم^(٦٠) . وثما يؤكد إتهام جبال باشا في مذكراته الضباط العرب العاملين ضمن الفرقة المرابطة في شبه جزيرة غاليبولي بانهم صرفوا اهتمامهم عندما كانت الحكومة العثمانية مشغولة في الحرب البلقانية « الى تعضيد وسائل الابتزاز السياسي التي قام بها «دعاة القومية العربية» في استانبول بدلاً من القيام بواجباتهم »^(٦١) .

لهذا عقدت السلطات الاتحادية اجتماعاً خاصاً في وزارة الحرية ، حضره الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) سعيد حليم باشا ، ومحافظ استانبول العسكري جمال (قبل تعيينه وزيراً للحرية) ، ومدير الأمن العام عزمي بك . وقد درست في هذا الاجتماع التدابير الواجب اتخاذها لمقاومة النشاط القومي العربي عامة ونشاط جمعية العهد خاصة . وقررت عدة قرارات اهمها : تولية القيادة في الولايات العربية الى الضباط الأتراك ، واقصاء الضباط العرب والاستغناء عن خدماتهم فيها قدر الامكان وعهد الى جمال باشا بتنفيذ ذلك^(٦٢) . وقد اكد أحد المؤرخين المعاصرين ذلك قائلاً : « ان انشاء جمعية العهد أحدث ضجة شديدة في الدوائر الحاكمة في استانبول لما عُرف به مؤسسها من الصلابة والقوة . واضاف ان التأييد الذي حصلت عليه الجمعية من الشبان والضباط العرب ، وانشاء فرعين لها في بغداد والموصل ، جعل الحكومة الاتحادية تحشى الجمعية وتحسب حسابها ، وتفرق رجالها »^(٦٣) .

اما السبب الثاني «فهو نشوب الحرب العالمية الاولى»^(٦٤) فكان من الطبيعي أن ينفرد عقد الجمعية ويتناثر اعضاؤها. فقد صدرت الأوامر الى ياسين الهاشمي بنقل الفرقة الخامسة والثلاثين من الفيلق الثاني عشر من الموصل الى حلب^(٦٥) وكان معظم اعضاء جمعية العهد في الموصل من ضباط تلك الفرقة. وقد انتهر جبال باشا الذي عين قائداً أعلى للقوات العثمانية في سوريا، الفرصة لكي يتخلص من الضباط العرب، فاستعرض الفرقة وأحال عدداً من ضباطها على التقاعد، كما طرد عدداً آخر. وكان ياسين الهاشمي قد توقع في احد اجتماعات الفرع السرية، حسب ما نقل ذلك لنا الايوبي، عندما قال لزملائه: «يظهر ان جبال باشا قد أتى الى سوريا ليبطش بأحرار العرب»^(٦٦). إلا ان أحرار العرب، ايماناً منهم بعدالة قضيتهم، لم يتوانوا وانما استمروا في العمل من اجل الاستقلال والتحرر من السيطرة التركية. وقد توصلت جمعية العهد وشقيقتها جمعية العربية الفتاة الى قرار نهائي فحواه ان غاية العرب هو الاستقلال حفاظاً على كيان الأقطار العربية لاعداء للترك. اما اذا كانت البلاد عرضة لخطر الاستعمار الاوربي، فالجمعيتان تعملان مع احرار العرب للدفاع عن الاقطار العربية جنباً الى جنب مع الاتراك أنفسهم. وقد اتصل مندوبو الجمعيتين بالشريف حسين، شريف مكة واطلعوا ولده فيصلأ على قرارهم وسلموه ميثاقاً في أيار ١٩١٥ يتضمن الشروط التي يطالب الزعماء العرب بتحقيقها كي يقوموا بثورة يترعماها الشريف حسين واهمية الميثاق الذي عرف بميثاق او (بروتوكول) دمشق فيها بعد، تكن في ان الشريف حسين، استند اليه في إعلان الثورة العربية في حزيران ١٩١٦.^(٦٧)

جمعية العلم السرية :

تأسست هذه الجمعية في الموصل بجهود بعض المدنيين المؤمنين بالقضية القومية العربية وذلك في سنة ١٩١٤ وقبل الحرب العالمية الاولى^(٦٨) وقد

اختار مؤسسيها هذا الاسم ليستطيعوا ان يأولوا من العلم (بفتح العين واللام) الى العلم (بكسر العين) عند الضرورة خوفاً من بطش السلطات الاتحادية^(٦٩).. ويذكر المؤرخ الروسي فلاديمير بوريسوفتش لوتسكي^(٧٠): «ان هذه الجمعية الصغيرة استهدفت الكفاح المسلح ضد الاتراك». وقد ذهب أحد المؤرخين الى ان هذه الجمعية، ربما كانت فرعاً مدنياً لجمعية العهد العسكرية^(٧١). ولكن الحقيقة تشير الى أن جمعية العلم تختلف عن فرع جمعية العهد في الموصل في مبادئها وتنظيمها وعملها، فهي جمعية سياسية قائمة بذاتها ولها منهج خاص بها^(٧٢) ولم يمنع هذا من اندماج الجمعيتين، كما سنرى، في ايار ١٩١٩^(٧٣).

ترجع فكرة تأسيس هذه الجمعية الى شاب مسيحي موصلي اسمه نيقولا عبد النور (شهر اسلامه فيما بعد وعرف باسم ثابت عبد النور)^(٧٤). كان يدرس القانون في استانبول. عاد الى الموصل اواخر سنة ١٩١٣ موقداً من قبل جمعية المنتدى الادبي «ليستطلع آراء الشباب العربي المثقف في الموصل، وليتعرف على ما يحتاجونه من عون وخدمات اذا ما ذهبوا للدراسة الجامعية في الاستانة». وقد تمكن هذا الشاب المتحمس ان يلتقي بعدد من الطلاب، ويظهر انه قد التجأ الى هذه الفكرة حتى يتمكن من ان يتصل بالشباب الموصلية بحرية تامة، لهذا حضر الى المدرسة الاعدادية، وقام بزيارة مديرها، ثم اتجه الى الصف «مستغلاً الحصة الاخيرة المخصصة للمذاكرة حيث لا يحضر فيها معلم». وقد روى عبد الرحمن صالح في مذكراته المخطوطة وكان احد الطلاب انذاك: ان «ثابت عبد النور بدأ الحديث بالتحارف والتوادد فالاشادة بذكاء العربي وتاريخه الذهبي». وقال: «ان بداية الحاكمية التركية كانت نهاية للسيادة العربية، وان البقاء على هذا الحال سيذهب بكل بقية عربية الى الزوال...». ووقف بشيد بالحضارة العربية ومكانتها في الأوساط العالمية.. وكيف ان العالم الاوربي قد رفع منزلة العرب اقراراً منه

وقد تناقش المجتمعون في الحالة التي وصلت اليها امورهم وانبرى مولود مخلص ليقول : « انتبهوا الى ماتريده منكم الاتراك من شرور. انتبهوا الى ما احاط بكم من الخطر ان العدو ففر فاه الكبير ليتلعبكم ... حافظوا على قوميتكم تعلموا ، علموا. دافعوا عن حقوق اتمكم واوطانكم ، فاننا عن قريب سوف نذهب من بينكم » .

وبعد ان انتهى مولود مخلص من كلامه اجابه محمد رؤوف الغلامي ، وهو اديب وتربوي معروف ، قائلاً : « نحن عند حُسن ظنكم . نحن مستعدون للموت لبخيا من بعدنا ، فكونوا على ثقة باننا سنكون من العالمين على خطتكم ومن المتعصمين بمبادئكم » . وقد كانت تلك الجلسة من أهم ماشجع القوميين على توحيد انفسهم داخل جمعية سرية (٨١) .

ضمت جمعية العلم عدداً من القوميين والشباب المتحمسين من الموصليين منهم : مكّي الشريتي ، ومحمد رؤوف الغلامي وعبد المنعم الغلامي وثابت عبد النور وحقي آل حسين اغا ، وحمدي آل محمد العبد الله وعمر الكلاوي ، وعبد الاحد الصانع واحمد بك الجليلي وعبد المجيد شوقي البكري ومحمد بك آل صالح بك ومحمد سعيد



• محمد سعيد الجليلي .

الجليلي وعبد الله العمري وغيرهم . كما اتصلت الجمعية بعدد من رجال الدين ووجه الموصلي وحصلت على تأييدهم ومن هؤلاء محمد سعيد

بفضلهم على الانسانية واستشهد قائلاً : « ان المتحف البريطاني يحتفظ برقوق عليها احجار فيها بقع سوداء... » وبعد ان سرح نظره في وجه الطلاب واصل القول : « انها احجار ملتقطة من ميدان (مرج دابق) الذي انتصر فيه السلطان سليم على جيش الخليفة العباسي الاخير فاراق السلطان التركي دماء عربية غزيرة ، فتح بعدها ديار الشام ومصر واغتصب الخلافة العربية وجعلها وقفاً على الترك من بني عثمان » (٧٥)

لقد تركت تلك الكلمات اثراً عظيماً في نفوس الطلاب ، وأحدثت ضجة كبيرة بين القوميين ، فتوافد عدد كبير منهم للحضور الى مجلسه البيتي ، فكان يلقي على مسامعهم شيئاً كثيراً من مآثر التاريخ العربي . وكان يثير فيهم الشعور القومي ويدعوهم الى تأسيس النوادي والجمعيات . وكان من نتائج ذلك ان شاع أمره ووصلت اخبار اجتماعاته مسامع السلطة فاحاطته بمجاسيسها (٧٦) . وقد اضطر ثابت عبد النور ، ازاء ذلك ان يفتح نخبة من الشباب الموصلي لتأسيس جمعية سرية غايتها « السعي وراء التحرر من النير التركي » (٧٧) بأسم « جمعية العلم » (٧٨) يكون شعارها العلم العربي الذي يتألف من الالوان الاربعة الابيض والاخضر والاسود والاحمر (٧٩) . فتم وضع اشارات للتعاون بين اعضاء الجمعية السرية ، واتخذت الاسماء المستعارة اسلوباً للعمل (٨٠) .

ومما شجع العاملين في الحركة القومية على تأسيس هذه الجمعية تحريض بعض الضباط القوميين امثال علي جودت الابوي ومولود مخلص على تنظيم انفسهم وتوحيد جهودهم . وكان هذان الضابطان يترددان على مجالس المؤمنين بالحركة القومية . وقد روى أحد ممن شهد هذه المجالس ان مولود مخلص وعلي جودت حملا في يوم من الايام ، قبيل نشوب الحرب العالمية الاولى ، جريدة النهضة البغدادية الى احدى هذه الجلسات ، وقد نشرت قصيدة للشاعر عبد الرحمن البناء يرثي فيها اللغة العربية ، ويث العرب على احيائها ونصرتها .



ثابت عبد النور

من المتسبين لمهنة التعليم ومنهم رجال دين وتجار وكسبة وطلبة بينما اقتضت العهد على العسكريين^(٨٨). وقد اتخذت الجمعية مقراً سريراً لها في محلة خبزج بالجانب الايمن من الموصل. وكان ظاهرياً داراً لسكن احد قادتها وهو محمد رؤوف الغلامي^(٨٩). وقد انتمى الى الجمعية في اوقات مختلفة عدد كبير من الموصلين، ومن مختلف الاعمار والطبقات نذكر منهم عبد الله افندي باشعالم ويحيى الشيخ عبد الواحد المعروف بـ (يحيى قاف) وباسين العربي ومحمد امين العمري ومصطفى الحاج حسين اغا الجليلي، وعبد الله اسماعيل الخياط، وغيرهم^(٩٠).

لقد وجدت الجمعية، في الحرب العالمية الاولى فرصة كبيرة لنشر الفكرة العربية وبث الشعور القومي بين الاهالي على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم العلمية. كما تولت ترجمة بعض الفصول من كتاب «قوم جديد» الذي ألفه عبيد الله التركي ووزعته ليفهم الناس مافيه من كيد وعداء للعرب والمسلمين^(٩١). وخلال الحرب كذلك اتصلت الجمعية بالشريف حسين، وقامت بنشاط سري في تحريض السكان والجنود العرب ضد الاتراك^(٩٢). وقد بدأت الجمعية تقاوم فكرة ان الحرب التي تخوضها الدولة العثمانية، حرباً دينية.

وبعد اعلان الشريف حسين الثورة في الحجاز في حزيران سنة ١٩١٦ أنقسم الرأي العام في الموصل تجاه تلك الثورة قسمين. فقد نظر العامة

الغلامي ومحمد طاهر الفخري ونوري الفخري وأمين الجليلي ومحمد ضياء بك آل شريف بك^(٨٢).

لقد تضمن منهاج جمعية العلم في مادته الثالثة «ان غاية الجمعية الاستقلال العربي» و«السعي باخراج كل حكومة اجنبية من البلاد العربية»^(٨٣). أما المادة السادسة من منهاج فقد نصت على ان «الجمعية متشكلة من هيتين: الهيئة المركزية والهيئة الفرعية». وكانت الهيئة المركزية تتألف على الاكثر من خمسة افراد، وينزل هذا العدد الى ثلاثة نظراً لتبدل الاحوال. ويكون للهيئة المركزية مرخص (معتمد) وكتاب وامين صندوق. وفيما يأتي بعض اسماء القادة المؤسسين الاوائل لجمعية العلم^(٨٤). وما يلحظ انهم من بيئة اجتماعية متواضعة^(٨٥).

الاسم الحقيقي	الاسم المستعار	المهنة آنذاك
ثابت عبد النور	حسان طارق	طالب في كلية الحقوق في استانبول
مكي الشربيني	طارق	كاتب في المجلس العرفي في الموصل
محمد رؤوف الغلامي	نابذ الحق	مدير مدرسة دار العرفان في الموصل
رؤوف الشهبواني	المغيرة	طالب في دار المعلمين في الموصل

انتخب ثابت عبد النور رئيساً للجمعية بعنوان (مرخص) وعرف بصراحته وجرأته، فكان يجاهر امام الناس بالروح القومية، ويندد بالأتحاديين. وقد كتب عنه ابراهيم الواعظ^(٨٦) يقول: «كان ثابت عبد النور اللولب المتحرك في الموصل، وصلة الوصل بين الذين يشتغلون في القضية العربية». وكانت اجتماعات الهيئة المركزية تعقد في داره مما ادى الى وضعه تحت المراقبة، واخيراً فاجأته الشرطة في داره وألقت القبض عليه وارسلته مخفوراً الى بغداد. وكان ذلك خلال سنة ١٩١٥ قد استمر كمرخص للجمعية حتى اواخر كانون الثاني ١٩١٩^(٨٧).

تميزت جمعية العلم عن فرع الموصل من جمعية العهد بانها كانت مدنية الطابع، وان جُلّ اعضائها

التركية والالمانية في الموصل الذي تضمنته النشرات التركية «عثماني اژانسي»^(١٠١). كما كانت الجمعية تتصدى للبلاغات الرسمية التي تصدرها القنصلية الالمانية في الموصل بأسم «البلاغات الرسمية لحكومة الامبراطورية الالمانية». والتي كانت تحمل اخبار نشاطات الجيش الالمانى وانتصاراته. وقد عملت الجمعية على تكذيب ودحض اخبار تلك النشرات وايقاف الاهالي على حقيقة الاخبار، وبث الدعاية للثورة العربية. واخذت الجمعية تظهر عداءها العلني للاتراك عن طريق توزيع المنشورات المعادية لهم، وبالتأكيد على حق العرب في ان يحكموا أنفسهم^(١٠٢).

استمر النشاط السياسي لجمعية العلم الى ان انسحب الاتراك من الموصل، ودخلتها القوات البريطانية صبيحة اليوم العاشر من تشرين الثاني سنة ١٩١٨ وعبر أعضاء الجمعية عن فرحتهم بانسحاب الاتراك بظاهرة ارتدوا خلالها الزبي العربي^(١٠٣). ولكن الجمعية سرعان ما صيبت بخيبة أمل كبيرة، حين اخبر الحاكم السياسي والعسكري البريطاني الكولونيل (العقيد) ليجمن leachman مرخص الجمعية مكى الشربتي ان على الجمعية حل نفسها والاعتماد على السلطات البريطانية في ادارة شؤون الحكم في الموصل.. عندئذ عقدت الجمعية اجتماعاً سرياً وقررت البدء بمقاومة المحتلين الجدد، وانتاج اساليب جديدة للمقاومة ومن ذلك توسيع قواعدها التنظيمية، وانشاء واجهات ثقافية وعلمية كالنوادي والمدارس والمكتبات. وقد اسست لهذا الغرض مكتبة الخضراء ومدرسة النجاش والمدرسة الاسلامية^(١٠٤). وكان لهذه المؤسسات دورهم في تصعيد حركة المقاومة العربية الموصلية لاحتلال والانتداب البريطاني، خاصة بعد ان قبلت برنامج جمعية العهد العراقي التي تأسست في سوريا سنة ١٩١٩ واصبح اسمها جمعية العهد العراقي فرع الموصل^(١٠٥). وبعد ان اشترطت على مركز العهد العراقي العام في دمشق الغاء المادة القائلة

من الناس الى الشريف حسين على انه (خائن) أو (متمرد) على الدولة العثمانية المسلمة، لتحالفه مع اعداء المسلمين من الانكليز وشاركهم في تلك النظرة عدد من ذوي المنازع الدينية من المثقفين. اما المثقفون من القومييين فقد وجدوا في ثورة الشريف حسين مبتغاهم في الحصول على الاستقلال^(١٠٦). والى شيء من هذا القبيل يشير محمد طاهر العمري^(١٠٧) اذ يقول: «وقد كان للثورة الحجازية وقع عظيم على نفوس احرار سوريا والعراق. فلما سمعوا بها انضم الى الشريف كثير من الضباط والرجال العراقيين والسوريين، فلبوا دعوته للقيام باتمام مشروع الثورة العربية، ومنهم من هرب من الموصل.. والتحق بجيش الثورة لخدمة لمستقبل العرب في استقلالهم».

وكان معظم الذين التحقوا بالثورة من الموصلين، من اعضاء الجمعيات السرية. نذكر منهم على سبيل المثال: محمد شريف الفاروقي، وعلي جودت الايولي، ومولود مخلص، وعبد الله الدلشي، وداؤد صبري المدفعي واخوه محمد سامي المدفعي^(١٠٨) كما تمكن ثابت عبد النور نفسه من ان يهرب من سجنه في بغداد ويلتحق بالثورة^(١٠٩). وقد بقي اعضاء جمعية العلم على اتصال تام باحداث الثورة العربية. اذ تمكنت الجمعية من الحصول على المنشورات والبيانات التي اصدرها الشريف حسين، والتي تدعو الى مناصرته والعمل ضد الاتراك^(١١٠). وقد تولى مكى الشربتي مرخصة الجمعية بعد اعتقال ثابت عبد النور.. واخذ يعمل على اعادة تنظيم اعمالها ومعاودة نشاطها.. وقد انضم اليها اعضاء جدد.. كما استطاعت الجمعية التغلغل بين افراد الجيش العثماني وتحريض ابناء الموصل على الفرار والالتحاق بالثورة العربية^(١١١). وربما كان للجمعية يد في الانتفاضة التي قامت بها حامية مدينة الموصل في نيسان سنة ١٩١٦ وكانت الحامية مكونة من الجنود العرب^(١١٢).

هذا وقد تصدت جمعية العلم لنشاط الدعاية

بالاستفادة من معاونة بريطانيا للعرب من منتهجه .
وقد ضاعفت الجمعية نشاطها في مقاومة
المستعمرين الانكليز، ولعل تنظيمها لحركة تلغفر
١٩٢٠ ابرز مثل على ذلك .

خاتمة :

على الرغم من أوجه النشاط الموصل المتنوع في
الجال القومي فان الباحث البريطاني ستيفن همسلي
لونكريك ينعت الوعي القومي العربي في الموصل
في مطلع القرن العشرين بالضعف^(١٠٦) . ويذهب
مذهبه عدد من الباحثين منهم غسان عطية^(١٠٧)
وعمد مظفر الادهمي^(١٠٨) وعلي الوردي^(١٠٩)
ووميض جمال عمر نظمي^(١١٠) ويتضح مما كتبه
لونكريك انه يستند في رأيه هذا على النقاط
الآتية :

١- هيمنة العوائل الرجعية والحفاظة .

٢- وجود طبقة من رجال الدين الرجعيين .

٣- توغل العنصر الكردي في داخلية الولاية^(١١١) .

ان المتبع لما قدمناه من تنامي الوعي القومي
العربي في الموصل خلال الفترة الواقعة من اواخر
القرن الثامن عشر وحتى الاحتلال البريطاني يرى
فيه من الادلة الكافية لاثبات ان الموصل كانت
مركزاً من مراكز الحركة القومية العربية ليس في
العراق وحسب ، بل وفي الوطن العربي كله . وان
(لونكريك) قد يكون مغالياً في معاكسة العوامل
الثلاث للتيار القومي العربي . فواقف افراد العوائل
ذات النفوذ المادي والاجتماعي لم يكن باكملة
سلبياً ، خاصة وان عدداً من افراد هذه العوائل كان
من بين العاملين في الحركة العربية . ففضلاً عما
ذكرناه في مطلع البحث هناك ما يؤيد قولنا ، فهذا
رشيد العمري عميد الاسرة العمرية يقول لثائب
القنصل البريطاني سنة ١٩١١ : « اذا كان
الالبانيون قد حصلوا على ما كانوا يطالبون به ، فاني
آمل بأننا سنعمل الشيء نفسه » . ويعلق المؤرخ
الاميركي فيليب ويلارد ايرلند^(١١٢) بقوله : « لعل
رشيد العمري كان يعبر عن رأي الكثيرين من

العرب الذين كانوا على علم تام بما يشعرون به » .
اما المس بل^(١١٣) فقد ذكرت في كتاب لها
صدر سنة ١٩١١ انها تعرفت في الموصل على احد
الوجهاء ووصفته بأنه ينتمي الى الطور القديم وسألته
عن الحافظ الذي يكن وراء الحركة العربية ؟ أجابها
بجاس : « ان العرب ينبغي ان يحكموا أنفسهم
بأنفسهم مهما كانت الظروف » .

اما رجال الدين فبعضهم تعاطف ، كما
لاحظنا ، مع القوميين ، بل وتعاون معهم ، كما هو
الامر في حالة جمعية العلم . ومع اننا لانكر اهمية
وقوة الشعور الديني في الموصل فانه لم يختلف كثيراً
عما كان عليه في الولايات العربية الأخرى . ثم ان
الشعور القومي سرعان ما اخذ يحتل مكانته الى
جانب الشعور الديني .. وفوق هذا وذاك فقد كانت
وجهة الموصل وجهة عربية اسلامية لعوامل جغرافية
 واجتماعية كثيرة .

كما ان القوميتين العربية والكردية سارتا في
خطين متوازيين يستهدفان التحرر من السيطرة
الاجنبية ولم يكن في مسارهما تناقضاً وتخالفاً .. وقد
اتضح ذلك في حركات المقاومة العربية والكردية
التي واجهها البريطانيون بعد احتلالهم الموصل سنة
١٩١٨ .

الهوامش

(١) انظر : أمين بن خير الله العمري ، منهل الايلاء وشرب
الاصفياء من سادات الموصل الحدياء ، تحقيق سعيد الديوبه
جبي ، ج ١ ، (الموصل ، ١٩٦٧) ، ص ٢٩٠ .

(٢) انتضحت هذه الزعة في الشعر الموصل انذاك .. وثمة قصيدة
لشاعر حسن عبد الباقي الموصل (ت ١٧٤٤) اذ يقول فيها
مخاطباً الوالي الجليلي بقوله :

لو لم يكن خير من في الروم رقابطة

ما كنت من خير من في العرب منتخبا
ويقصد بالروم (الأتراك) والسultan العثماني كان عمود الاول
(١٧٣٠ - ١٧٥٤) المعاصر للحاج حسين باشا الجليلي . انظر :
عماد عبد السلام رؤوف ، الموصل في العهد العثماني ، فترة
الحكم الهللي ١٧٢٦ - ١٨٣٤ ، (التجف ، ١٩٧٥) ، ص
٣٦٥ - ٣٦٦ .

(٣) انظر : دنون يونس حسين الطائي ، الانتماءات الاصلاحية في

- (٢١) انظر: الجابري، المصدر السابق، ص ٥٤٤ وكذلك احمد، ولاية الموصل، ص ١٤٥.
- (٢٢) جريدة الفيد ١٠ أيلول ١٩١٣ كما وردت في: توفيق علي برو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، (القاهرة، ١٩٦٠)، ص ٨١.
- (٢٣) انظر: ابراهيم خليل أحمد مهمة مليون فريقي القومية في الموصل سنة ١٩١٣ والاراء مجلة بين النهرين، السنة (٨)، العدد (٣٢)، الموصل، ١٩٨٠ ص ٤٣٢ - ٤٣٥.
- (٢٤) عبد النعم الغلامي، السوانح، (الموصل، ١٩٣٢) ص ص ١١ - ١٢.
- (٢٥) احمد، الحركة العربية في الموصل، ص ٨٢.
- (٢٦) المصدر نفسه، ص ٨٢.
- (٢٧) امين سعيد، الثورة العربية الكبرى، ج ١، (القاهرة) ١٩٣٤، ص ٤٦ وكذلك محمد مهدي البصير، تاريخ القضية العراقية، ج ١، (بغداد، ١٩٢٣)، ص ٣٣.
- (٢٨) Hassan Saab, The Arab Federalists of ottoman Empire, (Amsterdam, 1958) p. 234.
- (٢٩) انظر كتابه: بقطة العرب، ص ١٩٧.
- (٣٠) برو، المصدر السابق، ص ٨١.
- (٣١) المصدر نفسه، ص ٥٦٠.
- (٣٢) المصدر السابق، ج ١، ص ٤٦ وكذلك برو، المصدر السابق، ص ص ٥٥٧ - ٥٥٩.
- (٣٣) نوري السعيد، محاضرات عن الحركات العسكرية للجيش العربي في الحجاز وسوريا ١٩١٦ - ١٩١٨، (بغداد، ١٩٤٧)، ص ٥.
- (٣٤) انظر مذكراته ١٩١٤ - ١٩٣٢، ج ١، اعداد خيرية قاسية، (بيروت، ١٩٧٥)، ص ١٥.
- (٣٥) انطونيوس، المصدر السابق، ص ١٩٧.
- (٣٦) Ghassan R. Atiyah, Iraq 1908 - 1921 (Beirut, 1973), p. 60.
- (٣٧) انظر: احمد، الحركة العربية في الموصل، ص ٨٢.
- (٣٨) تحسين العسكري، مذكراتي عن الثورة العربية الكبرى والثورة العراقية، ج ١، (بغداد، ١٩٣٦)، ص ٤٠.
- (٣٩) عبد النعم الغلامي، اسرار الكفاح الوطني في الموصل ١٩٠٨ - ١٩٢٥، ج ١، (بغداد، ١٩٥٨)، ص ص ٤٤ - ٤٥.
- (٤٠) حول ختم الجمعية انظر: البصير، المصدر السابق، ص ٢٢.
- (٤١) العسكري، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠.
- (٤٢) يحيى، المصدر السابق، ص ٣٠.
- (٤٣) يذكر غسان عطية على الصفحة (٦٠) من كتابه السالف الذكر: أن قيادة جمعية العهد في الموصل كانت تتألف من: مولود مخلص، وعلي جودت، وعبد الرحمن شرف، ومحمد شريف القاروفي، وعبد الله الدلسي.
- (٤٤) للتفاصيل: انظر: يحيى، المصدر السابق، ص ٣٠.
- (٤٥) انظر مذكراته المنشورة بعنوان: ذكريات ١٩٠٠ - ١٩٥٨، (بيروت، ١٩٦٧)، ص ١٤.

- اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لكلية الاداب - جامعة الموصل ١٩٩٠، ص ٤٢.
- (٤) انظر كتابه: غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، نشره محمد صديق الجليلي، (الموصل، ١٩٤٠)، ص ص ٤٨ - ٤٩، ٥٨.
- (٥) للتفاصيل انظر: ابراهيم خليل احمد والغزو الفرنسي لمصر في كتاب المؤرخ موصل، جريدة الحداثة، الموصل، ١٥ أيار ١٩٨٤.
- (٦) للتفاصيل انظر: البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة ١٧٩٨ - ١٩٣٩، ترجمة كريم عزقول، ط ٣، (بيروت، ١٩٧٧)، ص ٢٦.
- (٧) الطائي، المصدر السابق، ص ص ٣٩ - ٤٠.
- (٨) المصدر نفسه، ص ص ١٩٩ - ٢٠٠.
- (٩) كان الثقوفون الموصليون، فضلاً عن ذلك يكتبون المقالات وينشرون القصائد في الصحف العثمانية والمصرية والسورية. انظر: ابراهيم خليل احمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، (الموصل، ١٩٨٢)، ص ١٩.
- (١٠) عبد الله الفياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، (بغداد، ١٩٦٣)، ص ٤١.
- (١١) ابراهيم خليل احمد، الحركة العربية في الموصل قبيل الحرب العالمية الاولى، مجلة الخليج العربي، البصرة، العدد (٧)، ١٩٧٧، ص ٨١.
- (١٢) ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ - ١٩٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة بغداد سنة ١٩٧٥، ص ١١٧.
- (١٣) انظر: ابراهيم خليل احمد، صدى العدوان الايطالي على ليبيا ١٩١١ في الموصل، جريدة الحداثة، ٢٤ نيسان ١٩٨٤.
- (١٤) انظر: ابراهيم خليل احمد، اثر الصحافة في تنامي الوعي القومي في الموصل، مجلة بين النهرين، السنة (٣)، العدد (١٢)، ١٩٧٥، ص ص ٢٨٥ - ٢٩٠.
- (١٥) انظر: جورج انطونيوس، بقطة العرب، ترجمة ناصر الدين الاسد واحسان عباس، ط ٢، (بيروت، ١٩٦٦)، ص ١٨٥.
- (١٦) انظر: عاليه ديوان حرب عرني سنده تدقيق اولوانا مسئله سياست حقته، ايضاحات درنجي همايون طرفندن نشر ايدلشدر، (استانبول، ١٣٣٢) ص ٦٢.
- (١٧) سليمان فيضي، في غمرة الضلال، نشره عبد الحميد فيضي، (بغداد، ١٩٥٢)، ص ٧٥.
- (١٨) المصدر نفسه، ص ١٢١.
- (١٩) للتفاصيل انظر: محمد هليل الجابري، الحركة القومية في العراق بين ١٩٠٨ - ١٩١٤، رسالة دكتوراه غير منشورة قدمت لكلية الاداب/ جامعة بغداد ١٩٨٠، ص ٤٥٣.
- (٢٠) انظر: عبد الفتاح علي يحيى، الحياة الحزبية في الموصل ١٩٢٦ - ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لكلية الاداب - جامعة الموصل ١٩٩٠، ص ٢٢.

- (٧٣) نظمي، المصدر السابق، ص ٩٨.
- (٧٤) كتب الأستاذ عبد الرحمن صالح في مذكراته المخطوطة بعنوان «كتاب العمرة الورقة ١١٨: «وان يقولوا عبد النور شاب موصل متحمس... ظهر باسم عربي هو ثابت عرف به وبين صحبه».
- (٧٥) عبد الرحمن صالح، كتاب العمر، الورقة ١٨.
- (٧٦) انظر: ابراهيم خليل احمد «جمعية العلم السرية ودورها في تنامي الوعي القومي العربي في الموصل حتى ١٩١٨»، مجلة بين النهرين، العدد (٢٦)، ١٩٧٩، ص ٢١٠.
- (٧٧) الغلامي، السوانح، ص ص ١١٢-١٢٠.
- (٧٨) انظر مناهج الجمعية في المصدر أعلاه.
- (٧٩) وهذا العلم، كما يبدو، هو العلم ذاته الذي رفعه بعض شبان المنتدى الادبي في استانبول ١٩٠٩-١٩١١. وعندما أعلن الشريف حسين الثورة العربية الكبرى ضد الاتراك سنة ١٩١٦ تبناه مع اجراء بعض التحوير عليه.. وهو اليوم علم فلسطين وعلم حزب البعث العربي الاشتراكي. انظر سليمان موسى، الحركة العربية ١٩٠٨-١٩٢٤، (بيروت، ١٩٧٠)، ص ص ١٣٥-١٣٨.
- (٨٠) احمد، جمعية العلم السرية، ص ٢١٠.
- (٨١) الغلامي، السوانح، ص ص ٧١-٧٥.
- (٨٢) احمد، ولاية الموصل، ص ١٦١.
- (٨٣) أجريت عدة تعديلات على المناهج، خاصة بعد احتلال الانكليز للموصل سنة ١٩١٨.. انظر نص المناهج في بحثنا جمعية العلم السرية، ص ص ٢١٥-٢١٨.
- (٨٤) جريدة صدى الاحرار ١٥ آب، ٣ تشرين الاول ١٩٥٢.
- (٨٥) نظمي، المصدر السابق، هامش ص ٩٨.
- (٨٦) انظر: مصطفى نور الدين الواعظ، الروض الازهر في تراجم السيد جعفر، نشره وعلق حواشيه ولده ابراهيم الواعظ، (الموصل، ١٩٤٨)، ص ٥١٧.
- (٨٧) جريدة صدى الاحرار ١٦ ايار ١٩٥٢.
- (٨٨) احمد، جمعية العلم السرية، ص ٢١٢.
- (٨٩) جريدة صدى الاحرار ٢٢ آب ١٩٥٢.
- (٩٠) يحيى، المصدر السابق، ص ص ٣٦-٣٧، صدى الاحرار ١٠ تشرين الاول ١٩٥٢.
- (٩١) الغلامي، السوانح، ص ص ٩٩-١٠٠، ١٠٥.
- (٩٢) نظمي، المصدر السابق، ص ٩٨.
- (٩٣) مقابلة شخصية مع المرحوم حمدي جليمران بتاريخ ٢٣ تشرين الاول ١٩٧٣.
- (٩٤) انظر كتابه: تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج ١، ص ٣١٠.
- (٩٥) انظر: الايوبي، المصدر السابق، ص ٣٥، العمري، المصدر السابق، ج ١، ص ص ٢١٩، ٣٢٦ وجريدة صدى الاحرار ٣٠ ايار ١٩٥٢.
- (٩٦) العسكري، المصدر السابق، ج ١، ص ١١٨.
- (٩٧) الغلامي، السوانح، ص ١٠٢.
- (٩٨) جريدة صدى الاحرار ٩ حزيران ١٩٥٢.
- (٤٦) انظر مذكراته المنشورة بعنوان: مذكرات فوزي القاوقجي ١٩١٤-١٩٣٢، ج ١، اعداد الدكتور خيرية قاسمية، (بيروت، ١٩٧٥)، ص ١٥.
- (٤٧) العسكري، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠ وكذلك الايوبي، المصدر السابق، ص ٣٠.
- (٤٨) المصدر السابق، ص ١٨.
- (٤٩) العسكري، المصدر السابق، ج ١، ص ص ٤٠-٤١.
- (٥٠) انظر: طه الهاشمي، مذكرات طه الهاشمي، (بيروت، ١٩٦٧)، ص ٦ وكذلك الايوبي، المصدر السابق، ص ٣٠، العسكري، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٠.
- (٥١) انظر: ابراهيم خليل احمد «جمعية العهد فرع الموصل ونشاطاتها قبيل الحرب العالمية الاولى»، مجلة الجامعة، الموصل، العدد (١)، تشرين الاول (١٩٨٠ ص ٥٥).
- (٥٢) الحباري، المصدر السابق، ص ص ٢٥٦-٢٥٨.
- (٥٣) احمد، جمعية العهد، ص ٥٦.
- (٥٤) انظر: الغلامي، السوانح، ص ٧٠، جريدة صدى الاحرار ٢ ايار ١٩٥٢.
- (٥٥) جريدة البلاد ٣١ كانون الثاني ١٩٣٨.
- (٥٦) انظر على سبيل المثال: اسرار الكفاح الوطني في الموصل، ج ١، ص ص ٤٣-٤٥.
- (٥٧) انظر كتابه، تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج ٣، (بغداد، ١٩٢٤)، ص ص ٤٥-٤٦.
- (٥٨) المصدر نفسه، ص ٤٦.
- (٥٩) انظر مذكرات طه الهاشمي، ص ٦.
- (٦٠) حين علم الاتحاديون بوجود حركة عربية بين الضباط العرب أمروا باعتقال الضابط عزيز علي المصري في شباط سنة ١٩١٤ انظر: انطونيس، المصدر السابق، ص ص ١٩٧-١٩٨.
- (٦١) جبال باشا، مذكرات جبال باشا، تعريب علي أحمد شكري، (القاهرة، ١٩٢٣)، ص ٩٠.
- (٦٢) امين سعيد، المصدر السابق، ج ١، ص ص ٤٦-٤٧.
- (٦٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤٧.
- (٦٤) Atiyyah, op. cit., p. 69.
- (٦٥) العسكري، المصدر السابق، ج ١، ص ٤٢، جريدة البلاغ (الموصلية)، ٢١ كانون الثاني ١٩٣٨.
- (٦٦) الايوبي، المصدر السابق، ص ص ٣٠-٣١.
- (٦٧) خيرية قاسمية، الحكومة العربية في دمشق بين ١٩١٨-١٩٢٠، (القاهرة، ١٩٧١)، ص ص ٢٧-٢٨.
- (٦٨) انظر: وبيض جمال عمر نظمي، ثورة ١٩٢٠، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق، ط ٢، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٩٨.
- (٦٩) العمري، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٦.
- (٧٠) انظر كتابه: تاريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، (موسكو، ١٩٧١)، ص ٤١٣.
- (٧١) انظر: العمري، المصدر السابق، ج ١، ص ١٦٨.
- (٧٢) يحيى، المصدر السابق، ص ٣٢.

- (٩٩) الغلامي، السوانح، ص ١٠٣.
 (١٠٠) لوتسكي، المصدر السابق، ص ٤٤٠.
 (١٠١) احمد، جمعة العلم، ص ٢١٤.
 (١٠٢) المصدر نفسه، ص ٢١٤.
 (١٠٣) الغلامي، السوانح، ص ١٠٧.
 (١٠٤) للتفاصيل انظر: احمد، ولاية الموصل، ص ٣٢٧.
 (١٠٥) المصدر نفسه، ص ٥٩١.
 (١٠٦) انظر كتابه: Iraq, 1900 to 1950 (Beirut, 1968), p. 45.
 (١٠٧) انظر كتابه: Iraq 1908 – 1921, p. 69.
 (١٠٨) انظر رسالته للاجستير الموسومة: «المجلس التأسيسي العراقي: دراسة تاريخية سياسية» قدمت لكلية الاداب – جامعة بغداد سنة ١٩٧٣، ص ٢٦ وقد نشرت دون الفصل الاول ببغداد سنة ١٩٧٦.
 (١٠٩) انظر كتابه: لغات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٦، (بغداد، ١٩٧٦)، ص ٣٠٦.
 (١١٠) يقول على الصفحة (٩٨) في كتابه السالف الذكر معتمداً على سليمان فيضي (في غمرة النضال ص ص ١٢١ – ١٢٤) ان فيضي الذي زار الموصل في اب ١٩١٣ اشار الى العدد المحدود للعناصر العاملة من أجل القضية القومية العربية.
 (١١١) Longrigg, op. cit., p. 45 أما غسان عطية فيذكر على الصفحة (٦٩) من كتابه السالف الذكر: ان الموصل كانت مقلداً من معاول المحافظين العرب. وقد فشلت المحاولات لانشاء جمعية قومية عربية فيها. ويرجع ذلك الى سببين اولها: غياب الطبقة المثقفة وثانيها قوة الشعور الديني الذي يحول دون أي تمرد ضد سلطة (الخليفة) العثماني.
 (١١٢) انظر كتابه: Iraq: A study in political Development, (London, 1937), p. 229.
 (١١٣) انظر كتابها: Amurath to Amurath, (London, 1911), P. 253.

رؤا الحركه العربيه القوميه في الموصل

د. سيار كوكب علي الجميل

المقدمة :

تأثيرها البالغ منذ القرن التاسع عشر، ومنها :
 الطباعة والصحافة والتعليم وحركة الاتصال
 بمجتمعات وبيئات أخرى^(١). وكان لا بد ان تظهر
 النزعة القومية – العربية بجلاء في مدينة الموصل
 التي كانت من الحواضر العربية البارزة في تفاعل
 حركة النهضة العربية الحديثة، وتطور مضامينها
 تخلصاً من واقع الجمود والتخلف والانحطاط ؛ وقد
 استندت تلك النزعة في مصادرها التاريخية الى
 جانب التأثر بأراء المفكرين العرب والأتراك معاً،
 الى واقع فكري محلي استمد قوته وعناصره من
 «حكم محلي مؤسساني مبني على بيروقراطية قريبة
 الشبه من الحالة الاوربية»^(٢) .. فتمتعت الموصل
 بـ «انبثاق ثقافة عربية رصينة، وحركة اصلاحية،
 وفكرة قومية»^(٣).

هكذا، ظهر عدد من الرواد المفكرين والقادة
 والزعماء القوميين والمحامين والمعلمين المواصلة الذين
 اضطلعوا بأدوارهم السياسية والفكرية والميدانية –
 العسكرية في مدينة الموصل ذاتها.. او في

عاشت الموصل في مطلع القرن العشرين حالة
 احتدام فكري وايدولوجي متنوع الاتجاهات،
 ومتسارع الخطوات في التغيير واجراء التحولات..
 بغرض الخروج عن الطور العثماني القديم الذي ألفه
 المجتمع العربي على مدى زمني طويل. ومع تفاقم
 تعقيدات متباينة في التفكير السياسي الحديث بتبلور
 مبادئ جديدة على الساحة كالحرية والعدالة
 والمساواة، والعمل على فصل السلطات من خلال
 إقرار «الدستور» مقوماً تشريعياً أساسياً في الدولة
 والمجتمع معاً. وقد كرس ذلك كله النزعة القومية في
 المشاعر والوجدان في مواجهة حقيقة بين المبادئ
 الحرة والواقع المرير، وخاصة في عام ١٩٠٨م الذي
 يعد علامة فارقة في تطور التفكير العربي. ونقطة
 فاصلة نحو الانطلاق القومي والدعوة لأول مرة الى
 هوية عربية موحدة، ولكن وفق أساليب وخطط
 متباينة^(٤).

وفي مدينة الموصل تبلورت افكار جديدة
 ساعدت في انماها وانتشارها عوامل متعددة كان لها

تحليل الأبعاد التاريخية والاجتماعية للحركة القومية العربية في الموصل :

لقد كان لمدينة الموصل الدور المبرز على يد بعض ابنائها المستنيرين في التنديد العلني بالسياسة الطورانية التي اتبعتها جمعية الاتحاد والترقي ، او بالعمل السري ضد التطبيقات العنصرية التي مارسها اولئك الاتحاديون . ولقد تبلور كل ذلك على نحو متسارع اثر الحمية السياسية التي مُنِي بها مثقفو الموصل الذين كان قد بارك اغلبهم (وحتى المتدبئين منهم) في مبدأ الأمر ، الانقلاب الدستوري عام ١٩٠٨ ، فكان ان انقلبوا جميعهم ضد قاذته وزعمائه الذين امعنوا في اضطهاد العرب وشتى احرارهم ، وكبت مشاعر الجماهير ، وبدنهم بمشروع تريك ثقافتهم ولغتهم وموارثهم وتقاليدهم العربية كافة .

وهكذا سنجد بعد مقارنة المواقف والأدوار ، وما اذاعه البعض ، وما كتبوه ونشروه اثر الانقلابية النفسية (السايكولوجية) التي حَقَّت بهم ، ان جهود الرواد المواصله الأوائل من القوميين الاحرار لم تل حصتها التاريخية بعد من الدراسة والذوبوع والمعرفة لمدينة تعد بؤرة اشعاع قومي ، وقاعدة من قواعد الانطلاق الفكري والنهضة العربية^(٦) . ان هذا الرأي يخالف جملة وتفصيلاً ما كان كتبه كل من سليمان فيضي ود. وميض جبال عمر نظمي ... وغيرهما إذ نعتوا النشاط القومي العربي في الموصل بالضعف لأسباب عديدة منها النزوع الديني والانقسام الاجتماعي وهيمنة العوائل القديمة^(٧)

ان نظرة فاحصة في الميراث القومي لرجال الموصل الأوائل ستعكس ضوءاً ساطعاً يبدد بعض الاحكام المستعجلة وغير الدقيقة ، ناهيك بأن هذا الموضوع بحاجة الى دراسات أخرى تخالف نتائجها مجمل الاحكام والآراء التي أطلقها البعض من الغلاة في الجانب الآخر ، او تقويم جمعية على

العاصمة استانبول او حلب ودمشق وبغداد ومصر والبصرة والحجاز . فقد كان رؤاد الحركة العربية - القومية في الموصل قد نظموا انفسهم حسب مؤهلاتهم وقدراتهم وابداعاتهم الى صنفين : كان للصنف الاول دوره الفكري والأدبي ، إذ عبّر رجاله من خلال خطابهم القومي عن مواقف سياسية مدنية ، في حين كان للصنف الثاني منهم مشاركاته الحقيقية والفعالة في تكوين الحدث التاريخي - القومي ، وخاصة في العمليات العسكرية الميدانية او السياسية الدبلوماسية . وكان كل من الصنفين قد تعرّض سلفاً للملاحظات والاضطهاد سواء من خلال مشاركتهم في الجمعيات القومية ذات الطابع المدني والعسكري ، ام من خلال وسائل التعبير الاخرى كالصحافة والخطابة والتجمعات والعلاقات السياسية^(٨) .

نستطيع القول أيضاً ان المعلومات لم تزل مبتسرة وغير معروفة الى حد يومنا هذا عن رجال مواصلة قدّموا للقضية العربية اثنان الفترة ١٩٠٨ - ١٩١٨ م ، جهوداً قومية شريفة في سبيل الوصول الى تحقيق الاهداف السامية التي نذروا انفسهم من اجلها ردحاً طويلاً من الزمن الصعب اثنان عهد حكم الاتحاديين الذي بدأ بانقلاب عام ١٩٠٨ ، وكان قد احدث اولئك الرجال ردود فعل واسعة النطاق في اكثر من مكان اثر قيامهم بأدوار سياسية وفكرية خطيرة . علماً بأن ما كتب عن النشاطات القومية في الموصل حتى يومنا هذا تسوده المبالغة والتوهّم وعدم التدقيق في طبيعة المواقف وحقيقتها ، والاستسلام لمقالات شخصية كتبت عن ادوار البعض وتجاهل ادوار بعض آخر ، وذلك لقلّة الاعتماد على الوثائق الرسمية وصحف ومقالات وكتابات ما قبل تأسيس العراق المعاصر عام ١٩٢١ ؛ اي ندرة الاعتماد على الأثر الفكري والقومي للفترة ١٩٠٨ - ١٩١٨ م .

حساب جمعية أخرى، وإبراز شخص على حساب آخرين..

السؤال الآن: هل كان الاحساس الحاد بالعروبة في الموصل تطفه نظرة اسلامية؟ وسؤال آخر يقول: هل كانت الحركة القومية في الموصل محرومة من القائد الذي يعد وجوده آنذاك ضرورياً لتطواري تنظيم سياسي مقارنة ببغداد التي وجدت السويدي على رأسها والبصرة التي كان طالب النقيب يقودها؟

ولكني نجيب عن ذلك، لا بد لنا ان نتعمق قليلاً في استبطان الاتجاهات الفكرية لعدد من القوميين المواصله الأوائل^(٨)، فهناك من تأثر منهم بأفكار الاصلاحية الاسلامية وفكرة «الجامعة الاسلامية» التي نشرها جمال الدين الافغاني ومحمد عبده امثال: محمد حبيب العبيدي وسعيد الحاج ثابت وروؤف الغلامي وغيرهم (من جيل المعلمين الشباب). وهناك من الرجال القوميين الرواد الذين تأثروا بالفكرة القومية الصرفة التي تقوم اساساً على المبادئ الدستورية الحديثة مجازين في ذلك الآراء التي أذاعها نجيب عازوري وعبد الغني العريسي وعبد الكريم الخليل، امثال: داود الملاح آل زيادة وعلي الجميل الموصل وخير الدين العمري وثابت عبدالنور. وهناك من تأثر بالفكرة العثمانية اللامركزية أي بـ «الاصلاحية المدنية» والتي أذاعها رفيق العظم وحنّي العظم ومحمد رشيد رضا، فكان ان تأثر بها سليمان فيضي الموصل (بوساطة السيد طالب النقيب في البصرة) من خلال مهمته الاصلاحية (التي اسماها بالقومية) والتي لم تلق صدى يذكر في الموصل^(٩). وهناك من زامل واشترك مع عزيز علي المصري في تأسيس جمعية العهد التي اتسمت بطابعها العسكري، ولاسيما بعض ضباط الموصل الى جانب بعض اخوانهم من الضباط العراقيين والذين سيكون لهم ذلك الدور المؤثر على الساحة الميدانية العربية ضد الاتراك، ومن أبرز

اولئك الضباط المواصله: محمد شريف الفاروقي وعلي جودت الايولي ومولود مخلص وعبدالله الدلحي وغيرهم، وهم الذين تحملوا اعباء ومهام بارزة في عمليات الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ سواء على مستوى الدبلوماسية السياسية ام على مستوى العمليات العسكرية^(١٠).

اما بالنسبة للسؤال الثاني فيهدف الى معالجة حرمان الموصل - فعلاً - من القائد الملمهم أو مايسمى بـ «الزعامة الملهمة (الكاريزما)»، فلذلك كله عوامل وأسباب متعددة منها: -

١. لم يكن المجتمع المحلي في الموصل متغلقاً على نفسه إبان القرن التاسع عشر كغيره من المجتمعات المحلية العربية التي انفتحت مباشرة على الافكار النهضة والتجديدية التي عاشتها بلاد الشام ومصر مثلاً، بل كان للموصل رجالاتها الكثيرون من الأدباء والعلماء البارزين المؤسسين الذين كانت لهم مكانتهم القيمة في الاوساط العربية، أمثال: عبدالباقي الفاروقي والملا عثمان الموصل وأقلميس يوسف داود، ونعوم فتح الله سحار وشهاب الدين الملبسي واحمد عزت باشا العمري.. بل اتسعت سمعة هرمز أنطون رسام لتكون دولية في علم الآثار الاشورية^(١١).

٢. حظيت الموصل بأدوات واساليب طباعية وصحافية وعلاقات ثقافية وعامة، وطبع كتب ودواوين شعرية.. ومدارس وهيئات تعليمية مدنية ورشدية بفعل السياسات الاصلاحية والخطط التحديثية التي مارسها الآباء الدومنيكان وغيرهم في الموصل خلال القرنين المتأخرين، هذا الى جانب ما حظيت به الموصل من المدارس الدينية - الاسلامية المتعددة والتي تخرج فيها العشرات من العلماء والكتاب والفقهاء والادباء الذين أثروا الحياة العلمية والادبية العربية في الموصل.

٣. لم يتوقع رجالات الموصل داخل اسوار مدينتهم في تحركهم الثقافي والفكري والقومي

والسياسي والميداني ، فقد انتشروا في اماكن وحواضر وأقاليم عدة كاستانبول وبغداد والبصرة وبلاد الشام.. وخاصة اولئك الرجال الذين كان لهم فعل مؤثر على منشأ الحركة العربية من خلال الجمعيات القومية المدنية والعسكرية.

٤. التباين البيئي - الاجتماعي في الانحدار الطبقي المحلي ليس لرواد الحركة القومية في الموصل ، بل لفئة المثقفين والعلماء والادباء وسراة المدينة.. فضلاً عن تقوقع فئتين اجتماعيتين على نفسها ، كل واحدة تستمد لنفسها قيمها وموارثها من مرجعين تاريخيين تحكم علاقتهما بالجمتمع ، اولاهما : « السادة الاعرجية » التي تنتمي اليها عوائل معروفة في المدينة كآل الفخري والعبيدي والمفتي والنجيب.. وثانيها : « الشافعية » التي تقف على رأسها عائلة تخصصت في الافتاء الشافعي هي اسرة آل الغلامي.. كل ذلك خلق فجوة بين الاتجاهات ، وحرما تبلور الزعامة الريادية لها ، فضلاً عن الظروف الاقتصادية الصعبة التي عاشتها الموصل قبل الحرب العالمية الاولى مقارنة بحواضر عربية اخرى.. ناهيك عن الاوضاع السياسية والادارية القاسية خلال عهد الاتحاديين والتي قادت الى أسوأ الاحوال خلال الحرب العالمية الاولى.

٥. التعددية الاجتماعية والتنوع التاريخي لتراكيب مختلفة من الاسر القديمة وهي :

(١) اسر ذات أرومات عربية في المدينة
(٢) اسرة ذات جذور سلطوية حاكمة (كالحليين .)

(٣) أسر ذات مكانة اجتماعية وعلمية (كالعمريين).

(٤) أسر ذات نفوذ ديني وأدبي (كالنقباء والسادة..).

(٥) اسر ذات مكانة اقتصادية وتجارية غير قديمة ومن اصول غير عربية^(١٢).

كل ذلك ، فضلاً عن نماذج اخرى ؛ ولّد

اتهامات متعددة ، وولاءات متباينة ضمن المجتمع المحلي الواحد داخل اسوار المدينة ، وحال دون بروز زعامة ملهمة (كاريذية) قوية في الموصل عند مطلع القرن العشرين. إذ انغمز الحلييون في شؤون املاكهم وموارثهم ، وارتبطت عواطف العمريين بالعثمانيين حتى الرق الاخير من حياة الدولة العثمانية بدليل صلاتهم التاريخية باستانبول وبروز ثلاثة قواد عسكريين اشتهروا منهم هم : سامي باشا الفاروقي^(١٣) وهادي باشا العمري^(١٤) وثالثهم محمد شريف الفاروقي^(١٥) ، (إذ جنح هذا الاخير عن الحالة العثمانية الى القومية العربية فغداً سكرتيراً ودبلوماسياً معتمداً للشريف الحسين بن علي في مصر إبان نشوب الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦). اما النقباء والاشراف والسادة في الموصل فكانوا قد شغلتهم الشؤون المحلية في داخل المدينة ، ولم يأبهوا الى الدور الذي كان يملأ إرادتهم الاضطلاح به من أجل نصرته ، كما حدث ذلك بالنسبة للسيد طالب النقيب في البصرة والسيد عبدالرحمن الكيلاني (النقيب) في بغداد علماً بأن السيد عبدالغني النقيب (نقيب اشراف الموصل) كانت له مكانة عالية في نفوس ابناء الموصل.

٦. تعدد الاساليب والسبل والمصادر لدى مثقفي الموصل من القوميين والاصلاحيين والاسلاميين في مجابهة السياسة الطورانية التركية التي مورست في ميادين عدة. وقد استطاع أولئك الرجال ان يؤثروا تأثيراً عميقاً في النفوس ولدى الاهالي والسكان ، بل ونجحوا في غرس مبادئ وقيم تظهر لاول مرة ، وقد برزت على اسس واضحة.. ويمكننا فرز ثلاثة اساليب ومصادر ايدولوجية اساسية هي :

(١) الاسلوب التعليمي المستند على مصادر دينية واضحة ، وهو الذي مارسه عدد من المعلمين ، ومنهم : قاسم الشعار ورؤوف الغلامي



• داؤد الملاح آل زيادة.

مصير الدولة العثمانية ضد السياسات العدوانية التي كانت موجهة ضدها^(١٨). ولكن ما ان ظهرت مساوئي الحكم الاتحادي حتى انقلب داود الملاح آل زيادة على الاتحاديين، وأخذ يهاجمهم في نفس جريدتهم «نينوى» وباللغة العربية. وتعد هذه الخطوة نقطة تحول ليس لهذا الرجل فحسب، بل لأغلب رجالات الموصل ومثقفها (وحتى بعض رجال الدين المسلمين فيها) من الذين ادركوا جنوح الاتحاديين عن النهج الدستوري الذي كانوا اعلنوه، واتباعهم سياسة مركزية متطرفة.

بدأ داود الملاح آل زيادة بنشط في الاتجاه المضاد بنشره الفكرة الوطنية - القومية بين الشباب العربي^(١٩)، مُعبِّراً عن خيبة الامل التي مني بها العرب، ويقول: «قد كنا نتأق من تلك الامور قبل استنارة الدستور فلما انشق الظالم محصوراً، والمظلوم منصوراً، فاذا الامور تدور على محورها القديم والامة تقاسي العذاب الاليم والاستبداد على ازدياده والمتنفذ بالغ مراده قد صار له التطبيع في الاستبداد طبعاً»^(٢٠).

وقد وجد هذا الرجل أن الاصلاح هو الاسلوب الذي يتشمل الامة من تأخرها ونحطاطها. وقد دعا الى مبادئ العدالة وعلو الهمة والحريّة «فتى

ومحمود الملاح ورؤوف الشهبواني ومحمد سعيد الجليلي وعبد المجيد شوقي البكري وغيرهم.

(٢) الاسلوب الفكري والادبي المستند على مصادر قومية دستورية، وهو الذي مارسه عدد من الادياء والشعراء والمفكرين، ومنهم: داود الملاح آل زيادة وعلي الجميل الموصلّي ومكي صدقي الشريفي وسليمان فيضي وخير الدين العمري وصديقي الدمولوجي ود. داود الجليلي وغيرهم^(١٦).

(٣) الاسلوب العسكري والميداني المستند على مصادر عثمانية نظامية، وهو الذي مارسه عدد من الضباط الموصليين الذين كانوا قد تخرجوا في معاهد عسكرية عثمانية، ومنهم: محمد شريف الفاروقي ومولود مخلص وعبدالله الدليسي وعلي جودت الايوبي وجميل المدفعي وعبد الحميد الديوبّي وغيرهم.

لتقف عند تراجم أبرز الرواد الموصليين في الحركة العربية القومية ونستلهم بالمفكرين والادباء الذين تميزوا بتتاجاتهم القومية ثم تنتقل الى الضباط والمدرسين والمناضلين:

الرواد القوميون الاوائل

١. داود الملاح آل زيادة^(١٧)

ولد في الموصل سنة ١٨٦٣م، ونشأ فيها، وتلقى علومه على أيدي كبار علمائها وأدبائها. وغداً أديباً ونحياً عنانيه منذ البداية نحو القضايا السياسية من خلال خطبه الداعية الى النهوض والتقدم. ومن المؤكد ان دوره النهضوي قد تبلور بعد احداث الانقلاب الدستوري عام ١٩٠٨ ووصول الاتحاديين الى حكم الدولة، وكان عمره آنئذ (٤٥) سنة، فهو اذا، اكبر سناً من جميع رواد النزعة القومية في الموصل.

لقد أبدى الرجل جمعية الاتحاد والترقي، وانخرط عضواً فيها، وسعى بعد تأسيس جريدة «نينوى» في الموصل الى مناصرتها قولاً وفعلًا، كما دافع عن

حصل عندنا هذه الخصائص.. يقال قد بزغت عندنا
شمس المشروطة.. وطلع كوكب الحرية وهناك ينشق
فجر الترقى...» (٢١).

كما ودعا الى كسب العلوم والسعي للوصول الى
حالة مدنية من خلال الاقتداء بمن سبقنا في كيفية
بناء الاوطان وتكوين الحضارات ، ولا سيما اقتناء
سبل الاوربيين في العلوم والفنون واكتساب اساليب
الزراعة والصناعة (٢٢). و التفت الملاح الى ما تنجزه
الاسلاف من أمجاد وحضارة وتراث زاهر، فإلتفت
الى بني قومه بمحشم على مواكبة ماشيده الأوائل من
مآثر، إذ يقول : « فيا اهل الوطن من ذوي
الثروة : اما تنظرون هذا وطنكم العزيز الواجب
عليكم خدمته.. معطل من المعارف والصناعة
ومعري جسمه من التجارة والزراعة ، فهو حر» او
وطني مواسي تهزه الريحبة الى جلب معامل او
ماكينات لاهل وطنه» (٢٣).

كما ودعا هذا الرجل الى التعاضد والتآخي
والحبة بين جميع الملل والعناصر السكانية في
وطنه (٢٤) كقيم اساسية ومرتكزات عملية في بناء
المستقبل. وكان داود الملاح شاعراً منشداً جيداً،
وهو من اوائل الذين نظموا الاناشيد الوطنية
الحماسية كأحدى أبرز الوسائل في التعبئة الشبابية
والجماهيرية مستخدماً اسلوب اثاره المشاعر والنخوة
وذكرى الامجاد والاعتزاز العربي ، ورسم الخطى
للسير قدماً على نهج متمدن.. فطفحت أناشيده
وقصائده بالعواطف الجياشة والالفاظ التي تتغني
بأمجاد العرب وحضارتهم (٢٥). وقد كان قد تأثر تأثراً
كبيراً في انتاج اسلوب ونظم الاناشيد الشعرية
باستاذه الشاعر الموصلي مطمور الصيت عبدالله
راقم افندي الذي يعد اول من كتب الاناشيد
العثمانية على عهد الولاة الاتراك المتأخرين في
نهايات القرن التاسع عشر (٢٦).

ويمكننا أن نقتبس بعض الادبيات من احد
اناشيد داود الملاح آل زيادة ، إذ يقول :

أليس نحن الالى كنا دعاة الضيف
لنا ملوك الورى دانت بحمد السيف
فكيف نغضي على هذا الردى والحيف
أبت بهذا أمة جلست معاليها
هبوا بني وطني واستلفنوا الانظار
واحيوا لما خلفوا اجدادنا الاخيار
واسترجعوا مامضى واستطلبوا للثار
فلك امصارنا حل العدو فيها (٢٧)
وله نشيد آخر جاء فيه :

ياأبابة الضم ما هذا التراخي والسكون
او ما كان لكم في سالف الدهر شؤون
ارضاء بعد ذلك العز في ذا الانتحار
حيث فاض الجهل فينا وانمحي ذلك الفخار
فنبوا بما عراكم واخلفوا ثوب الخمول
فلكم قد شهد العالم في كبر العقول (٢٨)
وعلى الرغم من ان الرجل لم يذكر كلمة «العرب» ،
الا أنه ساهم مساهمة جادة في ارهاص الفكر
القومي البكر في الموصل.. وقد توفي فيها سنة
١٩١٦.

٢. محمد حبيب العبيدي

ولد في الموصل عام ١٨٨٠م. ونشأ فيها. وتلقى
تعليمه في المدرسة الرشدية العثمانية ثم أخذ العلوم
الدينية والشعر والأدب على ابرز علماء وأدباء
عصره ، وحصل على الاجازة العلمية ، وقد تنقف
في التاريخ وقرض الشعر منذ حداثة سنه.. وكان ان
تأثر تأثراً كبيراً بأفكار جمال الدين الافغاني ومحمد
عبد الداعية الى مشروع «الجامعة الاسلامية» ،
ولكنه من جانب آخر كان قد أيّد الانقلاب
الدستوري عام ١٩٠٨ على غرار اترابه من المثقفين
الشباب ، ومهاجماً السلطان عبدالحميد الثاني
الذي كان قد التزم فكرة «الجامعة
الاسلامية» (٢٩).

وعلى الرغم من هذا الاضطراب الايديولوجي
فقد تلاحقت عنده فكراً العروبة والاسلام ، إذ

امتزجتا في ذهنه معاً.. وعليه ، فإن الرجل لم يكن في مطلع شبابه ذا خط فكري وإيديولوجي واضح حتى في اسفاره الى مصر وبيروت واستانبول. وفي عاصمة الدولة ، هناك في استانبول قدمه احد اصدقائه الى جمعية المنتدى الادبي ، فالتقى بين اعضائها شعراً قومياً. ولكنه لم ينتم الى ذلك التنظيم القومي المبكر^(٣٠) ، وقد عرف عنه فيما بعد انه يرى بأن تصحيح الاوضاع يجب أن يتناول انحاء البلاد الاسلامية كافة. وليس الامة العربية فقط .

هكذا فان العبيدي دعا في أفكاره الى الوحدة الاسلامية على ان تكون الجامعة العربية مرتكزاً اساسياً في صرح هذه الوحدة ، إذ يقول : « ماأخال امة انتظمت في خط جغرافي انتظامكم يا قوم ، فاللبن والحجاز ونجد والعراق وسوريا ومصر وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش ، ثم ماأخال امة انتثر عقد جامعها انتثاركم هذا ، فهل انتم مستبصرون^(٣١) .



محمد حبيب العبيدي ١٨٨٠ - ١٩٦٠

لقد استطاع العبيدي أن يوظف كتاباته الثرية والمزید من اشعاره في فجر شبابه من اجل النهضة الادبية والوحدة العربية - الاسلامية ، وتعاطف في مطلع حياته مع التطلعات الاصلاحية وزامل

الرجال العاملين في اتجاهات مختلفة : اللامركزية والاتحادية والائتلافية والقومية.. ولكنه بقي طوال حياته يؤمن بفكرة الرابطة الاسلامية ، وسخر داره ومجلسه لاجتماعات مختلف الادباء والعلماء والمثقفين^(٣٢) وكانت له علاقات ومساجلات ومراسلات مع عدد من رجال العرب ، كما انه نشر آراءه واشعاره في العديد من المجلات العربية ، فضلاً عما طبعه من كتب ورسائل^(٣٣) .

ناصر السيد العبيدي الانكليزي العداء ، وأنجز كتابه عنهم بعنوان : « جنایات الانكليز.. »^(٣٤) ، ولما كان في بيروت عام ١٩١٧ اعتقلوه ثم رحل الى مصر ، فبقي فيها حتى سنة ١٩١٩ ، ثم عاد الى العراق^(٣٥) . وقد كانت له مواقف قومية في تعاطفه مع بعض الاحداث المريعة ، منها : استنكاره للعدوان الايطالي على ليبيا عام ١٩١١.. وفي مجال آخر له قصيدة بعنوان « وطن العربي كله بلد عربي » يقول فيها :

رحاك رب محمد من معشر
باعوا تراث محمد بحطام
ليست بلاد العرب غير مغام
قسمت وأهلها سوى اغنام
ألقوا بفضل زمامهم ليقودهم
نفر يقاد الى الهوى بزمام
ألف السعادة من ظلال شقام
متنعماً بشقاوة الانعام
ومن السفاهة والغباوة في الوری
جور العروش وطاعة الاقوام
ومنها قوله ايضاً :

شقيت بلاد الضاد في زعائها
ياخيسة الآساد والآجام
لو كان في قوس الهداية منزع
ماأخطأت كبذ الضلال سهامي
من في كلام الله ضل سبيله
هل يهتدي من بعده بكلام

وكانت للرجل مواقف حقيقية عدة ، فقد وقف في مجابهة سياسة الاتحاديين المنحازة عن مبادئ الحرية والاخاء والمساواة وضد العرب. ومن جملة تلك المواقف رسالته الجريئة : « على رسلكم بازعماء الاتحاد والترقي » التي وجهها اليهم ، والتي اضطهد من جرائها فهرب الى احد ابناء عمومته وهو الشيخ مسلط الملحم شيخ عشائر الجبور في البادية السورية ، وجرّت تحريات قنصلية لداره ، ولكن كان اهله قد احرقوا جميع اوراقه. وبما جاء في رسالته السياسية المذكورة « بازعماء الاتحاد وابطال الحرية وخطراء الامة ، رفقا بهذه الامة التي باتت عاتمة في تيار الجهل وانتم والله لها لغرقون. أردتم ان تلعبوا بالامة فاتخذتم الدين لكم احسن ستار تسدلونه على ماتصنعونه من المكائد والخدع... »^(٤١).



• علي الجميل (١٨٨٩-١٩٢٨ م).

وكان الجميل قد آلف بعد رجوعه من استانبول وبناء على رغبة القادة السنوسيين كتابه « التحفة السنية في المشايخ السنوسية » اثر الغزو الايطالي لطرابلس الغرب سنة ١٩١١م ، وقد طبعه على نفقته خفية بالموصل^(٤٢) ، ولكن صادرة الاتحاديون وأحرقوه ، وقد جاء في ترويضه بأن مؤلفه يرفعه لابناء الامة العربية. وجاء في مقدمته : « اما بعد ،

شاهدت وجوه القوم جف حياؤها
وقست قلوب في صدور لثام
موتى الضائير لم تُفدّهم عبرة
عظة الزمان وحكمة الاسلام
شروا الضلالة بالهدى وتحطّما
باعوا البلاد واهلها بحطام
ولرب مغرور نصحت فما ارعوى
حتى أنته نصيحة الايام^(٣٦)

بعد تأسيس الحكم الوطني في العراق ، انتخب العبيدي نائباً عن الموصل في مجلس النواب العراقي ، ثم نصب مفتياً للموصل سنة ١٩٣٦م ، وبقي في منصبه وفي مكانته حتى وفاته عام ١٩٦٠ ، تاركاً عدة من الكتابات والاشعار والتأليف.^(٣٧)

٣. علي الجميل

ولد في الموصل سنة ١٨٨٩م ، نشأ ودرس فيها منذ صغره على يد اخته (أسماء) أولاً ، ثم اختلف الى المدارس الاهلية والعثمانية ثانياً ، فدرس على أشهر العلماء والادباء اثر تخرجه من المدرسة الرشدية ، وقد اهتم والده بتثقيفه فخصص له مدرسين خاصين في اللغات الفرنسية والتركية والفارسية ، فأجاد العمل والتحدث بها^(٣٨) .. ثم توظف في دواوين الدولة ، ثم استقال وعمل مدرساً فخرياً في المكتب الوطني. وبعد الانقلاب الدستوري عام ١٩٠٨ ، غادر الموصل الى استانبول عن طريق بيروت ، وانخرط هناك في المدرسة الشاهانية الملكية العليا لدراسة الآداب الشرقية^(٣٩) .

وشارك في استانبول رفقة احمد عزة الأعظمي بتأسيس « المنتدى الادبي » وهي الجمعية العربية الفكرية الشهيرة التي ترأسها عبدالكريم الخليل. وقد حرّر علي الجميل في مجلتها : « لسان العرب » و « المنتدى الادبي » ، وبعد رجوعه الى العراق عام ١٩١١ ، اصبح مندوباً للمنتدى الادبي يلتقي ناشيره ومطبوعاته لبيها وينشرها بين معارفه^(٤٠) .

فلا يخفى على كل إنسان ذي انصاف ووجدان ما للامة العربية من الذكر الجميل والمجد الاثيل والمزايا الحسنة.. عزة انفسهم لاتنكر وشجاعتهم كل حين تذكر.. اصحاب همم علياء وكرم ووفاء وحمية وسخاء واقدام وحزم وذكاء.. طالما خضعت لهيبتهم القياصرة، وذلت لعلو همهم الكاسرة..» (٤٣).

ولقد كتب الجميل آراءه ونشر افكاره القومية الجريئة على صفحات جرائد ومجلات عراقية وعربية، من ابرزها: جريدة النجاح عام ١٩١٢ التي نشر فيها مقالات عدة في التاريخ واللغة العربية تحت اسم مستعار هو (عربي)، فضلاً عن قيامه بتحرير القسم العربي من جريدة «موصل» اضافة الى مراسلاته لجريدة «المصباح» و«اللسان»، ثم نشره لعشرات المقالات في جريدة «الموصل» (٤٤).

وقد كان الرجل وراء تأسيس «النادي العلمي» بالموصل ابان عهد الاحتلال البريطاني اذ كانت فكرته على غرار «المنتدى الادبي» في الاساتنة كجمعية ادبية تعمل في السياسة سراً، وقد اصدر «النادي العلمي» مجلته التي تسمت باسم النادي، وترأس علي الجميل تحريرها، ولكنها توقفت عن الصدور بعد ستة أشهر اثر غلق الانكليز للنادي بعد بدايته العمل المنظم ضدهم (٤٥).

وفي عام ١٩٢٧ دفعه شغفه للصحافة ان يصدر على حسابه الخاص جريدة «صدى الجمهور» وأوكل ادارتها للمحامي عبدالله فائق، وسخرها للقضايا القومية والمشكلات الاجتماعية، وبقي الجميل يترأس تحريرها حتى وفاته في حلب في اليوم الاول من تشرين الثاني ١٩٢٨ (٤٦). لقد نشر العشرات من المقالات في الفكرة القومية واحترامها، وفي اللغة العربية والمجتمع العربي والنهضة العربية.. وفي النقد السياسي والاجتماعي.. وكانت له علاقاته الحميمة بالقوميين رجال القضية العربية في بلاد الشام.. كما وكانت له مواقفه القومية التي ترى عليها جبل عريض من شباب

الموصل (٤٧). وقد وصفه زميله الدكتور داود الجليبي في حفل تأبينه قائلاً: «على افندي الجميل الذي ابلى بلاءً حسناً ايام القضية العربية.. كان مثلاً للانصاف، وعلماً رفيحاً.. كان مصدراً [للمشاكل] القومية والمواقف السياسية وخطيباً مصقلاً.. لاتأخذه في احقاق الحق سفاسف المخرصين، وهو من طبقة العقلين، ومن طالع طرفاً من كتاباته يعرف حقاً ما كان يغمره من الخير لهذه الامة العربية..» (٤٨).

وكان شاعراً مجيداً، نظم كثيراً من القصائد القومية التي نشرها في صحف ومجلات عربية، منها قوله:

هو العرب آل للرقى ذوو العلا

بنو المجد من عاداهم اهلك النفسا

وفاء واقدام وحزم وسؤدد

من الشمم اللاتي غرسن بهم غرسا

إذا حلموا كانوا الظباء وان هوما

ارادوا دفاعاً أشهروا السيف والترسا

لهم هم لو ان معاشر عشرينا

بنا اليوم لم نيك الحجاز والقدسا

اما تقرأون اليوم ما فاخروا به

فقد ادهش الجن العفاريات والانس (٤٩)

لقد ترك الجميل العديد من التأليف والكتب المنشورة وغير المنشورة في الادب والنقد الاجتماعي والسياسة والتاريخ.

٤. خير الدين العمري

ولد في الموصل سنة ١٨٩٠ وهو واحد من خمسة ابناء لـ (حسن زيور العمري) رئيس بلدية الموصل للفترة ١٨٨٧ - ١٨٩٢ م، كان منهم اسعد العمري مدير اوقاف الموصل وارشد العمري مهندس بلدية الموصل والذي اصبح فيما بعد رئيساً لوزراء العراق. تلقى خير الدين تعليمه على ايدي بعض علماء الموصل، ثم انخرط في المدارس الرسمية، حتى انهى دراسته الاعدادية سنة ١٩٠٦، ثم سافر سنة

اشاعة الممارسات الديمقراطية وتعميق مفرداتها باقرار نظام التعددية الحزبية «بغية حصول موازنة في البرلمان». لقد خدم العمري التفكير القومي العربي بطريقة غير مباشرة من خلال نشاطاته الصحفية على الرغم من اخلاصه للرابطة العثمانية وایمانه بانجاح الائتلافية بين القوميات في الدولة العثمانية^(٥٥). وللرجل بعض الآثار الادبية المخطوطة.

٥. ثابت عبد النور

ولد في الموصل سنة ١٨٩٠ ، وهو عربي مسيحي اسمه الاصلي نيقولا عبد النور، نشأ ودرس في مدارس الموصل ، وبعد عام ١٩٠٨ بدأ يتأثر بالافكار القومية ، ثم سافر الى اسطنبول ، فانتمى لجمعية «المنتدى الادبي» ، ثم عاد الى الموصل ، وبدأ يبشر بافكاره في القائه لبعض الدروس التي اثار في الطلبة الشعور القومي^(٥٦). ولكن أبرز نشاط سياسي قام به قد تمثل بتأسيس جمعية «العلم» السرية التي كان وراء انشائها قبل الحرب العالمية الاولى من اجل اثاره الشعور القومي في الموصل. وكان الهدف الاساسي وراء تأسيسها يتمثل بالسعي لتحرير العرب من نير الاتراك^(٥٧).

لقد اشتركت معه نخبة من الشباب المتحمس لتأسيس جمعية «العلم» وشعارها «العلم العربي» وهو الذي رفعته لأول مرة جمعية «المنتدى الادبي» عام ١٩٠٩ ، وهو العلم نفسه الذي رفعه الشريف الحسين بن علي اثر اعلان الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦. وكان لجمعية «العلم» منهاجها السري. واسلوبها الخاص في تعامل الاعضاء بعضهم مع بعض ، وكان أغلب الاعضاء من المعلمين الموصليين الشباب. وكان يتردد عليها بعض الضباط الموصليين ، امثال : مولود مخلص وعلي جودت الابوي^(٥٨).

غدا ثابت عبد النور مرخصاً للجمعية ، والذي عرف فيها بصراحته وجرأته ومجاهرته بالروح

١٩٠٨ الى استانبول في سفرة خاصة ، وعاد الى الموصل بعد قضائه خمسة اشهر هناك ، وبدأ يمارس التدريس في المدارس الاهلية بالموصل^(٥٩). وقد تنقّل باللغتين العربية والتركية ، واستهواه العمل الصحفي ، فاصدر بعد عودته من استانبول ، وتأثره بالاحداث الدستورية هناك ، جريدة «النجاح» سنة ١٩١٠ ، لكي تكون لسان حال حزب الائتلاف والحرية المعارض للاتحاديين^(٦٠) ، وقد شاركه في تحريرها بعض الادباء المواصلين^(٦١). وقد جرت عليه بعض المقالات اضراً واوصاباً ، حتى اغلقت الصحيفة بعد مرور سنة ونصف على تأسيسها.. فتقلد بعض الوظائف في دواوين الدولة. وبعد الاحتلال البريطاني للموصل ، بدأ يساهم في مقاومته من خلال عضويته في الهيئة الادارية للنادي العلمي. كما وانه اوفد من قبل جمعية العهد بمهمة قومية الى دمشق يحمل مضبطة من وطني الموصل. وقد ساهم بعد تأسيس الدولة العراقية عام ١٩٢١ بنباية في البرلمان العراقي^(٦٢). وفي سنة ١٩٣٢ ، اصبح رئيساً لبلدية الموصل حتى سنة ١٩٤٧ ، وتوفي في ٢٥ آب ١٩٥١.

يقتزن العمل القومي للرجل باصداره لصحيفته الرصينة «النجاح» التي دعا فيها الى التجديد والاصلاح ، والانفتاح على المدينة الغربية. كما وتصدّت الجريدة لمعالجة الشؤون القومية مطالبة باحقاق الحقوق العربية كما وكانت الجريدة لنشر الاحداث القومية ، ومنطقاً حراً لبناء تطلعات في الحرية ، وقارنت الجريدة بين السياستين الاستبدادية الحميدية والاتحادية الطورانية. واهتمت افكار الرجل بالنواحي الاقتصادية وتطوير الزراعة والصناعة من خلال فتح المدارس المختصة^(٦٣).

واعنتت صحيفته بالتربية وتعميم اللغة العربية ، فضلاً عن اهتمامها بالحياة الاجتماعية وضرورة القضاء على العادات البالية.. كما دعا العمري الى

القومية ، وتنديده ، بالاتحاديين.. وقد أحيل الرجل الى المجلس العرفي العسكري بعد تحريات عنه ، فحكم عليه بالسجن لمدة سنة واحدة ، فعهد بادارة الجمعية الى مكّي صديقي الشريفي لكنه استطاع ان يهرب من السجن بوساطة بعض من اقرانه القوميين الموصليين.. وبفلت من زمام السلطة بمغادرته الموصل ، والتحاقه بالثورة العربية الكبرى التي كان يقودها الشريف الحسين بن علي في الحجاز^(٥٩) .

وبعد تأسيس الحكم الوطني في العراق. عاد الى بغداد ، فشغل بعض الوظائف الادارية والدبلوماسية ، ثم انتخب نائباً عن الموصل عام ١٩٣٠.. ولم يترك ثابت عبدالنور أية نتائج فكرية في التأليف والفكر والادب ، وعاش بقية حياته وحيداً وتوفي ببغداد عام ١٩٥٨ .

٦. الدكتور داؤود الجلبي

ولد في الموصل سنة ١٨٧٩ ونشأ فيها ودرس في كتابتها ، ثم درس في مدرسة الآباء اللومنيكان على مدى خمس سنوات ، ثم انخرط في المدرسة الاعدادية الملكية في الموصل ، وبعد تخرجه ، سافر الى اسطنبول عام ١٨٩٩ ، فتخرج هناك طبيباً عسكرياً في المدرسة الطبية العسكرية. وإبان بقائه هناك شهد الجلبي على غرار اترابه من الشباب المواصلية احداث الانقلاب العثماني عام ١٩٠٨. وبعد حصوله على شهادة الدكتوراه في الطب في ٢٦ ايلول سنة ١٩٠٩م ، عاد الى الموصل ليعمل طبيباً في الوحدات العسكرية ، ولكنه قام الى جانب ذلك مدرساً للتاريخ والجغرافية وعلم الحيوان في مدارس الموصل^(٦٠) .

لقد اهتم داؤود الجلبي بقضايا التاريخ العربي ، وتضلّع في اللغة العربية ، وفي لغات اجنبية اخرى ، فضلاً عن معالجاته للتراث العربي بدقة ومنهجية عالية. وكان الى جانب ذلك كله: طبيباً ناجحاً

اكتسب سمعة عالية في المجتمع. وكان قد خدم في الجيش العثماني حتى نهاية الحرب العالمية الاولى. وعلى الرغم من ان ليس لدينا أية معلومات عن انتائه الى اي تنظيم قومي في استانبول أو الموصل فان ميوله القومية كانت واضحة شديدة الوضوح من خلال علاقاته مع الضباط القوميين القدماء من الموصل. اذ يذكر محمد شريف الفاروقي في احدي رسائله من انه كان يجتمع مع مولود مخلص وعبدالله الدلسي في بيتهم ليلاً مع الحاجي والدكتور داؤود (الجلبي) وداؤود الملاح وغيرهم^(٦١) .

وكانت علاقة الجلبي وثيقة بمولود مخلص. وكان - ايضاً - عضواً فعالاً في «النادي العلمي» بالموصل إبان الاحتلال البريطاني سنة ١٩١٨ مركزاً للنشاط السياسي المضاد للسلطات البريطانية. وقد انتخب رئيساً لهذا النادي عام ١٩١٩ الذي اغلقه الانكليز بعد اشهر قليلة من تأسيسه.

وبعد تأسيس الدولة العراقية تقلد مناصب عسكرية ومدنية عدة ، منها نائباً عن الموصل في المجلس التأسيسي سنة ١٩٢٤ ، ومديراً للشؤون الصحية في الجيش العراقي سنة ١٩٣٠ ومديراً عاماً للصحة عام ١٩٣١ ، وبعد تقاعده نصب عضواً في مجلس الاعيان سنة ١٩٣٧ ، ثم نائباً عن الموصل سنة ١٩٤٣ مع مناصب علمية متعددة ، وتوفي سنة ١٩٦٠^(٦٢) .

٧. محمد رؤوف الغلامي

ولد في الموصل سنة ١٨٨٩ ، ونشأ فيها ، ودرس على ايدي بعض علمائها ، ثم تخرج في دار المعلمين الابتدائية. وكان له نشاطه المتصدي للسياسة الاتحادية والتعبئة الدينية ضدهم. وقد شارك في النشاطات القومية للجمعيات المحلية مثل «جمعية العلم» و«جمعية العهد العراقي» و«جامعة الآداب». فكان معتمداً للاولى والثانية ، ورئيساً للاخيرة. كما وساهم الغلامي في الفعاليات

سعيد الجليلي وحمدي جلميران وايوب الصمدي وغيرهم (٦٥).

بعد تأسيس الحكم الوطني عام ١٩٢١ ، بقي الغلامي في مهنة التدريس ، وكان ان تجاهله رجال الامس ، حتى تقاعد عن العمل ليرجع الى حلبة السياسة من جديد ، فانضم الى فرع حزب الاحرار بالموصل ، (وكان حزب الاحرار قد تأسس ببغداد على يد سعد صالح) . واسس الغلامي جريدة له في الموصل اسمها «صدى الاحرار» التي عبرت عن آرائه في فترة متأخرة من حياته ، ووقف مقاتلاتها على تسجيل تأريخه السياسي السابق.

رواد عسكريون : العمليات الميدانية
٨. محمد شريف الفاروقي

هو محمد شريف بن محمد الفاروقي (العمرى) ، ولد في الموصل سنة ١٨٩١ ، ونشأ فيها ، ودرس في مدارسها ، ثم دخل المدرسة العسكرية وتخرج ضابطاً في الجيش العثماني ، ثم أصبح معلم الفيلق الثاني عشر في فن الرماية ، ومرافقاً لدى فخري باشا قائد ذلك الفيلق ووكيل جبال باشا (السفاح) والي سوريا. ثم أصبح الفاروقي - كما يذكر - العضو الاول بجمعية العهد المتشكلة من الضباط . ثم التحق بعد ذلك بجمعية العربية الفتاة ، وقد زامل ياسين بك البغدادي (= الهاشمي) الذي كان رئيساً لاركان حرب الفيلق الثاني عشر.

وفي اثناء عمله في سوريا اجتمع كل من سامي الصلح ومحمد الحمصاني وشريف الفاروقي في بيت «المدرس» بحلب الشهباء واجتمعوا بالامير فيصل ابن الحسين عند عودته من الاسنانة واطلع الفاروقي على خططهم وساهم في توحيد المساعي معهم من اجل الاهداف القومية. فأحسن جبال باشا يومئذ بسرمان روح الحركة العربية. يقول الفاروقي : «فكان ماكان منه من حبس بعض اخواننا واما



• محمد رؤوف الغلامي .

التربوية والمكتبية. فهو من مؤسسي «مكتبة الخضراء» ومدرسة «دار النجاح الاهلية» (٦٣) ، متخذاً من مهنة التدريس وسيلة لغرس الامثلة الحية والمبادئ والقيم الدينية المشربة بالروح القومية لدى الناشئة في الموصل.

واشتهر الرجل بمجلسه الذي دعاه بـ «الندوة الغلامية» ويعقده في داره وكان يومه اصدقائه ومحبيه. كما وكان للغلامي دوره في أنشطة فرع جمعية العهد بالموصل اضافة الى مراسلات له مع زملائه إبان حركة تلغفر ضد الانكليز عام ١٩٢٠ (٦٤). ولم يترك الغلامي كتابات او تأليف الا ماكتبه في أواخر ايامه حول «الامثال الموصلية» و«سيرة اسرته».. إذ لم نجد له أية مقالات سياسية او مقطوعات ادبية وفكرية وشعرية ولكن كانت له خطبه التي اكد فيها على التعلم الديني والعمل الاصلاحى ، اذ اقتصرت وسائله على ندوته وخطبه ورسائله وتدريساته.

يمثل محمد رؤوف الغلامي تياراً اصلاحياً توفيقياً بين الاسلام والقومية ، إذ يبتعد كثيراً عن الرؤية القومية الدستورية التي حملها اقارانه الذين يتميزون عنه بتأليفهم وكتاباتهم الفكرية واستنارتهم الذهنية.. وقد انضوى في خضم التيار الاصلاحى التوفيقى اضافة الى الغلامي ، كل من : سعيد الحاج ثابت ، وقاسم الشعار ، ومحمود الملاح وجميل الجميل وعبدالمجيد شوقي البكري ومحمد

الخارجية العربية (وزير الخارجية) (٧١).

لقد كانت الفترة الزمنية التي قضاها الفاروقي في القاهرة ، هي فترة قومية خصبة استطاع فيها ان يتصل بعدد كبير من الشخصيات العربية العسكرية والمدنية ، واستطاع تنظيم شؤون من كان اسيراً ووصل الى مصر ، فضلاً عن عدد من العراقيين والمصريين والسوريين منهم : نويرة السعيد ورؤوف عبدالمهادي والدكتور امين المطول وفؤاد الخطيب وعبد الحليم الخطيب وآخرين (٧٢).

واخيراً ، لا بد ان نقول إن الفكرة القومية عند هذا الرجل لم تكن وليدة ظروفه الصعبة فقد آمن بها منذ الانقلاب الدستوري لعام ١٩٠٨ ، وفي اثناء بقاءه في الموصل ، كان يحضر الاجتماعات القومية في دور زملائه ورفاقه في العقيدة والنضال. وتبدو قيمة الموصل ومكانتها القومية واضحة في ابرز الاحداث التاريخية والمصرية من حياة العرب عند مطلع القرن العشرين ، الا وهو حدث الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ كعلامة فارقة بدأ منها تاريخهم وتكوينهم السياسي العربي المعاصر..

هكذا ، إذن فليس من المصادفات العجيبة ، بل لدور الموصل وابنائها القيادي وكفاءتهم وحرصهم مؤهلاتهم ان يبرز من بينهم محمد شريف الفاروقي ليكون السكرتير والمعتمد السياسي للشريف الحسين ابن علي (وفياً بعد الملك) ، وان يكون الدكتور عبدالله الدملوجي الموصلية السكرتير والمعتمد السياسي للملك عبدالعزيز بن السعود ، وان يكون علي جودت الايوبي الموصلية مديراً لادارة جيش الامير علي بن الحسين ، وان يكون كل من الضابطان الموصلين مولود مخلص وعبدالله الدلسي سكرتيراً للامير فيصل بن الحسين.

٩. مولود مخلص

ولد في الموصل سنة ١٨٨٦م ، ونشأ في محلة جامع خزام ، ثم تلقى تعليمه في كتابتها ودرس في

نحن الضباط فيعد ان حست في حلب مقدار (١٥) يوماً أصدر أمره بإرسالنا انا وياسين بك وأميين لطفي بك وعبدالقادر أفندي الى الاستانة...» (٧٣) . وبدأ الفاروقي يرأس الشريف الحسين بن علي قبل الثورة ، وقد بادله الشريف حسن الاجوبة ، ويبدو للمؤرخ بأن الثقة والاخلاص قد غرست من اجل القضية العربية ، وان ثمة اراء رصينة للفاروقي اعتمدها الشريف حسين ، فقد افصح الفاروقي عن آرائه القومية وخططه السياسية في امور شتى ، منها بشأن الاعتماد على المستبرين العرب الذين كانت الحركة القومية سائرة بينهم سراً حسناً ، واشارته الى اعتماده على الضباط من شباب الموصل ومنهم : مولود مخلص وعبدالله الدلسي (٧٤).

وحلّ شريف الفاروقي في الحجاز مع انطلاق شرارة الثورة العربية الكبرى الى جانب عدد مهم من القادة والضباط العراقيين الذين نهضوا بدور حاسم وقيادي في عمليات تلك الثورة ضد الاتراك (٧٥) . وقد اضطلع الفاروقي بدور مهم وحساس جداً ، فلما وجد الشريف حسين انه يواجه تحدياً عسكرياً من قبل الاتراك لاسترداد الحجاز الذي استطاع ان يحرره ، انتدب احد معتمديه وهو شريف الفاروقي للذهاب الى مصر واستحصل المساعدات المالية والعسكرية التي وعدت انكلترا بارسالها الى مكة (٧٦) ، فضلاً عن تنظيمه ضباطاً ومأمورين وجنوداً الى الحجاز. فتحرك الفاروقي من مكة في اواخر شعبان سنة ١٣٣٤ (بدابة تموز ١٩١٦) [لقد اعلنت الثورة العربية الكبرى في ١٠ حزيران/ يونيو ١٩١٦] ، فوصل القاهرة في ٦ رمضان وشرع بتأدية المهام التي اوكلت له (٧٧) . ويتوضح جانب كبير منها في المراسلات المتبادلة بينه وبين قائده الشريف حسين ، وبني الرجل في القاهرة ينظم الشؤون السياسية والدبلوماسية للثورة العربية الكبرى ، وكانت درجته برتبة «وزير» كما جاء ذلك في رسالة الامير عبدالله وكيل

مدارسها ثم انتقل الى المدرسة الاعدادية الملكية في الموصل، وبعد ذلك تخرج من المدرسة الرشدية العسكرية ببغداد، ثم سافر الى اسطنبول لغرض اكمال دراسته فانخرط في المدرسة الحربية هناك^(٧٣)... وقد أثار هناك فيها بعض المشكلات مع بعض رفاقه فصدر الامر باخراجه جندياً الى القطعات العسكرية، فأبى أن يرضخ للامر، فقر من الجيش وذهب الى اسطنبول مطالباً بحقوقه ومستجيراً بأحد رجال الموصل فيها والذي كان ملجأ للعراقيين هناك وهو سامي باشا الفاروقي فأعيد الى المدرسة الحربية.

وصل تقرير ضده يقول بأنه قد نفّوه ضد سياسة عبدالحמיד الثاني. فألقي القبض عليه واعتقل لعدة اشهر، فاستنجد بالفاروقي ايضاً. وكان الموقف صعباً هذه المرة، كونها قضية سياسية بحثة، ولكن سهّل له عملية الحرب، ففر نحو بلاد الشام بعد ان فصل من دراسته، وقصد نجد خفية كونها لاتقع ضمن الممتلكات العثمانية، وذلك عن طريق النجف ومكث هناك مدة (١٣) شهراً بمعية الامير عبدالعزيز الرشيد، وقد اشترك معه في غزواته بعد ان نال ثقة الامير، ثم رجع الى الموصل، ومنها ذهب الى بلاد الشام... وقد استمات في ان يكون ضابطاً... وقد استطاع من خلال جهود احد رجالات الموصل الكبار في الجيش العثماني وهو الفريق هادي باشا العمري ان يرجع مرة اخرى الى المدرسة الحربية في مناستير بعد ان برأت المحكمة ساحته.. وبعد نضال شاق وهو في زهرة شبابه.. اذ كان قد انضم خفية الى جمعية الاتحاد والترقي السرية، وتخدم فيها وشارك في انقلاب عام ١٩٠٨^(٧٤)..

تخرج من المدرسة الحربية ضابطاً في الخيالة مع احتفاظه ببقية العسكري، فعين في الجيش العثماني السادس في العراق، وانتقل من بغداد الى الموصل.. وفيها رُقِع الى رتبة ملازم اول وقد اشتغل

معلماً للجغرافيا والتاريخ في مدرسة دار المعلمين، والرياضة في الاعدادي الملكي «وبذل كل مجهود لتنمية الفكرة العربية في المدارس. وكانت له عضويته المهمة العاملة في جمعية العهد السرية» ومن المهم ان نذكر ذلك التناقض بين كونه معروفاً بحب الاثراك وتمسكه بهم وبين دوره في الحركة العربية.. إذ كان عند اندلاع الحرب العالمية الاولى محارباً عثمانياً في العراق وسوريا... وكان اسره بمثابة انعطاف في حياته وحياة رفاقه العسكريين الآخرين..^(٧٥)

لقد وجد مولود مخلص الفرصة سانحة امامه عام ١٩١٦ ليستجيب لدعوة الشريف حسين بن علي، فالتحق بجيش الثورة العربية الكبرى في الحجاز، وحظي بخدمة الامير فيصل بن الحسين مرافقاً له، فساهم في تشكيلات فصائل الجيش العربي كقائد اللواء (الهاشمي) في وادي موسى برتبة مقدم. وساهم في تحرير سوريا من الاثراك، ونصب حاكماً عسكرياً للواء دير الزور من قبل الحكومة العربية في دمشق. وعندما سقطت هذه الحكومة كانت له مساهماته في عمليات دير الزور العسكرية.. وعاد بعد ذلك الى العراق وتسلم مناصب عدة ببغداد منها رئاسة مجلس الاعيان العراقي، ومناصب اخرى^(٧٦).

١٠. علي جودت الايروي

ولد في الموصل سنة ١٨٨٦م، ونشأ فيها، وكان من اوائل خريجي المدرسة الرشدية والاعدادية الملكية فيها.. سافر الى اسطنبول وانخرط هناك في المدرسة الحربية وتخرج ضابطاً. وقد اشتغل في بغداد، وأظهر كفاءة عسكرية. وكان يتعاطف مع ابناء العرب في التمسك بقوميتهم العربية والمطالبة بحقوقهم المهضومة، إذ بدأ يهاجر بأرائه وافكاره، ولدى عودته الى الموصل قبيل الحرب العالمية الاولى، اشترك في تأسيس فرع لجمعية العهد

فيها^(٧٧). يقول: «إن جميل المدفعي قد أتى بمناهج الحزب (= جمعية العهد) من الاستانة الى الموصل. ولذلك انشأنا في الموصل مركزاً سريراً للجمعية، وبأشرنا تخليف الضباط الذين نظمنا الى ميولهم، وأفكارهم، فحالفنا النجاح والحمد لله»^(٧٨).

وعند نشوب الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦ التي قادها الشريف الحسين بن علي إلتحق بالجيش العربي في الحجاز، فكان له دوره القيادي البارز في ادارة الخطط والعمليات الحربية الى جانب رفاقه من الضباط العراقيين ضد الاتراك. ويوضح في «ذكرياته» تلك الصعاب والحالات القاسية التي مر بها اولئك الرجال من خلال قيادتهم للجيش العربي المتقدم في البراري والصحاري القائضة في الايام الاولى في شهر آب من عام ١٩١٨، وهم يتقدمون نحو دمشق^(٧٩).

وبعد عقد الهدنة نصّبت حكومة الامير فيصل العربية حاكماً عسكرياً لمدينة حلب، ثم نقل الى الوظيفة نفسها في منطقة البقاع السورية.. وتعرض خلال تلك الفترة الى ضغوط فرنسية كبيرة.. حتى سقطت الحكومة العربية في الشام على يد الافرنسيين.. وكانت للرجل ادواره الخلاقة والصلبة في الثورة العراقية الوطنية عام ١٩٢٠، والمنطلقة من دير الزور السورية باتجاه تلعفر وسنجار والموصل.. وقد وقف الى جانبه عدد من الضباط الموصليين ورؤساء العشائر العربية. فقد ذكر أدوار الشيخ العاصي الفرحان رئيس عشائر شمر والشيخ مسلط الملحم رئيس عشائر الجبور فضلاً عن بعض شيوخ شمر أمثال: الشيخ مشهل الفارس والشيخ عجبل الياور^(٨٠).

اما ضباط الموصل فكان هناك كل من: جميل المدفعي، وعبد الحميد الدبوبي، ومحمود نديم السنوي، ومحمود اديب، وسلم الجراح، ومصطفى شوقي، ومحمد علي سعيد، والحاج رؤوف

الشهواني، ومحمود الجراح، وعبدالله صالح، وحسن وحمدي داوود وغيرهم. وقد نجحت عمليات نضالية وبطولية عديدة ضد المواقع العسكرية البريطانية في شمال غربي العراق وكانت تلك «العمليات» بمثابة بداية حقيقة تاريخية لثورة العشرين الوطنية التحررية^(٨١).

وعاد علي جودت الابويي الى العراق بعد تأسيس الحكم الوطني عام ١٩٢١. لكي يتقلد عدداً من المناصب الادارية والسياسية في الدولة العراقية حتى عام ١٩٥٨.

روّاد آخرون من الموصل:

١١. محمد مكّي صدقي الشرنبي

ولد في الموصل سنة ١٨٩٥، واتم دراسته في الاعدادية الملكية. كان له دوره في الحركة العربية منذ نشوئها. وقصد سوريا في العهد الفيصلي، بصفة سكرتير المركز العام للجمعية العهد العراقية ومديراً مسؤولاً لجريدة العقاب، وشارك في مؤتمر العراقيين على هامش المؤتمر السوري.. اذ اعرب العراقيون فيه عن ارادتهم باستقلال العراق، وعلان اتحاد سوريا والعراق سياسياً واقتصادياً. وفي الموصل إبان عهد الاحتلال البريطاني كان للشرنبي دوره في النادي العلمي، وانتخب عضواً في هيئته الادارية.. تقلد بعض الوظائف، وقد اصدر بعد تأسيس الحكم الوطني جريدة «الجزيرة» وقد حملت طابعاً قومياً في الموصل.. انضم - فيما بعد - الى حزب الاستقلال في الموصل^(٨٢).

١٢. توفيق آل حسين أغا

كاتب وشاعر باللغتين العربية والتركية ودرس على أبرز علماء الموصل وادبائها، وشغل وظائف عدة، كما وكان يقوم بترجمة نشرة «اژانسي» من التركية الى العربية إبان الحرب العالمية الاولى.. وكان خلال حياته يحمل الفكرة العربية^(٨٣).

١٩٠٩ لنشر العلم والثقافة وتجديد الحياة التقليدية ورفض المزمتمين^(٨٦).

وفي عام ١٩١٣ كلف بمهمة اصلاحية من قبل السيد طالب النقيب يقضيها في الموصل وقد زارها والتقى رجالاتها لاغراض سياسية تتصل بالجمعية الاصلاحية في البصرة (وقد اطلق فيضي عليها بـ المهمة القومية) ولكن مهمته لم تحقق غرضها بسبب مضايقات الحكومة الاتحادية فضلاً عن ان المناخ السياسي في الموصل كان مشحوناً ومهيئاً لبروز واستقبال تنظيم قومي وليس اصلاحي. لقد مكث سليمان فيضي في الموصل قرابة أربعين يوماً، حاول خلالها ان يؤسس فرعاً للجمعية الاصلاحية شرط ان تبرز بمظهر اديبي وباسم «النادي الادبي».. ولكن مهمته لم تلق اي نجاح، فعاد سليمان فيضي الى البصرة^(٨٧).

استنتاجات:

لقد اطلعنا هذا البحث على جوانب ومعلومات اساسية لاحداث وتراجيم بعض اولئك الرجال الذين اسهموا اسهاماً كبيراً وفعلاً في الحركة العربية القومية من ابناء مدينة الموصل. سواء كان ذلك بمواقفهم السياسية الصادقة ام كتاباتهم واشعارهم وخطبهم المعبرة عن واقع مشحون بالتطلعات والاماني والبحث عن هوية واتناء حقيقيين. وقد وجدنا أن أكثر من (١٥) رائداً في هذا المجال قد تنوع اهتمامهم وتباين تخصصهم واختلفت مشاربهم نتيجة واضحة للابعاد الاجتماعية والفكرية التي تميزت بها الحركة القومية - العربية في الموصل إبان تأسيسها في المدينة. وتأثيرها على الساحة العربية على نحو كبير. ونتيجة لذلك النسابق والتنوع فقد افقدت المدينة زعامة البطل القومي / المحلي فاختلفت بذلك عن كل من بغداد والبصرة. وجدنا أيضاً أن ميادين العمل القومي لاولئك الرواد لم يقتصر على ميدان واحد دار جميعهم في

ولد في الموصل سنة ١٨٦١ ونشأ ودرس على أبرز علماء الموصل وادبائها، فبرز شاعراً مجيداً متميزاً بأناشيده الحماسية وقد تأثر بأفكار ونشريات القوميين الاوائل في الموصل.. وسافر الى بلاد الشام واتصل ببعض العراقيين هناك عام ١٩١٩. كما وكانت له اتصالات متعددة مع بعض الشخصيات العربية - الاسلامية من خلال المراسلات.. وكان يتزعم نزعة اسلامية واضحة في عرويته له كتابات نشرها فيما بعد. وتوفي سنة ١٩٦٩^(٨٤).

١٤. محمد سعيد الجليلي

ولد في الموصل سنة ١٨٩٦، نشأ ودرس على يد أبرز علمائها، وتثقف على كتابات ومواقف الرواد الاوائل من القوميين الموصلية، وبدأ يسهم بأفكاره في الحركة القومية، فأنتسب الى جمعية «العلم» السرية. وكان مدرساً في مدرسة «دار العرفان». وقام بجمع الاناشيد العربية الموصلية المثيرة للحماسة والمشاعر القومية في كراس صغير، مؤكداً دور التربية القومية.. كما ونشر كثيراً من المقالات في الجوانب الاصلاحية والسياسية فيما بعد، توفي في الموصل سنة ١٩٦٣^(٨٥).

١٥. سليمان فيضي الموصل

ولد في الموصل سنة ١٨٨٥، ونشأ ودرس فيها، وقد تأثر بأفكار بعض ادبائها ومثقفها العاملين في القضية العربية بين ١٩٠٨ - ١٩١٤. اكمل دراسته للحقوق. وقد اشتغل منذ مطلع شبابه في مدينة البصرة، وانتمى فيها الى فرع «الجمعية الاصلاحية» التي وقف على رأسها السيد طالب النقيب، وقد تبنت هذه الجمعية اتجاه حزب اللامركزية العثمانية. وسكن سليمان البصرة وتألف مع حياتها، وأسس فيها مدرسة اهلية، وكان قد اصدر جريدته فيها والتي اسماها بـ «الايقاظ» سنة

- ١٩٩٠، ص ٢٦٨. راجع مقارناً المصادر التالية :-
- (٧) - سليمان فيضي، في غمرة النضال (مذكرات)، بغداد (نشره: عبد الحميد سليمان)، ١٩٥٢، ص ١٢١.
- د. وميض نظمي، الجذور السياسية والفكرية والاجتماعية للحركة القومية العربية (الاستقلالية) في العراق. (الطبعة ذكره: منشورة)، بيروت، ١٩٨٤، ص ٩٤-٩٥.
- (٨) من الاهمية بمكان، مراجعة ماكتبه عن رجالات الموصل وشقيقها القويين الاوائل الملوذين، سعيد الديوهجي واحمد الصوري ود. عبد الجبار الجورود وروؤف الغلامي، ومحمد امين العمري وعبدالمعظم الغلامي وغيرهم.
- (٩) انظر شروحات ذلك في: سليمان فيضي، المصدر السابق، صفحات متعددة، وراجع تحليلات ونائج د. ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل: دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ١٤٧-١٥١.
- (١٠) التفاصيل في: محمد امين العمري، تاريخ مقدرات العراق السياسية (نشر باسم اخيه محمد طاهر آل المصيب العمري)، ج٢، بغداد، ١٩٢٤، ص ١٥١ وما بعدها.
- (١١) راجع التفاصيل عنهم في: سليمان صايغ، تاريخ الموصل، ج٢، القاهرة، ١٩٢٧، ج٣، بيروت، ١٩٥٦ تحت عنوان (نفاثات الآثار).
- (١٢) من الاهمية مراجعة تفصيلات التاريخ الاجتماعي الحديث للموصل في:
- Sayyar K. Al-Jamil, A Critical Edition of al-Durr al-Maknun fi al-Ma'athir al-madiya min al-Qurru of Yasin al-'Umari (920-1226 A.H. = 1514/1515 A.D.- 1811/1812 A.D.), vol. 1 (Introduction and Notes), St. Andrews Univ., Scotland, 1983, pp. 132-143.
- وانظر ايضاً: د. سيار الجميل، والحياة الاقتصادية والاجتماعية لولاية الموصل في العهد الجليلي ١٧٢٦ - ١٧٣٤، ملف اعمال المؤتمر العالمي الثاني للدراسات العثمانية. ج١، تونس، ١٩٨٨، ص ٢٥٩ وما بعدها.
- (١٣) بقي عثمانياً حتى النهاية اذ استوطن استانبول ولم يعد الى العراق، ثم تنحس بالتركية.. وكان له دوره في معاناة الطلبة العراقيين في الكليات العثمانية سابقاً (المعلومات قليلة ومبسطة عنه: عن اوراق تاريخية خاصة بمجزة الباحث).
- (١٤) رشح لعرش العراق وكان ثالث ثلاثة من المرشحين: عبدالرحمن الكيلاني (عن بغداد) وطالب القتيب (عن البصرة) وهادي باشا العمري (عن الموصل) ولكن غدا العرش لفصيل بن الحسين.
- (١٥) اختياره وتفصيلات تاريخية وثائقية عن حياته السياسية البارزة في تاريخ مقدرات العراق السياسية، (سبق ذكره)، ج٢، صفحات متعددة.
- (١٦) يمكننا اعتبار السيد محمد حبيب العبيدي (مفتي الموصل) هو
- فلكه، بل كان هناك ثلاثة ميادين حقيقية في العمل والتفكير والنضال والتنظيم:
١. الميدان الفكري والادبي.
 ٢. الميدان التعليمي والتربوي.
 ٣. الميدان العسكري والسياسي.
- وكان لكل ميدان سماته وخصائصه في ترتيب خصوصية مدينة الموصل بالنسبة للتفكير والنضال القومي. ولكن يبقى الفضل كله لاولئك الرجال المحضرمين الاوائل الذين كرسوا حياتهم وخطروا بأنفسهم ايماناً أشرس بعهد عرفته الدولة العثمانية، الا وهو عهد الاتحاديين ١٩٠٨ - ١٩١٨ في الموصل.. فكان لدور أولئك الرجال تأثير بالغ في الاجيال اللاحقة. ويبدو للدارس أن الرواد الاوائل لم يتالوا حقوقهم فيما بعد عندما تأسس الكيان الوطني في العراق عدا العسكريين منهم، بل ويقوا طوال هذا السنوات ظلي النسيان.

الهوامش

- (١) انظر تفاصيل ماكتبه د. عبدالعزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية: دراسة في لقوة والوعي، ط١، بيروت، ١٩٨٤، ص ١٨٩ - ٢٣٧.
- (٢) راجع عدة كتابات ودراسات نشرها د. ابراهيم خليل احمد، وخصوصاً في مجلة (بين النهرين) ..
- (٣) D.R. Khouri, "The Political Economy of the province of Mosul 1700 - 1850", Arab Historical Review For Ottoman Studies, No. 1/2, Tunisia, Jan. 1990, pp. 133 - 4.
- (٤) د. سيار الجميل، الولايات العربية والامبراطورية العثمانية: الحياة الادارية.. الملل والاقليات.. التنظيمات وبروز القوميات، مجلة المستقبل العربي، العدد (١٣٨)، لسنة (١٣)، آب/ اغسطس ١٩٩٠، ص ١٥٢.
- (٥) راجع ماكتبه من التفاصيل كل من: محمد هليل الجابري، الحركة العربية في العراق بين ١٩٠٨ - ١٩١٤ (الطبعة ذكره)، كلية الآداب/ جامعة بغداد، ١٩٨٠، ونوري احمد عبدالقادر، الموصل والحركة القومية العربية ١٩٢٠ - ١٩٤١، (رسالة ماجستير)، كلية الآداب/ جامعة الموصل، ١٩٨٨.
- (٦) التفاصيل في: ذنون الطائي، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل في اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الآداب، جامعة الموصل،

تيسان، ١٩٦٨. كما وكان الأستاذ روفائيل بطي قد كتب عنه فضلاً في كتابه المعروف: الادب المصري في العراق العربي، (٣٧) من أبرز تأليفه: النواة في حقول الحياة، دمشق، ١٩٣٢. وله أيضاً: حبل الاعتصام ووجوب الخلافة في دين الاسلام، بيروت، ١٩١٦.

(٣٨) إن أهم ترجمة لحياته هي التي كتبها الأستاذ روفائيل بطي بعنوان: «علي الجميل»، مجلة لغة العرب، ج ٢ السنة (٧)، بغداد، شباط، ١٩٢٩، ص ١٣٢. وبإيجازها.

(٣٩) علي الجميل، اوراق قومية (مخطوط) سبق ذكره، ورقة ١٦٣، (نقل عنه أيضاً: ذنون يونس الطائي، المرجع السابق، ص ٢٢٨).

(٤٠) المصدر نفسه، وانظر أيضاً: مجلة لسان العرب، المجلد الاول، الجزء الثالث، جادى الثاني سنة ١٣٣١ هـ (مايس ١٩١٣م) الأستاذة (نسخ نادرة ويضعها موجود ببغداد بمحزة الأستاذ حسان علي الباركان).

(٤١) علي الجميل، اوراق قومية (سبق ذكره)، ورقة ٦٥.

(٤٢) طبع في مطبعة سرس بالموصل ويحفظ الباحث بنسخة نادرة وحيدة منه.

(٤٣) علي الجميل، التحفة السنوية.. (سبق ذكره اعلاه)، ص ٣-٤.

(٤٤) انظر ترجمته عند روفائيل بطي، المصدر السابق، ص ١٣٣، وانظر ترجمته أيضاً عند: احمد محمد احتار، تاريخ علماء الموصل، ج ١، ص ٦١ (ارتخت مقدمته في عام ١٩٦١).

(٤٥) صفحات متعددة من مجلة النادي العلمي، العدد (١)، ١٥ كانون الثاني ١٩١٩م.

(٤٦) اعداد متفرقة من جريدة صدى الجمهور، الموصل، ١٩٢٧-١٩٢٨.

(٤٧) كما جاء في بيان نفيه الرسمي المنشور في جريدة صدى الجمهور، العدد (١٥٢) في ١١/٩/١٩٢٨.

(٤٨) المصدر نفسه.

(٤٩) ديوان شعر علي الجميل، (مخطوط بمحزة كاتب البحث)، وانظر أيضاً: جريدة النجاح (القسم العربي)، عدد (٢٧٢)، جادى الاول سنة ١٣٣٠ هـ (١٩١٢م).

(٥٠) خير الدين العمري، من المهدي الى اللحد (مخطوط بمحزة عائله)، ج ١، ص ٥.

(٥١) ترجمته الكاملة كتبها صديقه علي الجميل في كتابه: نوابنا في الميزان (مخطوط بمحزة كاتب البحث)، ورقة ١٤.

(٥٢) مراجعة لاعداد متفرقة من جريدة النجاح بقسميها العربي والتركي.

(٥٣) جريدة صدى الجمهور، العدد (١١٥)، ١٦ أيار ١٩٢٨.

(٥٤) مراجعة لاعداد متفرقة من جريدته النجاح (القسم التركي) لسنة ١٩١١ (الاعداد ٣٠- وما بعده).

(٥٥) المصدر نفسه، العدد (٦١) ١٣٣٠ هـ (١٩١٢م). وانظر أيضاً: العدد (٥٦) ٤ محرم ١٣٣٠ هـ (١٩١٢م).

(٥٦) انظر عنه: محمد هليل الجابري المرجع السابق ص ٥٥٢، وانظر

حصوله جامعة للاسلايين الاول والثاني.

(١٧) أبرز دراسة عنه كتبها د. ابراهيم خليل احمد، «داود الملاح ودوره في اثارة الوعي القومي العربي في الموصل» مجلة بين النهرين، المعداد (١٨-١٩)، الموصل، ١٩٧٧.

(١٨) جريدة نينوى، العدد (٧)، ١٠ شباط ١٣٢٧ هـ (١٩١٠م).

(١٩) محمد سعيد الجليلي، الاناشيد الموصلية للمدارس العربية، الموصل، ١٩٥٣، ص ١٨.

(٢٠) جريدة نينوى، العدد (١٤)، ٢١ رمضان ١٣٢٧ هـ (١٩١٠م).

(٢١) جريدة نينوى، العدد (٢٣)، ١٠ ذي الحجة، ١٣٢٧ هـ (١٩١٠م).

(٢٢) جريدة نينوى، العدد (١٦)، ٢٠ شوال ١٣٢٧ هـ (١٩١٠م).

(٢٣) جريدة نينوى، العدد (١٦)، ٢٠ شوال ١٣٢٧ هـ (١٩١٠م).

(٢٤) جريدة نينوى، العدد (١٨)، ٥ ذي القعدة ١٣٢٧ هـ (١٩١٠م).

(٢٥) ذنون يونس الطائي، المرجع السابق، ص ٢١٨.

(٢٦) عن مقدمة مخطوطة ديوان الشاعر عبدالله راقم اخندي واوراق ومجاميع شعرية اخرى (بمحزة الباحث).

(٢٧) محمد احمد احتار، تاريخ علماء الموصل، ج ٢، ص ٣٣، (نقل عن الجليلي، الاناشيد الموصلية (سبق ذكره).

(٢٨) محمد سعيد الجليلي، الاناشيد.. ص ٢٠، ونقله احتار أيضاً، تاريخ علماء الموصل، ٣٤/٢.

(٢٩) تفصيلات عن حياته في مقدمة ديوان شعره: ذكرى حبيب او ديوان السيد محمد حبيب العبيدي، كتبها احمد قاسم الفخري، الموصل، ١٩٦٦ (وهو جامع الديوان ويحققه).

(٣٠) علي الجميل، اوراق قومية، (مخطوط بمحزة الباحث) فيه تفصيلات عن حياة الرجلين في استانبول، ورقة ١٦٤ أ وبإيجازها.

(٣١) محمد حبيب العبيدي، خطبة نادي الشرق، الموصل، ١٩١٦، ص ٤٩.

(٣٢) سليمان قبضي، في غمرة النضال، (سبق ذكره)، ص ١٢٢، ١٢٩.

(٣٣) راجع: د. سيار الجميل، حياة محمد حبيب العبيدي وشعره، جريدة الجامعة، العدد (١٧)، (بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي)، ٣ أيار ١٩٨٩.

(٣٤) راجع تفصيلاته: محمد حبيب العبيدي، جنابات الانكليز، بيروت، ١٩١٦.

(٣٥) احمد محمد احتار، المصدر السابق ج ٢، ص ٥١.

(٣٦) انظر: ديوان شعره (سبق ذكره)، ص ١٦٥-١٦٦. وراجع الدراسة النقدية المطولة التي كتبها الأستاذ كوكب علي الجميل بعنوان: «اوضاع علي ذكرى حبيب: دراسة شعر السيد محمد حبيب العبيدي على ضوء النقد الادبي»، جريدة المدف، اعداد (٥٢٦-٥٣٨). السنة (١٦) الموصل، كانون الثاني -

- (٧١) المصدر نفسه، ٣٢٢/١.
- (٧٢) مراجعة دقيقة لمراسلات محمد شريف الفاروقي الرسمية مع الملك الحسين بن علي، وكلها محررة في كتاب تاريخ مقدرات العراق السياسية، ج١، ص ٢٧٤ - ٣٢٥.
- (٧٣) انظر عنه: الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦، المملكة العراقية/ بغداد، ص ٩٣٦ - ٩٣٧.
- (٧٤) تفاصيل تاريخية موسعة عن حياته وادواره السياسية والقومية تجدها في كتاب تاريخ مقدرات العراق السياسية (سبق ذكره)، ج ٢، ص ٢٣٥.
- (٧٥) المصدر نفسه، ٢٣٢/٢ - ٢٣٥.
- (٧٦) التفاصيل في تاريخ المقدرات...، ج ٣، ص ٣٥٠ - ٣٧٢.
- (٧٧) جريدة الموصل، العدد (٧٧٣)، في ١٩ شباط ١٩٢٤، ولزيد من التفاصيل عن حياته الاولى ودوره في الحركة العربية القومية، انظر: علي جودت، ذكريات (سبق ذكره).
- (٧٨) علي جودت، المصدر اعلاه، ص ٣٠.
- (٨٩) المصدر نفسه، ص ٥٣ - ٦٩.
- (٨٠) المصدر نفسه، ص ١٠٠.
- (٨١) المصدر نفسه، ص ٥.
- (٨٢) نقلاً عن اوراق خاصة مخطوطة قديمة بحوزة كاتب البحث.
- (٨٣) المصدر نفسه.
- (٨٤) محسن الحبيب، الملاح الشاعر، بغداد، ١٩٦٤، ص ٢٣ - ٢٤.
- (٨٥) انظر: محمد سعيد الجليلي، الاناشيد الموصلية (سبق ذكره)، ص ٦. ومن كرايسه الاخرى: كيف يرى العراق: بغداد، ١٩٢٤/ خواطر ويوميات، بغداد ١٩٢٥/ من صميم الواقع، القامشلي، ١٩٥٦.
- (٨٦) من ابرز الدارسين الذين كتبوا عنه: د. ابراهيم خليل احمد من الناحية التاريخية، ود. عمر محمد الطالب من الناحية الادبية، وغيرها.
- (٨٧) لقد استطاعت السلطات الاتحادية من احباط هذا المشروع قبل تأسيسه لاسباب امنية دينية وليست لاسباب قومية، كما علل ذلك د. ابراهيم خليل احمد في رسالته للماجستير: ولاية الموصل...، (سبق ذكرها)، ص ١٥٠ - ١٥٢.
- ايضاً: نوري احمد عبدالقادر، المرجع السابق، ص ٤١.
- (٥٧) راجع ما كتبه د. ابراهيم خليل احمد، «جمعية العلم السرية ودورها في تنامي الوعي القومي العربي في الموصل، مجلة بين النهرين، العدد (٢٦)، سنة ١٩٧٩، ص ٢١٢.
- (٥٨) انظر: علي جودت، ذكريات ١٩٠٠ - ١٩٥٨، ط ١، بيروت، ١٩٦٧، ص ٣٦.
- (٥٩) عبدالنعم الغلامي، اسرار الكفاح الوطني في الموصل، بغداد، ١٩٥٨، ص ٢٢٨ - ٢٢٩.
- (٦٠) انظر التفاصيل في: د. عمر الطالب، «الدكتور داود الجليلي» جريدة الحدياء، العدد (٤٢٢)، ١١ تموز ١٩٨٩، وانظر ايضاً: ذنون الطائي، المرجع السابق، ص ٢٣٩ - ٢٤٤. وراجع: مير بصري، اعلام اليقظة الفكرية في العراق الحديث، بغداد، د.ت، ص ١٦٠.
- (٦١) محمد امين العمري. تاريخ المقدرات (سبق ذكره)، ج ١، ص ٢٣٥.
- (٦٢) وللدكتور داود الجليلي تأليف متعددة فضلاً عن تراجم ومختصرات وفهارس افاد فيها الثقافة التاريخية العربية كثيراً.. وان ابرز اعماله ومخطوطاته تحترز عليها مكتبة الاوقاف العامة بالموصل/ خزانة داود الجليلي.
- (٦٣) محمد سعيد الجليلي، الاناشيد (سبق ذكرها)، ص ٤١.
- (٦٤) تجد اخباره فيما كتبه من مقالات في جريدته وصدى الاحرار العدد (٢١٥) وما بعده، في ١٠ آب ١٩٥١ (صفحات مطوية..). وايضاً ما كتبه عنه: عبدالنعم الغلامي في كتابه اسرار الكفاح...، (سبق ذكره)، ص ٣٤ - ٣٨.
- (٦٥) انظر: ذنون الطائي، المرجع السابق، ص ٢٦٦.
- (٦٦) محمد امين العمري، تاريخ المقدرات.. (سبق ذكره)، ج ١، ص ٢١٩ - ٢٢٠.
- (٦٧) المصدر نفسه، ٢٢٩/١.
- (٦٨) المصدر نفسه، ٣١٠/١ (ومن المهم مراجعة ما كتبه عدد من المؤرخين والساسة والقادة في كتبهم ومذكراتهم ودراساتهم عن احداث الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦م).
- (٦٩) المصدر نفسه، ٢٧٤/١ - ٣٠٠، ٣١٠/١ - ٣٢٥.
- (٧٠) المصدر نفسه، ٢٧٤/١ - ٢٧٩.

نظير الحكيم والادارة والمحجيش

التشكيلات الادارية العثمانية

(٩٢٢ - ١٣٣٦ هـ ١٥١٦ - ١٩١٨ م)

علي شاكر علي

الادارة العثمانية في الموصل ١٥١٦ - ١٨٣٤ :

١٥١٤ م / ٢ رجب ٩٢٠ هـ^(١). اما الجيش العثماني الذي اندفع في العمق الايراني، فدخل تبريز في ٥ ايلول ١٥١٤ م. ثم قفل راجعاً الى

تعد مدينة الموصل من أولى المدن العراقية التي دخلت تحت السيطرة العثمانية وذلك اثر هزيمة الفرس الصفويين في معركة جالديران ٢٢ آب

دخلت بالتتابع ، وخلاصة النظرية هي :

(١) المناطق المكتسبة عسكرياً :

ارجاني ، سيفريك ، باريسيك ، حصن
كيفا ، ميافارقين ، سعد ، ديار بكر ، نصيبين ،
الموصل ، حصن سوران ، اورفة ، الرقة ، كركوك .

(٢) المناطق التابعة :

جيرمك ، ارغني ، اتاك ، بدليس ، هزن
(ازن) ، اورمايا ، عموم جزيرة ابن عمر ،
العبادية^(٤) .

والامر الذي لاشك فيه أن المناطق التي
استحوذ عليها العثمانيون ، تمتاز بأهمية استراتيجية ،
خاصة الموصل ، فهي المنفذ التجاري المهم الى
الاناضول وحلب والبحر المتوسط ، كما انها منطقة
اتصال بين المناطق الجبلية الوعرة والسهول
والصحارى التي تبدأ من جنوبها وتمتد حتى الخليج
العربي^(٥) .

وقد اخذت الاهمية الاستراتيجية الاقتصادية
والعسكرية تتضح بشكل اكثر بعد دخول حلب
تحت المظلة العثمانية في اعقاب معركة مرج دابق في
٢٤ آب ١٥١٦ ، فأصبحت المنطقة من ديار بكر
الى حلب ثم الموصل ، بمثابة حزام الامن للدولة
العثمانية التي حرصت طيلة القرون الاربعة التالية
لمعركة جالديران على تغذيتها بحاميات عسكرية
والوقوف بحزم ضد اية حركة معادية فيها .

(١) التشكيلات الادارية لولاية الموصل :

قبل التطرق الى التشكيلات الادارية العثمانية
في الموصل لا بد من الاشارة الى أن النظام الاداري
العثماني يرتبط ارتباطاً وثيقاً وعميقاً بالنظامين الحربي
والاقطاعي العثماني ، ولم يكن هذا النظام يطبق فور
دخول المنطقة في المجال العثماني ، بل يطبق بالتدرج
فالفترة بين دخول المنطقة تحت السيطرة العثمانية ،
وتطبيق التنظيمات تعرف «بالفترة الانتقالية في

اماسيه ، ضمن خطة عسكرية تقوم على معاودة
الهجوم على الاراضي الايرانية ، بعد انقضاء فصل
الشتاء ، والملاحظة الجديرة بالاعتبار هنا هي
سريان روح الثورة والانقضاض على الحاميات
الفارسية في كل من ديار بكر والموصل ، واريل
وكركوك ، بمجرد سماع سكانها نبأ الهزيمة المتكررة التي
لحقت بقوات الشاه اسماعيل الصفوي في معركة
جالديران ، مما يعكس مدى كره السكان للمحتلين
الصفويين الذين مارسوا شتى انواع القهر السياسي
والديني والاقتصادي ضدهم . لذا فان المحاولة التي
قام بها الشاه اسماعيل الصفوي في الأشهر الأخيرة
من سنة ١٥١٥م لاحتلال المدن التي انسحب منها
الجيش الصفوي باءت بالفشل في اوائل سنة
١٥١٦م ، بدأت قوة فارسية بالزحف باتجاه ديار
بكر بقيادة قره خان ، كما تحركت قوات فارسية نحو
ماردين والرها ، فعادت العمليات العسكرية مرة
اخرى ، وكادت القوات الفارسية ان تطبق بالحامية
العثمانية في ديار بكر^(٦) ، لولا الجهود التي بذلها
ادريس البدليسي^(٧) بالتعاون مع بيقل محمد بك
بكى ديار بكر . وفي مايس ١٥١٦م ، جرت
المعركة الحاسمة بين الطرفين في سهل قره غين دده
Karganded ، بالقرب من قوج حصار بين اورفة
ونصيبين ، انتهت بمقتل قائد القوة الصفوية
قره خان ، مع عدد كبير من قواده ، كما وقع عدد
كبير من الجنود اسرى بيد العثمانيين ، ممن لم يحالفهم
الحظ في الفرار من ساحة المعركة .

لقد كانت معركة قره غين دده ، بداية النهاية للنفوذ
الصفوي في المنطقة الممتدة من اذربيجان شرقاً حتى
حلب غرباً ومن ديار بكر شمالاً حتى كركوك جنوباً بما
فيها منافذ تجارية ومدن ذات اهمية استراتيجية ، فقد
انسحبت منها الحاميات الصفوية خلال الايام
القليلة التالية لمعركة ١٥١٦م ، وللمؤرخ بيچر
Pitcher نظرية حول دخول المدن والقصبات تحت
السيطرة العثمانية كمدن مكتسبة عسكرية ، وأخرى .

الأدارة العثمانية، لأن المهم في المرحلة الاولى هو تأكيد ابراز الهوية العثمانية للمنطقة دون تغيير البنى الادارية والاقتصادية والاطر الحياتية^(٧).

وفي ضوء ما سبق فان الموصل لم تشهد اية تنظيمات ادارية حتى حملة السلطان سليمان القانوني الى بغداد سنة ١٥٣٤م. اذ استمرت التنظيمات الادارية السابقة كما هي دون تغيير، وقد وضعها حاكم إمارة الاق قوينلوي حسن الطويل، اذ كانت ديار بكر والموصل والرّها، تشكل وحدة ادارية واحدة وبعد قيام ولاية ديار بكر، اتخذت الموصل سمة سنجق سنة ١٥١٨م كما تشير دراسة وثائقية عن التقسيمات الادارية الأولى لولاية ديار بكر^(٨)، على رأس السنجق مير لواء «سنجق بك». ولعل من المناسب ان نشير هنا إلى انه من الصعوبة قبول رأي المؤرخ التمساري فون هامر، القائل. ان الموصل اتخذت سمة ولاية في عهد السلطان سليم الاول (١٥١٢ - ١٥٢٠م) باقتراح من المؤرخ ادريس البديليسي^(٩)، لأن الوثائق العثمانية تشير الى حاكم الموصل باعتباره سنجق بك. لا بكلر بكى الذي يرأس الولاية عادة^(١٠).

وفي اعقاب حملة السلطان سليمان القانوني على بغداد ١٥٣٤م، والتي هي استكمال منطقي للسيطرة العثمانية التي شملت شمال العراق ووسطه^(١١)، بدأت التنظيمات الادارية العثمانية تتضح في الموصل في السنوات الثلاثة التالية للحملة المذكورة، ولما كانت طبيعة الموصل الاقتصادية تساعد على تطبيق النظام الاقطاعي العثماني، فضلاً عن قربها من الباب العالي، فقد ارتبطت الولاية الجديدة بالعاصمة العثمانية مباشرة، شأنها شأن ولايتي ديار بكر وحلب. ويشير احد الباحثين^(١٢) في دراسة علمية له، الى الأبعاد السياسية والاقتصادية للنظام الاقطاعي، باعتباره اداة مهمة لاحكام ربط البلاد المحتلة بمركز الدولة، ووسيلة لاستثمار خيرات المنطقة لمنفعة الدولة

العثمانية، لذا فان التقسيمات الادارية الجديدة لولاية الموصل كما سترد لاحقاً، تتوافق بالضرورة مع الهدف المتوخى من تطبيق النظام الاقطاعي.

فالوثائق العثمانية التي يرجع تاريخها الى سنتي ١٥٣٩ - ١٥٤٠، تشير الى حدود ولاية الموصل على النحو الآتي: من الشمال ولاية ديار بكر، ومن الشرق ولاية شهرزور ومن الجنوب ولاية بغداد، ومن الغرب ولاية الرقة، اما التقسيمات الادارية للولاية فتظهر ولاية الموصل في تلك الوثائق، وهي تشمل ستة سناجق مركزها الموصل، وهي اسكي موصل وتكرت وزاخو وعانة وكشاف. وهذا التقسيم، يمثل التقسيم الاداري الاول للولاية^(١٣).

والملاحظة المثيرة للانتباه هنا أن المتبع للمصادر والوثائق العثمانية التي يرجع تأريخها الى النصف الثاني من القرن السادس عشر، يلاحظ الإشارة الى الموصل بكونها الى لواء لا ولاية «ايالة»^(١٤)، تابع لولاية بغداد، مما يدفعنا الى الاعتقاد بأن قيام ولاية الموصل كان حالة مؤقتة، ثم ادمجت ضمن ولاية بغداد. غير ان تطور الاوضاع في شهرزور لغير صالح الدولة العثمانية سنة ٩٥٩هـ، اذ شهدت المنطقة اضطرابات واسعة بتشجيع وتغذية من الدولة الصفوية، فغرض والي بغداد محمد باشا الامر على الباب العالي^(١٥)، ويشير مأمون بك بن بيگه بك الى ان احد القواد العثمانيين في العاصمة اقترح على الصدر الاعظم رسم باشا تقسيم ولاية بغداد الى نصفين، كأجراء اداري للحيلولة دون اضطراب اوضاع شهرزور. كما تعهد للصدر الاعظم بالاستيلاء على شهرزور اذا ما تولى نصف ولاية بغداد «فاذا اردتم الاستيلاء على ولاية شهرزور، فقسّموا ولاية بغداد نصفين، وانعموا على هذا العبد، بنصف منها، كما كان تحت تصرف غازي خان - فأنتي اتعهد ان افتح شهرزور»^(١٦). وقد صدر الامر «الفرمان» السلطاني ب «فرز نصف ولاية بغداد، واعطائه اياه، مع منصب أمير امراء وعشرة

آلاف آقجة من الخواص المهابونية على ان يسكن لواء الموصل»^(١٦).

في الواقع أن النص المذكور يكشف حقيقة مهمة ظلت غائبة عن المؤرخين الذين تصدوا لدراسة تاريخ العراق العثماني، كما يحيط اللثام لأول مرة عن طبيعة وإبعاد الإدارة العثمانية في النصف الثاني من القرن السادس عشر. ويعتقد ان الوضع الاداري للموصل ظل كما هو حتى ارتقاء السلطان مراد الثالث العرش (١٥٧٤ - ١٥٩٥م) حيث تمت اعادة النظر في وضعية الولايات العثمانية برمتها في ضوء التطورات السياسية المستجدة^(١٧)، فرجعت الموصل مرة اخرى كولاية قائمة بذاتها، تشمل على السناجق: باجوانلو و هارون و بانه، وأسكي موصل، كما هو واضح في قائمة عيني علي افندي، امين الدفتر الخاقاني ١٦٠٩م^(١٨) غير ان التقسيم الاداري لولاية الموصل لم يبق ثابتاً، بل ظل يتمدد او يتقلص حسب الظروف السياسية السائدة، وهذا ما يفسر لنا سبب اختلاف المصادر في تحديدها للتقسيمات الادارية لولاية الموصل، فالجغرافي العثماني كاتب جلبي، يذكر سناجق الموصل بانها ستة: «أسكي موصل وتكرت و هارون و باجوان و الموصل (مركز الولاية)»^(١٩). والملاحظة المثيرة للتأمل تبعية تكرت لولاية الموصل، بعد ان كانت ضمن ولاية بغداد، وقد يكون الدافع للاحاقها بالموصل، هو الاحتلال الصفوي لبغداد سنة ١٦٢٣م أما قائمة الرحالة التركي اوليا جلبي، الذي زار العراق في النصف الثاني من القرن السابع عشر، فانها تتفق مع ما ذكره كاتب جلبي، غير انه يضيف قرهداسني وبوداسني (قرى يزيديّة)^(٢٠). مما يفهم منه استحداث سناجق جديد، بهدف تشديد قبضة الدولة على هذه المنطقة التي عرفت بعدم استقرار اوضاعها السياسية طيلة الفترة العثمانية.

الجهاز الاداري في الولاية :

كَانَ على رأس الجهاز الاداري في الولاية هو الوالي، ومنصبه من ارفع المناصب، وهو حسب التقليد الاداري العثماني يكون الوحيد في المنطقة الادارية يتمتع بمنصب بكلر بكى، ويلقب ايضاً بـ «مير ميران» امير الامراء، باعتباره رئيساً لأمرء الالوية «لواء»، ويحق له رفع علم عليه طوغان^(٢١)، دلالة على مركزه. في حين كان حكام السناجق، يحملون طوغاً واحداً، كما كان لوالي الموصل حق حضور الديوان السلطاني في اثناء وجوده في العاصمة العثمانية.

ومن الناحية النظرية، فان من اولى واجبات الوالي، ضمان استمرار ولاء الولاية للدولة العثمانية، والعمل على كبح واعز القرد او الثورة في الولاية ورفع تقارير الى السلطان عن سير الامور في ولايته^(٢٢)، فضلاً عن تنفيذ الاوامر السلطانية في الاشتراك بالحملات العسكرية، ويقدر تعلق الأمر بالنقطة الاخيرة، فان الموقع الجغرافي للمدينة اضفى عليه اهمية استراتيجية من الناحية العسكرية جعلتها تتحمل اعباء تزويد الحملات العثمانية بالموث والذخيرة فضلاً عن حصنها من المقاتلين، كما ان هذه الحملات، خاصة المكلفة منها بالتوجه نحو بغداد، او شهرزور، كانت تعسكر فيها، لاعادة تنظيمها، او لمناقشة الخطط القتالية المطلوبة، وازاء اشتداد الصراع العثماني - الفارسي في النصف الاول من القرن السادس عشر، في اعقاب حادثة بكر صوباشي ١٦٢٣م، والحملات الاسترجاعية العثمانية ١٦٢٥، ١٦٢٨، ١٦٣٨^(٢٣) جعلت دائرة واجبات الوالي في الولاية تتسع فبالاضافة الى اشتراكه شخصياً في الحملة باعتباره حائراً على اقطاع، كان عليه تهيئة الترتيبات لاستقبال افواج الحملة. ولقلاً نجد حملة عسكرية دائرة نشاطها الأراضي العراقية او الولايات المجاورة ليس فيها والي

الموصل، وقد ظلت الموصل تتحمل عبء تهيئة الاجواء المناسبة لكل الحملات العسكرية طيلة الفترة العثمانية تقريباً.

أما عن الولاة الذين تعاقبوا على حكم الموصل، بعد دخولها في المجال العثماني فليست لدينا اية معلومات عنهم طيلة الفترة الممتدة من سنة ١٥١٦ حتى ١٥٩١م حيث تبدأ السجلات العثمانية^(٢٤)، بذكر حكام الموصل، وهم ينتمون الى جنسيات مختلفة ومن خدموا في الولايات المجاورة مثل حلب، وديار بكر، وشهزور، فعرقتهم ظروف هذه الولايات، وعمقت من خبرتهم ومعرفتهم بشؤون المنطقة. ومن متابعتنا للسجلات العثمانية لاحظنا ان خمسين والياً تعاقب على حكم الولاية خلال الفترة (١٥٩١-١٦٥٤م) لم يكن بينهم إلا اثنان من السكان وهما بكر باشا الموصل (١٦٢٥-١٦٣٥) وداسني ميرزا باشا (١٦٥٠-١٦٥١م)^(٢٥) والاستعانة بها، جاءت في ظل احتدام الصراع العثماني - الفارسي كما هو معروف. والملاحظة المثيرة للتأمل في هذا المجال هي استعانة الدولة العثمانية بعد سنة ١٦٨٣^(٢٦)، بولاة من سكان الولايات العربية بصورة عامة، وولاية الموصل بصورة خاصة. وان تحليل هذا الاهتمام لاحتياج الى عناية كبير، فتوقف النشاط العثماني في الجهات الاوربية، اولاً، والمتغيرات الاجتماعية^(٢٧) التي اجتاحت البادية الشمالية والتي شكلت خطراً جدياً على ولاية الموصل ذات الاهمية الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية، كلها تفسر سبب هذا الاهتمام، وفي ضوء ما سبق جاء قدوم علي (عرب علي باشا)، الى حكم الموصل سنة ١٦٨٣ حتى ١٦٨٧م، حيث عزل، ثم جاء مصطفى باشا وهو برتبة وزير حتى سنة ١٦٩٧ فأعقبه في الحكم عرب علي للمرة الثانية ١٦٩٧^(٢٨). وعلى اية حال، فان المدينة شهدت سرعة في تغير الولاة حتى سنة ١٧٢٦م حين بدأ الحكم الجليلي.

كان يأتي بعد الوالي في سلم الجهاز الاداري، المتسلم، فهو نائب الوالي ووالي الولاية وكالة في حالة غياب الاول، كما كان المتسلم هو الذي يشرف على شؤون الولاية عند وفاة الوالي، الى ان يتم تعيين والي جديد، ان لم يُقر في المنصب، ومن الجدير بالذكر ان تعيين المتسلم كان يتم من قبل الوالي دون الرجوع الى العاصمة العثمانية.

ويرتبط بالوالي عدد كبير من الموظفين وفي المقدمة منهم، كتمخدا (الكخيا)، وهو اشبه مايكون، بما يعرف اليوم بمدير مكتب، كما كان له حق مساعدة الوالي للعمليات العسكرية والسياسية، وعليه ان يرفع تقريراً، بما يجري في الولاية، ثم يأتي (المكتوبجي)، كاتب الرسائل، والمهردار (حامل الاختام) (والخزنة دار امين الصندوق، وسلاحدار (المسؤول عن الاسلحة)، واحتشامات اغاسي (رئيس التشريفات) و (ميراخور) رئيس الاسطبل ومتوجرل اغاسي (الحاجب) والرونامجي (كاتب الوقوعات اليومية)^(٢٩)، ويرد ذكر ديوان الانشاء ضمن الجهاز الاداري في الفترة الجليلية (١٧٢٦-١٨٣٤). واغلب الظن ان هذا الديوان حل محل دائرة الرونامجي وكان يضم عدداً من خيرة ابناء المدينة وكتابها، والذين عرفوا بحسن الخط والدرابة بانواعه^(٣٠).

أما الادارة في السناجق فكانت بسيطة. فعلى رأس السنجق «سنجق بك» المسؤول عن حفظ الامن والنظام في منطقته، وارسال ماعل سنجقه من تعهدات مالية، فضلاً عن استنفار الفرسان للتوجه الى جبهات القتال، بالتنسيق مع (آلاي بيك)^(٣١)، ويعاونه في اداء مهمته (الصوباشي) وهو اشبه مايكون في الوقت الحاضر بضابط الشرطة.

في الواقع أن التطورات السياسية في العقدين الاول والثاني من القرن الثامن عشر، على

الصعيدين الخارجي والداخلي في الدولة العثمانية ، والتي تمثلت في تفاقم الاوضاع في ايران ، ودخول الدولة العثمانية طرفاً في الصراع الدولي^(٣٢) باحتلالها اقليم كرمينشاه ، ثم اضطراب احوال الولايات العربية ، وعلى كافة الاصعدة الاقتصادية والسياسية وغيرها جعلت الدولة تعيد النظر في طبيعة الادارة ، بشكل عام ، فأقرت حكم الاسر المحلية في بعض المناطق ، او الولايات ومنها ولاية الموصل ، حيث بدأت فكرة حكم الاسرة الجليلية ١٧٢٦-١٨٣٤ ، حيث يحلو لبعض من المؤرخين نعت ادارتها بالادارة الاقليمية - الجليلية^(٣٣) او فترة الحكم المحلي^(٣٤) ، في ضوء تقويمهم للامر الواقع . لقد استمرت التنظيمات الادارية العثمانية في ولاية الموصل خلال فترة حكم الولاة الجليليين ، وكان اولهم اسماعيل باشا الجليلي ، وتسلسل في الحكم من ابناء الاسرة الجليلية ستة عشر والياً حتى سنة ١٨٣٤م ، ويشير احد الباحثين الى ان « طبيعة الادارة في ولاية الموصل ، كانت ترتبط بالسلطة المركزية العثمانية ارتباطاً قوياً في بداية الحكم الجليلي » غير أن الادارة في الموصل بدأت تتأثر كثيراً بالسياسة التي انتهجها ممالك بغداد (١٧٤٩ - ١٨٣١م) والقائمة على اساس مد نفوذهم على ولايات اخرى ، بعد هيمنتهم على ولاية بغداد ، دون ان يعني هذا بالضرورة سياسة من اجل توحيد العراق بأكمله ، فالعراق هو مجال لممارسة السلطة ، وليس هدفاً بحد ذاته ، ومن الراجح أن الولاة المالك كانوا يتطلعون نحو الموصل والبصرة وغيرها لدفع بعض الشخصيات المملوكية المنافسة ، لهم ، وهذه حقيقة تشير إليها معظم المصادر المتوافرة^(٣٥) .

وفي ضوء ماسبق ، حاولت حكومة بغداد المملوكية ، مد نفوذها سنة ١٧٧٨م بتعيينها حسن باشا الذي كان والياً على بغداد ، غير ان ذلك لم يستمر طويلاً ، اذ سرعان ، مارجع الحكم

الجليليين ، ومن المعتقد أن السبب الذي يكن في تحلي سلطة بغداد عن محاولتها ، هو الاستعداد العثماني لطرد الفرس من البصرة المحتلة منذ سنة ١٧٧٩م^(٣٦) ، وقد تكررت المحاولة مرة ثانية ايام حكم داؤد باشا (١٨١٧ - ١٨٣١) ، اذ اجتمع للمالك بغداد نفوذ قوي في الموصل ، بعد الثورة الشعبية التي نشبت ضد الاسرة الجليلية الحاكمة ، غير ان هذه المحاولة باءت بالفشل ايضاً .

ومها يكن من أمر ، فقد انطوت صفحة المالك في بغداد سنة ١٨٣١م ، وبعد ثلاث سنوات ١٨٣٤م ، انتهى حكم الجليليين في الموصل ، في اطار المحاولة العثمانية ، لتصفية الكيانات السياسية المحلية في الولايات العربية ، كخطوة اولية لتطبيق السلطة المركزية ومفاهيم جديدة . املتأ ظروف النصف الاول من القرن التاسع عشر الميلادي . والملاحظة الجديرة بالاعتبار هنا ان الدولة العثمانية سلكت سياسة جديدة تجاه ولاية الموصل . ألا وهي الاعتراف على ولاة من سكان المدينة (الموصل) . فتم تعيين محمد سعيد آل ياسين في ولاية الموصل (١٨٣١) ثم محمد اينجه بيرقدار (١٨٣٥ - ١٨٤٣) الذي اول من حاول ادخال التحديث في المدينة باعتماده سياسة اصلاحية^(٣٧) تحول المؤسسات الادارية الى مؤسسات خدمية ، ولم يكن مرء اعتراف الدولة العثمانية على ولاة محليين رغبة السلطان العثماني محمود الثاني (١٨٠٧ - ١٨٣٩) نقل السلطة الى السكان ، بقدر ما كانت الظروف السياسية المضطربة سواء في العراق او التطورات المستجدة في بلاد الشام تتطلب اجراء من هذا القبيل .

التنظيمات الادارية العثمانية الجديدة وتطبيقاتها في الموصل ١٨٧٩ - ١٩١٨ :

اصدرت الدولة العثمانية خلال الفترة الممتدة من ١٨٣٩ حتى ١٨٧٦م ، عدة مراسيم وقوانين ،

استهدفت وقف التداعي والانهيار في الدولة والأخذ بأسباب الحضارة الحديثة^(٣٨)، وذلك باعادة النظر في كافة القوانين القديمة. التي لم تعد تلي متطلبات العصر، وبقدر تعلق الأمر بالادارة، فقد نظم قانون ١٨٦٤م والذي يعرف بـ «قانون الولايات»^(٣٩) الهيكل الاداري الجديد للدولة العثمانية، غير ان هذا القانون لم يطبق في العراق الا بعد مجي مدحت باشا الى حكم بغداد ١٨٦٩-١٨٧٢م، حيث شرع بعد ايام تولية تطبيق القوانين الاصلاحية ومنها قانون الولايات، فقسم العراق الى ثلاث ولايات هي بغداد والموصل والبصرة. فاصبحت حدود ولاية الموصل تمتد الى ولايتي وان وديار بكر من الشمال، ومملكة فارس (ايران) من الشرق، وسنجق دير الزور من الغرب، وولاية بغداد من الجنوب^(٤٠).

أما التشكيلات الادارية في ولاية الموصل بعد سنة ١٨٧٩م، فقد ضمت ثلاثة الوية، وسبعة عشر قضاءً، وبالصورة الآتية :

أولاً : لواء الموصل :

- ١ - قضاء الموصل (مركز لواء) ٢ - قضاء العبادية
- ٣ - زاخو ٤ - دهوك ٥ - عقرة ٦ - سنجار.

ثانياً : لواء كركوك :

- ١ - مركز اللواء كركوك ٢ - قضاء راوندوز
- ٣ - اربيل ٤ - كفري (صلاحية) ٥ - كويسنجق
- ٦ - رانية.

ثالثاً : لواء السليمانية :

- ١ - مركز اللواء سليمانية ٢ - قضاء كل عنبر
- ٣ - قضاء بازيان ٤ - شهر بازار ٥ - مركه
- ٦ - الحاف.

وكانت الاقضية تشرف على النواحي (ناحية) التابعة، وليست لدينا معلومات كافية عن اسماء النواحي التابعة للولاية التي كونت ولاية الموصل

في اعقاب اول تقسيم اداري للمنطقة، غير ان السالنامات العثمانية الصادرة في مطلع القرن العشرين توضح بشكل جلي عدد النواحي والاقضية التابعة للولاية التابعة لولاية الموصل، فالتقسيمات الادارية للولاية، كما وردت في سالنامة سنة ١٩٠٩م/ ١٣٢٧هـ. كانت على النحو الآتي :

القرية	لناحية	القضاء	اللواء
٥٠٦	شيخان، عشائر	الموصل	لواء الموصل
—	داودية، برواري	العبادية	
—	بالا، برواري زيد،		
—	ريكان، نيرو		
١١٠	—	زاخو	
٢١٥	مزوري	دهوك	لواء كركوك (الناحية الحالية)
١٣٢	الزيبار	عقرة	
—	تلعفر	سنجار	
٣٤٨	ملحة، دافوق، التون كوبري، كيل شوان.	كركوك	
٢٨٣	ديره حرير، بالك برادوست شيروان.	راوندوز	
١٢١	شقلاوة	كوي سنجق	لواء كركوك (الناحية الحالية)
٩٠	—	رانية	
٢٣٠	سلطانية، ديزه بي	اربيل	
٩١	قره تبه، طوز	الصلاحية	
١٣٩	خورماتو	(كفري)	
٤٧٢	قره طاغ	السليمانية	لواء السليمانية
—	البيجة، سروجك، قرلجة	كل عنبر	
١٣٧	قلعة ديزه، سوزكاش مركه	معمور حميل	
١٥٩	قلعة سبوكه، سنگاو	بازيان	
عشائر	سنگ، ماوث (ماوث)	شهر بازار	
١٣٢٠٧ ^(٤١)	—	٣٣	المجموع ٣

أما الجهاز الاداري في الولاية فقد حدد قانون ١٨٦٤م طبيعة التشكيلة الادارية في الولاية والاجهزة والمؤسسات الادارية في كل منطقة، وصلاحيات وواجبات مسؤول المنطقة، وشكل العلاقة بين الادارة والسكان. فقد كان الوالي هو المسؤول الاداري الأول في الولاية، وواجباته تنحصر في رئاسة مجلس الولاية، وتنفيذ اوامر العاصمة العثمانية، والعمل على كبح جماح نزعة او حركة معادية للسلطة، كما ان الوالي هو الذي يشرف على الشؤون المالية والعسكرية في منطقته، ويرتبط لهذا الغرض جهاز اداري مالي يضم معاونه، والدفتردار (المسؤول عن الشؤون المالية) والمكتوبجي (المسؤول عن المراسلات الرسمية، ورئيس ديوان التمييز. وهؤلاء الاربعة يشكلون اركان الولاية^(٤٢).

ان المجلس العمومي للولاية، والذي شكّل في ضوء قانون ١٨٦٤م كان يعقد اجتماعاته لمدة اربعين يوماً، وبرئاسة الوالي، و(١٢) عضواً بواقع اربعة اعضاء عن كل لواء، وقد اجاز القانون أن ينوب الوالي في رئاسة المجلس احد كبار الموظفين، ممن عُرفَ بالزاهة والكفاءة. كان على المجلس العمومي، من الناحية النظرية، العمل على رفع المستوى الاقتصادي والثقافي والتعليمي في الولاية، ورفع المقترحات الى العاصمة العثمانية لاقرارها، من هنا فقد كان دور المجلس استشارياً. أما الادارة في الأنضية والنواحي والقرى، فقد شكلت فيها مجالس إدارة ضمت اعضاء اصلاء، وآخرون يمثلون السكان، وكان مسؤول الوحدة الادارية هو رئيس المجلس بطبيعة الحال، أما المجالس القروية فقد كانت تعرف بمجالس (الختيارية) ايضاً، اي مجلس كبار السن، ويضم مجلس كل قرية عدداً من الاعضاء المنتخبين يتراوح عددهم بين (٣-١٢) شخصاً^(٤٣) حسب نسبة عدد السكان في القرية، ومدة العضوية في المجلس سنة واحدة،

وقد اجاز القانون انتخاب بعضهم مدى الحياة، أما واجبات مجلس الختيارية فهي رفع المقترحات الى مدير الناحية، بشأن الخدمات التي تحتاجها القرية، مثل فتح الطرق وتشديد الجسور، كما نصّ قانون الولايات على ان من واجبات هذا المجلس احاطة المنطقة الادارية التابعة لها القرية علماً بالمتغيرات الاجتماعية كالموت والولادة، ويكون واسطة الاتصال على الاكثر هو مختار القرية، الذي كان عليه ايضاً مساعدة موظفي الولاية في جباية الضرائب وملاحقة المطلوبين للسلطات المحلية، ولعل من المناسب ان نشير هنا الى ان تكليف الاشخاص للعمل مختارين في كل قرية او حي في كل قضاء، كان شيئاً جديداً على الادارة العثمانية في العراق، برغم وجود مختارين في احياء اسطنبول، يقومون بتبليغ الأوامر السلطانية منذ عام ١٨٢٦م^(٤٤).

وعلى اية حال، فانه في ظل العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة في القرى العراقية في العهد العثماني، والمهام المطلوبة من الادارة، تأديتها تجاه السلطة المركزية خاصة المتعلقة بجباية الضرائب وحصة الدولة من الاموال، لنا ان ننصّر الدور السلبي الذي نهض به بعض المختارين، خاصة اذا كوّن لغة مشتركة مع المسؤول الاداري في المنطقة.

وفي ضوء تطبيقات قانون الولايات ١٨٦٤م، فقد تشكلت في الولايات العراقية دوائر بلدية، وبقدرة تعلق الامر بولاية الموصل، فان بلديتها التي تأسست ١٨٦٩ هي اقدم دائرة بلدية في العراق^(٤٥). وتشير سالتامة الموصل لسنة ١٩١٢ ان بلدية الموصل كانت تضم مهندس البلدية المشرف على تخطيط الشوارع والتصميم العام للمدينة، وطبيب المدينة، والذي يسأل عن احوال المدينة الصحية. ويشرف على المجازر ومايباع في السوق من لحوم وفواكه وغيرها، وامين الصندوق وكاتب،

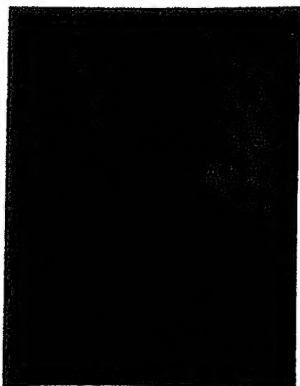
الحاج يونس المفتي، التي امتدت بين سنتي ١٨٧٣ - ١٨٧٧ ويونس الفخري ١٨٧٧ - ١٨٧٨ م، نجد اصطلاح البلدية باعمال كبيرة خلال فترة رئاسة يونس آل الجليلي ١٨٧٨ - ١٨٨٢ م منها انشاء بعض الحوانيت وفتح بعض الشوارع في المدينة، وحفر القساطل في المناطق المنخفضة وذلك لتصريف المياه في موسم الشتاء. وفي الفترة ١٨٨٢ - ١٨٨٧ م تولى رئاسة البلدية سليمان بن عبدالرحمن، ولم تقم البلدية بأي عمل، في حين قامت بلدية الموصل في فترة رئاسة حسن العمري ١٨٨٧ - ١٨٩١ بعدة اعمال، انعكست على اوضاع المدينة الجمالية والثقافية منها، انجاز بنابة دائرة البلدية ودائرة المحكمة الشرعية، ودائرة الجندرية، كذلك انجاز مشروع للنقل بالعربات في مدينة الموصل، كذلك انشاء دار للضيافة وكما ساهمت البلدية في التخفيف عن كاهل السكان اعباء الازمة الاقتصادية، بسبب القحط والجذب الذي حل، وذلك باستيراد الحنطة من الخارج.

وفي فترة رئاسة سعيد بن قاسم اغا آل سعري ١٨٩٨ - ١٩٠٤ م انجزت بلدية الموصل عدة



• البناية القديمة لبلدية الموصل.

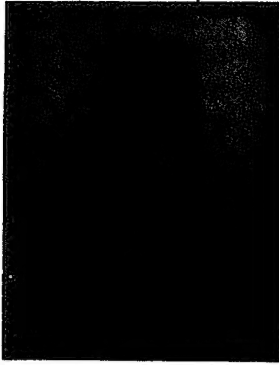
وهؤلاء الاربعة يمثلون السلطة في الولاية وهم اعضاء رسميون، أما الاعضاء الآخرون، فينتخبهم السكان، بشرط ان يكونوا من اصحاب الاملاك، لذا فهم لا يتسلمون رواتب من الولاية، ويكون تعيين رئيس البلدية عادة من صلاحيات الوالي. وفي الواقع أن حجم منجزات بلدية الموصل ارتبط الى حد كبير بشخص الوالي ورئيس البلدية، ومدى حماسها في انجاز ما تحتاجه المدينة من خدمات بلدية. ففي الوقت الذي لا نجد اية اشارة الى قيام البلدية، بأي عمل خلال فترة رئاسة كل من



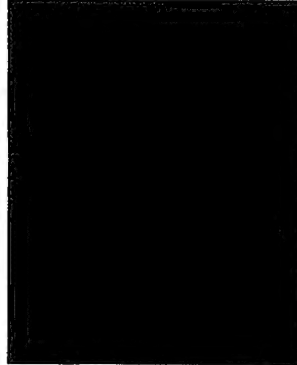
• حسن العمري رئيس البلدية للفترة من ١٨٨٧ - ١٨٩١ م.



• الحاج سليم الداغ (رئيس بلدية الموصل وكالة ١٩١٣ م).



عمود بك آل شريف بك



صالح السلي رئيس البلدية سنة ١٩١٢.

الهوامش :

(١) Edward S. Creasy. History of the ottoman Turks (Ney York 1877) PP. 123 - 5.

(٢) انظر عن فترة ما بعد جالديران :

Sevket Beysan oglu.
Kisaltimisi, Diyarbakir Tarihi ve Abideleri).
Diyarbakir Tanitma Dernigi Neariyati. No.
11. Tarih ve Cografya Takimi. SS. 80-3.

(٣) عن الدور المهم الذي لعبه ادرسي البديلي في تصفية النفوذ الصفوي في المناطق الكردية في شمال العراق. انظر: عبد العزيز قوه جلي. روضة الابرار المبين بمحقق الاخبار (بولاق ١٢٤٨ هـ). ص ٢٠٤ وما بعدها. والبديلي من المؤرخين العثمانيين الاكراد الذين لم يحمه في عهد السلطان بايزيد الثاني (١٤٨١-١٥١٢ م)، المعروف بزهدده وحيه للشيخ والتصوفين، فألف له كتاباً سماه «مشت بهشت» اي «الجنة» الثاني، وهو كتاب في التاريخ العثماني، وبعد اعتلاء السلطان سليم الاول العرش (١٥١٢-١٥٢٠ م) عينه مساعداً له لادارة المناطق الكردية. لما كان يتمتع به البديلي من احترام وسكانة رفيعة عند الاكراد باعتباره عالماً متبحراً في العلوم الدينية. توفي سنة ١٥٢١ م. انظر. ترجمته في : بروسي محمد طاهر: عثمانلي مؤلفي - اسطنبول - مطبعة عامر ١٣٤٢ هـ.

ج ٣. ص ٦-٧.

(٤) D. E. Pitcher. An Historical Geography of the ottoman empire. (Iedın - Brill. 1972). P. 103 كذلك دراسة د. سياركوب الجليل. السيطرة العثمانية على الموصل والجزيرة سنة ١٥١٦ م. مجلة بين النهرين. السنة الثامنة. العدد ٣٠ لسنة ١٩٨١. ص ٣٢٤.

(٥) روبرت ديبليو. الرسن. حصار الموصل والعلاقات العثمانية

مشاريع مهمة، تركزت على الجانب الصحي والمهني والامن منها: نقل معمل الدباغة الاهلي وكذلك المجزة من داخل المدينة الى اطرافها، كما تم انشاء مستشفى جديدة ومدرسة للصناعة فضلاً عن اضاءة المدينة بالمصابيح النفطية، وكما قامت بلدية الموصل في فترة رئاسة محمود بك آل شريف آل المفتي ١٩٠٤ - ١٩٠٨ م بتشيد بناية مدرسة اعدادية الموصل وفتح شارع رئيس امامها^(٤٦) يعرف الآن بشارع العدالة.

ونخلص في كل ما سبق الى القول بان التنظيمات الادارية، باعتبارها وسيلة من وسائل السلطة المركزية لبسط نفوذها قد عكست الوظيفة العسكرية والاقتصادية المطلوبة من الولايات التابعة للدولة العثمانية اداءها في المرحلة الاولى من التنظيمات الادارية العثمانية في ولاية الموصل، لذا يبقى الطابع التعسفي للادارة امراً وارداً في هذا المجال، في حين حاولت التنظيمات الادارية في المرحلة التالية ١٨٧٩ - ١٩١٨ ان تعكس بعض الابعاد الايجابية، ولو في حدود المسائل النظرية للسياسة العثمانية خاصة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

osmanli imparator ingunda, zira,Ekonominin
ve muli esaslari, Birinci. cit.. Kanunlar.Burhan.
matbues. Istanbul. 1943. P. 173- 174.

(١٨) ساطع الحصري. البلاد العربية والدولة العثمانية. الطبعة الثالثة. (بيروت ١٩٦٥) ص ١٤١.

(١٩) ان اهمية القائمة التي يذكروها كاتب جلبي تكمن في كونه احد الأشخاص الذين راقوا الحملة حملة الصدر الاعظم خسرو باشا سنة ١٦٢٩م لاسترجاع بغداد من الفرس. انظر: مصطفى ابن عبد الله كاتب جلبي: جهاننا كتابي. (القسطنطينية ١١٤٥هـ). ص ٤٣٦.

(٢٠) محمد علي بن فرويش اوليا جلبي: اوليا جلبي سياحتنامه سي. (اقدام مطبعة سي استانبول ١٣١٤هـ). ج ١. ص ١٨٧.

(٢١) الطوغ: او التوغ Tugh: شعار تركي قديم يتكون من علم ابيض تعلوه خصلة شمر (ذيل حصان)، يحمل في اوقات الحرب، فكان لبيكات السناجق الحق في رفع طوغ واحد في حين لبيكاتى، الحق في حمل طوغين، اما حكام الولايات من هم برتبة وزير فلهم حق رفع ثلاثة اطوغ، انظر: هاملتون جب. وهارولد بون. المجتمع الاسلامي والغرب. ترجمة. احمد عبد الرحمن مصطفى. القاهرة ١٩٧١. ج ١. ص ١٩٧.

(٢٢) علي شاكر علي: تاريخ العراق في العهد العثماني. (بغداد ١٩٨٤). ص ص ٢٥-٢٦.

(٢٣) عن اشتراك ولاية الموصل في الحملات انظر: علي شاكر علي، المرجع السابق. ص ص ٤٥-٦٥.

(٢٤) الساننامة: كلمة مركبة من سال بمعنى السنة، ونامة: بمعنى الكتاب، فيمكن تعريب المصطلح بـ «الكتاب السنوي»، وللساننامات العثمانية اهمية معتبرة من الناحيتين الادارية والمالية، أما من الناحية التاريخية، فعلموماتها مضطربة وغير دقيقة لذا لا يمكن الزكون اليها دون مقارنتها بالمصادر الاخرى. انظر عن اهمية الساننامات دراسة الدكتور ابراهيم خليل احمد والساننامات العثمانية مصدراً لتاريخ البصرة الحديث. مجلة دراسات الخليج العربي. البصرة. المجلد ١٤. العدد ٤١٣ لسنة ١٩٨٢.

(٢٥) عن اسماء الولاة الذين تعاقبوا على حكم الموصل انظر: ساننامة ولاية الموصل لسنة ١٣٠٨ عربي / ١٣٠٦ روسي. باشراف وترتيب: حسن توفيق افندي / مطبعة ولاية الموصل. ص ص ٣٨-٤٠.

(٢٦) بعد فشل المحاولة العثمانية سنة ١٦٨١م في احتدام فينا، بدأت الاستراتيجية العثمانية تركز على الولايات الاسيوية، لذا شهدت الجبهة العثمانية -الارمنية المعادية انظر عن اهتمام الدولة بالولايات الاسيوية: Robert. W. olson. The siege of Mosul (1718- 1743). (Indiana university. 1975) P. 166.

(٢٧) لقد تمثلت هذه التغيرات في الدفاع قبائل شمر من موطنها في جزيرة العرب باتجاه الفرات الأعلى ولم الموصل وإزاحتها للقوى القبلية في المنطقة. انظر: ستيفن هسلي لونكريك. اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث. ترجمة. جعفر الخياط. الطبعة

الفارسية (١٧١٨- ١٧٤٣). ترجمة عبد الرحمن الحليبي. (دار العلوم السعودية ١٩٨٣). ص ٥١.

(٦) انظر بحثنا: التنظيمات الادارية العثمانية في ابالة البصرة. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية. الكويت. العدد ٣٥ لسنة ١٩٨٣ ص ١٢٨.

(٧) نجمة كربونج، والتنقيصات الادارية الاولى لمركز ديار بكر، مجلة كلية الاداب التاريخية-انقرة العدد ٢٣ اذار ١٩٦٩. ص ٣١ نقلاً عن اولسون، المصدر السابق ص ٩٤.

(٨) فرن هامر، دولت عثمانية تاريخي. مترجمي. محمد عطا. دار الخلافة العلمية. ١٣٣٥. ج ٤، ص ١٧٧.

(٩) حسين محمد القهواني، العراق بين الاحتلالين العثماني الاول والثاني (١٥٣٤- ١٦٣٨م) رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب. جامعة بغداد ١٩٧٥. ص ص ٣١٣-٣١٤.

(١٠) في الواقع، ان الاعتبارات التي دفعت الدولة العثمانية الى تجريد حملة ١٥٣٤م تكن في الرغبة في فرض السيادة الفعلية على طرق التجارة المهمة امثال طريق الحرير الذي كان يسير من تبريز الى ارضروم Erzurum وطروقات Tokat وبورصة Bursa وطريق التوابل Spice route الذي كان يمتد من البصرة الى بغداد وحلب، لذا فان دخول بغداد في الطوق العثماني هو استكمال منطقي لأمتداد النفوذ العثماني الى سوريا ومصر ١٥١٦- ١٥١٧م. انظر: صالح اوزيران. الاتراك العثمانيون والبرغليين في الخليج العربي. ترجمة: د. عبد الجبار ناجي. البصرة ١٩٧٩. ص ٢٧.

(١١) لمزيد من التفاصيل عن تطبيقات النظام الاتفاقي في ارجاء اخرى من المشرق العربي. د. عماد احمد الجواهري. الاوضاع الاتفاقية في فلسطين في العصر الحديث. (بغداد ١٩٨٣) ص ٤٥ وما بعدها.

(١٢) Bas vekalet Arsivi, Istanbul. Tapu defteri. No. نسخة مكتبة الدراسات العليا- كلية الاداب. جامعة بغداد 195.

(١٣) انظر عن ذلك. مذكرات مأون بك بن بيگه بك. نقلها الى العربية وعلق عليها. محمد جميل الروزياني وشكرو مصطفى. (مطبعة المجتمع العلمي العراقي. بغداد ١٩٨٠) ص ٧٣ والصفحات اللاحقة، وما تجدر الاشارة اليه ان مذكرات مأون بك امير اردال تضم عدة وثائق عثمانية، تكشف طبيعة العلاقة بين اردالايين والدولة العثمانية.

(١٤) عن اسباب اضطراب الحالة السياسية في شهوروز: انظر. مرتضى نظمي زادة: كلشن خلفا. نقله الى العربية. موسى كاظم نورس. (التجف الاشرف. لا. ت) ص ص ٢٠٤-٢٠٥.

(١٥) مذكرات مأون بك بن بيگه بك. ص ٧٤.

(١٦) المصدر السابق نفسه ص ص ٧٤-٧٥.

(١٧) نشر المؤرخ الاقتصادي التركي عمر لطفي يركان مجموعة القوانين الاقتصادية والقانونية التي صدرت في عهد السلطان مراد الثالث في عهدين للاستزادة انظر:

Omer Lutfi Barkan. XV ve XVI irri Asirlarda

(٣٩) صدرت في الفترة الممتدة بين سنة ١٨٣٩ - ١٨٧٦ جملة من

المراسم والقوانين الإصلاحية، هذه الفترة التي تعرف في
الادبيات والوثائق العثمانية بفترة التنظيمات، ومن هذه القوانين
والمراسم: خط شريف غلخان ١٨٣٩م خط همايون
١٨٥٦م، قانون الأراضي العثمانية ١٨٥٨م، قانون الولايات
١٨٦٤م. عن الابعاد الاجتماعية والاقتصادية لقوانين
١٨٥٨م. انظر دراسة المؤرخ الالمني، ز. ي. هرشلاغ،
مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط. ترجمة
مصطفى الحسيني. دار الحقيقة، بيروت ١٩٧٣. ص ص
٤٣- ٤٨ وعن قانون الولايات يمكن الرجوع الى: مجموعة
التنظيمات العثمانية المنشورة باسم (الدستور). ترجمة.
نوفل افندي نصر الله نوفل. بيروت ١٣٠١. مجلد ١. ص
٣٨٢- ٣٩٧.

(٤٠) سالتامة ولاية الموصل (موصل سالتامة ومجيسلدريثس التحرير.
صفوت بك. لسنة ١٣٢٧ و ٩ وما نجد الإشارة اليه ان
الدولة العثمانية اصدرت في ١٨٧٢م / ٢٩ شوال ١٢٨٧م
تأكيداً بضرورة المحافظة على التقسيم الاداري الجديد في
العراق، والذي نفذته مدينت باشا. الامر الذي يفهم منه وجود
محالة للتخلص من الادارة الجديدة التي ألحقت اضراراً ببعض
الشرائع الاجتماعية. انظر عن امر سنة ١٨٧٢ في: تغير طه
ياسين. بدايات التحديث في العراق (١٨٦٩ - ١٩١٤)
اطروحة ماجستير غير منشورة. الجامعة المستنصرية. ١٩٨٤.
ص ٨٢.

(٤١) سالتامة الموصل لسنة ١٣٢٧. ١١ انظر كذلك. فيصل محمد
الارجم. تطور العراق تحت حكم الاتحاديين (١٩٠٨ -
١٩١٤). (الموصل ١٩٧٥). ص ٤٧.

(٤٢) الدستور. ج ١. ص ص ٣٨٦ - ٣٨٩.

(٤٣) عبدالعزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث (من نهاية حكم
داؤد باشا الى نهاية حكم مدينت باشا) دار الكتاب العربي
للطباعة والنشر. القاهرة ١٩٦٨ ص ص ٣٦٣ - ٣٦٤. وما
نجد الإشارة اليه في هذا المجال، فانه ليست لدينا معلومات
اكيدة عن استمرار منصب باب العرب، وكانت مهمته ان
يكون واسطة بين العشائر العربية والوالي لحل المشكلات بين
الطرفين، في هذه الفترة، مع العلم انه كان موجوداً في الموصل
سنة ١٨٤٧. انظر: نوار، المصدر السابق. ص ٣٦٥.

(٤٤) عبد الكريم خراية: تاريخ العرب الحديث. دار الاهلية للنشر
والتوزيع (بيروت ١٩٨٤) ص ٢٥٨.

(٤٥) د. ابراهيم خليل احمد. ولاية الموصل. دراسة في تطوراتها
السياسية ١٩٠٨ - ١٩٢٢. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية
الاداب. جامعة بغداد. ١٩٧٥. ص ٥٠. احمد علي
الصوفي. تاريخ بلدية مدينة الموصل. (الموصل ١٩٧٠)،
ج ١. ص ٢٢.

(٤٦) جاسم محمد الدول. العراق في العهد الحيدري (١٨٧٦ -
١٩٠٩). اطروحة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب. جامعة
بغداد ١٩٧٥. ص ص ٢٥٦ - ٢٥٧.

الرابعة. بغداد ١٩٦٨. ص ١٠٤.

(٢٨) عن دور علي كديم والي الموصل والمعروف ايضاً بعرب علي باشا
وصراعه مع عشائر طين: انظر: ياسين بن خير الله العمري.
زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية. تحقيق عماد عبد
السلام رؤوف. النجف الاشرف ١٩٧٤ ص ٧٥.

(٢٩) انظر: علي شاكور علي، تاريخ العراق في العهد العثماني ص ص
٢٨ - ٢٩.

(٣٠) عماد عبد السلام رؤوف: الموصل في العهد العثماني (فترة
الحكم المحلي ١٧٢٦ - ١٨٣٤). مطبعة الاداب (النجف
الاشرف ١٩٧٥). ص ٢٢٩.

(٣١) آلاي بك: هو الشخص المسؤول عن تهيئة الفرسان في
الانطلاعات العثمانية وايصالهم الى ساحة القتال.

(٣٢) في العقد الثاني من القرن الثامن عشر، اشتداد الصراع الدولي
على ايران التي شهدت اراضيها تدفق ثلاثة جيوش والافغانية
والروسية والعثمانية فقد احتل العثمانيون اجزاء كبيرة من كرمشاه
ومن ضمنها همدان. انظر: ismail Hakki uzu cursili.
osmanli Tarhi. cilt.4. Kisim. 1. (Ankara 1956.) SS
179 - 172.

(٣٣) د. سيار كوكب الجميل: الحياة الاقتصادية والاجتماعية لولاية
الموصل في العهد الجليلي (١٧٢٦ - ١٨٣٤). بحث مقدم الى
مؤتمر الحياة الاجتماعية في الولايات العربية اثناء العهد العثماني.
زغوان تونس ١٩٨٨. ص ٢٤٤.

(٣٤) د. عماد عبد السلام رؤوف. المصدر السابق (عنوان
الكتاب).

(٣٥) د. سيار الجميل، الحياة الاقتصادية والاجتماعية. ص ص
٢٤٥ - ٢٤٦ وعن ظروف وصول الاسرة الجليلية يمكن الرجوع
ايضاً الى: سليمان صانع الموصل. تاريخ الموصل المطبعة
السلفية (مصر ١٩٢٣). ج ١. ص ص ٢٧٤ - ٢٧٥ وعن
المنافسة والصراع على السلطة في بغداد انظر: د.
علاء موسى كاظم نونسي. حكم المالكي في العراق. دار الحرية
للطباعة. (بغداد ١٩٧٥). ص ٤٩ وما بعدها.

(٣٦) د. عماد عبد السلام رؤوف: المصدر السابق ص ١٢٠.

(٣٧) يمكن الرجوع الى: د. ابراهيم خليل احمد. تاريخ الوطن
العربي في العهد العثماني (١٥١٦ - ١٩١٦). (الموصل
١٩٨٣) ص ص ٩٧ - ٩٨.

(٣٨) تشير الدراسات الحديثة الى ان السلاطين العثمانيين كانوا على
ادراك بئ يضاعف الدولة العثمانية وتأخرها عن ركب الحضارة
العالمية، وسبل معالجة الضعف. كما ان بعض المثقفين
العثمانيين، حاولوا توضيح ابعاد الاخطاء التي ترتب من قبل
المؤسسات منهم قورجي بيك، المقرب من السلطان مراد الرابع
(١٦٢٣ - ١٦٤٠) والذي رفع اليه تقريراً ضمنه رؤيته حول
واقع الدولة وسبل معالجة التدهور والضعف فيها انظر دراسة
وافية عن مضمون التقرير في: د. خالد زيادة. اكتشاف
التقدم الاوربي. دراسة في المؤثرات الاوربية على العثمانيين في
القرن الثامن عشر. (بيروت ١٩٨١). ص ص ١٦ - ١٧.

الموصل وحركة التنظيمات العثمانية

(١٢٥٥-١٢٩٣ هـ - ١٨٣٩-١٩١٧ م)

علي شاكِر علي

توطئة:

بدأت حركة التنظيمات بأصدار البيان الاصلاحى المعروف بـ «منشور الكلكانة» في ٣ تشرين الثاني عام ١٨٣٩ م، حيث تلى في قصر الكلكانة أي قصر الورد، على مشهد من الأعيان والسفراء وكبار رجال الدين والدولة، وقد عدّ بعض المؤرخين صدور هذا البيان الاصلاحى بمثابة تنويع للجهود الاصلاحية السابقة، وخاصة في عهد السلطان سليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧ م) الذي أولى اهتماماً ملحوظاً بالاصلاحات المتعلقة بالنواحي العسكرية،^(١) وذهب ضحيةً لافكاره الاصلاحية. ومن ناحية اخرى فان الباحث يتلمس على نحو واضح تأثير الاصلاحيين العثمانيين بمبادئ الثورة الفرنسية ١٧٨٩ م، في: الحرية والمساواة، والاخاء. وتعليل هذه المسألة لاحتياج الى عناية كبير، لان مبادئ الثورة الفرنسية انتقلت الى الولايات العثمانية بواسطة عاملين: أولاً بواسطة البعثات العسكرية الفرنسية التي وصلت الى الباب العالي، بهدف تجديد الجيش العثماني. وبعد ان تعلم الضباط العثمانيون اللغة الفرنسية لم يقتصروا على دراسة العلوم العسكرية الفرنسية فحسب بل صاروا يطالعون الكتب السياسية، خاصة كتابات رجال التنوير والتحرر من الاضطهاد والتقاليد الاجتماعية البالية، والعامل الثاني بواسطة البعثات الدبلوماسية سواء منها الاوربية المقيمة في الباب العالي ام العثمانية التي كانت تمثل الحكومة في عواصم اوربا وعلى الاخص في باريس^(٢).

لقد كان بيان ١٨٣٩، فاتحة لعدة مراسيم اصلاحية استمرت حتى سنة ١٨٧٦ م، من اهمها البيان الاصلاحى المعروف بـ «خط همايون

١٨٥٦ م اي الخط المبارك، وقانون الاراضي ١٨٥٨ م، وقانون الولايات ١٨٦٤ م واخيراً الدستور العثماني الصادر في عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩ م)^(٣) وبذلك تكون حركة التنظيمات العثمانية قد استغرقت سبعاً وثلاثين سنة.

في الواقع ان قراءة فاحصة لجميع المراسيم والقوانين الاصلاحية خلال الحقبة التاريخية المذكورة آنفاً تشير اشارة واضحة لا لبس فيها، الى ان اهم الاساس الذي كمن وراء اصدار هذه المراسيم والقوانين هو الرغبة في ايجاد هيكل اداري جديد قادر على استيعاب المتغيرات السياسية والاقتصادية والعسكرية، فقد كانت هذه الجوانب بحاجة ماسة الى اعادة نظر في اسسها واهدافها، ففي الجانب السياسي لم يعد جواب الباب العالي في نظر السكان مقنعاً بمطلقية حكم السلطان العثماني، كما ان العلاج الاقتصادي الذي وضع لتحسين وضع الفلاحين، والمتمثل بنظام الالتزام^(٤) زاد في الطين بلة، اذ جعل الفلاح يعيش تحت رحمة الملتزمين دون ان يأخذ هؤلاء بنظر الاعتبار مواسم القحط والمحل والفيضانات وغيرها. ومن ناحية اخرى فان سلسلة الهزائم العسكرية للجيش العثماني قد خلقت قناعة كاملة أن جيشاً نظامياً يمتاز بالصرامة والتدريب المتكامل هو الكفيل بانقاذ الدولة من الانهيار التام، لذا كان هذا اهم التاريخي كما يذكر الباحث وجيه كوثراني^(٥)، يشكل قاعدة لكل المراسيم الاصلاحية، التي حاولت ايضا ايجاد ادارة وقضاء، يستوعبان «التنوع الملى» على اساس المساواة الحقوقية في الادارة والقضاء والتعليم، والقاسم المشترك هو

المصالحة القائمة على اساس التوفيق بين مصالح السكان والوطن في اطار التبعية العثمانية الواحدة وهو مفهوم يقترب كثيراً ما شاع في الوثائق والادبيات الاوربية في تلك المرحلة التاريخية، من مفهوم «الناسيوناليتي» Nationalite. مع الحرص على ابقاء الامتيازات القديمة التي منحت للسكان و«الرعايا» غير المسلمين.^(٦)

على اية حال ، فان هذه المقدمة القصيرة عن التنظيمات العثمانية ، ضرورية لمتابعة الموضوع الذي نحن بصدد بحثه ، اي محاولة تتبع تأثير التنظيمات العثمانية على الموصل كولاية عثمانية . والمتبع للمصادر والمراجع التاريخية المتيسرة عن ولاية الموصل يلاحظ ان تأثير التنظيمات العثمانية لم يصل الى الموصل على نحو مباشر ولموس الابعث مجي مدحت باشا والياً على العراق سنة ١٨٦٩م ، غير ان هذا لايعني ان المدينة (الموصل) لم تشهد اية اصلاحات خلال الفترة ١٨٣٩-١٨٦٩م ، فالتجربة الاصلاحية التي باشروها والي الموصل محمد اينجة بيرقدار (١٨٣٥-١٨٤٣) ، رغم نواقصها والغرض من تطبيقها ، تبقى جدية بالتنبؤ والاشادة ، وكما يقول احد الباحثين في هذا المجال عن التجربة «انها لم تقدم للمجتمع ما كان يحتاجه ويتوقعه ، اذ بقي يعاني من مشاكل سكانية ومعضلات عشائرية واقتصادية وازمات طبيعية مزمنة وخطيرة».^(٧)

ادارة الموصل بين سنتي ١٨٣٥-١٨٤٣ م :

عانت الموصل في السنوات الاخيرة من حكم الجليليين (١٧٢٦-١٨٣٤م) الأمرين من فقدان الأمن وانتشار الفوضى في ارجائها ، وكانت اسباب هذه الفوضى داخلية وخارجية . فقد استفحلت النزعة العشائرية في اطراف المدينة ، وغدت هبة الدولة غير ذات بال ، كما ظهر الصراع بين الاسر الموصلية وخاصة الأسرتين العمرية والجليلية^(٨) . كما جاءت التطورات السياسية السريعة في بلاد الشام

بنتائج سلبية على الاوضاع في المدينة على المدى القصير . اذ تطلعت الاسرة الجليلية الى الاستعانة بالعشائر العربية للوقوف بوجه خصومها وهذا ما حصل ، عندما استعان الجليليون بعشائر شمر الجربا والتمهيد لهم بدخول المدينة سنة ١٨٣٢م ، واذا كان ما يذكره احد الباحثين^(٩) ، ان صفوك شيخ شمر جربا قد دخل المدينة بتحريض من ابراهيم باشا بن محمد علي حاكم مصر ، الذي كان يعمل على ضم العراق والشام لمصر بهدف تكوين دولة عربية موحدة ، وارداً في السياق العام للاحداث التاريخية ، فان هذه الاستعانة تكشف عن عمق الصراع ووصوله الى مرحلة خطيرة . وفي اثناء هذه السنوات برز اسم محمد اينجة بيرقدار ، عندما كلف بوضع حد للحالة غير الاعتيادية في نظر العثمانيين وقد جاءت نهاية الأسرة الجليلية في الموصل على يده كما هو معروف ولكن يبقى السؤال : من هو البيرقدار هذا . قائماً . يذكر عباس الغزاوي^(١٠) ان محمد اينجة بيرقدار تركي الاصل من مدينة پارطين في قسطنطيني ، خدم العسكرية في مصر وغيرها ، ثم طرد الى الشام ، وبدأ هناك بجمع اعوان له ، هاجم ديار بكر والموصل ، وفي احدى المرات وصل هجومه قريباً من باب سنجار فخرج عليه الاهلون وطرده ، ولما سمع به والي بغداد علي رضا باشا أرسل في طلبه سنة ١٨٣٣م فاناط به حكم كركوك وتكليفه بقيادة حملة عسكرية لوضع نهاية للاسرة الجليلية^(١١) ، وفي سنة ١٨٣٥م اصبح والياً على الموصل ، ويعتقد ان تعيينه لحكم الموصل جاء اعترافاً بعمله العسكري ، وخبرته المتراكمة في شؤون المنطقة ، والملاحظة الجديرة بالاعتبار هنا أن سنوات حكم البيرقدار قد حفلت باصلاحات لم تكن مألوفاً لدى السكان سابقاً ، كما ان معرفة السكان بالوالي الجديد عندما اقتحم احد ابواب المدينة ، قد جعلتهم يعيشون تحت عقدة الخوف من وجوده في المدينة ، فقد كانت «صرامته الخطيرة الخالية من

الرحمة»^(١٢) كفيلة بخلق هذا الهاجس .

فقد كان اول عمل قام به محمد اينجة بيرقدار هو تطبيق «القرعة» اي التجنيد الالزامي، فعارضه السكان في ذلك، فلهجأ كماداته الى استخدام القوة المتناهية ضدهم، وقد هددهم بقصف مدفعي في حالة عدم الامتثال «فاذعن الأهلون قسراً، وقلوا بالجندي»^(١٣) هكذا تم تطبيق التجنيد الالزامي في الموصل في حين لم يجرأ احد على تطبيقه في جنوبي العراق قبل سنة ١٨٧٠م / ١٢٨٧هـ^(١٤). وقد ربط بيرقدار عمله هذا بعمل آخر يُعد ضرورياً، الا وهو الاهتمام بالصناعة العسكرية وخاصة صناعة المدافع والقنابل والبارود وغيرها من الاسلحة، فجلب صناعاً حاذقين، فعمل ما يزيد على الثمانين مدفعاً، كما أمر بيرقدار بتعمير الشكنة العسكرية «القشلة» لايواء الجند، والحق بها عدداً من الأفراخ لتكوين الجند^(١٥)، والتفت البيرقدار الى مسألة توفير الأمن في الطرق التجارية، اذ كانت العشائر العربية والكردية تغير دائماً على القوافل التجارية وخاصة تلك السالكة الطريق التجاري التقليدي الموصل - ديار بكر - حلب . أو الموصل - تلعفر - بلاد الشام. وقد افاض المؤرخون في الاشارة الى حملاته العسكرية ضد العشائر القاطنة في تلعفر او سنجار وغيرها من المناطق^(١٦)، وقد اقترنت هذه الحملات بالقسوة والصرامة كما اشرنا الى ذلك. واذا كانت حملاته العسكرية ضد المناطق التي ذكرناها، قد اثمرت في اسكات العشائر، فان صراعه مع الشيخ صفوك بن فارس (١٨١٨ - ١٨٤٧ م)، لم يؤد الى نتيجة حاسمة. بل ان هذا الصراع قد ترك آثاراً اجتماعية واقتصادية وسياسية خطيرة ظلت شاخصة فاعلة الى عهد قريب .

لقد بدأ الصراع بين والي الموصل محمد اينجة بيرقدار، وصفوك بن فارس عندما رفض الاخير التنازل عن «عانة» لصالح بيرقدار. وكانت عانة قد

أعطيت لشيخ شمر الجريا مكافأة له على خدماته للدولة العثمانية ضد الفرس في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي. وقد احتج بيرقدار على عدم أذعان صفوك لطلبه في ترك عانة، وأخيراً نجح في اقناع علي رضا باشا والي بغداد بأبعاد صفوك عن عانة في نهاية عام ١٨٤١ أو أوائل ١٨٤٢. وقد لم يكن أمام صفوك آزاء هذا العمل الذي يحس قيمه الاجتماعية الا القيام بشن غارات على أطراف نهر الخابور، والأنصال بالعشائر الأخرى للقيام بالعمل نفسه، ولم تجد حكومة بغداد في عهد واليها نجيب باشا (١٨٤١ - ١٨٤٧ م) بدءاً من العدول عن سياسة العداء تجاه الشيخ الشمري، فأعلنت مرة أخرى اعترافها بعانة ضمن دائرة نفوذ شمر الجريا وكان ذلك سنة ١٨٤٣ م^(١٧) وهي السنة التي مات فيها البيرقدار. ويعتقد أن سبب اعتراف حكومة بغداد بصفوك هو ظهور خطر عشائري جديد متمثل بعشائر عتزة .

كما ذكرنا سابقاً، فأن فترة حكم محمد اينجة بيرقدار التي استمرت ثمان سنوات بقدر ماهي مهمة في جانب الإصلاح العسكري، فأن قوته وصرامته قد القتا ثقلأً أضافياً على السكان الذين كانوا يتطلعون الى اصلاحات تحس جوهر مشاكلهم الاقتصادية والاجتماعية، فلم يكن الاصلاح الشامل يراود ذهن الرجل «بيرقدار» بقدر ما كان هم الأساس هو ترضية اسيااده في الباب العالي بقمع اية حركة معادية للدولة العثمانية .

لقد تعاقب على حكم الموصل بعد بيرقدار وحتى سنة ١٨٧٧ م ثلاثة وعشرون والياً لم يبرز أي منهم في مجال الاصلاح، أو العناية بالسكان ومعالجة مشاكلهم، واذا ما أستثنينا الوالي حلمي باشا الذي حكم ست سنوات (١٨٥١ - ١٨٥٧ م)^(١٨) فأن معدل حكم كل والي يقترب من سنة وايام معدودة. وهؤلاء الولاة جميعهم أتبعوا نفس الأسلوب العقيم في معالجة

في الموصل وبأشراف الأب بيصون Besson رئيس
الارسالية الدومنيكية، حيث استمر العمل بها مدة
ثلاث سنوات، وفي سنة ١٨٦٠م وصلت الى
الموصل مطبعة حديثة مع ملحقاتها من أدوات
وحروف وبأشراف الراهب هنري أمانتون رئيس
الارسالية الدومنيكية، وقد نشرت هذه المطبعة
خلال الفترة ١٨٦١-١٨٦٧م ثلاثة وعشرين
كتاباً، أغلبها يتصل بالفعاليات التبشيرية، كما
أشتملت الفعاليات التبشيرية على إنشاء بعض
المشافي في المدينة الى جانب المطبعة الكلدانية التي
نصبت سنة ١٨٦٥م^(٢٢).

٥- إصلاحات مدحت باشا والموصل ١٨٦٩-١٨٧٢م:

دخل العراق عهداً جديداً، حين عين
مدحت باشا (١٨٢٢-١٨٨٣م) والياً عليه، فقد
كان هذا السياسي المحنك مؤهلاً تماماً لدوره
الأصلاحي، برصيد غني من الخبرة تراكم
بالدراسة والأحتكاك بالغرب، ثم بالخدمة في أجزاء
مختلفة من الدولة العثمانية مثل سوريا وصربيا
ومقاطعات الدانوب، وأخيراً خلال عمله لمدة سنة
رئيساً لمجلس الدولة وهو هيئة أستشارية للسلطان
والحكومة، وفي العام ١٨٦٩ عين حاكماً
للعراق، وكان هم الأول عند تولي الحكم هو تطبيق
القوانين والمراسيم الإصلاحية التي حرّم منها سواء في
الهيكليّة الادارية الجديدة، أو في مجال القضاء
والجيش وكذلك حل المشكلة العشائرية التي
تفاقت بسبب عقم المعالجة السابقة كما أشرنا الى
ذلك. وبقدر تعلق الموضوع بالموصل، فقد غدت
ولاية ضمن الولايات العراقية الثلاثة سنة ١٨٧٩م
«بغداد- البصرة- الموصل» تشتمل على ثلاثة
ألوية «كركوك، السليمانية، الموصل»، ولواء
الموصل يشتمل على ستة أقضية هي قضاء
الموصل، والعمادية وزاخو ودهوك وعقرة

مشكلات المنطقة خاصة العشائرية منها ألا وهو
تجريد الحملات العسكرية على المناطق النائية
والأفراط في استعمال القوة ضد الثائرين. فقد جرد
شريف باشا والي بغداد سنة ١٨٤٣م حملة
عسكرية ضد اليزيدية في سنجار، فلجأ هؤلاء الى
الجلال، وبعد سنتين اي في عام ١٨٤٥م^(٢١)،
هاجمهم كذلك والي الموصل محمد باشا الكردي.
كما كان قصر حكم الولاة، وأفتقارهم الى الكفاءة
والخبرة في شؤون المنطقة وأبعاد المشاكل المستفحلة
خاصة العشائرية، كل هذه الأمور كانت تشكل
أغراء للخروج على السلطة القائمة في المدينة. ففي
سنة ١٨٤٤م تعرضت مدينة الموصل الى غارات
عشائر عترة، وقد جاءت هذه الغارات في أعقاب
حريق مدرجاء على ديارها سنة ١٨٤٤م. فوقف
كل من والي بغداد محمد نجيب باشا وحاكم
الموصل محمد شريف عاجزين عن صد غاراتها.
فلجأ الى صفوك بن فازس شيخ شمر جربا طلباً
للمساعدة فأندفع هذا ولأعتبارات اجتماعية
وأقتصادية، ومعه ألف من أتباعه لمواجهة قوة عترة
البالغة ب (١٢٠) ألف مقاتل يقودهم الشيخ
ادهام بن غهيس العنزي. والى الشمال الغربي من
مدينة الموصل، دارت الدائرة على العنزيين
فأنسحبوا نحو تلعفر واسكي موصل، وقد أستمريت
المناوشات بين شمر وعترة حتى سنة ١٨٤٥م اذ
إنسحبت قوة عترة الى الصحراء السورية^(٢٠).

تأثرت ولاية الموصل في النصف الثاني من القرن
التاسع عشر بالسياسة المركزية التي حمل لواءها
العثمانيون عن طريق تقليص الولايات العثمانية. ففي
سنة ١٨٥٠م غدت الموصل سنجقاً تابعاً
لبغداد^(٢١)، ولم تستعد المدينة مركزها الإداري
كولاية إلا سنة ١٨٧٩م.

شهدت مدينة الموصل في النصف الثاني من
القرن التاسع بعض مظاهر التحديث، ففي سنة
١٨٥٨م أنس الأباء الدومنيكان المطبعة الحجرية

وسنجر (٢٣)، وأصبح الوالي، على قمة السلطة الهرمية مسؤولاً عن الشؤون الإدارية والمالية والسياسة والمشراف على أمور الشرطة والمسؤول عن تنفيذ الأحكام التي تصدرها المحاكم، ويعاون الوالي الدفتردار، غير أنه يرتبط مباشرة بوزارة المالية في الباب العالي. أما من الناحية العسكرية فقد كان في الموصل قائد عسكري مستقل، أو يترأس الوالي نفسه هذا المنصب، ويساعد الوالي مجلس إدارة يتألف من كبار موظفي الدولة، يضاف اليهم أربعة أعضاء ينتخبهم السكان المسلمون وطوائف من غير المسلمين بنسب متساوية (٢٤).

كان مدحت باشا يدرك تماماً أن العقبة الرئيسية التي تواجه اية حركة أصلحية، هي وجود عشائر عربية وكردية تعارض بشدة إدخال نظم جديدة في البلاد، لأنها ستقضي حتماً على امتيازاتها الاجتماعية المكتسبة وبخاصة نظامها العشائري غير أن هذه العشائر سرعان ما أنهارت أمام خطط مدحت باشا العسكرية، هذه الخطط التي حاولت أن تتجاوز أخطاء الولاة السابقين في معالجة المشكلة العشائرية وذلك بربط العشائر بالأرض لكي تستقر وتمتد الزراعة وعند تولي مدحت باشا العراق ويقدر تعلق الأمر بعشائر الموصل فقد كانت عشائر شمر جربا تسيطر سيطرة فعلية على الطريق الممتد من تكريت الى الموصل، بل كان الشيخ عبد الكريم جربا صاحب الكلمة العليا في هذه المنطقة، ويعتقد أحد الباحثين أن عشائر شمر جربا بسبب سيطرتها على مناطق واسعة من المنطقة الشالية الغربية للعراق كانت عقبة كأداء أمام مشاريع مدحت باشا في ربط العراق بالشام بخطوط برية لذا جرد عليه حملة عسكرية أنهت بالقبض على الشيخ عبد الكريم وأعدامه فيما بعد في الموصل، وأقرار أخيه فرحان في الشيخة مع تسليم راتب شهري مقابل تعهده باستتباب الأمن في (ديوته) (٢٥) وقد قدر راتبه بعشر الوارد من

الحاصلات التي تزرعها عشيرته أي حوالي ١٢٠ ألف قرش» (٢٦).

لقد تمتعت مدينة الموصل باستقرار نسبي في عهد الوالي مدحت باشا اذ نلمس دخول بعض مظاهر التحديث اليها، خاصة التعليم المهني، اذ عمم مدحت باشا أمراً باستحداث مدارس للصنائع في البلاد وكان ذلك بهدف أدامة وصيانة المشاريع المزمع أقامتها في العراق. (٢٧)

كما عمل مدحت باشا على ربط مدينة الموصل بشبكة من طرق المواصلات مع المدن المجاورة مثل كركوك وأربيل، والسليمانية (٢٨)، وذلك بهدف تنشيط الحياة الاقتصادية، فضلاً عن الهدف العسكري بطبيعة الحال. وتشير أحدث دراسة علمية (٢٩) الى أن إصلاحات مدحت باشا قد أثمرت في رفع المستوى المعيشي والصحي للسكان، وهذا ما تنلمسه من خلال الزيادة الحاصلة في عدد السكان في العراق بصورة عامة. فقد قدر عدد السكان في العام ١٨٦٦-١٨٦٧ بـ ١,٢٨٠,٠٠٠ نسمة وكانت هناك زيادة في السنوات اللاحقة حيث قدر سنة ١٨٧٥ م بـ (٢٠٠,٠٠٠) نسمة. أما فيما يتعلق بمدينة الموصل فقد كانت تحتوي في العام ١٨٧١ م على ٩٠,٠٠٠-١٠٠,٠٠٠ دار مجموع سكانها حوالي ٥٠,٠٠٠ نسمة. في حين قدرت عشائر شمر الجربا وحدها وفي نفس السنة بين ٦٠,٠٠٠ الى ٧٠,٠٠٠ نسمة كما تشير بذلك جريدة الزوراء الصادرة في ٢٨ شعبان ١٢٨٨ هـ / تشرين الثاني ١٨٧١ م. أن هذه الأرقام المذكورة هي تخمينية لأنه لم يجر أي تعداد عام للسكان في العهد العثماني، بسبب مقاومة الأهالي لأي إجراء من هذا القبيل، اذ كانوا يحرصون على عدم الأدلاء بمعلومات عن وضعهم الأسري خوفاً من الضرائب والخدمة العسكرية، كما أن تقديم المعلومات للسلطات الحكومية عن الأثاث يُعد خروجاً على المؤلف من العادات التي لاتباعها افشاء

أسرار عن وضع الأناث. على أية حال فإن فترة حكم مدحت باشا أنهت سنة ١٨٧٢م، وليست هناك أحداث تستحق الذكر في الموصل خلال السنوات ١٨٧٢-١٨٧٦ الا قيام بلدية الموصل ببعض الاعمال، التي تعرضنا لها في التشكيلات الإدارية العثمانية «المبحث الحادي عشر»، وأستمرار تبعية الموصل لولاية بغداد كسنجق حتى سنة ١٨٧٩م حين أصبحت ولاية من جديد لها. سنجقان: كركوك والسليمانية. (٣٠)

الهوامش

- (١) للوقوف على تفاصيل أكثر عن جلودر الحركة الإصلاحية في الدولة العثمانية انظر: د. احمد عبد الرحيم مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، بيروت ١٩٨٢ ص ١٧٠ ومابعدها. ولاغراض المقارنة انظر: ز. ي. هرشلاغ مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط، ترجمة مصطفى الحسني. دار الحقيقة، بيروت ١٩٧٣ ص ٤٠-٤٦.
- (٢) د. عبد الوهاب القيسي: حركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها على العراق (١٨٣٩-١٨٧٧م). مجلة كلية الاداب. جامعة بغداد. العدد ٣ لسنة ١٩٦١. ص ١١١-١١٢.
- (٣) عبد الكريم زائق. العرب والعثمانيون (١٥١٦-١٩١٦). دمشق ١٩٧٤ ص ١٤١-١٤٥.
- (٤) الالتزام: أي منح الدولة الارض لكي يزرعها الملتزم لمدة معلومة مقابل مبلغ من المال، وللالتزام نتائج ايجابية وسلبية، ايجابية حيث تحصل الدولة على مورد مالي ثابت سلفاً في حين أن السلبية تتمثل في محاولة الملتزم الحصول على مبلغ اكبر من المبلغ الذي دفعه وشتمت الوسائل دون أن يعير اهتماماً بالفلاح.
- (٥) السلطة والمجتمع والعمل السياسي من تاريخ الولاية العثمانية في بلاد الشام. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت ١٩٨٨ ص ٨٣.
- (٦) وجيه كوزثاني، المرجع السابق. ص ٨٤.
- (٧) د. سيار الجميل: انتلجنسيا العراق: التكوين. الاستنارة والسلطة. بحث مقدم الى مجلس قسم التاريخ. كلية الاداب. جامعة الموصل لسنة ١٩٨٩ ص ٥.
- (٨) عن جلودر الصراع بين الاصريين انظر: علي شاكور علي. تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٧٥٠م دراسة في احواله السياسية. بغداد ١٩٨٥ «الفصل الرابع».
- (٩) د. ابراهيم خليل احمد. تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني (١٥١٦-١٩١٦) الموصل سنة ١٩٨٦. ص ٩٧.
- (١٠) تاريخ العراق بين احتلالين. بغداد ١٩٥٥ ج ٧ ص ٦٩.
- (١١) عن نهاية الأسرة الجليلية انظر: د. عباد عبد السلام رؤوف.

- الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي (١٧٢٦-١٨٣٤). مطبعة الاداب. النجف الاشرف. ١٨٢-٢٠٢.
- (١٢) ستيفن هسلي لونكريك: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث. ترجمة. جعفر الخياط. الطبعة الرابعة. بغداد ١٩٦٨ ص ٣٣٧.
- (١٣) عباس الزاوي. المرجع السابق ج ٧ ص ٦٩.
- (١٤) لونكريك. المرجع السابق ٣٣٧. ولاغراض المقارنة انظر: ذنون يونس حسين الطائي. الانتماءات الاصلاحية في الموصل في اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني. رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب. جامعة الموصل ١٩٩١ ص ٥٦.
- (١٥) عباس الزاوي. المرجع السابق ج ٧ ص ٧٠ ومابعدها.
- (١٦) انظر: ذنون يونس الطائي. المرجع السابق. ص ٥٧.
- (١٧) للاستزادة عن عشائر شمر جريا انظر دراسة الباحث الامريكي John Frederick Williamson. A Political History of the shammar Jarba. Tribe of AL- Jazirah. 1800- 1958. indiana university. U. S. A 1975. PP. 67- 77
- (١٨) للوقوف على اسماء ولاية الموصل انظر: سالتانة ولاية الموصل لسنة ١٣٠٨ هـ (١٨٩١م)
- (١٩) عباس الزاوي. المرجع السابق. ص ٧١ ومابعدها.
- (٢٠) Williamson. OP. cit. P. 72.
- (٢١) لونكريك. المرجع السابق. ص ٣٣٦.
- (٢٢) لمزيد من التفاصيل انظر: مدحت فضيل فتح الله. مطابع الموصل في القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين واهم المطبوعات الصادرة عنها في احياء التراث العلمي والادبي. بحث مقدم الى ندوة «دور الموصل في التراث العلمي» المنعقدة في الفترة ١٦/٣/٨٨ ولغاية ١٧/٣/١٩٨٨. مطبعة التعليم العالي في الموصل ١٩٩٠ ص ٢٢٩-٢٣٦.
- (٢٣) الزاوي، المصدر السابق، ج ٧، ص ١٦٨.
- (٢٤) عبد الوهاب القيسي. المرجع السابق. ص ١١٩.
- (٢٥) د. عبدالعزيز سليمان نوار. تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داؤد باشا الى نهاية حكم مدحت باشا. القاهرة ١٩٦٨. ص ٣٧٢.
- (٢٦) غيرته ياسين. بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩-١٩١٤ اطروحة ماجستير غير منشورة. معهد الدراسات القوية والاشتراكية. الجامعة المستنصرية ١٩٨٤. ص ٩٥.
- (٢٧) المرجع نفسه. ص ١٢٢.
- (٢٨) للوقوف على تفاصيل أكثر. انظر: جاسم محمد حسن. العراق في العهد الحيدري (١٨٧٦-١٩٠٩) رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب. جامعة بغداد ١٩٧٥ ص ٤٧.
- (٢٩) محمد عصفور سلمان. العراق في عهد مدحت باشا (١٢٨٦-١٢٨٩ هـ) (١٨٦٩-١٨٧٢م) رسالة ماجستير غير منشورة. كلية الاداب. جامعة بغداد ١٩٨٩ ص ٧٨-٧٩.
- (٣٠) لونكريك: المرجع السابق. ص ٣٧٦.

بدايات حركة التحديث

نمير طه ياسين

مقدمة :

وتطور الأمر الى نزاع مسلح لمرات عدة منها ما حدث في سنة (١٧٢٥).^(٧) ودام إحداها مدة سنة نهبت خلالها الأسواق وقتلت الأنفس.^(٨) وقد هيا هذا الوضع لظهور قوة نشيطة لها شعبيتها فبرزت الأسرة الجليلية ، وهي أسرة تجارية لها نفوذ واسع في المدينة ، وكان من أبرز شخصياتها أسماعيل باشا عبد الجليل الذي نصب على الموصل سنة (١٧٢٦) ومنح لقب الباشوية ، وولده حسين باشا (١٧٣٠) والذي يعد مؤسس حكم الولاة المحليين بالموصل. ونشبت الخلافات بين الاسرتين العمرية والجليلية ، وتعرضت المدينة الى الكثير من المخاطر نتيجة لاثارة الفتن والمشكلات حيث عمدت كل أسرة الى الأستتار بحكم الولاية حتى سنة (١٨٣٤) حين غدت الموصل تحت حكم الدولة العثمانية المباشر، وأمتد ذلك حتى نهاية الحرب العالمية الأولى.^(٩)

وبان تلك الفترة إستمرت الاضطرابات ، وتعرضت الموصل الى النهب والسطو من قبل العشائر ويتهرب في بعض الأحيان من الولاية العثمانيين ومنهم والي بغداد الذي حرض ضد الموصل سنة ١٨٥٤.^(١٠) الا أن بدايات التغيير الاصلاحى أخذت تظهر في الموصل منذ سنة ١٨٣٥ في عهد الوالي محمد إينجه بيرقدار حيث قاد حركة للتجديد في مختلف الميادين^(١١) ، أعقبها تأثير إصلاحات الوالي مدحت باشا (١٨٦٩-١٨٧٢) والتي دعمت مسيرة الإصلاح والتحديث في الموصل ولتوضيح مقدار التغيير الاصلاحى والتجديد وصولاً الى التحديث ، قسم البحث الى أربعة أقسام عالج القسم الأول التحديث في الميدان السياسي . وتناول القسم الثاني

شهدت الموصل حركة أصلحية تُعد جزءاً من عملية التحديث^(١٢) في العراق وذلك منذ منتصف العقد الثالث من القرن التاسع عشر. وقد تمثلت هذه الحركة بمجموعة الاجراءات الرسمية الاصلحية ، وقد شملت معظم نواحي الحياة ، وكانت الموصل في طليعة الولايات العراقية التي طبقت فيها تلك الاجراءات ، والتي عدت نتيجة من النتائج البارزة لحركة التنظيمات العثمانية^(١٣) حيث لم تشهد الموصل منذ دخولها تحت السيطرة العثمانية سنة (١٥١٦)^(١٤) ، وطوال القرون الثلاثة الاولى من الحكم العثماني أية إصلاحات جوهرية في بنائها الاقتصادي والاجتماعي وذلك بسبب عدم الأستقرار السياسي ، وفشل الحكومة العثمانية في توطيد الأمن وتوطين العشائر ، وأقتصار جهدها على إرسال الحملات العسكرية للعشائر العربية والكردية.^(١٥) وذاق ، معظم العراقيين ومنهم سكان الموصل ، الأمرين من السياسة القائمة على إثارة النزعة العشائرية ، وحز في نفوسهم سيطرة الغرباء على مقدرات البلاد فكان هذا الشعور باعثاً لفكرة إنشاء دولة خاصة تحكم نفسها بمعزل عن المالك والعثمانيين الغرباء.^(١٦)

عاشت الموصل تحت نفوذ وسيطرة محلية ، ولما كانت الدولة العثمانية غير قادرة على معالجة مشكلات ولاياتها وحلها ، لذلك إستقدمت في القرن السادس عشر وبعد سنة (١٥١٦) بعض الأسر من الحجاز لتولي حكم الموصل منها الأسرة العمرية.^(١٧) وغدت هذه الأسرة بعد فترة وجيزة من الأسر الأرستقراطية بالموصل . إلا أن مشكلات المدينة لم تحسم فأستمرت الفتن والاضطرابات بين الوالي العثماني والأسر المحلية وعلى رأسها العمريون .

التحديث في الميدان الاقتصادي وكرس القسم الثالث لدراسة التحديث في الميدان الاجتماعي ، وخصص القسم الاخير للتحديث في الميدان الثقافي والذي مهد لظهور نهضة ثقافية في الموصل كما سنرى .

الميدان الاداري والقضائي والعسكري :

بالنسبة للتنظيم الاداري فانه يعد وجهاً من وجوه التجديد الاصلاحي في الموصل إذ كانت مقسمة الى سناجق (ألوية) تحت مسؤولية الباشا ، والسناجق أنيطت عهده بـ (بك) ويسمى (سناجق بكى) أي (بك اللواء) ورتبته (مير لواء) أي أمير اللواء،^(١٢) وهو المسؤول عن الشؤون المدنية والعسكرية ، وأتمس التنظيم الاداري في العراق خلال السيطرة العثمانية بعدم الثبات ، فغالباً ما كان ينقل سناجق من ولاية الى أخرى أو تستحدث سناجق جديدة ، ففي الموصل أخذت المراجع التاريخية في تحديد عدد السناجق ، فيذكر البعض أن عددها ستة سناجق هي : الموصل وباجلوانلو وتكريت وهورن وبانه واسكي موصل ، في حين اشار آخرون الى أن عددها ثلاثة هي خارون (هرون) وكشاف واسكي موصل وكذلك الموصل.^(١٣) أما التنظيمات الادارية للألوية فيكون الوالي هو الحاكم الفعلي إدارياً وممثلاً للباب العالي (السلطان العثماني) في الولاية ويتم تعيينه بفرمان يصدر من الاستانة ، ويتمتع بصلاحيات مطلقة في تسيير أمور الولاية ومتابعة احتياجاتها.^(١٤) وسعى الوالي محمد إينجه بيريقدار لتنظيم المدينة إدارياً وتقسيمها الى وحدات إدارية وأخذ هذا التنظيم شكلاً هرمياً يبتدي بالوالي وينتهي باختيار سواء في المحلة أو القرية.^(١٥) وقام الوالي مدحت باشا (١٨٦٩) بتطبيق قانون الولايات العثماني الصادر في ١٨٤٦ وقسم العراق الى ولايتين هما : ولاية بغداد وشملت بغداد

والبصرة ، وولاية الموصل وشملت الموصل وشهرزور ، وقسم الولاية الى ألوية واقضية ونواحي وقرى^(١٦) واصدر مدحت باشا في ٢٩ شوال ١٢٨٧ (١٨٧١) نظاماً إدارياً للعراق قسم بموجبه الى ثلاث ولايات هي بغداد والموصل والبصرة . وضمت ولاية الموصل كل من لوائي كركوك والسليمانية و (١٤) قضاء و (٣٣) ناحية و (٣٢٠٧) قرية.^(١٧)

وكان نظام حكم الولاية على غرار النظام المتبع في بقية أرجاء الدولة العثمانية ، فتعيين الوالي يصدر من استانبول ، وكثيراً ما يضطر الباب العالي بمجابهة لوالي بغداد ، عزل أو تنصيب ولاية الموصل.^(١٨) ونظم الهيكل الاداري لولاية الموصل على النحو الآتي :

الوالي وهو مسؤول الجهاز الحكومي للولاية ، وفي أواخر القرن السابع عشر منح بعض ولاية الموصل رتبة (وزير) وهي ماثلة لرتبة والي بغداد وحلب ، وهذه الرتبة شرفية يحق لصاحبها رفع ثلاث أطواغ ونالها السوالي حسين باشا (١٧٣٠-١٧٥٧) وأخذت شكلاً آلياً في تقليد الولاية . اما واجبات الوالي تجاه السلطات المركزية فهي المشاركة الفعلية في الحرب ضد اعداء الدولة وقد أسر البعض منهم أمثال الوزير محمد أمين باشا في احدى الحملات على روسيا بعدها خرج من الأسر ، وتوفي عبدالفتاح باشا في احدى حملاته ، لذلك قل خروج الولاية تدريجياً على رأس حملاتهم العسكرية واقتصر عملهم منذ أواخر القرن الثامن عشر على حماية الحدود او القيام بأعمال تأديبية ضد القبائل المجاورة . وشهد حكم محمد باشا (١٧٨٩-١٨٠٦) تنازله عن قيادة الجيش الى كتحذاه وكتب ديوانه^(١٩) . وعوجب نظام الولايات لسنة (١٨٦٤) حددت مسؤولية الوالي الادارية^(٢٠) : برئاسة مجلس إدارة الولاية والاهتمام بشؤون التعليم وضبط الأمن في الولاية ومراقبة

الجهاز الاداري والتفديد بميزانية الولاية والاهتمام بالشؤون المالية والاهتمام بالزراعة والتجارة والصحة والعمران وعليه إتخاذ الاجراءات السريعة التي تهدد المواطنين وأخبار الباب العالي بذلك. ويتألف الجهاز الاداري الذي يساعد الوالي من :

التسلم : وهو نائب الوالي ويحل محله في غيابه . يعينه الوالي دون الرجوع الى استنبول ، وحصر هذا المنصب داخل الاسر المحلية فقد ولى حسين باشا أخاه فتاح بك هذا المنصب (٢١) .

مساعدا الوالي : يساعده عدد من الموظفين منهم الدفتردار (المسؤول عن واردات الخزينة) والمكتوبجي (المسؤول عن قلم التحريات) والكتبخدا وقائد الجندمة ومدير الدفتر الخاقاني (المسؤول عن تطبيق الاحكام المتعلقة بحق إدارة الاملاك والأراضي) (٢٢) .

ديوان الانشاء : يضم عدداً من الكتاب ويختص بتحرير وترجمة كتب ورسائل الوالي ، ويرز هذا الديوان في الموصل في عهد الأسرة الجليلية ويرأس هذا الجهاز (رئيس كتاب الانشاء) ويتكون عادة من ابناء المدينة وشرائها .

الجهاز المالي : تقع مسؤولية هذا الجهاز في ولاية الموصل على عاتق الولاة ، فهم المسؤولون عن جمع الضرائب وأرسالها للعاصمة سنوياً وفي حالة عدم إرسالها ترسل الدولة أحد موظفيها لجبايتها (٢٣) . وهناك عدة مناصب في هذا الجهاز متمثلة بالخزندار وهو الذي يشرف على خزانة الولاية وحفظ سندات ديوان الاصناف وتسجيل الفرمانات الواردة للولاية ومقدار الضرائب المفروضة على القرى النقدية منها او العينية ، وتدوين نفقات الوالي والمشاريع العامة . وتوجد وظائف اخرى في هذا الجهاز منها أمين الجزية وأغا الخراج وموظفي الدفتردارية (٢٤) .

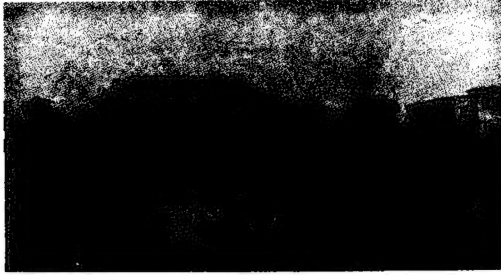
وتأتي مرتبة القاضي بعد الوالي إذ يرشحه (قاضي القضاة) ويصدر فرمان بتعيينه ، والقاضي لا يصدر أحكامه إلا بعد حصوله على فتوى من دار

الافتاء الشرعي المكون من مفتي المدينة وأمين الفتوى ورئيس العلماء ، وكانت بناية المحكمة الشرعية في الموصل مستقلة عن سراي الحكومة (٢٥) . وهناك عدد من المساعدين للقاضي منهم :

المفتي : ويأتي بالدرجة الثانية في الجهاز القضائي بالموصل وهناك مفتيان الاول حنفي على المذهب الرسمي للدولة والثاني شافعي ويساعدان القاضي ومهمته ابداء الرأي في المسائل الفقهية ، وينوب المفتي القاضي عند تغيبه ، ويوهل هذا المنصب صاحبه للوصول الى مريثة القاضي ، وقد توارثته بعض أسر الموصل منها آل العمري ، وآل ياسين وآل الفخري وآل الغلامي (٢٦) .

نقيب الأشراف : مهمته تدقيق أنساب الاشراف وثبات صحة النسب المقدم اليه وانحصر هذا المنصب بأسرة آل الفخري ، وبرز منهم يحيى بن فخر الدين وغيره (٢٧) .

واتسم القضاء بالبساطة . فكان القاضي ينظر في جميع الدعاوى الحقوقية والجزائية ودعاوي الاحوال الشخصية وفق الاحكام الشرعية (٢٨) . ويفصل بين الخصوم دون وجود محام . حيث كانت الدولة العثمانية تطبق الشرع الاسلامي في سن قوانينها وتشريعاتها القضائية مستند بذلك على فتوى شيخ الاسلام وذلك لغرض اضعاف الشرعية عليها . وفي عهد التنظيمات بدأت الدولة العثمانية باقتباس بعض النظم الاوربية منها النظام القضائي المدني وصدر قانون الجزاء الهيايوني في ٩ آب ١٨٥٨ وبموجبه حددت الدولة صلاحيات كل من النظامين القضائيين الشرعي والمدني ، فقلصت بعض صلاحيات القاضي وعهد بها الى موظفين مختصين كمفتشي الضابطة ، حيث أنيطت بهم مسؤولية مراقبة الاسواق من حيث ضبط الأوزان والأسعار ومحاسبة المتلاعبين بالمواد الاساسية كالخيز واللحوم (٢٩) . وانعكست هذه القوانين والاجراءات في الموصل فنظمت المحاكم سنة ١٨٥٨ على



• القنلة للدين (السرني).

الشكل الآتي :

وافتمتحت محكمة إستئناف الموصل سنة (١٨٩٩) (٣٠). وبعد اعلان الدستور العثماني سنة (١٩٠٨) أولت الحكومة العثمانية إهتماماً في إصلاح المحاكم والقضاء لاعادة ثقة المواطنين بالقضاء ، فأستبدلت طريقة إنتخاب اعضاء المحاكم بطريقة التعيين واشترطت في التعيين التخرج من كلية الحقوق والمقدرة والكفاءة وحسن السمعة وخصصت لرؤساء المحاكم واعضاؤها رواتب ضخمة ، وأحلت عناصر مثقفة بدل الموظفين القدماء ، وحظيت الموصل بقسط من الاصلاح ، فتم تعيين اعضاء المحاكم المدنية من حملة شهادات الحقوق ومن مارسوا مهنة القضاء والمحاماة فترة طويلة . وحدد ملاك المحاكم المدنية والشرعية بالموصل سنة (١٩٠٩) على الشكل التالي (٣١) .

المحكمة الشرعية وتتألف من القاضي والمفتي وامين الفتوى ورئيس كتاب ومدير اموال يتامى .

محكمة الاستئناف (الحقوقية والجزائية) .

محكمة الحقوق البدائية .

محكمة الجزاء البدائية .

الهيئة الاتهامية (حكام الاحالة)

المدعي العام للاستئناف .

المدعي العام للبدائية .

حاكم التحقيق الاول والثاني .

كاتب العدل وله معاون .

١ - المحكمة الشرعية وفيها القاضي والمفتي وحدد اختصاص هذه المحاكم بالنظر في امور الاوقاف والتركات والاحوال الشخصية من نفقة وطلاق وزواج وأرث .

٢ - مجلس تمييز الحقوق والجنابات : ويؤلف من القاضي رئيساً فضلاً عن وظيفته الأصلية وعضوية اثنين من المسلمين وواحد من المسيحيين وَاخر من اليهود ، وظيفته النظر في القضايا الجنائية والحقوقية .

٣ - محكمة التجارة وفيها رئيس واعضاء دائمون وأعضاء مؤقتون وظيفتها النظر في القضايا التجارية او المتعلقة بالتجارة للولاية .

وشهدت الموصل تطوراً في النظام القضائي بعد سنة ١٨٧٨ وذلك بصدر قانون تشكيل المحاكم المدنية ، فتشكلت عدد من المحاكم وحلت محل المجالس العدلية ، وعين رؤساء لتلك المحاكم من قبل نظارة العدلية في استنبول ، وكان أعضاؤها يتخبون من قبل المجالس الادارية ، ونصف اعضائها من المسلمين والآخرين من بقية الطوائف وحسب نسبتهم بالمدينة ، وعند انتهاء مدة عضويته كان يتتخب اخر بدله . ومن هذه المحاكم محكمة حقوق بداءة ، محكمة جزاء بداءة ، مستنطق (حاكم تحقيق) مدع عام للبدائية . وكانت احكام هذه المحاكم تستأنف في محكمة استئناف بغداد ،

رقم الفرقة	اللواء وموقعه	الآلاي وموقعه
٣٤ مشاة	٤٧ الموصل	٩٣ موصل
	٤٨ دهوك	٩٤ بعشيقه
		٩٥ دهوك
		٩٦ عقرة

(٣٥) ومقرها الموصل والثانية الفرقة (٣٦) ومقرها كركوك^(٣٧). وعانى العسكريون من تدني الاوضاع الاقتصادية والمعيشية، فما يتقاضاه العسكري لا يزيد في الشهر عن ثلاثة قروش وفي بعض الاحيان لم يتسلموا الرواتب لمدة تزيد عن سنة (٣٨). وحظي الجيش باهتمام الوالي محمد اينجه بيرقدار فعمل على تطويره فبنى معملًا لصنع المدافع والقنابل وجلب له الصناعات المختصين، وانتج ما يزيد عن الثمانين مدفعاً سنة (١٢٥٩ هـ) (٣٩).

وشهدت الموصل أول محاولة للتجنيد الاثزامي في العراق سنة (١٨٣٥)، فثار الاهالي ورفضوا تطبيق القانون العسكري، وللحد من ثورتهم، أرسل الوالي احد اعوانه المدعو (قاسم افندي) ليدعوهم الى الطاعة ويقنعهم بالالتزام به، فثاروا عليه وقتلوه، وبقته احضر محمد اينجه بيرقدار عشرين مدفعاً وصوبها اتجاه المدينة وأرسل بعض الكتائب النظامية فدخلوها وسفكوا دماء الابرياء من اهل المدينة ونهبوا اسواقها (٤٠).

وكانت الخدمة العسكرية محصورة بالمسلمين، أما غير المسلمين فيدفعون البذل النقدي، وبعد الانقلاب العثماني ١٩٠٨ عدل قانون التجنيد وأصدر مجلس المبعوثان في تموز ١٩٠٩ قراره بشمول جميع افراد الدولة العثمانية بالمكلفة دون استثناء، وفي الموصل استقبل هذا القرار بحماسة كبيرة فقد أبرق داود يوسفاني من استنبول يبشر الاهالي بالقرار، وسار المسيحيون المشمولون بالقرعة الى القسلة الهايونية لإحتفال عسكري تقدمهم الموسيقي والاعلام العثمانية، واحتشد الاهالي في الطرق واقام

وفي ١١ نيسان ١٩١٢، صدر (قانون الدعاوى الاصلاحية) تسهلاً لحسم القضايا الحقوقية البدائية البسيطة وتشكلت (محكمة صلح الموصل)^(٣٢). وكانت المحاكم على درجتين: الاولى محاكم بداءة والثانية محاكم إستئناف في مركز اللواء. اما في النواحي فكان هناك مجلس الاختيارية اي الكبار في السن ومهمته فض النزاعات بين الأفراد صلحاً^(٣٣). وتميز القضاء بالموصل في عهد الأسرة المحلية بأن معظم قضاة الولاية كانوا من ابناء المدينة^(٣٤). ويظهر لنا مما تقدم أن القضاء بالموصل كان منتظماً وبعيداً عن تدخل السلطة.

وبالنسبة للجيش، فان الموصل شهدت محاولة لتنظيم الجيش بعد سنة (١٨٤٨) حيث تم اعلان تشكيل الفيلق السادس. ونقل مقر قيادته الى بغداد^(٣٥). وأصبحت الخدمة العسكرية إلزامية للمسلمين من التبعة العثمانية ولدة عشرين سنة تبدأ من سن العشرين وحتى سن الاربعين ونظمت الخدمة على النحو الآتي :

١ - الخدمة النظامية : وهي إجبارية ومدتها اربع سنوات ثم قلصت الى ثلاث سنوات.

٢ - الخدمة الرديفية : وهي خدمة الاحتياط مدتها ست سنوات، بعدها أصبحت ١٢ سنة تعقبها المستحفظة ومدتها ثماني سنوات وهي مكملة للرديفية.

وكانت في الموصل الفرقة (٣٤) مشاة من الفيلق السادس ويتبعها اللواتين (٤٧) و(٤٨) وكما هو موضح في الجدول الآتي :^(٣٦)

وأدخلت تعديلات في نظام الجيش سنة ١٩١٣ وقسم الى فيالق وفرق وأُنخذت الموصل مقراً للفيلق الثاني عشر والمتكون من فرقتين الاولى الفرقة

إحتفال خطابي القيت فيه عدد من الكلمات والخطب بهذه المناسبة^(٤١).

وفيا يتعلق بقوى الأمن الداخلي فقد كان للوالي قوة خاصة به تعرف بـ (التفككية) وهم حاملو البنادق، ومهمتهم حفظ الأمن والقيام بأعمال الشرطة وأُنْصِر منصب رئيس هذه القوة وراثياً بأسرة موصلية تعرف بـ (بيت شويخ) وآخر من تولى هذا المنصب فيها (عمر أغا) وعرفت الأسرة ببيت عمر أغا^(٤٢).

وفي أواخر القرن التاسع عشر قدر عدد الجنودمة والضبطية بأكثر من (٤٠٠) فرد^(٤٣). ونظمت على هيئة (استراسوان) أي الخيالة و(البيادة) وهم المشاة، وواجباتها تكن في حيازة الأمن وتوفير الطمأنينة وجمع المسوقين للخدمة وإستعداد الاحتياط وجمع الإيرادات وحيازة قوافل المسافرين ومطاردة قطاع الطرق وحراسة السجون^(٤٤). وحقيقة هذه القوة أنها لم تكن متقدمة بالنظام ويديرها ضباط أميون، ولاندفع لهم المرتبات الشهرية بأنظام، ومعظم أفرادها كانوا مراسلين وجباة للضرائب وخدم للموظفين الكبار وليست لديهم المقدرة على مطاردة اللصوص والمرششين، لكنها لم تخلُ من بعض الرجال المقتدرين الأكفاء^(٤٥).

وامتداداً لحركة التجديد والإصلاح تم تطوير هذا الجهاز في سنة ١٩١٣ وضع له نظام جديد وسعت بموجبه سلطات الشرطة وغيّرت تقسيماتها حسب النمط الأوروبي وعين مفتش عام في العراق (مدير الشرطة العام) قراجيا أفندي مفتشاً لبغداد وضمت صلاحياته الموصل والبصرة^(٤٦).

الميدان الاقتصادي الزراعة:

اشتهرت الموصل منذ القدم بالزراعة، فهي تقع وسط منطقة زراعية واسعة شديدة الخصوبة تمتد ما بين دجلة والزاب الأعلى وبين هذا النهر

والزاب الأسفل ويضم سهل الموصل الممتد على طرقي نهر دجلة بين جبل الشيخان وجبل سنجار، وتعتمد في زراعتها على الأمطار وتزرع فيها الغلال على مدار السنة، وبقيت الموصل منتجة للحبوب (القمح والشعير) ومخزناً ضخماً يمد المناطق المجاورة بكميات كبيرة من هذه الغلال^(٤٧). وتعرض الانتاج الزراعي فيها في بعض الأحيان للاخطار والكوارث الطبيعية منها مهاجمة الجراد للحقول والمزارع والقضاء على المحصول لمرات عديدة^(٤٨).

وهطول الأمطار بكميات كبيرة مما يؤدي الى الفيضان وتلف المحصولات او هبوب ريح سموم تهلك الزرع او هجوم برد شديد فتجمد النهر مما يؤدي الى انتشار القحط وهذا ما حدث في سنتي ١٨٧٩ و ١٨٨٠ فبسبب القحط المنتشر في شمال العراق عمت المجاعة اطراف المدينة وإزدادت وطأتها في الداخل وتركزت اعداداً كبيرة من سكان الارياف قراها واتجهت صوب المدينة بحثاً عن رغيف الخبز لسد رمقها فتضاعف عدد الفقراء خلال شهر الى ثلاثة أضعاف، وارتفعت الأسعار ارتفاعاً فاحشاً^(٤٩).

مما حدا بالفقراء الى مهاجمة بيوت التجار والاغنياء وهذا ما شهدته المدينة سنة ١٩١٣^(٥٠). وعلى الرغم من ذلك ولكثرة خيرات الموصل وما تنتجه من محاصيل زراعية متعددة فقد أطلق عليها تسمية (كجك اسلامبول) أي استنبول الصغيرة. وهي تعد من أسرع مناطق العراق الاخرى في تطور العلاقات الاقتصادية والاجتماعية، فقد كثر على سبيل المثال الاقبال على زيادة الأراضي المزروعة ببعض مناطقها الشالية بعد حركة الإصلاح والتجديد الذي شهدته المدينة^(٥١). وحدث تغير في الانتاج الزراعي وخاصة بعد افتتاح قناة السويس واستقطاب مصر لدور العراق، وأرتباط العراق بالسوق العالمية وازدياد الاقبال على المنتجات الزراعية واتساع المساحات المزروعة بوتائر سريعة، وانعكس ذلك على سلوك الاقطاعي الذي عمد

باشا اياه (١٨١٦-١٨٣١) فرش على ركبته منديلاً من قماش المسلمين، وكان مطرزاً تطريزاً بديعاً^(١٠). فضلاً عن صناعة النسيج كانت هناك صناعات تراثية يتوارثها الأبناء عن الآباء منها التطريز بالحرير وخيوط الفضة المطلاة بالذهب وبرقشة الاواني الفخارية وطلبها بالدهان الاخضر او الملون إضافة الى الصناعة التقليدية كالتجارة والحداة والبناء والدباغة وصناعة الصابون ومعالجة النحاس وعمل الأحذية (الخفافية) وصناعة الزيوت^(١١). وكذلك صناعة بعض المواد الانشائية كالنورة التي تستخدم في البناء بكثرة آنذاك ويطلق عليها محلياً (الجص)^(١٢). وبحكم الدقة والمهارة الفنية التي تميز بها الصناع الموصليون فضلاً عن الظروف المناخية والنظام العمراني يكون من يعيش بالموصل تواقاً لمزاولة الصناعة النسيجية^(١٣). فكانت في بعض الاحيان تتفوق على المنتجات الاوربية كصناعة السجاد المطرز بالازهار وبعض المطرزات إضافة لعمل سروج الخيول واحزمها^(١٤). وفي أواخر القرن التاسع عشر دخلت الصناعة المحلية في الموصل تحت تأثير المنافسة الاجنبية^(١٥). فلم تتطور بالشكل المطلوب حيث وقفت تلك المنافسة واساليبها حائلاً دون تجديد الانتاج الموسع في الصناعة المحلية وان عملت الى تجديد الانتاج البسيط فعلى سبيل المثال أصبحت صناعة النسيج التي اشتهرت بها المدينة امام احد خيارين : إما ان تتطور أو تتلاشى تدريجياً. لذلك بذلت الجهود في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين لاستيراد الانوال اليدوية الاوربية. لتحل محل الأنوال المحلية وعلى الرغم من ذلك هبط عدد حائكي الانوال اليدوية الى ٥٠٠ حائك بالموصل سنة (١٩١١)^(١٦). ونتيجة لموقف الدول الأجنبية وسيطرة الرأسمال الاجنبي على الاقتصاد المحلي لم تتطور الصناعة وظهرت بعض الصناعات البسيطة

الى زيادة كمية المنتجات الزراعية المخصصة للتصدير^(١٧)، فضلاً عن انتشار الأراضي السنية (التي تعود للسلطان عبدالحميد) في مناطق زمار والسهول الواقعة بين الزاب الاعلى والاسفل القريبة من الموصل^(١٨).

وتحول إقتصاد المدينة كباقي المناطق من إقتصاد طبيعي قائم على اساس اشباع الحاجة الى اقتصاد تسويقي قائم على الربح والتصدير^(١٩). وظهرت طبقة زراعية جديدة وهم (الملاك الغائبون) والذين ليست لهم أية صلة بالزراعة وأحياناً لم يشاهدوا أراضيهم^(٢٠). فضلاً عن استخدام بعض الأساليب الزراعية الحديثة في الانتاج لتلبية الاحتياجات.

الصناعة :

عرفت الموصل الصناعة منذ الفترة الآشورية واستمرت الى السيطرة العثمانية، وكانت تقوم على اساس الانتاج الحرفي المنزلي كبقية المدن العربية في المشرق والمغرب^(٢١). واشتهرت بصناعتها الراقية وكانت تنتج كل لوازمها واحتياجاتها تقريباً وتصدر ما يفيض منها^(٢٢). ونشطت فيها صناعة النسيج والحياكة وطباعة النقوش، وتحولت المدينة الى مركز تجاري مهم وظهرت فيها بعض الأسر المحلية التي جمعت بين نشاطها التجاري وملكيته للأرض، وتعد صناعة النسيج من أهم الصناعات الموصلية. والعملية الانتاجية الاولى تتم في القرى القريبة وينقل النسيج الى المدينة لتصنيعه من خلال القصر والصنغ^(٢٣). وتذكر المصادر ان في الموصل سنة (١٨٧٩) يوجد (٣٥٠٠) مصنع حياكة ويقصد بها المحلات الشعبية، ويحتمل ان تكون الدور الاهلية التي ينسج فيها من ضمنها^(٢٤). واطلق على نوع محدد من النسيج (muslin) موسلين ولجودتها استخدمها الولاة في مجالس الضيافة ويذكر الرحالة (رورث كير بورتر) انه عند استضافة الوالي داود

قيمة الصادرات السورية الى الموصل	قيمة صادرات الموصل الى سورية
جلود ٤٠,٠٠٠ فرنك فرنسي	صنع للباكية ٣٤,٥٠٠ فرنك فرنسي
صابون ٣٠٠,٠٠٠ فرنك فرنسي	صنع حرلي ٣٤,٥٠٠ فرنك فرنسي
الفتة سنطفة ٢٠٠,٠٠٠ فرنك فرنسي	جلوس ٣٤,٥٠٠ فرنك فرنسي
المصنع ٥٠,٠٠٠ فرنك فرنسي	قلم ١١,٥٠٠ فرنك فرنسي
	قلم ٣٤,٥٠٠ فرنك فرنسي
	الحري بالقطان ١١,٥٠٠ فرنك فرنسي
	المصنع ١١,٥٠٠ فرنك فرنسي
	١٢٦٠,٥٠٠ فرنك فرنسي

إجمالي مستوداتها التي قدرت بـ (٥٦٣,١٣٩) جنيه للسنوات (١٨٨٤-١٨٨٥)، وفي بداية القرن العشرين أصبح ثلث مستودات الموصل من مناشيء أوربية، وبلغت قيمة مستوداتها من اوربا سنة ١٩٠٩ (١٤٧٣١٠) جنيه، وانخفضت سنة (١٩١٠) الى (١٤١٩٤٠) جنيتها ويعزى الهبوط في التجارة المباشرة بين الموصل وأوربا الى توافر المستلزمات من بغداد وحلب واستنبول وأسعار اقل^(٧١)، والملاحظ ان تأثير حركة الاصلاحات وما رافقها من صدور للقوانين العثمانية المتعددة أدى في مجال التجارة الى ظهور فئات غنية بالموصل أصبح لها تجارتها وشركاتها ونظمت نفسها في غرفة تجارية سميت «تجارت اورطة سي» ووردت اشارات عدة الى أن تاريخ تأسيس هذه الغرفة يعود الى سنة ١٨٩٤، وترأسها خلال فترة التأسيس رئيسان هما الحاج أمين أفندي ومحمد جلبي الصابونجي^(٧٢).

الميدان الاجتماعي والحضري نظرة عامة :

كانت تركيبة الموصل الاجتماعية جزءاً من تكوين العراق المتميز بقوميته وأديانه المتعددة، فالعرب يكونون الاكثية الساحقة من السكان ولم يكن عدد سكان الموصل ثابتاً، ويذكر ان البعض قدرهم بحدود ثمانين الف معظمهم من المسلمين وربعهم من النصارى وخمسة آلاف من اليهود. وقدر آخرون سكان الموصل سنة (١٨٧٩) بـ (٤٠٠٠٠) نسمة، وفي سنة (١٨٨٩) بـ

كصناعة الثلج وطحن الحبوب وقيام بعض الشركات الأجنبية والتي فتحت لها فرع بالموصل سنة (١٩١١) كشركة ماك اندروز فوريس Mac Andrews Forbes المختصة بجمع جذور عرق السوس وتصديرها للخارج^(٧٣). فحركة الاصلاح في قطاع الصناعة بالموصل عملت الى تجديد الانتاج البسيط واحيانا المتناقض وأدى الى دمار بعض الصناعات الحرفية وتخربها.

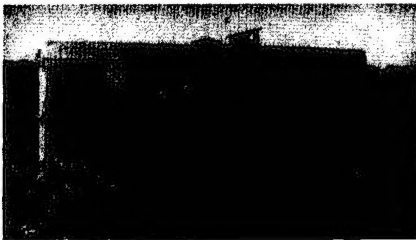
التجارة :

شهد قطاع التجارة بالموصل بعد حركة الاصلاحات العثمانية نمواً مطرداً وخاصة بعد سنة (١٨٦٩) من خلال العملية التجارية في الاستيراد والتصدير نجم عن ذلك تغييراً في علاقات الانتاج وارتباطها بالسوق الخارجية، واتساع تجارة التصدير الى اوربا^(٧٤). في الفترة بين (١٨٨٤-١٨٨٥) بلغت قيمة صادرات المدينة (٢٥١,٥٣٩) جنيه استرليني صدر منه ما قيمته (٧٥,٨٦٤) جنيه استرليني الى بريطانيا و(٩٦,٧٣٨) جنيه استرليني الى اوربا في حين بلغت قيمة الصادرات الى بريطانيا سنة (١٩١٠) (١٧٦,٥٠٠)، ووصل المعدل السنوي لقيمة صادرات الموصل خلال الفترة (١٩٠٩-١٩١٢) (٤٧٣٠٠٠) جنيه استرليني، وتتمثل صادرات الموصل آنذاك بالحبوب كالقمح والشعير والعدس ومواد الدباغة والمصارين والجلود والحيوانات^(٧٥).

وكانت العلاقة التجارية بين الموصل وحلب مزدهرة، فقد كان يمر بها طريق القوافل بين حلب وبغداد، وكانت تصدر المواشي وتستورد بعض المواد المصنعة ونصف المصنعة كالأقمشة والصابون والجلود والجلود الآتي يوضح طبيعة التبادل التجاري لسنة (١٩١١)^(٧٦).

ونمت في الموصل تجارة الاستيراد وبلغ قيمة مستوداتها من بريطانيا والدول الاوربية بـ (خمس)

والافران لانتاج الخبز في المدينة ، واهتم ببعض الصناعات التي لها علاقة بالجيش (٧٨) . وشهدت المدينة خلال حكمه حركة واضحة من خلال اهتمام الالهالي بالعمل والانتاج ، ونقل بعضهم جزءاً من متطلبات الحياة العصرية في الدول الصناعية ، فجلب بعض سكان المدينة مكائن لطحن الحبوب لاستخدامها بدلاً من الطريقة التقليدية الاولى في طحن الحبوب والتي كانت تعتمد في عملها على الحيوانات ، وقام أحد السكان بجلب ماكينة لصنع الثلج ، ورحب الوالي بمبادرته ولتشجيع المواطنين على شراء الثلج وكسب زبائن له وضع اسم أمر حامية المعسكر في رأس قائمة المشتريين بثلجة مجاًناً (٧٩) . وشهدت المدينة أوائل سنة (١٨٦١) نصب اول خط تلغراف بالعراق يربط بين الموصل وبغداد ثم ربط بأستنبول ، (٨٠) وكان للتغراف دور مهم في دعم السلطة المحلية وإشاعة الامن من خلال تأمين سرعة نقل الاخبار والأحداث والمواقف (٨١) . وضمن حركة البناء والتجديد التي شهدتها المدينة تم افتتاح دائرة البريد في الموصل



• البناية القديمة للبريد في الموصل .

بعد سنة (١٨٧٨) إثر توقيع الدولة العثمانية على إتفاقية البريد العالمية في باريس ، وكان البريد التركي يستخدم الطريق البري من خلال القوافل وهناك اوقات محددة لحركة القوافل فبريد التاتار (الرسمي) كان موعد مغادرة القافلة كل يوم اثنين

وكانت مدينة الموصل تتألف من «محلات» تتميز بضيق أزقتها (٧٤) . وجال اسواقها وكثرتها وحسن تنظيمها ووفرة حاجاتها المعروضة ، وكانت المدينة تتزود بالياه كبقية مدن العراق في قرب من جلود المعز تنقل على ظهور الحيوانات الى الدور ، وفي مطلع القرن العشرين تم إقامة مشروع إسالة الماء ومدت الأنابيب المعدنية الى الدور لايصال الماء الصالح للشرب (٧٥) . ويقضي ابناء المدينة معظم اوقات فراغهم في المجالس الأدبية التي تعقد في بيوت عدد من الأسر العلمية التي برزت في الموصل خلال العهد العثماني كأ أسرة آل الفخري و آل الغلامي ، كما تكثر في الموصل المقاهي الواسعة وبعضها يحتل الشارع بطوله ، وتصف المقاعد على جانبي الطريق ويظلها سقف من الحصر ، وهي بمثابة النوادي التي يلتقي فيها المواطنون حيث يستمعون الى القصص الشعبية التي تؤكد على البطولة والشجاعة كقصّة عنتر (٧٦) . ولكانة الموصل فقد أشاد بها بعض الرحالة مثل ويكرام وذكر ان بوسع القاهرة فقط ان تزعم مضاهاتها ، وانعكست وحدة المجتمع الموصلية من خلال مشاركة معظم ابناء المدينة في الاعياد الشعبية والرسمية والاحتفالات التي كانت تشهدها المدينة (٧٧) .

التطور الحضري :

اشتهر الوالي محمد اينجة بيرقدار بعد توليه الموصل سنة ١٨٣٥ ، بهمة العالية وسعيه في تعمير المدينة بالاعتماد على مواردها المحلية ، ودعم ابناءها الموسرين ، فأجتمع بتجار المدينة وأغنيائها وألزمهم دفع مصاريف الاعمار المطلوبة للمدينة ، فشيّد دار الحكومة (القشلة) والثكنة العسكرية والمستشفى التي كانت تفتقر اليها المدينة ، وبنى جامع سوق الخطة وجدد مزار النبي دانيال وشيّد أبنية حكومية في مراكز الاقضية التابعة للموصل . وأنشأ المخابر

من اسبوع متجهاً الى استنبول عبر الموصل وديار بكر.^(٨٢) ولنشاط الحركة التجارية تمت الحركة المصرفية بالمدينة وافتتحت عدة مصارف برساميل أجنبية منها فرع البنك العثماني الذي تأسس سنة (١٨٦٣) برأسمال بريطاني وفرنسي، وفرع للبنك الشرقي The Eastern Bank وهو برأسمال بريطاني.^(٨٣)

البلدية :

تأسست دائرة بلدية الموصل ومجلسها سنة (١٨٦٩) ضمن خطط الإصلاحات العثمانية وكانت مؤلفة من الرئيس ومعاونيه ومجلس يتألف من ستة أعضاء، ومدة العضوية فيه ستان، وعضوية المجلس فخرية ويجتمع مرتين بالاسبوع، ومن الواجبات المنوطة به للنهوض بالمدينة وتطويرها هي : وضع الميزانية العامة للبلدية وفرض الضرائب أو الغائتها على أصحاب الحرف والمهن، وإحالة الرسوم العائدة للبلدية على ملتزميها، وإحالة المشاريع العمرانية على المتعهدين، والبت في موضوع فتح الشوارع وتبليطها والإشراف على إنجازها واستملاك الدور والعرصات. وأنجزت بلدية الموصل عدداً من الاعمال منها تعميم العرصات القديمة في وسط المدينة وتشبيد المقاهي الشعبية مثل (مقهى الصوافة) وفتح الشوارع مثل شارع الطوافة وهو الممتد من منطقة باب البيض الى دائرة الحكومة (القشلة) وشارع القشلة (العدالة)، وشارعي نينوى والنجفي اللذان يخترقان المدينة من وسطها ويمتدان من الشرق الى الغرب، وشارع النبي جرجيس الذي يقطع المدينة من جنوبها الى شمالها^(٨٤). وعملت البلدية على إصلاح (القالدرم) وهو البلاط الترابي للطرق.^(٨٥) وردمت الخندق الممتد من ساحل نهر دجلة الى باب الطوب وشمال منطقة باب لكش فمنطقة باب الجديد، وقامت بتشبيد بناية لدائرة البلدية والمحكمة

الشرعية ودائرة الجندرية، وأُسست مشروع النقل العربات داخل المدينة، وصنفت الباعة، وأبعدت معمل الدباغة والمجزرة ونحانات الخمور الى خارج المدينة، ودفعت إعانات للفقراء وفتحت ملجأاً للمعوزين، وأنارت الطرق الداخلية بالمصابيح الزجاجية النفطية. وخلال الفترة الممتدة بين (١٨٨٧ - ١٨٩١) تأسست دائرة هندسية تأخذ على عاتقها القيام بالتخطيط للمشاريع المقترحة^(٨٦). وحفاظاً على الصحة العامة أشرف طبيب البلدية على اسواق المدينة وفرضت سنة (١٩١١) على ارباب الحرف وصناع الحلويات وبائعي الحليب استحصال اجازة قبل ممارسة العمل مشروطة بتفتيش الطبيب لمحلاتهم^(٨٧)، وطالبت اصحاب المطاعم والمشروبات الكحولية باستحصلها ايضاً^(٨٨).

الوعي الصحي والخدمات الصحية :

كانت الخدمات الطبية محدودة جداً والطب الشعبي هو السائد والوعي الصحي منتشر لان الاهالي تقبلوا علاج الاطباء وتطبيبهم ووصف أحد الرحالة الأجانب نظرة أهالي المدينة الى الاطباء بقوله إنهم (يشتاقون الى الاطباء إشتياق المريض المحروق بالحصى الى قطرة الماء التي تعيد اليه الحياة والثناء)^(٨٩) وشهدت الموصل خلال عهد الاسرة الجليلة حركة ثقافية نشطة انعكست على الحالة الصحية فبرز عدد من الاطباء منهم الحاج محمد العبدلي (ت ١٧٥٠) ووصف بانه (قرأ الطب والتشريح على المهرة والحدائق ففاق جميع أقرانه) وغدا في النصف الاول من القرن الثامن عشر رئيساً لاطباء الموصل وجراحاً ماهراً وقصده عددٌ من المرضى من أطراف العراق وكثيراً ما استدعي الى بغداد لمعالجة الولاة^(٩٠). وقام بعلاج الجرحي الوافدين الى الموصل نتيجة للغزو الفارسي للعراق في اوائل حزيران ١٧٣٣ بقيادة نادر شاه^(٩١).

الطبيب العدلي يعاونه الجراح الأهلي أمين السيفو والدكتور يحيى سمكة ، وهناك اطباء عسكريون منهم الدكتور داؤد الجليبي والدكتور احمد وجداني وغيرهم وكان لقسم من هؤلاء الاطباء عيادات خاصة بالمدينة (٩٥) .

حركة التمثيل والمسرح :

كانت البدايات الاولى لحركة التمثيل محدودة ومقصورة على افراد معينين ، حيث زرعت في احضان الجمعيات الادبية وهي ثمرة من ثمار النهضة والوعي القومي (٩٦) . ويطلق على التمثيل التشخيص والممثل بـ (المشخص) وانتشر التمثيل بين صفوف طلبة المدارس الاهلية ومعلميه .

اما المسرح فإن جذوره تمتد الى النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وتعد سنة (١٨٨٠) البداية الاولى لانطلاقه (٩٧) . بعد ان غني المبشرون به على مستوى مدارسهم واستخدموه وسيلة لنشر عقائدهم وقيمهم الدينية ، ولكن سرعان ما برزت القيم الوطنية لانها إحدى الأدوات التي تعمل على حث المواطنين على الاستقلال والتخلص من السيطرة الاجنبية (٩٨) . واتجه المسرحيون في الموصل خلال الربع الاول من القرن العشرين الى تبني المواقف القومية التي تدعو الى الفخر والاعتزاز بالتاريخ العربي وتثير في النفوس الحمية والالفة كرد فعل لدعاة الاخذ بالحضارة الغربية (٩٩) . وقدمت في الموصل عدة مسرحيات منها سنة (١٨٨٨) مسرحية (نبوخذ نصر) من تأليف الخوري هرمز نورسو الكلداني المارديني ، وقدمت على مسرح المدرسة الاكليريكية بالموصل ، ومسرحية استشهاد (مارثيوس) ترجمة سليم حسون وهي مسرحية تاريخية بثلاثة فصول ، وكان للحركة المسرحية الدور الملحوظ في نشاط حركة الترجمة ، إذ ترجم عدد من نصوص المسرحيات الادبية الى العربية ومن طليعة المسرحيات المترجمة كانت

وتحفر عدد من الشباب الموصل للتخصص بدراسة الطب ، وأصبحت الموصل تقدم الخدمات الطبية لسكانها وللمناطق المجاورة لها . وكان الطبيب محمد الجليبي (١٧٧٦ - ١٨٤٦) من أبرز الاطباء واكثرهم شهرة ومن أشهر مؤلفاته الطبية شرح ارجوزة ابن سينا في الطب ، وجمع كتاباً في الطب شرح فيه كيفية أخذ لقاح الجدري واستعماله وأعراضه في الموصل وان كان (جنو) قد أعلن اكتشافه للقاح سنة (١٧٩٨) (١٠٠) .

وقامت الرسائل التبشيرية من خلال المبشرين الذين وفدوا الى الموصل بدورهم في مجال الطب ففي سنة ١٧٥٠ تقدم الآباء اللومنيكان طبيين إيطاليين مبشرين هما فرنسيسكو توراني Tuoriane والاب دومنيكو كوديلنشيوني Codelinchieni. ومنذ سنة (١٨٧٣) برزت الراهبات في تقديم الخدمات الطبية بالموصل ، وفي سنة (١٨٧٦) افتتحت مستشفى ليجون ، وبلغ عدد المراجعين لها في اليوم سنة (١٨٧٧) بين (٨٠ - ١٠٠) مريض وارتفع عددهم حتى وصل معدل مراجعها في اليوم الى (٢٠٠) مريض (١٠١) . وخلال السنوات الممتدة بين (١٨٨٧ - ١٨٩١) تم تأسيس دائرة صحة البلدية للإشراف على الصحة العامة . وفي سنة (١٩٠٧) تولى الدكتور حنا خياط إدارة المستوصف الصحي وقام بتقديم الخدمات الصحية ، وفي سنة (١٩٠٨) استحدث منصب مدير صحة الولاية لمدينة الموصل وانفصلت عن البلدية وأصبحت دائرة مستقلة وشغل منصب مديرها الدكتور فيضي بك (١٠٢) . وفي سنة (١٩١٢) تم إنشاء بناية مستشفى الغرباء بالقرب من المدرسة الصناعية في باب سنجار ، وكان يعمل فيها عدد من الاطباء المتخرجين من كليات الطب في إستانبول وبيروت وجامعة باريس وسويسرا منهم الدكتور فتح الله غنيمه والدكتور عبد الاحد عبد النور والدكتور عبدالكريم قليان الذي شغل وظيفة

وانحصرت بالمتعلمين والموظفين (الافندية) .

الميدان الثقافي والتعليمي :

شهدت الموصل منذ بداية القرن الثامن عشر بوادر نهضة ثقافية واسعة ، وامتازت هذه الفترة بظهور الاسر المحلية الحاكمة وانحسار النفوذ العثماني ، وكان الادباء يمثلون المرأة التي تعكس صورة المجتمع آنذاك وهم الطلبة في فترة الحكم العثماني . وأطلقت الاسر المحلية في حكمها للموصل الثقافة العربية بعد ان كانت محصورة في المساجد والكتاتيب وأدخلتها في المؤسسة الادارية من خلال (ديوان الانشاء) الذي اعتمد العربية في المراسلات والوثائق الرسمية وارتفعت مكانة الادباء والعلماء من خلال تقلدهم للمناصب الادارية أو بحكم مكانتهم الاجتماعية المتميزة أو لادوارهم القومية المعروفة ، وظهر من بينهم الشيخ مصطفى الغلامي وعبدالله الرتيكسي وغيرهم الذين خرجوا عن المفاهيم العثمانية السائدة آنذاك ودعوا الى تقدم الأمة ونقلوا معاناة أبناء جلدتهم وطرحوا افكارهم بنزعة عربية تؤكد تمسكهم بقوميتهم وأصالة تراثهم فمصطفى الغلامي مفتي الموصل يتعنّى الموت على حياة الذل والمسكنة بقوله (١٠٣) .

ياليئتنا متنا قبيل الأذى

وقبل هذا الذل والمسكنة

وساعد على ازدهار الحياة الفكرية حركة التأليف بمختلف فروع المعارف العلمية والانسانية وجرى الاهتمام بحركة إحياء التراث الأدبي العربي القديم وقيام حركة أدبية نشطة تبارى فيها الموصليون فأكتنظت المجاميع الأدبية بأشعار التشطير والتخميس والتسييع ، وكثيراً ما تنافس عدد من الادباء على محاكاة قصيدة لأحد الشعراء الاقدمين منهم الشيخ علي الوهبي الموصلي ويوسف العمري والشيخ صالح الحافظ ومحمد الغلامي وغيرهم وأدّى هذا الاهتمام الى غوفن النقد الأدبي وبرزي

مسرحة (غام قاملو كوالس)لدام دي بفوار، ترجمت عن الفرنسية من قبل فتح الله سحر وعرضت سنة (١٨٩٣) باسم (لطيف ونوشابا) (١٠٠) . وإبرز الذين قدموا خدمات لبناء المسرح في الموصل هم حنا رسام ، الخوري هرمز ، فتح الله سحر، نورسو الكلداني ، وغيرهم (١٠١) ويمكن اعتبار تلك المحاولات بدايات المسرح في الموصل حيث انه لم يرق الى اواصل اليه من نشاط في بعض الاقطار العربية كمصر.

الملابس والزى الشعبي :

حافظ سكان المدينة على زهم العربي المتمثل بالكوفية والعقال ، اما رجال الدين فكانوا يرتدون الزيون شتاءً والصاية صيفاً . والتجار وأرباب الحرف ارتدوا الزيون وفوقه الدميري ووضعوا العمام على رؤوسهم (١٠٢) وارتدى الآخرون منهم اللباس التركي والعمام والطرايش مثل أهالي سوريا (١٠٣) . وبعد حركة الاصلاح العثماني تأثر أبناء الموصل ببعض المظاهر الحضارية والاجتماعية الاوربية فارتدوا الزى الاوربي المتمثل بالسنترة والسروال ووضعوا الطربوش على رؤوسهم وعرفوا ب (الافندية) (١٠٤) . اما البدو فامتازوا بزهم البسيط فهم يرتدون ثوباً ويشدون عليه حزاماً ويضعون العباءة فوقه ، والاغنياء منهم يزدون عليه كساءً مبطناً أو جلدأ من جلود الغنم يعرف ب (الفروة) شتاءً (١٠٥) . اما النساء فارتدت المرأة الموصلية إزاراً طويلاً تعقده بيدها من وسطها ولونه اسود أو أزرق وتضع على رأسها طربوشاً مزركشاً بقطع ذهبية وتتبرقع ب (الخليجة) وهي عبارة عن نسج من خيط أسود مخزعة تطرز اطرافها بما يجعلها غير مرنة واستبدلت بالبوشية (البيجة) والتي هي عبارة عن قطعة من القماش الاسود الشفاف لتغطية الوجه (١٠٦) . فحركة الاصلاح والتجديد اثرت في أهالي المدينة من خلال ارتدائهم للزي الاوربي

هذا المجال محمد الغلامي بكتابه «شامة العنبر والزهر المعنبر»^(١٠٨). ومن المؤلفات الموصلية التي ذاع صيتها كتاب «منهل الاولياء ومشبب الاصفياء من سادات الموصل الخلدباء» لمحمد امين الخطيب العمري، وكتاب «أخيه ياسين بن خيرالله العمري المعتمد على نظام الحوليات والاثار الجلية في الحوادث الارضية»، وكتاب «غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر» وكتاب «روضة الفيحاء في تواريخ النساء»، إضافة الى العديد من الكتب الاخرى التي كشفت لنا عن مدى الثقافة والمتابعة للاحداث سواء داخل المدينة أو خارجها. وبرز في هذا المجال أبناء الاسر المعروفة بمكانتها وعلمها منهم آل العمري وآل الفخري وآل الغلامي وآل المفتي وغيرهم. وأنجبت الموصل في هذه الحقبة ومابعدا عدداً وافراً من الأدباء والعلماء منهم ابن الصباغ (ت ١٨٢٤)، وعبد الباقي العمري (ت ١٨٦٢)^(١٠٩)، الذي أختير لمنصب الكهية في باشوية الموصل وهو في العشرين من عمره المعروف بذكائه وجراته الادبية، وسرعة بدهاته فشارك في وفد الموصل لمقابلة الوالي داود باشا لاستحصال موافقته على تعيين يحيى باشا والياً للموصل فأعجب به داود باشا وسأله عن حاجته فأجابته^(١١٠)،

بإمليك البلاد أنسيني حاً

شاك مثلي يعود منك كسيراً

أنست هارون وقته ورجاني

أن أرى في حماك أبحي وزيراً

وبرز الشاعر محمد أمين العمري (ت ١٨٧١)

ماهرآ في الانشاء مبدعآ في النظم وله آثار متعددة في النظم والنثر^(١١١). وشهدت فترة الاصلاحات العثمانية ومابعدا ظهور أدباء وعلماء مشاهير آخرين بالموصل منهم عبد الغفار الاخرس (ت ١٨٧٣) وهو من فحول شعراء عصره، لقب بالأخرس لحبسة في لسانه وهو شاعر متمكن من لفظه قوي

العبارة له ديوان (الطراز الانفس في شعر الاخرس) طبعه احمد عزت الفاروقي، وعبدالله باشاعلم (ت ١٨٧٩) نشأته دينية اشتهر بمعرفته في الفقه والادب والقراءات السبع ولعلمه ومكانته منح في استنبول رتبة (باشاعلم) أي رئيس العلماء وتولى منصب الافناء بالموصل. وكذلك أحمد عزت الفاروقي (ت ١٨٩٢) وهو شاعر ومؤلف جمع شعره في ديوان مخطوط وله عدة مؤلفات منها العقود الجوهريه واحتوت على تراجم لبعض شعراء عصره، ورحلة الى نجد، ورسالة في التصوير الشمسي (مخطوط)، والسفيننة (مخطوط جمع فيه بعض شعره ورسائله)، وترجم عن التركية أحكام الأراضي، وشغل عدة مناصب إدارية منها متصرف الاحساء وتجز. ومن شعراء الموصل المعروفين ملا حسن البزاز (ت ١٨٨٧)، درس عند الشيخ صالح بن طه الخطيب، غلب عليه الشعر وخاصة في التصوف والمدائح النبوية، وكانت مهنته البزاة، فضلاً عن شعراء آخرين منهم ملا شريف الموصلي صاحب ديوان (شعف المسلوب في حبات القلوب) والمتكون من اثني عشر مجلداً، وأحمد بن محمود الفخري الذي عرف بشعره الوجداني^(١١٢).

بسبب استمرار حركة الاصلاحات العثمانية في ارجاء الدولة العثمانية ومنها الموصل ولانتشار الوعي بين الاهالي، وافتتاح المدارس الحديثة نمت فيها الثقافة وتطورت واتضحت في مظاهر متعددة منها :

الوعي السياسي :

تميز الوضع السياسي في الموصل بنفوذ العناصر المحافظة وكانت المدينة مقسمة الى أحياء يسيطر على كل منها عائلة ذات نفوذ اجتماعي ومادي، وغالباً ماتسود هذه العوائل علاقة تنافس وتنافر. لكنهم تفوقوا بالمحافظة على مراكزهم ومحاربة أي تغيير. وحافظت المراتب الاجتماعية على مكانتها في عهد

الاتحاديين ولم يتنافروا معهم ، وكان لهيمنة المشاعر الدينية التي ترى في أي تحدي للسلطان مروقاً على الدين ، ولغادرة المثقفين خارج المدينة فان لهذا دوراً في عدم بلورة العمل القومي وظهور الاحزاب والعمل السياسي في فترة متقدمة . أنجبت الموصل العديد من الشباب المتعلمين الذين ساهموا في العمل الوطني ونشروا الفكر القومي وبرزوا في العمل الحزبي السري منهم ، سعيد الحاج ثابت وابراهيم عطار باشي وداؤد الملاح آل زيادة ومحمد علي فاضل آل عبدالحافظ ومحمد حبيب العبيدي وداؤد الجلبي وغيرهم^(١١٣) . وكان من اوائل الناشئين على سياسة التريك داؤد صليوا (١٨٥٢-١٩٢١) الذي اقتحم ميدان الصحافة بعد الانقلاب العثماني سنة (١٩٠٨) وأصدر مع يوسف غنيمة جريدة «صدى بابل» في (١٧ آب ١٩٠٩) ، وقال (ان الحكومة التركية إن إصرت على عدم استعمال اللغة العربية في الدوائر الرسمية فانها تقيم قائمة أولاد العرب عليها)^(١١٤) . وتلقى سليمان فيضي (١٨٨٥-١٩٥١) علومه بالموصل ثم انتقل الى المدرسة الاعدادية العسكرية في بغداد وأصدر في (١٢ آيار ١٩٠٩) جريدة «الايقاز» وهي جريدة اسبوعية تصدر بالعربية والتركية^(١١٥) . ويذكر فيضي عن زيارته للموصل بعد الانقلاب العثماني ، بقوله إن العمل السياسي شاق بالموصل بسبب القيود التي أحاطه بها رجال الشرطة ، والخطر الذي فرض عليه من قبل السلطة لمنع المواطنين من الالتقاء به خوفاً من نشر الفكر القومي ، وتمكن من نشر الدعوة القومية في الاوساط المدنية والعسكرية وإنهالت عليه طلبات الانتهاء لجمعيةته الاصلاحية التي دعا اليها^(١١٦) . ولأخفاء نشاطه السياسي عن أنظار السلطة طلب من السلطات المحلية ترخيصه في فتح نادي أدبي بأسم (النادي الأدبي) وساعده في مهمته وكيل والي الموصل ووعده بمنحه الأذن لتأسيس النادي المذكور

ليكون ملتقى لأبناء المدينة^(١١٧) . واستبشر أبناء المدينة كغيرهم من العراقيين بالانقلاب الدستوري العثماني في (تموز ١٩٠٨) ، لكن سلوك الاتحاديين واعتمادهم السياسة (الطورانية) وانشائهم النادي (كلوب) مقر لجمعية الاتحاديين وفتحهم مدرسة ملحقة بالجمعية (اتحاد وترقي مكتبي)^(١١٨) ، وتعيين مدرسين لها لنشر الافكار الطورانية والمبادئ الاتحادية ، كان باعثاً لاستيقاظهم وشعورهم بما يحاك ضدهم من دسائس ، فضلاً عن الاوضاع العامة في الاقطار العربية كمحاربة الدولة العثمانية للمعارضين لها في اليمن ، وطردهم عبدالعزيز آل سعود من الاحساء ، وانتشار الدعوات القومية من خلال الكتب والمؤلفات والصحف العربية وبالاخص ظهور كتاب «أم القرى» و«طبائع الاستبداد» للكواكبي وماناقلته الصحف والمجلات من أخبار كجريدة «المفيد البيروتية» ومجلة «لسان العرب»^(١١٩) . واعتمادها وسائل للتعبير عن السخط ضد الحكومة العثمانية إضافة الى الشكوى في مجلس المبعوثان ثم القيام بحملة توزيع ولصق المنشورات في اماكن متعددة وهامة في المدينة^(١٢٠) . وانعكس هذا الشعور في صفوف المعلمين والشباب ، ففي دار المعلمين بالموصل برز عدد من دعاة الاشادة بمجد العرب وتاريخهم والتنبيه الى القومية العربية ، منهم مولود مخلص مدرس التاريخ المدني والاسلامي والذي كان درسه لا يخلو من هذا التوجه ، وكذلك الشيخ قاسم الشعار مدرس علم الدين واللغة العربية وهو من المشجعين للطلبة في العمل للدفاع عن القومية العربية والمحافظة عليها^(١٢١) . وبرز من أبناء الموصل من عمل في المجال القومي خارج العراق وفي استنبول في أثناء وجودهم فيها منهم ثابت عبدالنور فقد انتمى الى جمعية العهد وبرز فيها وسُمي بفدائي الجمعية وأسس بعد عودته الى الموصل جمعية (العلم) وبرز آخرون ومنهم عبد الله اللطفي

المختلفة، في سنة (١٨٥٨) أسست مطبعة
الدومنيكان في عملة الجولاق وهي مطبعة حجرية



• مطبعة الدومنيكان (قسم التجليد).

بدائية، وبعد خمس سنوات تم توسيعها وتطويرها
بشراء معدات طباعية إضافية^(١٢٥) ويتحدث
الأب ليجيه عن المطبعة بقوله: في
سنة (١٨٥٧-١٨٥٨) بدأت
المحاولات الأولى للطباعة في المطبعة الحجرية وأخذ
على عاتقه إدخال الطباعة لأتاحة الفرصة للطلبة
للحصول على كراسات مطبوعة بعد أن كانوا يقرأون
في أوراق المخطوطات القديمة بشكل حلقات
دائرية. وبدأت المطبعة بطبع لوحات اعداء وألفها
يوسف داود. وأثار دخولها تعجب الاتراك والاهالي
خاصة عندما شاهدوا الأوراق البيضاء تدخل
المطبعة وتخرج مطبوعة بنسخ كثيرة.

وفي سنة (١٨٥٨) تم طبع كتاب القراءة في
١٢ صفحة، وكتب الصلوات الطقسية، وتم طبع
كتاب (خلاصة في مبادئ القواعد العربية) سنة
(١٨٥٩) في ١٨٠ صفحة وهو أول كتاب في
قواعد اللغة العربية يطبع في العراق. وبعد تحديث
المطبعة تم طبع كتاب ديني ثم أعقبه كتاب في علم
الجغرافية سنة (١٨٦١)، وشهدت المطبعة بين
السنوات (١٨٦٧-١٨٩٨) نشاطاً ملحوظاً في
طباعتها حيث شهدت تلك الفترة طباعة مايزيد
على المئة مطبوع في مواضيع عدة دينية وتاريخية

وموفق كامل، وأسس الدكتور داود الدبوني
(جمعية العلم الاخضر) في استنبول في شهر أيلول
سنة (١٩١٢)^(١٢٦). وعلى صعيد العمل الحزبي
شهدت الموصل عدة أحزاب مناوئة لجمعية الاتحاد
والترقي بعد تغيير منهجها في أواخر ايلول (١٩٠٩)
وجعلها جمعية تركية بحتة فتم في آب (١٩١١)
تشكيل فرع لحزب الحر المعتدل بالموصل فتقدم أبناء
المدينة باستقلالهم من الجمعية وانتموا للحزب
الجديد، فكانت بداية الصراع الحزبي، ونشرت
جريدة «النجاح» مقابلة مع مبعوث الموصل داود
يوسفاني الذي صرح بـ (إننا انتسبنا لفرقة الحر
المعتدل من كوننا رأينا برنامجه أشد وأقرب علاقة
بالمنايع الوطنية)، ودعا أبناء المدينة للاتناء قائلاً
(من يحب وطنه ويتمنى ويطلب صلاح حالنا
فليسع بالمظاهرة لفرقتنا.. ان فرقنا ماتشكلت الا
لخدمة الوطن... وجل مقاصدنا إحياء الوطن،
وعلمنا ان زوال القلاقل الحاضرة وتعالى الوطن
لاشك منوط في حصول التوازن الحزبي)^(١٢٧).
وبعد الاندحارات العثمانية امام الغزاة الايطاليين في
طرابلس الغرب سنة (١٩١١)، عمدت المعارضة
في ٨ تشرين الثاني (١٩١١) الى تكوين حزب الحرية
والائتلاف. فانغل فرع حزب الحر المعتدل بالموصل
وتشكل فرع لحزب الحرية والائتلاف في اواخر سنة
(١٩١١) واصبحت جريدة النجاح لسان حال
الحزب^(١٢٨). وهكذا نشطت الحياة الحزبية ونعى
العمل السياسي في الموصل.

الطباعة :

تأخر ظهور الطباعة في الموصل، وكان أبناء
المدينة يتحرقون شوقاً للطباعة لما لمسوه من فوائد
بسبب إطلاعهم على مطبوعات مصر وبلاد
الشام وشهدت المدينة منذ النصف الثاني من القرن
التاسع عشر تأسيس عدد من المطابع. وارتبطت
حركة الطباعة بنشاط الأسراليات التبشيرية

العالمية الاولى أقدمت السلطات العثمانية على مصادرتها ، وطبعت فيها جريدة «دعوة الحق» (حقه طوغرو) التي كرستها للدعاية (١٣٢) ، وباللغات الاربع العربية والتركية والفارسية والكردية . وفي سنة (١٩٢٢) تم فيها طباعة كتاب (تاريخ مقدرات العراق السياسية) (١٣٣) .

الصحافة :

لم تظهر الصحافة في العراق إلا بعد تأسيس جريدة الزوراء في (١٥ حزيران ١٨٦٩) . أما في الموصل فصدرت على غرار «الزوراء» جريدة رسمية بأسم (مُوصِل) في (٢٥ حزيران ١٨٨٥) وباللغتين العربية والتركية وبأربع صفحات بالحجم المتوسط بمقياس (٢٧ × ٤٣) وكل صفحة تتألف من ثلاثة أعمدة طويلة ، وهي جريدة اسبوعية تصدر كل خميس وأستمرت بالصدور الى مابعد الحرب العالمية الثانية . وكانت في بدايتها لسان السلطان وأعوانه ولم تتعرض الى أهداف وأمانى المواطنين وطموحاتهم

وأدبية (١٣٦) وبلغات مختلفة منها العربية والتركية والفرنسية وأستمرت مطبعة الدومنيكان حتى اوائل الحرب العالمية الاولى (١٣٧) ، وفي سنة (١٨٦٣) اسس روفائيل مازه جي (شماس) مطبعة مجهزة بكل لوازم الطبع وطبع فيها عدداً من الكتب العربية والاجنبية (١٣٨) وفي سنة (١٨٧٥) أسس تحسين باشا والي الموصل مطبعة الولاية وجلب مكائنها من إستنبول وساهم الاباء الدومنيكان في إدارتها فنياً (١٣٩) . وطبع فيها المنشورات الحكومية والبيانات الرسمية والتقويم السنوية وأموراً تجارية ، وفي سنة (١٩١٠) إنشئت مطبعة نينوى (البدوية) وأسسها فتح الله سرسم وعيسى محفوظ وجلبها من باريس وكانت بحروف عربية ولاتينية ونصبت في منطقة (سوق الصرافين) قرب باب السراي . ويعتقد ان الغرض من تأسيسها طبع جريدة نينوى التي أصدرها فتح الله سرسم سنة (١٩٠٩) (١٣٠) . ونشرت المطبعة عدداً من الكتب وباللغتين العربية

[نوردي يكتبي سه]

بشبه

[نوردي ١١٦٩]

شركة القيا
منه الى رعد مع جريد
ألى آلى اون اى بن جريد
—
الاعلام اهرن مدل خرج لفرسته نوردي آو
—
الطبع ٢٥

مُوصِل

مطبعة وهل ادارته
حكومت نورديكي داره خضوه
—
ادور تحرير وخصوصات ساره ايجون
مطبعة مطبعة مطبعة مطبعة مطبعة
—
الطبع ٢٥

١١ اغسطس سنة ١٣٢٢

— ولاشك هفده برده نشر اول نوردي جريدة وسيميدور —

٢٥ ذوال سنة ١٣٣١

جريدة «موصل» التي صدر عددها الاول في ٢٥ حزيران ١٨٨٥ م .

وكثيراً ما إنتقدت ثورات العشائر وتميزت عن الزوراء في اسلوبها الأدبي الجزل الواضح والذي لا يظهر فيه آثار العجمة والغموض والزكافة ، ويطابعها الاخباري ، فنشرت أخبار الولاية (الرسمية منها والقوانين والانظمة والاوامر والاعلانات الحكومية) والاخبار الخارجية وخطب الجمعة التي كانت تلقى في جوامع المدينة (١٣٤) . وأفردت الجريدة باباً بعنوان (احداث الولاية) تناولت فيه ما يتعلق بحياة المواطن اليومية ومايعانها من مشاكل وصعوبات

والتركية وفي موضوعات لقوية وأدبية وفنية وساهمت في النهضة الفكرية ونشر الوعي القومي في الموصل ، كطبع كتاب (الاناشيد الموصلية للمدارس العربية) والذي تم اعتياده في مدارس الموصل ونشره محمد سعيد الجليلي سنة (١٩١٤) ، وكتاب (خطبة نادي الشرق) وهو كتاب اجتماعي خاطب فيه مؤلفه محمد حبيب العبيدي أهالي الموصل وحثهم على النهوض لنصرة العثمانيين في حربهم ضد الدول الاجنبية (١٣١) . وخلال الحرب

فنشرت عن الاضرار التي لحقت بالمدينة بسبب موجة البرد وتجمد نهر دجلة وقلة وسائل التدفئة^(١٣٥). ولعبت الجريدة دوراً في توعية الاهالي اجتماعياً وثقافياً وصحياً بما نشرته من مقالات وتوجيهات، وكان اسلوبها أدبياً واضحاً ليس فيه شيء من الغموض والعجمة كما في جريدة الزوراء ولعل ذلك يرجع الى قيام عدد من الادباء والمثقفين والكتاب الموصليين بنشر المقالات فيها، فضلاً عن مساهمتهم بالعمل في الصحافة العثمانية والعربية وبالاخص (السورية والمصرية) منهم احمد عزت العمري وعبدالله العمري وشهاب الموصلي واحمد سامي الموصلي وعبد الله الفيضي^(١٣٦). ويمكن تقسيم تاريخ جريدة الموصل الى اربعة مراحل تمتد الاولى منذ صدورها وحتى اعلان الدستور العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨، وتبدأ الثانية في اعلان الدستور وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى، اما المرحلة الثالثة فتبدأ بعد الاحتلال البريطاني للموصل سنة (١٩١٨) وحتى (١٩٣٤) يليها المرحلة الرابعة وتبدأ من إصدارها بعد انقطاع طويل من قبل يونان عيو اليونان سنة (١٩٤٧) واستمرارها حتى (١٩٤٩)^(١٣٧). وصدرت في الموصل مجلة (الكليل الورود) وهي ذات صبغة دينية وطابع أدبي وعلمي وأصدرها الآباء الدومنيكان في الاول من كانون سنة (١٩٠٢)^(١٣٨). وصدرت في بداية امرها في (٢٠) صفحة ومقياس (١٨ × ١١,٥)^(١٣٩)، وأتمت بمعالجة موضوعات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية وصحية. وأدى الانقلاب العثماني (٢٣ تموز ١٩٠٨) الى نشروعي قومي في الموصل كجزء من الوعي العربي العام في مختلف الاقطار العربية إنعكس بقيام نهضة صحفية، فصدرت أول جريدة محلية أهلية (نينوى) في (١٥) تموز ١٩٠٩، وكانت نصف اسبوعية، وباللغتين العربية والتركية وهي لسان حال حزب الحرية

والائتلاف المعارض للاتحاديين^(١٤٠). وجاء في مقال نشرته عن سبب اصدارها «... ان السبب الداعي لاصدار هذه الجريدة خدمة الوطن في هذا الزمن ونشر الحقائق والدقائق والحمية والغيرة على اعلان شأن الدستور الذي اشرفت شمس الساطعة في سماء العدل، فاستضاءت بها الافكار المظلمة من دور الظلم الذي سبق بأنحس الطالع واحسن المطامع»^(١٤١). واهتمت الصحيفة بالعلم ودعت الى تشجيع الالتحاق بالمدارس لمواكبة العصر ونشرت مقالاً تحت عنوان هَلُمَّ الى التقدم يابني الوطن جاء فيه: الكل يعلم مالبنى الحذباء من الذكاء الفطري والنجابة والدهاء والعفة وعزة النفس والآفة والحزم والعزم والاقدام وحب التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل .. هذا عصر العلم، عصر النور والكهرباء، عصر تنقرض فيه الامة العاطلة وتحيا في الامة العاملة... فالإقدام الإقدام يابني الحذباء لارتشاف رحيق العلم واجتناء اثمار المعارف فلا أمة إلا برجها ولارجال إلا بالعلوم ولاعلوم إلا بالماكاتب.^(١٤٢) وفي (١٢) تشرين الثاني (١٩١٠)، أصدر محمد توفيق جريدة النجاح، وفي (٢٧) حزيران (١٩١١) اصدر عبدالمجيد حيالي جريدة (جنة باز) أي المهذار وهي جريدة فكاهية^(١٤٣). لقد عاجلت الصحافة المحلية والتي ظهرت بعد حركة الاصلاحات العثمانية جوانب مهمة من اهتمامات ابناء المدينة آنذاك وفي مقدمتها الدعوة الى بحث اللغة العربية واحياء الكيان السياسي العربي فضلاً عن معالجتها لموضوعات ثقافية واجتماعية واهتمت بالجانب الاجتماعي للمدينة وبالتعليم ومناهجه، وتناولتهم بالنقد ودعت الى الاهتمام بالمدارس والعلوم والادب. فكان لها الدور الايجابي بالنهوض بواقع المدينة وتطويرها.

التعليم:

أخذت بوادر التطلع عند العراقيين في اوائل القرن الثامن عشر بمعظم مجالات الحياة ومنها التعليم، ففي

تلك الفترة نشطت المؤسسات التعليمية الشعبية وتمثلت بالكتاتيب والمدارس ، وشهدت الموصل منذ الربع الاول من القرن الثامن عشر اهتماماً خاصاً بتشييد المدارس وتزويدها بما تحتاج اليه من الكتب والاموال ومن هذه المدارس مدرسة الحاج محمد بن علي النومة المشيدة سنة (١٧٠٨) ومدرسة محمد أغا السعري المشيدة سنة (١٧١٥) ومدرسة ياسين المفتي الموصل المتوفى سنة (١٧٢٢) وازداد الاهتمام بالمؤسسات الثقافية بتولي الجليليون السلطة المحلية ومشاركة الاهالي في انشائها فساهم عدد من محبي العلم واهل البر والاحسان في هذا الجانب وتم افتتاح ١٥ مدرسة^(١٤٤) . إضافة الى تشييد دور القرآن والحديث لنشر العلوم الصرفة ولتهيئة فئة مثقفة واعية قادرة على النهوض بأعباء الادارة الحكومية والشرعية^(١٤٥) . وتولى مثقفو المدينة مهمة التدريس في هذه المدارس منهم يوسف العمري ، وقاسم المعروف بأبن الخباز ، وعلي محضر باشي ، وعبدالرحمن الكلاك ، والملا محمد أمين بن ملا عبيد وغيرهم . وكان في طليعة المدارس (مدرسة الباشا ، والرابعة ، والتعانية ، والاحمدية وابن يونس التحوي) وفي معظم هذه المدارس مكاتب عامرة تساعد طلبتها على الدراسة والاستقصاء ويصرف عليها من الاوقاف المخصصة لها . وأهم موادها الدراسية هي الاصول الفقهية وعلوم القراءات والتفسير والحديث والعقائد والكلام ، إضافة لعلم المنطق والفلسفة والعلوم الرياضية والفلك والطب والآداب اللغوية من بديع ومعاني وبيان وعلم العروض^(١٤٦) . وبعد حركة الاصلاحات العثمانية شهدت الموصل اهتماماً بالتعليم من قبل الدولة والاهالي والارساليات الأجنبية ، ففي سنة (١٨٦١) تم افتتاح اول مدرسة (رسمية) ابتدائية ورشدية (متوسطة) في عهد الوالي كنعان باشا وبمسعى من قبل فهمي بن مصطفى العمري وشيدت في منطقة باب لكش (باب

الجيش) ،^(١٤٧) وفي سنة (١٨٩٠) انفصل المكتب الرشدي عن الابتدائي وتم فتح مكتب ابتدائي بالموصل سنة (١٨٩٤) ، وانتشرت هذه المدارس في ارجاء المدينة وأقصيتها وبلغ عددها سنة ١٩١٤ بحدود (٣٠) مدرسة رسمية . وتحولت المدرسة الرشدية الى مدرسة اعداد ملكي سنة (١٨٩٥) وبلغ عدد طلابها (٣٤)^(١٤٨) . ولأقبال الاهالي على ارسال اولادهم الى المدارس وظهور الحاجة الى توفير الهيئة التعليمية للمدارس الجديدة تم بحدود سنة (١٩٠٠) أفتتح دار المعلمين بالموصل لسد النقص في عدد المعلمين للمدارس الابتدائية والرشدية ، ويقبل فيه خريجو المدارس الاعدادية ، واحتوى في بدايته على صفين ولم يزد طلابه عن عشر طلاب وبعد سنة (١٩٠٨) بلغ عدد صفوفه ثلاثة ، واتسعت مناهجه وبلغ عدد طلابه (١٥٠) طالباً ، ومن أساتذته مولود مخلص والشيخ قاسم الشعار.^(١٤٩) والذين عرفوا بأنجاحاتهم الوطنية في المدينة . والجدول في الصفحة التالية يوضح عدد المدارس وأماستها وعدد طلابها سنة (١٩٠٧).^(١٥٠)

وكانت الموصل في طليعة المدن العراقية التي انشئت فيها مدارس لتثقيف وتعليم النبات . والاعتقاد الشعبي السائد بشأن تعليم النبات آنذاك يعد ضرباً من الطيش لذا إقتصرت تعليمهم على التربية العائلية داخل بيوتهم ، وأستمر الحال على هذا المنوال حتى اقبلت الأرساليات التبشيرية (اخوات المحبة) الى الموصل في شهر تشرين الثاني (١٨٧٣) فتم فتح مدرسة للبنات وعملوا على تعليمهم وتدريبهم على الاشغال البيتية كالخياطة والتطريز والنقش.^(١٥١) اما الجهود الرسمية في هذا المجال فلم تنشط الا بعد المشروطة ، اذ تم فتح مكتب ابتدائي ورشدي للبنات في محلة السرجخانة.^(١٥٢)

وشهدت الموصل إنتشار المدارس الاجنبية وهي مدارس الارساليات ، وبعد التعليم أبرز

١ - مدرسة الكلدان أنشئت سنة (١٨٦٣) شيدها روفائيل مازه جي.

٢ - مدرسة السريان أنشئت في اوائل القرن العشرين.

٣ - مدرسة اليعاقبة.

وعلى الرغم من الدور الذي نهضت به البعثات التبشيرية في تنوير الشباب سياسياً وقومياً في النصف من القرن التاسع عشر، إلا أنها تركت أثراً سلبياً في الداخل من خلال إرباطها السياسي بالدول التي تنتمي إليها وتدعمها مادياً وأدبياً. فالمؤسسات الكاثوليكية بالموصل كانت تتلقى إعانات من الحكومة الفرنسية بصورة مستمرة بلغت سنة (١٨٨٠) للموصل فقط (١١٥٠٠) فرنك فرنسي. (١٥٥)

لم يكتف مثقفو الموصل بما توفره لهم منشآتهم الثقافية فأزادوا الاستزادة في طلب العلم والمعرفة خارج حدود مدينتهم، فطافوا البلاد طلباً للعلم وبحثاً عن المعرفة وأنواع أخرى من الثقافة. وكانت حلب في مقدمة المدن التي زارها الموصليون ثم بقية بلاد الشام، فقد زارها الحاج محمد سعيد الجوادى والشيخ محمد أحمد العمري والشيخ عطاء الله الموصلي والشيخ عبدالرحيم الفائر الذي قام برحلة طويلة وصل فيها الى القاهرة ودرس على يد شيخ الازهر محمد السنبادي المالكي وحصل منه على اجازة عامة في جميع العلوم. (١٥٦) وخرج من الموصل القس الياس الموصلي وهو اواول رحالة شرقي يزور القارة الامريكية في العصر الحديث. (١٥٧)

وتعد هذه الرحلات من العوامل التي ساعدت على نمو المعرفة وتوسيع المدارك لتنمية العقول من خلال اطلاعهم على تجارب الشعوب وطبيعة الحياة للدول التي زاروها فأزادت معلوماتهم ومعرفتهم. فالتقنصل الفرنسي في الموصل دهش سنة (١٨٥٤) عندما وجد ان اهالي مدينة الموصل يمتلكون معلومات وافرة

العدد	المكان	المدرسة
٥	الموصل	دار المعلمين
٢٤١	الموصل	الاعدادي
١٠٧	الموصل	الرشدي للناث
٥٠	الموصل	المهذبة الابتدائية
٣٠	الموصل	جامع خزام الابتدائية
٧٥	الموصل	الرابعة الابتدائية
٢٠	الموصل	شيخ خالد الابتدائية
٥٢	الموصل	باب عراق الابتدائية
٢٥	الموصل	جامع جمشيد الابتدائية
٣١	الموصل	باب السراي الابتدائية
٨	الدرابيش	الدرابيش الابتدائية
٩	اورته خراب	اورته خراب الابتدائية
٥	قره قونلي	قره قونلي الابتدائية
١٤	كوكجهلي	كوكجهلي الابتدائية
٨	طوبزاه	طوبزاه الابتدائية
٧	عمر قابجي	عمر قابجي الابتدائية
١١	شريحان	شريحان الابتدائية
٨	ابو جربوعة	ابو جربوعة الابتدائية
١٧	يارججة	يارججة الابتدائية
١١	منارة شبك	منارة شبك الابتدائية
٢٠	نينوى	نينوى الابتدائية

أنشطة الرسائل وذلك لتوظيفه في تغطية نشاطهم التبشيري. وكانت إرسالية الاباء الدومنيكان من اول البعثات التي افتتحت مدارس منذ دخولها العراق سنة (١٧٥٠) (١٥٣). ونشرت الثقافة واللغة الفرنسية بالموصل وشهدت الموصل افتتاح العديد من مدارس الطوائف المسيحية والتي كان مدرستها من الرهبان والقسس وأهم هذه

عن نابليون أكثر مما يتوقعه. (١٥٨)

اما ابناء الاسر الموصلية فقد توجهوا الى استنبول وذلك من اجل اكمال تحصيلهم العسكري في الكلية العسكرية ، او المدني العلمي في المؤسسات والمعاهد العلمية العالية مثل كلية الطب (طب شاهانه) ومكتب الحقوق العثماني وملكية شاهانه ودار المعلمين وغيرها من المؤسسات ، ومن هؤلاء ثابت عبدالنور وباسين العربي وعاصم الجليبي. (١٥٩)

ان حركة الاصلاحات التي شهدتها الموصل منذ منتصف القرن التاسع عشر كان لها دورها في اقتراب الموصلين من الحياة المدنية الحديثة وابتعادهم عن الحياة التقليدية القديمة ، وظهر عدد من الادباء والمثقفين والسياسيين والذين اضطلعوا بادوار واضحة في حياة المدينة ويمكن ايجاز بعض الملاحظات التي ميزت الموصل عن مثيلاتها في الولايات العثمانية بعد حركة الاصلاح التي شهدتها وهي :

١- التعدد والتنوع في حركة التأليف بمختلف العلوم كالشعر والفقه والتفسير والتراجم

وكتابة التاريخ

٢- انتشار الافكار الاصلاحية المتوقدة في الفكر العربي الاسلامي من خلال ما قدمه ابناء المدينة من آراء وافكار وكانت تمثل مدارس عدة بحد ذاتها .

٣- كانت الموصل مرتعاً للافكار الوطنية والقومية إضافة لتبنيها للاتجاه الديني .

٤- كانت الموصل اشبه بالجامعة العلمية يؤمها العديد من طالبي العلم للدراسة وتلقي العلوم وتبادل الآراء وللتجارة .

٥- تميزت الموصل بقدرتها على حكم نفسها بنفسها قرابة مائة عام من ١٧٢٦ وحتى ١٨٣٤ .

٦- حافظ المجتمع الموصل على عروته فقد ذابت

فيه مختلف الفئات السكانية بالرغم مما تعرضت له من هجرات خارجية واقليلية .

٧- كانت بعض الآراء والأفكار التي طرحها المصلحون الموصلون اساساً لعدد من التوجهات الفكرية الحديثة التي شهدتها الوطن العربي وخاصة الاصلاحية منها .

الهوامش

(١) يقصد بالتحديث (Modernization) تلك التغيرات التي تستهدف احداث تغييرات في جوانب الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافة والايديولوجية . فالتحديث يعني : جملة التغيرات التي تستهدف الخروج من المجتمع التقليدي الهلي الضيق والانفتاح على العالم الخارجي الواسع . وهناك من يرى ان مصطلح التحديث مرادف لمصطلح التقريب (Westernization) . ويعد المؤرخون الاجتاعيون : عبارة عن مجموعة من التغيرات المعقدة جداً التي تؤثر في حالة مجتمع ما ، او مجتمعات معينة بطريقة متفازة في بناء اولويات وقم وأساليب وخصائص وممارسات ... لزيد من المعلومات انظر William R. Poik and Richard L. Chambers, Beginning . of Modernization in the middle East The Ninetenth century. The university of chigaco Press, (chicago, 1968), p.1-2 ; D.Lerner, The Passing of Traditional Society: Modernizing The Middle East, Glencoe, 1958, 1964, p.116.

(٢) غير طه ياسين : بدايات التحديث في العراق ١٨٦٩-١٩١٤ ، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى الجامعة المستنصرية ، بغداد ، ١٩٨٤ .

(٣) سياركوكب الجميل ، دراسات في السيطرة العثمانية على الموصل واقلع الجزيرة سنة ١٥١٦ وبدايات الصراع العثماني الايراني الصفوي في عهد السلطان سليم الأول ، بين النهريين ، العدد (٣) ، السنة الثامنة ١٩٨٠ ، ص ٣٤٧ .

(٤) احمد علي الصفوي : تاريخ الهاكم والنظم الادارية في الموصل ١٣٣٧-١٩١٩ ، مطبعة ام الربيعين ، (الموصل ، ١٩٤٩) ، ص ١٤-١٧ .

(٥) سليمان الصانع : تاريخ الموصل ، ج ١ ، المطبعة السلفية ، (القاهرة ، ١٩٢٣) ، ص ٢٧٠-٢٧٣ .

(٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦ .

(٧) سياركوكب الجميل ، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لولاية الموصل في العهد الجليلي ١٧٢٦-١٨٣٤ ، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات ، (زغفوان ، ١٩٨٨) ، ص ٢٥١ .

(٨) محمد أمين بن خيرة الخليل العمري : منهل الاولياء وشرب

- (٢٠) الدستور، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٨-٤٠٠.
- (٢١) ياسين خيرالله العمري: زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، تحقيق عباد عبدالسلام رؤوف، مطبعة الآداب، (التجف، ١٩٧٤)، ص ١١٥.
- (٢٢) الدستور، المصدر السابق، ص ٣٨٣، ٤٠١-٤٥٥.
- (٢٣) العمري، غرائب الأثر، ص ١٠٦.
- (٢٤) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢٣٣-٢٣٤.
- (٢٥) الصوفي، تاريخ الحاكم، ص ٥.
- (٢٦) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢٥٩-٢٦٠.
- (٢٧) العمري، مهمل الأولياء، ص ٢٤٠-٢٤٣.
- (٢٨) الصوفي، تاريخ الحاكم، ص ٥.
- (٢٩) الدستور، المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٦٨.
- (٣٠) جريدة الزوراء العدد (٨٥٣)، ١ رمضان ١٢٩٦، الصوفي، تاريخ الحاكم، ص ٢٣، ٢٥-٢٦ ورد في جريدة الزوراء خير تعيين عثمان أفندي رئيس لهكمة بداءة الموصل وبعائه المدعي العام داؤد أفندي وعين نيازى أفندي مفتش للمالية بالموصل.
- (٣١) الصوفي، تاريخ الحاكم، ص ٣٦-٤٠.
- (٣٢) المصدر نفسه ص ٤٢.
- (٣٣) الدستور، المصدر السابق، ج ١، ص ١٧٣.
- (٣٤) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢٥٩-٢٦٠.
- (٣٥) بغداد ولايتي سالتامة سي، ١٣١٨ (١٩٠٠)، ص ٢٥٣، بغداد ولايتي سالتامة سي، ١٣٢٥ (١٩٠٧)، ص ١٠٨.
- (٣٦) الارجم، المصدر السابق، ص ٥٧-٥٨.
- (٣٧) فلاديمير يورسوفيتش لوتسكي: تاريخ الأقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، دار التقدم، (موسكو، ١٩٧٢)، ص ١٦٢.
- (٣٨) ياسين، المصدر السابق، ص ٥٧.
- (٣٩) الصانع، المصدر السابق، ص ٣١٣.
- (٤٠) المزاري، المصدر السابق، ج ٧، ص ٦٩، الصانع، المصدر السابق، ص ٣١٤.
- (٤١) لوتسكي، المصدر السابق، ص ١٥٦-١٦٠.
- (٤٢) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢٥٠.
- (٤٣) عبدالرزاق الملاي: معجم العراق، ج ٢، دار الكشف، (بغداد، ١٩٥٦)، ص ١٧٨.
- (٤٤) الدستور، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٥٩-٦٦٠.
- (٤٥) لونكريك، المصدر السابق، ص ٣٧٦-٣٧٧.
- (٤٦) لوتسكي، المصدر السابق، ص ١٦٤.
- (٤٧) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٧٨.
- (٤٨) العمري، غرائب الأثر، ص ٩٦.
- (٤٩) بيبردي فوسيل: الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤-١٩١٤، ترجمة أكرم فاضل، وزارة الثقافة والاعلام، (بغداد، ١٩٦٨)، ص ٩٩، الصانع، المصدر السابق، ص ٣١٥.
- (٥٠) أ.م. منتاشفلي: العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي، مطبعة جامعة بغداد، (بغداد،

- الاصفياء من سادات الموصل الحدياء، ج ١، تحقيق سعيد الديوهجي، (الموصل، ١٩٦٧)، ص ١٤١.
- (٩) عباس المزاري: تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٧، شركة التجارة والطباعة المحدودة، (بغداد، ١٩٥٥)، ص ٢٦، الجميل، الحياة الاقتصادية، ص ٢٥٢.
- (١٠) سليمان قاتق: تاريخ المالك (الكله مند) في بغداد، ترجمة، محمد نجيب ارمنزاي، مطبعة المعارف، (بغداد، ١٩٦١)، ص ٨١.
- (١١) محمد إينجه بيرقدار، تركي الأصل ولد في قسبة بارطون في قسطنطين، وخدم بالسلك العسكري في مصر وبلاد الشام، عينه والي بغداد سنة ١٨٣٣ في كركوك، وصدسته (١٨٣٥) فرمان سلطاني بتعيينه والياً على الموصل، انظر الصانع، المصدر السابق، ص ٣١٠-٣١٢.
- (١٢) عبدالعزيز سليمان نوار: تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهاية حكم محمدت باشا، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٦٨)، ص ٦٠٩.
- (١٣) أنظر، علاء موسى كاظم نورس: حكم المالك في العراق ١٧٥٠-١٨٣١، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٥)، ص ١٥-١٦، عباس المزاري: تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٤، شركة التجارة والطباعة المحدودة، (بغداد، ١٩٥٤)، ص ٤٦، عباد عبدالسلام رؤوف: الموصل في العهد العثماني فترة الحكم المحلي ١٧٢٦-١٨٣٤، مطبعة الآداب، (التجف، ١٩٧٥)، ص ٢١٤.
- (١٤) ستيفن هيمسلي لونكريك: اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ط ٤، ترجمة جعفر الخياط، مطبعة المعارف، (بغداد، ١٩٦٨)، ص ٣٦١.
- (١٥) المزاري، المصدر السابق، ج ٧، ص ٣٠-٣١، ٢٨٤.
- (١٦) عباس المزاري، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٣، شركة التجارة والطباعة المحدودة، (بغداد، ١٩٥٥)، ص ١٦٨، نوار، المصدر السابق، ص ٣٥٧.
- (١٧) اما فيما يخص لواء الموصل فقم خمسة اقضية هي سنجار والهادية وزاخو ودهوك وعقرة وعشر نواح هي الشيوخان وعشائر السبعة، ودواوية، وبرباري بالاً، وبرباري زير، وريكان، ونيروه، ومزوري، والزيبار، وتلعفر، وتسعانة وثلاث وستون قرية، لمزيد من المعلومات انظر، الدستور، مجموعة التنظيمات العثمانية، ترجمة توفل نعمة الله نوفل، ج ١، المطبعة الادبية، (بيروت، ١٣٠١)، ص ٢٩٧، فيصل محمد الارجم، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ١٩٠٨-١٩١٤: مطبعة الجمهور، (الموصل، ١٩٧٥)، ص ٤٥-٤٨، المزاري، المصدر السابق، ج ٧، ص ١٦٧-١٧٠.
- (١٨) أحمد علي الصوفي: المالك في العراق، مطبعة الاتحاد الجديدة، (الموصل، ١٩٥٢)، ص ٣٦.
- (١٩) ياسين خيرالله العمري: غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، نشره د. محمد صديق الجليلي، مطبعة ام الربيعين، (الموصل، ١٩٤٠)، ص ٨٣-٨٤.

نقلًا عن بطرس كيلي، تجارة ولايات بلاد الشام. ولايات
العراق والغرب العربيين في نهاية العهد العثماني (١٨٢٠-
١٩١٠) منشورات مركز الدراسات والبحوث في الولايات
العربية في العهد العثماني، (زغران)، ١٩٨٨، ص ٤٠٧.

- (٧١) حسن، المصدر السابق، ص ٢١٦، ٢٥٥، ٤٢٩.
(٧٢) احمد، المصدر السابق، ص ٢٣٩-٢٣٨.
(٧٣) سر ولس بدج: رحلات الى العراق، ج ١، ترجمة فؤاد
جميل، دار الزمان، (بغداد، ١٩٦٦)، ص ٢٩١،
ويكرام، المصدر السابق، ص ٧١، فوسيل، المصدر
السابق، ص ٤٥، كوتلوف، المصدر السابق، ص ١٨-
١٩.

- (٧٤) احمد علي الصوفي: تاريخ بلدية الموصل، مطبعة الجمهور،
(الموصل، ١٩٧٠)، ص ٢٢.
(٧٥) جيسس بكنفهام: رحلاتي الى العراق ١٨١٦، ج ١، ترجمة
سليم طه الكركي، مطبعة أسعد، (بغداد، ١٩٦٨)،
ص ٦٠-٦٣، ويكرام، المصدر السابق، ص ٧٢.
(٧٦) ابراهيم خليل احمد: الحياة الاجتماعية في ولاية الموصل
١٩١٥-١٩١٨، مجلة المؤرخ العربي، العدد (٣٩)، ١٩٨٩،
ص ٣٥.

- (٧٧) رؤوف، المصدر السابق، ص ٣٥٠-٣٥١، احمد،
الحياة الاجتماعية، ص ٤٣-٤٥.
(٧٨) الصائغ، المصدر السابق، ص ٣١٣.
(٧٩) ويكرام، المصدر السابق، ص ٧٤.
(٨٠) Longrigg: S.H.IRAQ 1900-1950. A political-
social and Economic history, Third impression
(Beirut, 1948) p.34.

(٨١) علي الزودي: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث
١٨٦٩-١٩١٤، ج ٣، مطبعة الشعب، (بغداد،
١٩٧٢)، ص ٢٣٥.

- (٨٢) المصدر نفسه، ص ٢٤١.
(٨٣) ديولافرا، رحلة الى العراق سنة ١٨٨١، ترجمة علي البصري،
مطبعة أسعد (بغداد، ١٩٥٨)، ص ٨٣.
(٨٤) الصوفي، تاريخ بلدية الموصل، ص ٢٢-٣٠، الصائغ،
المصدر السابق، ص ٣٣٣.
(٨٥) جريدة الزوراء، العدد (٥٢١)، ٢ صفر ١٢٩٢.
(٨٦) الصوفي، تاريخ بلدية الموصل، ص ٣٠-٣٣.
(٨٧) وثائق الحكومة البريطانية، وزارة الهند I.O.R رقم الملف 620/
10، رقم الوثيقة 3865/4 72

- (٨٨) I.O.R. رقم الملف 620/2 رقم الوثيقة 7518، ص 8
(٨٩) رحلة أبي طالب خان الى العراق سنة ١٢١٣ هـ، ١٧٩٩،
ترجمة د. مصطفى جواد، دار القلم للنشر، (بغداد، بلا)،
ص ٣٥٨-٣٥٩.
(٩٠) العمري، مثل الايلاء، ج ١، ص ٢٦٧-٢٦٨، رؤوف،
المصدر السابق، ص ٤٠٠.

(١٩٧٨)، ص ٨٠.

- (٥١) ل. ن. كوتلوف: ثروة العشرين الوطنية التحررية في العراق،
ط ٢، ترجمة عبدالواحد كريم، دار الفارابي، (بيروت،
١٩٧٥)، ص ٧٦.

- (٥٢) المصدر نفسه ص ٤٦-٤٧.
(٥٣) عاد الجواهري: تاريخ مشكلة الأراضي في العراق ١٩١٤-
١٩٣٠، دار الحرية للطباعة، (بغداد، ١٩٧٨)، ص ٤٣.
(٥٤) Roger owen, The middle East in the world Econ-
omy 1800-1914, then & Co., (London, 1981)
p.274.

- (٥٥) صديق الدملوجي، إمارة هديتان، (الموصل، ١٩٥٢)،
ص ١٢٨.
(٥٦) احمد الصوفي: خطط الموصل، ج ٢، مطبعة الاتحاد
البلدية، (الموصل، ١٩٥٣)، ص ٦٤، ٧٠.
(٥٧) موصل ولائي/ سالتانة ومجستير ١٣٣٠، ص ٨٩.
(٥٨) اهم القرى المحيطة بالموصل والتي تنتج المنسوجات على شكل
اطوال في القرن التاسع عشر هي تليكيث (١٥٠ طول)، تل
أسفت (١٠٠ طول)، بعشيقه (٤٠ طول)، برطلة (٥٠
طول)، كومليس (٣٠ طول)، قره قوش (١٢٠ طول، لمزيد
من المعلومات انظر. رؤوف المصدر السابق، ص ٢٨٦-
٢٨٧.

- (٥٩) فوسيل، المصدر السابق، ص ٤٥.
(٦٠) يعقوب سركيس: مباحث عراقية، ج ٢، شركة التجارة
والطباعة المحدودة، (بغداد، ١٩٥٥)، ص ٨.
(٦١) الصائغ، المصدر السابق، ص ٣٣٨، العمري، مثل
الايلاء، ج ١، ص ٦٢.
(٦٢) ديلبر أي ويكرام: مهد البشرية الحياة في شرقي
كردستان، ترجمة جرجيس فتح الله، منشورات شركة دار
العروبة، (بغداد، ١٩٧١)، ص ٧٢.
(٦٣) جوني يوسف حنا: تاريخ الصناعة الوطنية وعلاقتها بالتطور
السياسي في العراق ١٩٢٩-١٩٥٨، رسالة ماجستير غير
منشورة مقدمة الى كلية الآداب جامعة الموصل ١٩٨٩،
ص ٢٨.

- (٦٤) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢٨٨.
(٦٥) موصل ولائي سالتانة ومجستير ١٣٣٠، ص ٨٩.
(٦٦) محمد سلمان حسن: التطور الاقتصادي في العراق التجارية
الخارجية والنفوذ الاقتصادي ١٨٦٤-١٩٥٨، المكتبة
العصرية، (بيروت، ١٩٦٥)، ص ٢٨٣.
(٦٧) حنا، المصدر السابق، ص ٢٨.
(٦٨) حسن، المصدر السابق، ص ٢٨٣.
(٦٩) ابراهيم خليل احمد، اوضاع ولاية الموصل الاقتصادية خلال
النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقد الأول من القرن
العشرين، مجلة آداب الزائفين العدد ٧، ١٥ تشرين الأول
١٩٧٦، ص ٢٣٣.
(٧٠) الأرشيف الوطني الفرنسي- محفوظات وزارة التجارة في باريس
ANF

- (٩١) ابراهيم خليل احمد، ومحمد البعلبي الطيب، جريدة الحداثة
١٩ حزيران ١٩٨٤
- (٩٢) احمد، النشاطات الطبية، ص ص ٢٥٤ - ٢٥٥.
- (٩٣) تعود تسمية (ليجون Leseune) الى الجنرال الفرنسي ليجون
الذي مر بالموصل سنة ١٨٩٧ قادماً من ايران
احمد، النشاطات الطبية، ص ص ٢٥٨ - ٢٦٠.
- (٩٤) محمد رؤوف الشبيخي: مراحل الحياة في الفترة المظلمة، ج ٢،
مطبعة البصرة، (البصرة، ١٩٧٢)، ص ٢٦٥، يوسف
ذنون، واضاء من رواد الآثار والتراث في الموصل ١٨٩٣ -
١٩٨١، مجلة الجامعة، العدد السادس، آذار ١٩٨٢،
ص ص ١٠٦ - ١١١.
- (٩٥) ذنون، المصدر السابق، ص ١١٠.
- (٩٦) عمر محمد الطالب، والمسرح التاريخي في الموصل، القسم
الأول، الجامعة، العدد الثالث عشر، السنة الثالثة نيسان
١٩٧٣، ٤٢.
- (٩٧) احمد فياض المغربي، والحياة المسرحية في العراق ١٨٨٠ -
١٩٢١، سينا ومسرح، العدد الأول، حزيران ١٩٨٢،
ص ص ١٤٨، ١٥١.
- (٩٨) عمر محمد الطالب، والمسرح العربية في العراق، مجلة
المسرح، العدد (٣)، ١٩٦٧، القاهرة، ص ٦٩.
- (٩٩) عمر محمد الطالب، والمسرح التاريخي في الموصل والقسم
الثاني، الجامعة، العدد الخامس عشر، السنة الثالثة، أيار
١٩٧٣، ص ٣٧٠.
- (١٠٠) سليمان الصالح: تاريخ الموصل، ج ٢، المطبعة
الكاثوليكية، (بيروت، ١٩٢٨)، ص ٢٧٣، عمر محمد
الطالب، والترجمة وبيانات المسرحية في العراق، آفاق
عربية، العدد (١)، أيلول ١٩٨٢، ص ص ٢٨ - ٣٤.
- (١٠١) المغربي، المصدر السابق، ص ١٤٨.
- (١٠٢) ياسين، المصدر السابق، ص ١٥٤.
- (١٠٣) بكفهم، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٦.
- (١٠٤) ديولافوا، المصدر السابق، ص ٣٠.
- (١٠٥) أنستاس ماري الكرمل: خلاصة تاريخ العراق منذ نشأته
الى يومنا هذا، مطبعة الحكومة، (البصرة، ١٩١٩)،
ص ١٦٨.
- (١٠٦) احمد، الحياة الاجتماعية، ص ٤٢.
- (١٠٧) رؤوف، المصدر السابق، ص ١٦٧.
- (١٠٨) المصدر نفسه - ص ص ٣٦٧ - ٣٧٣.
- (١٠٩) محمد جميل بيم: الحلقة المفقودة، مطبعة مصطفى الباني
الحلي، (مصر، ١٩٥٠)، ص ٢٢٢.
- (١١٠) جعفر خياط: صور في تاريخ العراق في العصور المظلمة،
مطبعة دار الكتب، (بيروت، ١٩٧١)، ص ص ٣٤٣ -
٣٤٤.
- (١١١) الزواوي، المصدر السابق، ج ٧، ص ص ٢٦٧ - ٢٦٨.
- (١١٢) انظر، ديوان الموشحات الموصلية، جمع وتحقيق محمد نايف

- الدلسي، مؤسسة دار الكتب جامعة الموصل، (الموصل،
١٩٧٥)، ص ص ١٠٧، ١١٤، ١١٩، ١٢٧، ١٤٨.
- (١١٣) سليمان فيضي: في غمرة الضال، شركة التجارة والطباعة
المحدودة، (بغداد، ١٩٥٢)، ص ١٢١، غسان العطية
والتنظيم الخريفي في العراق قبل الحرب العالمية الاولى، مجلة
دراسات عربية، السنة الثامنة، العدد ١٢، تشرين الأول
١٩٧٢، ص ص ٤٤ - ٤٥.
- (١١٤) فائق بطي: اعلام في صحافة العراق، مطبعة دار الساعة،
(بغداد، ١٩٧١)، ص ص ١٥ - ١٦.
- (١١٥) المصدر نفسه، ص ص ٣٧ - ٣٨.
- (١١٦) فيضي، المصدر السابق، ص ص ١٢٣ - ١٢٤.
- (١١٧) عبدالنعم الغلامي: اسرار الكفاح الوطني في الموصل
١٩٠٨ - ١٩٢٥، ج ١، مطبعة شفيق، (بغداد،
١٩٥٨)، ص ٣٩.
- (١١٨) محمد هليل الجابري: الحركة القومية العربية في العراق بين
١٩٠٨ - ١٩١٤، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية
الآداب جامعة بغداد ١٩٨٠، ص ٧٠.
- (١١٩) الغلامي، المصدر السابق، ص ص ٢١ - ٢٣.
- (١٢٠) هليل، المصدر السابق، ص ٥٥٥.
- (١٢١) الغلامي، ص ٢٥.
- (١٢٢) المصدر نفسه، ص ١٤.
- (١٢٣) جريدة النجاح، العدد (٢٢)، ١٦ رجب ١٣٢٩، ٣٠
حزيران ١٩١١.
- (١٢٤) انظر: عبدالفتاح علي يحيى: الحياة الخيرية في الموصل
١٩٢٦ - ١٩٥٨، رسالة ماجستير غير منشورة، قدمت الى
كلية الآداب جامعة الموصل ١٩٩٠، ص ١٧.
- (١٢٥) ابراهيم خليل احمد: نشأة الصحافة العربية في الموصل، دار
الكتب للطباعة والنشر، (الموصل، ١٩٨٢)، ص ٥.
- (١٢٦) بهنام فضيل عفاص: تاريخ الطباعة العراقية منذ نشوئها وحتى
الحرب العالمية العظمى الاولى، القسم الأول، المورد،
المجلد العاشر، العدد (٣ - ٤)، ١٩٨١، ص ص ٧٨ -
٨١.
- (١٢٧) منير بكر التكريتي: الصحافة العراقية واتجاهاتها السياسية
والاجتماعية والثقافية ١٨٤٩ - ١٩٢١، مطبعة الارشاد،
(بغداد، ١٩٦٩)، ص ٤٧.
- (١٢٨) الصانع، المصدر السابق، ص ٣٢٣.
- (١٢٩) الزودي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٤٦.
- (١٣٠) بهنام فضيل عفاص: تاريخ الطباعة العراقية منذ نشوئها وحتى
الحرب العالمية العظمى الاولى، القسم الثاني، المورد، المجلد
الثاني عشر، العدد (٢)، ١٩٨٣، ص ٣٩.
- (١٣١) احمد، نشأة الصحافة، ص ٩.
- (١٣٢) مجلة لغة العرب، ج ٩، العدد (٥)، بغداد ١٩٢٧،
ص ٥٣٢.
- (١٣٣) وائل النحاس: تاريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦ - ١٩٥٨،
رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب جامعة
الموصل ١٩٨١، ص ١٢.

- (١٣٤) احمد، نشأة الصحافة، ص ٢٠ - ٢١.
- (١٣٥) فيضي، المصدر السابق، ص ٨٢.
- (١٣٦) عباس ياسر الزبيدي، تاريخ الصحافة العراقية منذ نشأتها حتى سنة ١٩٣٦، رسالة دكتوراه غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب جامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٣.
- (١٣٧) انظر: النحاس، المصدر السابق.
- (١٣٨) عبدالرزاق الحسيني: تاريخ الصحافة العراقية، ج ١، مطبعة القرئى، (النجف، ١٩٣٥)، ص ١٧.
- (١٣٩) الزبيدي، المصدر السابق، ص ٤٤.
- (١٤٠) خير الدين العمري، مقدمات ونتائج مخطوط في حوزة حفيد خير الدين حسن العمري، الورقة ٣٩٣.
- (١٤١) جريدة النجاش، العدد (٦)، ٢٩ ذي الحجة ١٣٧٨.
- (١٤٢) جريدة النجاش، العدد (٤١)، ١٥ رمضان ١٣٢٩.
- (١٤٣) فائق بطي: موجز لتاريخ الصحافة، ج ١، نقابة الصحفيين، (بغداد، ١٩٧٢)، ص ٦٦، بطي، اعلام في صحافة العراق، ص ٢٤٣، ولزبد من المعلومات عن صحافة الموصل انظر ابراهيم خليل احمد: ولاية الموصل دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨ - ١٩٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة الى كلية الآداب جامعة بغداد ١٩٧٥.
- (١٤٤) سعيد الديوبجي، مدارس الموصل في العهد العثماني، (بغداد، ١٩٦٤)، ص ٧.
- (١٤٥) رؤوف، المصدر السابق، ص ٤١٥ - ٤١٦.
- (١٤٦) يوسف عز الدين: الشعر العراقي أهدافه خصائصه في القرن التاسع عشر، الدار القومية للطباعة والنشر، (القاهرة، ١٩٦٥)، ص ٢٢ - ٢٣، الصائغ، المصدر السابق، ص ٤١٩ - ٤٢٠.
- (١٤٧) الرودي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٥٩.
- (١٤٨) عبدالرزاق الهلالي: تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٩٣٨ - ١٩١٧، شركة الطباعة والنشر، (بغداد، ١٩٥٩)، ص ١٧٧ - ١٧٨، ١٨٠ - ١٨١.
- (١٤٩) المصدر نفسه، ص ١٨٢.
- (١٥٠) سالتامة رحيمسدر، موصل ولايتي، مطبعة الموصل ١٣٢٥ - ١٩٠٧، ص ١٣٠ - ٢٢٧.
- (١٥١) الصائغ، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٥.
- (١٥٢) الهلالي، تاريخ التعليم، ص ١٨١. وواجه التعليم النسوي مشكلة تمثلت بقلة الكادر التدريسي من الملمات وصعوبة استخدام ملمات من استنبول ولعدم وجود ملمات عراقيات آنذاك فقد استعين بزوجات الموظفين الاثراك في العراق ومن تنوف فيهن بعض الممجلات المهنية والفنية وأستعين كذلك بزوجات بعض الأجانب في تدريس اللغات وتعليمهن الخياطة والامور البيتية، لمزيد من المعلومات انظر، عبدالرهاب القيسي وحركة الاصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في العراق ١٨٣٩ - ١٨٧٧، بحث ممثل من مجلة كلية الآداب العدد (٣)، كانون الثاني ١٩٦١، ص ٢٤.
- (١٥٣) الصائغ، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٣، ديولافوا، المصدر السابق، ص ٧٦.
- (١٥٤) جريدة الزوراء، العدد (٣٣٦)، ٧ صفر ١٢٩٠، الهلالي، تاريخ التعليم، ص ١٩٣ - ١٩٤.
- (١٥٥) فوسيل، المصدر السابق، ص ١٤٦.
- (١٥٦) رؤوف، المصدر السابق، ص ٤٢٥ - ٤٢٦.
- (١٥٧) يعقوب سركيس، مباحث عراقية، ج ١، شركة التجارة والطباعة المحدودة، (بغداد، ١٩٤٨)، ص ٣٣١ - ٣٣٤.
- (١٥٨) فوسيل، المصدر السابق، ص ١٣٥.
- (١٥٩) الهلالي، المصدر السابق، ص ٢١٩.

المحاكم والقضاء

جاسم محمد حسن العلول

تجهيد:

الموصل.^(١) وكان القاضي على رأس الجهاز القضائي ويأتي في المرتبة الثانية بعد الوالي^(٢). وبصورة عامة انقسم قضاء العراق الى صنفين رئيسيين اولهما: القضاء الرسميون وهم القضاة الذين كانت الحكومة العثمانية تعينهم وهم على وجه التحديد من اتباع المذهب الحنفي^(٣)، وثانيها قضاء المذاهب الاخرى،

اقتصرت المحاكم الرسمية في الموصل، منذ وقوعها تحت السيطرة العثمانية في مطلع القرن السادس عشر، على المحاكم الشرعية واستمر الحال على ذلك حتى أواسط القرن التاسع عشر، عندما تأسست محاكم جديدة فيها عرفت بـ (المحاكم النظامية). وعليه فقد كانت محكمة القاضي الحنفي طيلة تلك الفترة بمثابة أعلى سلطة قضائية رسمية في

وكانت السلطات المحلية قد مُنحت حتى اختيار واحد الفقهاء البارزين ليكون قاضياً بين اتباع مذهبه^(٤).

ومن جانب آخر، انقسم القضاة في الدولة العثمانية الى عدد من المراتب. أما بصدد قاضي الموصل فكان يعد - كزميله قاضي البصرة وشهزور - من قضاة الدرجة الثانية، ويلقب بـ (الملا) وكان يحمل الألقاب نفسها التي يحملها كبار القضاة ممن هم من مرتبة المولوية^(٥).

كان شيخ الاسلام هو المسؤول المباشر عن ترشيح قضاة المولوية وبضمنهم قاضي الموصل. واشترط فيمن يروم الحصول على منصب قاضي الموصل - كما هو شأن بقية قضاة الألوية العراقية الاخرى - ان يكون من الذين وصلوا في تعليمهم الى مراحل الخارج والداخل^(٦).

ووجد الى جانب قاضي لواء الموصل قضاة الأفضية التابعة للواء. وكان ترشيح هؤلاء يتم من قبل قاضي عسكر الأناضول^(٧). ويحتفظ الأخير بسجل خاص بقضاة الأفضية التابعة لدائرته يُسمى (أفضية دفتری). وعندما يراد تعيين قاضي في احد الأفضية فإن اسمه يدرج في هذا السجل ثم يقوم قاضي العسكر بعرضه على شيخ الاسلام ثم على الصدر الأعظم وأخيراً السلطان لاستحصال موافقتهم على التعيين^(٨).

وكان جميع القضاة - بصفتهن موظفين في الدولة - يتسلمون عند التعيين براءة تحمل توقيع (طغراء) السلطان تحدد فيها كافة صلاحياتهم وواجباتهم ويتوجب على القاضي ان يدفع مبلغاً معيناً من المال بإسم (رسم البراءة) عند تزويده ببراءة التعيين. وفي حين كان قضاة الأفضية يدفعون قسماً من ايرادهم الشهري رسم براءة، فإن قاضي الموصل، أسوة بأقرانه من قضاة السناجق، كان عليه ان يدفع إيراد شهر كامل لقاء حصوله على البراءة^(٩).

وفي الامكان ان نستدل على عظم مكانة القضاة وعلو منزلتهم من خلال عبارات الاطراء والتبجيل التي كانت تغدق على القضاة فقد كان نص الديباجة التي استخدمتها الفرائين والمراسلات الرسمية في مخاطبة قضاة الأفضية - وهم من صغار القضاة - كالآتي «قدوة قضاة المسلمين، زبدة الموحدين، معدن الفضل واليقين، المختص بمزيد عناية الملك المعين مولانا.... اسم المنطقة.... قاضيسي زبدت فضائله»^(١٠).

وقد جرت عادة السلطات العثمانية على تحديد مدة معينة لبقاء القاضي في منصبه. فكانت مدة بقاء قاضي لواء الموصل هي سنة واحدة، في حين حددت فترة بقاء قضاة الأفضية التابعة للواء الموصل في مناصبهم بعشرين شهراً. وكان على قاضي القضاء الذي أنهى مدة خدمته ان يعود الى العاصمة حيث يواظب فيها على مراجعة ديوان القاضي عسكر كل يوم اربعاء على امل تعيينه مرة اخرى^(١١). وفي حين كان يسمح بنقل قاضي لواء الموصل بوصفه من قضاة المولوية من المناطق الآسيوية الى منطقة الرومللي (في جنوب شرق اوربا) فإن قضاة الأفضية بوصفهم من درجة ادنى كانوا محرومين من هذا الحق ولم يكن في الامكان نقلهم الى خارج منطقتهم القضائية إلا في حالات الضرورة القصوى^(١٢).

وتتمتع القضاة - بالنظر الى المكانة الرفيعة التي كانوا يحتلونها سواء من وجهة نظر الدولة أو المجتمع بنوع من الحصانة وبعض الامتيازات. فقد كان يمنع ازالة عقوبيتي الاعدام ومصادرة الأموال بحق القضاة وكان يكتفى بمعاقبتهم في حالة إساءة استخدام سلطاتهم بعزلهم أو نفيهم^(١٣). كذلك اعني القضاة من دفع الضرائب^(١٤).

وتجدر الإشارة الى ان كثيراً من القضاة اهلوا مواصلة تحصيلهم العلمي، بالنظر الى انهم كانوا يضمنون تعيينهم عندما يحين دورهم في التعيين

بصورة تلقائية. وقد استأثرت هذه الظاهرة اهتمام السلطات العثمانية فعمدت الى رفع المستوى العلمي للقضاة من خلال اجراء امتحانات عامة لهم عند كل تعيين جديد كما حدث مثلاً ابان حكم السلطان مراد الرابع (١٦٢٣ - ١٦٤٠) والسلطان محمد الرابع (١٦٤٨ - ١٦٨٧) والسلطان احمد الثالث (١٧٠٣ - ١٧٣٠) (١٥).

لم يكن منصب القضاء في الدولة العثمانية حصراً بقومية بعينها إذ تولاه العربي والكردي والتركي والسلافي (١٦). وكان من الامور الاعتيادية ان يعين قضاة اترك في مناطق عربية، ويعين قضاة من العرب في مناطق غير عربية (١٧). ومنذ بداية القرن السابع عشر شرعت الدولة العثمانية وبصورة مؤقتة بتعيين القضاة من بين اهالي المنطقة، وفي القرن التالي اصبح تعيين القضاة من بين ابناء المنطقة بصورة دائمة (١٨). وتأسيساً على ذلك كان كل قضاة الموصل في اثناء فترة حكم الاسرة الجليلية (١٧٢٦ - ١٨٣٤) من بين ابناء الولاية ذاتها (١٩). بل انها انحصرت في بعض الأسر الموصلية مثل آل العمري وآل الفخري وآل الغلامي (٢٠). وفي أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين اسند منصب القاضي الى ابناء اسر جديدة كما هو الحال مثلاً بالنسبة للحاج قاسم محمد الشعار (ت ١٩٥٥) (٢١).

ولقد شغل كثير من ابناء الموصل مناصب قضائية رفيعة خارج الموصل فعلى سبيل المثال لا الحصر تولى علي افندي بن مراد العمري (ت ١٧٣٤ م) منصب قاضي بغداد (٢٢) كما تولى غيره من ابناء الموصل منصب القضاء في البصرة مثل عبدالله بن محمد الصوفي (٢٣) وفتح الله بن موسى العمري (٢٤)، كذلك شغل محمد بن ملا احمد بن الكولة منصب قاضي ديار بكر (٢٥). وتقلد عبدالوهاب بن الحاج حسن الجواد (ت ١٢٤٧ هـ = ١٨٣١ م) قضاء الرقة (٢٦).

واجبات القاضي وصلاحياته :

تعددت واجبات القاضي واتسعت صلاحياته الى حد بعيد، فكان من بين واجباته حسم جميع الدعاوى الحقوقية والجزائية ودعاوى الأحوال الشخصية (٢٧). كما أشرف على اموال التامى والقاصرين (٢٨) بل نهض بكل أعباء كاتب العدل وياعداد الوصايا وما الى ذلك (٢٩). وأشرف على شؤون المساجد (٣٠) والأوقاف اذ احتفظ القاضي بسجل للمؤسسات الوقفية. وكان يصادق في نهاية كل عام على حسابات تلك المؤسسات وبدون في السجل جميع التغيرات التي قد تطرأ على المؤسسات الوقفية (٣١). وكثيراً ما تولى القاضي الوقت بنفسه او شارك المتولي عليه مهمته (٣٢). وتمتع القاضي احياناً بصلاحيات تعيين رجال الافتاء غير الخفية وتدخل احياناً في تعيين وعزل رجال الافتاء الأحناف ولعب دوراً في تعيين أساتذة المدارس الدينية وموظفي الأوقاف (٣٣). وفي بعض الحالات جمع القضاء بين منصبهم ومنصب المفتي (٣٤). وخلال العهد الجليلي كان اغلب قضاة الموصل ممن سبق لهم ان تقلدوا منصب المفتي (٣٥). كذلك امتدت صلاحيات القاضي الى الشؤون الادارية، فبالنظر الى تمتعه بحق ارسال مذكرات احتجاج وعرائض الى استانبول مباشرة (٣٦)، فقد تمكن من انصاف الناس من جور بعض الولاة، اذ كان سبباً في عزهم او نقلهم (٣٧). وكان القاضي يسارع عقب عودته الى العاصمة بعد انقضاء فترة مأموريته الى اطلاع المسؤولين في العاصمة على شؤون المنطقة التي عاد منها. ولم يكن بإمكان اي موظف اداري مباشرة مهامه الا اذا اثبت لدى القاضي صحة تعيينه وسجل براءة تعيينه في سجل القاضي وذيلها بتوقيعه (٣٨). كما كان القاضي يقوم بدور الوسيط في النزاعات التي تنشأ بين بعض الفئات من السكان او تلك التي تتدخل بين الباشوات وفي هذه الحالة كان في وسع القاضي ان

يأمر بعزل الباشا^(٣٩). كذلك كان القاضي ينوب عن الوالي او المتصرف او القائمقام في أثناء تغيبهم عن مراكزهم^(٤٠). وفي اوقات الحروب كان القاضي يقوم بالاشتراك مع الوالي او حاكم اللواء وبناء على اوامر من الدولة بجمع المتطوعين^(٤١).

وعلى صعيد آخر تمتع القاضي بصلاحيات كبيرة في الشؤون المالية ، فقد منح حق الاشراف على الضرائب في منطقته حيث كانت الضرائب العرفية (غير الشرعية) تسجل في سجل المحكمة الشرعية في اللواء او القضاء^(٤٢). وكان على القاضي ان يراقب الضرائب في منطقته وضمان ان تكون مطابقة لما هو مسجل منها في سجل المحكمة الشرعية. كما يقوم القاضي بالتوقيع على سجلات جباة ضرائب الأغنام وسجلات جباة الخراج. كما يشرف القاضي على تطبيق الأوامر والتعليمات الخاصة بصدد التيارات^(٤٣) في منطقته^(٤٤).

وفي شباط عام ١٨٣٤ أصدر السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) فرماناً، ألغى بموجبه الاسلوب القديم المتبع في جباية الجزية ونص على وجوب جبايتها مستقبلاً على يد لجنة تتألف من القاضي وعدد من المسؤولين الاداريين وبعض اعيان اهل الذمة^(٤٥).

كذلك تولى القاضي مهمة تدقيق الحسابات الكمركية^(٤٦)، وأخيراً تولى القاضي مهمة تحديد أسعار الحبوب وبقية المواد الغذائية الأخرى^(٤٧).

تلك هي سلطات القاضي من الناحية النظرية. اما من الناحية العملية فإن وجود سلطات اخرى اعلى من سلطة القاضي سواء في الالة او في السنجق مثل سلطة الوالي او حاكم السنجق ، حتى ان البعض من هؤلاء تجاوز حدود سلطاته اذ كان يحيد في بعض الأحيان من صلاحيات القاضي. فقد يعمد الوالي مثلاً الى زيادة نسبة الضرائب ، او فرض ضرائب جديدة غير واردة في سجلات القضاء. او ان ملتزمي الضرائب

لا يتقيدون بما يصدره القاضي من تعليمات بخصوص الضرائب ولا سيما في المناطق البعيدة عن رقابة القاضي كالقرى النائية ، او ان مهمة الاشراف على الأوقاف تناط في بعض الأحيان الى اناس آخرين غير القاضي^(٤٨).

ولقد خاض كثير من قضاة الموصل في الحياة السياسية للمدينة ونهض بعضهم بدور مشرف في الذود عن مدينتهم بوجه الطامعين فيها. فقد اسهم قاضي الموصل في الدفاع عن المدينة ابان محاولة نادرشاه الاولى لاحتلال الموصل في عام ١٧٣٢ حينما اطلق قذيفة مدفع اصاب بها قائد الجيوش الغازية^(٤٩). وقام القاضي ايضاً بدور مهم في اثناء محاولة نادرشاه الثانية لاحتلال الموصل في عام ١٧٤٣ ، إذ اختير عضواً في وفد ضم ثلاثة أشخاص كلفوا بإجراء مفاوضات مع نادرشاه عقب فشله في احتلال الموصل ، وقد تكلفت تلك المفاوضات بالنجاح وعقد صلح بين الطرفين^(٥٠) وعمد عدد من الولاة - كما كان الحال ابان العهد الجليلي - الى الاستعانة بالقضاة في معالجة بعض القضايا المهمة. فعلى سبيل المثال عقد الوالي امين باشا بن الحاج حسين باشا الجليلي مؤتمراً في عام ١٧٥٨ ضم في عضويته كلاً من القاضي والمفتي وبعض الشخصيات المتنفذة الاخرى ، لاستطلاع رأيهم بشأن الخطوات الواجب اتخاذها تجاه عدد من الشخصيات التي كان قد زج بها في السجن اثناء حكم ابيه لدورها في اثار الاضطرابات في المدينة^(٥١).

ومن جانب آخر اسهم بعض قضاة الموصل في الصراعات المحلية التي كانت شهادتها الموصل في النصف الثاني من القرن الثامن عشر. فقد وقف قاضي الموصل محمد بن الكولة ، وكان معروفاً بزعته الاصلاحية الى جانب والي الموصل عبدالرحمن بك ابن عبدالفتاح باشا اثناء فترة عام ١٧٧١ التي نشبت بين مؤيدي الحركات الصوفية وخصومها^(٥٢).

تشكيلات محاكم القضاة وطريقة اجراء المرافعات لها :

كان لكل ولاية ولواء محكمة التي يمارس القاضي فيها واجباته الاعتيادية بمعية بقية اعضاء المحكمة . وكان تشكيل المحكمة يقتصر على هيئة بسيطة تتألف من القاضي ونائبه والقسم الشرعي وكتاب المحكمة ، وكان واجب الأخير ينصب على تدوين افادات اطراف القضية وادعاءات المدعين ودفاع المتهمين^(٥٣) . اما بالنسبة لمحاكم الأفضضية والنواحي فكانت تشكل من القاضي وكتاب بسيط يساعده في تصريف شؤون المحكمة .

وفي حالة غياب القاضي عن دائرته كان ينبغي عليه ان يعين نائباً خاصاً يقوم مقامه^(٥٤) . وكان هذا في العادة من ابناء المنطقة ومن امضى في منصبه زمناً طويلاً^(٥٥) . وفي احيان اخرى ناب المفتي عن القاضي اثناء غيابه^(٥٦) . وبإستثناء القاضي فقد تألفت هيئة المحكمة من موظفين محليين يشغلون مناصبهم بطريقة الوراثة احياناً^(٥٧) .

وكانت كل محكمة تحتفظ عادة بدفاتر خاصة بها تسمى (السجلات) تحفظ فيها القرارات الواردة من العاصمة ، فضلاً عن الدعاوى والأحكام الصادرة بشأنها وقضايا الزواج وعقود البيع والشراء والضرائب وغيرها^(٥٨) .

وبوجه عام لم تكن محكمة القاضي تعرف المرافعات المعقدة وكان قرار المحكمة يصدره القاضي لوحده^(٥٩) ، بعد حصوله على فتوى من دار الافتاء الشرعي التي كانت تضم مفتي المدينة ورئيس العلماء وأمين الفتوى^(٦٠) .

أما بصدد كيفية سير المحاكمات فقد كان يتوجب على طرفي القضية (المدعي والمدعى عليه) الحضور الى المحكمة ، وان يحضر المدعي شاهدين على الأقل شرطه ان يكونا رجلين معروفين بسييرتهما الحسنة . ولا يعول على الأدلة المكتوبة والمستندات إلا في قضايا معينة . وإذا متوافرت ادلة كافية

لصالح المدعي فيصدر قرار لصالحه ، وفي خلاف ذلك يطلب من المدعى عليه ان يؤدي التحين لاثبات براءته وعندها تغلق القضية . وبما أن الافادات الشفهية تمثل العنصر الحاسم في اية قضية فقد وضعت بعض الضوابط التي منع بموجبها مثلاً اعتماد إفادات الأقارب وكان القرار الذي تصدره المحكمة يعد قراراً نهائياً^(٦١) .

وبوجه عام وصف القضاء العثماني بسرعة البت في القضايا اذ قد يصدر الحكم وينفذ خلال جلسة واحدة وقلما تعلق القضايا او يؤجل النظر فيها^(٦٢) . أما عن الأسس التي كان يعتمد عليها القضاء في اصدار احكامهم فكانت كالآتي :-

١ - الشريعة الاسلامية : وكانت هذه الشريعة بمثابة القانون الاساسي لعموم الدولة العثمانية ، وكانت المصادر التي بنيت عليها الشريعة الاسلامية هي القرآن الكريم والسنة النبوية فضلاً عن كتب الفقه الحنفي ولاسيما كتابي (الدرر) و (ملتي الأبحر) اللذين ضما آراء كل مشاهير الفقه الحنفي في الأزمنة السابقة^(٦٣) . وقد أعتمد الكتاب الأخير حتى القرن التاسع عشر^(٦٤) .

٢ - القانوننات : وهي تنظيمات اصدرها السلاطين العثمانيون وتناولت تلك الشؤون التي لم تنطرق اليها الشريعة ، وبطبيعة الحال يفترض بأنها لاتعارض مع احكامها^(٦٥) .

وقد انقسمت القانوننات الى نوعين : الأول وهو القانوننات العامة التي تسري احكامها في جميع مناطق الدولة . والثاني وهو القانوننات المحلية او قانوننات الايالات والتي يقتصر سريان احكامها على الايالة نفسها . وفي حين عرفت قانوننات ايالات بغداد والبصرة . بأسماء اخرى فقد ظلت قانوننات ايالة الموصل محتفظة بالاسم نفسه اي قانوننات الموصل . وكانت القانوننات المحلية تتناول عادة عديداً من القضايا كالأراضي

والضرائب والجرائم وواجبات الشرطة والحسبة وغيرها^(٦٦).

٣- العرف: وهو ما استبقاه العثمانيون من ممارسات محلية قديمة أو ما صدره سلاطينهم من احكام في حالات معينة خارج حدود الشريعة.

وكان يتوجب على القاضي في حالة اصداره حكماً قاسياً في بعض القضايا الخطيرة كجرائم القتل مثلاً، ان يعرض الحكم أولاً على والي الولاية فإذا ماصدق الحكم من قبله ومن قبل اثنين من معتمديه وهما في الغالب من مقريه فعند ذاك يتم تنفيذ الحكم بالمجرم وفي خلاف ذلك فإن الحكم يرسل الى العاصمة لعرضه على الديوان الهياوي وحينذاك قد تتم المصادقة على الحكم او يصار الى تغييره^(٦٧).

أما في القضايا البسيطة فلم تكن تتطلب تلك الاجراءات وكان يعاقب عليها عادة بالجلد أو بالفرامة أو بكليهما معاً.

وقد يكون من المفيد أن نشير الى العقوبة التي نصت عليها قانوننامة الموصل في حالة دخول حيوانات شخص ما في حقل شخص آخر وتسببها في إلحاق أضرار بالحقل بان يدفع تعويضات لصاحب الحقل وبجلده خمس جلدات علاوة على تغريمه خمس اقجات. وهما يستعصي الانتباه ان القانوننامة المذكورة كانت تأخذ بنظر الاعتبار المستوى المادي للشخص حين فرضها غرامات مالية على المجرمين في حوادث قضي العين او كسر اليد كان يعاقب عليها بتغريم الفاعل (٢٠٠) اقجة اذا كان غنياً، و (١٥٠) اقجة اذا كان متوسط الحال و (١٠٠) اقجة اذا كان فقيراً^(٦٨).

كذلك تجدر الاشارة الى حرص المحاكم العثمانية على وجوب تنفيذ الحكم في نفس المنطقة التي ارتكبت فيها الجريمة، واذا ما هرب المجرم الى

منطقة اخرى فإنه يعاد الى منطقته وينفذ فيه الحكم^(٦٩).

وكان يساعد القاضي في تنفيذ ما يصدره من احكام موظفان يعرف احدهما بـ (الصوباشي)^(٧٠)، والآخر (احتساب اغاسي) اي المحتسب^(٧١) وكان الأخير مسؤولاً بصورة مباشرة أمام القاضي واقتصرت واجباته على مراقبة الأسعار والأوزان. وكان المحتسب يحصل على وظيفته بطريقة الالتزام. أما ايراداته فكانت تأتي من الرسوم المعروفة برسوم الاحتساب وهي التي تفرض على كل السلع المحلية والمستوردة^(٧٢) وكانت في يد المحتسب سلطة معاقبة اصحاب الحوانيت المتجاوزين بصورة فورية وهذا كانت وظيفته تختلف من حيث المبدأ عن وظيفة القاضي، اذ كان المفروض في الأخير ألا يصدر حكماً إلا بعد استماعه الشهود في محكمته^(٧٣).

لم يسلم الجهاز القضائي - شأنه في ذلك شأن بقية اجهزة الدولة الاخرى - من التردّي والفساد. فأن حلّ القرن الثامن عشر حتى اصبح من الامور المألوفة ان تمنح الترقّيات بالخطوة والرشوة، وان يطبق المزداد لا على الوظائف الادارية فحسب بل القضائية والدينية ايضاً وغدا موظفو المحاكم يعدون نموذجاً لخراب الذمم والفساد^(٧٤). ويبدو أن الفساد في الجهاز القضائي استمر حتى أواخر القرن التاسع عشر، واتخذت اجراءات قاسية ضده فعلى سبيل المثال عوقب احد قضاة الموصل ممن كان ذاع صيته في الرشوة والفساد^(٧٥) وكان المناادي يسير معلناً للناس جريمته^(٧٦).

ولقد كان لحكمة القاضي بنابة مستقلة عن سراج الحكومة تقع في محلة باب لكش، ثم انتقل مقرها فيما بعد الى مبنى يقع قبالة مديرية الشرطة وبقيت كذلك حتى الاحتلال البريطاني للموصل في عام ١٩١٨ حينما تداعى المبنى وعرض للبيع^(٧٧). ولعل من المفيد ان نشير الى ان القضاة والعلماء

كانوا يرتدون زياً خاصاً بهم فكانوا يعتمدون عادة
عمامة سوداء مبطنة ويتسربلون بطيلسان اسود
اقتداء بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) (٧٨).

وحري بالذكر ان بعض القضاة انصرفوا الى
التدريس في مدارس الموصل عقب اعتزالهم
مناصبهم ، بل ان بعضهم كان يقوم بالتدريس في
تلك المدارس في نفس الوقت الذي يتولى فيه
منصبه قاضياً (٧٩).

دخل القاضي وإيراداته :

كان دخل القاضي يتألف بالدرجة الاولى من
الاجور اليومية وقد اختلفت هذه الاجور تبعاً
للوحدة الادارية التي كان يعمل فيها القاضي . فبينما
كانت اجور قاضي سنجق (لواء) الموصل تبلغ
(٣٠٠) اقجة يومياً كانت اجور قضاة الأقضية
التابعة للواء الموصل تتراوح في بداية الأمر بين
(٢٠) و(٤٠) اقجة يومياً ، ثم زيدت تلك الاجور
على اثر انخفاض قيمة الأقجة بحيث اصبحت
تتراوح ما بين (٤٠) الى (١٥٠) اقجة يومياً (٨٠) .
وشكلت الرسوم المفروضة على مختلف القضايا
التي تعرض على القضاة مصدراً مهماً آخر من
مصادر دخل القضاة وقد تنوعت تلك الرسوم
وكانت كالآتي :-

١- رسم القسمة : وقد عرف هذا الرسم في بعض
المصادر الموصلية المحلية باسم رسم
(القسامية) (٨١) ، وهو الرسم الذي يحصل
عليه القاضي نظير قيامه بتقسيم اموال المتوفي
بين ورثته . واقتصر هذا الرسم على الأموال
المقولة فقط ، اذ لم يكن من الجائز قانوناً
للقاضي ان يأخذ رسماً عن الأراضي او
العقارات التي يتركها المتوفي لورثته (٨٢) . وقد
اختلفت نسبة الرسم من وقت الى آخر وكانت
في مطلع الحكم الجليلي في الموصل تساوي
 $\frac{1}{40}$ من قيمة التركة وأشار مصدر في

معرض حديثه عن الأعمال التي قام بها
ابراهيم اغا وهو واحد ابناء اسماعيل باشا بن
عبد الجليل الى الغائه ضريبة القسامية في
محاولة منه للتخفيف عن كاهل
الموصلين (٨٣) .

٢- رسم النكاح :- وهو الرسم الذي يفرض على
عقود الزواج . وقد حدد منذ زمن السلطان
محمد الفاتح (١٤٥١ - ١٤٨١) ب (٢٥)
اقجة يأخذ القاضي منها (٢٠) اقجة
وخصص الباقي لنائب القاضي وكتب
الحكمة (٨٤) . ويبدو انه في وقت لاحق تم
التمييز بين الرسم الذي يدفع عند زواج الفتاة
البكر وهو (٢٥) اقجة ، وبين الرسم الذي
يدفع عند زواج المرأة «التيب» وهو (١٥)
اقجة ، يأخذ القاضي (١٠) منها فيما يقتسم
نائب القاضي والكتاب الباقي (٨٥) .

٣- رسم الحجة : وهو الرسم الذي يأخذه القاضي
عن الدعاوى التي ترفع اليه والتي يسجلها في
سجل المحكمة الشرعية . وقد بلغ مقدار هذا
الرسم (٢٥) اقجة في القرن السابع عشر
خصص (٢٠) منها للقاضي فيما قسم الباقي
بين نائب القاضي والكتاب (٨٦) .

وفضلاً عما ذكر فقد خصصت رسوم اخرى
للقاضي مثل رسم العتاق نامة (اي براءة الذمة)
والذي بلغت قيمته في القرن السابع عشر (٦٦)
اقجة منها (٥٠) اقجة للقاضي و (١٠) اقجات
لنائه و (٦) اقجات لكتاب المحكمة ، كما سمح
للقاضي بأخذ مبلغ قدره (١٢) اقجة لقاء وضع
ختمه على المستندات وسجلات الملتزمين وجباة
الضرائب وغيرهم (٨٧) .

ولما كان القضاة لا يتقاضون اية مرتبات خلال
فترة وجودهم خارج الخدمة او عقب احوالهم على
التقاعد فقد كان لابد من إيجاد موارد دخل لهم سيما
وان الدولة توقفت عن صرف المرتبات للقضاة حتى

الى اساليب ملتوية كقبول الرشاوى اوزيادة الرسوم المخصصة لهم عن النسب المقررة .

أما بالنسبة لاسلوب الالتزام في اسناد المناصب القضائية فقد دفع هو الآخر بكل من قاضي القضاء والشخص الذي يرسو عليه الالتزام الى ان يضعها الناحية المادية في المقام الأول . فقد دأب قاضي القضاء على تعيين نوابه من بين اولئك الذين يدفعون اموالاً أكثر من غيرهم دون الأخذ بنظر الاعتبار مدى صلاحيتهم لمنصبهم . أما عن النائب الذي حصل على منصبه بهذه الطريقة فن البديهي ان يتم بالدرجة الاولى باسترداد مادفعه ثمتاً لمنصبه فضلاً عن اهتمامه باستغلال منصبه الى أقصى حد ممكن بغية الحصول على ايرادات اضافية منه وبوسائل غير مشروعة غالباً . وقد حاولت الدولة العثمانية وضع حد لهذه الظاهرة من خلال المراسلات المتعددة التي خاطبت بها الولاة والقضاة بغية وضع حد للتعسف والاستغلال الذي يمارسه نواب القضاء في النواحي والقرى التي حصلوا على حق القضاء فيها بطريقة الالتزام^(٩٠) .

هيئات المحاكم الاخرى :

وجدت الى جانب محكمة القاضي الرسمية محاكم اخرى تختص كل منها بالنظر في قضايا ذات طبيعة خاصة . كان من بينها تلك المحاكم التي يرأسها قضاة من غير المذهب الحنفي وتختص هذه المحاكم بالنظر في قضايا الأحوال الشخصية لاتباع المذاهب الأخرى كعقود الزواج ومسائل الطلاق والميراث وما الى ذلك^(٩١) . وهناك أيضاً محاكم الطوائف غير الاسلامية التي كان السلاطين العثمانيون قد اعترفوا لرؤسائها الروحانيين بصلاحيات واسعة في بداية الأمر ثم مالبثت ان تقلصت صلاحياتها بمرور الزمن^(٩٢) . كذلك وجدت محاكم خاصة لمحاكمة رجال الانكشارية^(٩٣) وأخرى لمحاكمة الأشرف وبالنسبة للأخيرة لم يكن بالامكان اعدام اي

اثناء وجودهم في الخدمة نظراً للزيادة الكبيرة التي طرأت على اعدادهم . ولحل هذه المشكلة عمدت الحكومة العثمانية الى ان تخصص للقضاة بعضاً من المناطق ليعتاشوا على ايراداتها كأن تمنحه بعض القرى مثلاً . وكان القاضي بدوره يوكل نواباً عنه لادارة تلك المناطق ويأخذ هؤلاء نسبة من الايرادات فيما يخصص الباقي منها للقضاة . واصطلح على تسمية الحصة التي يأخذها القاضي باسم (اريلق)^(٩٤) .

نواب القضاة :

لم يكن القاضي ينظر لوحده في الامور الشرعية والحقوقية التي تخص منطقتة ، بل كان للقاضي نائب واحد او اكثر تبعاً لمكانة القاضي نفسه او لسعة المنطقة التي يقضي فيها . وانقسم نواب القضاة الى قسمين رئيسيين : الأول هم نواب القاضي الذين كانوا يعملون في النواحي الملحقة بالقضاء (ويقصد به هنا الوحدة الادارية التي تلي مباشرة اللواء) وكان هؤلاء يحصلون على مناصبهم بطريقة الالتزام ويمارسون القضاء باسم قاضي القضاء . أما القسم الثاني من نواب القضاء فهم الذين يجلسون مع القاضي في المحكمة نفسها وينوبون عنه في النظر في بعض القضايا او يعملون معاً مع القاضي^(٩٥) .

ان الميزتين اللتين امتاز بها القضاء الا وهما نظام الخدمة الدورية واتباع اسلوب الالتزام في اسناد المناصب القضائية في النواحي لعبا دوراً كبيراً في الاساءة الى الجهاز القضائي . فبالنسبة لنظام الخدمة الدورية كانت فترة بقاء القاضي خارج الخدمة آخذة في الطول مع تزايد عدد القضاة . وبالنظر الى ان القضاة لم يكونوا يقبضون اية مرتبات خلال وجودهم خارج الخدمة فقد عمد الكثير منهم الى استغلال فترة خدمته لجمع اكبر مبلغ ممكن من المال حتى ولو دفع بهم ذلك الى اللجوء

شريف دون مصادقة نقيب الاشراف على الحكم^(٩٤) كذلك خُولَ رئيس التجار (الشاه بندر) صلاحية النظر في الخلافات الناشئة بين التجار^(٩٥) ومن جانب آخر تمتع رؤساء الطوائف الحرفية الاخرى بصلاحيات مماثلة كذلك التي تمتع بها رئيس التجار^(٩٦). ومنح كبار المسؤولين الاداريين صلاحيات قضائية، فعلى سبيل المثال كان يحق لوالي الايالة لاسيا اذا كان حاملاً رتبة وزير سماع الدعاوى واصدار الاحكام بشأنها عندما تعرض عليه وهو في طريقه الى الايالة او في اثناء عودته منها الى العاصمة، كذلك مُنح السنجق بك (حاكم اللواء) احياناً صلاحية النظر في الدعاوى الشرعية في سنجه، كما ان كنتخدا (مساعد) الوالي كان ينظر احياناً في بعض الدعاوى التي تخص العسكريين والمدنيين^(٩٧). وفضلاً عن ذلك كانت المجتمعات القبلية التي ظلت تتمسك بتقاليد خاصة بها تمارس سلطة قضائية على افرادها وصلت الى حد اصدار عقوبة الموت كما هو الحال بالنسبة للجرائم التي تتعلق بالاعتداء على الأعراض وجرائم الزنا^(٩٨).

المفتي:

كان المفتي بموجب النظام القضائي في الدولة العثمانية يأتي في المرتبة الثانية بعد القاضي ويتقدم في الوقت نفسه على نائب القاضي^(٩٩). إذ يعينه مفتي استانبول الذي كان بمثابة (المفتي الأول) في الدولة العثمانية وهو ما يعرف أيضاً بـ (شيخ الاسلام)^(١٠٠). وكان تعيين المفتي الرسمي وهو المفتي الحنفي يستلزم صدور براءة سلطانية^(١٠١) ثم يثبت في منصبه من قبل الباب العالي^(١٠٢) وبصورة عامة تمتع المفتي في الولايات العربية بصلاحيات اكبر من تلك التي تمتع بها اقرانه في الولايات غير العربية^(١٠٣). وقد تركت الدولة العثمانية لاتباع المذاهب الدينية الاخرى حق اختيار مفتيهم من

بينهم^(١٠٤) ومن ثم تتولى السلطات المحلية المصادقة على تعيينهم بصورة رسمية^(١٠٥) وهكذا وجد في الموصل مفتيان احدهما لاتباع المذهب الحنفي والآخر لاتباع المذهب الشافعي^(١٠٦).

واتخذ المفتي من دار الافتاء الشرعي مقراً له. وتألقت هيئة الافتاء من المفتي رئيساً وعضوية كل من رئيس العلماء، وامين الفتوى. أما مجلس الافتاء فكان يعقد جلساته في يوم الثلاثاء من كل اسبوع^(١٠٧).

وكانت مهمة المفتي ابداء الرأي في الكثير من القضايا الشرعية المختلف حولها، ولم يكن المفتي في الواقع يبتكر احكاماً جديدة في الشريعة الاسلامية اذ كان باب الاجتهاد قد اقل منذ ان استقرت المذاهب الاسلامية وانما يعطي اجوبة عن اسئلة تدور حول قضايا معينة استناداً الى قواعد سابقة وثابتة^(١٠٨).

كذلك تولى المفتي اعمالاً اخرى، فقد كان ينوب عن القاضي حين تغيبه عن وظيفته^(١٠٩). ويبدو أن المفتي كان يشرف - الى جانب غيره من رجال الدين - على شؤون الأوقاف. وقد استمر الحال على ذلك حتى عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩)، الذي رفع يد المفتي عن الأوقاف وجعلها تحت اشرافه، وانشأ ادارة تحولت فيما بعد الى (وزارة) للأوقاف^(١١٠). وتقلد المفتي أحياناً مناصب بعيدة عن اختصاصاته ففي عام ١٨٩٢ م (١٣١٠ هـ) كان المفتي يشغل منصب رئيس فرع المصرف الزراعي في قضاء دهوك^(١١١). ولم يشترط في تعيين المفتي ان يكون ممن درسوا في مدارس العاصمة بل كان يجوز أن يسند المنصب الى اولئك الذين تلقوا تعليمها في المدارس المحلية^(١١٢). ومن الناحية النظرية لم يكن المفتي يتقاضى راتباً على عمله^(١١٣)، الا أنه من الناحية العملية كان يتقاضى اجوراً لقاء اصدار الفتاوى تتناسب مع الحالة المادية لطالب الفتوى. واستطاع

بعض المفتين جمع ثروات طائلة^(١١٤) . وبخلاف القاضي كان المفتي يشغل منصبه مدى الحياة^(١١٥) ولو أنه كان يحق له ان يتخلى عنه في حالة تقدمه في السن وعجزه عن ممارسة مهامه^(١١٦) . وفي بعض الحالات كان يتم عزل المفتي من منصبه ثم يعاد اليه بعد حين^(١١٧) . وتجدر الاشارة في هذا الصدد الى ان الولاة والوجهاء تدخلوا احيانا في عزل المفتي . لقد انحصر منصب المفتي - كما هو الحال في العهد الجليلي مثلاً - في بعض الأسر الموصلية المنتفذة فلم يخرج منصب المفتي الحنفي من حوزة ثلاث أسر موصلية هي : آل العمري وآل ياسين وآل الفخري الأعرجي ، كذلك توارث أسرة آل الغلامي منصب مفتي الشافعية جيلا عقب جيل^(١١٨) . وحدث أحيانا ان انتقل منصب المفتي من الأب الى ابنه^(١١٩) ، او من الأخ الى أخيه^(١٢٠) ، او من الجد الى حفيده^(١٢١) .

كذلك شغل أبناء الموصل منصب المفتي في بعض اقضية الموصل فقد عين الشيخ احمد الديوبجي مفتيا لقضاء سنجار في عام ١٩٠٩ (١٣٢٧هـ)^(١٢٢) . وبما يسترعي الانتباه ان اشغال منصب مفتي القضاء اصبح يتم عقب اجتياز المرشح لامتحان في العلوم الشرعية والفقهية . فعلى سبيل المثال ادى محمد بن احمد بن حسن الصوفي الامتحان بغيته تعيينه مفتيا لقضاء سنجار في اواخر العهد العثماني ولما اجتاز الامتحان بتفوق وحصل على تقويم جيد في العلوم الشرعية والفقهية عين مدرسا عاما في مدينة الموصل بدلا من تعيينه مفتيا لقضاء سنجار^(١٢٣) .

ومن الملاحظ ان عدداً من المفتين في الموصل كانوا يمارسون فضلاً عن واجباتهم التدريس في مدارس الموصل^(١٢٤) . ولعل السبب في ذلك هو الحصول على مورد رزقي لهم او لأغراض ثقافية وخيرية او كليهما معاً .

لم تقتصر مهام مفتي الموصل على اداء واجباته

التقليدية التي سبق أن أشرنا اليها آنفاً ، بل تعدتها الى الانغماس في الحياة السياسية لمدينة الموصل . فقد نهض مفتي الحنفية بالموصل السيد يحيى بن فخرالدين بدور مهم في احداث الحصار الذي تعرضت له الموصل على يد نادرشاه في عام ١٧٤٣ . فقد ارسل الأخير رسالة^(١٢٥) الى المفتي المذكور خاطب من خلالها والي الموصل الحاج حسين باشا . ولما قرأ الأخير الرسالة على اسماع اهالي الموصل خول المفتي بكتابة رد عنها^(١٢٦) .

كذلك عين مفتي الشافعية في الموصل السيد علي الغلامي عضواً في وفد ضم ثلاثة أشخاص انتدب لمفاوضة نادرشاه عقب فشل محاولته احتلال الموصل في عام ١٧٤٣^(١٢٧) . كما استعان بعض الولاة بالمفتي في حل المشكلات التي كانت تعاني منها مدينة الموصل . وكمثال على ذلك عقد امين باشا بن الحاج حسين باشا الجليلي مؤتمراً في ١٧٥٨ ضم القاضي والمفتي وبعض وجهاء المدينة لاستطلاع رأيهم بصدد امكان اطلاق سراح عدد من وجهاء المدينة الذين كان الحاج حسين باشا الجليلي قد زج بهم في السجن بتهمة ضلوعهم في الاضطرابات التي نشبت في عهده^(١٢٨) .

وفضلاً عما ذكرنا فقد خاض مفتي الموصل في بعض الأحيان في الصراعات المحلية . ونجح المفتي كما هو الحال في عام ١٧٥٩ من جمع عدد من الأعران حوله^(١٢٩) كما ساهم المفتي في عام ١٧٦٩ في عقد صلح ولو ظاهرياً بين الفرقة الانكشارية التي كانت ترابط في الموصل والتي كانت تخوض قتالاً بين بعضها البعض الآخر^(١٣٠) .

وتحسن الاشارة الى ان عدداً من اهالي الموصل شغلوا منصب الافتاء خارج الموصل . فعلى سبيل المثال عمل علي المفتي بن مراد العمري (١٠٦٠ - ١١٤٧هـ) مفتياً لبغداد مدة تقارب الستين^(١٣١) .

نشأة المحاكم النظامية :

عمدت الدولة العثمانية الى اصلاح وتنظيم الجهاز القضائي منذ بداية القرن التاسع عشر وكانت اولى الخطوات في هذا الشأن وضع المحاكم الشرعية في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) تحت اشراف شيخ الاسلام بعد ان كانت تحت اشراف الصدر الأعظم^(١٣٢). كما تأسس مجلس للقضاء في عام ١٨٣٧^(١٣٣)، وعُيّن (مجلس الاحكام العدلية).

وقد استهل عام ١٨٣٩ وهو العام الذي بدأت فيه فترة التنظيمات بصدر اول مرسوم اصلاحي في الدولة العثمانية والذي عرف بخط شريف كولخانة. وأكد المرسوم الحاجة الى ضرورة سن قوانين جديدة في الدولة العثمانية تنظم بموجبها مختلف اجهزة الدولة. وقدر تعلق الأمر بالقضاء شدد المرسوم المذكور آنفاً على عدم جواز اعدام او تسميم ارباب الجنب بصورة علنية او سرية دون النظر في دعاوهم بشكل علني ودقيق وبموجب القوانين المرعية، ومنع من حرمان ورثة المجرمين ممن تصدر بحقهم احكام بمصادرة اموالهم من حقهم في الميراث الشرعي. ووعد بزيادة عدد أعضاء مجلس الأحكام العدلية كما وعد ايضاً بإصدار قانون جزاء لمعاقبة كل شخص تسول له نفسه خرق احكام القوانين التي سوف تصدرها الدولة بغض النظر عن منزلته^(١٣٤).

وفي ميدان القضاء، كما في كثير من الميادين الأخرى، فضل الأتراك الاقتباس من القوانين الفرنسية. وهكذا تبنا في عام ١٨٤٠ قانون العقوبات الفرنسي وتأخر اعلان القانون التجاري حتى عام ١٨٥٠^(١٣٥) بالنظر للمعارضة الشديدة التي قوبل بها القانون في اوساط رجال الدين الذين نظروا اليه باعتباره يتعارض مع مبادئ الشريعة الاسلامية^(١٣٦).

ومن جهة اخرى فقد اشتمل مرسوم «خطي همايون» الصادر في عام ١٨٥٦ على وعد باجراء

عدد من الاصلاحات في ميدان القضاء فن ذلك انه دعا الى احالة جميع الدعاوى التجارية والجناثية التي تقع بين المسلمين وغير المسلمين او بين المسلمين بعضهم مع بعض على الدواوين المختلطة، وأكد على ضرورة ان تكون جلسات الدواوين علنية. وحث ايضاً على ضرورة الاسراع في البت في القضايا المعروضة عليها. وأكد على الامتناع عن انزال العقوبات البدنية بحق نزلاء السجون^(١٣٧).

وبعيد صدور مرسوم همايون شرعت السلطات العثمانية بإعداد مسودة قانون جديد للجزاء. وتم وضعه وصدرت ارادة سنية بتنفيذه في ١٨٥٨ (ذي الحجة ١٢٧٤ هـ)^(١٣٨).

ومنذ ذلك الحين ظهرت محاكم جديدة في الدولة العثمانية عرفت بـ (المحاكم النظامية) وكانت تنظر في القضايا الخارجة عن اختصاصات المحاكم الشرعية والتجارية. واستمرت المحاكم الشرعية ومحاكم الطوائف غير الاسلامية في مواصلة اعمالها الا أن اختصاصاتها حصرت في قضايا الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والميراث وما شابه ذلك^(١٣٩) فقد تأسست محاكم في القضاء عرفت بـ (مجلس القضاء) واخرى في اللواء سميت بـ (مجلس اللواء) وثالثة في الولاية دعت بـ (مجلس الولاية).

وفي عام ١٨٦٨ قسم ديوان الأحكام العدلية الى قسمين دعي الأول بـ (مجلس شورى الدولة) فيما سمي الثاني بـ (ديوان الأحكام العدلية) وكان الأخير بمثابة المحكمة العليا في الدولة العثمانية^(١٤٠). وفي عام ١٨٧٢ (١٢٨٩ هـ) غيرت اسم المحاكم في مختلف الوحدات الادارية اذ تحول اسم (مجلس القضاء) الى (مجلس دعاوى القضاء) وغير اسم (مجلس اللواء) الى (مجلس دعاوى اللواء) في حين ابدل اسم (مجلس الولاية) بإسم (مجلس دعاوى الولاية)^(١٤١).

وتجدر الإشارة الى ان الحكومة العثمانية اصدرت قراراً في عام ١٨٧٣ (ربيع الأول ١٢٩٠ هـ) قضى بتمديد فترة رئاسة المحاكم الشرعية في الولاية والأقضية التابعة لعدد من الولايات وبضمها ولاية بغداد، بحيث أصبحت ستين ونصف السنة مالم يقدم رؤساء تلك المحاكم طلباً بإعفائهم من مناصبهم قبل انتهاء تلك المدة أو أن يعزلوا نتيجة سوء تصرفهم^(١٤٢).

وفي ١٤ كانون الأول من عام ١٨٧٤ أصدرت الحكومة العثمانية فرماناً تضمن عدداً من الاصلاحات والتغييرات في الجهاز القضائي في الدولة العثمانية كالتأكيد على مبدأ عدم تدخل السلطات التنفيذية في شؤون السلطات القضائية، وعلى ضرورة ان يكون اعضاء المحاكم من العناصر المشهود لها بالزاهة والاستقامة. كذلك دعا فرمان الى تنظيم المحاكم وتحديد اختصاصات كل منها وأكد على عدم عزل او نقل اعضاء المحاكم دون أسباب وجبة. وعلاوة على ذلك أخذ منصب رئاسة محكمة التمييز من عهدة ناظر (وزير) الامور العدلية، وربط ديوان الاستئناف التجاري ومحاكمه بنظارة الامور العدلية. وأضيف الى واجبات محكمة الاستئناف المرتبطة بديوان الأحكام العدلية واجبات كل من ديوان الاستئناف التجاري وواجبات الديوان الجنائي. وتقرر تقسيم محكمة الاستئناف الى ثلاثة اقسام يختص الأول منها في النظر في القضايا الجزائية ويختص الثاني بالنظر في الدعاوى الحقوقية فيما تنحصر واجبات القسم الثالث في الفصل في الدعاوى التجارية. ودعا فرمان ايضاً الى انتخاب رؤساء وأعضاء لمحكمة التمييز والى منح اعضاء المحاكم الذين ينتخبون من الآن فصاعداً براءات سلطانية عالية تحول دون عزلهم او نقلهم دونما سبب مقنع وتخصيص رواتب تقاعدية لهم. ومنح فرمان كل الرعايا العثمانيين حق انتخاب اعضاء المحاكم. وحث

الفرمان على ارسال تعليمات واضحة حول تشكيلات المحاكم وطريقة انتخاب أعضائها الى كافة ارجاء الدولة وان يصار الى تنفيذها على الفور. ومن جهة اخرى اوضح فرمان اختصاصات عدد من المحاكم فمن ذلك أنه اشترط ان يتولى النواب (القضاة) الموجودين في مراكز الولايات رئاسة دواوين التمييز وان تحال الى نواب تلك المراكز الاعلامات (الأحكام) التي تصدرها المحاكم الشرعية في الألوية والأقضية بغية تدقيقها، وان تتولى المحاكم النظامية الفصل في جميع الدعاوى سواء تلك التي بين المسلمين وغير المسلمين او بين الرعايا غير المسيحيين وغيرهم من الرعايا المسلمين وأخيراً دعا فرمان الى الاسراع بإنجاز القوانين والأنظمة الخاصة بالمحاكم^(١٤٣).

وتجدر الإشارة الى أن السلطات العثمانية كانت قد ارسلت في عام ١٨٧٤ تعليمات تتألف من اربع مواد الى كافة الولايات اوضحت فيها اموراً تتعلق برئاسة ديوان التمييز واختصاصاته^(١٤٤). وبلغ عدد النسخ من تلك التعليمات التي ارسلت الى ولاية بغداد (١٥٠) نسخة. وحثت السلطات العثمانية الولاة والمنصرفين على تطبيق تلك التعليمات حرفياً ودعت الى توزيع عدد كاف منها في الألوية والأقضية وان يصار الى شرح مضامينها الى الأهالي^(١٤٥).

وفي عام ١٨٧٦، اصدرت الحكومة العثمانية دستوراً تضمن كثيراً من الاصلاحات والتغييرات في مختلف مرافق الدولة. فبالنسبة لجهاز العدالة فقد أكدت المادة (٨١) منه على عدم جواز عزل القضاة من مناصبهم وعلى ان ترقياتهم او تغيير عناوينهم او احوالهم على التقاعد تجري وفقاً لأحكام القانون. ونصت المادة (٨٢) على ان كل أنواع المحاكمات تجري بصورة علنية. وتضمنت المادة (٨٣) على ان بإمكان كل شخص ان يستخدم في حضور المحكمة كل وسيلة مشروعة يراها ضرورية

للمحافظة على حقوقه. وجاء في المادة (٨٦) ان المحاكم يجب ان تبقى بعيدة عن كل نوع من أنواع التدخل في شؤونها. ونصت المادة (٨٧) على ان يكون النظر في الدعاوى الشرعية من صلاحية المحاكم الشرعية فيما يكون النظر في الدعاوى النظامية من اختصاص المحاكم النظامية^(١٤٦).

وتم في عام ١٨٧٨ الانتهاء من اصدار الجزء الأخير من مجلة الأحكام العدلية^(١٤٧). والتي أصبحت بمثابة القانون الذي تعتمد عليه كل المحاكم المدنية في الامبراطورية العثمانية والجمهورية التركية فيما بعد حتى عام ١٩٢٦^(١٤٨) بل أن المجلة ظلت تدرس في كلية الحقوق في بغداد حتى أوائل الخمسينات من القرن الحالي حين تم وضع قانون جديد هو القانون المدني العراقي^(١٤٩).

وواصلت الحكومة العثمانية ادخال تعديلات اخرى على الجهاز العدلي في الدولة. ففي عام ١٨٧٩ (١٢٩٦ هـ) سن قانون اصول المحاكمات الحقوقية وصدرت ارادة سنية بالعمل بموجبه، كما صدر في العام نفسه قانون تشكيل المحاكم المدنية في مراكز الولاية والألوية والأقضية^(١٥٠). واستحدثت في السنة ذاتها منصب مفتش عدلي في ولاية الموصل^(١٥١). كما غيرت اسماء المحاكم في الوحدات الادارية، اذ غير اسم (ديوان تمييز الولاية) الى (محكمة استئناف الولاية) وابدل اسم (مجلس تمييز اللواء) باسم (محكمة بداءة اللواء) كما غير اسم (مجلس دعاوى القضاء) الى (محكمة بداءة القضاء)^(١٥٢). كذلك صدر في العام نفسه قرار بعدم ضرورة مصادقة الجهات الادارية على الاعلامات التي تصدرها المحاكم وبذلك قطعت الصلة بين الجهازين الاداري والقضائي^(١٥٣).

وبعد عام ١٨٧٩ انقسمت المحاكم العثمانية الجديدة من غير محاكم الصلح الى ثلاثة انواع هي (١) محاكم البداءة (٢) محاكم الاستئناف (٣) محكمة التمييز التي كان مقرها في العاصمة استانبول.

وتعدّ المجالس الادارية في النواحي ومجالس الوجهاء التي تعمل على انهاء القضايا بالتصالح من قبيل محاكم الصلح. وهي تنظر في الدعاوى الصغيرة وتفرض غرامات بسيطة وتحكم بالسجن لمدة لا تزيد على يوم واحد كما ان من حقها اجراء تحريات في البيوت. ولكن قرارات هذه المحاكم ليست قطعية حيث بإمكان المتخاصمين ان يرفعوا دعاوهم الى محاكم البداءة في الأضحية.

وتتألف محاكم البداءة (بدایت محكمة سي) من رئيس هو «النائب» او القائم بمهمة القاضي الشرعي وعضوية اثنين من الأعضاء المنتخبين احدهما مسلم والآخر غير مسلم. وفي الحالات التي تشتمل فيها الدعوة على جناية او جنة ذات طابع بوليسي يضاف الى الهيئة المذكورة مدير الجندرية (مدير قوة الأمن الداخلي) الذي يقوم بمهمة نائب المدعي العام كما يضاف لها ايضا محقق قضائي وأمين للسر. وأحكام هذه المحاكم غير قابلة للاستئناف في القضايا التي تحول اليها من محاكم الصلح وكذلك في الدعاوى المدنية التي لا تزيد على (٥٠٠) قرش، وفي الدعاوى الخاصة بالأموال غير المتقولة التي لا يزيد ما قدره من دخل على (٥٠٠) قرش. وتقوم هذه المحاكم مقام محاكم البداءة التجارية في الأماكن التي لا توجد فيها مثل تلك المحاكم، وفي هذه الحالة يضاف الى عضويتها المذكورين اعلاه والذين ينتخبان عادة لمدة سنتين ويتسلم كل منها مقابل القيام بمهامه مائتي قرش شهريا عضواً ثالث ينتخبه تجار القضاء ويقوم بمهمته مجاًناً.

وتعد محاكم السنجق (اللواء) محاكم استئناف بالنسبة لمحاكم القضاء وهي تنقسم الى أربعة فروع: مدنية وتجارية ومحاكم البوليس الاصلاحية وجنائية، وتعتبر قرارات محاكم السنجق قطعية في الدعاوى المدنية التي تتعدى قيمتها عشرة آلاف قرش، وفي الدعاوى الخاصة

بالاملاك غير المنقولة التي لا يزيد ماقدره من دخل على الف قرش. ويتألف الفرع المدني من هذه المحاكم من رئيس هو قاضي المحكمة الشرعية وعضوين منتخبين احدهما مسلم والآخر غير مسلم. اما بالنسبة للفرع التجاري فإن الرئيس يعينه وزير العدل في حين ينتخب العضوان من قبل التجار. اما محاكم البوليس الاصلاحية فإنها تتألف من نفس الهيئة التي يتألف منها الفرع المدني في حين تتألف المحكمة الجنائية في السنجق من الهيئة نفسها مضافاً اليها عضوان منتخبان فضلاً عن المدعي العام ومحقق وأمين للسر.

ويتأمل التنظيم القضائي في مركز الولاية مع نظيره في الوحدات الادارية الاخرى باستثناء ان محكمة البوليس الاصلاحية تفرد في مركز الولاية بأنها تقوم أيضاً بمهمة دائرة اتهام. وتعد محكمة مركز الولاية كمحكمة استئناف لمحاكم السناجق. أما محكمة التمييز فكان مقرها في العاصمة استانبول حيث تردها الى هناك جميع القضايا من محاكم الولايات^(١٥٤).

وعلى الرغم من أن الموصل اصبحت ولاية قائمة بذاتها منذ عام ١٨٧٩ فإنها خلت من وجود محكمة استئناف منها حتى عام ١٨٩٩ (١٣١٧ هـ) عندما شكلت محكمة استئناف في الموصل^(١٥٥) وهكذا كانت الأحكام التي تصدرها المحاكم في الموصل تستأنف لدى محكمة استئناف بغداد^(١٥٦). بل ان الأخيرة نظرت في القضايا المستأنفة من أنحاء العراق المختلفة وكانت تتألف من حكام معينين بإرادة سنية ومن هيئة من الأهالي^(١٥٧).

ولعل من المفيد أن نشير الى الأمر الذي اصدرته وزارة الداخلية العثمانية في عام ١٨٩٠ والذي اعفت بموجبيه رؤساء المحاكم والمدعون العامون من اداء خدمة الاحتياط (الخدمة الرديفية) طالما كانوا في مناصبهم^(١٥٨). وكانت الدوائر العدلية في ولاية الموصل في عام

١٨٩٢ (١٣١٠ هـ) تتألف مما يلي :-

- ١- محكمة البداية : وكانت تنقسم الى دائرتين هما دائرة الحقوق وتتألف من رئيس وعضوين دائمين وعضو ثالث احتياط ودائرة الجزاء وتتألف من رئيس وعضوين دائمين وعضو ثالث احتياط فضلاً عن مدعي عام.
- ٢- دائرة قلم المحكمة وتتألف من رئيس كتاب (باشكاتب) وعدد من الكتبة.
- ٣- دائرة التحقيق (استنطاق دائرة سي) وتتألف من اثنين من المحققين.
- ٤- دائرة الاجراء وتتألف من مأمور اجراء ومأمورين تنفيذيين (اجراء مباشري).
- ٥- محكمة بداءة - القسم التجاري وتشكل من رئيس وعضوين من اعضاء محكمة البداية وأربعة من التجار المنتخبين وكاتب ضبط.
- ٦- المحكمة الشرعية وتتألف من القاضي رئيساً وعضوية رئيس كتاب المحكمة الشرعية وسبعة كتاب^(١٥٩).

وفي الأفضية الملحقه بمركز ولاية الموصل مثل افضية زاخو وعقرة والعبادية فقد اقتصر الجهاز القضائي فيها على محكمة بداءة تشكل في العادة من القاضي ومن عضوين ورئيس كتاب ومعاون محقق ومأمورين تنفيذيين (اجراء مباشري) وآخر بعنوان اوطه جي^{*}.

أما في قضاء دهوك فقد كانت محكمة البداية فيها تتألف من تشكيلات الأفضية السابقة الذكر نفسها باستثناء اضافة معاون مدعي عام وخلوها من وظيفة اوطه جي وفي الوقت الذي اوردت فيه سالنامة الموصل لعام ١٣١٠ هـ (١٨٩٢-١٨٩٣) معلومات حول مختلف الدوائر في قضائي سنجار وزيبار لكنها لم تورد اية معلومات عن الدوائر العدلية فيها^(١٦٠).

وحافظت الدوائر العدلية في الموصل في عام ١٨٩٤ (١٣١٢ هـ) على نفس تشكيلاتها السابقة

باستثناء بعض التغييرات البسيطة إذا أصبحت المحكمة الشرعية تضم موظفاً بعنوان مدير اموال الايتام و آخر بعنوان محضر باشي (وهو المسؤول عن تبليغ اوامر المحكمة وإحضار ذوي العلاقة اليها) كما الغيت محكمة التجارة^(١٦١) ، وانيطت اعمالها بمحكمة الحقوق البدائية^(١٦٢).

واصدرت وزارة العدلية في عام ١٨٩٨ (١٣١٧ هـ) تعميماً دعت فيه الى تأسيس محاكم جزاء في كل الألوية والأقضية التي تؤسس حديثاً^(١٦٣).

وفي بداية القرن الحادي استحدثت لجان ومحاكم جديدة في الموصل وغدت الدوائر العدلية فيها تتألف كما هو الحال في عام ١٩٠٧ (١٣٢٥ هـ) مما يلي :

١ - المحكمة الشرعية : وتتألف من القاضي (نائب الشرع) رئيساً ومن رئيس كتاب وستة كتاب ومدير اموال الايتام ومحضر باشي .

٢ - لجنة العدلية (أنجمن عدلية) وتتشكل من مفتش للعدلية رئيساً وعضوية رئيس محكمة الاستئناف الحقوقية ، ورئيس الاستئناف الجزائية ، ومدعي عام الاستئناف ورئيس محكمة الحقوق البدائية ورئيس محكمة الجزاء البدائية ومعاون المدعي العام للبداء ، ورئيس كتاب للاستئناف^(١٦٤) .

وكانت هذه اللجنة تعقد جلسة واحدة في كل اسبوع للتداول في بعض الامور مثل تعيين الكتبة الذين تحتاج اليهم المحاكم . وتنتظر ايضاً في قضايا نقل وعزل الموظفين ، كما كانت تقدم مقترحات حول احتياجات ولاية الموصل لفتح محاكم جديدة فيها الى وزارة العدلية^(١٦٥).

٣ - محكمة الاستئناف الحقوقية : وتتألف من رئيس واربعة اعضاء .

٤ - محكمة الاستئناف الجزائية : وتتشكل من رئيس واربعة اعضاء .

٥ - محكمة الحقوق البدائية : وتتألف من رئيس وعضوين دائمين وعضو ثالث احتياطي .

٦ - محكمة الجزاء البدائية : وتتألف من رئيس وعضوين دائمين وعضو ثالث احتياطي .

٧ - دائرة مدعي عام الاستئناف : وتضم مدعياً عاماً وكتائباً واحداً .

٨ - دائرة معاونية مدعي عام البداء : وتتألف من معاون مدعي عام وكتائب واحد .

٩ - دائرة قلم الاستئناف : وتتشكل من رئيس كتاب واربعة كتبة ضبط وعضو احتياطي واحد .

١٠ - دائرة قلم البداء : وتتألف من رئيس كتاب وثلاثة من كتاب الضبط .

١١ - دائرة التحقيق : وتضم محقق اول ومحقق ثان .

١٢ - دائرة الاجراء : وتقتصر على مأمور اجراء واحد^(١٦٦) .

وكانت احكام محاكم البداء في مدينة الموصل وفي الألوية والأقضية التابعة لولاية الموصل تستأنف لدى محكمة استئناف الموصل . اما القضايا الجنائية فكانت تحسم من قبل محكمة الاستئناف الجزائية باعتبارها محكمة جنائيات ، وتميز احكامها لدى محكمة التمييز العليا في استانبول^(١٦٧) .

ولت السلطات العثمانية قدراً آخر من الاهتمام باصلاح المحاكم والقضاء عقب اعادة اعلان الدستور في عام ١٩٠٨ . وكان في مقدمة تلك الاصلاحات اصدار قانون انتخاب وتعيين المحاكم الذي استبدلت بموجبه طريقة انتخاب اعضاء المحاكم بطريقة التعيين . واشترط القانون على من يرغب التعيين في السلك القضائي ان يكون حاصلاً على شهادة كلية الحقوق وان يمتاز بالكفاءة وحسن السيرة . واستغني عن خدمات الموظفين القدماء واحل محلهم عناصر مثقفة كما خصصت رواتب مجزية لرؤساء المحاكم واعضاؤها^(١٦٨) .

وتجدر الاشارة في هذا الصدد الى أن تأسيس

مدرسة للحقوق في مدينة بغداد كان في الأول من ايلول سنة ١٩٠٨ (١٦٩)

اما عن تأثيرات تلك الاصلاحات على الأجهزة القضائية في الموصل فقد تمثلت في كثير من المظاهر كان من بينها تعيين اشخاص ممن عرفوا بكفاءتهم ونزاهتهم على رأس المحاكم كما هو الحال مثلاً بالنسبة لرئيس محكمة استئناف الموصل فائق بك الذي حظي بتقدير كبير من لدن اهالي الموصل. كذلك كان من مظاهر تلك الاصلاحات ان اصبح تعيين اعضاء المحاكم المدنية على اختلاف درجاتها مقصوراً على اولئك الذين يحملون شهادة كلية الحقوق ومن مارسوا مهنة القضاء والحاماة فترة طويلة من الزمن. (١٧٠)

واجريت تغييرات طفيفة على ملاك المحاكم في الموصل في عام ١٩١٢م (١٣٣٠هـ) شملت دمج محكمتي الاستئناف الجزائية، والاستئناف الحقوقية في محكمة واحدة باسم محكمة الاستئناف التي غدت تتألف من رئيس واربعة اعضاء دائمين وعضوين احتياط ورئيس كتاب وسبعة كتاب. وأُتي على لجنة العدلية الا ان رئاستها انيطت برئيس محكمة الاستئناف وقلص عدد اعضائها بحيث اصبحت تتشكل من رئيس محكمة الحقوق البدائية ورئيس محكمة الجزاء البدائية ومدعي عام المركز ومدعي عام الاستئناف ورئيس كتاب للاستئناف. كذلك دمج دائرة مدعي عام الاستئناف مع دائرة معاونية مدعي عام البداءة في دائرة واحدة باسم دائرة مدعي عام المركز والتي اصبحت تتألف من مدعي عام المركز وكاتب واحد (١٧١).

اما في الاقضية التابعة لمركز ولاية الموصل فقد اتسع ملاك المحاكم فيها في عام ١٩١٢ واصبح يضم كما هو الحال في اقضية عقرة ودهوك والعمادية وزاخو محكمتين الاولى وهي المحكمة الشرعية وتضم في العادة القاضي ورئيس كتاب وكاتبين، اما الثانية فهي محكمة البداءة وتتألف عادة من رئيس وهو

رئيس المحكمة الشرعية نفسه، ورئيس كتاب ومن كاتب او كاتبين علاوة على محقق في بعض الاحيان او معاون محقق في احيان اخرى. كما استحدثت محكمة جديدة في قضاء سنجار وهي المحكمة الشرعية وكانت تتشكل من قاضي وكاتب واحد. (١٧٢)

وفي ١١ نيسان ١٩١٢ اصدر البرلمان العثماني قانون الدعاوى الصلحية تسهلاً لحسم القضايا الحقوقية البدائية البسيطة، وعلى اثر هذا تأسست محكمة صلح في الموصل وكانت تتألف من حاكم واحد يطلق عليه اسم (رئيس محكمة الصلح) واستمرت هذه المحكمة حتى الاحتلال البريطاني للموصل في ١٠ تشرين الثاني عام ١٩١٨ (١٧٣).

وقد يكون من المفيد ان نشير الى ان الممثلين العرب الذين عقدوا مؤتمراً في باريس بين ١٨-٢٣ حزيران ١٩١٣ والذي اتفقوا فيه على مطالبة الحكومة العثمانية باجراء سلسلة من الاصلاحات في الاقطار العربية، كانوا قد طالبوا بان تتولى السلطات المحلية في الولايات العربية تعيين كل الموظفين في هذه الولايات، باستثناء الحكام والموظفين العدليين والذين كانوا يعينون من قبل العاصمة وبارادة سنه (١٧٤).

وبرغم كل تلك القوانين والتعليقات وبرغم وجود عدد من رؤساء المحاكم الذين حظوا بتقدير كبير من لدن اهالي الموصل، فان ذلك لم يمنع من وجود بعض المساوئ في الجهاز القضائي في الموصل. منها اساءة بعض منتسبي الجهاز القضائي استخدام سلطاتهم، واستعمال اللغة التركية في المحاكم بدلاً من اللغة العربية، وعدم دفع مرتبات القضاة بانتظام. (١٧٥)

الهوامش :

- (١) كان المذهب الحنفي مذهباً رسمياً للدولة العثمانية.
- (٢) علي شاكور علي، تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٧٥٠م دراسة في احواله السياسية، ط١، (الموصل: المجلد الثامن)

العربية، مجلة الإدارة، (الرياض) العدد ٤، السنة الثالثة، ١٩٨٣، ص ٧٠.

(١٩) عاد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني في فترة الحكم المحلي ١٧٢٦-١٨٣٤، (التحقيق: الأشراف: ١٩٧٥)، ص ٢٥٥. ويُجهد الإشارة الى مذكره مصدر من ان قاضي الموصل الذي اشترك في وفد المفاوضات مع نادرشاه عقب فشله في احتلال الموصل في عام ١٧٤٣ كان من بلاد الروم. انظر ياسين بن خيرالله الخطيب العمري، منية الادباء في تاريخ الموصل الحدياء، تحقيق سعيد الديوبجي، (الموصل: ١٩٥٥)، ص ١٨٢.

(٢٠) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢٥٦.

(٢١) احمد محمد اختار، تاريخ علماء الموصل، ج ١، ط ٢، (الموصل: ١٩٨٤) ص ٦٨، ج ٢، ص ٥٦.

(٢٢) ياسين بن خيرالله العمري، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، تحقيق عاد عبدالسلام رؤوف، (التحقيق: الأشراف: ١٩٧٤)، ص ١٦، ياسين بن خيرالله العمري الخطيب الموصل، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، (بغداد: ١٩٦٨)، ص ٣٤٠.

(٢٣) سعيد الديوبجي، مدارس الموصل في العهد العثماني، القسم الثاني، مجلة سومر، المجلد ١٩، ١٩٦٦، ص ٦١.

(٢٤) محمد امين بن خيرالله الخطيب العمري، مثل الاولياء وشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدياء، ج ١ تحقيق سعيد الديوبجي، (الموصل: ١٩٦٧)، ص ٢٢٤.

(٢٥) ياسين بن خير الله الموصل، المصدر السابق، ص ١٣.

(٢٦) سعيد الديوبجي، و مدارس الموصل في العهد العثماني، مجلة سومر، مجلد ١٨، (١٩٦٢)، ص ٩٤.

(٢٧) أحمد الصوفي، تاريخ حاكم الموصل، (الموصل: ١٩٤٩)، ص ٥.

(٢٨) Gibb & Bowen, Op.cit. Vol. one, Part II, p.132.

(٢٩) كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الاسلامية (٣) الاثران العثمانيون وحضارتهم، نقله الى العربية نبيه امين فارس ومترجم البليكي، ط ١، (بيروت: ١٩٤٩)، ص ١٠١.

(٣٠) Gibb & Bowen, Op.cit. Vol. one, Part II, p.125.

(٣١) عبدالودود يوسف، «سجلات المحاكم الشرعية كمصدر أساسي لتأريخ العرب في العصر العثماني» المجلة التاريخية المصرية، مجلد ١٩، ١٩٧٢، ص ٣٣٤.

(٣٢) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢٥٥.

(٣٣) غرابية، المصدر السابق، ص ٨٢.

(٣٤) الصوفي، المصدر السابق، ص ٥.

(٣٥) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢٥٩.

(٣٦) هاملتون جب وهارولد بلون، المجتمع الاسلامي والغرب، ج ٢، ترجمة احمد عبدالرحيم مصطفى، (مصر: ١٩٧١)، ص ٧.

(٣٧) غرابية، المصدر السابق، ص ٨١.

(٣٨) يوسف، المصدر السابق، ص ٣٣٠.

(٣٩) Gibb & Bowen, Op.cit. Vol. one, Part II, p. 125.

(٣) Wayne S. Vucinich, The Ottoman Empire Its Record and Legacy, (Princeton:1965), p.38.

(٤) H.A.R. Gibb and Harold Bowen, Islamic Society and the West, Vol. one, Part II, (London:1965), p.123.

(٥) المولوية: وهي مشتقة من كلمة ملا العربية وقد أطلقها العثمانيون على بعض الدرجات القضائية العالية والتي يلقب قضاها بـ (ملا) او (ملا) ويدخل في عدادها قضاة الايالات (الولايات) وقضاة السناجق ويتقاضون أجوراً يومية مقطوعة مقدارها (٥٠٠) اقجة. انظر خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٦٣٨-١٧٥٠، رسالة ماجستير غير منشورة (جامعة بغداد: ١٩٧٥) ص ٢١٦ هامش ٣. ويُجهد الإشارة الى ان الـ (اقجة) هي عملة فضية استمر تداولها حتى النصف الأول من القرن السابع عشر وكانت تن في البداية ربع مقال ثم اخذ وزنها يتناقص تدريجياً بحيث أصبحت في القرن السابع عشر لتزيد عن $\frac{1}{4}$ أو $\frac{1}{2}$ وزنها الأصلي. المصدر نفسه ص ٤٣٨، ٤٣٩.

(٦) مراد، المصدر السابق، ص ٣٣٢. ومراحل الخارج والدخول هي مراحل دراسية يمر بها الشخص الذي يطمع في الحصول على منصب قضائي او ممارسة التدريس في مدارس العاصمة العثمانية استانبول. ومنذ عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) انتظمت تلك المراحل بصورة نهائية واصبح عددها (١٢) مرحلة وكانت كالآتي ١- ابتدا خارج ٢- حركة خارج ٣- ابتدا داخل، ٤- حركة داخل... (١٢) دار الحديث انظر:

Gibb & Bowen, Op. cit., Vol. one Part II, p. 146 and note in the same page.

(٧) كان قاضي عسكر الأناضول مسؤولاً عن المناطق الآسيوية اضافة الى مصر انظر:

Vucinich, Op.cit., p.38. Gibb & Bowen, Op. cit. Vol. one, part II, p.122.

(٨) مراد، المصدر السابق، ص ٢٢٣.

(٩) المصدر نفسه، ص ٢٢٥.

(١٠) المصدر نفسه، ص ٢٢٤.

(١١) المصدر والصفحة نفسها.

(١٢) المصدر نفسه، ص ٢٢٣-٢٢٤.

(١٣) عبدالكريم محمود غرابية، مقدمة تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨، ج ١، (دمشق: ١٩٦٠)، ص ٨٤.

(١٤) ليلى الصباغ، المجتمع العربي السوري في مطلع العهد العثماني (دمشق: ١٩٧٣)، ص ١٢٧.

(١٥) مراد، المصدر السابق، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(١٦) غرابية، المصدر السابق، ص ٨٠.

(١٧) يوسف عز الدين، داود باشا ونهاية المالك في العراق، ط ٢، (بغداد: ١٩٧٦)، ص ٢٠.

(١٨) الفصفاي احمد المرعي، الدولة العثمانية والولايات

- (٤٠) الصوفي، المصدر السابق، ص ٥.
- (٤١) مراد، المصدر السابق، ص ٢٣٦.
- (٤٢) المصدر نفسه، ص ٢٣٥.
- (٤٣) التيارات: نوع من أنواع الاقطاعات وتتراوح ايراداته بين (٢٠٠٠) الى (١٩,٩٩٩) اقة.
- (٤٤) مراد، المصدر السابق، ص ٢٣٥.
- (٤٥) أحمد عبد الرحمن مصطفى، في اصول التاريخ العثماني، ط ١، (بيروت: ١٩٨٢) ص ١٩١.
- (٤٦) الصباغ، المصدر السابق، ص ١٢٦.
- (٤٧) Vucinich, Op.cit., p.39.
- (٤٨) مراد، المصدر السابق، ص ٢٣٧.
- (٤٩) سليمان صائغ، تاريخ الموصل، ج ١، (بيروت: ١٩٢٨)، ص ٢٧٧.
- (٥٠) ياسين بن خير الله الخطيب العمري، مئة الادياء، ص ١٨٢.
- (٥١) دوشينكو لازار، الموصل في الجبل الثامن عشر حسب مذكرات دوشينكو لازار، عربا عن النص الايطالي القس روفائيل بيدوايد، (الموصل: ١٩٥١)، ص ٤٦.
- (٥٢) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢٥٨.
- (٥٣) مراد، المصدر السابق، ص ٢٥٠.
- (٥٤) Gibb & Bowen, Op.cit., Vol.one, Part II, 124.
- (٥٥) غراية، المصدر السابق، ص ٨٢.
- (٥٦) الصوفي، المصدر السابق، ص ٥.
- (٥٧) غراية، المصدر السابق، ص ٨٢.
- (٥٨) مراد، المصدر السابق، ص ٢٥٠.
- (٥٩) الكسندر اداموف، ولاية البصرة في ماضيها وحاضرها، ترجمة د. هاشم صالح الكرنتي، ج ١، ط ١، (البصرة: ١٩٨٢)، ص ٨٤.
- (٦٠) الصوفي، المصدر السابق، ص ٥.
- (٦١) Gibb & Bowen, Op.cit., Vol.one, Part II, p.131-132.
- (٦٢) غراية، المصدر السابق، ص ٨٤.
- (٦٣) جب ويون، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦.
- (٦٤) مراد، المصدر السابق، ص ٢٥٢، هامش ١.
- (٦٥) جب ويون، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٦-٣٧.
- (٦٦) مراد، المصدر السابق، ص ٢٥٤-٢٥٩.
- (٦٧) المصدر نفسه، ص ٢٦٤.
- (٦٨) المصدر نفسه، ص ٢٦٧.
- (٦٩) المصدر نفسه، ص ٢٦٨.
- (٧٠) الصوباني رئيس للشرطة في وقت السلم وقائد وحدة عسكرية وقت الحرب.
- (٧١) جب ويون، المصدر السابق، ج ١، ص ٢١٩، علي، المصدر السابق، ص ٢٧-٢٨.
- (٧٢) كانت الحكومة العثمانية قد بعثت على سبيل المثال بفرمان الى بغداد في عام ١٦٨٣ حددت بموجب رسم الاحتساب على كل المواد والسلع للتفاصيل انظر: بقوق سركيس، مباحث عراقية، ق ٢ (بغداد ١٩٥٥) ص ٢٤٥-٢٥١.
- (٧٣) جب ويون، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٠.
- (٧٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥-١٦.
- (٧٥) بيردي موصل، الحياة في العراق منذ قرن ١٨١٤-١٩١٤
- ترجمة اكرم فاضل، (بغداد: ١٩٦٨)، ص ٨٧-٨٨.
- (٧٦) علي الوردی، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، ج ٣ (بغداد: ١٩٧٢) ص ٥٠.
- (٧٧) الصوفي، المصدر السابق، ص ٦.
- (٧٨) احمد الصوفي، خطط الموصل، ج ٢، (الموصل: ١٩٥٣)، ص ٣١.
- (٧٩) الديوبجي، المصدر السابق، مجلد ١٨، ص ٨٣، ٩٤.
- (٨٠) مراد، المصدر السابق، ص ٢٢١، ٢٢٣.
- (٨١) محمد أمين العمري، المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٣.
- (٨٢) مراد، المصدر السابق، ص ٢٤٠-٢٤١.
- (٨٣) محمد أمين العمري، المصدر السابق، ج ١، ص ١٤٣.
- (٨٤) مراد، المصدر السابق، ص ٢٤٢-٢٤٣.
- (٨٥) المصدر نفسه، ص ٢٤٣.
- (٨٦) المصدر نفسه، ص ٢٤٣.
- (٨٧) المصدر والصفحة نفسها.
- (٨٨) احمد جودت باشا، تاريخ جودت باشا، ترجمة عبد القادر الدنا، (بيروت: ١٣٠٨ هـ)، ج ١، ص ١٢٧.
- (٨٩) مراد، المصدر السابق، ص ٢٤٦-٢٤٧.
- (٩٠) المصدر نفسه، ص ٢٤٨-٢٤٩.
- (٩١) مراد، المصدر السابق، ص ٢٦٣.
- (٩٢) اداموف، المصدر السابق، ج ١، ص ٨٤.
- (٩٣) جب ويون، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٠-١٣١.
- (٩٤) Gibb & Bowen, Op.cit., Vol.one, Part II, p.93.
- (٩٥) مراد، المصدر السابق، ص ٢٧٧.
- (٩٦) جب ويون، المصدر السابق، ج ٢، ص ١١٧.
- (٩٧) مراد، المصدر السابق، ص ٢٧٥-٢٧٦.
- (٩٨) Gibb & Bowen, Op.cit. Vol. one Part II, p.127.
- (٩٩) Gibb & Bowen, Op.cit., Vol. One, Part II, p. 135.
- (١٠٠) لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، (موسكو: ١٩٧١)، ص ٢٤.
- (١٠١) الصوفي، تاريخ محاكم الموصل، ص ٥.
- (١٠٢) Gibb & Bowen, Op.cit., Vol.one, Part II, p.136.
- (١٠٣) الصباغ، المصدر السابق، ص ١٢٣.
- (١٠٤) الصفصافي، المصدر السابق، ص ٧١.
- (١٠٥) Gibb & Bowen, Op.cit., Vol.one, Part II, p.136.
- (١٠٦) نبيز، رحلة نبيز الى العراق في القرن الثامن عشر، ترجمة محمود حسين الامين، (بغداد: ١٩٦٥)، ص ١١٢.
- (١٠٧) الصوفي، تاريخ محاكم الموصل، ص ٥-٦.
- (١٠٨) الصباغ، المصدر السابق، ص ١٢٢.
- (١٠٩) الصوفي، تاريخ محاكم الموصل، ص ٥.
- (١١٠) مصطفى، المصدر السابق، ص ١٩٤.
- (١١١) موصل لالائي مئالته سي، ١٣١٠ هـ، ص ١٦٠.
- (١١٢) Gibb & Bowen, Op.cit., Vol.one, Part II, p.135.

- (١٤٦) فارس، المصدر السابق، ط ١، ج ٦، (الاستانة: ١٩٩٥)، ص ١٩ - ٢٠.
- (١٤٧) كانت الحكومة العثمانية قد أمرت منذ عام ١٨٧٠ بتشكيل لجنة لاعداد مسودة مجلة الأحكام العدلية تتألف من خيرة المشيرين في الدولة العثمانية انظر الصوفي، تاريخ محاكم الموصل، ص ٢٤. وتوزعت المجلة بعد انتهاء العمل فيها على (١٦) مجلدًا اكمل (١٥) منها في عام ١٨٧٤ في حين تأخر انجاز الجزء السادس عشر حتى عام ١٨٧٨ انظر:
- Karal, Op.cit., s.173.
- Vucinich, p.40. (١٤٨)
- (١٤٩) ستيفن همسلي لونكرينك، العراق الحديث من سنة ١٩٠٠ الى سنة ١٩٥٠، ج ١، ترجمة سليم طه التكريتي، ط ١، (بغداد: ١٩٨٨)، ص ٦٩ هامش ١.
- (١٥٠) الصوفي، تاريخ محاكم الموصل، ص ٢٥.
- (١٥١) الزوراء، ع ٨٥٣، ١ رمضان ١٢٩٦ وتجدر الإشارة الى التغيير الذي حدث في الموصل في عام ١٨٧٩ حينما أصبحت مركزاً لولاية قائمة بذاتها انظر البرت م. متشاشفيلي، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم صالح التكريتي، (بغداد: ١٩٧٨)، ص ٨٧ وينبغي التنويه ايضاً بأن منصب المفتش العدلي لم يستمر طويلاً اذ مالبثت السلطات العثمانية ان الغته في عام ١٨٨٦ (شعبان ١٣٠٣ هـ) انظر الزوراء، ع ١٢٦٧، ٢٣ شعبان ١٣٠٣ وأعيد المنصب مرة اخرى في عام ١٩٠٧ انظر موصل ولايتي سالنامه سي ١٣٢٥ هـ، ص ١٥٤.
- (١٥٢) الزوراء، ع ٨١٩، ٣ ربيع الآخر ١٢٩٦.
- (١٥٣) عباس الغراوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٨ (بغداد: ١٩٥٦)، ص ٤٦.
- (١٥٤) اداموف، المصدر السابق، ج ١، ص ٨٢ - ٨٣.
- (١٥٥) الصوفي، تاريخ محاكم الموصل، ص ٣٣ ذكر مصدر بأن تأسيس محكمة الاستئناف في الموصل تم عقب الانقلاب الدستوري الذي قام به الاتحاديين ضد السلطان عبد الحميد الثاني في عام ١٩٠٨ انظر متشاشفيلي، المصدر السابق، ص ٢٥.
- (١٥٦) الصوفي، تاريخ محاكم الموصل، ص ٢٥.
- (١٥٧) سليمان قبضي، في غمرة النضال، (بغداد: ١٩٥٢)، ص ٥٤.
- (١٥٨) الزوراء، ع ١٤٢١، ٧ رجب ١٣٠٧.
- (١٥٩) موصل ولايتي سالنامه سي ١٣١٠ هـ، ص ٨٤ - ٨٦.
- (١٦٠) موصل ولايتي سالنامه سي ١٣١٠ هـ، ص ١٥٦، ١٥٩، ١٦٦، ١٧٤.
- (١٦١) انظر: موصل ولايتي سالنامه سي ١٣١٢ هـ، ص ١٢٨ - ١٢٩.
- (١٦٢) الصوفي، تاريخ محاكم الموصل، ص ٣٢.
- (١٦٣) الزوراء، ع ١٨٣٨، ٢٧ جمادى الآخرة ١٣١٧.
- (١٦٤) موصل ولايتي سالنامه سي ١٣٢٥ هـ، ص ١٥٤.

- (١١٣) غراية، المصدر السابق، ص ٨٦، الصباغ، المصدر السابق، ص ١٢٢.
- Vucinich, Op.cit., p.39.
- Gibb & Bowen, Op.cit. Vol.one, Part II, p.137. (١١٤)
- Ibid, p.135. (١١٥)
- (١١٦) انظر محمد أمين العمري، منهل الأولياء، ج ١، ص ٢٢٦.
- (١١٧) انظر على سبيل المثال محمد خليل المرادي، سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، ج ٤، (القاهرة: ١٣٠١ هـ) ص ٢٣٣؛ ياسين الموسلي، غاية المرام، ص ٣٤٠.
- (١١٨) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢٦٠.
- (١١٩) الديوبجي، المصدر السابق، مجلد ١٨، ص ٧٣؛ الصوفي، تاريخ محاكم الموصل، ص ٨.
- (١٢٠) الصوفي، تاريخ محاكم الموصل، ص ٩.
- (١٢١) محمد أمين العمري، منهل الأولياء، ج ١، ص ٢٢٦.
- (١٢٢) المختار، المصدر السابق، ج ١، ص ٦٣.
- (١٢٣) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨.
- (١٢٤) الديوبجي، المصدر السابق، مجلد ١٨، ص ٧٣، ٨٧.
- (١٢٥) للاطلاع على شيء من محتويات تلك الرسالة انظر صانع، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٠ - ٢٨١.
- (١٢٦) المصدر نفسه، ج ١، ص ٢٧٩ - ٢٨١.
- (١٢٧) ياسين بن خيرالله الخطيب العمري، منية الأدياء، ص ١٨٢.
- (١٢٨) لازار، المصدر السابق، ص ٤٦.
- (١٢٩) المصدر نفسه، ص ٤٩.
- (١٣٠) المصدر نفسه، ص ٦٢.
- (١٣١) صانع، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٢؛ المرادي، المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٣١.
- Enver Ziya Karal, Osmanlı Tarihi, Cilt VII, Ankara 1956, s.164. (١٣٢)
- Vucinich, Op.cit., p.40. (١٣٣)
- (١٣٤) محمد فريد بك الهامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية (بيروت: ١٩٧٧) ص ٢٥٥ - ٢٥٦.
- Vucinich, Op.cit., p.40. (١٣٥)
- (١٣٦) عبدالعزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث، (القاهرة: ١٩٦٨) ص ٤٥.
- (١٣٧) فريد بك، المصدر السابق، ص ٢٥٨.
- (١٣٨) الصوفي، تاريخ محاكم الموصل ص ٢١.
- Vucinich, Op. Cit., p. 40
- Karal, Op.cit., s.167. (١٣٩)
- Karal, Op.cit., s.166. (١٤٠)
- (١٤١) جريدة الزوراء، ع ٢٧١، ٤ جمادى الآخرة ١٢٨٩.
- (١٤٢) الزوراء، ع ٣٤٤، ٦ ربيع الأول ١٢٩٠.
- (١٤٣) سليم فارس، كنز الرغائب في منتخبات الجواب، ط ١، ج ٥، (الاستانة: ١٢٩٤ هـ) ص ٢٦١ - ٢٦٣.
- (١٤٤) انظر الزوراء ع ٦٠٤، ٢٧ محرم ١٢٩٣.
- (١٤٥) الزوراء، ع ٦٠٢، ٢٠ محرم ١٢٩٣.

- (١٧٢) المصدر نفسه، ص ص ١٩٠، ١٩٨، ٢٠٤، ٢١٢، ٢٢٠.
- (١٧٣) انظر: ابراهيم خليل احمد وجعفر عباس حبيدي، تاريخ العراق المعاصر (الموصل: ١٩٨٩)، ص ١٥.
- (١٧٤) عبدالعزيز محمد عوض، الادارة العثمانية في ولاية سوريا ١٨٦٤-١٩١٤، مصر: ١٩٦٩، ص ٥٣.
- (١٧٥) لمزيد من التفاصيل انظر: لونكرليك، المصدر السابق، ج ١، ص ٧٠. دبليو. اي. ويكرام، اذكار. تي. اي. ويكرام، مهد البشرية الحياة في شرق كوردستان، ترجمة جرجيس فتح الله، (بغداد: ١٩٧١)، ص ٧٥.

- (١٦٥) الصوفي، تاريخ محاكم الموصل، ص ٣٤.
- (١٦٦) موصل ولايتي سالنامه سي، ١٣٢٥ هـ، ص ص ١٥٥-١٥٦.
- (١٦٧) الصوفي، تاريخ محاكم الموصل، ص ٦.
- (١٦٨) المصدر نفسه، ص ٣٧.
- (١٦٩) انظر: ابراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩-١٩٣٢، مطبعة جامعة البصرة، (البصرة، ١٩٨٢)، ص ٤٦.
- (١٧٠) الصوفي، تاريخ محاكم الموصل، ص ٣٧.
- (١٧١) موصل ولايتي سالنامه رجبيلستور ١٣٣٠ هـ، ص ص ١١٣، ١١٤.

التشكيلات العسكرية في الموصل

د. شكري محمود نديم

مقدمة:

المانية لدراسة وضع القوات المسلحة العثمانية، وتقديم المقترحات حول رفع كفاءتها القتالية. ويبدو أثر هذه الهيئة واضحاً عند دراسة توزيع القوات العثمانية في منطقة الموصل. ويتبين من سالنامه الموصل (١٣٢٥ هـ-١٩٠٧) أنه لم يكن في الموصل قطعات نظامية (وهو امر غريب) حيث كان فيها وحدات من الرديف وهي وحدات هيكلية^(١) تضم العناصر الاساسية من الضباط والمراتب وجلهم من الاحتياط المسرح من الخدمة بعد اكمال الخدمة الالزامية. وتظهر السالنامه المذكورة ان القوات المرابطة في الموصل كانت كما يلي: (٢)

الفرقة ٢٤ رديف:

ومقرها ومركز قيادتها في مدينة الموصل وهي

مؤلفة من:

اللواء ٤٧ رديفاً
مقرات هيكلية فقط
اللواء ٤٨ رديفاً

اللواء ٩٣ رديف: ويضم هذا اللواء عدداً من المراتب بملاك ناقص على ان يسد عند الطوارئ وفي حالة

حين ظهرت الموصل سنة ١٨٧٩، ولاية قائمة بذاتها، ونظمت بشكل ثلاثة لوية (سناجق) وهي: الموصل وكركوك والسليمانية، وضعت القيادة العامة العثمانية خطة التوزيع السلمي (الاعتيادي) للجيش العثماني، وبموجب اعادة التنظيم هذه، تقرر تشكيل المفتشية الرابعة، وهي بمثابة (قيادة جيش). وكان مقرها في بغداد، وتشمل صلاحياتها ولايات العراق الثلاث: بغداد والموصل والبصرة. والحقت بقيادة المفتشية الرابعة قيادات فيالق تم توزيعها. وفيما يتعلق بالبحث كانت قيادة الفيلق (١٢) في الموصل وتتبعها فرقتان وهما الفرقة (٣٥) في الموصل والفرقة (٣٦) في كركوك.

الوحدات العسكرية في الموصل خلال العهد العثماني:

شهد عهد السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩)، تقارباً عثمانياً المانياً في مجالات متعددة، وكان ابرزها الجانب العسكري. حيث استقدمت الدولة العثمانية هيئة عسكرية

اعلان النفي العام (التعبئة العامة) ويتألف من :

الفوج الاول من اللواء ٩٣ في الموصل
الفوج الثاني من اللواء ٩٣ في الموصل
الفوج الثالث من اللواء ٩٣ في الموصل
الفوج الرابع من اللواء ٩٣ في سنجار

اللواء ٩٤ رديف : ولا يختلف موقف هذا اللواء عن اللواء ٩٣ ويتألف من :

الفوج الاول من اللواء ٩٤ في بعشقة
الفوج الثاني من اللواء ٩٤ في الرشيدية
الفوج الثالث من اللواء ٩٤ في النافكر
الفوج الرابع من اللواء ٩٤ في عقرة

اللواء ٩٥ رديف : ولا يختلف هذا اللواء عن اللواءين ٩٣ و٩٤ ويتألف من :

الفوج الاول من اللواء ٩٥ في راوندوز
الفوج الثاني من اللواء ٩٥ في بردوس
الفوج الثالث من اللواء ٩٥ في الزيبار
الفوج الرابع من اللواء ٩٥ في حرير

اللواء ٩٦ رديف : ولا يختلف هذا اللواء عن اللوية الثلاثة السابقة ويتألف من

الفوج الاول من اللواء ٩٦ في دهوك
الفوج الثاني من اللواء ٩٦ في الداوودية
الفوج الثالث من اللواء ٩٦ في المعادية
الفوج الرابع من اللواء ٩٦ في زاخو

وبما يلحظ ان الوحدات العسكرية الموجودة في هذه المناطق كانت من المشاة فقط ، ولم يرد اي ذكر للخيالة او المدفعية وهي الصنوف الموجودة في تلك الفترة .

وفي السالنامة التي تلي سالنامة (١٣٢٥هـ-١٩٠٧) وهي السالنامة الخامسة الصادرة في ولاية الموصل (١٣٣٠هـ-١٩١٢) نلاحظ تغييراً كبيراً في توزيع القوات في منطقة الموصل ، حيث حلت القوات النظامية محل قوات

الرديف (٣) وهذا يكون التوزيع كما يأتي : (٤)
في مدينة الموصل : القوات النظامية- المشاة
الفيلق (١٢) : مقر قيادة الفيلق مع كامل
هيئات الاركان والدوائر والشعب الملحقة .
وكان الفيلق (١٢) مؤلفاً من الفرقتين (٣٥) و (٣٦) .

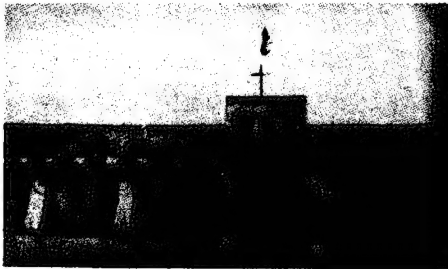
أما القطعات المرتبطة بقيادة الفيلق بصورة مباشرة فكانت على الوجه الآتي :

لواء القناصة (نيسانجي) ١٢- في مدينة الموصل
فوج هندسة الفيلق ١٢ - في مدينة الموصل
فوج نقلية الفيلق ١٢ - في مدينة الموصل
سرية المخابرة والبرق للفيلق ١٢- في مدينة الموصل
أما الفرقتان فقد كانت الفرقة (٣٦) ومقر قيادتها في كركوك والفرقة (٣٥) ومقر قيادتها في مدينة الموصل وموزعة كما يأتي :

في مدينة الموصل : مقر قيادة الفرقة مع كامل
هيئات الاركان والدوائر والشعب الملحقة .

القطعات المرتبطة مباشرة بقيادة الفرقة وكانت جميعها في مدينة الموصل وتتألف من :

فوج القناصة (٣٥)
هندسة الفرقة (٣٥)
مخابرة الفرقة (٣٥)
نقلية الفرقة (٣٥)



• القشلة العسكرية (الكنتة العسكرية).

وكانت الفرقة مؤلفة من ثلاثة ألوية مشاة وهي :

اللواء (١٠٣) ، واللواء (١٠٤) ، واللواء (١٠٥) وكان كل من هذه الألوية مؤلفاً من ثلاثة أفواج. وقد نظم الفوجان الاول والثاني منها بشكل وحدات كاملة مقاتلة ، اما الفوج الثالث (من كل لواء) فقد كان بمثابة مركز تدريب وعملك هيكلي .

الخيلة :

كانت مدينة الموصل مقرّاً للواء الخيلة (١٣) المؤلف من (٣) كتائب وهي الكتائب (٣٣) و(٣٤) و (٣٥) وكان اللواء بكامله في مدينة الموصل .

المدفعية :

كانت مدفعية الفرقة (٣٥) بكاملها في مدينة الموصل وهي مؤلفة من ٣ كتائب والكتيبة مؤلفة من ٣ بطريات (البطرية ٤-٦ مدافع) مابين مدافع ميدان (صحراء) او جبلية .

قوات الرديف :

وفضلاً عن القوات النظامية الميينة آنفاً كانت الموصل مقرّاً لفرقة من الرديف مؤلفة من ثلاثة ألوية منظمة بثلاثة افواج لكل منها ، وكان اللواء الاول منها يرباط في مدينة الموصل. اما اللواء الثاني فكانت افواجه موزعة في بعشيقه وعقرة ودهوك ، واللواء الثالث كان موزعاً بين اربيل وراوندوز .

نظرة عامة :

تطرقنا فيما سبق الى بحث القوات العسكرية الموجودة في مدينة الموصل ، وكان الهدف من ذلك بيان اهمية الموصل بالنسبة للدولة العثمانية ، فقد كانت مقرّاً لقيادة فيلق وفرقة من القوات النظامية بصنوفها المختلفة ، ولقرات عدد لا يستهان به من الألوية والكتائب والافواج . وكان معظم الضباط

والمراتب والجنود من العراقيين ومن الموصليين خاصة . ويمكن القول إن القوات الموجودة في الموصل في العهد العثماني الاخير اي قبيل الحرب العالمية الاولى ، كانت من الناحية العددية لا تقل عن اقصى عدد بلغته في عهد الحكم الوطني العراقي في الاحوال الاعتيادية . وتبرز اهمية هذه المقارنة في ضوء الموقع العسكري للموصل حيث كانت في العهد العثماني بعيدة عن الحدود ، وكل ما يحيط بها شمالاً وجنوباً وغرباً وشرقاً بلاد عثمانية بخلاف ما اصبحت عليه بعد تأسيس الدولة العراقية الحديثة .

الحرب العالمية الاولى وجلاء العثمانيين :

لم تكن الموصل كما هو معلوم قريبة الى جبهات القتال في الحرب العالمية الاولى (١٩١٤-١٩١٨) ، وحيث كان القتال منذ نشوب الحرب في ٦ تشرين الثاني ١٩١٤ يدور بين البريطانيين والعثمانيين في جنوبي العراق ، وقد مضى ٣ سنوات منها جنوب بغداد التي دخلها البريطانيون في ١١ آذار ١٩١٧ ، وتوقف الزحف البريطاني شمالاً في مدينة سامراء الى اواخر سنة ١٩١٧ . فالبريطانيون بالرغم من تفوقهم الساحق وعلمهم بضعف القوات العثمانية ، وعدم قدرتها على الصمود امامهم فأنهن لم يزحفوا نحو الموصل التي كان بوسعهم دخولها خلال سنة ١٩١٧ . ولعل لذلك علاقة بمعاهدة سايبكس - بيكو (١٦ ميس ١٩١٦) التي أعطت جزءاً من ولاية الموصل للفرنسيين وأخيراً شرع البريطانيون بالزحف شمالاً عندما اصبحت الحرب وشيكة الانتهاء ، وفي هذه الفترة كانت مدينة الموصل قاعدة إدارية للقوات العثمانية . وموقعاً لاعادة تنظيم هذه القوات المنهكة والمضعفة التي كانت تعاني الجوع والنقص في العدد والعدد . وقد أصدرت القيادة البريطانية أوامرها الى قواتها في العراق يوم ٢ تشرين الاول ١٩١٨ بالتقدم شمالاً نحو الموصل .

اعادت القيادة العثمانية تنظيم قواتها وعينت خليل باشا قائد الجيش السادس قائداً للقوات العثمانية في قفقاسيا التي دخلتها بعد اعلان الثورة البلشفية في روسيا (تشرين الاول ١٩١٧). وتسلم القيادة في العراق بدلاً منه علي احسان باشا. (٥٠) وفتح مقره في الموصل في ١ أيلول ١٩١٨ وقد حشد كل القوة المتيسرة لديه وهي حوالي (٤٠٠٠) مقاتل و(٥٠) مدفعا في موضع الفتحة.

دارت المعارك الاخيرة في الحرب والمعروفة في التاريخ العسكري باسم معارك (الفتحة والجزفاف) في الفترة (١٨-٣٠ تشرين الاول) وانتهت بالقضاء على القوات العثمانية التي كانت تجابه قوات تتفوق عليها بثلاثة اضعاف في العدة والعدد وتدعمها الطائرات والدروع وفي خلال فترة القتال هذه بدأت مفاوضات الهدنة بين بريطانيا والدولة العثمانية في ٢٠ تشرين الاول ١٩١٨ وقد كانت اوامر علي احسان الى قائد الجبهة صريحة بمحاولة تأخير زحف البريطانيين الى اطول ما يمكن، بغية منعهم من كسب الاراضي قبل عقد الهدنة. اما البريطانيون فقد وطدوا العزم على الزحف شمالاً بأقصى سرعة ودخول الموصل قبل اعلان الهدنة وعلى الرغم من ان البريطانيين قد نجحوا في القضاء على القوات العثمانية بعد تطويقها وأسرها، فانهم لم ينجحوا في الوصول الى الموصل. ويمكن القول ان علي احسان باشا قد فشل فشلاً عسكرياً كبيراً مقابل نجاحه السياسي الذي لم يتمتع به طويلاً، فقد ضحى بقواته الميدانية في سبيل الاحتفاظ بالموصل والتي لم يتمكن من الاحتفاظ بها كذلك، فقد تلقى يوم ٣١ تشرين الاول ١٩١٨ نبأ عقد الهدنة والامر بايقاف القتال من القيادة العامة التركية. وكانت القوات البريطانية على الخط العام (خانقين - كفري - كركوك - القيارة - عنه). واستمر البريطانيون في زحفهم شمالاً، برغم عقد الهدنة، فوصلت قطعاتهم السبيرة المؤلفة من المدرعات والخيالة حمام

الليل يوم ١ تشرين الثاني وتوقفت فيها. وامتنع علي احسان عن اخلاء الموصل على الرغم من انهيار الامبراطورية العثمانية، الا ان القائد البريطاني الجنرال مارشال وجه له انذاراً بوجوب اخلاء ولاية الموصل كلها بين ٨ تشرين الثاني و١٥ منه فاضطر علي احسان للرضوخ وفي ١٠ تشرين الثاني ١٩١٨ دخلت القوات البريطانية الموصل دون قتال، كما انسحبت بقايا القطعات العثمانية من ولاية الموصل كلها نحو نصيبين وجزيرة ابن عمر. (٦)

الحكم البريطاني المباشر ١٩١٨-١٩٢١

كانت الاراضي العراقية التي دخلتها قوات الغزو الاستعمارية البريطانية تخضع لحكم عسكري مباشر واستمر هذا الحكم منذ الانزال البريطاني في الفاو في ٦ تشرين الثاني ١٩١٤. واستقر بمقياس واسع بعد احتلال البصرة في ٢٢ تشرين الثاني ١٩١٤ ومن ثم بغداد في ١١ آذار ١٩١٧. وكان الحكم يمارس في انحاء العراق المختلفة عن طريق الحكام السياسيين وهم ضباط من الجيش البريطاني يديرون شؤون الاقضية والنواحي المهمة وكان على رأسهم ضابط سياسي بريطاني هو السير برسي كوكس الذي رافق القوات البريطانية منذ شروعها في الحركات العسكرية. وباستمرار الحرب قامت القيادة البريطانية بتشكيل قوة من المجندين المحليين الذين عرفوا بأسم (الشبانة)، ومن ثم اطلق عليهم تسمية (البشي LEVIES) كانت تقوم بواجب القوة الاجرائية التنفيذية لجهاز الحكم الذي كان يدير الشؤون المدنية وذلك لتفرض القوات المسلحة البريطانية لواجباتها الاصلية.

وبعد انسحاب العثمانيين من العراق واخلاتهم لولاية الموصل، وعلان الهدنة مع الدولة العثمانية، اعادت القوات المسلحة البريطانية تنظيم قواتها وتوزيعها في العراق. وكانت القيادة العامة لها في

بغداد. كما وضعت حامية كبيرة تقدر بأكثر من فرقة في مدينة الموصل والمناطق المحيطة بها (الفرقة ١٨ الهندية والقطعات الملحق بها) وقررت القيادة البريطانية توسيع قوات (الليفي)، وزيادة قوتها العددية وتنظيمها بشكل سرايا من المشاة والخيالة ووحدة مدفعية وخدمات إدارية وبذا تطورت هذه القوة من (٤٠) مقاتلاً سنة ١٩١٥ إلى (٦٢٠٠) في سنة ١٩٢٢^(٧)، وكان هذا أقصى ما بلغته حيث تلا ذلك تقليصها والغاءها تدريجياً. ثم تبدل رجال هذه القوة من العرب فقط إلى قوة مختلطة من العرب والاكرد والآشوريين والتركمان واليزيديين، إلا أنها في آخر الأمر اقتصر على الآشوريين. ومنذ أوائل سنة ١٩١٩ كان هناك حشد من قوات الليفي هذه في مدينة الموصل والمناطق المحيطة بها. وتأسست قيادة لقوات الليفي في الموصل في البناء المعروف (بيت حميدة) قرب جامع النبي شيت ووضعت بأمرتها قوة تقدر بـ (٢٠٠٠) مقاتل.

اشتبكت قوات الاحتلال البريطاني، بما فيها القوات النظامية وقوات الليفي، في معارك متعددة مع الانتفاضات الوطنية التي قام بها الثوار العراقيون من العرب والاكرد في المناطق المحيطة بالموصل وتذكر منها المعادية وعقرة وتلعفر ومن المفيد هنا الإشارة إلى القتال الذي نشب بين الموصلين من القضاة وجنود الليفي في سوق الموصل في ٢٣ آب ١٩٢٣^(٨). وقد سقط عدد من القتلى والجرحى من الطرفين وأرغمت القيادة البريطانية على سحب الليفي إلى معسكراتهم في خارج المدينة.

الحكم الوطني: عهد الحكومة المؤقتة:

أدت الثورة العراقية المجيدة التي فجرها الأحرار في ٣٠ حزيران ١٩٢٠ إلى إرغام السلطات

البريطانية على إعادة النظر في سياستها أزاء العراق، حيث قررت العدول عن الحكم المباشر إلى حكم وطني مع الحفاظ على مصالحهم الأساسية. وتعاقبت الأمور بسرعة حيث عاد السريسي كوكس إلى العراق في ١١ تشرين الأول ١٩٢٠ وفي ٢٥ تشرين الأول أعلن عن تشكيل الحكومة المؤقتة برئاسة عبدالرحمن الكيلاني (نقيب أشراف بغداد) وناطحة وزارة الدفاع بالفرق جعفر العسكري. وفي ٦ كانون الثاني ١٩٢١ عقد الاجتماع الأول لفتح دوائر المقر العام للجيش العراقي (القيادة العامة). وفي ١ حزيران ١٩٢١ فتحت دوائر التجنيد في الانحاء المختلفة من العراق ومنها لجنة تجنيد الموصل، وكانت بعهدة المقدم الحاج أحمد سري بن صالح.

وفي ٢٨ تموز ١٩٢١ شكلت أول وحدة مقاتلة من الجيش العراقي وهي فوج المشاة الأول الذي سمي فيما بعد بـ «فوج موسى الكاظم»^(٩).

أثر مؤتمر القاهرة الذي عقد في الفترة (١٢-٢٤ آذار ١٩٢١) لرسم السياسة البريطانية الجديدة في الشرق اتخذت من خلاله قرارات عديدة تتعلق بالعراق من ضمنها إقرار النظام الملكي، وتسمية الأمير فيصل بن الحسين مرشحاً للعرش. وفيما يتعلق بالجانب العسكري تقرر خفض نفقات الاستعمار، بتأليف جيش عراقي من (١٥٠٠٠) مقاتل وتعزيز قوات الليفي ليصل تعدادها إلى (٧٠٠٠) مقاتل والاعتدال في السيطرة على المنطقة بسلاح جديد ظهر تأثيره وهو السلاح الجوي، فتقرر وضع ستة أسراب من الطائرات البريطانية في مواقع سوقية داخل العراق وسحب القوات البريطانية البرية بصورة تدريجية.

وفيما يتعلق بالموصل قررت القيادة العامة البريطانية في العراق إنشاء قاعدة جوية ونطاري الموصل وإقامة معسكر في منطقة الغزلاني لاسكان القوات المربطة في الموصل^(١٠).

عهد الحكم الملكي - فيصل الاول (١٩٢١-١٩٣٣)

قضية الموصل وتأثيرها على حركات القوات المسلحة

كانت الحكومة التركية تطالب بالموصل بشدة مستندة الى أن تقدم القوات البريطانية نحوها كان مخالفاً لاحكام الهدنة. وفي أيلول ١٩٢٤، وفي عهد وزارة ياسين الهاشمي اجتازت قوات تركية غير نظامية الحدود في قاطمي زاخو والهادية. وبسبب توتر الموقف قررت الحكومة العراقية سوق القطعات العراقية المتيسرة، وما تمّ تشكيله منها الى منطقة الموصل اعلاناً عن ارادتها في التمسك بالموصل. وتطلب الموقف استحداث قيادة عسكرية لقيادة هذه الوحدات، فصدر في ٢٨ كانون الاول ١٩٢١ امر بإنشاء (أمرية منطقة الموصل) وكان اول أمر لها العقيد الركن طه الهاشمي. وفي ٣١ تشرين الاول ١٩٢٣ صدرت ارادة ملكية بربط قيادة الجيش العراقي في لواء الموصل بالمتصرفية مؤقتاً وتعيين

الفريق جعفر العسكري قائداً ومتصرفاً في الموصل وتسليم مهام منصبه في ٤ تشرين الثاني ١٩٢٣^(١١). ويقرر ايضاً ابداع قيادة قطعات الجيش العراقي المحتشدة في الموصل الى قائد الطيران البريطاني في العراق مؤقتاً وذلك لأن القوات البريطانية كانت هي المسؤولة عن حدود العراق أزاء كل عدوان خارجي على نحو ما نصت عليه المعاهدة العراقية- البريطانية لسنة ١٩٢٢. وبعد أن استفاد البريطانيون من الضغط التركي لتحقيق مآربهم بتمديد مدة المعاهدة الى خمس وعشرين سنة وحصولهم على امتياز النفط تمت التسوية النهائية لقضية الموصل بمقتضى اتفاقية انقرة في ٥ حزيران ١٩٢٦ التي تنازلت بها تركيا عن جميع ادعاءاتها بولاية الموصل واعترفت بموجبها بعائدية هذه الولاية للعراق. وتُجمل أدناه توزيع وحدات الجيش العراقي في منطقة الموصل ما بين زاخو ومدينة الموصل في شهر تشرين الاول ١٩٢٥^(١٢):

في مدينة الموصل: أمرية المنطقة. كتيبة الهاشمي



الخيالة البطرية الجبلية الاولى.
سريتا مشاة من الفوج الثالث.
سرية النقلة الاولى. مستودع
تدريب مشاة ..

في منطقة زاخو: فوج المشاة الثالث (ناقص).
سرية حدود. رعيان من كتبية
الهاشمي وكانت هذه كلها موزعة
بفصائل وحظائر على خط
الحدود.

وكانت هذه القوة تبلغ ما يقارب ربع قوة
الجيش العراقي آنئذ. وكان تنظيم الجيش وتزايد
الوحدات يتم بأسلوب الوحدات المستقلة المرتبطة
بالمناطق او بالقر العام بصورة مباشرة، وتعمل
الوحدات الاساسية المقاتلة (المشاة، الخيالة،
المدفعية) ارقاماً متسلسلة فيقال الفوج العاشر
والكتبية الثالثة وهكذا. واستقرت خطة توزيع
الجيش في الظروف الاعتيادية في منطقة الموصل
خلال الفترة (١٩٢٦-١٩٣٦) على الوحدات
والتشكيلات الآتية (١٣).

• آمرية منطقة الموصل.

• (٣) ثلاثة افواج من المشاة.

كتبية خيالة.

• (٢) بطريتان من المدفعية الجبلية ويضاف لها
بطرية ميدان (صحراء) أحياناً .
خدمات ادارية سائدة.

لها بالمرصاد. ولم يتحقق ذلك إلا في سنة ١٩٣٥
حين شرع بتنفيذ قانون الدفاع الوطني في ١٢
حزيران ١٩٣٥ واثّر ذلك وضعت خطة جديدة
لأعادة تنظيم الجيش وتوسيعه وتشكيل مقرات
الاولوية والفرق والغاء اسلوب الوحدات المستقلة .
وفي ١٥ نيسان ١٩٣٦ (١٤) تألفت فرقتان: الاولى
(في بغداد) والثانية (في كركوك) ووضع جحفل
لواء من هذه الفرقة في الموصل. والجحفل: خليط
من الوحدات المقاتلة والفنية والادارية ويبلغ ثلث
قوة الفرقة. وعلى هذا الأساس أصبحت الموصل
مقرًا للواء المشاة السادس والوحدات الملحقة به،
مع وجود فوج حدود في زاخو وأقيمت آمرية المنطقة
في الموصل بأمرة قيادة الفرقة الثانية في كركوك.

وفي خلال هذه الفترة كانت الموصل منطقة
تتحشد وقاعدة عسكرية لعمليات قتالية قامت بها
القوات المسلحة العراقية. وكانت الوحدات المشاركة
في ذلك تعود الى معسكراتها الاعتيادية بعد الانتهاء
منها ونذكر هذه العمليات باسمائها المعروفة في
سجلات الجيش العراقي (١٥).

• حركات بارزان الاولى ١٩٣٢ .

• حركات الآتوريين عام ١٩٣٣ .

• حركات سنجار عام ١٩٣٥ .

وفي عام ١٩٣٧ تسلمت القوة الجوية العراقية
مطار الموصل وتقرر نقل السرب الاول الى الموصل
واسكانه في هذه القاعدة .

فترة الوصاية وعهد الملك فيصل الثاني

١٩٣٩ - ١٩٥٨

الحرب العراقية البريطانية ١٩٤١

شارك لواء المشاة السادس المقيم في الموصل
ومعظم ضباطه وجنوده من أهلها في حرب ١٩٤١ .
وكان له دور مجيد فيها حيث قام بالهجوم الليلي
لاسترجاع الفلوجة، وكاد ينجح لولا التفوق الجوي
المعادي الذي انزل باللواء خسائر كبيرة بالضباط

عهد الملك غازي ١٩٣٣ - ١٩٣٩

اتبع الجيش العراقي منذ تأسيسه في سنة
١٩٢١ نظام التطوع. ولما كان هذا النظام باهظ
التكاليف ولا يوفر للجيش العدد الكافي من
الاحتياط المدرب، فقد حاول المسؤولون من
المدنيين والعسكريين استبدال التطوع بنظام
الخدمة الالزامية المعتمد في الجيوش كافة. وبدأت
المحاولات من سنة ١٩٢٧، إلا أن البريطانيين كانوا

- مدرسة المشاة - تابعة لمديرية التدريب العسكري.
- سرية نقيلة حيوانات .
- سرية نقيلة آية .
- خدمات إدارية .

العهد الجمهوري (١٩٥٨-١٩٦٨)

أولت القيادة السياسية في العهد الجمهوري اهتمامها لتوسيع الجيش وإعادة تنظيمه وتجهيزه . وقد تم تشكيل الفرقة الخامسة في عام ١٩٥٨ (١٨) كما وضعت الاسس لاكمال تجهيز وتسليح الفرقة المدرعة الرابعة التي كان قد اعلن عن تشكيلها في اواخر العهد الملكي . وقد اصبحت الموصل في هذا العهد مقراً لفرقة مشاة ، وفي بعض الأحيان عند تطلب الموقف مقراً لقيادة فيلق وأضيفت ثكنات جديدة لاسكان الوحدات والتشكيلات المستحدثة نتيجة التوسع الكبير في القوات المسلحة بصنوفها كافة .

قوى الأمن الداخلي فترة السيطرة العثمانية

(١٨٣٩ - ١٩١٨)

تألف قوى الامن الداخلي في الدولة العثمانية من عنصرين هما : الشرطة (البوليس) والدرك (الجنדרمة) . والاخير هو العنصر الاجرائي المنفذ لتوجيهات العنصر الاول ، وهو بوجه عام شبيه بالجيش مع فروق في التنظيم والتسليح حيث لايملك اسلحة ثقيلة . وقد قاتلت عدة وحدات من الدرك مع الجيش العثماني في مجابهة القوات البريطانية الغازية . وهناك نوعان من وحدات الدرك وهما : الثابت الذي يرباط في مناطق معينة تكون منطقة عمله وهو من المشاة والدرك السيار ويجهز افرادة بخيل لقلعهم او ييغال ويعرف هذا القسم بالغبالة (أستر سوار) (١٩) .

١- الشرطة (البوليس)

جرت اصلاحات كبيرة في جهاز الشرطة أو

والجنود . كما كانت الموصل قاعدة ادارية للمساعدات القادمة من القيادة الفرنسية في سورية والقوة الجوية الالمانية التي شاركت في القتال الى جانب القوات العراقية (١٦) . واعقب الحرب الاحتلال البريطاني الثاني للعراق كما هو معلوم فاسترجعت القوة الجوية البريطانية مطار الموصل ، واستمرت باشغاله الى نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ . كما نشرت الألوف من جنودها في الموصل والمناطق المحيطة بها . وسرعت الجهات العراقية المسؤولة تحت الصغط البريطاني بتقليص القوات المسلحة العراقية والغاء وحدات وتشكيلات كثيرة من ضمنها لواء المشاة السادس الذي ألغي واستعويض عنه بمحفل لواء المشاة الخامس الذي تم اسكانه في الموصل مع تخصيص احد أفواجه لواجب حامية عقرة . كما ألغي فوج حدود زاخو . والغيت أمرية منطقة الموصل واستعويض عنها بأمرية موقع الموصل . وبعد اعادة التنظيم اصبح الجيش العراقي مؤلفاً من ثلاث فرق الاولى منها : في الديوانية والثانية في كركوك والثالثة في بغداد . التي نقلت فيما بعد الى بعقوبة - وقد اضيف للوحدات المرباطة في الموصل فوج هندسة الفرقة الثانية ، وتأسست فيها مدرسة المشاة (١٧) .

وفي اواخر سنة ١٩٥٨ كانت القوات المسلحة في الموصل كما يلي :

- أمرية موقع الموصل .
- لواء المشاة الخامس .
- (٣) ثلاثة افواج بضمنها فوج في عقرة .
- كتيبة مدفعية جبلية - الكتيبة الثانية - (٣) بطريات .
- كتيبة مدفعية الميدان التاسعة - آية - (٣) بطريات .
- كتيبة هندسة الفرقة الثانية .
- مستشفى الموصل العسكري .
- السرب الأول - تابع الى قيادة القوة الجوية .

(البوليس) كما كان يعرف في الدولة العثمانية لأول مرة سنة ١٩٠٠ وذلك لاعداد جهاز متخصص في اعمال التحري ومكافحة الجرائم على الوجه الصحيح. وقد وضعت هذه الأجهزة في اول الامر في المدن الكبيرة، والمراكز الادارية حيث يتكاثف السكان. أما الارياض فتركزت بمعهد الدرك، وخولت الشرطة استدعاء الدرك لمساعدتها. وأقيمت المحافر (قره غول خانه) في انحاء المدن. وقد حاولت الحكومة العثمانية إصلاح قوات الامن فوضعت سنة ١٩١٣ نظاماً جديداً لتوسيع سلطات الشرطة وتطوير انظمة عملها وقد استعانت بضباط شرطة أوربيين لتنفيذه. ويتضمن هذا النظام تقسيم الدولة العثمانية الى خمس مناطق لكل منطقة لجنة يرأسها مفتش شرطة عام^(٢٠).

ويتبين من تعليق (سبالتامة) الموصل لسنة ١٣٣٠ هـ الموافقة لسنة ١٩١٢/١٩١١ انه كان فيها:^(٢١)

- مديرية شرطة يرأسها مدير برتبة مقدم شرطة .
- هيئة شرطة يرأسها ضابط شرطة (مجلس شرطة).

• تسعة مراكز شرطة يوضع في المهمة منها مفوض (قوميسير) ومعاون مفوض ومنها مثلاً مركز (باب النبي) وكانت المراكز موزعة في السراي وباب النبي وباب الجسر وباب لكش، وتحدد السبالتامة المذكورة آنفاً عدد افراد الشرطة بـ (١٥) شرطياً في كل مركز.

٢- الدرك (الجندومة) :

لم يكن في الولايات العثمانية جهاز أمن منظم قبل فترة التنظيمات. وكانت حاميات الجيش النظامي وقوات الوالي الخاصة المعروفة بالضبطية تقوم بحفظ الامن والنظام. وفي سنة ١٩٠٣ تقرر تشكيل قوات خاصة لهذا الواجب توضع تحت السيطرة المباشرة للولاة. وقد عرفت هذه القوة بأسم

(الجندومة) حسب التسمية الفرنسية. وبذلك استبعد الجيش النظامي عن واجبات الامن الداخلي، وكان يوسع الوالي تعزيز قوات الدرك الموجودة بأمرته بقوة درك غير نظامية تجند محلياً وتدفع اجورها من الولاية وتعرف هذه بأسم (الحايتة). وقد نظم الدرك العثماني على أسس عسكرية، واعتبر صنفاً من صنوف الجيش وربط بأحدى دوائر وزارة الحرب في استانبول ويؤمن ضباط الدرك من الجيش النظامي عن طريق الانتداب^(٢٢) والاعارة. وحسب سبالتامة الموصل الاخيرة لسنة ١٩١٢/١٣٣٠ يتبين انه كان في ولاية الموصل لواء من الدرك منظم باربعة افواج وعلى الوجه الآتي^(٢٣):

١- الفوج الاول: ومقره في الموصل وسراياه موزعة كما يأتي:

- سرية في الموصل .
- سرية في العبادية .
- سرية في عقرة .
- مفزرة في زاخو .
- مفزرة في تلعفر .

ويضاف لهذه أربع سرايا من الخيالة تقيم في مدينة الموصل :

٢- الفوج الثاني: في كركوك .

٣- الفوج الثالث: في السليمانية .

٤- الفوج الرابع: بغالة (استرسوان) في الموصل . ويتنقل جنوده على البغال.

ويمكن القول إنه كان في الموصل ما يقارب (١٢٠٠) جندي من الدرك وكانت عناصر الدرك

موزعة على السناجق والأقضية والنواحي ضمن الولاية بشكل افواج وسرايا وفصائل ومفارز وبقوة تتناسب مع الموقع والواجب. ومن المعتاد ان يوفد الدرك مفارز صغيرة تكلف بمساندة الشرطة في الحفاظ على الأمن والنظام، وتعقيب المجرمين، وحماية مأموري الجباية، وحراسة بعض المواقع

والدوائر والسجون ، ولواجبات الاطفاء وحراسة
ناقلي البريد (السعاة) والاجانب.

الحكم البريطاني المباشر ١٩١٤ - ١٩٢١

بعد اسبوع من احتلال الانكليز للبصرة في ٢٢
تشرين الثاني ١٩١٤ شُرع بتأسيس جهاز شرطة
مدنية تحمل عل (البوليس) التركي وقد نظم جهاز
الشرطة الجديد هذا على غط الشرطة الهندية وحي
له بضباط شرطة متخصصين من الهند ومصر لرعاية
شؤونه وباستمرار سنوات الحرب الطويلة ١٩١٥
و ١٩١٦ و ١٩١٧ اكتسب هذا الجهاز الخبرة وتطور
بحسب توسع رقعة الاحتلال البريطاني . وبعد
احتلال بغداد في ١١ آذار ١٩١٧ قررت الحكومة
البريطانية في شهر تموز ١٩١٧ البدء بالتحول من
الادارة العسكرية الى الادارة المدنية وابدلت تسمية
منصب السريسي كوكس من (رئيس الحكام
السياسيين) الى (الحاكم المدني العام) وفي شهر
ايلول من سنة ١٩١٨ رفعت الفوارق التي كانت
موجودة بين ولايتي بغداد والبصرة . فأصبحتا وحدة
ادارية واحدة تدار من بغداد . وحين امتت القوات
البريطانية احتلال الولايات الثلاث في تشرين
الثاني ١٩١٨ ، اصبحت جميع تنظيماتها بما فيها
جهاز الشرطة خاضعة للادارة المركزية في بغداد التي
يرأسها (الحاكم المدني العام) . وكان جهاز الشرطة
يرتبط به بصورة مباشرة . وبالنسبة لولاية الموصل
ومدينة الموصل ذاتها ، كانت الامور اسهل حيث
تم تبادل السلطات دون قتال . وتولى الكولونيل
(العقيد) ليجمن الشؤون الادارية في مدينة الموصل
وهو علم بخفاياها جراء نشاطه التجسسي فيها
خلال فترة السيطرة العثمانية . وحلت الشرطة
الجديدة محل البوليس التركي واحتفظ
البريطانيون بالمناصب الكبيرة في الشرطة
وشرروا في إعداد العراقيين وتدريبهم للعمل

كافراد ومفوضين وضباط شرطة وفتحت مدرسة
الشرطة (كلية الشرطة فيما بعد) لتدريبهم (٢١) .

واستعاض البريطانيون عن الدرك (الجنودمة)
التركي بالقوات المجندة علماً (الليفي) التي سبق
التطرق اليها . ومن الغريب ان جهاز الدرك التركي
عند انتقاله الى السيطرة البريطانية في ولاية الموصل
احتفظ باسم (الجنودمة) واستمر معظم متسبيه
على العمل بأمره البريطانيون الى اواخر سنة ١٩٢٤
حيث استبدلت التسمية بالشرطة (٢٢) .

الحكم الوطني ١٩٢١ وما بعدها

أعقب توزيع الملك فيصل الاول في ٢٣ آب
١٩٢١ العمل على حلول العراقيين محل البريطانيين
بصورة تدريجية وعلى اعطاء الصبغة العراقية للأجهزة
التي تتعامل مع عامة الشعب ضمن جهاز الدولة .
وفي مقدمة هذه الاجهزة جهاز الشرطة .
فأستحدثت مديرية الشرطة العامة في وزارة
الداخلية وأنتدب الفريق نوري السعيد من منصبه
في رئاسة الاركان العراقية للقيام بتأسيس جهاز
الشرطة الجديد فسلم هذا المنصب في ١١ كانون
الثاني ١٩٢٢ (٢٣) . وأعقب ذلك تأسيس
مديريات الشرطة في الالوية (المحافظات) على ان
تقوم هذه بدورها في اقامة مراكز الشرطة في الاقضية
والتواحي وتشعبت اعمال الشرطة بمرور الزمن ،
فظهرت الاقسام المتخصصة الفنية مثل تحقيق
الأدلة الجنائية والمرور والجنسية والسفر وغيرها .
وانتشرت من العاصمة الى المحافظات وفي مقدمتها
الموصل . وبقي المفتشون والخبراء البريطانيون في
جهاز الشرطة ، الى حين دخول العراق في عصبة
الامم سنة ١٩٣٢ حين تم بعد ذلك التخلص
منهم تدريجياً .

وفيما يتعلق بالدرك كانت وجهة النظر العراقية

- (٨) المصدر نفسه، ص ٥٢.
- (٩) منح فوج المشاة الأول اسم فوج موسى الكاظم بموجب الإرادة الملكية المؤرخة في ٩ آذار ١٩٢١ (أوامر الجيش العراقي ١٩٢٢).
- (١٠) تسلم الجيش العراقي، معسكر الزلاني سنة ١٩٣٠ ومازال قائماً ويستعمل مع كثير من الإضافات والتطوير. اما المطار الذي كان يعرف بين الموصليين باسم (الطيران) فقد تسلمته القوة الجوية العراقية منذ سنة ١٩٣٧.
- (١١) جمهورية العراق، وزارة الدفاع، مديرية التطوير القتالي، تاريخ القوات العراقية المسلحة، ج١، (بغداد، ١٩٨٦)، ص ٢٢٠. ونشره لاحقاً بـ (تاريخ القوات العراقية المسلحة).
- (١٢) تاريخ القوات العراقية المسلحة، ج٢، (بغداد، ١٩٨٧)، ص ١٨٤.
- (١٣) نظام المعركة للجيش العراقي، مقبرة (ارشيف) هيئة تدوين تاريخ القوات العراقية المسلحة.
- (١٤) وزارة الدفاع (العراق)، البوويل النضي، الجيش العراقي ١٩٤٦، مطبعة الجيش، ص ٦٥.
- (١٥) المصدر نفسه، ص ٩٠.
- (١٦) الحرب العراقية - البريطانية لسنة ١٩٤١، اضطرابه وثائق. هيئة تدوين تاريخ القوات العراقية المسلحة.
- (١٧) نظام المعركة للجيش العراقي، المصدر اعلاه.
- (١٨) وزارة الدفاع (العراق)، البوويل الذهبي، الجيش العراقي ١٩٧١، مطبعة الجيش، ص ٧٢.
- (١٩) انظر: شكري محمود نديم، دراسة احوال العراق في مرحلة المشروطية الثانية ١٩٠٨-١٩١٨، رسالة دكتوراه غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة بغداد سنة ١٩٨٥ من ص ١٤٢-١٤٣.
- (٢٠) للتفاصيل انظر: ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل: دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب بجامعة بغداد، ١٩٧٥، ص ٣٤.
- (٢١) سالتامة الموصل ١٣٣٠ هـ (١٩١٢)، ص ٧٥.
- (٢٢) نديم، المصدر السابق، ص ١٤٢.
- (٢٣) سالتامة الموصل ١٣٣٠ هـ (١٩١٢)، ص ٧٦، ٧٧.
- (٢٤) نديم، المصدر السابق، ص ٢٣٨-٢٤٢.
- (٢٥) كتاب الليثي العراقي، ص ٤٧.
- (٢٦) تاريخ القوات العراقية المسلحة، ج١، ص ٢٢٠.

تختلف عن التركيبة حيث لم تشكل قوات درك في عهد الحكم الوطني، واستعيعض عن الدرك بجزء من قوات الشرطة عرف بأسم (القوة السيادية)، وهي قوة عسكرية في تدريبها وتنظيمها وترتبط بمديرية الشرطة العامة وتقوم بنفس واجبات قوات الدرك العثمانية، ومازال هذا الاسلوب متبعاً حتى يومنا هذا.

الهوامش

- (١) الميكل والميكل: تعني في المفردات العسكرية الناصر الاساسية التي يجب توافرها، والتي يمكن الارتكاز عليها عند تكامل الوحدة او التشكيل فعندما تكون القوة الكاملة المقاتلة لفوج مشاة مثلاً (٨٠٠) شخص يكون الفوج بالتنظيم الميكل (٥٠-١٠٠) شخص وهم آمر الفوج وآمري السرايا وضابط الاعاشة والمراتب والأداريين والفتنيين الضروريين. وعند القرار على اعداد هذه الوحدة للقتال بملاك حربي عند اعلان الفجر (التعبئة العامة) مثلاً، يلتحق المدعون الى الخدمة بالميكال وتكامل الوحدة. ومن الأمثلة على الوحدات الميكلية والقيادات الميكلية: وحدات الردف والاحتياط.
- (٢) سالتامة الموصل ١٣٢٥ هـ (١٩٠٧)، ص ١٢٥.
- (٣) قسمت الخدمة العسكرية الإلزامية في الدولة العثمانية الى: الخدمة النظامية ٤ سنوات. خدمة الاحتياط الأول ٢ سستان. خدمة الاحتياط الثاني (الردف) ٦ سنوات. خدمة الاحتياط الثالث (المستحفظ) ٨ سنوات. فيكون مجموع الخدمة (٢٠) سنة، يخضع لها المكلف من سن الدعوة (١٨) سنة وشرع بتطبيق هذا القانون من سنة ١٨٤٣. انظر: عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج٧، (بغداد، ١٩٥٥)، ص ٢٢٥-٢٢٩.
- (٤) سالتامة الموصل ١٣٣٠ هـ (١٩١٢)، ص ١٤٠.
- (٥) شكري محمود نديم، حرب العراق، (بغداد، ١٩٦٢)، ص ١٨١.
- (٦) المصدر نفسه، ص ١٨٢-١٨٣.
- (٧) ترجمة رسمية محدودة التوزيع لكتاب (الليثي العراقي) تأليف العقيد براون، ص ٤٥.

الحياة الاقتصادية

النظام الإقطاعي في الموصل

أ. د. عماد أحمد الجواهري

تمهيد :

الأراضي وفائدة بيت المال وفائدة المقطاع له -
تصبح أرضاً مملوكة ملكية تامة ربة وتصرفاً. غير أنه
بعد تحرير العراق وظهور الأراضي الخراجية ، وهي
عموم الأراضي التي لم توزع على المحاربين ووضعت
رقبتها بيد الدولة أو بيت المال بينما ظل التصرف فيها
لمصلحة ساكنيها^(١) ، تركز الإقطاع على الأراضي
الموات وهو في هذه الحالة يفضي أيضاً إلى الملكية
التامة للأرض (من أحياناً أرضاً مئة فهي له) حتى
وان كانت في الأصل من صنف الأراضي
الخراجية . وهكذا تظهر الميزة الأساسية للإقطاع إذ
أن صاحبه يدفع العشر مكافأة له على عمران
الأرض في حين يدفع جاره المتصرف بأرض خراجية
معمرة أصلاً ضريبة الخراج التي لا تقل عن الثلث

في أحسن الأحوال - تزيد عن النصف أحياناً وتقل
عن الخمسين (٥/٢) أحياناً - وحكم الأراضي في
الموصل سواء تلك التي فتحت عنوة أم تلك التي
صولح أهلها أم كانت فيها^(٢) حكم واحد ، هو أنها
جميعاً أراضي خراجية^(٣) .

من الثابت تاريخياً أن ظهور الأراضي الخراجية
يرتبط بإجراء اقتصادي شرعه الخليفة الراشد عمر
ابن الخطاب رضي الله عنه ، وكانت الأغراض
المنشودة من هذا الإجراء متعددة أهمها :

- ١ - المحافظة على استقرار الأوضاع الاجتماعية -
الاقتصادية في الأراضي المفتوحة .
- ٢ - إيجاد مصدر ثابت لبيت المال يحقق المنفعة
الاجتماعية للمسلمين كافة .
- ٣ - منع ظهور طبقة اجتماعية بين المسلمين منافرة

الإقطاع من النظم القديمة لحيازة الأرض
واستثمارها وفق مضمون علاقات إنتاج دالة على
تبعية حارث الأرض للمتصرف بالإقطاع^(٤) .
والجدور التاريخية لنشأة الإقطاع في الموصل تبدو
مؤجلة في القدم إذ يمكن تعقبها في نموذج الحيازة في
عهد الدولة الأشورية (الالف الثاني قبل الميلاد)
وهي من أقدم الكيانات السياسية التي اتخذت من
مدينة نينوى التاريخية مركزاً لها^(٥) . كما يمكن تعقب
ظروف أكثر تدهوراً لحارث الأرض في نموذج الحيازة
الإقطاعية الذي ساد أنحاء العراق - ومنها الموصل -
في كل من عهدي الاحتلال الأخميني (٥٣٩ -
٣٣١ ق.م)^(٦) والساساني (٢٢٤ - ٦٣٦ م)^(٧) .

وفي العهد الإسلامي عرف الإقطاع في وقت
مبكر من تأسيس الدولة العربية الإسلامية . ويمكن
رصده بوصفه أحد الإجراءات الأولى التي أضحت
فيها بعد جزءاً من مضمون النظام الاقتصادي
الإسلامي . أن الإقطاع الإسلامي خلافاً للإقطاع
القديم لم يكن شكلاً من أشكال الحيازة ، بل
نظماً لعمران الأرض يفضي النجاح فيه إلى الملكية
التامة للأرض ، وهي أهم أشكال الحيازة وأقواها
على الإطلاق^(٨) .

والأراضي المملوكة ملكاً تاماً يطلق عليها كذلك
الأراضي العشرية بمعنى أنها تدفع العشر بمثابة زكاة
مقطوعة إلى بيت المال . أن أصناف الأراضي
العشرية متعددة^(٩) . وقبل تحرير العراق كانت كل
أرض يقطعها الحاكم تحقيقاً لمنفعة اجتماعية - عمران

لتلك التي يصطلح عليها عادة «لوردات الاراضي» والتي ظهرت في اوربا.

٤ - ادامة زخم الجهاد الاسلامي باتجاه الاقاليم غير المفتوحة.

وجدير بالذكر ان اجراء الخليفة الراشد عمر بن الخطاب (رض) السالف الذكر كان مقروناً ايضاً بوصايا مشددة ومتابعة أكيدة هدفها جميعاً اعمام العدالة الالهية على الجميع سواء كانوا من المسلمين ام من غير المسلمين. ان الاشارة التاريخية المشهورة المتضمنة استدعاء عمر بن الخطاب (رض) لعماله في سواد العراق وجبله وسؤالها عن مقدار ما كان يدفعه الاهلون في العهد الساساني ومقارنة ذلك بمقدار ما يدفعه الأهليون في ظل الدولة الاسلامية وقوله المشهور لها: «انظر لانكونا حملتنا الارض مالا تطيق، أما لئن بقيت لأرامل أهل العراق لأدعهن لأحتجنن الى أحد بعدي»^(١٠). ان هذه الاشارة والاشارات الكثيرة الاخرى التي تتضمن مراعاة الظروف والاحوال عند الجباية والنظر في اساليبها واناطة مهامها بعمال مختصين وتوجيه الاشراف على ديوان الخراج الى شخصيات نزهة معروفة من القضاة تؤكد الابعاد السامية للسياسة المالية - الاقتصادية التي انتهجها المسلمون الأوائل بعد تحرير الامصار^(١١).

وبعامة اتخذ اسلوب جباية الخراج احدى طريقتين الاولى: على اساس وحدة الارض ويعرف خراجها باسم «خراج المساحة». اما الثانية: فتكون على اساس قسمة الحاصل ويعرف خراجها باسم «خراج المقاسمة». ويذكر ان الخليفة المهدي العباسي ادخل نظام المقاسمة وحدده بنصف الحاصل من الحبوب ثم رفعه بعدئذ الى ٣/٥ من الحاصل. وفي سنة (١٧٢هـ) اعاد الخليفة الرشيد العباسي (١٧٠-١٩٣هـ) الخراج الى نصف الحاصل واستمر ذلك الى آخر القرن الثاني للهجرة. وفي عهد الخليفة المأمون (١٩٨-٢١٨هـ) خفض الخراج الى (٥/٢) من الحاصل واستمر على هذه النسبة الى القرن الرابع الهجري. وفي النصف الثاني

من القرن الرابع الهجري ذكر ان اراضي اقليم الجبل كانت تدفع نصف الحاصل واحياناً اقل من ذلك، اما «القطائع» فإنها كانت تدفع العشر بعامه^(١٢).

اما قيمة الخراج المقدرة في ضوء الاسعار السائدة آنذاك فإن اهم الاحصائيات التي بين ايدينا عن الموصل والنواحي المجاورة لها تشير الى الارقام الآتية^(١٣).

١ - نواحي الموصل الشرقية والغربية (٦٣٠٠) ألف درهم.

٢ - النواحي الملحقه باقليم الجزيرة وتشمل على: (دبار ربيعة، بلد يعربايا، نصيبين، دارا، ماردين، كفوثوتا، تل سنجار، الخابور) (٤٦٣٥) ألف درهم.

ان هذه الارقام منسوبة الى وثائق دواوين الخراج لسنة (٢٠٤هـ) ولاتوفر احصائيات للسنوات السابقة على حد قول قدامة بن جعفر صاحب كتاب «الخراج وصناعة الكتابة» المتوفى سنة (٣٣٨هـ) فهو يؤكد على حرق دواوين الخراج في اثناء الفتنة بين الامين والمأمون. واذا صحت هذه الملاحظة فإن بالوسع تقويم هذا الحدث بوصفه ينطوي على مغزى خاص. وعلى أية حال فإن المعلومات الاحصائية هذه تثير نقطتين جديرتين بالتأمل، الاولى: دلالات التقسيم الاداري على المناطق التي تعد وحدات مستقلة في جمع الخراج ودفعه لخزانة الدولة. اما الثانية فهي قيمة تلك الايرادات الامر الذي له دلالاته على الامكانات الاقتصادية من ناحية، واحتمال وجود بعض التجاوزات من لدن الجباة والملتزمين من ناحية اخرى.

وفي غضون ذلك كان من بين العوامل التي ادت الى تظاهر دور ذوي النفوذ في الريف الاسلامي، اتباع اسلوب «الضمان» أو «الالتزام» في جباية الخراج وهو اسلوب لجأت اليه الدولة في وقت مبكر بوصفه اسلوباً بديلاً عن اسلوب الجباية المباشرة، وبخاصة عندما تكون الظروف غير مؤاتية لارسال الجباة. ومن الناحية الواقعية كان الضامن (الملتزم)

انتقلت الى هؤلاء واضرابهم من ذوي النفوذ في وقت لاحق بوصفهم «حاة» اضطر أصحاب الحقوق الاصلية الى اللجوء اليهم تخلصاً من تجاوزات العيال وجباة الخراج فانحدروا الى مجرد فلاحين بعد ان كانوا مالكيين لحق الرقبة في اراضي الاقطاعات المعمرة او مالكيين لحق الزراعة والتصرف بالاراضي الخراجية بوصفهم من السكان الاصليين^(١٦).

لقد استمر الوضع على الحال المذكورة حتى العهد البيهي (٣٢٠ - ٤٤٧ هـ) حين ظهر الاقطاع العسكري ثم ساد على انواع الحياة الاخرى في عهد لاحق. ان واقع ظهور الاقطاعات العسكرية في اواخر عصر الخلافة العباسية الذي يشير الى وقوع السلطة الحقيقية بيد الحكام والعساكر الفارسية والتركية يمثل صورة جلية لتطور دور الاقطاع من مكافأة استثمار الارض الى مكافأة الخدمات المقدمة للدولة. وبعبارة اخرى من مكافأة عملية انتاجية الى مكافأة المهام والوظائف الادارية والعسكرية التي يتضائل تأثيرها على العملية الانتاجية بطبيعة الحال. فالامراء والجنود في العصر البيهي نالوا الاقطاعات العسكرية التي كانت تتراوح بين ولايات كاملة «اقطاعاً ادارياً-عسكرياً» او بضع قرى مكافأة لخدماتهم في المؤسسات الادارية والعسكرية.

ان جهود هؤلاء لتأمين ما يترتب عليهم دفعه الى أمرائهم ادى الى توسيع هيمنتهم على حصة الفلاحين باستمرار، كما ان انصرافهم الرئيس الى جمع الاموال دفعهم الى تخريب الاقطاع بهدف رده الى الدولة ثم التعويض عنه باقطاع آخر أوفر ربحاً، في حين يجدهم على استعداد دائم للتجاوز على انماط الحياة الاخرى المجاورة لهم بما فيها الاراضي الملك التي منحت اقطاعات مكافأة لجهود احيائها بعد ان كانت ارضا موات «قطاع التملك»^(١٧).

ويلاحظ ان الاقطاع العسكري اتسع كثيراً في العهد السلجوقي (٤٤٧ - ٥٩٠ هـ) عندما واجه

الذي حل محل الدولة يتصرف وكأنه مالك الارض. وقد نجح الملتزمون فيما بعد في الاستحواذ على الارض اما اقطاعاً من خلال الدولة او شراءً بحكم قدراتهم المالية. يقول الاستاذ الدوري: ان الضمان الذي اتبع في وقت مبكر كان محدوداً في الوقت ولا تصحبه امتيازات وفي سنة (٣٠٧ هـ) اصدرت الدولة قراراً حظر منح الضمان للقادة والوزراء، غير ان هذا القرار أهمل في وقت لاحق^(١٨). وهكذا يبدو ان تظاهر امور الملتزمين توافقت مع ظروف التسلط الاجنبي.

وفي الدولة العربية الاسلامية ارتبط تطور الاقطاع من نظام لعمران الارض الى شكل من اشكال الحياة بالتجاوزات التي تعكس تغلب ذوي النفوذ ايضاً. ان شيوع «قطاع التملك» ومن ثم «قطاع الاستغلال» بنوعيه «قطاع الأرض» - منح المقطع حق زراعة الارض - و «قطاع الخراج» - منح المقطع حق التصرف بايراد الارض من ضريبة الخراج - يمثل دليلاً مفيداً في هذا التقويم^(١٩). ان التحليل المنطقي لتطورات من هذا القبيل يعني ان السلطة كانت مدفوعة بعوامل عدة لاعلاقة لها بمسألة العمران، ويأتي في مقدمتها مكافأة الخدمات التي يقدمها ذوو النفوذ حيث عمدت الى اقطاع الارض تملكاً أو تصرفاً. وهذا يعني منح حقوق لاشخاص لاعلاقة لهم بالأرض، غير أنهم بوسعهم ان يستخدموها سلطة الدولة لدعم «حقوقهم» التي تحولت واقعياً الى امتيازات «شبه اقطاعية» كما انها توسعت بمرور الزمن على حساب اصحاب الحقوق الاصلية في الاراضي الخراجية. وتوكيداً لهذه الملاحظات ذكر ان اقطاعات كثيرة اقطعت لكثير من القادة الاتراك في عهد تغلبهم على سلطة الخلافة العباسية من قبيل تلك التي اقطعت لـ «ابناخ» على القاطول او تلك التي اقطعت لـ «وصيف» في أصبهان والجلبل. وكان الوزير علي بن عيسى من بين ابرز اصحاب النفوذ الذين حصلوا على اراضي عن طريق الشراء في ديار ريعة والموصل. وجدير بالذكر ان اراضي كثيرة

نظام الملك الوزير في عهد الب ارسلان (٤٥٥-٤٦٥هـ) وابنه ملكشاه (٤٦٥-٤٨٥هـ) مشكلة تجهيز جيش قبلي كبير. وقد حلت المشكلة باعنام نمط «الاقطاع العسكري» على حساب اسلوب «الضمان» الذي لم تتخل عنه الدولة العباسية في مختلف العهود. وقد وصف احد المؤرخين المعاصرين لذلك العصر ابعاد هذا الاجراء فأشار الى تناقص ايرادات الدولة بسبب حالة الخراب التي آلت اليها احوال العمران في عهد البويهيين فكان الاجراء الجديد «محاولة ناجحة» للاصلاح: «فراى نظام الملك أن الاموال لا تحصل من البلاد لا بخلها ولا يصح منها ارتفاع لاعتلالها. فعرضها على الاجناد اقطاعاً، وجعلها لهم حاصلًا وارتفاعاً. فتوفرت دواعيمهم على عمارتها، وعادت في اقصر مدة الى احسن حالة من حليتها»^(١٨).

والمؤكد لدينا ان نمط الاقطاع الاداري الذي يميز لصاحبه منح اقطاعات صغرى ضمن الاقطاع الكبير، «واقطاع» الالتزام قد تعايش مع الاقطاع العسكري، الا ان الاقطاع الاخير أصبح اكثرها شيوعاً. وكان من النتائج الخطيرة لشيوع هذا الاقطاع هو استقراره في ايدي اصحابه وتطوره الى إقطاع وراثي مارس فيه المقطع صلاحيات واسعة مقابل الخدمة العسكرية واعداد الجند الذين كانوا في الواقع يستلمون راتباً او قطعاً من الارض ويدنون بالولاء له. وقد استقرت فكرة وراثية الاقطاع العسكري في عهد الزنكيين (٥٢١-٦٦٠هـ) والايوبيين (٥٦٩-٦٦١هـ)^(١٩).

لقد كانت الموصل جزءاً مهماً من ارضية هذه التطورات السياسية فانتشرت فيها انماط الحياة الاقطاعية الجديدة فضلاً عن انماط الحياة القديمة. كما ان هذه التطورات انعكست على شؤون «الدِيوان» الذي نيطت به مهات الاشراف على الاقطاعات. وهكذا تعددت شعب الدِيوان في ضوء تعدد انماط الحياة. وفي ايدينا اشارة مهمة الى وجود خمس شعب في «ديوان اربل» وذلك في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) في

تاريخ سابق لسقوط الدولة العربية الاسلامية^(٢٠). وتتضمن تلك الاشارة ملاحظات مهمة على فساد امور «الدِيوان» والظلم الذي كان يمارسه المشرف على شؤونه بحق السكان^(٢١).

وفي هذه الصفحات لا بد لنا من التأكيد بأن التطورات الاخيرة في الحياة تمثل صفحة من صفحات التخطيط في ادارة الاراضي وجباية الخراج. اما الابعاد الاصلاحية فإن اهميتها تتراجع باستمرار امام ضغوط التجاوزات والتغيرات التي تفرضها التطورات السياسية. وفي الموصل تبدو صورة هذا التخطيط ليس في واقع اقطاعي تتداخل فيه انماط الاقطاع الاداري والعسكري والضمان حسب، بل في الضغوط التي تفرضها التطورات السياسية أيضاً. في اشارة يرجع تاريخها الى اواخر القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) ذكر ان حاكم الموصل ابا منصور قايمز بن عبد الله اقطع بعض المدعين لصناعة الكيمياء ضياعاً بلغت ايراداتها السنوية عشرة آلاف ديناراً (لاحظ تداخل اسلوب الضمان مع الاقطاع الاداري في هذا المثال). وقد سار ذلك المدعي باهالي الموصل ممن وقعوا تحت «نفوذ الاقطاعي» سيرة قبيلة لم ينبج منها حتى العلماء ومنهم الشيخ سلمان بن يحيى البجاري الذي كان قد اقطع سابقاً بضعة فدان «اقطاع رزق» معفاة من الخراج في قريته «بجباري» الواقعة على نحو ميل الى الشرق من الموصل، لقد أجبر الشيخ المذكور على دفع خراجها مما اضطره الى الهجرة الى اربل^(٢٢). وفي اشارة اخرى يرجع تاريخها الى اوائل القرن السادس الهجري ذكر انه في عهد حكم أبي عز الدين البرسنقي علي الموصل قاتله بابكر بن ميكائيل اربل اقطاعاً عسكرياً قام الاخير بتوزيعه اقطاعات عسكرية صغيرة على اتباعه من الاجناد البابكرية وقد ادى هذا الاجراء الى حدوث اضطراب بين اهالي القرى المشمولة بالاقطاع واضطروا الى الهجرة الى قرى عدة في الموصل وبخاصة قرية «عيسى» في منطقة «حبتون» احدى نواحي الموصل (لاحظ

تداخل الاقطاع العسكري مع الاقطاع الاداري في هذا المثال^(٢٣).

لقد ظل الاقطاع العسكري وقريناه الاقطاع الاداري والضمان قائماً طوال الحقبة المضطربة اللاحقة. فقد اعتمد عليه المغول في ادارة الاراضي الخراجية (اراضي الديوان) وفي جباية الخراج. كما ظهرت في هذا العهد الاراضي «المهابونية» (السلطانية أو خاص أنحوي) على نطاق واسع حتى غدا من الصعوبة التمييز بينها وبين «اراضي الديوان»^(٢٤). واللافت للنظر ان هناك اختلافاً في المصادر حول مسألة انتقال الاقطاع بالوراثة في هذا العهد. والمرجح برأينا ان السياسة المغولية تحفظت على مسألة توريث الاقطاع^(٢٥). ومن الاحداث المهمة في هذا العهد ما أشارت اليه بعض المصادر وهو «ضمان العراق» واستيفاء خراجه «ذهباً أحمر» مما ألحق بالسكان اضراراً فادحة^(٢٦).

وقد عانت الموصل من السياسة الاقطاعية المغولية وبخاصة تعسف «صاحب الديوان». ويذكر ان الموصل شهدت انتفاضة مهمة في عهد ارغون خان (١٢٨٤ - ١٢٨٩م) الذي اهلل شكواى اهاليها ضد «امين الدولة» المشرف على «الديوان» في الموصل وهو شقيق «سعد الدولة» اليهودي المشرف على «ديوان المالك العراقية» والمشهور بانه واحد من أكثر متولي «الديوان» ظلماً وفساداً^(٢٧). وفي عهد السلطان محمود غازان (١٢٩٥ - ١٣٠٣م) بذلت محاولة لاصلاح السياسة الاقطاعية المغولية تضمنت الغاء الضرائب غير الشرعية وهي «ضرائب اقطاعية» محلية فرضها وكلاء المغول ونوابهم في الاقاليم. كما انه حاول اعمام «الاقطاع العسكري» على حساب الاقطاع الاداري والضمان بهدف منع التعدييات على الفلاحين لتقديره ان بإمكان القائد او الامير ضبط امور الجند في الاقطاع المقرر «للامير وعساكره العشرة آلاف» في حين يقوم الفلاحون بالزراعة وتأدية الخراج للاجناد. واحيراً وضع غازان سجلاً باصناف الاراضي وحاصلاتها و«ارتفاع» خراجها.

وتحفظ سجلات كل ولاية عند «صاحب الديوان» لغرض المراجعة عند حصول الشكاوى^(٢٨).

ولاشك فإن اعمام الاقطاع العسكري على حساب الاقطاع الاداري والضمان يعني ان ايرادات الخراج ستذهب مكافأة بصورة مباشرة الى العساكر نظير خدماتهم الحربية في حين ستخفض عن ايرادات الدولة من خراج الموصل سنة ٧٣٦هـ / ١٣٣٥م فبلغت (٣٢٨) ألف دينار^(٢٩). وهذه الملاحظة الاحصائية لانفيذ في بيان ما اذا كان هذا الخراج مقدراً على اساس حجم التشكيلات العسكرية المتفعة من الخراج، أم انه يعكس معدلات الخراج من الاقطاع الاداري والضمان حسب، ام جميع ما ذكر وهو الراجح برأينا.

وفي العهد الجلائري استمرت الانواع الثلاثة الرئيسية من الاقطاع قائمة وهي الاقطاع الاداري والضمان والاقطاع العسكري. وكان أكثرها شيوعاً الاقطاع العسكري وهو ما تدل عليه كلمة «اقطاع» بوصفها مرادفة لكلمة «راتب» - «السيورغال» و «التيل»^(٣٠) -، وفي الوقت نفسه لم تعد الدولة قادرة على ان تحول دون تغير صنف الارض من حيازة ملحقة بالنمط الاقطاعي العام تعكس نمط أي من الاساليب الاقطاعية المعروفة (الاداري والضمان والعسكري) الى صنف الاراضي المملوكة. وهذا يفسر الاشارات الكثيرة حول ظهور الملكيات الخاصة في اراضي عرف صنفها الاصلي بأنها أراضي خراجية. ومن اهم هذه الاشارات تلك التي ذكرت ان الخراجة مجد الدين السلامي قد تملك قرى كثيرة واملاكاً واسعة قرب الموصل: السلامة والمأخوذة والمراوذة والمناصف، وكذلك الاملاك التي انتقلت عن طريق الشراء الى بعض رجال الدين المسيحيين بالقرب من الموصل ايضاً: كرامليس وبارقدا وكفرعزي وغيرها^(٣١).

والمرجح في رأينا ان مثل هذا التغيير لم يكن مصدره المباشر أيّاً من نمط الحيازة الاقطاعية المعروفة الواسعة الانتشار (الاداري والضمان

العسكرية) بل تلك الانماط المحدودة واهمها : « ادرار بمقاصة » و « معيشة بمقاصة » وهي نماذج من الاقطاعات معفوة من الضرائب منحت لبعض الاشخاص (العلماء والشعراء والمتصوفة وغيرهم) اما ارضاً او خراجاً وهي عادة تبقى عند المستفيدين من اقطاعها يتصرفون بها كملك (٣٢).

ولما كانت الموصل في العهد الجلائري تحت نفوذ التركان « القرة قوينلو » فإن الشكل الرئيس للاقطاع كان ادارياً وان تحصيلات الخراج تزيد او تنقص في ضوء الظروف ، وهي ظروف لم تكن في صالح الجلائريين غالباً . وهكذا لم تزد تحصيلات الدولة من خراج الموصل سنة (١٣٦٣م) على (٢٠) ألف ديناراً وهذا الرقم يمثل (١٦ / ١) من تحصيلات الخراج لسنة (١٣٣٥م) في اواخر العهد المغولي (٣٣).

وفي عهد التركان القرة قوينلو والاق قوينلو ظل الاقطاع بأنماطه الثلاثة الرئيسة (الاداري والضمان والعسكري) قائماً وذلك لكونه التراث الرئيس للشرق الاسلامي في تنظيم ادارة الاراضي واستيفاء خراجها ، غير ان لدينا بعض المسوغات التي تجعلنا نعتقد ان الاقطاع العسكري قد انحصر لصالح كل من الاقطاع الاداري والضمان ، فالاضطرابات الكثيرة خلال هذين العهدين لم تسمح للجند ان يتولوا مهام ذات طابع اداري - مالي أو عمراني اقتصادي لاجل ذلك جرت العادة على اقطاع البلاد ادارياً أي على اساس «وحدة الاقليم» أو الولاية بطريقة الضمان . وجدير بالذكر ان ظروف التغيير السياسي وما كان يصاحبه من تغييرات في ارباب الاقطاع وهي تغييرات من شأنها ان تلحق الاضرار بالزراعة وال عمران ، قد استدعت اجراءات مناسبة هدفها اعادة الاطمئنان وتنشيط عمران الارض . وهكذا تكررت ظاهرة اعفاء ارباب الخراج من الضرائب المقررة لسنوات متعددة وبخاصة في المراحل الانتقالية حين تكون الاهداف السياسية مناظرة في قيمتها لاهداف الاقتصادية -

العمرانية . ان بين ايدينا ثلاثة امثلة كان اولها : بعد سيطرة الشاه محمد بن قره يوسف على بغداد سنة (١٤١١م) . اما المثال الثاني : فهو بعد سيطرة السلطان اوزون حسن على بغداد سنة (١٤٧٠م) / الاجراءات التي اتخذها كل من شاه القرة قوينلو وسطان الاق قوينلو في المثالين السابقين مشابهة لاجراء سابق قام به السلطان اويس الجلائري بعد استعادته العراق وقضائه على عصيان الخواجة مرجان في بغداد سنة (١٣٧٤م) (٣٤).

ومن المفيد ان نذكر في هذا المبحث ان «الانافة السنوية» بوصفها دليلاً على التبعية السياسية ملاحظة ترددها المصادر المحلية (٣٥) وبخاصة تلك التي عاصرت الاحداث في حقب الاضطراب وصراع القوى السياسية . وفي رأينا ان هذه «الانافة» تمثل من جانب آخر صيغة بدائية يكون كل من الاقطاع الاداري واقطاع الضمان نموذجاً أكثر تطوراً لها . وفي وقت لاحق سرعان ما تأخذ امور ادارة الارض وجباية الخراج شكلاً أكثر تنظيمياً يعكس حالة الاستقرار النسبي وتكون هناك في العادة الفرص مناسبة للتمييز بين تلك الاراضي التي يتخذ بشأنها قرار معين بوصفها «اقطاعاً ادارياً» بمنح لشخصية لها مقامها عند سلطان الدولة ، او «اقطاع ضمان» بمنح بطريقة المزايدة ، او اقطاعاً عسكرياً بمنح بمثابة راتب للامير واجناده . ان هذا التمييز يتم عادة من خلال توجيه «مؤسسة الديوان» التي لها ان تقدر اياً من الاساليب الاقطاعية اوفق من الناحيتين السياسية والعمرانية . كما يجري في بعض الاحيان وضع قواعد ثابتة يتم العمل بمقتضاها وتم المحاسبة في ضوءها عند حصول تجاوزات او شكاوى . وبرز مثل على ذلك «دستور حسن بك» (اوزون حسن) الذي يتضمن مجموعة القوانين التي شرعها السلطان المذكور حول ادارة الاراضي وجباية الخراج لتحقيق «العدل وال عمران» (٣٦).

النظام الاقطاعي العثماني في الموصل :

الفرسان الذين يجهزهم صاحب الاقطاع «التجارعي» فإن عددهم يتناسب مع ايراد الاقطاع. فالآلاف الخمسة الاولى من كل اقطاع مكافئة لخدمة صاحب الاقطاع بوصفه «سباهيا» في حين يلزم صاحب الاقطاع بتجهيز عدد من الفرسان بمعدل فارس واحد مقابل كل (٣) آلاف اقجة اضافية من ايراد الاقطاع^(١٠).

ومعروف ان فاعلية النظام الاقطاعي العثماني واكبت مرحلة قيام الدولة العثمانية واتساعها. وهذا يعني ان الفترة المثالية لدراسة النظام الاقطاعي العثماني بوصفه نظاماً جمع مزاي النظم الاقطاعية السابقة عليه هي العصر العثماني الاول الذي يمتد الى نهاية القرن السادس عشر^(١١). وعملياً فإن منتصف القرن السادس عشر يعتبر بداية لحقبة طويلة من التراجعات والانحلال. في حين رصدت اولي الملاحظات عن خلل النظام الاقطاعي (توجيه التيارات بالرشوة) في عهد السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦م) اي حوالي منتصف القرن السادس عشر. وقد تلا ذلك خلل آخر وهو اسناد التيارات الى خدمة الوزراء خلافاً للقانون في عهد السلطان مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥م) ثم بلغ الفساد ذروته فيها بعد حين اصبح باستطاعة نداء السلطان اغتصاب القرى او التيارات وتوزيعها على اتباعهم^(١٢). وقد استغرقت عملية انحلال وتفسخ النظام الاقطاعي العثماني القرنين السابع عشر والثامن عشر. وفي حوالي منتصف القرن التاسع عشر اعلنت الدولة العثمانية قرارها الخطير بالغائه^(١٣).

ان هذه الملاحظات السريعة عن النظام الاقطاعي العثماني لها اهمية كبيرة في معالجة مسألة تطبيق هذا النظام في الموصل. وهنا لابد من تسجيل الملاحظات الآتية :

١- كان للموصل تراث عريض من الممارسات الاقطاعية تتابعت وتداخلت فيها انماط الاقطاع الاداري واقطاع الضمان والاقطاع العسكري والتي ترجع اسبابها الى قلب

ويعد الاقطاع العثماني اهم التطورات في شكل الحياة الاقطاعية في العصر الحديث ، وقد اخذ العثمانيون بهذا النظام في وقت مبكر من تأسيس الدولة العثمانية متأثرين بالارثين القبلي التركي والحضاري الاسلامي والبيزنطي وهدفوا منه شأنهم شأن اسلافهم السلاجقة والمغول ومعاصروهم التركمان والمالكي الحصول على خدمات حربية يقدمها المستفيدون من الاقطاع^(١٤). ويتميز الاقطاع العثماني بانه يؤدي وظائف عديدة لاحصر لها وهذه الوظائف تتناول شؤون الادارة المحلية والمالية والاقتصاد (العمران) وتجهيز الفرسان للاغراض الحربية والامنية وتوطيد النظام والقانون والولاء السياسي والفرز الاجتماعي الطبقي او الطائفي او العشائري تبعاً لظروف الاقليم^(١٥). ويمكن القول ان العثمانيين نجحوا في احتواء مزاي الانماط الاقطاعية لاسلافهم ومعاصريهم ، كما حاولوا تجاوز نواقص وسلبات تلك الانماط الاقطاعية والاساس في ذلك ليس منفعة صاحب الاقطاع بل منفعة الدولة أولاً ، لأجله كانت الرتبة العسكرية صفة ملازمة لارباب الاقطاع في النموذج العثماني. والرتبة العسكرية تكون عادة دالة على درجة الاقطاع كما ان درجة الاقطاع تكون عادة دالة على المرتبة العسكرية لصاحبه. فالقطاع من درجة «خاص» الذي يزيد ايراده السنوي على (١٠٠) ألف اقجة مخصص للسلطين والوزراء والامراء. اما الاقطاع من درجة «زعامت» الذي يعبر عن الاقطاعات المتوسطة ويتراوح ايراده السنوي بين (٢٠) ألف و(١٠٠) ألف اقجة مخصص لقادة الجيش «الزعماء». وأخيراً فإن الاقطاع من درجة «تبار» يعبر عن الاقطاعات الصغيرة التي يقل ايرادها السنوي عن (٢٠) ألف اقجة فإنه مخصص «للسباهية» أي الفرسان^(١٦). وعلى الرغم من ان «التبار» يعبر عن ادنى درجة في نموذج الاقطاع العثماني فإنه يستخدم احياناً للدلالة على الاقطاع العثماني من مختلف الدرجات. اما

كيانات سياسية على المنطقة من ناحية وتنوع التكوينات الاجتماعية الزراعية والقبلية فيها من ناحية أخرى^(٤٤).

٢- ان النظام الاقطاعي العثماني تأسس اصلاً وسط ظروف اجتماعية واقتصادية ومكانية ملائمة. وهي ظروف القرية في الاناضول والروميللي التي تتميز بالحضور الدائم للسلطة المركزية ووفرة الامطار التي جعلت الاستقرار والزراعة ممكنة^(٤٥).

٣- ان دخول الموصل تحت الحكم العثماني في اوائل القرن السادس عشر يعني تاريخياً مرحلة بداية تداعي النظام الاقطاعي نفسه.

وهذا فإن الانطباع الأولي لا بد ان يعكس امكان تطبيق النظام الاقطاعي العثماني في الموصل. ولما كانت المهام السياسية الادارية بعداً مهماً من ابعاد النظام الاقطاعي العثماني بحكم كونها تمثل دالة مهمة على الدرجة الاقطاعية، لذا اقتضت الضرورة البحث عن الواقع الاداري للموصل منذ دخولها تحت الحكم العثماني

وللصعوبات التي تواجه البحث في هذه النقطة تحديداً فقد تحقق في هذه الدراسة التوفيق بين مذكرات مأمون بك بن بيگه بك - وهو احد الامراء الاكراد المعاصرين للاحداث - والمعلومات التي نسبها لوتكريك الى مصادره الاصلية. لقد وقعت الموصل اثناء حملة السلطان سليمان القانوني على بغداد تحت تأثير نفوذ حسين بك داسني «سنجق بك» اربيل الذي كان يتصرف «بزعامه» ديار بكر^(٤٦). وبعد انجاز السلطان لمهمته في بغداد قيل ان السلطان انعم بحكومة الموصل على «رجل مجرب من الرعايا.. من جزيرة ابن عمر». وفي سنة ١٥٣٩م ذكر ان سنان باشا الكبير تولى حكومة الموصل مدة عشرة اشهر!!^(٤٧) ويستفاد من المعلومات الوثائقية المنسوبة الى دفاتر طابو الموصل للفترة (١٥٤٤ - ١٥٤٩م) ان الموصل كانت سنة (١٥٤٩م) مركزاً لايالة مؤلفة من خمسة سناجق^(٤٨). غير ان المعلومات التي يذكرها مأمون

بك تظهر مركز الموصل هذا بوصفه قراراً مؤقتاً اتخذ بناءً على اقتراح عثمان باشا الجركسي «بكلربكي» - أمير أمراء - امانة قرة مان الأسبق تحقيقاً لخطه وضعها هذا الباشا هدفها استعادة شهرزور من السيطرة الصفوية. ولكن محاولة عثمان باشا لاستعادة شهرزور باءت بالفشل وتوفي قبل ان يدرك بغيته فاضطر السلطان الى إعادة المناطق المنقطعة من إيالة بغداد الى وضعها السابق^(٤٩). ولا يعرف على وجه الدقة: هل ان الموصل كانت جزءاً من إيالة بغداد، ام انها كانت تتمتع بوضع خاص جعل منها اهلاً لتكون مركز ايالة تضم المناطق المنقطعة والتي وصفت بأنها شكلت حوالي نصف إيالة بغداد. وقد تلا الاجراء الاخير هذا «اعطاء الموصل الى أمير الجزيرة (٩)» وذلك في سنة ١٥٥٣م^(٥٠). وعلى أية حال فالدلالات الاقطاعية لايالة الموصل المقترحة في مشروع عثمان باشا تمثل بخمسة سناجق اقطاعية هي: أسكي موصل وتكريت وزاخو وعانة وكشاف^(٥١). والمفروض في ضوء هذه التقسيمات الاقطاعية ان جزءاً مهماً من المجهود الحربي الذي قام به عثمان باشا قد اعتمد على التجهيزات الاقطاعية المحلية. والملاحظ ان «ايالة الموصل» قد استقرت في درجتها الاقطاعية الجديدة هذه منذ سنة (١٥٧٧م) ولفترة طويلة لاحقة. ويستفاد من المعلومات الوثائقية انها قسمت الى ست اقطاعات من درجة خاص و (٢٧١) اقطاعاً من الزعامات والتجارات. وان هذه الاقطاعات كانت مكلفة بتجهيز الفرسان وفقاً للصورة الآتية^(٥٢):

- سنجق الموصل (١٣٨) سباهياً
- سنجق باجوانلو (٤٣) سباهياً
- سنجق هورن (٤٠) سباهياً
- سنجق عانة (٤٠) سباهياً
- سنجق تكريت (٤٠) سباهياً
- سنجق أسكي موصل بدون تجهيز

ومع ملاحظة ان تأسيس النظام الاقطاعي العثماني في الموصل قد واكب فترة انحسار دوره

العسكري، لذا فإن بوسعنا الافتراض ان التجهيزات الاقطاعية المشار اليها آنفاً ينبغي ان ينظر اليها في ضوء الدلالات الامنية المحلية لا الحرية التقليدية. والحق فإن من الصعوبة التصور بإمكان تجهيز الفرسان الاقطاعيين طالما كانت «اوجاقات الانكشارية» قد فتحت أبوابها على مصارعها لكل شخص حيث يقترن مثل هذا الانخراط بامتيازات لم يعد يحظى بها غيرهم من العساكر العثمانية^(٥٣). ومن المفيد ان نذكر في ضوء التفسيرات الاقطاعية المشار اليها ان عدداً من اقطاعات ابالة الموصل تركت بدون تجهيز لكونها مرتبطة بشخص الاقطاعي الذي يكون في الغالب زعيماً قبلياً. وفي هذه الحالة كما في الحالة التي تسند فيها الاقطاعات الى اقطاعيين غير قبليين كان بوسع السلطان او الصدر الاعظم سحب الاقطاع عندما تكون هناك اسباب موجبة لذلك^(٥٤).

ان استيفاء موضوع الاقطاع العثماني ومظاهره الشكلية يستدعي الاشارة الى ان «الاقطاع الاداري» الذي كان سائداً في العهد السابقة والذي اصبح في العهد العثماني صيغة دالة على النقط الاقطاعي العثماني بنموذجه «الاقطاع الحربي والاقطاع الشكلي» اتجه عموماً نحو التخلي عن نموذجه الاصلي وهو «الاقطاع الحربي» الى «الاقطاع الشكلي» بالنظر للتدهور العام من ناحية والاستجابة الى ظروف المناطق النائية من ناحية ثانية. وقد تطلب الاتجاه الجديد استحضار نموذج «اقطاع الضمان» - وهو نموذج موجود في الارث الاقطاعي للمنطقة - للمساعدة في إيجاد اسس مقبولة للاتجاه الجديد^(٥٥).

ان منح الابالة «اقطاعاً ادارياً» بطريقة «الضمان القطوع» استتبع بطبيعة الحال منح السناجق والاقطاعات من صنف الزعامة والتهار بطريقة الضمان أيضاً. وتحقيقاً لدمج هذا الاتجاه الجديد بالنموذج الاقطاعي الاصلي «الاقطاع الحربي» كان يجري منح ارباب هذه الاقطاعات رتباً عسكرية تتراوح بين «الباشوية» و «البك» و

«الاعا» تبعاً لدرجة الاقطاع «خاص»، «زعامة»، «تهار» وقد عرف ملتزمو هذه الاقطاعات فيها بعد (نهاية القرن السابع عشر) باسم «ضباط المالكانات» حين استقرت الاقطاعات بمجازتهم وصارت تمنح لكل منهم مدى الحياة «مالكانة»^(٥٦). ومفهوم ان هذا الاسلوب الذي كان سائداً في العراق بخاصة اكنفى بولاء صاحب الاقطاع وتعهده بضمان الامن في منطقته وقد ادى الى اهمال التعهدات الحربية ومن ثم زوالها^(٥٧).

اما مضمون العلاقات الاقطاعية في النموذج العثماني للاقطاع فإنها تظهر في صورة عملية استغلال للفلاحين تمارسها العناصر المتصرفة بالاقطاع. ويتلخص مضمون الاستغلال الاقطاعي في حق الاقطاعيين من الزعما والسباهية جباية الضرائب من الفلاحين في الزعما والتهارات وكذلك حق المستزمين في الاقطاعات او «المالكانات» جباية الضرائب من الفلاحين أيضاً. كما تتضمن صورة الاستغلال الاقطاعي فروضاً وواجبات ورسوماً متعددة يبتزها الاقطاعيون وغالباً ما كانت تدفع طوعاً بوصفها تقاليد اقطاعية^(٥٨). وقد اشارت وثيقة عثمانية عن ولاية الموصل الى اهم هذه الفروض والواجبات وكما يأتي^(٥٩):

- ١- حق التيارجي في جزء من الحاصلات التي يساعد في نقلها الى السوق.
 - ٢- حق التيارجي في الغنم السمينه التي ترعى في التيار.
 - ٣- عقد نكاح اي شخص بوجب دفع «حق عروسية» للتيارجي.
 - ٤- حق التيارجي في جزء مما يطحن في طاحونة التيار.
 - ٥- حق التيارجي في قسم من البضائع والسلع التي تنقل عبر ارض تياره.
- ان ممارسة الاقطاعي تيارجياً كان ام ملتزماً للامتيازات الاقطاعية كانت تزيد من معاناة الفلاح وقد اضطر الفلاحون الى الرضوخ لان

محاولات الفرار او الهجرة كانت تجابه بعنف وذلك لان القوانين العثمانية التي يعود تاريخها الى عهد سليمان القانوني قد حظرت على الفلاحين الهجرة واعطت الاقطاعيين حق اجبار المهاجرين على العودة الى التيجار والزراهم بتقديم العمل المجاني لقاء اكل بطونهم^(١٠).

كان ابرز اقطاعي الموصل ينتمون الى الأسر البارزة التي مارست الحكم بمعرفة السلطات العثمانية فذكر مثلاً أن علي افندي بن مراد العمري المتوفى سنة (١٧٣٤م) تملك نصف قرى (جبل) مقلوب فضلاً عن قرى اخرى في تل اسقف ولواحقها: دير اسحق والعبة وحسن شامي وقرية برطلة ولواحقها: الجنكجي وجام كرك وقرية انج قلعة وقرية المان ونخرايك وسندانك وغيرها. وذكر ايضاً ان الاراضي الواقعة في قرى قوش منحت من قبل الباب العالي للأسرة الجليلية في حين جرى الاستحواذ على اراضي جديدة واهمها نواحي الموصل الواقعة في شرق دجلة سنة (١٧٤٧م) من قبل مراد باشا بن الحاج حسين باشا الجليلي^(١١).

إلغاء النظام الاقطاعي :

وفي القرن التاسع عشر (عهد التنظيمات العثمانية) كانت مسألة إلغاء النظام الاقطاعي من القرارات المهمة التي اتخذتها الدولة العثمانية وقد جاء قرار إلغاء النظام الاقطاعي بعد محاولات فاشلة لاصلاحه في السنوات ١٦٣٢م، ١٦٥١م، ١٧٧٧م^(١٢). وكانت سمعة هذا النظام قد ساءت كثيراً منذ ان اظهرت هزيمة الجيوش العثمانية المؤلفة من الفرسان الاقطاعيين في الحصار الثاني لقينا سنة ١٦٨٣م عجز هذه القوات وعدم فاعليتها إذ كانت محاولات الاصلاح السابقة قد واجهت المقاومة من مختلف المتنفعين^(١٣). وربطت بعض المصادر بين ثراء ونفوذ ارباب الاقطاع وبين الاجراءات الضريبية التي اتخذتها الدولة واخصها ضريبة وبدل التيجار التي هدفت اساساً لحد من نفوذ

الاقطاعيين^(١٤) وكانت الدولة قد انجهدت في القرن الثامن عشر الى منع اعادة منح الاقطاعات المنحلة الامر الذي ساعد على اعادتها الى الدولة^(١٥). وفي لائحة خط شريف كولخانة سنة (١٨٣٩م) اعترفت الدولة العثمانية صراحة بفساد اسلوب الالتزام، وقد اتخذت اجراءات لاصلاح نظام الجباية في سنة (١٨٤٠م) و (١٨٥٤م) عهدت فيها الجباية الى الخزينة بوساطة الجباة والمحصيلين الرسميين ولكنها مع ذلك لم تتخل عن الاسلوب المذكور نهائياً^(١٦).

وفي سنة (١٨٥٨م) اصدرت الدولة قانون الاراضي الجديد الذي نص على الغاء النظام الاقطاعي القديم وازعماً بد الدولة العثمانية على معظم اصناف الاراضي في البلاد العثمانية. وفي السنة التالية صدر قانون الطابو الذي اسس نظاماً لتفويض الاراضي الى طالبها مقابل بدل المثل ثم تسجيلها في سجلات خاصة هي سجلات الطابو تحقيقاً لاهداف الاصلاح المنشودة بابعادها السياسية في تثبيت السلطة المركزية للدولة وابعادها الاقتصادية في توفير ظروف العمران الزراعي وابعادها الاجتماعية في تحقيق اسباب الاستقرار وازالة عوامل الاضطراب وبخاصة بين القبائل التي ما تزال في حالة البداوة^(١٧).

تحقق شمول الموصل بمخطط الاصلاح في سنة (١٨٧١م) في عهد ولاية مدحت باشا الذي منحت الدولة صلاحيات لتطبيق اجراءاتها الاصلاحية في سنجي الموصل والبصرة المرتبطين بولاية بغداد.

ان السياسة العثمانية الجديدة في ابعادها القانونية - الاقتصادية ستعمل على تحديد أسماء المتصرفين بالأرض وتعيين حقوقهم التصرفية بدون اشتباك مع أية حقوق تصرفية اخرى مما يفسح المجال للاستثمار والعمران وفي ذلك تتحقق المنفعة للدولة وللأفراد ولعموم المجتمع.

ومفهوم ان سياسة تفويض الارض يبدل المثل

ثم تسجيلها بالطابو يعني عملياً منح المتفوضين حق الملكية الصرفة أي ان الدولة ليس لها في هذه الارض غير ضريبة العشر فقط بينما يوفر للملاكين فرصة الاستثمار بالشكل المناسب. والملاحظ ان الهدف الاصلي لسياسة التفويض لم يتحقق ذلك لأن الفلاحين كانوا غير قادرين على استيعاب دوافع الخطة الجديدة وفوائدها بل ان الكثير منهم توجسوا خيفة منها. وهكذا لم يتقدم شراء الاراضي «نفوضها» غير الوجهاء والبكوات واثرياء المدن وقد حل هؤلاء الذين صاروا يعرفون باسم «ملاكى الطابو» محل اولئك الاقطاعيين من ارباب الزعامة وأرباب الالتزام. كما استفاد العديد من الاقطاعيين القدامى من هذه الفرصة فأصبحوا جزءاً من طبقة «ملاكى الطابو» الجديدة^(٦٨).

وقد ذكرت امثلة متعددة عن سياسة التفويض في الموصل فهناك اشارة الى تفويض وجهاء الموصل لمعظم القرى المحيطة بالموصل. وقد تراوح عدد القرى المسجلة باسماء كل من هؤلاء الوجهاء بين (٣) قرى و (٥٠) قرية. وذكر ان سيطرة هؤلاء امتدت الى قرى اليزيدية في الشيخان وسنجار^(٦٩). وفي تلعفر سجل الاغوات المتنفذون فيها القرى المحيطة بالمدينة بأسمائهم ايضاً^(٧٠). وفي جنوب الموصل تم تسجيل مساحات شاسعة من الاراضي الاميرية في منطقة الشرقاط وعلى امتداد نهر دجلة حتى الموصل باسم فرحان بن صفوك رئيس قبائل شمر الجربا ومنحته الدولة لقب «باشا» من اجل ان يعمل على استتباب الأمن في منطقته ويعمل على توجيه عشائره من تقاليد الغزو الى الاستقرار والزراعة^(٧١). وفي عهد السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) سجلت مساحات شاسعة باسمه فاصبح اكبر ملاك طابو في الولاية^(٧٢).

ان الوضع القانوني لهذه الطبقة الجديدة لايسمح باطلاق مصطلح الاقطاعيين عليهم وذلك لان النظام الاقطاعي قد تم الغاؤه منذ صدور قانون الاراضي (١٨٥٨م) وتطبيقه في الموصل (١٨٧١م)، غير ان بقاء علاقات الانتاج على

وضعها القديم واحياناً تعرضها الى المزيد من التدهور في بعض المناطق جعل كثيراً ممن تصدوا لدراسة هذا الموضوع يميل الى وصف «ملاكى الطابو» بالاقطاعيين. كما ان عودة الدولة العثمانية الى تطبيق اسلوب الالتزام في الاراضي غير المفوضة من ناحية وبقاء العلاقات الابوية حتى بعد تسجيل الاراضي بالطابو، اسهم ايضاً في تقويم الواقع الجديد بوصفه واقعاً اقطاعياً.

وفي اوائل عهد الاحتلال رصدت بعض المصادر البريطانية الآثار الاقطاعية في الموصل الموروثة عن العهد العثماني فأشارت الى ظاهرة الملاكين الموصليين الغائبين وجملهم من وجهاء المدينة الذين استغلوا نظام الطابو للاحتيال على الفلاحين واغتصاب اراضيهم بتلفيق تهم القتل ضدّهم او الهونات او الوثائق المزورة او اغراقهم بالديون ومن ثم شراء اراضيهم بأثمان بخسة تصل الى ربع قيمتها. اما علاقاتهم بالفلاحين الذين يعرفون عادة باسم «المربعية» لتقاضيم حصّة تتراوح بين (١/٤) و (١٦/١) من المحصول ذلك لأن الملاك كان يمارس سلطة واسعة في تعيين الحصص وفي حالة رفض الفلاح فإن الملاك يقوم بطرده والتعاقد مع غيره. وقد ازداد نفوذ الملاكين في اواخر العهد العثماني باستخدام المكائين وبخاصة الحاصدات وبالاكتفاء على دعم السلطة المحلية التي كانوا يلتجئون اليها لتحطيم شوكة الفلاحين عند الضرورة^(٧٣).

والملاحظ ان تقاليد الفروض الاقطاعية الطوعية التي اعتادت عليها المنطقة منذ القديم حالت دون قيام وعي فلاحى بالمخاطر الناجمة عن سياسة التفويض، اما في وسط وجنوب العراق فقد كان على ملاكى الطابو اذابة العلاقات القبلية الابوية من اجل الاستئثار برقع الأرض مما لم يكن مقبولاً على الاطلاق فترجم الرؤساء الصغار الانتفاضات الفلاحية ضد الملاكين واضطرت الدولة العثمانية الى ايقاف سياسة التفويض بينما استمرت عملية تسجيل الاراضي بالطابو في ولاية

الموصل حتى زوال الحكم العثماني (٧٤).

لقد ايدت التقارير البريطانية هذه الحقيقة ، فأشارت مثلاً الى وجود «قضايا كثيرة جداً في جهات سنجار وتلعفر كانت تعرف بمحصول غش فيها عند التسجيل ويقاوم تنفيذها - اعادة النظر في هذه القضايا - بحذر في الوقت الحاضر ضحاياها انفسهم» (٧٥).

خاتمة :

ومعروف أن الادارة البريطانية التي انتقدت السياسة العثمانية تجاه مسألة الارض تعاملت معها من زاوية المصلحة البريطانية حسب ، فالبيان رقم (١٥) في ١٨ / كانون الاول / ١٩١٨ الخاص «بالاراضي الاميرية المتنازع فيها» اكد وجود حقوق تملك منحها السلطات العثمانية للملكي الطابو وبصورة غير قانونية الامر الذي كان سبباً لاثارة المشاكل مما يتطلب وضع نظام تسوية جديد. لقد اعطى هذا البيان توجيهاً للضباط البريطانيين بأن عليهم سماع تلك الدعاوى وتعيين الهيئة التي تفصل فيها (٧٦) أما البيان رقم (٥٤) الصادر سنة (١٩٢٠م) المعروف ببيان تحديد وتسجيل الاراضي فإنه قرر هدفه في اعادة فتح دائرة للطابو خاصة بالاراضي الزراعية تتولى تسجيل الاراضي بعد اجراء الاعمال اللازمة لتثبيت حدودها وحقوق التملك فيها وبعد تسوية الخلافات والمشكلات بمعرفة الضباط البريطانيين (٧٧).

وفي دراسة سابقة لكتاب هذه السطور حاول تقويم الاسس التي قامت عليها التسويات التي انجزها البريطانيون فوجد أن نتائج التسويات اعتمدت على علاقة اطراف النزاع بالانكليز فكسب اعوان الانكليز قضاياهم التي كانت معلقة فترة طويلة بينما خسر مشايعو الاتراك او المعادون للانكليز او المشكوك بولائهم حقوقهم في الاراضي مهما كانت قوة الحجج والسندات التي تؤيدهم (٧٨). وفي رأينا أن الاشارات الكثيرة التي

اثبتتها التقارير البريطانية حول عدم شرعية عملية التسجيل التي انجزت لصالح وجهاء وملكي الموصل في العهد العثماني مصدرها الرئيس موقف الموصل من الحكم البريطاني اثناء الاحتلال وبعده وليس ادل على ذلك من وجود ملاحظتين متناقضتين في تقرير واحد تؤكد الاولى على ضرورة تدقيق ظروف تسجيل الأراضي في الموصل في حين تؤكد الثانية على ان تبديد مخاوف الطبقة المتنفذة في السلبيانية تطلب عدم ارسال سجلات الطابو الى بغداد حيث تكون عرضة للتدقيق غير الملائم للوضع !! (٧٩)

وكان قيام الحكم الوطني وموقف الموصل في اثناء المشكلة التي اندلعت مع تركيا ظرفاً مناسباً لاعادة النظر في السياسة المطلوبة تجاه الوجهاء والملاكين في المدينة. وعندما اصدرت الحكومة العراقية قانوني التسوية واللزمة سنة (١٩٣٢م) وتعديلاتها تم من خلال محاكم التسوية تأكيد الشرعية القانونية للحجج القديمة العائدة للعهد العثماني وللادعاءات المستندة على التقادم في التصرف في ضوء مجموعة من الاعتبارات لعل من اهمها مراعاة ظروف النفوذ المحلي لاصحاب الحجج والادعاءات (٨٠). وقد خلقت هذه السياسة ذعراً في اوساط الفلاحين الذين استجابوا لحركات رؤسائهم الصغار من اجل مقاومة هذه السياسة. ولعل من الشواهد البارزة على هذه الحركات في الموصل انتفاضة «البومنيوت» ضد شيوخ «شمر» الذين انجزت التسوية لصالحهم (٨١).

ان من نافلة القول ان نشر اخباراً الى تعاضم شوكة هؤلاء الملاكين وتسليطهم بعد ان تعددت مواقعهم في الحكومة والبرلمان الامر الذي حمل الكثيرين على التشاؤم من إمكان تحقيق اصلاح للوضع في الريف والتي انعكست اثارها السلبية في جميع ثلثا المجتمع العراقي (٨٢). لذا لم يكن من قبيل المصادفة ان يكون «الغاء الاقطاع» وتشريع قانون «الاصلاح الزراعي» احد المبادئ

والاهداف الرئيسية للثورة التي قامت في (١٤ تموز ١٩٥٨) (٨٣).

الهوامش

- (٢٠) وبعدة الملاحظات تركها لنا عبد الدين النشائي الاربلي التوف سنة ١٩٥٦هـ وكان شغل منصب كاتب الانشاء لحاكم اربل الملك العظيم مظفر الدين كوكبري. انظر: محمد بن شاكر الكشي، عيون التواريخ، تحقيق فيصل السامرونية عبد المنعم داد (بغداد ١٩٨٠) ج ٢٠ ص ١٥٩، ١٦٢-١٦٣.
- (٢١) يعقوب وبغداد ١٩٨٠، ج ٢٠ ص ١٥٩، ١٦٢-١٦٣. عصر صاحب الملاحظات اعلاه.
- (٢٢) ابن المستوفي، شرف الدين ابو البركات، تاريخ اربل المسمى بناهة البلد الخامل بمن رده من الامائل، تحقيق سامي بن السيد خناس الصقار، (بغداد ١٩٨٠) ج ١ ص ١٦٨-١٦٩، ٥٤٩، ج ٢ ص ٢٨٣.
- (٢٣) ابن المستوفي، المصدر نفسه، ج ١ ص ٢٧٣.
- (٢٤) نوري عبد الحميد خليل العاني، العراق في العهد الجلائري. ٧٣٨-٨١٤هـ / ١٣٣٧-١٤١١م دراسة في اوضاعه الادارية والاقتصادية (بغداد ١٩٨٦) ص ١٨٧.
- (٢٥) العاني، المصدر نفسه، ص ١٨٧ وقارن مع الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص ٩٨-٩٩ حيث يذهب الى رأي مخالف اعتقاداً على «صبح الاعشى».
- (٢٦) عباس الزواوي، تاريخ الفرائب العراقية من صدر الاسلام الى آخر العهد العثماني، (بغداد ١٩٥٩) ص ٣٥.
- (٢٧) عباس الزواوي، تاريخ العراق بين احتلالين (بغداد ١٩٣٥) ج ١ ص ٣٥١.
- (٢٨) انظر:
- S.M.Haider, Land Problems of Iraq, Unpublished theisis, London Uneversity London 1942, pp. 144-150;
- العاني، المصدر السابق، ص ١٨٨.
- (٢٩) العاني، المصدر نفسه، ص ٢٢٣ اعتقاداً على المستوفي القزويني في كتابه «نزعة القلوب» وعبد الله المازندراني في كتابه «رسالة فلكية».
- (٣٠) يعبر «السيورغال» عن الصلك الذي يمنح بمقتضاه الشخص نزحياً لتحصيل راتبه مباشرة من الضرائب التي تؤدبها قرية من القرى. اما «التول» فمير عن التحصيلات نفسها. انظر: العاني، المصدر نفسه، ص ١٩٦-١٩٧.
- (٣١) المصدر نفسه، ص ١٩٠-١٩١.
- (٣٢) المصدر نفسه، ص ١٩٧-١٩٨.
- (٣٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٣.
- (٣٤) طارق الحمداني (دراسة وتحقيق)، التاريخ الغياي: الفصل الخامس من سنة ٥٦٦هـ / ١١٩١هـ / ١٢٥٨م-١٢٨٦م، مؤلفه عبد الله بن فتح الله البغدادي الغياي (بغداد ١٩٧٥) ص ٢٤٨، ٢٩١-٢٩٢، ١٦٢.
- (٣٥) انظر على سبيل المثال «كتاب التاريخ الغياي» بوصفه مصدراً غنياً بمصادر للاحداث حافلاً بمثل تلك الاشارات.
- (٣٦) الحمداني، المصدر نفسه، ص ٣٩٢.
- (٣٧) حول الاقطاع الملوكي انظر للباحث: «ملاحظات حول
- (١) للمزيد من الايضاح انظر: صلاح الدين التاهي، مقدمة في الاقطاع ونظام الاراضي في العراق، (بغداد ١٩٥٥)، ص ٥-٧.
- (٢) للمزيد من التفصيل انظر: في. أي. ياكوسون، التركيب الاجتماعي للامبراطورية الاشورية: فصل من كتاب العراق القديم دراسة تحليلية للاحوال الاقتصادية بقلم جماعة من علماء الآثار السويث، ترجمة سليم طه التكريتي، دار الحرية (بغداد ١٩٧٩) ص ٤٢٣-٤٥١.
- (٣) انظر: محمد زبدمايت، بلاد بابل في العهد الاخميني، فصل من كتاب العراق القديم، ص ٤٥٣-٤٧٥.
- (٤) انظر: آرثر كريستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة مجي الخشاب، (بيروت-) ص ٢٠٨، ٢٤٦.
- (٥) وتكون فيها رقية الارض أي الملكية القانونية او التقفية للاراض بيد صاحبها. انظر التاهي، المصدر السابق، ص ٤.
- (٦) انظر اصناف الاراضي العشرية في: أبو يوسف يعقوب بن ابراهيم، كتاب الخراج، نشره قسي عجب الدين الخطيب، ط ٥ (القاهرة ١٣٩٦هـ) ص ٧٥.
- (٧) انظر اصناف الاراضي الخراجية في: أبو يوسف، المصدر نفسه، ص ٧٥.
- (٨) قدامة بن جعفر، الخراج وصناعة الكتابة، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي، (بغداد ١٩٨١)، ص ٣٨١-٣٨٣.
- (٩) المصدر نفسه، ص ٢٠٩.
- (١٠) أبو يوسف، المصدر السابق، ص ٤٠-٤١.
- (١١) انظر نصائح أبو يوسف للخليفة هارون الرشيد. المصدر نفسه، ص ٥٢-٥٤، ٦٠-٦١.
- (١٢) عبد العزيز الدوري، تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري، ط ٢ (بيروت ١٩٧٤) ص ١٨٤-١٨٥.
- (١٣) قدامة بن جعفر، المصدر السابق، ص ١٧٥-١٧٦، ١٨٢-١٨٣.
- (١٤) الدوري، المصدر نفسه، ص ٤٣.
- (١٥) ابن جاعة الحموي، مستند الاجناد في آلات الجهاد، تحقيق اسامة ناصر التقيشدي، (بغداد ١٩٨٣) ص ١٢٩-١٣٠.
- (١٦) انظر وقارن: الدوري، المصدر السابق، ص ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٥٨.
- (١٧) عبد العزيز الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، دار الطليعة (بيروت ١٩٧٨) ص ٨٧، ٨٨.
- (١٨) الفتح بن علي الاصفهاني، (مختصر) تاريخ دولة آل سلجوق مؤلفه عماد الدين حامد الاصفهاني، (بيروت ١٩٧٨) ص ٦٠.
- (١٩) الدوري، مقدمة في التاريخ الاقتصادي العربي، ص ٥٨.

(٥٣) انظر: هملتون جب وهارولد بورن، المجتمع الاسلامي والغرب ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى، (القاهرة ١٩٧١) ج ١ ص ٢٥٢.

(٥٤) كان السباسبية يتمتعون وحدهم بحقوق وراثية في اقطاعاتهم. اما كبار المظفطين فكانوا يستحوذون على اقطاعاتهم بحكم وظائفهم بصورة مؤقتة. انظر: المصدر نفسه، ص ٧٦-٧٧.

(٥٥) وتعرف هذه الاقطاعات بـ «الساليانات» وهي مرتبطة بمنصب الوالي لا بشخصه كما هو الحال في الاقطاع الحربي: انظر: ديني، المصدر السابق، ص ١٣٩.

(٥٦) جب ويون، المصدر السابق، ج ٢ ص ٨٨.

(٥٧) ومن المفهوم ان الباشوات كانوا يدعون بعضاً من هؤلاء عند الضرورة للاسهام في حملاتهم لقمع التمردات المحلية.

انظر كتابنا: تاريخ مشكلة الاراضي في العراق، ص ١٩. الحاشية رقم ٢٧.

(٥٨) انظر استنتاج ذلك في: جب ويون، المصدر السابق، ج ٢ ص ص ٥٤-٨٧ (الوضع الاقطاعي في الروملي والناضول ودلالات ذلك في الولايات العربية في المصدر نفسه، ص ص ٨٧-١١١).

(٥٩) عبد الرحمن وفاق، تكاليف قواعدي، برنجي طبعي (استانبول ١٣٢٨هـ). اينكي قسم ص ٣٦ (بالتركية).

(٦٠) جب ويون، المصدر السابق، ص ص ٩٤، ٩١.

(٦١) سيار كوكبك الجليل، الحياة الاقتصادية والاجتماعية لولاية الموصل في العهد الجليلي ١٧٢٦-١٨٣٤، بحث مقدم الى ندوة الحياة الاجتماعية في الولايات العربية اثناء العهد العثماني، الجزءان الاول والثاني جمع وتقديم عبد الجليل القبيسي، (زقوان ١٩٨٨) ص ص ٢٥٣-٢٥٤.

(٦٢) ديني، المصدر السابق، ص ١٤٤.

Haider, Op. Cit., p. 170

(٦٣) انظر دراستنا: تاريخ مشكلة الاراضي في العراق، ص ٢٥ والحاشية (٥٥) في الصفحة نفسها.

(٦٤) عبد الحميد كمال، تطور التشريعات الملكية الزراعية في العراق، من تقارير الهيئة العربية للاصلاح الزراعي، ارشيف وزارة الزراعة (بالروني) ص ٦. انظر ايضاً عرضاً مماثلاً في كتابنا: تاريخ مشكلة الاراضي في العراق، ص ص ٢٤-٢٥.

(٦٥) المصدر نفسه، ص ٢٥.

(٦٦) دولة عليّة عثمانية، الدستور (مجموعة الانظمة الصادرة في الدولة العثمانية)، ترجمة نوري نعمة الله نوفل، (بيروت ١٣٠١هـ) المقدمة، وانظر عرضاً لاجراءات اصلاح نظام الحباية في كتابنا: الاوضاع الاقطاعية في فلسطين في العصر الحديث، مطبعة جامعة بغداد (بغداد ١٩٨٣)، ص ص ١٢٧-١٢٨. انظر نص قانوني الاراضي والطاوير في كتاب: الدستور، ص ص ١٤-٤٣، ٤٤، ٥١ وانظر تقويم لبعض الابعاد العامة لهذين القانونين في تاريخ مشكلة الاراضي في العراق، ص ص ٢٧-٢٨، ٣٠، ٣٦.

(٦٨) المصدر نفسه، ص ص ٣٤-٤١.

(٦٩) ابراهيم خليل أحمد «اوضاع ولاية الموصل الاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والمقد الاول من القرن

الاقطار المملوكي في فلسطين، مجلة دراسات عربية، دار الطليعة بيروت العدد (٦) نيسان ١٩٨٢.

(٧٨) نابع هذه الوظائف في الفصل الاول من دراستنا: تاريخ مشكلة الاراضي في العراق ١٩١٤-١٩٣٢ ودراسة في التطورات العامة، دار الحرية (بغداد ١٩٧٨) ص ص ١٦ وما يليها.

(٢٩) احمد بن اسماعيل جودت باشا، تاريخ جودت، ترجمة عبد القادر الزنا (بيروت ١٣٠٨هـ). ج ١ ص ٩٩.

(٤٠) جي. ديني J.Deny، مادة تيار، دائرة المعارف الاسلامية (طهران) ج ٩ ص ص ١٣١-١٣٢، جودت، المصدر نفسه، ص ٩٩.

(٤١) وصف جودت، المصدر نفسه، الصفحة نفسها القوات الاقطاعية انها كانت «القوة الجسيمة للدولة».

(٤٢) جودت، المصدر نفسه، ص ١١٢، ديني، المصدر السابق، ص ص ١٤٤، سورينهم M.Sobrenheim، مادة اقطاع، دائرة المعارف الاسلامية، ج ٢ ص ٤٨٠.

(٤٣) انظر مايلي ذلك في هذه الدراسة.

(٤٤) انظر ماسبق ذلك في هذه الدراسة.

(٤٥) انظر: Haider, Op. Cit., pp. 172-173

(٤٦) مأثور بك بن بيكه بك، مذكرات مأثور بك بن بيكه بك، ترجمة محمد جميل الروزبائي وشكور مصطفى، الهيئة الكردية في الجمع العلمي العراقي، (بغداد ١٩٨٠) ص ص ٢٧-٢٨.

(٤٧) ستيغن هسلي لونكريك، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، ترجمة جعفر خياط، ط ٥ (بغداد د.ت) ص ص ٤١، ٥٤.

(٤٨) علي شاكور علي، تاريخ العراق في العهد العثماني (١٦٣٨-١٧٥٠م) دراسة في احواله السياسية، (بغداد ١٩٨٥) ص ٢٣.

(٤٩) مأثور بك، المصدر السابق، ص ص ٧٤-٧٥، ٧٨.

(٥٠) لونكريك، المصدر السابق، ص ص ٥٤-٥٥.

لا بد من لفت الانتظار هنا الى ان العرض السريع لثباين مركز الموصل الاداري يعكس في دلالاته الاقطاعية تغلب درجة الموصل الاقطاعية لمدة عقود من الزمن قبل استقراها في عهد مراد الثالث (١٥٧٤-١٥٩٥) ولقرون عديدة لاحقة بصفتها احدي الولايات العثمانية.

(٥١) علي، المصدر السابق، ص ص ٢٣-٢٤.

(٥٢) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط ٣ (بيروت ١٩٦٥)، ملحق الكتاب اعتياداً على وثيقة عثمانية هي: رسالة عين علي افندي امين اللقتر الخاقاني سنة (١٦٠٩م) وعنوانها «قوانين آل عثمان فيما يخصهم دفتر الديوان».

وقارن عدد الاقطاعات مع ماذكره:

Haider, Op. Cit., p. 174

الذي يجعلها (٢٧٤) اقطاعاً من درجة «زعامت وتجاره واعتياداً على اوليا جلبي يجعلها لونكريك، المصدر السابق ص ٤١ (٦٦) زعامه و (١٠٠٤) تجاراً.

- المشرى، مجلة آداب الرفدين العدد (٧) (١٩٧٦) ص ٢١٩ ٤٢، ولاغراض البحث ص ٢٢٦-٢٢٧.
- (٧٠) ابراهيم خليل أحمد، المصدر نفسه، ص ٣١٢.
- (٧١) لونكريك، المصدر السابق، ص ٤٢٠-٤١٧ Haider, Op. Cit., pp. 417-420.
- (٧٣) المس بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة جعفر خياط، ط ٢ (بيروت ١٩٧١)، ص ١٦٩-١٧٠، ١٧٤.
- (٧٤) انظر: تاريخ مشكلة الاراضي في العراق، ص ٨٠، ٤١.
- (٧٥) بيل، المصدر السابق، ص ١٧١.
- (٧٦) القيادة العامة لقوات الحملة البريطانية، مجموعة البيانات والاعلانات وغيرها التي هي الآن نافذة والمتعلقة بأهالي العراق وادارتها الملكية من ١٩١٧/٣/١١ الى ١٩٢٠/٩/٣٠ المصدرة من القائد العام او بتفويض منه، مطبعة الحكومة

- (بغداد ١٩٢١)، ص ١٤ وما يليها.
- (٧٧) المصدر نفسه، ص ٢٢٩-٢٣٧.
- (٧٨) تاريخ مشكلة الأراضي في العراق، ص ١٨٢-١٨٣.
- (٧٩) بيل، المصدر السابق، ص ١٧١، ١٩٦-١٩٧.
- (٨٠) انظر للباحث: تاريخ مشكلة الاراضي والاصلاح الزراعي في العراق ١٩٣٣-١٩٧٠، اطروحة دكتوراه غير منشورة كلية الاداب جامعة بغداد ١٩٨٢، ص ١٨٠ وما يليها.
- (٨١) نشرت اخبار هذه الانتفاضة في: جريدة صوت الاهالي، العدد الصادر في: ٣/١٠/١٩٤٦.
- (٨٢) تابع ذلك في رسالتنا للدكتوراه: المصدر السابق، ص ٩٤-١٧٧.
- (٨٣) انظر: المصدر السابق، ص ٣٠٠-٣٠١ وانظر: فاضل حسين، سقوط النظام الملكي في العراق ط ١ (القاهرة ١٩٧٤)، ص ٧١.

النظام المالي

أ. د. خليل علي مراد

لسك النقود في الموصل في مطلع ذلك العهد لكنها ما لبثت ان توقفت عن العمل سنة ١٥٨٠م.^(١) واصبحت الموصل تعتمد على النقود المسكوكة في بغداد،^(٢) ومن ثم العاصمة استانبول وبعض المدن الكبرى في بلاد الشام ومصر.^(٣) كانت النقود المتداولة في الموصل ابان العهد المذكور على نوعين، اولها النقود العثمانية التي كانت الاساس المعترف به في جميع المعاملات، وثانيها بعض النقود الاجنبية التي اقتصر استعمالها على بعض المعاملات التجارية فقط مثل العباسي والتومان من بلاد فارس والروبية الهندية.^(٤) ويبدو ان استعمال النقود الاجنبية في الموصل كان في نطاق ضيق جداً، وربما يرجع ذلك الى حقيقة ان علاقات الموصل التجارية الرئيسة في تلك الفترة كانت مع مناطق عثمانية مثل ولايات بغداد وحلب وغيرها من ولايات الاناضول العثمانية. وبناءً على ذلك يمكن القول ان النقود العثمانية الرسمية كانت اساساً لمعظم العمليات التجارية فضلاً عن كونها

لم يُدرس موضوع النظام المالي في الموصل ابان عهد السيطرة العثمانية ١٥١٥-١٩١٨م دراسة شاملة وافية لحد الآن. وهذا الفصل من الموسوعة محاولة للاحاطة بمجانب هذا النظام من خلال دراسة ثلاثة محاور اساسية فيه وهي: النظام النقدي، والضرائب، والميزانية والنفقات العامة. وتجدر الاشارة الى اننا لم نتطرق في هذا الفصل الى موضوع الجهاز الاداري العثماني في الموصل لانه درس ضمن فصل آخر من هذه الموسوعة وهو الفصل الخاص بدراسة التقسيمات والتنظيمات الادارية العثمانية في الموصل. ولكننا تطرقنا، حيثما تطلبت الضرورة ذلك، في هذا الفصل الى الموضوع على نحو مقتضب.

١- النظام النقدي (السكة والنقود):

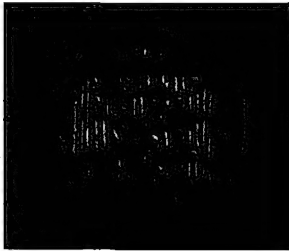
ان معلوماتنا عن سك النقود في الموصل ابان عهد السيطرة العثمانية تكاد تكون معدومة. اذ لا تتوافر لدينا سوى اشارة واحدة عن وجود دار

الاساس المعترف به في جميع المعاملات الرسمية وحسابات الدولة في ولاية الموصل .

يمكن تمييز مرحلتين رئيسيتين في تاريخ النظام النقدي العثماني في ولاية الموصل ، تبدأ المرحلة الاولى منذ احتلال العثمانيين لها سنة ١٥١٦ م وتنتهي عند سنة ١٨٤٠ م . اما المرحلة الثانية فتبدأ باصلاح النظام النقدي في الدولة العثمانية سنة ١٨٤٠ م وتنتهي عند سنة ١٩١٨ م ، وهي السنة التي انسحب فيها العثمانيون من الموصل . وفي كلتا المرحلتين كانت هناك نقود فضية وذهبية ونحاسية ، اما النقد الورقي فقد تأخر صدوره حتى سنة ١٩١٤ م عندما اصدرت الدولة العثمانية الليرة الورقية التي لم تلق رواجاً يُذكر .



نقود عثمانية ذهبية



نقود عثمانية ذهبية

١٨١٨ م ، كما انخفض عيارها الى ٧٠٪ ثم الى ٤٦٪ في التأريخين المذكورين. ^(٩) ومع ان سك هذه العملة قد توقف سنة ١٨٢٧ م فان العرف جرى في ولاية الموصل على اعتبارها في امور الوقف سهاماً يُحسب مقابلها حسب الوارد دون ان يكون لها علاقة بوزن الفضة أو قيمتها. ^(١٠)

بعد ان فرض العثمانيون سيطرتهم على الموصل سنة ١٥١٦ م دخلت النقود العثمانية قيد التداول فيها . وكانت الآقجة ^(٥) اول نقد فضي عثماني يتم تداولها في الموصل على الارجح ، وقد عُرفت في الموصل باسم درهم أو صاغة. ^(٦) والآقجة أقدم عملة عثمانية معروفة اذ يرجع تاريخ سكها الى سنة ٧٢٩ هـ / ١٣٢٨ - ١٣٢٩ م. ^(٧) واصبحت وحدة النقد القياسية في الدولة العثمانية حتى النصف الاول من القرن السابع عشر. وقد سكّت في البداية بعيار ٩٠٪ وبوزن ٦ قراريط اناضولية ، اي ربع مثقال. ^(٨) وقد تعرض وزن الآقجة وعيارها الى انخفاض مستمر. فقد انخفض وزنها الى قيراط وربع سنة ١٦٤٨ م ، ثم الى نصف قيراط سنة



نقود عثمانية ذهبية

بعد الآقجة أصبحت الهارة ^(١١) وحدة النقد القياسية في الدولة العثمانية في النصف الثاني من القرن السابع عشر. ^(١٢) وقد استخدمت الهارة، وهي عملة فضية أيضاً، في ولاية الموصل وبقية الولايات العراقية والعربية منذ القرن السادس عشر أيضاً، وعرفت في الموصل باسم «مصرية» وكانت تعادل ثلاث آقجات. ^(١٣) وقد بلغ وزن الهارة في نهاية القرن السابع عشر ٠,٧٠٧ غراماً فقط بعبارة ٧٠٪. ^(١٤)

وفي ذلك الوقت، أي نهاية القرن السابع عشر، دخلت التداول عملة عثمانية فضية جديدة هي القرش. ^(١٥) ففي سنة ١٦٨٨ م بدأت الدولة العثمانية بسك هذه العملة الجديدة بوزن ٦ دراهم، أي ٩٦ قيراطاً. ^(١٦) ومع أن وزن العملة الجديدة هذه ارتفع إلى ٨ دراهم، أي ١٢٨ قيراطاً، بعبارة



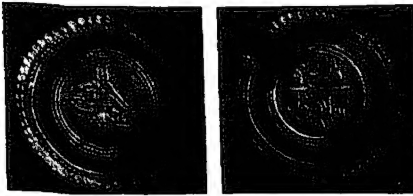
نقود مئانية ذهبية

٦٠٪ في عهد السلطان أحمد الثالث (١٧٠٣-١٧٣٠ م) إلا أنها بدأت بالانخفاض بعد ذلك إلى أن بلغ وزنها ١٦ قيراطاً فقط وعبارة ١٧٪ فقط في عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨-١٨٣٩ م). ^(١٧) وكانت قيمة القرش قد ثبتت في البداية بما يعادل ٤٠ هارة، أي آقجة. ^(١٨) وقد عُرف هذا القرش في الموصل باسم «قرش صاغ» أي القرش الصحيح تمييزاً له عن «القرش الرايج» أو «القرش الموصلي» الذي ورد ذكره في بعض وثائق الموصل وكان يعادل ١٠ هارات، أي ٣٠ آقجة فقط. ^(١٩) كما شاع استعمال قرش آخر في الموصل عُرف باسم «قرش بغدادي» وكان يعادل

٥٥ هارة أي ١٦٥ آقجة، وقد بطل التعامل به في الموصل منذ سنة ١٧٨٧ م بسبب الانخفاض المستمر في قيمته وحلت محله عملة فضية أخرى هي الريال. ^(٢٠) وقد عرفت العملة الأخيرة باسم الريال العتيق أو الحميدي نسبة إلى السلطان عبد الحميد الأول (١٧٧٣-١٧٨٩ م)، كما أطلق عليه اسم «الطمشلق» أيضاً وهي كلمة تركية تعني السني اذ كان الريال يعادل ٦٠ هارة أي ١٨٠ آقجة. ^(٢١)

ومن العملات الفضية العثمانية التي كانت قيد التداول في الموصل أيضاً في القرن الثامن عشر الزلطة. ^(٢٢) ويختلف الباحثون في تحديد تاريخ سك هذه العملة فمنهم من يجعلها سنة ١٦٩٤ م أو سنة ١٦٩٨ م أو ١٧٠٤ م. ^(٢٣) وكانت الزلطة تعادل ثلاثة أرباع القرش الصاغ حيث كانت تعادل ٣٠ هارة أي ٩٠ آقجة. ^(٢٤) وقد عرفت في الموصل باسم «قرش زولط». ^(٢٥) كما ورد ذكرها في جباية بعض الضرائب في الموصل في أواخر القرن الثامن عشر. ^(٢٦)

وفضلاً عن العملات الفضية العثمانية شاع في الموصل استخدام النقد الذهبي العثماني أيضاً. وقد عُرف النقد الذهبي العثماني في الموصل باسم «زرد



نقود مئانية ذهبية

محبوب» والتي تعني في التركيبة والفارسية «ذهب محبوب»، أما في بلاد الشام فقد عُرف باسم «الذهب المحبوب السلطاني». ^(٢٧)

وقد أشار الرحالة الدانمركي كارستن نيبور «C. Niebuhr» الذي زار الموصل سنة ١٧٦٦ م إلى

العثمانية شديداً خلال الفترة الممتدة بين سنة ١٧٧٤م و١٨٢٩م عندما تعرضت الدولة العثمانية الى سلسلة من الهزائم العسكرية على يد روسيا القيصرية. واعقب ذلك انخفاض آخر في منتصف ثلاثينات القرن التاسع عشر بحيث انخفضت قيمة العملة الرسمية العثمانية الى نسبة الثلثين في سوق التبادل مع العملات الاجنبية. فعلى سبيل المثال كانت قيمة التالر الاسباني ٧ قروش عثمانية سنة ١٨٢٤م بينما أصبحت تعادل ٢١ قرشاً سنة ١٨٣٦م^(٣٥).

حاولت الدولة العثمانية اصلاح نظامها النقدي المتدهور باتخاذ أكثر من خطوة. ففي ٢٦ صفر ١٢٥٦ هـ / ١٨٤٠م صدر قانون اصلاح النظام النقدي الذي اكد على مراعاة المصلحة العامة في هذا الشأن، وذلك بالزام دائرة سك النقود «الضربخانه» بتصحيح العيارات وتعيين الاوزان واستخدام الآلات الحديثة في سك النقود، وان لا يكون هدفها من وراء ذلك تحقيق اية مكاسب مالية، وان يكون عملها مقتصرأ على مراعاة قيمة الذهب والفضة ومصاريف السك فقط.^(٣٦) وفي سنة ١٨٤٤م بدأت الخطوات العملية لتطبيق هذا النظام. فقد تم استبدال العملة الفضية القديمة التي فقدت قيمتها بالمجدي الجديد، كما سُكّت عملات معدنية من فئات أقل.^(٣٧) وعلى اية حال فان هذا الاجراء لم يوقف الانخفاض المستمر في قيمة العملات العثمانية ومنها القرش المجدي الجديد. فاضطرت الدولة الى اصدار قرار آخر في سنة ١٨٨٠م تم بموجبه اتخاذ الليرة العثمانية الذهبية التي تعادل ١٠٠ قرش وحدة نقد قياسية بدلاً من القرش.^(٣٨) ومع ذلك بقي القرش وحدة نقد قياسية في ولايات الدولة، واستخدم ايضا كوحدة حساب حكومي.^(٣٩)

منذ بدء الخطوات العملية لتحقيق الاصلاح النقدي سنة ١٨٤٤م حلت العملات العثمانية

هذا النقد الذهبي عند حديثه عن الجزية التي يدفعها النصارى واليهود فيها.^(٢٨) وقد أطلقت تسمية «زر محبوب» على كافة العملات الذهبية العثمانية التي سُكّت في عهد السلاطين مصطفى الثاني (١٦٩٥-١٧٠٣م) ومصطفى الثالث (١٧٥٧-١٧٧٣م) وسليم الثالث (١٧٨٩-١٨٠٧م) وغيرهم، وكانت تُنسب اليهم فيقال «زر محبوب مصطفى» أو «زر محبوب سليمي» وهكذا.^(٢٩) ولاتوافر لدينا معلومات عن قيمة هذه العملة ووزنها وعيارها باستثناء معلومة واحدة تشير الى ان كل ٢٠ قطعة منها كانت تعادل حوالي ٧ جنيهات و ١٠ شلنات انكليزية في العراق سنة ١٧٧١م.^(٣٠)

وأخيراً كانت هناك عملة نحاسية عثمانية صغيرة في الموصل وردت باسم «منقير» تارةً و«منقور» تارةً أخرى في الوثائق الخاصة بالتنظيمات المالية العثمانية في ولاية الموصل في القرن السادس عشر. وكانت هذه العملة تعادل $\frac{1}{8}$ آقجة في الموصل في ذلك القرن.^(٣١) وقد تغيرت قيمة العملة النحاسية بالنسبة للآقجة مع الانخفاض المستمر في قيمة الأخيرة، بحيث أصبحت تعادل $\frac{1}{4}$ آقجة في اواخر القرن السابع عشر.^(٣٢) ويعني هذا ان المنقير او المنقور هو العملة النحاسية نفسها التي عُرفت باسم «فلس» في الموصل ابان القرن الثامن عشر، اذ كانت كل اربعة فلوس تعادل صاعاً أي آقجة واحدة.^(٣٣)

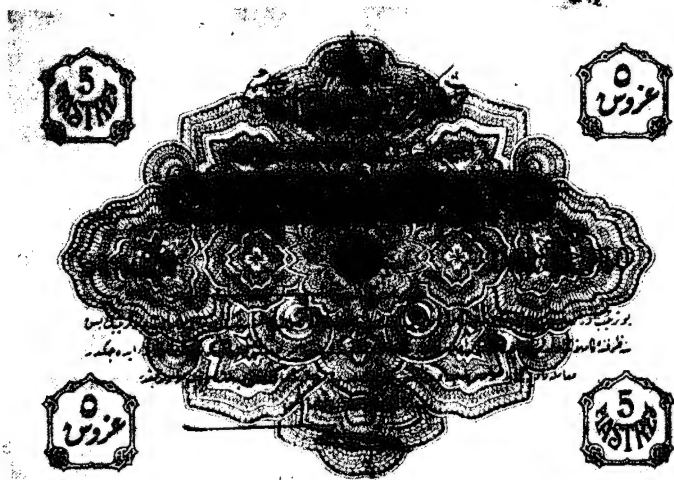
ان ما كان يميز النقود العثمانية، الفضية منها بصورة خاصة، هو الانخفاض المستمر في وزنها وعيارها وبالتالي قيمتها الحقيقية. وقد اتضح ذلك من خلال تبديل وحدة النقد القياسية باستمرار من الآقجة الى الهارة ثم الى القرش.^(٣٤) ولاشك ان هذا الانخفاض المستمر في قيمة النقد العثماني كان يعكس الوضع الاقتصادي المتدهور للدولة العثمانية. وقد اصبح الانخفاض في قيمة العملة

١٩١٠م. (٤٠) وهذا المتيك هو العملة نفسها التي اشار اليها ستيفن همسلي لونكريك «S.H. Longrigg» باسم القرش النحاسي عند حديثه عن العملات المتداولة في العراق في بداية القرن العشرين. (٤١)

ان ظاهرة انخفاض قيمة العملات العثمانية استمرت حتى بعد الاصلاح النقدي لان الوضع الاقتصادي للدولة العثمانية استمر في التدهور. وتتضح هذه الظاهرة عند مقارنة قيمة الليرة الذهبية بالقرش الفضي. فقد كانت الليرة تعادل ١٠٠ قرش في البداية، ثم عُدلت قيمتها بعد انقلاب الاتحاديين سنة ١٩٠٨م الى ١٠٢ قرش و ٢٤ پارة. (٤٢) اما في التعامل بين الناس اي في السوق فان قيمة الليرة وصلت الى ١٠٨ قروش او اكثر. (٤٣)

ومع قيام الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤م اصدرت الحكومة العثمانية ليرة ورقية، ووعدت بان ترفع قيمتها بما يساوي قيمة الليرة الذهبية ان هي خرجت من الحرب منتصرة. الا ان العملة الورقية لم

الجديدة محل العملات القديمة في جميع ولايات الدولة العثمانية، بما في ذلك ولاية الموصل. وكانت العملة الذهبية في النظام النقدي الجديد هي الليرة التي كانت تسمى «عثماني التون» اي الذهب العثماني، وكانت تعادل ١٠٠ قرش في البداية. وقد سكّت منها خمس فئات هي فئة ٥ ليرات و ٢,٥ ليرة و ليرة واحدة و $\frac{1}{2}$ ليرة و $\frac{1}{4}$ ليرة. اما العملة الفضية الجديدة التي عُرفت باسم «المجيدي»، نسبة الى السلطان عبدالمجيد الاول (١٨٣٩-١٨٦١م)، فكانت ذات خمس فئات ايضا وهي المجيدي الذي يساوي ٢٠ قرشاً ونصف مجيدي وربع مجيدي و $\frac{1}{2}$ مجيدي و $\frac{1}{4}$ مجيدي. اما القروش فقد سكّت منها فئة قرش واحد يعادل ٤٠ پارة وفئة قرشين (= ٨٠ پارة) ونصف قرش (٢٠ پارة) وكانت الاخيرة تعرف باسم «يرملك» وهي كلمة تركية تعني «العشريني». كما سُكّت عملة فضية اصغر هي المتيك من فئة $\frac{1}{4}$ قرش و $\frac{1}{8}$ قرش و $\frac{1}{16}$ قرش. وقد استبدل هذا المتيك الفضي باخر نحاسي بعد سنة



نقد ورقي عثماني من فئة (٥) قروش

من قيمة الحاصل. ^(٤٨) ولاتوافر في الوقت الحاضر ارقام حول مجموع إيرادات ضريبة العشر في الموصل باستثناء بعض الأرقام عن نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين والتي سندكرها لاحقاً.

أما ضريبة الجزية فقد فرضت على غير المسلمين من نصارى ويهود ويزيديين في ولاية الموصل. وقد حُدِّدت هذه الضريبة بمقدار ٢٤٠ آقجة على كل فرد سنوياً، ثم أُعيد النظر فيها سنة ١٦٩٤م عندما حُدِّدت بنسب مختلفة على الأغنياء ومتوسطي الحال والفقراء حيث أصبح الغني يدفع أربع قطع ذهبية ومتوسط الحال قطعتين والفقير قطعة واحدة. ^(٤٩) أما رجال الدين والشيوخ والعجزة فقد استثنوا من دفعها. وقد أيد الرحالة نيبور دفع الجزية في الموصل وفق هذه النسب الجديدة عندما زارها سنة ١٧٦٦م وبأن مجموع إيرادات هذه الضريبة كانت تبلغ ٣٠ كيساً (الكيس = ٥٠٠ قرش) سنوياً. ^(٥٠)

وكانت ضرائب المواشي في الموصل متعددة أيضاً ومنها رسم الاغنام ومقدارها آقجة واحدة على كل رأسين منها ورسم الجاموس ومقدارها ٢٢ آقجة عن كل رأس منها وضريبة رعي الاغنام ومقدارها رأس واحد عن كل قطع، بحساب القطيع ٣٠٠ رأس. ^(٥١)

أما ضرائب الأسواق والتجارة فكانت تشكل هي الأخرى مورداً مهماً من إيرادات ولاية الموصل. وأهمها ضريبتا التمغا والباج. وكانت الأولى تفرض على مايباع في أسواق المدينة، أما الثانية فكانت تفرض على مرور السلع والمنتجات المختلفة بالمدينة. وكانت ضريبة التمغا تبلغ ضعف ضريبة الباج. فعلى سبيل المثال كانت ضريبة التمغا على النيلة تبلغ ٦٪ من قيمتها والباج ٣٪ من قيمتها، وتبلغ ضريبة التمغا على البعاء الواحدة آقجة واحدة والباج نصف آقجة وهكذا. ^(٥٢) ولم تكن هناك

تلق رواجاً في ولاياتها إذ كانت قيمتها هناك تتراوح بين ١٠٪ و ١٢٪ من قيمتها المقررة. ^(٤٤) ولاشك أن ذلك كان تعبيراً عن ضعف الثقة من جانب سكان هذه الولايات في الدولة العثمانية ووضعها الاقتصادي.

٢- الضرائب :

أبدى العثمانيون اهتماماً خاصاً بموضوع الضرائب وجبايتها في المناطق التي خضعت لسيطرتهم. ذلك أن الضرائب كانت المورد الأساس الوحيد لخزينة الدولة، فضلاً عن أنها دليل اعتراف بالسيادة العثمانية من جانب الذين يدفعونها. ^(٥٥)

فرض العثمانيون ضرائب عدة في ولاية الموصل، شأنها في ذلك شأن سائر ولايات الدولة العثمانية. وقد بقيت هذه الضرائب دون تغيير مهم يُذكر حتى عهد الإصلاحات العثمانية «التنظيمات» في القرن التاسع عشر. ^(٥٦) وكانت بعض هذه الضرائب معروفة في الدول الإسلامية التي سبقت العثمانيين مثل العشر والجزية ورسم المواشي، وعُرفت هذه لدى العثمانيين باسم الضرائب الشرعية «تكاليفي شرعية». أما الضرائب الأخرى التي استحدثها العثمانيون فقد عُرفت باسم الضرائب العرفية «تكاليفي عرفية». ^(٥٧)

كانت ضريبة العشر المعروفة إحدى أهم الضرائب في ولاية الموصل وقد فُرضت على ما تنتجه الأرض الزراعية من الغلة سنوياً. إلا أن النسبة الفعلية لهذه الضريبة لم تكن تنطبق على تسميتها. فقد كانت نسبة ضريبة العشر على إنتاج الحنطة والشعير في ولاية الموصل تبلغ $\frac{1}{10}$ الحاصل وأشجار الفواكه $\frac{1}{10}$ الحاصل والخضراوات $\frac{1}{10}$ الحاصل. كما أنها قُدرت نقداً على محاصيل زراعية أخرى، فعلى سبيل المثال قدرت ضريبة العشر على إنتاج الكروم بنسبة تتراوح بين ٤٪ و ٦٪.

قاعدة واحدة لتقدير نسب هاتين الضريبتين ، فقد يتم تقديرها حسب العدد او الوزن او حمولة الجمال والبغال.^(٥٣) وتعطينا بعض الوثائق فكرة عن ايرادات خزينة الولاية من بعض هذه الضرائب التي كانت جبايتها تُعهد الى الملتزمين. فقد بلغ التزام ضريبة التما عن سوق الخيل وسوق الغزل ، اي سوق بيع القطن وما يتعلق به ، في مدينة الموصل مبلغاً قدره ٤٨٠٠ قرش سنة ١٧٧٥م.^(٥٤) ومن ضرائب الاسواق ايضا ضريبة الاحتساب ، ولان تعطينا المصادر فكرة واضحة عنها باستثناء الاشارة الى انها كانت تتألف من رسوم تسعير بعض السلع والمنتجات والغرامات المفروضة على المتلاعبين بالاسعار ورسوم زهيد عن عمليات البيع والوزن.^(٥٥) وقد بلغ التزام رسوم الاحتساب في الموصل مبلغاً قدره ٤٠٠٠ قرش سنة ١٧٦٤م.^(٥٦)

فضلاً عن الضرائب السابقة ابتدع العثمانيون ضرائب ورسومًا أخرى خصصت ايراداتها للحائزين على الاقطاعات العسكرية العثمانية في الموصل. فقد طبق العثمانيون اسلوب الاقطاع العسكري في ولاية الموصل حيث قُسمت المناطق الزراعية الى اقطاعات سُجلت بأسماء الجنود والضيباط والقادة العسكريين. وكان هؤلاء يستحصلون ايرادات هذه المناطق من الضرائب والرسوم بدلاً من استلام الرواتب من الدولة. وقد قُسمت هذه الاقطاعات الى ثلاثة انواع حسب ايرادها السنوي ، النوع الاول اقطاع التيار الذي يُمنح لصغار الجنود ويقل ايراده السنوي عن ٢٠٠٠٠ آقجة ، واقطاع الزعامت (من كلمة زعامة العربية) الذي يُمنح للضيباط ويترأع ايراده السنوي بين ٢٠,٠٠٠ و٩٩,٩٩٩ آقجة ، واقطاع «الخاص» الذي يمنح لكبار القادة العسكريين والولاة ويتجاوز ايراده السنوي ١٠٠,٠٠٠ آقجة.^(٥٧) وتذكر بعض المصادر وجود ٤٩٠ اقطاعاً عسكرياً في ولاية

الموصل في منتصف القرن السابع عشر.^(٥٨) ان اهم الضرائب التي كانت تدفع للحائزين على الاقطاعات العسكرية هي ضريبة الفلاح المتزوج (بنك) والفلاح الاعزب (مُجرّد) ، وكانت الاولى تبلغ ١٢ آقجة سنوياً والثانية ٦ آقجات سنوياً.^(٥٩) وكانت هذه الضريبة تُجبى بهذا المقدار في بعض مناطق ولاية الموصل وبمقادير اكبر بكثير في مناطق اخرى ضمن الولاية ذاتها.^(٦٠) ومن ضمن الضرائب الاقطاعية ايضاً (رسم العروس) بمقدار ٦٠ آقجة على زواج البنت الباكر و٣٠ آقجة على زواج المرأة الثيب. وكان هذا الرسم يُقسم مناصفة بين الحائز على الاقطاع العسكري وبين امير اللواء (سنجق بك) الذي يقع الاقطاع العسكري ضمن الحدود الادارية للواء.^(٦١) وضريبة الحقل (جفت رسمي) ومقدارها ٥٠ آقجة يدفعها الفلاح عند حصوله على قطعة ارض زراعية ، وضريبة استضافة صاحب الاقطاع (رسم اركاديه) ومقدارها ٦ آقجات سنوياً.^(٦٢) وضريبة الطواحين (دكرمن رسمي) ومقدارها ٦٠ آقجة على الطاحونة التي تعمل طيلة السنة و٣٠ آقجة على الطاحونة التي تعمل مدة ستة اشهر و١٥ آقجة لتلك التي تعمل ثلاثة اشهر من السنة فقط.^(٦٣) ورسم النحل (زنبور رسمي) التي فرضت على خلايا نحل العسل.^(٦٤)

والى جانب الضرائب السابقة الذكر والتي يمكن تسميتها بالضرائب والرسوم الثابتة لانها ثبتت نسبها في التنظيمات المالية العثمانية الخاصة بالموصل ، كانت هناك ضرائب اخرى لانخفض في تنظيمها لقاعدة محددة ثابتة. ومنها بعض الضرائب والرسوم التي فرضتها سلطات ولاية الموصل على سكان بعض القرى وعلى العشائر التي تمنهن الرعي. فقد كان على القرى المعروفة بانتاج المنسوجات تقديم كمية من انتاجها الى سلطات ولاية الموصل سنوياً. وكان شيخ قبيلة طي يقدم

مبلغاً سنوياً يتراوح بين ٢٥٠٠ و ٣٠٠٠ قرش الى تلك السلطات، كما دفعت عشيرة الجحيش مبلغاً قدره ١٥٠٠ قرش الى خزينة الموصل سنة ١٨١٦م، في حين فُرض على شيوخ عشيرة الشرايين تقديم كمية من السمن تقدر بمائة مَن^(٦٥) في شهر جادى الآخرة من كل سنة الى مطبخ والي الموصل.^(٦٦)

وهناك ضرائب اخرى يمكن تسميتها بالضرائب الطارئة، ففي اوقات الحرب كان على سكان الموصل كسائر مدن الدولة العثمانية، دفع مبالغ معينة على شكل تبرعات عادة لتمويل الحملات العسكرية، وتُسمى هذه الضريبة «إمدادي سفيرة».^(٦٧) وقد تقوم بعض الأسر الثرية في المدينة بتمويل بعض الحملات العسكرية لوحدها وخاصة الحملات العسكرية المحدودة. ففي سنة ١٧٢٣م قامت الاسرة الجليلية^(٦٨) بتجهيز الاسلحة والذخائر والاموال للقوة العسكرية الموصلية التي اشتركت في الحملة العسكرية العثمانية ضد بلاد فارس.^(٦٩) كما كان ولاية الموصل يفرضون ضرائب اضافية على السكان لتغطية اى عجز في ميزانية الولاية احياناً او تعمير بعض المنشآت العامة في الموصل. ففي سنة ١٧٢٠م أراد والي الموصل مصطفى باشا (١٧٢٠-١٧٢٣م) فرض ضريبة اضافية على سكان الموصل لتحويل مشروع بناء قناطر حجرية ثابتة لجسر الموصل العائم، لولا أن بادرت بعض الشخصيات البارزة في المدينة الى تحمل هذه النفقات ومنهم علي افندي العمري واسماعيل اغا الجليلي.^(٧٠) وعندما دعت الحاجة تجديد هذه القناطر سنة ١٧٦٦م فُرض على كل راكب يمر على جسر المدينة دفع مبلغ قرش واحد لهذا الغرض.^(٧١) وربما يكون من المناسب الاشارة اخيراً الى رسوم المحاكم الشرعية بوصفها جزءاً من ايرادات خزينة ولاية الموصل. فقد فُرض على الدعاوى التي تعرض على المحاكم رسم يعرف باسم (رسم الحجة)

بلغ قدره ٢٥ آقجة على كل دعوى في القرن السابع عشر. اما رسوم عقد الزواج فقد بلغت ٢٥ آقجة على زواج البنت البكر و ١٥ آقجة على زواج المرأة الثيب^(٧٢). وأخيراً رسوم تقسيم التركات والتي عُرِفَت في المصادر المحلية الخاصة بتاريخ الموصل باسم (رسم القسامة)^(٧٣). وقد بلغ مقدار هذا الرسم ٢٠ آقجة مقابل كل ١٠٠٠ آقجة من التركة ثم خفض الى ١٥ آقجة في القرن السابع عشر^(٧٤). الا أن هذا التحديد لم يُراعَ في الموصل التي بلغ مقدار هذا الرسم فيها ٥٠ آقجة مقابل كل ١٠٠٠ آقجة من التركة في مطلع القرن الثامن عشر. وقد ألغى هذا الرسم من قبل والي الموصل اسماعيل الجليلي سنة ١٧٢٣م بوصفه «بُدعة»^(٧٥).

كانت بعض الجهات مُعفاة من دفع الضرائب مثل المؤسسات الدينية وبعض القرى التي تقدم خدمات معينة للدولة مثل توفير الرجال للعمل في تعمير الطرق أو التحصينات العسكرية او للجيش والبحرية^(٧٦). وتوجد لدينا اشارة في سجلات الأراضي الخاصة بولاية الموصل في القرن السادس عشر الى استثناء احدى العشائر، وهي عشيرة القره قوينلو التركمانية، من دفع الضرائب بوصفها (عشيرة محاربين)^(٧٧).

يتضح مما سبق مدى تعقيد نظام الضرائب العثماني في الموصل، ومدى العبء الواقع على كاهل السكان. وما زاد الوضع سوءاً جور الملتزمين في جباية الضرائب وتعسف بعض الولاة العثمانيين وأصحاب الاقطاعات العسكرية ايضاً في جباية الضرائب والرسوم المفروضة على السكان. ولا يكاد يتخلو مصدر او مرجع عن تاريخ العراق عموماً في عهد السيطرة العثمانية من ذكر شواهد كثيرة على مثل هذه الحالات. وقد حاولت الدولة العثمانية في عهد الاصلاحات المعروف بـ (التنظيمات) في القرن التاسع عشر تنظيم الضرائب وجبايتها. فقد

اعترف خط شريف كلخان (بيان قصر الورد)، وهو اول مرسوم اصلاحي صدر سنة ١٨٣٩م وودشن عهد التنظيمات، بالحاجة الى ضرورة اعادة تنظيم الضرائب وتغيير اسلوب جبايتها والغاء الضرائب والرسوم غير الشرعية، والعمل على توزيع الضرائب توزيعاً عادلاً على الجميع وبدون استثناء وفق قدرة الافراد على دفعها، كما أكد المرسوم الاصلاحي المذكور على ضرورة الغاء اسلوب الالتزام في جباية الضرائب ومحاربة الرشوة بوصفها من أسباب الخراب، كما أكد على ضمان أمن النفس والعرض والمال^(٧٨). وتبع ذلك اصدار قوانين متعددة بخصوص الضرائب والرسوم وتنظيم جبايتها. وقبل ذكر الضرائب والرسوم الجديدة لابد من التذكير بأن الكثير من هذه القوانين قد تأخر تطبيقها في العراق عموماً، بما في ذلك الموصل، حتى عهد الوالي المصلح مدحت باشا ١٨٦٩ - ١٨٧٢م^(٧٩)، كما شهدت الفترة اللاحقة لولاية مدحت باشا على العراق تراجعاً في تطبيقها.

اعتبرت ضريبة العشر الضريبة الوحيدة على انتاج الأرض من الغلة الزراعية في نظام الضرائب الجديد. وقد اصدرت الدولة في ٩ شعبان ١٢٧٧هـ / ١٨٦١م نظام الواردات العشرية الذي أجاز تحصيل ضريبة العشر نقداً أو عيناً مع تحديد مقدارها بالسعر المتداول للغلة الزراعية في سوق المنطقة المعنية والذي يقرره المجلس المحلي فيها، سواء أكان مجلس ادارة ولاية ام مجلس ادارة لواء أم قضاء، كما عهد الى المجلس المحلي ايضاً مهمة الاشراف على كيل المتزمن لاحتساب حصتهم وذلك حماية للفلاح ومصالحه^(٨٠). وتبع ذلك صدور مجموعة من الأنظمة والقوانين الاخرى المتعلقة بالأرض والزراعة وحقوق الملكية والتي اربكت استقرار ضريبة العشر ووسخت روح العداء بين الفلاحين والدولة وخلقت الكثير من المشكلات ضمن الولايات العراقية^(٨١).

استمرت جباية ضريبة العشر في الموصل، كما في السابق، بنسبة تزيد على ١٠٪. رغم التأكيدات المستمرة في بداية عهد الاصلاحات على عدم تجاوز النسبة المقررة. فعلى سبيل المثال بلغت نسبة ضريبة العشر على الحبوب في ولاية الموصل في أواخر ذلك العهد حوالي ١٢,٥٪ نتيجة اضافة رسوم مختلفة اليها بين حين وآخر^(٨٢).

والى جانب ضريبة العشر على الانتاج الزراعي فرضت ضريبة اخرى على الأراضي والمنشآت القائمة عليها، وهي ضريبة الأراضي والمسقفات^(٨٣). وترد في الكتب السنوية (السالنامات) الخاصة بولاية الموصل باسم ضريبة الاملاك والعقارات «املاك وعقار وركوسي»^(٨٤)، اما بين سكان الولاية فقد عُرفت باسم ويركو فقط. وقد حددت الارادة السلطانية الصادرة في ١٣ نيسان ١٨٨٧م نسبة هذه الضريبة بمقدار ٠,٤٪ من قيمة الأرض الخاضعة لضريبة العشر، و ١٪ من قيمة الأرض غير الخاضعة لتلك الضريبة. وكانت القيمة التي تُخذ اساساً لتقدير نسبة هذه الضريبة هي قيمة البيع التي تُخمن من قبل لجنة خاصة. وكان المفروض اجراء عملية تخمين جديدة كل خمس سنوات لكن ذلك لم يطبق، واستمرت جباية هذه الضريبة سنوياً على أساس تقديرات سنة ١٨٨٧م. وكانت نسبة هذه الضريبة على المنشآت والأبنية تتراوح بين ٠,٥٪ و ٠,٨٪ من القيمة التخمينية للأبنية التي يشغلها مالكوها و ١٪ من القيمة التخمينية للأبنية المؤجرة. وقد طرأت زيادات عديدة على هذه الضريبة فيما بعد بنسبة ٦٠٪ من مقدار الضريبة على الأرض و ٤١٪ من مقدار الضريبة على الأبنية. وقد بلغت ايرادات ضريبة الأراضي والعقارات في الموصل ما يعادل ٤٤٨٥٠ ديناراً عراقياً^(٨٥).

وتقرر في النظام الضرائبي الجديد ايضاً الغاء ضريبة الجزية سنة ١٨٥٧م حيث حلت محلها

ضريبة البديل العسكري أو «الاعانة العسكرية»^(٨٦). وقد حدد البديل العسكري في البداية بمبلغ ٥٠٠٠ قرش عن كل ١٨٠ رجلاً ثم أصبح سنة ١٨٨٤ م بمبلغ ٥٠٠٠ قرش عن كل ١٣٠ رجلاً^(٨٧). وقد صدر قانون ينظم دفع البديل العسكري على عشرة اقساط بدءاً من شهر آذار من كل سنة على أن لا تستحصل من الفلاحين في مواسم الحراثة والزراعة^(٨٨). وقد وسع نطاق البديل العسكري بحيث أصبح يشمل المسلمين غير الراغبين في اداء الخدمة العسكرية الالزامية. ولكن المبلغ الذي حُدد دفعه بالنسبة للمسلمين كان كبيراً جداً، اذ بلغ ٥٠ ليرة منذ سنة ١٨٨٥ م^(٨٩). وتشير سجلات الدولة العثمانية الى البديل الذي يدفعه غير المسلمين باسم «بديل عسكري» والبديل الذي يدفعه المسلمون «بديل نقدي عسكري»^(٩٠). ومع ان الدولة اصدرت قانوناً سنة ١٩٠٨ حول فرض الخدمة العسكرية الالزامية على غير المسلمين والامتناع عن أخذ البديل العسكري منهم الا ان هذا القانون لم يطبق عملياً^(٩١).

ومن الضرائب السابقة المهمة التي استمر العمل بها، مع بعض التعديلات ضريبة الأغنام والجمال والجواميس والحيوانات «اغنام، ديوه، جاموس وجنوار رسوماتي». وقد عرفت في الموصل باسم «الكودة»^(٩٢)، وكانت تستوفي عن الأغنام والأبقار بمقدار ٩,٥ قرش عن كل رأس منها^(٩٣). وكانت هذه الضريبة تلي ضريبة العشر من حيث الأهمية في قائمة ايرادات ولاية الموصل.

ومن ضمن التغييرات المهمة في نظام الضرائب في القرن التاسع عشر الغاء ضرائب الأسواق والاحتساب في المدن والاستعاضة عنها بضريبة جديدة هي ضريبة التمتع «تمتع ويركوسي» أو مانسميه الآن ضريبة الدخل. وقد فرضت هذه الضريبة أولاً على التجار والحرفيين ثم شملت

اصحاب الرواتب والاجور بعد انقلاب سنة ١٩٠٨ م. وقد حُددت هذه الضريبة بنسبة ٣٪ من الدخل في سنة ١٨٦٠ م ثم ارتفعت الى ٤٪ سنة ١٨٧٩ م ثم الى ٥٪ سنة ١٨٨٥ م^(٩٤).

وفيا عدا التغييرات التي طرأت على الضرائب الأساسية السابقة تم استحداث عدة ضرائب ورسوم جديدة ايضاً جرى العمل بها في ولاية الموصل حين احتلالها من قبل البريطانيين سنة ١٩١٨ م، وستتطرق الى ايراداتها السنوية لاحقاً في موضوع ميزانية الموصل. وهذه الضرائب والرسوم الجديدة هي:

١- ضريبة اعمال الطرق «نافعة ويركوسي»: كانت السلطات العثمانية في الولايات تفرض، كما ذكرنا، ضرائب معينة على السكان عند الحاجة لصيانة وتعمير بعض المنشآت العامة وطرق المواصلات. وقد الغى السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩ م) ذلك وجعل خزانة الدولة مسؤولة عن تمويل هذه الأعمال. الا أن عجز خزانة الدولة عن تحمل مثل هذه المصاريف ادى الى صدور قرار في تموز ١٨٦٧ م بإنشاء صناديق خاصة في الولايات لهذا الغرض. ثم صدر قرار آخر في سنة ١٨٦٩ م يقضي بمشاركة جميع الذكور في الريف ممن تزوج اعمارهم بين ١٦ و ٦٠ سنة بالعمل مجاناً ٤ أيام في السنة أو ٢٠ يوماً في كل خمس سنوات دفعة واحدة في مثل هذه الأعمال. وفي سنة ١٨٨٩ م صدر قرار ضريبة اعمال الطرق بخصوص جواز دفع بدل نقدي قدره ثلاثة أو اربعة قروش عن كل يوم من ايام العمل التي ارتفعت الى خمسة ايام سنوياً. وأصبحت الضريبة الجديدة تشمل جميع الذكور في الولايات ممن تتراوح اعمارهم بين ١٨ و ٦٠ سنة^(٩٥).

٢- ضريبة المسكرات «مُسكرات رسمي»: وقد

فرضت على بيع المشروبات الروحية ، وقد حددت هذه الضريبة سنة ١٨٦١ م بنسبة ١٠٪ من قيمة المشروبات ، اضافة الى ضريبة ثانية على محلات شرب المشروبات الروحية بنسبة ٢٥٪ من الايجار السنوي لتلك المحلات^(٩٦).

٣- ضريبة استهلاك الملح «طوزرسمي» : كانت الدولة العثمانية قد احتكرت انتاج وبيع الملح بموجب نظام الملح الذي صدر سنة ١٨٦٠ م^(٩٧). وقد فرضت الدولة العثمانية ضريبة على استهلاك الملح ايضاً مقدارها نصف قرش على استهلاك كل كيلوغرام من الملح^(٩٨).

٤- ضرائب ورسم متفرقة اخرى : ومنها ضريبة قطع الاخشاب من الغابات «اورمان رسمي» ، وضريبة المعادن عن استغلال الثروات المعدنية ، وضريبة مواد البناء وتُسمى «كرسته رسمي»^(٩٩) ورسم الطوايح «بول رسمي» واخيراً الرسوم المستحصلة في المحاكم لحساب خزينة الدولة . ويمكن مراجعة ايرادات هذه الضرائب والرسوم في جداول الايرادات والمصروفات في صفحات لاحقة من هذا البحث .

لم تكن جميع ايرادات الضرائب والرسوم تذهب الى خزينة الدولة . فقبل الغاء الاقطاع العسكري رسمياً سنة ١٨٣١ م كانت بعض هذه الايرادات يستحصلها حائزو الاقطاعات العسكرية بدلاً عن تسلم رواتب من خزينة الدولة مباشرة . وبعد سنة ١٨٨١ م حُصصت ايرادات ضرائب ورسوم الملح والمسكرات والتبغ والطوايح ومصادد الاسماك والحرير لهيئة «ادارة الدين العام العثماني» التي تأسست في كانون الاول ١٨٨١ م ، وكانت تستحصل ايرادات الضرائب والرسوم المذكورة لايفاء ديون الدولة العثمانية^(١٠٠) . وكانت هذه

الايرادات تستحصل في الموصل من قبل دائرة خاصة تابعة لادارة الدين العام العثماني كانت تضم مديراً ورئيس كتاب وكاتبين وامين للصندوق فضلاً عن عدد من المأمورين في بعض مدن وأقضية ونواحي ولاية الموصل^(١٠١) . وازضافة لذلك فان جزءاً مهماً من ايرادات ضرائب الاراضي والزراعة في ولاية الموصل كان يذهب الى الخزينة الخاصة للسلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩ م) . فقد كان السلطان المذكور مالكاً لمساحات شاسعة من الاراضي الزراعية في ولاية الموصل والولايات العراقية الاخرى عُرفت بـ «الاراضي السنية» . وقد كانت الدائرة الرئيسة لادارة هذه الاراضي تقع في الموصل^(١٠٢) . وكان فلاحو هذه الاراضي يدفعون ضريبة تبلغ ٢٠٪ من انتاج الارض من الغلة الزراعية ، ١٢,٥٪ منها حصصة الحكومة و ٧,٥٪ لخيرته السلطان عبد الحميد الثاني باسم «حصّة طابو»^(١٠٣) . وقد تنازل السلطان عبد الحميد الثاني عن هذه الاراضي في ١ ايلول ١٩٠٨ م ودورت باسم الخزينة العامة للدولة وأخذت تُعرف بالاراضي المدورة^(١٠٤).

كانت الضرائب تُجبي بأساليب متعددة اهمها اسلوب الالتزام ، اي منح حق جباية ضريبة معينة في منطقة محددة الى شخص ، هو في العادة من وجهاء المدن او شيوخ العشائر ، مقابل دفع مبلغ محدد من المال سلفاً الى خزينة الدولة . وقد تكون مدة الالتزام سنة واحدة او سنتين^(١٠٥) . وكان هذا الاسلوب من أسهل الأساليب بالنسبة للدولة لانه يجنبها الاحتكاك المباشر مع دافع الضريبة ويوفر عليها ارسال حملات عسكرية لضمان جباية الضرائب . وعلى عكس ذلك كان هذا الاسلوب وبالأعلى دافع الضريبة لان الملتزم ، الذي كان همه الاول تحقيق الربح ، لم يكن يتردد في اتباع اساليب تعسفية في تقدير نسب الضرائب وجبايتها^(١٠٦) . وتشير سجلات اراضي الموصل

في القرن السادس عشر الى خراب الكثير من القري بسبب جور هؤلاء الملتزمين^(١٠٧). وقد اعترفت الدولة العثمانية بمساوئ هذا الاسلوب وبلغته سنة ١٨٣٩م، وقررت جباية الضرائب بواسطة موظفين أو «أمناء» تعينهم لهذا الغرض. لكنها سرعان ماتراجعت عن قرارها واعادت العمل بالاسلوب الالتزام سنة ١٨٤٠م. ومن الاسباب المهمة لهذا التراجع قلة كفاءة وخبرة الموظفين وضعف علاقاتهم المحلية وسعة المناطق التي كان عليهم جباية ضرائبها، الامر الذي ادّى الى انخفاض ايرادات الدولة. وفي سنة ١٨٤٧م اصدرت الدولة قراراً آخر حدد مدة الالتزام بخمس سنوات^(١٠٨). وقد استمر العمل بالاسلوب الالتزام في الموصل وبقية أنحاء العراق الى مابعد انقلاب الاتحاديين سنة ١٩٠٨م^(١٠٩).

اما الأسلوب الآخر في جباية الضرائب فهو اسلوب منح ايرادات منطقة معينة او عدة مناطق لبعض الاشخاص وفق اسلوب الاقطاع العسكري العثماني الذي اشرنا اليه، والذي استمر قائماً حتى سنة ١٨٣١م. وقد اقل اصحاب هذه الاقطاعات كاهل الفلاحين بجباية الضرائب بنسب اعلى من النسب المقررة وبالالتزامات الاقطاعية الاخرى. وقد لفتت هذه التجاوزات انتباه السلاطين العثمانيين الذين اصدروا اوامر عديدة الى ولاية وقضاة الاناضول والولايات المجاورة، ومنها ولاية الموصل، حول متابعة تجاوزات اصحاب الاقطاعات العسكرية^(١١٠). الا ان مجرد اصدار مثل هذه الاوامر لم يكن رادعاً لاصحاب تلك الاقطاعات.

والى جانب الاسلوبين السابقين كان هناك اسلوب ثالث في جباية بعض الضرائب وهو اسلوب «الأمانة»، اي جباية الضرائب بواسطة امناء او موظفين تعينهم الدولة لهذا الغرض. وقد عُرف هذا الاسلوب في الموصل منذ القرن السادس عشر في جباية

بعض الضرائب الزراعية^(١١١). كما وردت اشارة في المصادر المحلية الى وظيفة «أمين الجزية» في القرن الثامن عشر^(١١٢)، وهو موظف مكلف بتحصيل الجزية من غير المسلمين. وعلى اية حال يبدو ان هذا الاسلوب كان معروفاً على نطاق محدود حتى منتصف القرن التاسع عشر عندما توسعت الدولة فيه. وقد عُرف عن كثير من هؤلاء الموظفين الأمية والرشوة وسوء استخدامهم لوظائفهم بغية تحقيق مكاسب شخصية^(١١٣).

ولا بد من الاشارة أخيراً الى اسلوب رابع في جباية الجزية لم يستمر العمل به طويلاً. فبعد إلغاء الجزية واحلال البديل العسكري محلها اصبحت الضريبة الاخيرة تستحصل من قبل رؤساء الطوائف الدينية الخاضعة لضريبة البديل العسكري. ثم الغي هذا الاسلوب في سنة ١٩٠٢م حيث عُهد باستحصل البديل العسكري الى موظفين رسميين^(١١٤).

٣- الميزانية والتفقات العامة :

تميزت الادارة المالية العثمانية في ولاية الموصل بالبساطة حتى عهد الاصلاحات العثمانية في القرن التاسع عشر. فقد عُهدت مهمة ضبط حسابات الولاية الى موظف خاص هو «دفتردار المالية» الذي كان يُعين من العاصمة استانبول مباشرةً ويُعد ممثل السلطان العثماني فيما يخص الشؤون المالية فيها^(١١٥). وكانت مهمته الاساسية حساب الايرادات والمصروفات وارسال الفائض الى خزانة الدولة المركزية في العاصمة^(١١٦). ويُشار الى هذه الاموال المرسلة الى العاصمة باسم «ميري الموصل» في المصادر المحلية^(١١٧). ولا تتوافر لدينا معلومات عن ايرادات ومصروفات ولاية الموصل قبل اواخر القرن التاسع عشر باستثناء اشارة وردت لدى الرحالة الفرنسي اوليفيه G. A. Olivier، الذي زار الموصل سنة ١٧٩٤م، بان الايرادات

وجميع المصروفات في الموصل لاتزيد على مايعادل مائة الف فرنك^(١١٨).

اهتمت الدولة العثمانية في القرن التاسع عشر باعادة تنظيم شؤونها المالية ، وكان من مظاهر هذا الاهتمام تأسيس وزارة المالية في سنة ١٨٣٩م ، ونشر اول ميزانية نُظمت وفق النموذج الاوربي في سنة ١٨٦١م^(١١٩). ثم صدر نظام الادارة المالية ، وبموجبه أصبحت الخزينة المركزية في العاصمة ترسل سجلاً خاصاً في كل سنة الى الولايات يُعرف باسم «ميزانية الولاية» لتسجيل جميع الإيرادات والمصروفات فيه . واعتقب ذلك صدور نظام ميزانية الولايات في سنة ١٨٧١م^(١٢٠) وقد تضمنت السالنامات ولاية الموصل في أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن الحالي تفاصيل إيرادات ومصروفات الولاية نقلاً عن سجلات الميزانية . وسنعرض هنا ثلاث ميزانيات لولاية الموصل للسنوات المالية ١٨٨٩ - ١٨٩٠م^(١٢١) و ١٨٩١ - ١٨٩٢م^(١٢٢) و ١٨٩٤ - ١٨٩٥م نقلاً عن هذه السالنامات. كما نعرض الإيرادات والمصروفات للسنوات المالية ١٩٠٩ - ١٩١٠م^(١٢٣) و ١٩١٠ - ١٩١١م نقلاً عن دراسة حديثة اعتمدت السالنامات العامة للدولة العثمانية^(١٢٤). ولابد من التنويه هنا بان الأرقام التي نقلناها عن السالنامات الخاصة بولاية الموصل تخص لواء الموصل ، وهو مركز الولاية ، فقط مع الأفضية والنواحي التابعة للواء . اما ارقام السنوات ١٩٠٩ - ١٩١١م فنخص جميع الوية ولاية الموصل وهي الوية الموصل وكركوك والسليمانية لانها وردت بهذه الصورة في السالنامات العامة للدولة العثمانية والتي تضمنت الأرقام الاجمالية الخاصة بكل ولاية .

يتضح لدينا من الميزانيات السابقة أن ضرائب العشر والاملاك والعقارات «الويركو» ورسوم الاغنام والمواشي والحيوانات كانت تشكل المصدر الرئيس لإيرادات خزينة ولاية الموصل . في حين

كانت مصروفات الجيش والشرطة (الضبطية) والجندرية (الدرك) ودائرة المالية والويركو تشكل الجزء الأهم من المصروفات . ونلاحظ في الميزانية الاولى والثانية ان الإيرادات أكثر من ضعف المصروفات ، في حين نلاحظ العكس في الميزانية الثالثة حيث زادت المصروفات على الإيرادات بمقدار ١١١,٦٩٤ قرش . والسبب في ذلك هو الزيادة الكبيرة في نفقات الجيش . وفي مثل هذه الحالات التي كانت تظهر في ولايات عربية أخرى مجاورة أيضاً كان العجز في الميزانية يغطي من ميزانيات السنوات اللاحقة او من قيام ميزانية الدولة بتحمل بعض المصروفات على ان يجري تسديدها من خزينة الولاية فيما بعد^(١٢٧).

وتظهر لنا هذه الميزانيات حقيقة مؤلمة وهي قلة النفقات العامة في مجالات الصحة والمعارف والاشغال العامة . والحقيقة ان عبء هذه النفقات كان يقع على كاهل السكان من خلال التبرعات او الاعانات السنوية ، اضافة الى اعباء الضرائب الأخرى . وقد لخص احد الباحثين ذلك الوضع بقوله «ان الرعايا في الدولة العثمانية كانوا يعيشون بأرواحهم وأموالهم من اجل مصلحة الحكام ومجدهم . وكان كل فرد من طبقة الموظفين من السلطان فما دون ، خلال القرن التاسع عشر واولى القرن العشرين ، ينظر الى من هو انزل منه درجة كانه يشغل من اجل مصلحته واسعاده . وقد تجمعت اعباء جميع هؤلاء على كواهل السواد الأعظم من الناس والفلاحين الذين اسيت معاملتهم وقاربوا مستوى المجاعة»^(١٢٨) ان هذا الوضع يفسر لنا أيضاً تأكيد عدد من الجمعيات العربية التي ظهرت بعد انقلاب سنة ١٩٠٨م على ضرورة توجيه الحكومة اهتماماً أكبر لتحسين اوضاع الولايات العربية وانفاق نسبة اكبر من الإيرادات على الخدمات والمنشآت العامة التي كانت تلك الولايات بأمس الحاجة اليها .

ايرادات ومصروفات لواء الموصل للسنة المالية ١٨٨٩ - ١٨٩٠ م

المصروفات		الايرادات	
قرش	نوع المصروفات	قرش	نوع الايرادات
٩٤٠٢٩	١ - المحاكم الشرعية	١٦٢٩٤٦٦	١ - ضريبة الاملاك والعقار
٥٨٦٦٥٠	٢ - الداخلية	٣٩١٨٦٩	٢ - ضريبة التمتع
٢٠١٣٥٦	٣ - العدلية	٣١١٠٣٩	٣ - البدل العسكري
٥٦٠٣	٤ - الاشغال (النافعة)	١٧٢١٧٦٢	٤ - رسم الاغنام
٧٣٢٤٨٤	٥ - دائرة المالية والويركو	١٢٢٠٠	٥ - رسم الجبال
٣١٨٥٣	٦ - مع الرواتب ٦ - اسهم متنوعة	١٨٨٤٣٧٧	٦ - ايرادات ضريبة العشر المنوحة بالالتزام
١٤٥٥٩١٧	٧ - رواتب الجيش والشرطة والجندومة (الدرك)	٤٤٠٠٠٠	٧ - ايرادات ضريبة العشر عن طريق اسلوب الامانة
١٢٣٨٤٩	٨ - رواتب افراد	٦٢٥٠٠	٨ - رسوم الغابات ومواد البناء والطوايع
		٥٣٣٠٠	٩ - عائدات الاملاك والطاير
		٥٩٨٧٥	١٠ - عائدات المحاكم
		٥٦٤٢٧٥	١١ - رسوم متنوعة
		٤٦٨٧٥	١٢ - بدلات ايجار الاملاك الاميرية
		٥٥٧٠٠	١٣ - عائدات متفرقة
٣,٢٣١,٧٤١ قرش	المجموع	٧,٢٣٣,٢٤٨ قرش	المجموع

ايرادات ومصروفات لواء الموصل للسنة المالية ١٨٩١ - ١٨٩٢ م

المصروفات		الايرادات	
قرش	نوع المصروفات	قرش	نوع الايرادات
٩٢٤٤٦	١ - المحاكم الشرعية	١١٧٤٢٣٥	١ - ضريبة الاملاك والعقار
٦١٧٩١٢	٢ - الداخلية	٥٣٧٣٥١	٢ - ضريبة التمتع
٢٠١٣٥٦	٣ - العدلية	٤٠٦٢٦٦	٣ - البدل العسكري
—	٤ - المعارف	١٧١٧٨٣١	٤ - رسم الاغنام
٢٠٩٨٨	٥ - الاشغال (النافعة)	٥٨٠٠	٥ - رسم الجبال
٦٦٢١٨٩	٦ - دائرة المالية والويركو	١٧٧٧٨٠٠	٦ - ايرادات ضريبة العشر
٢٨٦٨٢	مع الرواتب	٤٢٠٠٠	الممنوحة بالالتزام
١٤٨٥٩١٧	٧ - اسهم متنوعة	٥٥٥٠٠	٧ - ايرادات ضريبة العشر عن طريق اسلوب الامانة
	٨ - رواتب الجيش والشرطة	٩٠٧٤٣	٨ - رسوم الغابات ومواد البناء والطوايع
	والجندرية (الدرك)	٦٦٠٣٨	٩ - عائدات الاملاك والطاير
		٥٦٥٩٥٦	١٠ - عائدات المحاكم
		٣٠٥١٢	١١ - رسوم متنوعة
		٢٩١٥٠	١٢ - بدلات ايجار الاملاك
			الاميرية
			١٣ - عائدات متفرقة
٣,١٠٩,٤٩٠	المجموع	٦,٤٩٩,١٥٢	المجموع
قرش		قرش	

إيرادات ومصروفات لواء الموصل للسنة المالية ١٨٩٤ - ١٨٩٥ م

المصروفات		الإيرادات	
قرش	نوع المصروفات	قرش	نوع الإيرادات
١١٠٩٠٠	١ - المحاكم الشرعية	٢٠٨٥٧٧١	١ - ضريبة الاملاك والعقار
٨٧٤٨٦٠	٢ - الداخلية	٤٥٢٣٦٢	٢ - البذل العسكري
٢٢٤٣٨٨	٣ - العدلية	٢٣٨١٩٩٢	٣ - رسم الاغنام
٨٥٦٦١٥	٤ - المالية	٢٥٤٧٣٨٥	٤ - إيرادات ضريبة العشر
٢٩٦٧٢	٥ - اسهم متنوعة	٢٥٤٤٤	٥ - إيرادات الاملاك الاميرية
٢٠٠٠	٦ - دار المدافع (طوبخانه)	٤٢٨٢٣٠	٦ - رسوم متنوعة
١٤٨٤٦٨٠	٧ - الجندرية (الدرك)	٤٥٤٠٠	٧ - رسوم الغابات ومواد البناء
—	٨ - الصحة	٥٠٠٠٠	٨ - عائدات الاملاك والطاير
١٤٩٧٢٤	٩ - رواتب تقاعدية للعسكريين	٥٥٢٠٠	٩ - عائدات المحاكم
٥٤٣٣١٦٩	١٠ - رواتب الجيش النظامي والاحتياط (رديف)	٤٣٩٠٠	١٠ - عائدات متفرقة
٦٠٠٠٠٠	١١ - ملابس		
٢٢٨٠٠	١٢ - سيارش *		
٢٠٩٨٨	١٣ - الاشغال (النافعة)		
٩,٨٠٩,٧٩٦	المجموع	٨,١١٥,٦٨٥	المجموع
قرش		قرش	

(٥) سيارش: لم يرد في هذه الميزانية توضيح لطبيعة هذا النوع من المصروفات وكلمة سيارش لما اكثر من معنى في اللغة التركية. فهي تعني الأمر بصنع أو إرسال شيء، وتعني ايضا ارسال حوالة مالية، كما تعني ايضا المبلغ المستقطع من راتب موظف اوضاع ما لتوزيعه على ذويه أو اقربائه في مكان آخر. انظر. شمس الدين سامي؛ قاموس تركي (درسمات - اقدام مطبعة سي - ١٣١٩ هـ)، ص ٧٠٧.

ايرادات ولاية الموصل للسنة المالية ١٩٠٩ - ١٩١٠

نوع الإيرادات	قروش	الملاحظات
١ - ضريبة العشر	١٣,٣٧٤,٧٦١	القيمة التخمينية لهذه الضريبة في ولاية الموصل هي ٩,٣٢٧,٩٦٨ قرش في تلك السنة. وقد تم تحصيل ماقيمته ٧,٩٨٥,٥٧٥ قرش عن هذه السنة اضافة الى ماقيمته ٥,٣٨٩,١٨٦ قرش عن متأخرات السنة السابقة.
٢ - رسوم الاغنام والايقار والجمال وغيرها من الحيوانات	١٠,٦٢٩,١٦١	القيمة التخمينية ٦,٨١٥,٦٦٢ قرش في هذه السنة. تم تحصيل ما قيمته ٥,٧٧٧,٦٦١ قرش اضافة الى ٤,٨٥١,٥٠٠ عن متأخرات السنة السابقة.
٣ - ضريبة الاملاك والعقار (الاراضي والمستغلات)	٤,٥٥٤,٤٩٧	القيمة التخمينية ٤,٠٠٥,٤٥٧ قرش عن هذه السنة. تم تحصيل ماقيمته ٢,٢٤٩,٧٠٠ قرش اضافة الى ٢,٣٠٤,٧٩٧ قرش عن متأخرات السنة السابقة.
٤ - البذل العسكري	١,٢٢٤,٨٢٦	منها ٤٨٦,٤٧٥ قرش بدل نقدي عسكري عن المسلمين و ٧٣٨,٣٥١ بدل عسكري من غير المسلمين
٥ - ضريبة التمتع	٧٠٧,٢٢٩	القيمة التخمينية لهذه الضريبة ٦٣٩,٩٥٣ قرش عن هذه السنة. تم تحصيل ٣١٠,٦٦٢ قرش منها اضافة الى ٣٩٦,٥٦٧ قرش عن متأخرات السنة السابقة.
٦ - ضريبة اعمال الطرق	٣٧,١١٣	منها ٣١,٥٨٤ قرش عن متأخرات السنة السابقة و ٥,٥٣٢ قرش تم تحصيلها في هذه السنة.
٧ - رسوم المحاكم النظامية	٢١٠,٠٩٦	
٨ - رسوم المحاكم الشرعية	٨٧,٩٨٠	
٩ - رسوم الطوايع	٣٥٩,٢١٢	عدد الطوايع المباعة ٣٦٢,٢٧٨
١٠ - رسوم السكرات	٩١,٤١٨	
١١ - ضريبة الملح	٧٢٤,٢٠٤	عن استهلاك ١,٤٦٣,٥٤٨ كغم من الملح.
المجموع	٣١,٩٩٠,٤٩٧	

مصرفوات ولاية الموصل للسنة المالية ١٩١٠ - ١٩١١ م

نوع المصروفات	قروش
١ - رواتب ومصرفوات دوائر وزارة الداخلية	١,٨٧٩,٩٤٤
٢ - رواتب ومصرفوات ادارة الدين العام العثماني (مكتب الموصل)	٦٥٩,٨٣٧
٣ - رواتب ومصرفوات دائرة الدفتر الخاقاني*	١٥٠,٢٥٧
٤ - قوات الجندرية (الدرك)	٤,٣٦٧,٥٦٧
٥ - رواتب ومصرفوات الدوائر التابعة لوزارة الحربية	١٧,٥٤٣,٤٣٨
٦ - مصرفوات خاصة بدعم مشروع سكة حديد الحجاز	٧,١٥٧
٧ - رواتب ومصرفوات دوائر وزارة الغابات والمعادن	٧٦,٥٦٠
٨ - رواتب ومصرفوات دوائر وزارة التجارة والاشغال	٥٨٢,٧٣١
٩ - رواتب ومصرفوات دوائر وزارة الشؤون الدينية	٧٧٨,٥٩٧
١٠ - رواتب ومصرفوات دوائر وزارة المالية	٤,٤٥٦,٥١٣
١١ - رواتب ومصرفوات دوائر وزارة العدلية	١,٠٩٥,٢٨٠
١٢ - رواتب ومصرفوات الامن العام	٢٤٢,٩٨٧
١٣ - رواتب ومصرفوات المعارف	٤٨٥,٣٧٧
المجموع	٣٢,٣٢٦,٢٤٥

(٥) مهمة هذه الدائرة هي متابعة وتنفيذ احكام القوانين والانظمة والتلبيات الخاصة بادارة الاملاك والاراضي والنفس وما يخص معاملات تصرف الاملاك وتملكها والاشراف على معاملات المأمورين في الأقضية وابلاغ الوالي عن كل موظف يتجاوز التعليلات والانظمة . وقد تأسست هذه الدائرة في العراق في عهد مدحت باشا .

الهوامش

بالدرهم والدنانير (طهران - مكتبة الصدوق - ط٢ - ١٣٨٢ هـ) ج١ ، ص ١٠٥ ، انتسانس ماري الكرملي ، النقود العربية وعلم النقبات (بيروت - د.ت) ص ١٦٥ ، Encyclopedia of Islam, New Edition, Vol.I, Art. "Akçe".

(٦) يعد بعضهم الصاعدة عملة اخرى غير الآقجة ، لكننا اعتبرناها نفس العملة لان قيمتها مساوية للآقجة تماماً كما ورد في الصفحات اللاحقة من هذا البحث عند حديثنا عن العملة النحاسية المعروفة بالقرير او الفليس ، راجع : رؤوف ، المصدر السابق ، ص ص ٥٦١ - ٥٦٣ ، ياسين بن خير الله الخطيب العمري ، غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر (الموصل - مطبعة ام الربيعين - ١٩٤٠) ص ١٥ ، ورحلة الاب فتشيسو الى العراق و ترجمة بطرس حداد - مجلة مجمع اللغة السريانية - المجلد الاول - ١٩٧٥ - ص ١٩٦ ، وكذلك Ismail H.Uzunçarşili; Osmanli devletinin teskilatından kapikulu Oçakları - (Ankara - 1943) Vol.I, P,473.

(١) عباد عبدالسلام رؤوف ، الموصل في العهد العثماني ١٧٢٦-١٨٣٤م (النجف - مطبعة الآداب - ١٩٧٥) ص ٥٥١ .

(٢) يذكر يعقوب سركيس ان سك النقود في بغداد استمرحتي سنة ١٨٣٥م ، في حين ان غالتين ينقل لنا صوراً لنقود مسكوكة في بغداد سنة ١٨٣٩م . راجع : يعقوب سركيس ، مباحث عراقية في الجغرافية والتاريخ والاثار (بغداد - دار الحرية للطباعة - ١٩٨١) ق ١٣ ، ص ٨٠ ، W.H.Valentine; Modern Copper Coins of Muhammadan states (London-1911) pp, 26-27 . رؤوف ، المصدر السابق ، ص ٥٥١ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٥٥١ .

(٤) الآقجة Akçe كلمة تركية تعني الشيء الضارب الى البياض وتُسمى بالبرناتية Aspron وبالفرنسية Aspre . ويرى بون Bowen انها تعني القطعة الصغيرة البيضاء ، راجع وقلان ، موسى الحسيني المازندراني ، العقد المثير في تحقيق ما يتعلق

- (٢٥) دوتيكولانزا، الموصل في القرن الثامن عشر (الموصل - المطبعة الشرقية الحديثة - ١٩٥٣ - ترجمة روفائيل يداويد) ص ٩٢ .
- (٢٦) العمري ، غرائب الاثر ، ص ٤٠ .
- (٢٧) الحلاق ، المصدر السابق ، ص ٥٥ .
- (٢٨) كارتست نيبور ، رحلة نيبور الى العراق في القرن الثامن عشر (بغداد - شركة دار الجمهورية - ١٩٦٥ - ترجمة محمود حسين الامين) ص ١١٥ .
- (٢٩) سركيس ، المصدر السابق ، ص ٥٠ .
- (٣٠) المصدر نفسه ، ص ٥١ .
- (٣١) Omer L. Barkan; XV ve XVI inçi asirlarda Osmanli imparatorlugunda Zirai ekonominin hukuki ve mali esasleri (Istanbul - 1943) Cilt I, P,178.
- (٣٢) Uzuncarsili; OP, cit, P, 473.
- (٣٣) العمري ، غرائب الاثر ، ص ١٥ .
- (٣٤) عبدالنعم السيد علي ، التطور التاريخي للأنظمة النقدية في الاقطار العربية (بيروت - ١٩٨٣) ص ٣٨ .
- (٣٥) ز. ي. هرشلاغ ، مدخل الى التاريخ الاقتصادي الحديث للشرق الاوسط (بيروت - دار الحقيقة - ١٩٧٣ - ترجمة مصطفى الحسيني) ص ٨٠ .
- (٣٦) راجع التفاصيل في ، الزاوي ، المصدر السابق ، ص ص ١٦١ - ١٦٢ .
- (٣٧) هرشلاغ ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .
- (٣٨) ذيل دستور (استانبول - ١٢٩٨ هـ) ج ١ ، ص ص ٦٧ - ٦٨ .
- (٣٩) استينيان عريان ، اصول دفتري (استانبول - ١٣٣١ هـ) ص ١٠ .
- (٤٠) سالتة دولت عليه عثمانية (استانبول - محمود بك مطبعة مي - ١٢٩٨ هـ) ص ص ٤٥٧ - ٤٥٨ ،
- Justin McCarthy; The Arab World, Turkey and the Balkans 1878 - 1914, A handbook of historical statistics (Baston - 1982) P,153.
- (٤١) Stephen H.Longrigg; Iraq 1900 - 1950 (Beirut - 1968) P,28.
- (٤٢) عريان ، المصدر السابق ، ص ١٠ .
- (٤٣) سركيس ، المصدر السابق ، ص ٦٩ .
- (٤٤) سركيس ، المصدر السابق ، ص ٦٩ ، هرشلاغ ، المصدر السابق ، ص ٨٢ .
- (٤٥) على سبيل المثال عندما كانت المشاكل تظهر بين العثمانيين والفرس حول تبعية العشائر الحدودية لهذا الطرف او ذلك كان العثمانيون ، وكذلك الفرس ، يجهضون في تقديم الأدلة على ولاء هذه العشائر وتبعية واعترافها بالسيادة من خلال اثبات دفعها الضرائب لهذا الطرف او ذلك .
- (٤٦) Stanford J.Shaw & E.K.Shaw; History of the Ottoman empire and modern Turkey (Cambridge - 1977) vol.2, P,95.
- (٧) Islam Ansiklopediasi, Cilt, I, P,232.
- (٨) احمد جواد ، تاريخ عسكري عثماني (اسطنبول - ١٢٩٧ هـ) ج ١ ، ص ٦١ ، عباس الزاوي ، تاريخ النقود العراقية لما بعد المهود العباسية (بغداد - شركة الطباعة والتجارة - ١٩٥٨) ص ١٤٢ .
- (٩) الزاوي ، المصدر السابق ، ص ص ١٤٤ - ١٤٥ ، رؤوف ، المصدر السابق ، ص ٥٥٤ .
- Uzuncarsili; Op., Cit, I, P,232.
- (١٠) رؤوف ، المصدر السابق ، ص ص ٥٥٤ - ٥٥٥ .
- (١١) من كلمة «بارجة» التي تعني «قطعة» في التركية والكردية والفارسية . ولاتزال الكلمة تستخدم في هذه اللغات بمعنى النقود بصورة عامة .
- (١٢) خليل الساحلي ، والنقود في البلاد العربية في العهد العثماني ، مجلة كلية الآداب - الجامعة الأردنية - المجلد الثاني - ايار ١٩٧١ ، ص ١٠٩ .
- (١٣) العمري ، المصدر السابق ، ص ١٥ . ويذكر ان تسميتها باسم «مصرية» منشأها ان الدولة العثمانية رخصت سكها في مصر . ومازال اهل دمشق ومدن اخرى في بلاد الشام يسمون النقود «مصري» ، راجع ، الشيخ احمد البديري الحلاق ، حوادث دمشق البيوتية ١١٥٤ - ١١٧٥ هـ / ١٧٤١ - ١٧٦٢ م (القاهرة - مطبعة البيان العربي - ط ١ - ١٩٥٩ - تحقيق احمد عزت عبدالكريم) ص ٤ .
- (١٤) الساحلي ، المصدر السابق ، ص ١١٠ .
- (١٥) يذكر الكرمل ان اصل تسمية القرش من الالمانية Groschen ، راجع ، الكرمل ، المصدر السابق ، ص ١٨١ .
- (١٦) Ziya Karamursel; Osmanli mali tarihi hakkinda tetkikler, (Ankara - 1940) P,215; H.Gibb & H.Bowen; The Islamic society and the West (Oxford - 1957) Part II, P,53.
- (١٧) الزاوي ، المصدر السابق ص ١٤٨ ، رؤوف ، المصدر السابق ، ص ٥٥٥ .
- (١٨) Gibb & Bowen; Op. cit, P,54.
- (١٩) رؤوف ، المصدر السابق ، ص ص ٥٥٥ - ٥٥٦ .
- (٢٠) المصدر نفسه ، ص ٥٥٨ ، ياسين بن خيرة العمري ، زبدة الاثار الحلية في الحوادث الارضية (التنجف - مطبعة الآداب - ١٩٧٤ - تحقيق عاهد عبدالسلام رؤوف) ص ١٦٠ . وكلمة ريال مأخوذة عن Royal اي ملكي .
- (٢١) العمري ، زبدة الاثار ص ١٦٠ هامش ٣ .
- (٢٢) اصل الكلمة سلافي ومعناها الذهب ، الا ان العثمانيين اطلقوها على هذه العملة الفضية . راجع ، الكرمل ، المصدر السابق ص ١٧٥ .
- Gibb & Bowen; OP. cit, P,54.
- (٢٣) راجع وقارن ، الزاوي ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، جواد ، المصدر السابق ، ص ٦١ ،
- Karamursel; OP. cit, P, 215.
- Gibb & Bowen; OP. cit, P,54.
- (٢٤)

- (٦٨) تولت هذه الاسرة بعد ذلك حكم ولاية الموصل بين سنة ١٧٢٦ و ١٨٣٤ م.
- (٦٩) سليمان صانع ، تاريخ الموصل (القاهرة- المطبعة السلفية- ١٩٢٣) ج ١ ، ص ٢٧٤ .
- (٧٠) رؤوف ، المصدر السابق ، ص ٥١- ٥٢ .
- (٧١) المصدر نفسه ، ص ٣١٣ .
- (٧٢) I.H.Uzunçarşılı; Osmanlı devletinin ilmiye teskilati (Ankara - 1965)p.85.
- (٧٣) محمد أمين بن خيرالله الخطيب العمري ، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحذباء (الموصل- ١٩٦٧- تحقيق سعيد الدينوه جي) ، ج ١ ، ص ١٤٣ .
- (٧٤) ملي تبطر مجموعة سي- صاي ٣- ص ٥٤٢ .
- (٧٥) العمري ، منهل الاولياء ، ج ١ ، ص ١٤٣ .
- (٧٦) Shaw; Op.cit, p.95.
- (٧٧) ارشيف رئاسة الوزراء (تركيا) دفتر الطابو ٦٦٠ / ولاية الموصل ، الورقة ٢١٧ .
- (٧٨) الدستور (مجموعة القوانين والتظلمات العثمانية) ترجمة نوفل نعمة الله نوفل (بيروت- ١٣٠١ هـ) ، ج ١ ، ص ٢- ٤ .
- (٧٩) Longrigg; Op.cit,p.35.
- (٨٠) الدستور ، ج ٢ ، ص ٤٧- ٤٩ .
- (٨١) راجع التفاصيل في ، عباد احمد الجواهري ، تاريخ مشكلة الأراضي في العراق ١٩١٤- ١٩٣٢ م (بغداد- دار الحرية- ١٩٧٨) ص ٣٠- ٤٢ .
- (٨٢) المس جبروتود بيل ، فصول من تاريخ العراق القريب (بيروت- مطبعة دار الكتب- ١٩٧١- ترجمة جعفر خياط) ص ١٧٢ .
- اضيفت الرسوم والزيادة منذ سنة ١٨٧٨ م لدفع غرامة حرية لروسيا القيصرية بعد حرب ١٨٧٧- ١٨٧٨ م واضافة اخرى سنة ١٨٨٥ تمويل انشاء المصرف الزراعي واضافة اخرى للاتفاق على المعارف وغير ذلك .
- (٨٣) Shaw; Op.cit,p.98.
- (٨٤) انظر مثلاً : موصل ولايتي سالنامه سي ١٣٠٨ هـ / ١٣٠٦ روسي ، ص ١٠٦ .
- (٨٥) Charles Issawi (ed.); The economic history of the Middle East 1800-1914 (Chicago- 1975)p.189.
- (٨٦) Shaw; Op.cit,p.97.
- (٨٧) هرشاغ ، المصدر السابق ، ص ٨١ . في حين يذكر البعض ان مقدار البدل بلغ ٢٧ قرشاً و ٣٢ مائة لكل شخص والبعض الآخر يذكر ان البدل كان ٣٠ قرشاً لكل شخص ، راجع فيصل محمد الارجم ، تطور العراق تحت حكم الاتحاديين ١٩٠٨- ١٩١٤ م (الموصل- مطابع الجمهور- ١٩٧٥) ص ٥٥ ، جاسم محمد حسن ، العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦- ١٩٠٩ م (رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة بغداد- ١٩٧٥) ص ٢٣٨ .
- (٨٨) الدستور ، ج ٢ ، ص ٢٧ .

- (٤٧) Mustafa Akdag; Türkiye'nin iktisadi ve içtimai tarihi (İstanbul- 1974) Cilt I, PP, 511-514.
- (٤٨) Barkan; OP.cit, P,173.
- (٤٩) راشد محمد افندي ، تاريخ راشد (اسطنبول- ١٨٦٥ م) ج ٢ ، ص ١٤٨ ، عباس المزاري ، تاريخ الضرائب العراقية (بغداد- شركة الطباعة والتجارة- ١٩٥٩) ص ١١٦ .
- (٥٠) نيبور ، المصدر السابق ، ص ١١٥ .
- (٥١) Barkan; OP.cit, PP, 175-176.
- (٥٢) Barkan; OP.cit, PP, 176-178.
- (٥٣) Ibid, P,178 وطبقاً لما ذكره الرحالة نيبور فقد كان التجار يدفعون ضريبة الباج بمقدار ١٠ قروش على حمل كل جمل من الاقشة بغض النظر عن نوع القماش و٧,٥٥ قرش على حمل الجمل من القهوة و٦ قروش على حمل الجمل من القفل . اما اذا كانت البضاعة محملة على ظهور الحمار او البغال فانها توزن ويدفع الباج عنها ، نيبور ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ .
- (٥٤) المزاري ، المصدر السابق ، ص ٥١ .
- (٥٥) Barkan; OP. cit, P, 179.
- (٥٦) المزاري : المصدر السابق ، ص ٥١ .
- (٥٧) بشأن تفاصيل أكثر عن الانقطاع العسكري العثماني راجع ما كتبه ديني تحت مادة 'هتبار' في دائرة المعارف الاسلامية ، ج ٦ ، ترجمة احمد الشنتاوي وآخرون .
- (٥٨) V.P. Mutaftchieva & S.A. Dimitrov; Sur le'tat du systems des Timars des XVII- XVIII (Sofia- 1968) P.16.
- (٥٩) هاملتون جب وهارولد بون ، المجتمع الاسلامي والغرب (القاهرة- دار المعارف- ١٩٧١- ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفي) ج ٢ ، ص ٦٣ .
- (٦٠) ارشيف رئاسة الوزراء (تركيا) ، دفتر طابو رقم ٦٦٠ / ولاية الموصل - الاوراق ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١١ .
- (٦١) Barkan; OP.cit, P, 174.
- (٦٢) Ibid, 174.
- (٦٣) Ibid, 176.
- (٦٤) Ibid, 176.
- (٦٥) وحدة وزن كانت تعادل ٣,٧٥ كغم في القرن السادس عشر في بغداد في حين كان السن في البصرة يعادل ١١ كغم . وكان هناك سن خاص بالحبوب وآخر للحبر وآخر للسنن وهكذا ، وكان سن السنن يعادل رطلين انظر ، رؤوف ، المصدر السابق ، ص ٣١٤ ، حسين محمد الفهولي ، العراق بين الاحتلالين العثمانيين الأول والثاني ١٥٣٤- ١٦٣٨ م (رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الآداب- جامعة بغداد- ١٩٧٥) ص ٤٣٥- ٤٣٥ .
- (٦٦) رؤوف ، المصدر السابق ، ص ٣١٤- ٣١٥ .
- (٦٧) Cevdet Turkey; "Osmanlı imparatorlugunda vergi" Belgierle, Turk tarih dergisi, CiltX Sayı 57, p.18.

(١٠٩) العزاوي ؛ تاريخ الضرائب ، ص ١١٣ .
Halil inakik; "Adaletname" Belgeler, Cilt, III, (١١٠)
Sayi 3- 4, 1967.
تتضمن هذه المقالة نصوص هذه الاوامر في القرن السابع عشر.
(١١١) ارشيف رئاسة الوزراء (تركيا) ؛ دفتر الطابو ٦٦٠ / ولاية
الموصل - الورقة ٢٨٣ .
(١١٢) رؤوف ؛ المصدر السابق ، ص ٢٣٤ .
(١١٣) الجواهري ؛ المصدر السابق ، ص ٤٧ .
(١١٤) حسن ؛ المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .
(١١٥) خليل علي مراد ؛ تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد
العثماني الثاني ١٦٣٨ - ١٧٥٠ م (رسالة ماجستير غير
منشورة - كلية الاداب - جامعة بغداد - ١٩٧٥) ص ١١٥ .
(١١٦) جب ويون ؛ المصدر السابق ، ص ٦ .
(١١٧) العمري ؛ غرائب الاثر ، ص ١٠٦ .
(١١٨) ج. أ. اوليفيه ؛ رحلة اوليفيه الى العراق ١٧٩٤ - ١٧٩٦ م
(بغداد - مطبعة المجمع العلمي العراقي - ١٩٨٨ - ترجمة
يوسف حيي) ص ص ٤٥ - ٤٦ .
(١١٩) هرشلاغ ؛ المصدر السابق ، ص ٧٣ .
(١٢٠) الدستور ، ج ٢ ، ص ص ٦٦ - ٧٠ .
(*) تبدأ السنة المالية العثمانية في ١ آذار من كل سنة .
(١٢١) انظر الدراسة الحديثة التي قدمها (McCarthy) والمشار إليها في
هوامش سابقة .
(١٢٢) موصل ولايتي سالنامه سي ١٣٠٨ هـ / ١٣٠٦ روسي ، ص ص
١٠٦ - ١٠٧ .
(١٢٣) موصل ولايتي سالنامه سي ١٣١٠ هـ / ١٣٠٨ روسي ، ص ص
١٥٤ - ١٥٥ .
(١٢٤) موصل ولايتي سالنامه سي ١٣١٢ هـ / ١٣١٠ روسي ص ص
٢٩٥ - ٢٩٦ .
McCarthy; Op. cit, PP, 171 - 179. (١٢٥)
McCarthy' Op. cit, PP, 190 - 204. (١٢٦)
(١٢٧) انظر ذلك مثلاً في ؛ عبد العزيز محمد عوض ؛ الادارة العثمانية
في ولاية سورية ١٨٦٤ - ١٩١٤ (القاهرة - دار المعارف -
١٩٦٩) ص ٢٢١ .
(١٢٨) فيليب ويلارد آيرلند ؛ العراق ، دراسة في تطوره السياسي
(بيروت - دار الكشاف - ١٩٤٩ - ترجمة جعفر خياط)
ص ص ٤٦ - ٤٧ .

(٨٩) Shaw; Op.cit,p,100.
(٩٠) نلاحظ هذا التمييز في التسمية في قائمة ايرادات ولاية الموصل
للسنة المالية ١٩٠٩ - ١٩١٠ م ، راجع ،
McCarthy; Op.cit,p,173.
(٩١) حسن ؛ المصدر السابق ، ص ٢٣٩ .
(٩٢) كودة كلمة تركية يُراد بها الذبيحة ، لكن العزاوي يعتقد أن
اصل التسمية من الكيد اي الأخذ قسراً ، راجع وقارن ؛ مجلة
لغة العرب ، ج ٢ ، شعبان ١٣٢٩ هـ / آب ١٩١١ م ،
ص ٨٠ ، العزاوي ؛ المصدر السابق ، ص ١١٣ .
(٩٣) المس بيل ؛ المصدر السابق ، ص ١٧٣ .
(٩٤) دليل العراق الرسمي لسنة ١٩٣٦ (بغداد - ١٩٣٦)
ص ص ٣١١ - ٣١٢ وكذلك ،
Shaw; Op.cit, pp,96-99.
(٩٥) Shaw; Op.cit,p,101, McCarthy; Op.cit,p,158.
(٩٦) راجع تفاصيل ضريبة المسكرات في ؛ الدستور ، ج ٢ ،
ص ص ٦٣٢ - ٦٤١ .
(٩٧) راجع تفاصيل هذا النظام في ؛ المصدر نفسه ، ص ص ٦١٠ -
٦٢٨ .
(٩٨) استوفت الدولة العثمانية في السنة المالية ١٩٠٩ - ١٩١٠ م
مابقمته ٧٢٤٢٠٤ قرشاً من هذه الضريبة في ولاية الموصل ،
McCarthy; Op.cit,p,179.
(٩٩) يعقوب سركيس ؛ «واردات العراق بين عهدين» مجلة غرفة تجارة
بغداد ، السنة الرابعة ، ج ٨ - تشرين الأول ١٩٤١ ،
ص ٦٦٤ .
(١٠٠) هرشلاغ ؛ المصدر السابق ، ص ص ٨٦ - ٨٧ .
(١٠١) موصل ولايتي سالنامه سي ١٣١٠ هـ / ١٣٠٨ روسي . ص ٨٨
وصفحات عديدة غيرها .
(١٠٢) المس بيل ؛ المصدر السابق ، ص ١٦٧ .
(١٠٣) المصدر نفسه ، ص ١٧٤ .
(١٠٤) الجواهري ؛ المصدر السابق ، ص ٤٤ .
(١٠٥) جب ويون ؛ المصدر السابق ، ص ٨٤ .
(١٠٦) المصدر نفسه ، ص ص ٨١ - ٨٣ .
(١٠٧) ارشيف رئاسة الوزراء (تركيا) دفتر الطابو ٦٦٠ / ولاية الموصل ؛
الورقة ٢٨٣ .
(١٠٨) Shaw; OP. cit, P. 96.

تجارة الموصِل

أ. د. خليل علي مراد

الحدود المترامية الاطراف^(٣). وقد هيا هذا الوضع الجديد فرصاً افضل ومجالات ارحب للنشاط التجاري الذي يعتمد على السلم والاستقرار في المقام الاول. فقد اصبحت ولاية الموصل تشترك مع ولايات عثمانية اخرى في تشكيل منطقة اقتصادية واحدة تمتد من البحر المتوسط غرباً حتى الخليج العربي جنوباً، أي بامتداد يشمل منطقة الهلال الخصيب بأسرها، مع ما يتصل بها من طرق متشعبة في الاناضول وبلاد فارس ومصر وشبه الجزيرة العربية وغيرها^(٤).

وإذا كان التوسع العثماني في اراضي آسيا الغربية قد هيا الظروف الملائمة لانعاش تجارة المنطقة فإن خصائص الموقع الجغرافي لمدينة الموصل كان وراء بروزها مركزاً تجارياً مهماً في شمال العراق مرة اخرى. ذلك انها تتوسط ثلاث مناطق متميزة هي المنطقة الجبلية الكردية واقليم الجزيرة ومنطقة البادية الصحراوية. وترتب على ذلك ان اصبحت اسواق الموصل مقصد سكان هذه المناطق لبيع ومبادلة منتجاتهم فيها والتزود بما يحتاجونه من سلع ومنتجات منها. وقد وصف الرحالة الفرنسي جان بابتيست تافرنيه J. P. Tavernier الموصل سنة ١٦٤٤م بأنها «ملتقى مهم للتجار، خاصة تجار العرب والاكراد»^(٥). كما كتب الراهب الايطالي دومينيكو لانزا D. Lanza في منتصف القرن الثامن عشر الميلادي بأن الموصل «تستفيد من موقعها الجغرافي المتوسط بين الجهات فتأتيها الاعراب من البادية والاكراد من الجبال ويتعاون منها ما يحتاجونه...»^(٦).

وفضلاً عما سبق كان هناك عامل آخر يتمثل في

كانت الموصل مركزاً مهماً من مراكز النشاط التجاري في العراق ابان العصور الوسطى الاسلامية. الا ان اضطراب الاوضاع السياسية في العراق والمناطق المجاورة له بعد موجة الغزو المغولي للشرق العربي والاسلامي في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي ادى الى تدهور الاوضاع الاقتصادية عموماً، والنشاط التجاري بخاصة، في تلك المناطق. وكانت الموصل من بين المراكز التجارية التي تأثرت كثيراً بتلك الاوضاع، فقد تحولت الى مجرد موقع حربي تتنافس عليه اقوام شتى بدءاً من المغول الذين احتلوها سنة ١٢٦١م وانتهاءً بالصفويين والعثمانيين في مطلع القرن السادس عشر الميلادي^(٧). وما زاد في تدهور الاوضاع الاقتصادية في الموصل الاوثة والمجاعات المتكررة التي تعرضت لها في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلادي^(٨).

مركز الموصل التجاري في عهد السيطرة العثمانية :

بدأت الموصل تستعيد نشاطها ومركزها التجاري تدريجياً بعد ان فرض العثمانيون سيطرتهم عليها سنة ١٥١٦م، وعلى بقية انحاء العراق والمناطق المجاورة مثل بلاد الشام وبعض مناطق شبه الجزيرة العربية وشمال غرب بلاد فارس في النصف الاول من القرن السادس عشر الميلادي. ذلك ان احدى النتائج المهمة التي ترتبت على هذا التوسع العثماني في اراضي آسيا الغربية التي كانت منقسمة الى عدد من الدول المستقلة، توحيد هذه على شكل ولايات يسود السلام علاقات بعضها ببعض داخل الامبراطورية العثمانية الواسعة ذات

ارتباط الموصل، من خلال طرق مواصلات برية ونهرية عدة، مع مدن العراق المهمة في الوسط والجنوب ومع البلدان المجاورة مثل بلاد الشام والناضول وبلاد فارس. وفي الوقت ذاته كانت الموصل نقطة التقاء طرق تجارية عديدة تربط الاناضول بجنوب العراق، ومدن شمال غرب بلاد فارس بالمراكز التجارية المهمة في شمال بلاد الشام، وبصورة خاصة مدينة حلب. ونتيجة لذلك نشطت تجارة المرور (الترانسيت) عبر المدينة، وقد نهض التجار الموصليون بدور مهم في هذه التجارة أيضاً^(٧).

يمكن القول ان الموصل تمتعت بمركز تجاري مهم طيلة عهد السيطرة العثمانية تقريباً فقد وصف الرحالة الهولندي ليونهارت راوولف L. Rauwllf، الذي مرّ بالموصل في كانون الثاني ١٥٧٥م، تجارة المدينة بقوله «... ان التجارة نشطة فيها اذ ان في المدينة مخازن كبيرة للسلع نتيجة لوجود النهر [اي دجلة] حيث يتم نقل مختلف البضائع والفواكه من البلاد المجاورة بطريق النهر وبالبر الى بغداد»^(٨).

اما الرحالة الفرنسي اوليفيه G. A. Olivier الذي مرّ بالموصل سنة ١٧٩٤م فقد وصفها بأنها «اعظم الاسواق التجارية في الشرق»^(٩) كما اشار الى اهمية المدينة في تجارة الترانسيت بقوله «... ان معظم الاقمشة وعقاقير الهند والسلع تمر بهذه المدينة في طريقها الى الاسنانة عبر آسيا الصغرى، وكذلك بشأن قهوة مخا وبضائع فارس، كما انها مستودع للعصص والصمغ وشمع كردستان، وقطن المناطق القريبة»^(١٠). كما اشار الرحالة الانكليزي ولیم هيويد W. Heude الذي مرّ بالموصل سنة ١٨١٧م الى اتساع تجارة الموصل بشكل يدل على ثروة ودرجة كبيرة من الطمأنينة قلما توجد في غيرها من المدن^(١١).

كانت هناك فترات متميزة ايضاً في نشاط الموصل التجاري في عهد السيطرة العثمانية. ولاشك ان فترة ولاية الاسرة الجليلية (١٧٢٦-١٨٣٤م) تُعد خير مثال على ذلك، فقد اهتم ولاة هذه الاسرة، التي كانت من اهم الاسر التجارية في الموصل يومئذ^(١٢)، بحماية

برنجي قسم تجار



ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات
ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات
ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات
ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات
ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات
ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات
ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات
ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات
ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات
ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات	ملاحظات

• من سجلات غرفة تجارة الموصل (ولايي موصل مركز تجارات وزراعت وصنایع اوله سي) ٢٢ تموز ١٣٣٤ مالية روميه (١٩١٨).

الطريق البري بينها غرب نهر دجلة عرضة للغارات وإعمال السلب والنهب في الفترة بين القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر الميلادي^(١٦). كما كان الطريق التجاري بين الموصل وديار بكر وحلب عرضة لأعمال ماثلة من جانب اليزيديين وبعض عشائر قبيلة طي العربية التي استقرت في منطقة جبل سنجار^(١٧). وكانت الخسائر الناجمة عن هذه الغارات جسيمة في بعض الأحيان. فعلى سبيل المثال بلغت خسائر إحدى القوافل التجارية على طريق الموصل - حلب في سنة ١٨١٠م ما قيمته ١٠٠٠٠٠ قرش عثماني عدا الجمال والخيول والدواب^(١٨).

وفي إقليم الجزيرة كانت قبيلة شمر الجربا القوية تفرض سيطرتها معتدة المنطقة ملكاً لها. وقد عرضت هذه القبيلة الطريق التجاري بين الموصل وبغداد إلى الانقطاع في السنوات ١٧٩٨م، ١٨٠٥م، ١٨٠٧م، ١٨١٠م^(١٩) وعلى الرغم من تحسن علاقات هذه القبيلة مع السلطات العثمانية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر فإن بعض أفرادها استمروا في الإغارة على القوافل التجارية وأخذ ما تحمله من أمتعة وأموال^(٢٠). وفضلاً عن ذلك كانت هذه القبيلة تفرض ضرائب على تجار الأغنام والمواشي في الموصل وبغداد الذين يرسلون قطعانهم عبر ديار هذه القبيلة. فعلى سبيل المثال دفع تجار الأغنام في الموصل ضريبة تزيد على ٦٠٠٠ ليرة عثمانية إلى هذه القبيلة سنة ١٩٠٩م^(٢١).

وكان للصراع العثماني - الفارسي على العراق أثر سلبي على النشاط التجاري في العراق بعامه، وخاصة عندما تكون أراضيها هدفاً للحملات العسكرية الفارسية وميداناً للحرب بين الجانبين. فقد اضطرت الحالة في أسواق العراق سنة ١٧٣٣م بسبب الغزو الفارسي ومحاوله احتلال بغداد والموصل^(٢٢) والشيء ذاته ينطبق على غزو نادر شاه، حاكم بلاد فارس بين سنة ١٧٣٦ -

المصالح الاقتصادية لمدينة الموصل. وقد اتضح ذلك من اهتمامهم بصيانة طرق التجارة وتأمين الحماية العسكرية اللازمة لها وتخفيض نسبة الضرائب التجارية^{*}، وإلزام جباة الضرائب بعدم تجاوز نسب الضرائب والرسوم المقررة عند تقدير قيمة البضائع التجارية. وقد أكد هذا الأمر الرحالة الدانمركي الشهير كارستن نيبور C. Niebuhr الذي مرّ بالموصل سنة ١٧٦٦م وأشار إلى انخفاض مقدار الضرائب التجارية فيها قياساً إلى بقية الولايات الأخرى المجاورة^(٢٣). ويضيف الرحالة الفرنسي أوليفيه إلى أن هذه السياسة جعلت التجار والأهالي يكيلون المديح لولاة الأسرة الجليلية ومنهم محمد باشا الجليلي الذي كان والياً على الموصل آنذاك^(٢٤)، بسبب نزاهته ونزاهة موظفيه. ومغضي إلى القول بأن هذا الوالي كان يعمل كل ما في وسعه لحمل تجار المناطق المجاورة على جلب محاصيلهم الزراعية إلى الموصل، وتسهيل معاملات التجار من قبل موظفي الكمارك. وترتب على ذلك تقاطر التجار والباعة على الموصل عندما وجدوا أنفسهم في مأمن، فقد وسعوا أعمالهم التجارية هناك، كما ازداد عدد القوافل التجارية التي ترد إلى المدينة^(٢٥).

من جهة أخرى كانت تجارة الموصل تتأثر أحياناً ببعض الاضطرابات والمشكلات في مناسبات مختلفة. وفي مقدمتها تعرض القوافل التجارية لغارات بعض القبائل العربية والكردية أو اليزيديين عند مرورها في ديارهم، خاصة في أوقات تدهور علاقات هذه القبائل مع السلطات العثمانية في العراق. وكانت هذه القبائل تترك جيداً عجز تلك السلطات عن اتخاذ إجراءات رادعة ضدها. باستثناء فترة حكم بعض الولاة الاقوياء في بغداد والموصل والذين كانوا يشنون حملات تأديبية ضد هذه القبائل بين حين وآخر. وهكذا كان الطريق التجاري النهري بين الموصل وبغداد، وكذلك

١٧٤٧م ، للعراق والحصار الذي فرضه على الموصل. وكانت إحدى أهدافه المهمة السيطرة على طرق التجارة المتفرعة منها^(٢٣).

ومن العوامل المؤثرة على النشاط التجاري سلباً المشكلات التي كانت تحدث داخل المدينة أحياناً، ومنها المصادمات بين وحدات الجيش الانكشاري فيها. فقد توقفت عمليات البيع والشراء في أسواق الموصل اياماً عديدة سنة ١٧١١م بسبب هذه المصادمات^(٢٤). كما أدت حوادث مماثلة في سنة ١٨٠٦م الى نهب حوالي ٢٠٠ دكان، وقُدرت قيمة الاموال المنهوبة بحوالي ٥٠٠٠٠ قرش^(٢٥).

واخيراً فان بعض العوامل الطبيعية كانت تعرقل أحياناً النشاط التجاري. مثال ذلك ان تفشي وباء الطاعون في الموصل سنة ١٧٩٩ - ١٨٠٠م جعل والي بغداد سليمان باشا الكبير يرفض استقبال اية قافلة تجارية من الموصل، كما توقف ورود القوافل التجارية من بغداد والمناطق الكردية المجاورة الى الموصل مما ادى الى ارتفاع اسعار بعض المواد الغذائية فيها^(٢٦). كما ادى تفشي وباء الطاعون في العراق سنة ١٨٣١م الى كساد تجاري عام فيه^(٢٧). حاولت السلطات العثمانية معالجة بعض هذه المشكلات التي تؤثر في النشاط التجاري، وفي مقدمتها غارات القبائل على القوافل التجارية. فقد وجهت حملات عسكرية متعددة ضد هذه القبائل، كما اهتم بعض الولاة، ومنهم ولاية الموصل من الاسرة الجليلية، بارسال رجال مسلحين مع القوافل التجارية لحمايتها^(٢٨). الا ان كل ذلك لم يضع حداً لتلك المشكلة.

أسواق الموصل :

ان معلوماتنا عن اسواق الموصل وحالتها في عهد السيطرة العثمانية قليلة الى حد ما ، إذ لا تتوافر سوى معلومات متفرقة في ثنايا مؤلفات الرحالة

الاوربيين الذين مروا بالموصل، وفي السالنامات (الكتب السنوية) العثمانية الخاصة بولاية الموصل في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن الحالي، وبعض الوثائق العثمانية والمحلية. اما سجلات المحاكم الشرعية للولاية ذات الاهمية البالغة فلا تزال غير مصنفة وغير متاحة للباحثين. وسنحاول، اعتماداً على مالدينا من معلومات متفرقة، تكوين فكرة عن أسواق الموصل.

شهدت أسواق الموصل توسعاً مستمراً في عهد السيطرة العثمانية تبعاً لتطور النشاط التجاري وتطوره. وقد اهتمت الأسر التجارية وصاحبة النفوذ في المدينة بانشاء عدد من المتاجر والخانات^(٢٩). وكانت الاخيرة مخصصة لسكن التجار ولخزن السلع والبضائع المختلفة .

عندما مرَّ الرحالة الفرنسي تافرييه بالموصل سنة ١٦٤٤م لم يكن في المدينة، على حد وصفه، سوى سوقين معقودين وخانين متواضعين مكتظين بالمسافرين^(٣٠). اما مصطفى بن كمال الدمشقي الصديقي الذي زار الموصل سنة ١٧٢٦م فيكتفي بذكر نزوله في خان للتجار هو خان « الاغا »^(٣١). فيما أشار الرحالة الدانمركي نيبور سنة ١٧٦٦م الى وجود خمسة عشر خاناً في الموصل بينها خمسة خانات صغيرة وردنية والبقية كبيرة وواسعة. ووصف اسواق الموصل ومقاهيها وحماماتها بأنها جميلة وخلاصة، وان اجمل وأحسن هذه المحلات تعود الى الاسرة الجليلية^(٣٢). وقد ارتفع عدد خانات الموصل الى خمسة وعشرين خاناً في نهاية القرن الثامن عشر، وفي ذلك الوقت كان في الموصل عشرة اسواق^(٣٣). ويبدو ان بعض هذه الخانات كانت صغيرة ولم تلتف اهتمام الرحالة في اوائل القرن التاسع عشر، حيث يذكر الرحالة الفرنسي دوبريه (A. Dupre) وجود اثني عشر خاناً في الموصل، اهمها خان « الغلوة » وخان « المفتي » لكل منها ست وعشرين غرفة ويستعملان ايضاً بمثابة مخزن

لبضائع الكمارك التي تفرض عليها الرسوم^(٣٤). في حين ذكر الرحالة الإنكليزي ولیم هیود سنة ١٨١٧م وجود ستة عشر خاناً في الموصل منها عشرة او اثنتا عشرة كبيرة جداً^(٣٥). وهذه الملاحظة الاخيرة قد تفسر قلة عدد الخانات التي ذكرها دوبريه والذي ربما يكون قد اكتفى بذكر الخانات الكبيرة جداً فقط.

اما سالتامات ولاية الموصل فتتضمن ارقاماً تفصيلية عن اسواق الموصل وخاناتها التجارية في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن الحالي. فقد ورد في سالتامة الموصل لسنة ١٣١٢هـ/١٨٩٤م ان في المدينة ثلاثة وعشرين خاناً و٢٦٧٧ دكاناً ومحلاً تجارياً^(٣٦). ويرتفع الرقم في سالتامة الموصل لسنة ١٣٢٥هـ/١٩٠٧م الى ٢٨٥٢ دكاناً و ١١٠ متجرّاً (تجارياً) وأربعة وثلاثين خاناً^(٣٧). وبعض هذه الخانات قائمة حتى يومنا هذا حيث تحولت الى أسواق^(٣٨).

كانت الدكاكين والمحلات التجارية في الموصل موزعة على اسواق متعددة يختص كل واحد منها ببيع سلعة او بضاعة معينة. وترد في الوثائق اشارات الى عدد من هذه الاسواق مثل «سوق الخنطة» و «سوق الخيل» و «سوق الغزل» و «سوق العلوة»^(٣٩). كما كان في المدينة سوق خاصة ببيع منتجات الهند واوربا من السلع الثمينة^(٤٠). وربما كان هذا السوق ضمن السوق الذي ورد في بعض وفتيات الموصل باسم «السوق الكبير» الذي يعرف اليوم بسوق السراجين^(٤١).

اما بالنسبة للسلع والبضائع المعروضة في اسواق الموصل ومستوى اسعارها فيمكن القول ان هذه الاسواق تميزت على الدوام تقريباً بوفرة السلع والبضائع واعتدال اسعارها. فقد وصف شاهد عيان في منتصف القرن السابع عشر ووفرة السلع والبضائع المختلفة في اسواق الموصل ورخص اسعارها، خاصة اسعار الفواكه والمواشي والخيول^(٤٢). وفي اواخر

القرن الثامن عشر الميلادي وصفت اسواق الموصل بانها «مزودة تزويداً حسناً بالسلع» وبأن اسعار معظمها، عدا الملابس، معتدلة تماماً^(٤٣). وفي اوائل القرن التاسع عشر الميلادي كانت اسواق الموصل تضاهي، بل تتميز عن، اسواق مدينة القاهرة بكثرتها ووفرة ما فيها من سلع وبضائع مستوردة من الهند واوربا والمناطق المجاورة^(٤٤). ولم تتغير حال اسواق الموصل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر مع فارق واحد هو اختفاء بعض السلع المنتجة محلياً، خاصة المنسوجات القطنية، وكثرة الاقمشة والسلع الاجنبية فيها لاسيما الانكليزية الصنع منها^(٤٥).

كانت أسواق الموصل عرضة للتفتيش باستمرار من قبل موظف خاص هو المحتسب الذي كانت مهمته الاساسية مراقبة الاسعار والاوزان والمكاييل والتأكد من التزام التجار والباعة بها^(٤٦). وبعد صدور قانون الجزاء الهياويوني سنة ١٨٥٨م عُهد بهذه المهام الى مفتشي الضابطة او الضبطية (الشرطة)^(٤٧). اما مهمة حراسة الاسواق فقد عُهد بها منذ القرن السادس عشر الميلادي الى حراس ليليين عرفوا باسم «العسسية» في الوثائق العثمانية^(٤٨). وكانت مهمة هؤلاء حراسة المحلات التجارية ليلاً والقاء القبض على كل من يتجول فيها في ساعة متأخرة من الليل وتفتيشه والتحقق معه. وكانت رواتب هؤلاء الحراس تجمع شهرياً من اصحاب الدكاكين والمحلات التجارية في اسواق الموصل^(٤٩). ثم انتقلت مهمة حراسة الاسواق في القرن التاسع عشر الميلادي الى رجال الضبطية الذين كانوا يتسلمون رواتب شهرية من خزينة ولاية الموصل كما يتضح من سجلات مصروفات الولاية^(٥٠).

كان التعامل التجاري في اسواق الموصل يتم بأسلوبين الاول: هو أسلوب المقايضة الذي استمر حتى وقت قريب جداً من عصرنا، أما الثاني: فهو

ثالثاً: الوزن المعتمد لدى الصاغة وتجار المعادن الثمينة:

قيراط = ٤ غرام

دائق = ٤ قيراط

درهم = ٤ دائق

مثقال = $\frac{1}{4}$ درهم.

رابعاً: الوزن المعتمد لدى باعة اللحوم والخضراوات هو حقه موصلية تعادل ١٦ أوقية.

الصادرات والواردات:

تألفت صادرات الموصل من سلع ومنتجات مختلفة، منها ما ينتج في المدينة ومنها مايرد إليها من المناطق المجاورة ويعاد تصديره. مقابل ذلك كانت الموصل تستورد ما تحتاجه هي والمناطق المجاورة لها من سلع ومنتجات بوصفها سوقاً تجارية رئيسة في القسم الشمالي من العراق (٥٧).

كانت المنسوجات القطنية تُعد، حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، أهم صادرات مدينة الموصل. فقد اشتهرت الموصل بمنسوجاتها القطنية منذ العصر العباسي. وكان القطن اللازم لهذه الصناعة يُزرع في سنجار والقرى المحيطة بالموصل والتي اشتهر بعضها، مثل قرية برطلة بزراعة نوعية جيدة من القطن (٥٨). وكان كثير من سكان الموصل يعملون في هذه الصناعة ويقسمون الاعمال فيما بينهم من غزل ونسج وصيغ وتقصير وغير ذلك (٥٩). وقد اشتهرت الموصل في عهد السيطرة العثمانية، كما في السابق، بانتاج نوع فاخر من الاقشة عرف باسم «موسلين» نسبة إليها. وقد عمل كثير من سكان الموصل في تجارة الاقشة والمنسوجات القطنية ايضاً (٦٠). وكانت هذه المنسوجات القطنية تصدر الى حلب بصورة خاصة حيث تباع هناك الى التجار الفرنسيين الذين يقومون بشحنها من هناك الى ميناء مرسيليا (٦١)، كما

اسلوب التعامل النقدي بالعملات الذهبية والفضية العثمانية الرسمية والمحلية والاجنبية. وقد استلزم ذلك وجود اشخاص يعملون في مجال الصيرفة كان معظمهم من اليهود (٥١). اما المصارف فقد تأخر ظهورها في الموصل حتى أواخر القرن الماضي. ففي سنة ١٨٩٤م افتتح في الموصل فرع البنك الامبراطوري العثماني (٥٢)، وفرع البنك الشرقي (Eastern Bank. LMTD) (٥٣) قبيل الحرب العالمية الاولى مباشرة (٥٤). وكان في الموصل مصرف آخر اقل اهمية قبل ذلك هو المصرف الكلداني الذي اعلن اغلase في سنة ١٨٨٠م (٥٥).

قبل الانتهاء من موضوع الاسواق لا بد من الإشارة الى المقاييس والاوزان والمكاييل المعتمدة فيها. فالذراع كان وحدة القياس الاساسية لدى باعة الاقمشة، اما الاوزان والمكاييل فكانت تختلف احياناً عن تلك المعتمدة في بغداد او البصرة، بل كانت تختلف نسبياً من تجارة الى اخرى داخل الموصل. وهذه الاوزان والمكاييل هي (٥٦):

اولاً: الاوزان والمكاييل المعتمدة عند تجار الصوف

والحبوب والسمن والجبن والطحين:

الاوقية = ٢٨,٠ رطل انكليزي.

الحقة = ١٦ أوقية او ١,٦ حقة اسطنبولي.

وزنة أو من = $\frac{1}{6}$ حقه موصلية

القنطار = ٢٠ وزنه

ثانياً: الاوزان والمكاييل المعتمدة لدى العطارين في بيع السكر والصابون والتوابل والشاي والنيلة وغيرها:

درهم = ٠,٧ ليبرة*

أوقية = ٤ دراهم

حقة = ١٢ أوقية او ١,٢ حقة اسطنبولي

من = ٦ حقه موصلية او ٧,٢ حقة

اسطنبولي

القنطار = ٣٠ من.

تُستهلك كميات كبيرة منها في مدينة حلب ايضاً^(٦٣). وإلى جانب تجار الموصل نشطت إحدى الشركات التجارية الانكليزية، وهي شركة المشرق (Levant Company) في تجارة الاقمشة والمنسوجات بين الموصل وحلب^(٦٤).

ومنذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تقريباً بدأت تجارة المنسوجات القطنية الموصلية تراجع تدريجياً بسبب تدهور صناعة النسيج في المدينة حيث لم يعد انتاج بعض انواع المنسوجات يكفي حتى للاحتياجات المحلية^(٦٥). ويُعزى هذا التراجع الى السياسة التجارية العثمانية بالدرجة الاولى. فقد كانت اسواق الولايات العثمانية، بما فيها ولاية الموصل، مفتوحة امام المنتجات الاوربية طبقاً لمعاهدات عقدت بين الدولة العثمانية وبعض الدول الاوربية مثل بريطانيا وفرنسا وغيرها^(٦٦). فقد ضمنت هذه المعاهدات امتيازات كثيرة لرعايا الدول الاخيرة من بينها حرية المتاجرة مع موانئ ومدن الامبراطورية العثمانية. ونتيجة لذلك وجدت الصناعة المحلية في الموصل، كما في غيرها من مدن الامبراطورية العثمانية عاجزة من منافسة منتجات مثيلاتها من الصناعات الاوربية التي تميزت بجودتها ورخص ثمناتها خاصة بعد تدشين عصر الثورة الصناعية منذ اواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلادي، في وقت كانت فيه الصناعة المحلية في الموصل تقوم على اساس الانتاج الحرفي. وفضلاً عن ذلك كانت المنتجات الاوربية تخضع لضريبة كمركية واحدة نسبتها ٥٪ من قيمتها تدفع مرة واحدة عند دخولها الاراضي العثمانية. في حين كانت المنتجات المحلية خاضعة لضريبة كمركية تصل نسبتها الى ١٢٪ من قيمتها عند تصديرها، كما فرضت نسبة مماثلة على تصديرها من ولاية الى اخرى داخل حدود الامبراطورية العثمانية فضلاً عن ضريبة تبلغ نسبتها ١٪ من قيمتها عند بيعها فيصبح المجموع الكلي للضريبة ١٣٪ من قيمتها.

وقد نتج عن هذه السياسة تشجيع الاستيراد وتثبيط الانتاج المحلي الخاضع لعبء ضريبة اضافي يبلغ ٨٪^(٦٧). وتعكس لنا ملاحظة الرحالة الانكليزي واليس بدج W. Budge، الذي زار الموصل سنة ١٨٨٨م حقيقة ما آلت اليه صناعة المنسوجات الموصلية وتجارها عند حديثه عن اسواق الموصل قائلاً «...لم اجد فيها حوانيت تبيع العاديات، كما ليس لدى باعة الاقمشة الا ما استورد من مانجستر ومنسوجات حديثة جيء بها من حلب. وبعثاً حاولت العثور على القماش المعروف بالموصلي (اي الموصليين) الذي انبثق اسمه من اسم مدينة الموصل واشتهر في الشرق كله بسبب من لونه اللطيف ونعومة ملمسه. ان كل ما عرض عليّ كان من صنع انكلترا وقد لُف حوله الواح انكليزية وغُلف بورق انكليزي وطبعت عليه اسماء صانعيه من الانكليز»^(٦٨).

تأتي الاغنام والمواشي بعد المنسوجات من حيث الاهمية في صادرات الموصل، وكانت هذه تُصدر الى سوريا ومصر واجزاء اخرى من الدولة العثمانية بصورة خاصة^(٦٩). ففي اواخر القرن الماضي كانت الموصل تصدر حوالي ١٠٠٠٠٠ رأس من الاغنام الى سوريا والاناضول سنوياً^(٧٠). وارتفعت اعداد الاغنام المصدرة في أوائل هذا القرن بحيث بلغت صادرات الموصل منها الى سوريا فقط ١٠٠٠٠٠ رأس في سنة ١٩٠٨م. اما من حيث القيمة فانها بلغت حوالي ٨٠٠٠٠ جنيه استرليني سنة ١٩١٠م ثم انخفضت الى حوالي ٣٥٠٠٠ جنيه استرليني فقط سنة ١٩١٢م بسبب هلاك اعداد كبيرة من الاغنام لقساوة برد شتاء ١٩١٠-١٩١١م^(٧١). وفي مطلع هذا القرن ايضاً تراوحت قيمة صادرات الموصل من الماعز ما بين ٣٠٠٠٠ و ٨٠٠٠٠ جنيه استرليني سنوياً^(٧٢). كما كانت تصدر ما معدله ٢٠٠٠ رأس من الابقار سنوياً وعدداً مماثلاً من الجمال في اواخر القرن الماضي^(٧٣). وكانت تجارة

الخيول رائجة أيضاً حيث كانت الموصل تصدر أعداداً منها إلى البصرة حيث تشحن من هناك إلى الهند وأوربا^(٧٣). وكان هناك أشخاص معينون من قبيلة شمر يتعاطون هذه التجارة حيث يقومون بالتجوال في مناطق القبائل العربية والكرديّة في المنطقة لشراء الخيول وبيعها بعد ذلك في أسواق الموصل وبغداد وغيرها^(٧٤). وقد برزت في مدينة الموصل أسر معينة في تجارة الخيول مثل آل الطالب^(٧٥). ولم يكن تصدير الخيول مستمراً دائماً إذ كانت السلطات العثمانية تفرض حظراً على تصديرها في أوقات مختلفة. ومع عدم توافر أرقام عن أعداد الخيل المصدرة من الموصل فإن بعض المصادر تذكر أنها كانت تمثل نسبة كبيرة من الخيل المصدرة من العراق عموماً والتي بلغ عددها ١٤١٣ رأس قدرت قيمتها بحوالي ٣٥٣٢٥ جنيه استرليني سنة ١٩١٢م إضافة إلى ١٧٤٩ رأس قدرت قيمتها بحوالي ٤٣٧٢٥ جنيه استرليني سنة ١٩١٣م^(٧٦). وإلى جانب الأغنام والمواشي كانت الموصل تُصدر منتجات حيوانية أيضاً بكميات كبيرة مثل الجلود والصوف وغيرها. إن أحد الأرقام الرسمية العثمانية يذكر أن إنتاج ولاية الموصل من الصوف في سنة ١٩٠٩ - ١٩١٠م فقط بلغ ١٣٥٢٥٢٤ أوقية^(٧٧). وكان تجار الموصل يصدرون هذه المادة إلى بغداد وحلب حيث تشحن من الأخيرة إلى أنكلترا وغيرها من دول أوروبا. وقد بلغت قيمة صادرات الموصل من الصوف ٧٩٠٠٠ جنيه استرليني سنة ١٩١٢م، كان نصيب أنكلترا منها حوالي ٥٧٠٠٠ جنيه استرليني والبقية الباقية إلى دول أخرى^(٧٨). أما الجلود فقد بلغ إنتاجها حسب الأرقام الرسمية العثمانية أيضاً ١١٠٧٣ جلد بقرو ١٢٠٢٦٠ جلد غنم وماعز في سنة ١٩٠٩ - ١٩١٠م^(٧٩). وكان جلد الماعز المدبوغ يُعرف باسم «سختيان»^(٨٠) كما كانت الموصل تصدر كميات غير قليلة من المرعز أيضاً حيث بلغت كمية المرعز

التي صُدرت من الموصل وبغداد إلى الأسواق الانكليزية والأمريكية ١٨٠٠ رزمة (بالة) سنة ١٩٠٣م^(٨١).

ومن صادرات الموصل المهمة أيضاً الحبوب، خاصة القمح، التي كانت تُصدر إلى بغداد والبصرة ومنها إلى مناطق أخرى. وقد قُدرت قيمة صادرات الموصل من الحبوب حوالي ٢٠٠٠٠٠ جنيه استرليني سنة ١٩١٠م^(٨٢).

أما صادرات الموصل من المصنوعات المحلية الحديدية والنحاسية فهي الطناجر وأباريق الماء والقهوة والأواني التي كان يتم تصديرها عن طريق نهر دجلة إلى بغداد والبصرة^(٨٣). إضافة إلى كميات من الحرير إلى سوريا بشكل خاص. ويقدر البعض قيمة صادرات الموصل من الحرير إلى سوريا سنة ١٨٧٤ - ١٨٧٥م بما يزيد قليلاً على ما يعادل ٤٠٠٠ دينار عراقي^(٨٤). كما كانت الموصل تصدر عرق السوس والمصارين^(٨٥)، وقد تأسست شركة أمريكية في البصرة سنة ١٩٠٤م لاستخراج أراضي عرق السوس لاستخراجه وكنسه لغرض التصدير، وفي سنة ١٩١١م افتتحت هذه الشركة فرعاً لها في الموصل^(٨٦).

وفيما عدا ما سبق كانت الموصل مركزاً لتصدير منتجات إقليم الجزيرة والمنطقة الجبلية الكرديّة المجاورة. ومن هذه المنتجات العفص والبسط والعباءات والعسل والتبغ والصمغ والبنديق والجوز واللوز وغير ذلك. وكان تجار المدينة يصدرون هذه المنتجات إلى بغداد وحلب بالدرجة الأولى. ولا تتوافر أرقام عن حجم هذه التجارة عدا بعض شهادات المعاصرين عن تصدير كميات كبيرة جداً من العفص والبنديق إلى حلب^(٨٧). وتقديرات أخرى حول تصدير ما يتراوح بين ٤٠ و ٥٠ طن من العسل سنوياً إلى بغداد خلال الفترة ١٩٠٨ - ١٩١٢م^(٨٨).

أما قائمة الواردات فهي متنوعة أيضاً، فقد

كانت الموصل تستورد من حلب وعن طريقها أيضاً النيلة ، التي تستخدم في صبغ المنسوجات والجلود والاقنشة والحديد والصابون و سلع ومنتجات اوروبية اخرى^(٨٩). والسكر والشاي والبن والفلفل والشمع والكبريت والادوية والسجاد والفواكه المجففة ومواد صباغة هندية عن طريق البصرة وبغداد^(٩٠). والنحاس من الاناضول وارمينية والمناطق الكردية. والسجاد والتبغ الاصفهانى والفضة والجواهر واللؤلؤ وشالات كشمير وكerman من الخليج العربي وبلاد فارس عبر بغداد^(٩١). ونضيف الى هذه القائمة سلعا ومنتجات اخرى بدأت تصل الى ميناء البصرة منذ مطلع القرن الحالي وتجد طريقها الى اسواق المدن العراقية ، ومنها الموصل. ومن هذه السلع والمنتجات الساعات والمكائن والقوارب البخارية ومكائن الخياطة ومضخات المياه وقطع الحديد والفولاذ والقصدير والمبارد والمناشير وأواني الشاي المعدنية والملاعق وأبر الخياطة والاواني الخزفية والزجاجية وزجاج النوافذ والاسمنت والاصباغ والزيوت والقرطاسية والكمحول^(٩٢).

ان متابعة حركة صادرات الموصل ووارداتها تبين طبيعة علاقات الموصل التجارية فحتى النصف الثاني من القرن الماضي كانت تجارة الموصل الرئيسية مع حلب وبغداد وبدرجة اقل مع الاناضول وبلاد فارس. وكانت تجارة الموصل مع حلب ذاتة الصيت حتى أصبح مصطلح «تاجر حلب» صفة لكل ذي ثروة في الامثال الشعبية في الموصل^(٩٣). وقد وُصفت مدينة حلب في ثلاثينات القرن الماضي بأنها مركز تجاري "Enter pot" يجهز المناطق المجاورة مثل مرعش وأورفة وديار بكر وماردين والموصل بما تحتاجه من سلع ومنتجات مختلفة^(٩٤). الا أن بعض التطورات المهمة التي حصلت في النصف الثاني من ذلك القرن أدت الى تغيير أساس في نمط علاقات الموصل التجارية. وفي مقدمة هذه التطورات افتتاح قناة السويس سنة

١٨٦٩م ، وتأسيس شركات للنقل التجاري في نهر دجلة بين بغداد والبصرة مثل شركة لنج الانكليزية وشركة عمان العثماني التركية ، واصلاحات الوالي مدحت باشا في العراق بين سنة ١٨٦٩ و ١٨٧٢م وفي مقدمتها محاولة توطین العشائر ، وغو الشركات الاوربية والمحلية وتوسع الطلب الاوربي على المواد الاولية والغذائية^(٩٥). وقد ترتب على كل ذلك ، وخاصة افتتاح قناة السويس وتأسيس شركات النقل النهري في العراق ، تقليص حجم تجارة الموصل مع حلب. فقد ادى افتتاح قناة السويس الى زيادة تجارة العراق مع أوروبا مباشرة ، واصبحت انكلترا والمهند تشغلان مكان المصدرة في تجارة العراق الخارجية. واصبحت الموصل تستورد احتياجاتها من السلع الانكليزية والاوربية من بغداد بدلاً من بلاد الشام. وكانت هذه العملية أفضل وأسهل وأكثر ربحاً بالنسبة لتجار الموصل. وقد حاولت السلطات العثمانية في العراق تشجيع التجارة بين الموصل وبغداد بفتح خط ملاحى بينها في نهر دجلة لكن هذه المحاولة لم تكن ناجحة^(٩٦).

ان الارقام المتوافرة عن تجارة الموصل الخارجية في اواخر القرن الماضي ومطلع هذا القرن تظهر مثل هذا التحول بوضوح. ففي سنة ١٨٨٤ - ١٨٨٥م بلغت قيمة صادرات الموصل مايعادل ٢٥٠٠٠٠ دينار عراقي ، كانت حصة انكلترا والدول الاوربية منها ١٧٥٧٠٤ دينار والبقية الى الهند وبلاد الشام وبلاد فارس. وخلال السنوات ١٩٠٩ - ١٩١٢م كانت صادرات الموصل الى انكلترا والدول الاوربية تزيد على نصف صادراتها الكلية^(٩٧). وينطبق هذا الامر على الواردات ايضاً. ففي اوائل القرن الحالي كانت الموصل تستورد ثلثي احتياجاتها من انكلترا واوروبا والثلث المتبقي من الهند وبلاد الشام وبلاد فارس. فقد بلغت قيمة واردات الموصل مامعدله ١٥٨٠٠٠ دينار عراقي سنوياً خلال الفترة

بعوائلها الاقتصادية حتى الحرب العالمية الاولى مثل آل الجادر وآل الصابونجي وغيرها^(١٠١).

وترتب على هذه العلاقات التجارية الجديدة ايضاً ارتباط العراق عموماً بالسوق العالمية وتحول اقتصاده من اقتصاد قائم على الاكتفاء الذاتي تقريباً الى اقتصاد قائم على اساس الانتاج الواسع لغرض التصدير وتحقيق الارباح. فقد ادى الطلب المتزايد على المنتجات الزراعية والحيوانية الى زيادة رقعة الاراضي المزروعة بشكل ملحوظ وصاحب ذلك زيادة الاستغلال الاقطاعي للفلاحين.

وعلى أية حال فإن هذه التجارة النامية بين الموصل من جهة وانكلترا وأوروبا من جهة أخرى تعرضت الى نكسة خلال السنوات الاربع الاخيرة من الحكم العثماني، اي سنوات الحرب العالمية الاولى ١٩١٤ - ١٩١٨. ذلك ان اشترك الدولة العثمانية في تلك الحرب الى جانب دول الوسط ضد دول الحلفاء لم يؤد الى وقف التبادل التجاري بينها وبين الدول الأخيرة حسب، بل الى تحول العراق الى ساحة حرب بين القوات العثمانية والقوات الانكليزية التي بدأت باحتلال القسم الجنوبي منه منذ نهاية سنة ١٩١٤. كما ان اجراءات العثمانيين في ولاية الموصل خلال الحرب أدت الى تدهور أوضاعها الاقتصادية. فقد جرّد العثمانيون معظم القرى من رجالها بواسطة التجنيد، كما توقفت حركة النقل والزراعة بسبب مصادرة عدد كبير من حيوانات النقل للاغراض العسكرية، وتركزت ٥٠٪ من الارض الزراعية دون زراعة. وكانت النتيجة معاناة الموصل من مجاعة رهيبه في شتاء ١٩١٧ - ١٩١٨م راح ضحيتها حوالي ١٠٠٠٠ نسمة^(١٠٢). وفي ١٠ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ انتهى عهد السيطرة العثمانية بانسحاب القوات العثمانية منها ودخول قوات الاحتلال البريطاني الى المدينة.

١٩٠٩ - ١٩١٢م كان نصيب انكلترا وأوروبا منها أكثر من ٩٠٠٠٠ دينار عراقي والهند ٣٧٠٠٠ دينار والبقية من بلاد الشام وبلاد فارس^(٩٨) ولعل الجدول التالي يعزز تصورنا عن التحول في علاقات الموصل التجارية.

١٩١٠ «تجارة الموصل الخارجية خلال السنوات ١٩١٠، ١٩١٢»^(٩٩)

أ - الصادرات:

السنة	القيمة الكلية (بالجنيه الاسترليني)	انكلترا	الهند	دول اجنبية اخرى	اجزاء اخرى من الدولة العثمانية
١٩١٠	٦٠٩٤٣٠	٪٢٨	٪٥	٪٨	٪٥٩
١٩١١	٣٤٣٣٣٠	٪٤٧	٪٧	٪١٢	٪٣٤
١٩١٢	٤٢٦٠٠٠	٪٣٨	٪٦	٪١٢	٪٤٤

ب - الواردات:

السنة	القيمة الكلية (بالجنيه الاسترليني)	انكلترا	الهند	دول اجنبية اخرى	اجزاء اخرى من الدولة العثمانية
١٩١٠	١٤١٤٩٠	٪٢٦	٪٢٥	٪٣١	٪١٨
١٩١١	١٦٤٩٤٠	٪٢٠	٪٢٤	٪٣٢	٪٢٤
١٩١٢	١٧٨٢٣٠	٪٢٨	٪٢٣	٪٣١	٪١٨

كان لهذا التحو السريع في تجارة التصدير والاستيراد مع انكلترا ودول أوروبا الصناعية الاخرى آثار اقتصادية واجتماعية مهمة. فقد نمت البرجوازية التجارية المحلية وزادت ارباحها، ونظمت هذه البرجوازية نفسها في «غرفة تجارة وزراعة» الموصل منذ اواخر القرن الماضي. فقد ورد في سالتامة الموصل لسنة ١٣١٠هـ / ١٨٩٢ - ١٨٩٣ ذكر هذه الغرفة التي كان يرأسها الحاج أمين افندي ونائبه عبدالله جودت افندي^(١٠٠). وبرزت أسر معينة قامت بدور مهم في تجارة المدينة واستأثرت

الهوامش

- (١١) «رحلة الى ما بين النهرين في مطلع القرن التاسع عشر» ترجمة البرير ابونا، مجلة بين النهرين - السنة الثانية - العدد ٥ - ١٩٧٤، ص ٨٤.
- (١٢) كان عبد الجليل اغا جاد الاسرة الجليلية قد ولد في ديار بكر سنة ١٦٢٠م في اسرة تجارية غنية. وقد عمل في التجارة وكانت أكثر تجارته مع الموصل وبغداد، ثم انتقل الى الموصل حيث استقر فيها. انظر، عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري، المرض النظر في ترجمة ادباء العصر (بغداد - مطبعة المجمع العلمي العراقي - ١٩٧٤ - تحقيق سليم النعيمي) ص ٥٥٥.
- بخصوص هذه الفرائض راجع الفصل الخاص بالنظام المالي العثماني في الموصل في هذه الموسوعة.
- (١٣) كارستن نيور، رحلة نيور الى العراق في القرن الثامن عشر (بغداد - شركة دار الجمهورية - ١٩٦٥ - ترجمة محمود حسين الامين) ص ١٠١.
- (١٤) تولى محمد باشا الجليلي ولاية الموصل بين سنة ١٧٨٩ و ١٨٠٦م.
- (١٥) اوليفيه، المصدر السابق، ص ص ٤٩ - ٥١.
- (١٦) ياسين العمري، المصدر السابق، ص ٩٧، عبد الرحمن بن عبدالله السويدي، تأريخ بغداد او حديقته الزوراء في سيرة الزوراء (بغداد - مطبعة الزعم - ١٩٦٢ - تحقيق صفاء خلوصي) ج ١، ص ١٨، رؤوف، المصدر السابق، ص ٣٠٨.
- (١٧) ياسين العمري، غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر (الموصل - مطبعة ام الربيعين - ١٩٤٠) ص ٢١.
- (١٨) ياسين العمري، المصدر السابق، ص ١٢١، والقرش عملة فضية عثمانية معروفة سكبت في سنة ١٦٨٨م وكانت تساوي ٤٠ پارة او ١٢٠ آقجة عثمانية. انظر، Ziya Karamursel; Osmanli mali tarihi hakkinda tetkikler (Ankara - 1940) P, 215; H. Gibb & H. Bowen: The Islamic Society and the West (Oxford - 1957) Part II, PP, 53 - 54.
- (١٩) ياسين العمري، المصدر السابق ص ص ٤٨، ٧١، ٧٤، ابراهيم خليل احمد «اوضاع الموصل الاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقد الاول من القرن العشرين» مجلة آداب الرافدين - جامعة الموصل - العدد ٧ - تشرين الاول ١٩٧٦، ص ٢٢٢.
- (٢٠) جاسم محمد حسن، العراق في العهد الحميدي ١٨٧٦ - ١٩٠٩ (رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الآداب - جامعة بغداد - ١٩٧٥) ص ص ١٧٤ - ١٧٧.
- (٢١) احمد، المصدر السابق، ص ٢٢٢. والذرية عملة ذهبية عرفت باسم عثمانى التوني، اي الذهب العثماني وقد سكبت سنة ١٨٤٤ وكانت تعادل ١٠٠ قرش في البداية ثم جرى تعديل قيمتها بعد انقلاب الاتحاديين سنة ١٩٠٨ فأصبحت تعادل ١٠٢ قرش و ٢٤ پارة. اما قيمتها في السوق فقد وصلت الى ١٠٨ قروش.
- (١) عاهد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي ١٧٢٦ - ١٨٣٤م (التجف - مطبعة الاداب - ١٩٧٥) ص ٢٩٤.
- (٢) ياسين بن خيرالله العمري، زبدة الآثار الجلية في الحوادث الارضية (التجف - مطبعة الآداب - ١٩٧٤ - تحقيق عاهد عبد السلام رؤوف) ص ص ٥٠ - ٥٧.
- (٣) هاملتون جب وهارولد برون، المجمع الاسلامي والغرب (القاهرة - دار المعارف - ١٩٧١ - ترجمة احمد عبد الرحيم مصطفى) ج ٢، ص ٦.
- (٤) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢٩٤.
- (٥) جان بابتيست تافرنيه، العراق في القرن السابع عشر (بغداد - مطبعة المعارف - ١٩٤٤ - ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد) ص ٥٨.
- (٦) دومنيكو لازارو، الموصل في القرن الثامن عشر (الموصل - د. ط - ١٩٥٣ - ترجمة روفائيل بيدواي) ص ١٧.
- (٧) كانت تجارة الموصل مع بغداد تتم عبر ثلاثة طرق، الاول طريق ذونجاه واحد في نهر دجلة من الموصل الى بغداد حيث تُشحن البضائع بالاكلاك (العمارات)، والثاني طريق القوافل التجارية غرب نهر دجلة مروراً بمدن تكريت وسامراء، والثالث طريق القوافل التجارية شرق نهر دجلة مروراً بأربيل وكركوك ويتفرع عن هذا الطريق في اربيل أكثر من طريق يري الى السليمانية وكوي وراوندوز. وكان التجار يفضلون طريق شرق دجلة على طريق غرب دجلة لأن البحر يمر عبر البادية حيث تقل القرى ومصادر المياه فضلاً عن مخاطر التعرض للسلب والنهب فيه على يد قبائل المنطقة. اما تجارة الموصل مع المنطقة الكردية فكانت تتم عبر طرق قوافل برية تربطها بمدن دهوك وعقرة والهادية وزاخو. اما تجارتها مع البلدان المجاورة فكانت تتم عبر طرق برية عديدة للقوافل التجارية تربط الموصل بهمدان وكرمشاه في بلاد فارس عبر راوندوز والسليمانية، وطريق آخر يربطها بمدن الاناضول المهمة مثل سعرت وتبليس وطرابزون وديار بكر وغيرها عبر زاخو، وأكثر من طريق يربطها بمدينة حلب وبيضاء الاسكندرونة في بلاد الشام. انظر، موصل ولايتي سالنامه سي ١٣٢٥ هـ، ص ٣١، رؤوف، المصدر السابق، ص ص ٢٩٥ - ٢٩٨، خليل علي مراد، تاريخ العراق الاداري والاقتصادي في العهد العثماني الثاني ١٦٣٨ - ١٧٥٠م (رسالة ماجستير غير منشورة - جامعة بغداد - كلية الآداب - ١٩٧٥) الصفحات ٣٧١ - ٣٧٥ و ٤٠٨ - ٤١٥.
- (٨) لبيزهارت راوولف، رحلة المشرق الى العراق وسوريا ولبنان وفلسطين (بغداد - دار الحرية للطباعة - ١٩٧٨ - ترجمة سليم طه التكريتي) ص ٢٠٥.
- (٩) ج. أ. اوليفيه، رحلة اوليفيه الى العراق ١٧٩٤ - ١٧٩٦م (بغداد - مطبعة المجمع العلمي العراقي - ١٩٨٨ - ترجمة يوسف حيي) ص ٤٧.
- (١٠) المصدر نفسه، ص ص ٤٧ - ٤٨.

- وخان حاج قاسم أغا. ولأيد من التفاصيل انظر، الجنابي، المصدر السابق، ص ٣٧-٤٩.
- (٣٩) سليمان الصانع، تاريخ الموصل (القاهرة- المطبعة السلفية- ١٩٢٣) ج١، ص ١٣١، عباس الزواوي، تاريخ الضرائب العراقية (بغداد شركة للطباعة والتجارة- ١٩٥٩) ص ٥١، سعيد الديوهجي، اعلام الصنائع الموصلة (الموصل- مطبعة الجمهور- ١٩٧٠) ص ٦١-٦٣، رؤوف، المصدر السابق، ص ٤٤٣.
- (٤٠) جيمس بكنهام: رحلتي الى العراق (بغداد- مطبعة اسعد- ١٩٦٨- ترجمة سليم طه التكريتي) ج١، ص ٦١.
- (٤١) رؤوف، المصدر السابق، ص ٥٤١.
- (٤٢) «رحلة الاب فنشيسو الى العراق» ترجمة بطرس حداد- مجلة مجمع اللغة السورية، المجلد الاول- ١٩٧٥- ص ١٩٦.
- (٤٣) جاكسون، مشاهدات بريطاني عن العراق سنة ١٩٧٧م (بغداد- مطبعة الاسواق التجارية- د.ت- ترجمة سليم طه التكريتي) ص ١٠٥.
- (٤٤) بكنهام، المصدر السابق، ص ٦١.
- (٤٥) سربديج، رحلات الى العراق (بغداد- دار الزمان- ١٩٦٦- ترجمة فتاد جسيميل) ج١، ص ٢٨٨-٢٨٩، مشاهدات جون آشرفي العراق سنة ١٨٦٤، ترجمة جعفر خياط- مجلة سومر- المجلد ٢١- الجزء ١- ٢- السنة ١٩٦٥، ص ٩٣-٩٤.
- (٤٦) Omer L. Barkan: xv ve xvi. asirlarda Osmanli imparatorlugunda Zirai ekonominin hukuki ve mali esasleri, cilt, I, Kanunlar (Istanbul - 1943) p, 179.
- (٤٧) الدستور، مجموعة التنظيمات العثمانية (بيروت- المطبعة الادبية- ١٣٠١ هـ - ترجمة نوفل نعمة الله نوفل) ج٢، ص ٦٦٨.
- (٤٨) عسبة من كلمة عسس وعسا وغسسا التي تعني التجول او التطواف ليلاً.
- (٤٩) Barkan; Op. cit, p, 179.
- (٥٠) راجع بعض هذه السجلات في، موصل ولايتي سالنامه سي ١٣٠٨ هـ، ص ١٠٦-١٠٧، وموصل ولايتي سالنامه سي ١٣١٠ هـ، ص ١٥٤-١٥٥.
- (٥١) راجع التفاصيل في، علي، المصدر السابق، ص ١٨٢-١٨٦.
- (٥٢) تأسس هذا البنك رسمياً في ١ حزيران ١٨٦٣م ولكنه في حقيقته يُد امتداداً للبنك العثماني الذي سبق ان تأسس سنة ١٨٥٦م بـ رؤوس اموال انكليزية صرفقة. واقتصر نشاط البنك العثماني على القيام بجميع عمليات البنك التجاري دون ان يكون له حق اصدار الاوراق النقدية في البداية. وما لبث ان تحول الى بنك مركزي للدولة سنة ١٨٦٣م بعد دخول رؤوس الاموال الفرنسية واليهودية اليه واصبح يعرف باسم البنك الامبراطوري العثماني. راجع، علي، المصدر السابق ص ١٨٨-١٨٩.

- انظر: غانم محمد علي، النظام المالي العثماني في العراق ١٨٣٩-١٩١٤م (رسالة ماجستير غير منشورة- كلية الاداب- جامعة الموصل- ١٩٨٩) ص ١٧٠-١٧١.
- (٢٢) جون غوردون لوريكر: دليل الخليج، القسم التاريخي (الدوحة- د.ت- ترجمة لجنة من الاساتذة) ج٤، ص ١٧٨٩، ولترصيح مدى اضطراب حالة الاسواق يومئذ تذكر ان الموصل التي كانت تصدر الحبوب بكيات كبيرة في الظروف الاعيادية اضطرت في تلك السنة الى استيراد كميات كبيرة منها من ديار بكر انظر؛
- Gengiz Orhanlu ve T. Işık; "Osmanlı devrinde nehir nakliyatı hakkında araştırmalar, Dicle ve Fırat nehirlerinde nakliyat" "Türk tarih dergisi, cilt xiii, Sayı 17-18, p, 94.
- (٢٣) روبرت أولسون، حصار الموصل والعلاقات العثمانية- الفارسية ١٧١٨-١٧٤٣م (الرياض- دار العلوم للطباعة- ١٩٨٣- ترجمة عبدالرحمن الجليلي) ص ٣٠٢.
- (٢٤) ياسين العمري، زبدة الاثان... ص ٨٠.
- (٢٥) ياسين العمري، غرائب الاثر... ص ٧٢.
- (٢٦) المصدر نفسه، ص ٥٤.
- (٢٧) فلامنير ب. لوتسكي، تاريخ الانقراض العربية الحديث (موسكو- دار التقدم- د.ت- ترجمة عفيفة البستاني) ص ١٦٩.
- (٢٨) ياسين العمري، غرائب الاثر... ص ٦١.
- (٢٩) رؤوف، المصدر السابق، ص ٥٤٣.
- (٣٠) تافريته، المصدر السابق، ص ٥٩.
- (٣١) مصطفى بن كمال الدين الدمشقي الصديقي، كسح الصدأ وغسل الزان في زيارة العراق وما والاها من البلدان (نسخة مخطوطة في مكتبة المجمع العلمي العراقي، رقم ٥٤ / م) ورقة- ٩.
- (٣٢) نيبور، المصدر السابق، ص ١١١.
- (٣٣) محمد امين بن خيرالله الخطيب العمري، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحديباء (الموصل- د. ط- ١٩٦٧- تحقيق سعيد الديوهجي) ج١، ص ٦٢.
- (٣٤) رؤوف، المصدر السابق، ص ٤٥٥. وخان المفتي مازبال قائماً حتى الوقت الحاضر حيث يقع بين سوق باب السراي وسوق الصغاريين وزقاق حمام الصالحية حيث اصبح الطابق السفلي منه سوقاً لبيع الاسرة الحديدية والاسفنج والسجاد، اما الطابق العلوي فيضم عدد من الخياطين والسراجين انظر، هاشم خضير الجنابي، التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة (الموصل- دار الكتب للطباعة- ١٩٨٢) ص ٤٥.
- (٣٥) رحلة الى ما بين النهرين في القرن التاسع عشر، ص ٨٤.
- (٣٦) موصل ولايتي- سالنامه سي، ١٣١٢ هـ، ص ٢٦٢.
- (٣٧) موصل ولايتي سالنامه سي، ١٣٢٥ هـ، ص ١٣٠.
- (٣٨) من هذه الخانات خان الجلود وخان عبو التنججي وخان الحمايات وخان المقصوص وخان الكرك وخان السواد وخان القلاوين وخان حمو القدو وخان المفتي وخان الحديد والفحم

- (٥٣) تأسس هذا البنك في انكلترا سنة ١٩٠٩م برأسمال قدره ٣٠٠ ألف جنيه استرليني، ورأسمال احتياطي قدره مليون جنيه استرليني وضمانات قدرها خمسة ملايين و ٨٨٥ ألف جنيه استرليني. وكان المقر الرئيس للبنك في لندن، اما فروعها فقد توزعت على الهند وحزيرة سرينديب والعراق - انظر، تقويم العراق لسنة ١٩٢٣ (بغداد - مطبعة العراق ١٩٢٣) ص ٢٢١.
- (٥٤) احمد، المصدر السابق، ص ٣٥.
- (٥٥) مدام ديولافوا، رحلة الى العراق سنة ١٨٨١م (بغداد مطبعة اسعد - ١٩٥٨ ترجمة علي البصري) ص ٨٣.
- (٥٦) Great Britain, Admiralty intelligence department, A Hand book of Mesopotamia (London - 1918) vol. I, P, 240.
- Libra وحدة وزن تعادل ٤,٥٣٦ كغم في النظام الانكليزي.
- (٥٧) Gr. Britain' Admiralty; Op. cit, p, 196.
- (٥٨) كانت بريلة مشهورة بزراعة نوعية جيدة من القطن قبل ذلك ايضاً، انظر:
- Hamd - Allah Mustawfi: The geographical part of Nuzhat Al - Qulub (Leiden - Brill - 1919 - trans by. G. Lestrang) p, 103.
- (٥٩) لازار، المصدر السابق، ص ص ١٥ - ١٦.
- (٦٠) الديوه جي، المصدر السابق، ص ص ٣٨ - ٣٩.
- (٦١) رؤوف، المصدر السابق، ص ٢١٩.
- (٦٢) الاب فرديناند توتيل اليسوعي: وثائق تاريخية عن حلب (بيروت - المطبعة الكاثوليكية - د.ت. ج١، ص ٣٩.
- (٦٣) Ralph Davis: Aleppo and Devanshire Square, English traders in the Levant in the eighteenth century (London - 1967) p, 125.
- وكانت شركة المشرق قد تأسست سنة ١٥٨١م واستمرت في نشاطها التجاري مع المشرق لمدة تزيد على قرنين من الزمان بعد تأسيسها وكانت الشركة تستورد الحرير الخام والقطن والتوابل من المشرق بالدرجة الاولى وتصديرها بالمقابل الاقمشة الصوفية وكميات قليلة من النحاس والقصدير. وكانت لها ثلاثة مراكز تجارية مهمة هي حلب وأزمير واسطنبول فزيد من التفاصيل راجع، ا عبد الأمير محمد أمين، التنافس بين الشركات التجارية الانكليزية في منطقة الخليج العربي والاطمار المجاورة خلال القرن السابق عشر والثامن عشره مجلة كلية الاداب - جامعة بغداد - العدد ٦ - نيسان ١٩٦٣ - وكذلك
- Alfred G. Wood: A history of the Levant Company (London - 1964).
- (٦٤) Charles Issawi (ed.): The economic history of the Middle East 1800 - 1914 (Chicago - 1975) p, 51.
- (٦٥) تم توقيع اولى هذه المعاهدات سنة ١٥٣٥م بين الامبراطورية العثمانية وفرنسا وتبعتها معاهدات مماثلة مع الدول الاوربية الاخرى بين القرنين السادس عشر والتاسع عشر. وقد اصبحت هذه المعاهدات اساساً لنظام الامتيازات الاجنبية في الامبراطورية العثمانية.
- (٦٦) محمد سليمان حسن، التطور الاقتصادي في العراق، التجارة الخارجية والتطور الاقتصادي ١٨٦٤ - ١٩٥٨ (بيروت - المكتبة العصرية - ١٩٦٥) ج١، ص ص ٣٣٩ - ٣٤٠ وقد تنهت الحكومة العثمانية في وقت متأخر الى مخاطر هذه السياسة حيث عدلتها بعد عقد سلسلة من المعاهدات مع انكلترا وفرنسا واطاليا والنمسا وهولندا وبلجيكا وروسيا والنسويد واسبانيا والدانمرك بين سنة ١٨٦١ و ١٨٦٦م أسفرت عن دفع رسوم الواردات الى ٨٪ وخفض نسبة رسوم الصادرات الى ٨٪ على ان يستمر تخفيض رسوم الصادرات بعد ذلك تدريجياً، راجع، علي: المصدر السابق. ص ١١٥.
- (٦٧) بدج: المصدر السابق، ج١، ص ص ٢٨٨ - ٢٨٩.
- (٦٨) Gr. Britain Admiralty; Op. cit., pp, 204, 224.
- (٦٩) موصل ولايني سالنامه سي، ١٣١٢ هـ، ص ٢٦٧.
- (٧٠) Gr. Britain Admiralty; Op. cit., p, 223.
- (٧١) ل. ن. كوتلوف، ثورة العشرين الوطنية التحررية في العراق (بغداد - ١٩٨٥ - ترجمة عبدالواحد كرم) ص ٩١.
- (٧٢) جاسم محمد حسن: المصدر السابق، ص ص ٣١٠ - ٣١١.
- (٧٣) استمرت تجارة خيول الموصل، وهي من الانواع الجيدة، وراجة في الهند حين ظهور السيارات التي قضت على هذه التجارة. انظر: داود الجليبي «مكانة الموصل في الاقتصاديات العامة» مجلة غرفة تجارة بغداد - السنة ٤ - الجزء ٨ - تشرين الاول ١٩٤١، ص ٥٩٧.
- (٧٤) Gr. Britain Admiralty; Op. cit, p, 223
- (٧٥) يظهرهما ذكره سليمان قبضي ان آل الطالب تخصصوا في تجارة الخيول مع الهند بالذات، سليمان قبضي، في غمرة النضال (بغداد شركة التجارة والطباعة المحدودة - ١٩٥٢) ص ١٤١.
- (٧٦) Gr. Britain Admiralty; Op. cit, p, 223
- (٧٧) Justin McCarthy: The Arab World, Turkey and the Balkans 1878 - 1914 (Boston - 1982) p, 300.
- (٧٨) Gr. Britain Admiralty; Op. cit, P, 219.
- (٧٩) Mc Carthy; Op., cit., P, 302.
- (٨٠) الاب انتناس ماري الكرملبي «الزراعة والتجارة في العراق سنة ١٩٠٣، مجلة غرفة تجارة بغداد - السنة ٤ - الجزء ٨ - تشرين الاول ١٩٤١ - ص ٦٥٤.
- (٨١) المصدر نفسه، ص ٦٥١.
- (٨٢) Gr. Britain Admiralty; Op. cit., p, 216.
- (٨٣) جاكسون، المصدر السابق، ص ١٠٥: موصل ولايني سالنامه سي، ١٣١٢ هـ، ص ٢٦٦.
- (٨٤) محمد سليمان حسن: المصدر السابق، ص ٩٠.
- (٨٥) كانت مصارين الاغنام المُمدة للتصدير توضع في طرف ثم يوضع الطرف في صندوق يُطلى بالقار ثم يغلّف بكيس (كغونية) ويطلق بعد ذلك بالقار مرة اخرى لتلا يتسرب الهواء الى داخلها فتفسد المصارين. انظر، الكرملبي، المصدر السابق، ص ٦٥٦.
- (٨٦) محمد سليمان حسن، المصدر السابق ص ١٣٥.

- (٨٧) لازا؛ المصدر السابق، ص ١٨، نيور؛ المصدر السابق، ص ١١٤.
- (٨٨) إبراهيم حلمي، الاشتياار اوجمع العسل في ديار الكرد؛ مجلة لغة العرب - بغداد - السنة ٢ - الجزء ١٠ - جهادي الاول ١٣٣١ هـ / نيسان ١٩١٣ م، ص ٤٥٣.
- (٨٩) لازا؛ المصدر السابق، ص ص ١٦ - ١٧، توتل؛ المصدر السابق، ص ص ٤٩، ٦٦، سهيل قاشا، «الموصل في مذكرات الرحالين الاجانب في فترة الحكم العثماني، مجلة بين النهرين - العدد ٢١ - السنة ٦ - ١٩٧٨، ص ٢٠.
- (٩٠) محمد سلمان حسن؛ المصدر السابق، ص ٢٥٣؛ رؤوف؛ المصدر السابق، ص ٣٠٢.
- (٩١) قاشا؛ المصدر السابق، ص ص ٢٢ - ٢٣.
- (٩٢) محمد سلمان حسن؛ المصدر السابق، ص ٢٥٦، حسين محمد القهواني؛ دور البصرة التجاري في الخليج العربي ١٨٦٩ - ١٩١٤ م (بغداد - مطبعة الارشاد - ١٩٨٠) ص ص ٤٤٠ - ٤٤١.

- (٩٣) رؤوف؛ المصدر السابق، ص ٣٠٠.
- (٩٤) Issawi; Op. cit., p.223.
- (٩٥) محمد سلمان حسن؛ المصدر السابق، ص ص ٨٧ - ٨٨، ١٢٩، وشأن تفاصيل واقية عن شركات النقل النهري في العراق ودورها التجاري خلال الفترة المذكورة، راجع، القهواني؛ المصدر السابق، ص ص ٢٠٤ - ٢٩١.
- (٩٦) Roger Owen: The Middle East in the world economy 1800 - 1914 (London- 1981) p. 183.
- (٩٧) محمد سلمان حسن؛ المصدر السابق، ص ١٣١.
- (٩٨) المصدر نفسه، ص ٢٥٥.
- (٩٩) Gr. Britain Admiralty; Op. cit., p. 201.
- (١٠٠) موصل ولأبني سالنامه سي، ١٣١٠ هـ، ص ٨١.
- (١٠١) أحمد؛ المصدر السابق، ص ٢٣٩.
- (١٠٢) المس بيل؛ فصول من تاريخ العراق القريب (بيروت - مطبعة دار الكتب - ط ٢ - ١٩٧١ - ترجمة جعفر الخطاط) ص ١٦٨.

الحياة الاجتماعية

النظمات الاجتماعية

١. دهاد عبد السلام رؤوف

نقابة الأشراف:

ضمت الموصل، مثلها في ذلك مثل أغلب الولايات العربية الأخرى، نقابة للأشراف، وظفتها الأساسية العناية بأموال المتحدرين من سلالة الرسول صلى الله عليه وسلم، وضبط أنسابهم وتديقهم. وكانت هذه النقابة قد تأسست قبل نحو خمسة قرون تقريباً من بدء الحكم العثماني للمدينة، أي في أوائل القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي). صحيح أن ثمة إشارات عدة تدل على وجود أفراد وربما أسر علوية قبل ذلك التاريخ أيضاً، إلا أن ظهور نقابة خاصة بهم لم يحدث إلا نحو سنة ٤٣١ هـ / ١٠٣٩ م، حين أستقر في الموصل نقيب العلويين في مدينة بغداد الزاهد محمد أبو البركات ابن الأمير زيد ضياء الدين بن الأمير أحمد بن الأمير محمد بن محمد الأشر بن عبيد الله بن علي بن عبيد الله بن علي الصالح بن عبيد الله الأعرج من ذرية الحسين بن

علي بن أبي طالب رضى الله عنهم^(١)، وكانت تقاليد الحكم والنقابة قد أستقرت لدى الأسرة منذ عهد جدهم عبيد الله الأعرج وذلك لتولي رجالها الأمانة والنقابة في الكوفة جيلاً بعد جيل، وما يتصل بذلك من مسؤوليات خاصة، مثل أمانة الحج بوجه خاص، حتى قال الناس «الساء لله والأرض لبني عبيد الله»^(٢). ولذا لم يكن غريباً أن تنتقل هذه التقاليد الى الموصل، إثر نزول محمد ابني البركات فيها، فكان تأسيس نقابة للأشراف، تنطبق حدودها الجغرافية على إقليم الجزيرة الذي تعد مدينة الموصل قاعدته في ذلك العصر، وبينما أستقر احد ولدي ابني البركات، ويدعى الشريف زيد ضياء الدين (ت ٥٦٣ هـ / ١١٦٧ م) في الموصل، متولياً شؤون نقابتها، أستقر الشريف علي شهاب الدين في نواحي نصيبين وديار بكر، ليتولى نقابة تلك المنطقة الواسعة، وأن لبث - من ناحية

أنهم كانوا يقيمون في القسم الجنوبي من البلدة ، وهو القسم المكتظ بالسكان في ذلك العصر ، ولكن أصطدامهم ببعض الأسر الموصلية القوية هناك ، ثم بحكومة الولاية نفسها ، أدى الى نقلهم للسكن في القسم الشمالي من مدينة الموصل ، والخليالي يومذاك ، فعمره وأقاموا فيه ، حتى عُرفَ فيما بعد «بمحلة السادة»^(٨) .

وأدى ظهور آل الجليلي وتوليهم حكم ولاية الموصل أكثر من قرن كامل (١١٣٩-١٢٤٩هـ / ١٧٢٦-١٨٣٤م) الى تغير مهم في طبيعة نقابة الأشراف ، فلم تعد تصنف ضمن القرى الشعبية المعارضة ، كما رأينا من قبل ، ذلك أن زعامة الجليليين قد أسقطت جميع تلك القوى في كفاحها من أجل توطيد الحكم المحلي في الموصل ، ولذا فأننا لم نسمع بأي دور قيادي شعبي للنقابة طيلة الحقبة المذكورة^(٩) ، وأنما وضع رجالها نقلهم الى جانب الحكومة المحلية بحسبانها المعبرة عن روح الموصل نفسها. قال العمري^(١٠) : «وكان لهم اتصال بخدمة ملوك (أي ولاية) الموصل ثم بخدمة ملوك (ولاية) بغداد فصارت لهم التقدمة وحصلت لهم الرياسة التامة» . وتولت أسرة النقباء وظائف شرعية مهمة ، كأفتاء الحنفية ، والقضاء أحياناً ، وبرز منها نقباء أشهر معظمهم بسعة الثقافة والتأليف ، منهم السيد حسن أفندي المُفتي (ت ١٢٠٢هـ / ١٧٨٧م) والسيد فيض الله النقيب بن علي وغيرهم^(١١) .

وكانت مهمة النقيب الوحيدة هي : تدقيق أنساب الأشراف ودراساتها وعدم المصادقة على صحة أي نسب دون التأكد منه . وكان تأني النقيب في إثبات صحة الأنساب المقدمة اليه ، وتعمله في دراساتها ، وعدم وثوقه بالشهود ، مثار تريم بعض المعاصرين^(١٢) . إذ اذ كان للأشراف-عادة- من الأمتيازات الاجتماعية ما لا يستهان به ، وكان تزييف الأنساب من الأمور المحتملة الحدوث دوماً ،

الأشراف والتوجيه-تابعاً الى نقيب الموصل ، ولهذا السبب لقب نقيب العلويين في الموصل بـ (نقيب النقباء في الموصل وديار بكر ونصيبين) . وأستمر نقباء الموصل يحملون هذا اللقب حتى سنة ١٥٣٤هـ / ١٥٣٤م ، وكان الأخيرون يقضون فصل الصيف غالباً في نصيبين ، أو في مدينة حصن كيفا القريبة منها ، ليتولوا الأشراف هناك على أعمال فرع نقابتهم .

ولقد أدت نقابة الأشراف في الموصل وتوابعها أدواراً سياسية واجتماعية مهمة منذ عهد تأسيسها ، فبرز من رجالها في أواخر العصر العباسي من تولى الوزارة^(١٣) وتولى أحدهم ، في عهد الاحتلال المغولي ، حكم الموصل ،^(١٤) وكان لبعضهم دور في دفع الأذى عن مدينتهم في أثناء الاحتلال التيموري سنة ٧٩٦هـ / ١٣٩٣م^(١٥) . ووصفهم ابن عنبه النسابة في أوائل القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) بأنهم «أهل رياسة قديمة والى الآن»^(١٦) .

وكان دخول العثمانيين الموصل بداية لتغير مهم في نقابة الموصل ونصيبين ، ففي أواخر سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤م انفصلت المنطقتان إدارياً ، واستتبع ذلك إيجاد نقابة مستقلة : في كل من الموصل ونصيبين ، وأصدر السلطان العثماني سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) فرماناً يتضمن إنشاء (نقابة للأشراف) في كل مدينة كبيرة من مدن الدولة ، ومن هذا التاريخ أصبح لقب النقيب في الموصل هو (نقيب الأشراف) كما حمل النقباء في المدن الأخرى هذا اللقب أيضاً .

وليست ثمة معلومات كافية توضح دور نقابة الأشراف في الحقبة الأولى من الحكم العثماني في الموصل ، وأن كانت ثمة إشارة تدل على محاولة رجالها تأكيد دورهم في الحياة الاجتماعية فيها ، فقد أحيوا بعض الاحتفالات الدينية ، وكانوا في أثنائها «يطوفون في الأسواق والأزقة»^(١٧) . ومن الراجح

لذا فقد توجب عليه أن يحفظ أنسابهم من دخل فيها وليس منها ، أو خرج عنها وهو منها ، وبشبه هذه الأنساب في ديوان خاص يسمى «بحر الأنساب» أو «جريدة الأنساب» . كما أنه كان يفصل في الدعاوي القائمة بين الأشراف أنفسهم ، وبينهم وبين الآخرين أيضاً ، وله أن يعاقبهم ويقم الحدود عليهم اذا ارتكبوا مخالفة شرعية أو قانونية ، وله الحق في استيفاء حقوقهم ، أو وضع الحجر عليهم .

الأصناف :

شهدت الموصل ، خلال القرن الثامن عشر ، انتعاشاً واضحاً لحركة اقتصادية نشطة استدعى الى قيامها ظهور الطبقة التجارية القوية في الولاية ، فتحولت الموصل - تدريجاً - الى مركز تجاري مهم يصل بين تجارة البحر المتوسط وبين الخليج العربي والمحيط الهندي ، وأدى ظهور هذه الطبقة التجارية النشطة الى زيادة أهمية المدينة ذاتها ، وماتمثلة من نشاطات صناعية مهمة تصلح للتبادل والتجارة ، وبخاصة صناعة الأنسجة التي كانت تعد أهم الصناعات الموصلية وأكثرها حيوية في التبادل التجاري .

وكان طبيعياً أن يؤدي تركيز النشاط الحرفي ، وتقدم الصناعة اليدوية في مدينة الموصل ، وأزدياد طلب التجار لها ، الى محاولة خلق ظروف جديدة للعمل ، والخروج من نطاق الحرفة المنزلية الى مجال العمل الجماعي الأكثر رقياً ، وذلك لتحقيق إنتاج أكثر وأسرع يفي بمطالب التجارة الواسعة . فكان من نتيجة هذا أن نشأت معامل بسيطة لإنتاج مختلف السلع ، وخاصة الأنسجة بأنواعها . وقد أشاد رحالون أوروبيون زاروا الموصل في تلك الحقبة بمعامل النسيج والنحاس والحديد القائمة في المدينة آنذاك .

ونتيجة النشاط الحرفي المتزايد تعاضلت أهمية (الأصناف) كتنظيمات اقتصادية - أجنبية تحمي

أصحاب كل حرفة من التعدي ، وتضمن مستوى مقبولاً للمهنة ، وتحدد أسعار منتجاتها . وثمة إشارات تدل على ارتفاع شأن هذا النظام وأزدياد أهميته ، ففي عام ١١٣٣ هـ / ١٧٢٠ م أثارت الأرباح التي تجنيها اصناف الحرفيين اهتمام «أعيان الموصل» الذين يظهر لنا أنهم - هنا - من أرباب الأقطاعات الزراعية ، فأقترحوا فرض ضريبة سنوية (صاليان = ساليانه) على «أرباب الصنائع والحرف» الذين بلغ عددهم آنذاك نحو ثلاثة آلاف ، ولكن الاقتراح واجه معارضة قيل أنها استندت الى أسس أخلاقية دينية ^(١٣) ، ومن المحتمل أن سلطة المدينة خشيت أن هي فرضت مثل تلك الضريبة أن تثير معارضة ذلك العدد الكبير نسبياً من المنتجين ، وهو أمر يمكن أن يقلق السلطة مما يدل على قوة الأصناف الاقتصادية وتحولها للتعبير عن مصالحها بأساليب سياسية .

وكان تكليف سلطة الولاية لثلاثة من أعيان الموصل بدفع هذه الضريبة وحدهم يؤلف مناورة ذكية لتجنب الاصطدام بالأصناف مباشرة ، والأفان أولئك الثلاثة - وهم إسماعيل أغا (باشا فيما بعد) الجليلي ، وقره مصطفى بك ، وعلي أفندي المفتي العمري - كانوا يعملون بالتزام الضرائب على أصناف الحرف في الموصل ، أي أن مصدر ثرواتهم هي الاصناف ذاتها . ونحن نعلم ان الجليليين ، قبل أن يتولوا حكم الولاية ، كانوا يلتزمون ضمان رسوم الاحتساب المعروفة في العراق بـ «التقا» وهو يعني جمع الضرائب من المرافق الاقتصادية في البلد ^(١٤) . وبلغت ثروات ضامني الاصناف الى حد أنهم اشتركوا في تنفيذ مشروع ضخ عمجزت ميزانية الولاية نفسها عن تحمل نفقاته ، وهو بناء قناطر حجرية ثابتة لجسر الموصل العائم ، بعد أن كانوا «أدوا الصاليان عن الأصناف والرعية» ^(١٥) .

ويذكر محمد أمين العمري ^(١٦) (توفي سنة ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٨ - ١٧٨٩ م) أن من الأسباب

الأشراف عليها من النواحي المالية، ويفهم مما أورده العمري أنه كان على هذا الشيخ أن ينظم حساباته في «دفتر خاص» يبين فيه مايفقه وسبب أنفاقه، وأنه كان عليه أن يقدم دفتره الى الوالي ليشرف على سير الأمور المالية للأصناف بأسرها. وكانت عملية البيع تجري بين الاصناف بالدين، بضمانة الوالي نفسه، ويحتفظ الاخير بسندات الصفقة في خزينة الولاية،^(١٨) ومع ذلك، فإن من صلاحية شيخ الاصناف السبعة أن يُتفق بعض أموال أصنافه «في مصالح البلد» دون الرجوع الى رأي السلطة، وأن كان عليه أن يبين «مكانها ومصرفها» عند تدقيق دفتره. وربما تجرأ بعض أولى النفوذ في الحكومة على أخذ بعض الأموال من شيخ الاصناف على سبيل الاستدانة، ولكن ذلك العمل لم يكن مرضياً لدى الحكومة على أية حال.^(١٩)

وتعوزنا النصوص التي توضح شكل التكوين الاجتماعي داخل الصنف نفسه^(٢٠). ولعل من اهم ميزات هذا التكوين أنه تأثر بالنظام العائلي السائد في تلك العصر، فكان أن تحولت مشيخة الصنف الى منصب وراثي محض، تتولاها في كل حرفة معينة أسرة مُميزة في صنفها، وتتميز عن غيرها بلفظة «باشي» أي كبير، أو رئيس، فشيوخ صنف العطارين يدعى «عطار باشي» وشيوخ صنف التجارين «تجار باشي» وهكذا الأمر بالنسبة لشيوخ الأصناف الأخرى.

الطرق الصوفية:

شهدت المئتان السادسة والسابعة للهجرة (١٢ و ١٣م) تبلور عدد من التنظيمات الاجتماعية، على هيئة «طُرُق» تستوحي تقاليدها، وتعاليمها، من سيرة بعض البارزين من الرجال في مجالات العلم والزهد والعبادة، وذلك بعد انقضاء صفحة الصوفية الرواد، الذين عاشوا فرادى دون أن يخلقوا

التي مكنت آل الجليلي من الوصول الى السلطة ما عرف عنهم من «عناية بالفقراء وأرباب الصنائع يدافعون عنهم ويحامون ويسعون لهم بالمصالح، وإزالة المظالم وتبديل البدع». ومعنى هذا أن أرباب الصنائع، وهم أهل الأصناف، أصبحوا، في أوائل القرن الثامن عشر، مركز الثقل الرئيس في الحياة السياسية الداخلية للموصل، وغدا مجرد منحهم الثقة لأحد الزعماء يعني إيجاد فرص طيبة له لتولي مواقع مؤثرة في حكم الولاية.

وليس ثمة معلومات كافية عن عدد الأصناف في الموصل، فقد كانت هناك صناعات كثيرة مثل الحياكة، والحدادة، والنجارة، والخفافية (صناعة الأحذية) والدباغة، والسراجة، والصياغة، وصياغة الأواني النحاسية. الخ، على أنه يبدو أن للأسباب المالية والإدارية دورها في ضم عدد من الأصناف المتشابهة حرفها، ضمن صنف واحد. اذ تشير نصوص تاريخية^(٢١) أنه كان في الموصل سبعة أصناف يرأسها شيخ يعرف بأسم «شيخ الاصناف السبعة». وأغلب الظن أن تحديد عدد الاصناف بسبعة فقط لم يكن إلاّ تحديداً رسمياً، هدفه توحيد إدارة كل مجموعة من الأصناف المتقاربة المهن، في صنف واحد رئيس، تيسيراً لمهمة الأشراف على الحرف المتعددة التي كانت منتشرة في ولاية الموصل آنذاك، وضم الجميع تحت «مشيخة» عامة واحدة. وليست ثمة نصوص توضح طبيعة مهام «شيخ الاصناف السبعة» ودوره في الحياة العامة للولاية، وأثر السلطة السياسية في اختياره، أو إقراره في منصبه، وحدود صلاحياته في التعامل معها، ومن المعقول أن اختياره كان يجري من قبل شيوخ الأصناف السبعة مباشرة، إلا أن إقراره في منصبه كان يحدث من قبل حكومة الولاية، فهو الذي يمثل أهل الحرف أمامها.

وبلغ من نفوذ السلطة السياسية على شؤون الأصناف أن تولى الوالي نفسه إدارة تلك الشؤون أو

وراءهم أتباعاً يصوغون تعاليمهم على هيئة تنظيمات محددة.

وكان أبرز الطرق الصوفية التي وجدت سبيلها الى الموصل منذ القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)، الطريقة العدوية المنسوبة الى الشيخ عدي بن مسافر الأموي الهكاري (المتوفي سنة ٥٥٧هـ/١١٦١م). والطريقة القادرية، المنسوبة الى السيد الشيخ عبد القادر بن موسى الحسيني الجيلي البغدادي (المتوفي سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٥م) والمتنقلة الى الموصل على يد الشيخ قضيبي البان الحسين بن عيسى الحسيني الموصلية (المتوفي سنة ٥٧٣هـ/١١٧٧م) والطريقة الرفاعية المنسوبة الى السيد الشيخ أحمد الرفاعي الحسيني الواسطي (المتوفي سنة ٥٧٨هـ/١١٨٢م) والمتنقلة الى الموصل على يد الشيخ عبد الملك بن حماد الكسكاني الموصلية (المتوفي ٥٧١هـ/١١٧٥م) والشيخ محمد الغزالي المعروف بالغزالي (المتوفي ٦٠٥هـ/١٢٠٨م).

ولقد انتشرت تلك الطرق في الموصل، مثلها في ذلك مثل مدن العالم الإسلامي آنذاك، انتشاراً واسعاً، وأنشأ أتباع كل طريقة «تكية» خاصة بهم، يمارسون فيها شعائر طريقتهم من أوعية وأذكار، ووقفت عليها، بمرور الزمن، الأوقاف الكافية لأدامتها والأنفاق على رجالها. وأختار بعضهم مساجد ومدارس معينة لتكون مثابة لهم، وكان لكل من تلك المنشآت أوقافها الخاصة بها. ومنذ بداية العصر العثماني أنيطت نقابة الاشراف ببغداد بشيوخ الطريقة القادرية. كما أنيطت نقابة الاشراف بالبصرة بشيوخ الطريقة الرفاعية، على نحو لم تجد البلاد له سابقة من قبل، وهذا تم ربط جميع التكايا بنقابي الاشراف المذكورين، وأصبح نقيب أشراف بغداد، يعرف بشيخ السجادة القادرية أو خادمها، ومثله ما فعله نقيب أشراف البصرة، وتولى كل منها الاشراف

على مجموعة التكايا العائدة لطريقته، وبالمقابل فإن إدارة أوقاف تلك التكايا أصبحت منحصرة في يدهما، يتوليانها بصفة مركزية مباشرة. وهكذا فقد وجدت الطريقتان القادرية والرفاعية في الموصل تعزيزات معنوية ومادية قوية في ذلك العصر، ولم يعد ممكناً-من الناحية العملية-أن تنافسها اية طريقة صوفية أخرى. صحيح أن مصادر القرنين السادس عشر والسابع عشر تشير الى تراجم رجال صوفيين ينتسبون الى طرق أخرى، كالخلوتية والمولوية والشاذلية حققت بعض النجاح في انتشارها، إلا أن الأثر الاجتماعي لهذه الطرق ظل محدوداً، لأنها لبثت-في نظر السكان-تمثل امتداداً لتنظيمات دخيلة تقع مراكزها في مناطق بعيدة، في حين لم ينظر للقادرية والرفاعية إلا بوصفها طرق عراقية صميعة.

سعت كل من هاتين الطريقتين الى إقامة عدد من المراكز التابعة لأشرافها، وذلك بالترويج الى كرامات رجالها وغيرهم، وبناء المشاهد عند قبورهم، لتكون بمثابة مراكز روحية لها، مما أدى الى ظهور عدد كبير من هذه المشاهد التي يلتف حولها الناس أيماناً منهم بفضل أصحابها، مثل مقام الحامد والمحمود ومقام محمد الخلال ومقام محمد الأبارقي ومقام حسان البكري ومقام ابي الوفا ومقام الشيخ علي ومقام الشيخ عيسى ومقام السلطان أويس القرني ومقام الشيخ ابي العلاء ومقام الشيخ صالح ومقام الشيخ الوسواسي وغيرهم^(٢١).

وشيناً فشيناً تحول أتباع الطرق الصوفية الى مجرد سدة للمشاهد المذكورة، وفقدت-بذلك-طاقاتها الروحية التي كانت سبباً في انتشارها أول مرة، وصارت القضية الأساسية للصوفية هي تأكيد الأيمان بكرامات الأولياء، دون غيرها من أمور التصوف وشؤونه. ومن الطبيعي أن يكون من وراء ذلك مستفيدون حقيقيون، هم القائمون على

خدمة المشاهد والأضرحة والذين غدوا بمثابة «وسطاء» بين اصحاب الحاجات وقاصدي التبرك وبين «الأولياء» أنفسهم.

ولقد بدا واضحاً، منذ أواخر القرن الثامن عشر، أن ثمة طريقتين لتجاوز أزمة التنظيمات الصوفية، الأولى بالغاء هذه التنظيمات فكرياً ومسلكاً، والثاني إحداث حركة إصلاحية قوية داخل التصوف نفسه يكون من شأنها تخليصه مما علق به من شوائب وتقاليد غريبة، وأحياء التربة الخلفية لدى أتباعه، ولقد وجدت الطريقة الأولى، القائمة على فكرة الألغاء التام، تطبيقها في ولاية الموصل متمثلة في الحركة السلفية القوية التي شهدتها منذ منتصف القرن الثامن عشر، والتي قادها بصلابة الملا أحمد بن الكولة (المتوفي سنة ١١٧٣هـ/١٧٥٩م) ثم ابنه محمد من بعده، وكان الأخير «شديد الإنكار على جميع الأولياء»^(٢٢) وجاهر في نقده لشيخو الصوفية الأقدمين، مثل الشيخ محيي الدين بن عربي، والشيخ عبد القادر الكيلاني، فتألب الناس عليه، حتى اضطر الى مغادرة الموصل، الآ أن دعوته لقيت قبولاً، فأنقسم المتفقون الموصليون الى فريقين: فريق محافظ مازال متأثراً بالطرق الصوفية، وبروح العصر التقليدي، وفريق سلفي تأثر يدعو الى نيز تقديس الأولياء ويجاهر في مقاومته للطرق الصوفية، بالخط من مكانة مؤسسيها وزعمائها. وجمع كل فريق ما أستطاع من الحجج للدفاع عن مبادئه، وألف المحافظون كتباً مهمة في الرد على الدعوة الجديدة، فكان ذلك من بواعث حركة التأليف عند الكتاب. وشاعت الرغبة في البحث في تراجم الأولياء، بعد أن كانت مكانتهم أمراً مسلماً به لا يحتاج الى بحث وتنقيب.

على أن الدعوة ما فتئت تكسب الى صفوفها أنصاراً جدداً، ومال بعض المحافظين الى الأخذ بوجهة نظرهما بغية إصلاح الوضع المتردي للطرق

الصوفية القائمة آنذاك، فكتب أمين العمري كتاباً أسماه «الكشف والبيان عن مشايخ هذا الزمان» حاول فيه التمييز بين الكرامات الحقيقية والكرامات المزعومة، وكتب الحاج عثمان بك بن سليمان باشا الجليلي مقالات كثيرة على الذين سحروا الطرق الصوفية لمصالحهم الدنيوية. وألف رسالة رد فيها على الشيخ خالد النقشبندي، مجدّد الطريقة النقشبندية في العراق، أسماها «دين الله الغالب على المنكر المبتدع الكاذب» وحمل على طائفة الدراويش وأصحاب التكايا مجد ونشاط.^(٢٣) ويظهر من كتابه هذا أن محاولات مهمة جرت من قبل الطريقة النقشبندية في بغداد لنشر نفوذها في الموصل أيضاً، الآ أن علماء الموصل أستقبلوا رسلها بمناظرات ومناقشات، حضرها بعض أولى الأمر، وتناولوا فيها بالنقد فلسفة الطرق الصوفية أصلاً، وأنتهوا الى بطلان الأسس التي تقوم عليها هذه الطريقة.

وفي الواقع فأن تدهوراً ملحوظاً أصاب الطرق الصوفية، بحسبانها تنظيمات أجتاعية، في النصف الاخير من القرن التاسع عشر، برغم محاولة بعض الولاة العثمانيين الذين خلفوا حكم الجليليين أحياءها، وتخصيص بعض المشاهد تكايا لها، وذلك بسبب قوة النزعة السلفية فيها وخروج «العلماء» من صراعهم ضد «أصحاب الطرق» منتصرين، وهو الصراع الذي دام نحو قرن كامل من الزمن.

الهوامش:

- (١) ابن عتبة: عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب ٣٢٩-٣١٨
- (٢) المصدر نفسه ص ٣٢٣.
- (٣) تولي القتيب محمد شرف الدين الحسيني العلوي بن زيد ضياء الدين وزارة الدولة الأتابكية زمن السلطان مسعود بن مودود زنكي سنة ٥٧٩هـ/١١٨٣.
- (٤) وصف علاء الدين علي بن شمس الدين محمد الحسيني الملقب

- (١٥) ياسين العمري : الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون ص ٥٨٠ (مخطوط).
- (١٦) منهل الأولياء ١٤٢/١
- (١٧) المصدر نفسه والصفحة
- (١٨) مجهول : القوانين السلفية (مخطوط) الورقة ١٨
- (١٩) منهل الأولياء ١٤٢/١
- (٢٠) أنظر بحثنا «اللامح الاجتماعية لنظام الأصناف في العراق ابان العصر العثماني» المقدم الى مؤتمر الحياة الاقتصادية للولايات العربية ومصادر وثائقها في العهد العثماني ، المنعقد في تونس ١٩٨٥ ، والمنشوري في المجلة التاريخية المغربية ، السنة ١٢ ، العدد ٣٩-٤٠ ، تونس ١٩٨٥ ص ٤٤٦-٤٦٠
- (٢١) أنظر محمد أمين العمري : منهل الأولياء ، الجزء الثاني ، واحمد ابن الخياط : ترجمة الأولياء في الموصل الحدياء .
- (٢٢) ياسين العمري : غرائب الأثر ص ٣٥ .
- (٢٣) عباد عبد السلام رؤوف : الموصل في العهد العثماني ص ٤١٢-٤١٣ .

- بجيدة بأنه «نقيب الموصل وملوكها» أنظر بحثنا : «حكام العراق وموظفوه في عهد الممولى الأيلخانين» ، مجلة المؤرخ العربي العدد ١١ (١٩٧٩) ص ٦٨-٧٢ .
- (٥) بحر الأنساب لسادات الموصل (مخطوط) وياسين العمري : منية الأدياء ص ١٧٢ (هامش المحقق سعيد الديوه جي) .
- (٦) ابن عتبة : عمدة الطالب ٣٢٩ .
- (٧) ياسين العمري : الدر المكنون ، أحداث سنة ١٠٥٩ (مخطوط)
- (٨) سليمان الصانع : تأريخ الموصل ١٦٧/١ .
- (٩) عباد عبد السلام رؤوف : الموصل في العهد العثماني ، فترة الحكم المحلي (التجف ١٩٧٥) ص ٣٦٢ .
- (١٠) منهل الأولياء ٢٤٠/١ .
- (١١) المصدر نفسه ٢٣٩/١ .
- (١٢) منهل الأولياء ٢٤٦/١ و ٢١٤/٢
- (١٣) ياسين العمري : منية الأدياء في تأريخ الموصل الحدياء ص ٨٠ .
- (١٤) عباس الغزاوي : تأريخ الضرائب العراقية ص ٥١ .

مَظَاهِرُ الْحَيَاةِ الْإِجْتِمَاعِيَّةِ

أ.د. عباد عبد السلام رؤوف

عاملة لـ «قبول» الجميع دونما استثناء ، فلا يوصد باب ، ولا يُسأل احد عن سبب زيارته ، وعن المقصود بها ، ومن هنا عرفت هذه المجالس في المدن العراقية ، ومنها الموصل ، «بالقبولات» .

ولم يكن عقد المجالس في حقيقة الامر مقتصرأ على اهل المدن دون غيرهم ، وانما كانت تنتشر حتى في اصغر القرى واقصاها من العمران ، لانها جزء من صميم حياة القبيلة ، حيث يجتمع الناس في مضيف شيخها يسمرن فيه ويتبادلون الاحاديث . على ان الفرق الرئيس بين هذه المضافات الريفية والمجالس المدنية يكن في طبيعة مايجري فيها من احاديث ، فبينما يقتصر الحديث في الاولى على انشاد الشعر البدوي ، ورواية القصص ، وتصريف شؤون القبيلة او العشيرة ذاتها ، غلب على المجالس المدنية ، منذ القرن الثامن عشر- وربما منذ وقت سابق لانستطيع تحديده - احاديث اكثر الناس

لعل اكثر الظواهر الاجتماعية التي كانت لها آثارها على مجمل الحياة الثقافية والفكرية أهمية ، اعتياد معظم الأسر البارزة في المدن العراقية خلال القرون الأخيرة على عقد مجالس عامة ، في أيام مخصوصة كل اسبوع يحضرها الادباء والمثقفون بوجه خاص . فضلاً عن رجال الاسرة المضيفة ذاتها .

المجالس :

ان اهمية تلك المجالس التي كانت تعقد في المدن العراقية ومنها الموصل لاتتمثل في كونها ضمت النخبة المثقفة في ذلك العصر الذي قل فيه المثقفون فحسب . وانما في تقاليدها الثابتة المتمثلة في الحرص على عدم الحيلولة بين انسان وحضورها والمشاركة - إن شاء - في احاديثها ، او الاكتفاء بسماع مايدور فيها من حوارات وافكار . وتحديد يوم معين لهذا المجلس يعني - بحذ ذاته - ان ذلك اليوم هو مناسبة

ثقافة ومعرفة بحسب مقاييس عصرهم. صحيح ان اهتمامات الاسرة المضيئة ، او مهنتها الموروثة كانت تؤثر في اتجاهات الحديث والحوار، بل في نوع الحضور نفسه ، إلا أن الطابع الثقافي ، والادبي منه بوجه خاص. ظل هو السائد في تلك المجالس. وكانت المطاردات الشعرية ، والمباراة في نظم الشعر في موضوع محدد. والتشطير والتخميس ، والتغني بمآثر السلف ورواية اشعارهم ونثرهم، من الموضوعات المحببة لرواد المجالس غالباً. ولانشك في اهمية هذا الامر، بوصفه باعثاً لهم على الاطلاع على الاعمال الادبية البارزة لشعراء العربية وادبائها المتقدمين ، في عصور الازدهار والتقدم التي عاشتها الأمة ، ومجرد محاولة محاكاتها ، والتأثر بها هو من الاسباب الواضحة لحركة تطور الوعي القومي في العراق في ذلك العصر.

ولقد حفلت مدينة الموصل ، في العصر العثماني ، بعدد وافر من المجالس الكبيرة التي كانت تعقد في بيوت أسرها البارزة ، وكانت لهذه المجالس تقاليدھا المرمية ، فهي تبدأ - عادة - في ساعة محددة من النهار وتنتهي في ساعة مثلها ، ويحترم الحضور هذه المواعيد ، فلا يتأخرون عنها إلا إضطراراً ، وللوجه البارزة منهم اما كنهم المعتادة في صدر المجلس ، بحسب مقاماتهم العلمية والاجتماعية ، اما الآخرون فبوسعهم تخير ما يحلوهم من اماكن. واذا صادف انعقاد المجلس وقت اداء فريضة الصلاة قام إمام مخصوص بالاسرة المضيئة (تعبه لهذا الغرض) برفع الأذان بين الحاضرين والأمم بهم ، فلا يفوت احد اداء الفريضة ، ولاشك في أنَّ اداها بصفة جماعية - على هذا النحو - يضفي على المجلس وقاراً وهيبة ونقاءً ، فاذا ما انقضت عاد الحاضرون الى ما كانوا عليه من احاديث ادبية وعلمية مختلفة.

وعلى الرغم من عدم وصول معلومات تفصيلية عما كان يدور في تلك المجالس من احاديث وأخبار ،

فان في وسعنا ان نكوّن فكرة واضحة عنها ، فمعظمها وجد طريقه الى مؤلفات أدباء العصر على شكل مناظرات ادبية ، ومساجلات شعرية ، واختبارات من دواوين المتقدمين ، ومن حاكها ، او تأثر بها من المتأخرين ، ونماذج من رسائل مثورة ، وقطع أدبية رقيقة ، وتراجم للمعاصرين. ومن الثابت لدينا انه لو لم يكن مؤلفو تلك الكتب من حضار المجالس وملازمها لما تمكنوا من كتابة اكثر مواد كتبهم تشويقاً ومتمعة ، بل لما أوحى اليهم بفكرة تأليف بعضها اصلاً ، وليس كتاب «نوار المنح في اقسام الملاحة والملح» لحمد امين العمري (ت ١٢٠٣ هـ / ١٧٨٧ م) إلا نموذجاً على ما كان يدور في المجالس الادبية التي عاصرها من «نوار وملح» ويفهم مما ذكره عصام الدين عثمان العمري^(١) (ت ١١٨٤ هـ / ١٧٧٠ م) في مقدمة كتابه «الروض النضر في ترجمة ادباء العصر» انه ما جمع مواد كتابه إلا بعد ان اطال تطوافه في المجالس ادباء عصره «فكل يوم بواد ، وفي كل حين بناد» ومثله ما اشار اليه محمد بن مصطفى الغلامي^(٢) (ت ١١٨٦ هـ / ١٧٧٢ م) في مقدمة كتابه «شمامة العنبر والزهر المعنبر» انه ما ان شب حتى اخذ يتطفل على مجالس الادب يشارك فيها بأدبه وشعره .

وقد ضمت تلك المجالس معظم مثقفي الموصل الذين عرفوا بتضلعه من معارف عصرهم ، وتدلنا تراجم من علمنا منهم على المستوى الادبي الرفيع الذي كانت عليه مجالس القوم آنذاك ، فالشيخ مصطفى الصباغ وصف بأنه «ملحوظ للموكن (يريد ولاية الموصل من آل الجليلي) ومحظوظ منهم ، له عندهم مكان ، اذا غاب ذكروه واذا حضر اكرموه»^(٣) ووصف الشيخ العالم عبدالله الرنتكي بأنه كان «عالي القدر عند الملوك والاكابر»^(٤) وقيل عن الشيخ مصطفى الغلامي انه «عاشر الملوك ، وحظي عند ملوك الموصل»^(٥) ومثله ابنه المفتي علي

فَشَكَّلَ ذلك المناخ الطبيعي لتشكل اولى التنظيمات السياسية القومية في المدينة فيها بعد.^(٩)

الأعياد والمناسبات الاجتماعية :

احتلت الاعياد والمناسبات الاجتماعية المختلفة لدى الفرد الموصل أهمية فائقة في حياته ، فهي فضلاً عن عدها وسيلة ترفيهية كانت تعبر عن وحدة المجتمع الموصل ، على الرغم من تنوع مكوناته ، حيث يشترك الجميع في الاحتفال بأعياد كل طائفة متجاوزين الفوارق الدينية او القومية بينهم .

ولعل أبرز انواع الاحتفالات تلك المناسبات الشعبية التي تضرب في عمق الحياة الروحية للشعب ، مثل الاحتفال بليلة الصف من شعبان ، واستقبال شهر رمضان ، والاحتفال بالعידين ، ويتم الاعلان عن هذه المناسبات رسمياً ، باطلاق عدد من قذائف المدفعية ، وقيام فرقة الموسيقى العسكرية (المهترخانة) بعزف انغامها في الاماكن العامة .

وكان شهر رمضان موسماً حافلاً بالمراسم الممتعة ، فيه تبين مختلف مظاهر التسلية واللهم البري ، وتبادل الزيارات وتم اللقاءات وتقدم التهانئ والهدايا ، ومن الاخرة انواع فاخرة من الحلوى والاطعمة و « الشربت » وتقام الصلاة في الايام الاخرة من الشهر في اكبر جوامع المدينة واهمها . وتقع عند المشاهد المنسوبة للانباء وهي جامع النبي جرجيس ، وجامع النبي شيت ، وجامع النبي يونس ، والمتعاد ان تزين شرفات هذه الجوامع ليلاً بالمصابيح الموقدة لضئى شعاعها بهجة وسحراً على نفوس القاصدين والمارين . ويجرى فيها احياء المناسبات الدينية الخاصة بالشهر ، وهي ذكرى موقعة بدر الكبرى وليلة القدر ، وليلة العيد .

وفي صباح اول يوم من ايام العيد ، يزدان (السراي) بمظاهر الاحتفال ، ويخرج مكعب الوالي بأهلى حلة الى احد الجوامع الثلاثة لاداء صلاة

الغلامي ، فقد «عاشر ملوك بني عبدالجليل ، وحظي عندهم ، وكان نديمهم»^(١٠) ومثله ايضاً الأديب الشاعر محمد الغلامي فانه «انصل بخدمة ملوكنا فكان احد المندامين ومن أخص المصاحبين»^(١١) ووصف الأديب صالح بن المعمار بأنه «لم يزل مدة عمره ملازم المجالس الجليلة ، فطوراً يشطر بمشحوذ قريحته أبيات المتقدمين وآناً يدرسها ، ووقتاً يثنى السبع المعلقات ووقتاً يحمسها»^(١٢)

واشتهر في الموصل ، في كل حقبة عدد من المجالس التي يؤمها الناس للتمتع بما يجري فيها من حوار ، والاستفادة مما يدور على ألسن أهل الادب والعلم منه من فوائد جمة ، ألا ان ابرز تلك المجالس ، واطولها عمراً هي التي اعتيد عقدها في بيوتات عربية قديمة ، عرفت بالامارة او السيادة او العلم والقضاء والافتاء ، من اشهرها مجالس آل الجليلي ، وآل الاعرجي ، وآل العمري ، وآل الغلامي . فهذه وغيرها ، كانت أشبه باندوات مفتوحة ، تجمع الخاصة بالعامه في لقاءات دورية ، فتشيع المعرفة ، وتوسع نطاق الثقافة بين الجمهور .

ولم يقتصر دور هذه المجالس على الجوانب الادبية البحتة حسب ، وانما اخذت منذ أواخر القرن التاسع عشر تشهد تحولاً خطيراً في اهدافها وموضوعاتها ، اذ اخذت تتردد فيها الاحاديث القومية المبكرة وتابع القوم من خلالها ماكان يجري في الدولة ، وفي اقطار العروبة الاخرى من احداث ، وناقشوا الاحتمالات المستقبلية لها في ضوء ماكان يصلهم من أخبار ، وساعد انتشار الصحف في اواخر العصر العثماني ، ووصول الصحف الصادرة في مصر وبلاد الشام واستانبول الى الموصل ، الى تحول تلك المجالس الى مايشبه ان يكون حلقات ثقافية ، تتلى فيها مقالات الصحف السياسية والفكرية ، ليجرى - من ثم - نقاشها .

والخريف، حيث يخضر العشب وتفتح الزهور البرية وبعق النسيم بعطورها. وفي الغالب فإن الأسرة تحمل معها من أفانين الطعام ما يكفيها خلال ذلك النهار، بل وما يكفي للتصدق به على الفقراء فضيف إلى لذة الطعام- في وسط ساحر- متعة روحية خاصة ولا يخفى أن مجرد لقاء أفراد الأسرة بأضرحة أسلافها يذكركم بتاريخهم الأسري فيمتحنهم ذلك شعوراً بالتضامن والتماسك الاجتماعي.

وثمة احتفالات شعبية عامة تجري في ربوع الريف المجاور للمدينة، وأغلب الذين يقومون بها هم من أبناء المدينة نفسها، وتتخذ هذه الاحتفالات من زيارة مقامات بعض الأولياء والصالحين محوراً لها، ولكن توقيت القيام بها في فصل الربيع غالباً، حيث تخضر الحقول، ويرق الطقس، يؤكد الجانب الترفيهي لها. فمن تلك المواسم العيد المسمى بالخضر ألباس، أو جمعة الخضر، ويقع في أول جمعة من موسم الربيع «فيبتون فيه أنواعاً من المأكول، ثم يرسل بعضهم لبعض منه على طريق الهدية»^(١٠) ومنها أيضاً زيارة مقام الشيخ قضيب البان الموصلية خارج أسوار الموصل، ولهذا الشيخ كرامات يعتقد بها موصليو ذلك العهد، فعند «قبره الشريف يجاب الدعاء، وتكشف الحوباء، وتغفر الذنوب، وتنور القلوب، وتشفى الأسقام، وتذهب الآلام ولا يزوره أحد ويتوسل إلى الله تعالى به في قضاء حاجته إلا استجاب الله دعاءه»^(١١).

فلا عجب أن أصبح هذا الموضع وأحد متزهات الموصل^(١٢) إليه يخرج الناس في موسم الربيع، فيبتشرون حوله في الأماسي، ويقضون وقتهم في الألعاب وركوب الخيل والمباريات الرياضية وغير ذلك، وكان للفروسية نصيب بالغ في هذا الاحتفال، إذ كانت تعرض مهارات الفرسان المختلفة، ويتبارى الجميع في اظهار فنونهم

العيد، وفي طريق عودته يخرج الناس لتحيته، ثم يستقر به المقام في صدر قاعة مجلسه بالسراي، لاستقبال وفود المهنيين من الموظفين والاتباع والاعيان والوجهاء والعلماء وبعض زعماء القرى والعشائر المجاورة. وفي الوقت نفسه يأمر بمنح موظفيه وأتباعه وقراء المساجد وخدمها وغيرهم عطايا العيد التقليدية. هذا في حين يقف عازفو الموسيقى العسكرية (المهترخانة) خارج مبنى السراي لتعريف الحائنها طيلة ايام العيد.



• احتفال الموصلين بأحد الأعياد الدينية.

ويتميز برنامج الاحتفال بعيد الاضحى، بتضمنه زهات جماعية يخرج فيها السكان من مختلف الطوائف إلى ريف المدينة، وبخاصة تل التوبة، عند جامع النبي يونس، في القسم الشرقي المقابل للمدينة، والموضع المعروف ببئر البنات في قرية نينوى، القريبة من التل نفسه. ولما كان لمعظم الأسرى في المدينة مقابرها الأسرية الخاصة، وهي منتشرة في اطراف المنطقة المأهولة من المدينة، فإن زيارة أضرحة الراحلين من اسلاف الأسرة تبدو مظهراً ثابتاً من مظاهر الاحتفال بالعيدين، وعلى الرغم مما يعتري زيارات كهذه- عادة- من ذكريات مؤلمة وأسى تتعلق بشخص الفقيد الراحل فإن شيئاً كثيراً من الترويح كان يكتنف تلك الزيارات، إذ من المألوف أن تنتقل الأسرة كلها إلى الخلاء، بعيداً عن ضيق المحلات والأزقة، وعن رتابة الحياة اليومية، فتتمتع ببهجة الطبيعة وهدوئها، وبخاصة في موسمي الربيع

في هذا المجال.^(١٣) وكان أرباب الحرف يقيمون مهرجاناتهم، في اثناء الاحتفال، عارضين على الناس نماذج من اعمالهم، وتدعى هذه المهرجانات «حرفانات»، فيقولون: حرفة العلماء وحرفة الفقهاء... الخ، ولكل حرفة يوم خاص تحتفل به.^(١٤)

ومن المواسم الشعبية التي اعتاد الموصليون احياءها والاحتفال بها زيارة الموضع المعروف بحمام العليل (حمام علي) وهي منطقة فيها عيون مياه كبريتية حارة، تقع على شاطئ نهر دجلة، على مسافة ٢٤ كيلومتر منها، ويرحل اليها الاهالي على اختلاف فئاتهم لقضاء شطر من فصل الصيف فيها، حيث كانوا ينشئون لسكنائهم هناك ملاجئ مؤقتة من الخشب والاحطاب تسمى «القرازيل» وهي تتكون - عادة - من قسمين: قسم مسقوف للاستقبال، وآخر مكشوف، يستخدم مطبخاً ومخزناً وساحة للجلوس والنوم، ويلحق بالمصيفين كثير من اصحاب الحرف الضرورية، مثل الاسكافي والحلاق وأرباب المقاهي وغيرهم، فتقوم من هؤلاء فجأة اسواق عامرة، سرعان ما تنقضي بانتهاء موسم الاصطياف نفسه.^(١٥) كما يلحق بهم أيضاً كثير من القراء والمطربين والعازفين، فتقام الولائم وحفلات الأُنس والطرب، ويتبادل الجميع الزيارات، وتحيا الأماسي التي تدور فيها مختلف ألعاب التسلية والسمر، حتى وكأن الناس في عيد لا ينقطع، فإذا ما حل فصل الخريف، أسرعوا بالعودة الى الموصل، فينتهي بذلك موسم الاصطياف.^(١٦)

والى جانب هذه الاحتفالات والمواسم الشعبية الشائعة كانت ثمة احتفالات رسمية، ذات تقاليد ثابتة، ومراسم معينة، وأبهة ظاهرة، اعتادت حكومة الولاية القيام بها بين حين وآخر، مثل الاحتفال بورود الأثر السلطاني المنبئ بولادة أمير عثماني، أو جلوس سلطان، ففي مثل تلك

المناسبات تعلن عطلة رسمية مدتها سبعة أيام، وتزين الاسواق والخانات، «وكل يوم تضرب الطبول بالسراي صباحاً ومساءً، ثم تضرب تفنكات (بنادق) والطوبات (المدافع)».^(١٧) ومن تلك الاحتفالات الرسمية ايضاً ما كان يقام بمناسبة تجديد فرمان الوالي كل عام. ولهذا المناسبة تقاليدها المرمية الطريفة، فإذا وصل الوفد الذي يحمل معه فرمان في ايام السبت او الاثنين او الخميس دخل المدينة فوراً، وإذا لم يتفق موعد وصوله مع هذه الايام الثلاثة كان عليه ان يتأخر - عندئذ - خارج المدينة، عند مرقد الشيخ قضيبي البان الموصلي، لبيت هناك ليلة او ليلتين، يقوم بتجديده خلالها احد موظفي السراي، مع ضابط من حملة البنادق (التفنجكية) برتبة (بيرقدار)، وفي معيته عشرة رجال من الشرطة، وعند حلول أحد الايام المذكورة يخرج لاستقبال الوفد كتبخدا الوالي اي نائب الوالي مع عدد كبير من موظفي السراي والفرسان (السباهية) فضلاً عن خمسين رجلاً من أغوات السراي يتبعون موكبهم طبقاً لنظام معين، وتستغرق هذه المراسم زهاء الساعتين والنصف. وفي العودة تضرب مدافع الابراج قذائفها كلما اقترب منها مقدم الموكب، حتى اذا ما وصل الى سراي الحكم كان الوالي باستقبال الوفد جالساً في مدخل مكتبه (ويعرف باللاوطة) واللاوطة كلمة تركية معناها الجعرة او العرفة ويتقدم الكتبخدا الى الوالي ليعلم عن وصول فرمان، ثم يتلوه حامل فرمان نفسه، فيأخذها الوالي منه، ويدخل به الى الاعيان الذين يحفل بهم السراي يومذاك، الى ان ينتهي به الى محله، فينشر فرمان ويلثم الطغراء، ويعطيه الى كاتب الديوان، الذي يلثمه ايضاً، ثم يشرع في قراءته بصوت مرتفع، ثم يتلوه بقراءة فرمان الملحق، وهو الذي يوجهه السلطان الى الناس عادة بشأن تجديد حكم واليهم، وبعد الفراغ من القراءة يمنح الى حامل فرمان «كرك» من القراء،

ومثله لكاتب الديوان ولساعي البريد «التاتار» المرافق، وتعرف فرقة الموسيقى الخاصة بالسراي (المهرتخانه) الحانها ثلاثة ايام، صباحاً ومساءً، وتطلق مدافع أبراج المدينة، ومدافع السراي نفسه جميعاً، ثم يكتفى بثلاث اطلاقات في صباح اليوم الثاني والثالث، وبهذا تنتهي هذه المراسيم الشائعة. (١٨)

وفضلاً عن ذلك كانت هناك مراسيم خاصة سنوية او فصلية تأخذ شكل مناسبات عامة، لكنها - على اية حال - تقتصر على الوالي وطبقة الموظفين التابعين لسراي حكمه، فمن تلك المراسيم الاحتفال بانتقال الوالي السنوي من مكتبه (الاولية) في السراي، الى المقر (الكوشك) ليعامس اعماله من هناك، وكان هذا الانتقال يتم عادة في شهر نيسان، اي في بداية فصل الربيع، اما عودته الى السراي فتكون خلال شهر تشرين الاول، اي في فصل الخريف من العام نفسه (١٩).

الملابس والازياء

ظلت الملابس والازياء بعيدة عن اهتمامات المؤرخين المحليين لذا فاننا لانملك اوصافاً كافية لما كان يرتديه الرجل والمرأة في الموصل، إبان ذلك العصر، وباستثناء اشارات قليلة، ومبتسرة سجلها بعض السياح والرحالين الاوربيين لانجد بين ايدينا ما يعتد به في هذا المجال. على ان ثمة قرائن تدل على العناية الخاصة التي كان يوليها الفرد الموصل لما يرتديه من ملابس مختلفة، اهمها ان الموصل كانت «مصنع الشرق» في صناعة انواع الانسجة، وبخاصة القطنية منها، وانها اشتهرت - منذ العصور الوسطى - بانتاج أفضل الانواع وامتها واكثرها جالاً في العالم، ولقد حفظت لنا كتب التراجم جملة من اسماء المهن المتعلقة بالنسيج والتطريز والحياكة والزركشة، ممن حفلت بدكاكينها و «وورشها» اسواق الموصل إبان تلك العصور،

ولطالما انهر السياح الاوربيون بجودة النسيج الموصل وجماله الأخاذ، وسجلت لنا المصادر الادبية شهرة هذا النسيج ورغبة التجار من بقاع العالم في الاتجار به حتى امتدت شهرته من اوربا الى الصين (٢٠).

ولاشك في ان قيام صناعة نسيج متطورة في الموصل، كان يستلزم وجود ذوق فني عام لدى المشتغلين بهذه الصناعة، من ملونين وطابعين ومزركشين ومطرزين، وهو مايقف دليلاً واضحاً على ارتفاع مستوى التذوق العام لهذه الفنون الجميلة، لذا فلم يكن مستغرباً ان يولي اهل الموصل عنايتهم لمظهرهم الخارجي، وهي عناية لم تقتصر على نوع القماش فحسب، وانما امتدت لتشمل تصميات الملابس ايضاً وبرزت لنا فئة من المتخصصين بتصميم الأزياء المختلفة، حتى روي ان خياطاً موصلياً من اهل القرن الثامن للهجرة (الرابع عشر للميلاد) كان يمتاز بما ينتكره من ازياء، وكان يقترح على الخياطين فنوناً يتكسب هو فيها. (٢١)

وتدل التماذج القليلة المتبقية من ملابس الموصلين التي ترقى الى اواسط عصر السيطرة العثمانية، على ان الفرد الموصل ظل محافظاً على تراث مدينته المتقدم في مجال تنوع الازياء وجمال مظهرها وتناسق ألوانها، وانسجام ماينتجى به من زينات مختلفة صحيح ان معظم مايرتديه الموصل رجللاً كان ام امرأة، يجد شبيهاً له - من حيث مفردات اللباس الاساسية - في مدن العراق الاخرى، الا ان الملابس الموصلية كانت تتميز - بوجه عام - بجودة الخامة المصنعة محلياً او المستوردة، ووفرة المطرزات، ودقتها.

فالرداء الاساسي لدى الرجل الموصل، والمرأة ايضاً، هو الزيون، أو الصاية، وهو ثوب طويل مفتوح من امامه، طويل الاردان، وبدون عنق (ياخة)، ويعمل في بعض الاحيان من الحرير، وربما اتخذت له ألوان كثيرة يصل عددها الى

سبعة ، ويتميز هذا الثوب ، اذا كان نسائياً بوفرة زخارفه ، وتطريزه بانواع من الخيوط المذهبة والمفضضة ، على شكل ورود بارزة من (الكلدون) وقد يحل بنجوم ذهبية وأهله ، في حين تكون اكمامه محلاة بمحاكات دقيقة الصنع (فستو) أشبه بـ (الدانتيل) وتكون حوافه وفتحة عنقه مشغولة بالقصب والكلبدون ، وترتدي المرأة تحت هذا الثوب اثواباً رقيقة (أئك) بينما تثبت جانبه ببعضها بـ (كلاب) يكون من ذهب او غيره ، بحسب المستوى الاجتماعي للمرأة نفسها.

ولا يختلف زيون الرجل ، من حيث الاساس ، عن زيون المرأة ، إلا بسعته الظاهرة من وسطه ، فيطوى جانب منه على الآخر ، على طريقة (الصد والرد) وتقتصر الوانه على لونين فقط ، غالباً ، الفضي الغامق ، والفضي الفاتح ، وتزين حوافه وفتحة رقبته أشرطة ملونه (قياطين).

ويحتل الدميري (او الصديري) مكانة خاصة بين الأردية الموصلية ، فهو ما يرتديه الرجل والمرأة على حد سواء ، ويصنع من الصوف الناعم شتاءً ، ومن الحرير الطبيعي (الشعري) صيفاً ، وهو يشبه (سترة) قصيرة مفتوحة من الامام ، ولا رقبة لها ، يرتديها الرجل والمرأة فوق الزيون. ويتميز الدميري النسائي بتطريز حواشيه واطرافه واكمامه بزخارف متعددة ، في ذوق رفيع وتناسق تام ، وهي عادة زخارف مستمدة من اشكال نباتية ، كالزهور والاوراق المتكررة ، او حيوانية ، كالطيور والطواويس والفراشات ، او فلكية كالأهلة والنجوم. وتستعمل في تطريزها انواع من الخيوط الملونة المذهبة ، وقد تحلى - لدى الفئات الموسرة - بالاحجار الكريمة او الثمينة على الاقل ، وضمن حلقات فنية جميلة. اما الدميري الرجلي فتغلب عليه الالوان (السادة) ويحلى عادة بأشرطة ملونة (قياطين).

ويعد الخزام ، لدى الرجل الموصلي ، من

مكملات اناقته ومستلزمات منزلته الاجتماعية. وقد تفنن الصانع الموصليون في اتقان تطريز نوع من الأحزمة يسمى (حياصة) ، وهو يتميز بعرضه ، وفخامة مظهره. وتستخدم خيوط الكتان والحرير الملونة في حياكته مكونة تشكيلات زخرفية هندسية ، ويزخرف - عادة - بقطع مختلفة الاحجام والاشكال من الفضة ، يتخذ بعضها احياناً شكلاً شبيهاً بالعقرب ، اعتقاداً بأن في ذلك ما يدفع الحسد ، وتتوسطها قطعة كبيرة مقببة بحجم نصف برتقالة. مرصعة بأحجار كريمة ، على حسب المستوى والامكان.

ومن المفردات الرئيسة في لباس المرأة الموصلية ما يعرف بالازرار ، وهي عباءة قصيرة من قماش مقصب ، وكلبدون ، تعرف احياناً (ام-كتف) لقصرها ، وفي حالة ارتداؤها ، تلبس تحتها تنورة طويلة. وفي الوقت الذي كان الرجل يرتدي فيه انواعاً من العمام - ضاعت تفاصيل معظمها الآن - فإن المرأة الموصلية كانت ترتدي في رأسها غطاءً يعرف بـ (القبس) ، وهو على - غالباً - بالقطع الذهبية ، وتسدل منه ، على عنق صاحبه ، خصلة (بسكولة) تزيد جلالاً. وربما اكتفت بلبس (الهبرية) (٢٢) وهي غطاء من حرير اسود ، تضعه على رأسها لتغطي وجهها تحجباً ، وهي تبعد هذا الغطاء عن وجهها بوضع قطعة من نسيج غليظ مقوى ، مزينة من حوافها ، على هيئة مظلة قصيرة ، تدعى (بيجة) عند جيئها.

الهوامش

- (١) الروض النضر ، بتحقيق سلم النعيمي (بغداد ١٩٧٤) ٣٠/١
- (٢) شامة الغدير ، بتحقيق سلم النعيمي (بغداد ١٩٧٧) ٣٨/١
- (٣) أمين العمري : مثل الاولياء ٢٦٦/١
- (٤) المصدر نفسه ٢٥٢/١
- (٥) المصدر نفسه ٢٥٣/١
- (٦) ياسين العمري : قرة العين في تراجم الحسن والحسين الورقة ٢٦ (مخطوط)
- (٧) مثل الاولياء ٢٥٨/١

- وذا يعرض بمبرام له
وذلك يفهمه مقال العتاف
وكل شخص ينغم لذة
منها يأخذ حصة او نصاب
في كل فسقاط ترى ضجة
من ضرب سنطير وزد او نصاب
ماين تصفيق ورقص بدا
هلاهل تسي عقول الشباب
انظر القصيدة كاملة في محمد صديق الجليلي : الاصطيف في حام
العليل ، (الموصل ، ١٩٦٥) ، ص ١٣ - ١٧
(١٧) ياسين العمري : منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدياء ص ١٨٤
(١٨) مجهول : القوانين السلفية الورقة ، ٤ - ٥ و ٢٨ (مخطوط)
(١٩) القوانين السلفية الورقة ١٠ و ١٣
(٢٠) سعيد الديوهجي : اعلام الصنائع المواصله ص ٤١
(٢١) المصدر نفسه ٦٦ نقلاً عن المقريري : درر العقود الفريدة
(مخطوط)
(٢٢) اصلها حيرة ، وبحيرية.

- (٨) محمد الغلامي : شامة العنبر ص ٣٣٩
(٩) ناقشنا اثر ظاهرة المجالس الادبية في حركة تطور الوعي القومي
في مجتمعات الجمعيات العربية وفكرها القومي ، المنشور في مجلة
المستقبل العربي عدد ١١ السنة ١٩٨٥ .
(١٠) محمد أمين العمري : منهل الاولياء ٧٢/٢
(١١) احمد بن الخياط الموصل : ترجمة الاولياء في الموصل الحدياء
ص ٧٩
(١٢) امين العمري : منهل الاولياء ١١٦/٢
(١٣) سعيد الديوهجي : جوامع الموصل في مختلف العصور ٢٦٣
(١٤) منهل الاولياء ١١٦/٢
(١٥) حازم البكري : دراسات في الالفاظ العامية الموصلية (بغداد
١٩٧٢) ص ١٧٨
(١٦) للأدب الموصل بمحمد بك آل ياسين المفتي قصيدة طويلة
يتمتع فيها موسم الاصطيف ، ويسجل من خلالها مختلف
فعاليات النشاط التربوي للموصلين في هذه المناسبة ، جاء
فيها ما يأتي :
تسمع شخصاً بالغنا منشداً
وأخسر بطرب برد الجواب

الحياة الثقافية

الحياة الفكرية في الموصل إبان العهد العثماني

(٩٢٢ - ١٣٣٦ هـ ١٥١٦ - ١٩١٨ م)

د. ابراهيم خليل احمد

مقدمة :

الحقبة .. فقد استطاعت الحفاظ على شخصيتها الحضارية العربية . وفضلا عن ذلك فأنها شهدت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر نهضة علمية ثقافية ، فانتسعت حركة التأليف باللغة العربية ، وتأكدت قدرة الموصلين على اثبات وجودهم الحضاري القومي ويرجع ذلك الى ان الموصلين نجحوا في ابعاد مدبنتهم عن السيطرة المركزية العثمانية ، وحكمها حكماً مباشراً فترة تزيد على المائة سنة استمرت من ١٧٢٦ حتى ١٨٣٤ . ومن ناحية أخرى فان هذه النهضة جاءت تملأ الفراغ الابداعي الذي خيم على الساحة الثقافية في الموصل خلال القرون الخمسة التالية لزوال السيادة العربية الاسلامية سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م^(١) .

لم يحظ الجانب الفكري للموصل خلال فترة السيطرة العثمانية بما يستحقه من اهتمام . ويبدو ان ذلك يرجع الى صعوبة تناول هذا الموضوع .. فن جهة انصرف الباحثون الى رسم الحياة الفكرية في عموم الوطن العربي إبان السيطرة العثمانية بسمات التدهور والاضطراب والرقود والسلبية .. وكانوا يميلون الى ربط ذلك بالانهيار الذي واجهه الكيان السياسي العربي اثر احتلال المغول لبغداد سنة ١٢٥٨ م وابتعاد العرب عن حكم أنفسهم بأنفسهم ، ومن جهة أخرى فان تناثر المعلومات في ثنايا المصادر فضلاً عن قلتها كانت عاملاً آخر جعل الباحثين يعزفون عن خوض غمار هذا الموضوع .
وبقدر ما يتعلق الامر بالموصل فانه على الرغم من الحزن والنكبات التي مرت عليها خلال هذه

«ساليانه» او الاقطاع غير العسكري ، او الاعتراف بالكيانات الاقطاعية العشائرية المتوارثة بشرط دفع الاتاوة السنوية المقررة عليها^(٢) .

لقد عاشت الموصل حتى اواسط القرن الثامن عشر في حالة من الفوضى والاضطراب في أوضاعها الاقتصادية والاجتماعية .. ولم يجر فيها اي اصلاح ملحوظ وفشلت الحكومة العثمانية في توفير أسباب الرفاهية والعيش الرغيد لرعاياها سواء في المدن أم في القرى والارياف حيث عانى الفلاحون الأمرين من تصرفات اصحاب الاقطاعات .

واقصرت جهودها على ارسال الحملات على العشائر وعانت الموصل خلال هذه الفترة من نكبات طبيعية قاسية .. اذ تفشى الطاعون فيها مرات عدة ، وساهم الجراد في تدهور الحياة الاقتصادية في بعض السنين . وطغت النزاعات والفتن والصراع بين اهل المدينة والعشائر المحيطة بها على الفترة كلها^(٣) .

وكان من الطبيعي أن تنعكس هذه كلها على الحياة الفكرية انعكاساً سلبياً . اذ اقتصرت المؤسسات الثقافية التقليدية التي ترجع بجدورها الى العصور الوسطى الاسلامية على ممارسة نشاطها القديم الذي هو خلاصة الموروث العربي الاسلامي ، دون أن تضيف اليه اضافة حقيقية سوى اعداد متزايدة من الشروح والحواشي والتعليقات^(٤) . وفي هذا يقول سليمان صايغ^(٥) : «لم ينشأ في الموصل في اوائل السيطرة العثمانية واطسها فن جديد ولم تتسع نطاق العلوم ، واذا سلمنا بوجود طائفة حسنة من أهله صفقوا وألقوا فهم لم يستجدوا شيئاً ، ولم يعملوا أكثر من ان يشتغلوا على مصنفات وآثار الاقدمين ، ولم يتوسعوا في علم أكثر مما توسع فيه الاسلاف ، فعنايتهم كانت مقتصرة على شرح ام تدليل ، وربما أكثر من ذلك شي قليل » .

لقد تميز تاريخ الموصل الثقافي في هذه الفترة بوجود بضع مدارس ، لم تخرج منها هجاء عن تدريس الدروس الفقهية ، كالمدرسة البدرية

وحين هبت رياح التغيير ، وحدثت حركة الاصلاح العثماني ، وظهرت بوادر النهضة العربية في القرن التاسع عشر ، وجدنا ان الموصل كانت على اتصال وثيق بالحركة الفكرية العربية وخاصة في بلاد الشام ومصر . والملاحظة الجديرة بالاعتبار هنا أن هذا الوعي المتحفز في الموصل لم يكن إلا تناغماً وتواصلاً للوعي العربي العام في مختلف الولايات العربية ، ويلحظ هذا في تجانس الاساليب والاتجاهات التي ظهرت في النتاجات الفكرية للعلماء والادباء وغيرهم في الوطن العربي .

يعالج البحث الحياة الفكرية في الموصل ، في ثلاث مراحل ، تناول المرحلة الاولى منها : الحياة الفكرية في الموصل خلال الفترة العثمانية الاولى ١٥١٦ - ١٧٢٦ . اما المرحلة الثانية فتشمل الحياة الفكرية إبان فترة حكم الجليليين ١٧٢٦ - ١٨٣٤ . وتنصرف المرحلة الثالثة للنظر في اوضاع الحياة الفكرية في اواخر العهد العثماني ١٨٣٤ - ١٩١٨ .

الحياة الفكرية في الموصل في مطلع العهد العثماني ١٥١٦ - ١٧٢٦ :

دخلت الموصل تحت السيطرة العثمانية سنة ١٥١٦ فهي بذلك من اولى المدن العربية التي سيطر عليها العثمانيون . وكان لموقع الموصل الجغرافي ، ولاهبتها الاقتصادية ، آثار واضحة في مجرى تاريخها السياسي والحضاري ، ذلك انها تقع عند تقاطع الطرق التي تربط بين ايران والاناصول والشام .

وبعد استيلاء العثمانيين عليها دخلت مرحلة جديدة من تأريخها . اذ اصبحت مركزاً متقدماً لضرب النفوذ الايراني في العراق بأكمله . ولظروف الموصل المناخية المتميزة من حيث وفرة امطارها ، وقرب الاراضي الزراعية من الادارة المركزية .. فقد اتبع العثمانيون في الموصل الاسلوب الاقطاعي العسكري في حين تفاوتت التطبيقات الاقطاعية العثمانية في المناطق الاخرى بين الالتزام في صورة

والمدرسة الخزامية والمدرسة الجرجسية التي كان يدرس فيها محمود بن عبد الله الحنفي الذي لم يشتهر احد من طلبته.. والمدرسة اليونسية التي كان يدرس فيها مراد بن عثمان بن علي العمري (ت ١٦٨٠)، وكما هو معروف فان المتعلمين آنذاك لم يتجاوزوا بعض المؤلفات التي خدمت التدريس «دون تمكن عظيم في التأليف والتبوع». وقد أشار الى ذلك عباس الغزالي^(١). حين ذكر ان العناية بالابداع قلت وفقدت الرغبة في العلوم الفلكية والرياضية وصارت المؤلفات السابقة صعبة الأخذ، ومال الكتاب الى مختصرات لا تختلف عن سابقتها او منتقاة منها.

لكن ذلك لم يمنع من ازدهار حركة القراءات القرآنية في الموصل التي استمرت نشطة في هذه الفترة، وهذا يرجع الى انها متصلة بتلاوة القرآن الكريم، ولقد اتضح ذلك من الاجازات العلمية الكثيرة التي منحها العلماء لتلامذتهم واثبتتها مجموعة كتب التراجم، ولعل من أبرز العلماء الذين أسهموا في هذا المجال الشيخ خضر بن عطا الله الموصل (ت ١٥٩٩) وذلك من خلال كتابه «الاسعاف». «شرح ابيات القاضي والكشاف» ويريد بالقاضي المفسر «البيضاوي». عبد الله بن عمر بن محمد بن علي (ت ٦٨٥هـ) وتفسيره هو: انوار التنزيل واسرار التأويل المعروف بتفسير البيضاوي. واما الكشاف المقصود به «تفسير الكشاف للزمخشري ت ٥٣٨هـ»^(٢).

وشهدت الموصل كذلك اهتماماً خاصاً من لدن بعض الوجهاء بتشييد المدارس الدينية وتزويدها بما تحتاج اليه من الكتب والمال. ومن هذه المدارس تلك التي شيدها اسماعيل باشا واخواه ابراهيم اغا وخليل اغا ابناء عبد الجليل بن ملكة الحصفكي في فناء جامع الاغوات سنة ١٧٠٢، ومدرسة الحاج محمود بن علي النومة المشيدة سنة ١٧٠٨، ومدرسة محمد اغا السعري المشيدة سنة ١٧١٥ والمدرسة التي بناها اسماعيل باشا بن عبد الجليل في فناء جامع النبي جرجيس سنة ١٧١٦ ومدرسة

ياسين افندي المفتي الموصل المتوفي سنة ١٧٢٢^(٣). اما في حقل التاريخ فلم تشهد الموصل ظهور مؤرخين بارعين خلال هذه المرحلة.. ويتصعب العثور على أسماء مؤرخين أغنوا علم التاريخ بما هو جديد، وكل ما نعر عليه مؤلفات اختلط فيها التاريخ بالدين. فعلى سبيل المثال جمع كل من جورجوس اللقوشي (ت ١٧٠٠)، وعيسى بن اسحاق الموصل (ت ١٧٤١)، اخبار عدد من الرسل والقديسين في كتب مستقلة، أريد بها خدمة الكنيسة، ولكنها مع ذلك أسهمت في رسم قواعد فن السيرة، كما برز في المراحل التالية. وما يلحظ ان تلك الكتب جاءت بالعربية، وهي اللغة التي بقيت تمثل ثقافة الناس في الموصل، بما فيهم من علماء وطلبة^(٤).

وفيما يتعلق بالشعر فان شعراء هذه المرحلة غالوا «في تنميق العبارة واستعمال كلمات غير مأنوسة، فعاد الكثيرون منهم الى ذكر الاطلال والعيس والقلوص والطبي والدموع والنار المتقدة طلي الجوانح وذلك على اسلوب واحد تقريبا معنى ومبنى»^(٥). لذلك لم يشتهر كثيراً أحد من اديباء الموصل وشعرائها في النصف الثاني من القرن السادس عشر وفي القرن السابع عشر، أدرك الموصليون ان الحكام العثمانيين لم يكونوا يهتمون بتعليم ابناء العرب، لذلك بدأوا يسعون الى انشاء المدارس الملحقه بالمساجد او المستقلة عنها. ولقد أدت هذه الحركة الى خلق فشتين جديدتين هما: «العلماء» و «الادباء». وأسهمت هاتان الفشتان على نحو واضح في صياغة الحياة الفكرية. وما يلحظ ان نتائجها كانت عربية اللغة تماماً، اذ لم تتأثر بأية مؤثرات اجنبية. ويبدو ان لقوة الأسر المالكة للاراضي في الموصل آنذاك، وسعيها الى ان يكون لها نفوذ سياسي تنافس به سلطة الوالي العثماني الرسمية أثر كبير في انتعاش الحركة الفكرية وخاصة منذ النصف الثاني من القرن السابع عشر^(٦). وقد اشتهر في الموصل آنذاك عدة علماء وادباء منهم: الشيخ محمود بن عبد الوهاب الموصل الحنفي مفتي

الموصل (ت ١٦٧١) الذي اشتغل بالتدريس واللغة وكانت له تصانيف فيها لم تصل إلينا. وقد غلب عليه الفقه فارتقى إلى منصب الافتاء في الموصل، وصعب تحديد منزلته في علوم اللغة، على الرغم من قول مترجميه بأنه كان عالماً بالعربية ذلك لضياح مصنفاته^(١٢).

كما برز بالتدريس مراد بن عثمان بن علي بن قاسم العمري (ت ١٦٨٠) وفتح الله بن موسى بن علي بن قاسم العمري (ت ١٦٩٧) وعبد الباقي بن مراد العمري (ت ١٦٩٧) الذي «كان اديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً جمع بين جودة المعنى وحسن السبك»^(١٣)، قرأ العلم على شيوخ الموصل وسافر إلى استانبول واجتمع بعلمائها وأخذ عنهم وبقي هناك فترة من الزمن، قام خلالها بالتدريس وتخرج عليه طلبة كثيرون، وعاد إلى الموصل ليتولى التدريس في المدرسة اليعنيسية^(١٤). وقد قدمه صاحب الشامة^(١٥) على غيره من ادباء عصره.

وفي النصف الاول من القرن الثامن عشر ظهر كل من: عبد الرحمن الموصل الشيباني (ت ١٧٠٦) ومراد بن علي العمري (ت ١٧١٦)، الذي قال عنه صاحب شامة العنبر: «إذا كان غيره للمعالي فريد، فهو للمعالي مراد. وفي النظم شاعر مجيد، في العلم فاضل مجاد، وفي الرأي صائب سديد، وللخطب حزمه سداد، وفي حلبة الكرم سابق جواد»^(١٦). وكذلك الشيخ مصطفى بن علي الغلامي (ت ١٧١٧) وباسيليوس اسحق جبير الموصل (ت ١٧٢١) وعبد الباقي بن احمد التاجر الموصل الشافعي (ت ١٧٢٤) والملا جرجيس بن درويش (ت ١٧٢٧) وكان شاعراً له شغف بالهزل. وقد اتى المرادي في سلك الدرر على فصاحته وبلاغته ولطيف محاضراته ومناظراته^(١٧). اما محمد بن مصطفى الغلامي^(١٨) فقد جعله أشعر اقرانه بعد الشاعر حسن بن عبد الباقي الموصل (ت ١٧٤٤) وذكر أن له ديوان شعر، وقد سافر إلى حلب واجتمع بادبائها وتطارح مع فضلائها^(١٩). وقد تحدث عنه أحد النقاد فقال «ان الرجل كان

يغترف من بحر، ويأخذ منه صنوف المعاني فيعيدها بسلاسة الفاظه سبيكة تبر، ويأتي بتشابه ليس لها شبيه... يجر ذبول البلاغة مع اربابها، ويأتي بيوت الفصاحة من ابوابها»^(٢٠). وكانت له اليد الطولى في نظم التواريخ الشعرية، فلما بنى اسماعيل باشا الجليلي واخواه خليل ابراهيم اغا المدرسة التي اشرنا إليها انفا وكانت في جامع الاغوات أرحها بسبعة أبيات كل شطر منها تاريخ كامل وهو سنة ١١١٤ هـ (١٧٠٢ م) ومطلعها:

لقد زانت الحدياء مدرسة حوت

لساير اهل العلم والزهدي والتقوى
نفوق على كل البناء نفضلا
وكيف وقد أمسى الحديث بها يروى.

اقام (خليل) الخير والفضل والنفى

بهات عماد الدين جاءت كما يهوى^(٢١)

اما الشيخ يوسف النايب الموصل (ت ١٧٣٧ م) فقد شغل منصب القضاء في الموصل مدة طويلة من الزمن، ثم اعتزل القضاء وانصرف للتدريس في المدرسة الجرجسية. وكان فوق ذلك شاعراً رقيقاً، وله وقوف تام على دقائق الفقه والفرائض والحساب. وقد اقبل على دروسه طلبة العلم ومنهم محمد بن مصطفى الغلامي صاحب شامة العنبر^(٢٢).

لقد بدأ الادب في الموصل خلال هذه المرحلة يبحث عن اشكال جديدة متميزة عن المفاهيم الادبية العثمانية التي كانت تسود العصر مثل الاستناد الى قدسية الخلافة العثمانية، وسيادة النزعة الدينية^(٢٣). ويمكن ان نعثر على مثل تلك الاشكال الجديدة في كثير من القصائد التي نظمت في الموصل آنذاك. فلقد اتخذ عبد الباقي بن مراد العمري الموصل (ت ١٦٩٧) من قصائد الشكوى سبيلاً لأبرار فساد الحكم العثماني^(٢٤). إذ أفرغ كراهيته واحتقاره للمحتلين الغزاة، وصحبها في قالب مرير من الحيرة والقلق، لكي يوجه الالذهان الى عبث الحكام^(٢٥) لقد رسم لنا العمري صورة واضحة لما كان عليه العراق كله حينها قال:

بك الوري ابنا يوزي بيس
 الله بلا ويرسن وقد صنصنه
 وان عزوك بالفاظهم
 كانت ورب البيت مستهجنه
 والعلم والفضل غدا كاسدا
 ما نفع الا الدك والملعنة
 ثم يختم قصيدته بمرار ويقول :
 وما ابن سينا عنه ذي دولة
 لإحمار قام في المتبنة
 يا ليتنا متنا قبيل الاذي
 وقبل هذا الذل والمسكنه
 لقد لاقت تلك القصيدة رواجاً كبيراً في
 الاوساط المثقفة في الموصل ، لما تضمنته من حس
 قومي وزعة عربية واضحة وتبرم ونفور من الحكم
 العثماني (٢٩) .
 كما تتجلى النزعة القومية العربية في قصائد عبد
 الله الفخري مفتي الحنفية (ت ١٧٧٤) (٣٠) .
 ويتضح هذا في قوله :
 وأنا من العرب الكرام ألى العلى
 وفينا الهدى والمجد والعلم والشعر
 وما ضم حب المال قط صدورنا
 فأموالنا عبد وأعراضنا حر
 ابن المجد الا ان نعيش بعزة
 اذا لم يكن مجد فختارنا القبر
 وانا لفينا نخوة عربية
 وانا لنا جد به ينتهي الفخر

الحياة الفكرية في فترة حكم الجليليين ١٧٢٦ -
 ١٨٣٤ :

استأثرت بعض الزعامات المحلية في الدولة
 العثمانية منذ النصف الثاني من القرن السادس عشر
 بالحكم ، وأقامت اسراً حاكمية . وما ساعدها على
 ذلك طبيعة النظام العثماني الذي تميز بالسلطوية ،
 وعدم القدرة على التغلغل والغوص في حياة
 السكان . ولعل من ابرز القوى التي ظهرت في

قد استحال العراق مفسدة
 ليس سوى ضرب السيف يصلحها
 وأهله كالأغنام عاث بها
 أذوية والكلاب تنبحها
 هذا بساطور الشربس لسلخها
 وذا بسكين القهريذبحها
 وكم تيوس على العراق نزت
 من ابن لي ذو قرنين ينطحها
 جاست خلال ديارهم فشة
 احسنها في الخلال اقبها
 في كل يوم من شر طائفة
 تطوف من حولها يصبحها
 صدورها كالأعجاز خاوية
 على عروش قدساء مطرحها
 لسنها والاطماع مديتها
 اشهرها في الاطماع اشرحها (٣١)
 اما الشيخ مصطفى بن علي الغلامي (ت
 ١٧١٧) وقد عمل مفتياً للموصل فترة من الزمن ،
 فكان في شعره يربط بين تاخر الأمة العربية وسوء
 الادارة العثمانية مضمناً قصائده كلمات تركية للنهكم
 بالحكام الاتراك والاستخفاف بهم . وينعي في الوقت
 نفسه ، على ما وصلت اليه علوم العرب في عهدهم من
 تاخر (٣٢) . وفي قصيدة مشهورة له يقول (٣٣) .

يا قولكم يا علماء ادنه
 في زمن لا يشبه الازمنه
 قد دثر الارض بأزباده
 وأغمر الجدران والمآذنه
 ترعد عن انفسه ركبت
 ويقشعر الجلد منه سنه
 هذا وذو كركين اوئالت
 يقول بوقيش صار جوق قدرلنه
 والترك ان تدن لهم يبعدوا
 يصيحوا في غلمانهم «قاوسنه»
 كيد يدن جرار حزابتنور
 وان تجاسرت يقل اول سنه

الولايات العربية : الجليليين في الموصل . فلقد تقلدت هذه الأسرة العربية المعروفة بالنفوذ والثراء مقاليد الحكم في الموصل بعد ان قدمت للعثمانيين خدمات جليلة ابان حروبهم المتعددة مع الفرس الايرانيين . وكان لنجاح الجليليين في دفع الخطر الفارسي عن الموصل سنة ١٧٤٣ أثر كبير في تقوية مركز الأسرة الجليلية لدى الباب العالي من جهة والتفاف الموصلين حولها من جهة اخرى (٣١) .

لقد تميزت الموصل خلال فترة حكم الجليليين بشخصية محلية واضحة المعالم ثقافياً وإجتماعياً وعمرانياً وسياسياً واقتصادياً (٣٢) . كما شهد عهد الجليليين نمواً كبيراً لطبقة جديدة فنية هي طبقة التجار التي انتهرت فرصة انشغال الادارة العثمانية بالصراع مع قوى الملاكين المحلية ، وعجزها عن توفير الضمانات الكافية لحماية مصالح التجار ، لتحتكر السلطة السياسية منذ سنة ١٧٢٦ مدة تزيد على القرن اظهرت فيها أنها الاقدر من غيرها على ادارة شؤون الولاية ، وتمثيلها لمصالح السكان من تجار وحرفيين (٣٣) .

لقد اشتهر الحكام الجليليون باهتمامهم الخاص باصلاح طرق التجارة وتأمينها من أخطار اللصوص وقطاع الطرق . كما عرف عنهم اهتمامهم بتشبيد الدوائر والمباني الحكومية والمدارس والمستشفيات والمكتبات ودور العلم والمساجد والجوامع . كما احتضنوا الشعراء والادباء والمؤرخين . لذلك اصبحت الموصل ، في عهدهم ، تروج بحركة علمية واسعة وغدت المدارس ودور العلم والمساجد وخزائن الكتب ، بؤراً علمية للنقاش والبحث والتطوير الفكري والثقافي . ولقد ساهمت الاسر العلمية المعروفة ، ومنها آل العمري ، وآل الفخري ، وآل ياسين المفتي ، وآل السعدي ، وآل سليم بك وآل النقيب ، وآل الصائغ ، وآل الشماع ، وآل البزاز ، وآل النومة ، وآل الجويجي ، وآل شنشل ، في هذا النشاط جنباً الى جنب مع آل الجليلي (٣٤) . وقد نبغ من هذه الاسر كثير من العلماء والفقهاء والادباء والشعراء خدموا الموصل خدمات جليلة . كما حظي

العلماء والادباء والشعراء والاطباء برعاية خاصة وجو علمي اتاح لهم انجاز كثير من النشاطات العلمية والابداعية .

ولعل من ابرز ما تميز به حكم الجليليين في الموصل اهتمامهم باللغة العربية وتشجيعهم الكتاب والادباء على استخدامها وترجمة الكتب من اللغات الاخرى الى اللغة العربية . ولقد زادت اهمية « كاتب العربية » في ديوان الانشاء في هذا العهد حتى غدا اهم عضويه . وصار من شروط رئيس هذا الديوان ان يكون متمكناً من علوم اللغة العربية وآدابها ، مجيداً للكتابة بعدة انواع من الخط العربي (٣٥) .

لقد عد الاهتمام باللغة العربية علامة واضحة على النزوع القومي العربي الذي شهدته الموصل في القرن الثامن عشر . فدواوين الولاية تستخدم اللغة العربية .. وجميع المراسلات الرسمية بين الولاية والاقاليم تتم بالعربية ومدارس الموصل ، التي ساهمت في رقد الثقافة العربية بالنتائج العلمية والادبية ، تدرس باللغة العربية على نحو مباشر . وكان من مظاهر هذا الاحياء دراسة الشعر العربي القديم ونسخ مصادره ونشرها وتذوقها . وسعى شعراء متعددون الى اقتضاب معان قديمة لشعراء سابقين والاستفادة منها في صياغة اشعارهم ، بعد وضعها في قوالب جديدة مختلفة الاغراض (٣٦) .

ولقد شهدت الموصل ولادة شعراء موصليين كثيرين شاركوا في احداث المدينة ، وعبروا بشعرهم عن كوامن نفوسهم وخفايا افكارهم فعندما انتصر الموصليون في صد غزو نادر شاه سنة ١٧٤٣ ، لم يقل الشاعر ان الدولة العثمانية قد انتصرت ، وانما اخذ يباهي ويفاخربان العرب هم الذين انتصروا ، وأخذ يفاخر بالجيش الذي دافع عن الموصل ناسياً الرابطة التي كانت تربطه آنذاك بالدولة العثمانية .. وقد هزت اعتداءات الفرس ، وغزوهم للمدينة وما كانت تخلفه من ذكريات الكفاح المشترك ضد الغزاة ، وجدان المثقف الموصلي آنذاك ، فسجل تلك الذكريات المهيمة في رسائل مستقلة رغبة في نشرها وتخليدها ، بل لجأ أحياناً الى نظمها بشكل

« اراجيز طوالاً تروي تفاصيل الحصار وتوثق جوانب البطولة ، وتشرولوج الفن في دنيا السياسة » (٣٧) .
 وكان من ابرز المؤلفين الموصليين في هذا المجال الشيخ خليل بن علي البصير (ت ١٧٦٢) الذي نظم ارجوزة تاريخية مفصلة في وصف حصار نادر شاه للموصل سنة ١٧٤٣ ومقاومة اهل الموصل لهذا الحصار والتي تعد من الشعر السياسي الذي عرفته الموصل خلال هذه المرحلة (٣٨) . ومطلع ارجوزة البصير المؤلفة من تسعة وستين بيتاً :

الحمد لله السلام المؤمن
 الملك المقتدر المهيمن

وهو الذي ايدنا بنصره
 على العدو منقذاً من حصره
 ثم الصلاة والسلام الدائم
 على الذي حلت له الغنائم
 مؤيد الحق نبي الملحمة
 (محمد) الماحي ظلام المظلمة

اما ارجوزة عبد الله الفخري الحسيني فمطلعها (٣٩) :

الحمد لله العزيز الغالب
 الناصر الممدّد ذي المواهب
 المانح الجزل ، العيم الطول
 الدافع الضّر الشديد الحول
 تبارك الله تعالى شأنه

وعزّ جازا وعلا سلطانه
 سبحانه يفعل ما يشاء
 هيات ان يحصى له ثناء
 هو اللطيف بالبرايا سرمد
 حاشاه ان يترك امرهم سدى
 يخص بالرحمة من عباده

من شاء فضلاً منه في اسعاده
 وعدد ابياتها مئتان واربعة وعشرون بيتاً .

ولفتح الله القادري الموصلي (٤٠) ، ارجوزة تعد من اطول الارجيز . فعدد ابياتها اربع مئة وثمانية وتحسون بيتاً ومطلعها :

احمد ربي خالقي معيني
 في كل وقت ، بل وكل حين
 والشكر في كل اوان ونفس
 صباحاً مساءً وعشاءً . وغلس
 اثني عليه لزوال النعمة
 اذ بدل العسر بيسر النعمة
 ثم صلاة الله تغشى احمداً

محمد الهادي النبي الاوحدا
 لقد سجل الشعر الموصل للروح الوطنية
 المتأججة في النفوس ، وساهم في شحن همم
 المدافعين عن المدينة . كما ايقظت المواقف البطولية
 قرائح الشعراء فهب حسن عبد الباقي العمري (ت ١٧٤٤)
 ينشد ممجداً بطولات الرجال ، ويرسم
 صورتهم وهم ينازلون جيوش الفرس . وقد اجاد
 الشاعر في التصوير حين وصف بطولة الموصليين
 الذين تفانوا في الدفاع عن مدينتهم حبا وكرامة
 بقوله :

فأضحت نحور العجم غمد صوارم
 وكل عنيف كالعمود الممدد

وقد علم العجم العرين محصناً
 بأسد كرام لا بصخر وقرمد

فلم ينج منهم غير أمرد ناعم
 يقاد أسيراً كالغزال المقيد (٤١)

ويقدم احد الشعراء الموصليين صورة قائمة لذلك
 الحصار الظالم وكيف تصدى له اهالي الموصل فيقول :

ويوم له الحدياء شاب وليدها
 فتلقي به الحبل الجنين وتندب
 هنالك بان السيد السند الذي

له الراية البيضاء اقوى واغلب (٤٢)

وتوغل كثير من شعراء الموصل خلال هذه الفترة
 في عالم الدين الاسلامي الفسيح ، حباً في العقيدة
 السمحة وطلباً للمغفرة ، ونفوراً من الاوضاع الاجتماعية
 المتخلفة . وسار الشعر الديني هذا في مسارات تصب
 في مسالك متعددة ابرزها المديح النبوي ومديح الانبياء
 وذوي المراقد في الموصل .. فضلاً عن شعر الزهد
 والتصوف (٤٣) . ويذكر عثمان بن يوسف الخطيب

الموصلي^(٤٤) (ت ١٧٣١) بعض الصفات المعنوية والروحية الدينية التي دار في وسطها الشعراء في القرن الثامن عشر في نسق شعري متسلسل^(٤٥). اذ يقول^(٤٦):

درة المرسلين والانبياء
صفوة الكاملين والاصفياء
قبلة الواصلين خير البرايا
كعبة العارفين والاولياء
بغية السائلين بحر العطايا
منية العاشقين والبدلاء
رحمة العالمين والخلق طرا
نعمة العالمين والفضلاء
اما عبد الوهاب الموصلي بن حسين الامام (ت ١٧٥٩) فيقول^(٤٧):

نبي بشير شافع لعصاننا
نصوح امين مشاهد ومجاهد
رسول له الخلق العظيم سجة
به جاءت الآيات وهو المؤيد^(٤٨)
ويضني ابو بكر بن ابراهيم الكاتب^(٤٩) (ت ١٧٦٠) على الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم صفات معنوية تتمثل بالكرم الروحي، والمجاهدة النفسية^(٥٠). ومن شعره قوله:
نسي كرم ناصح ومجاهد
روؤف رحيم طائع كل طائع
فيا مصطفى افي بحبك واثق
وعلقت آمالي بكم ومطامعي
مدحتك يا أعلى النبيين رتبة
وان مدحجي في جنبك نافع
فخذ بيدي يوم حشري ومبعثي
وكن لي رؤوفاً حين تجري مدامعي^(٥١)

ويؤكد قاسم الرامي (ت ١٧٧٢)^(٥٢) على المعجزة التي اسرى بها (الرسول الكريم من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى...) (وعرج الشاعر على الصفة التي دار حولها الشعراء وهي الرحمة.. وان المكارم التي يتداولها الناس بينهم هي بعض من

نداه^(٥٣).

شمائله منها الشذى شامل الوري

هو الرحمة الكبرى فله مخلص

(ويتوسل به حسين الغلامي^(٥٤) (ت ١٧٩١)

ويوجه اليه مقاصده وغاياته^(٥٥):

اليك رسول الله وجهت مقصدي

فانك ذخري في معادي ومرجمي^(٥٦)

ومال شعراء الموصل كذلك الى مديح الانبياء وذوي المراقد في الموصل.. فعثمان بك الحياثي الجليلي (ت ١٨٢٩) مدح في قصيدة له النبي يونس عليه السلام، ذكر ان الموصل قد شرفت به منذ ضمت بين اضلعها مرقده الطاهر. ومدح الشعراء الموصليون آل البيت انطلاقاً من صلة القرابة والنسب بينهم وبين الرسول الكريم ولكانتهم الرفيعة في ضوائر المؤمنين واستلهاماً لسيرتهم المحمودية^(٥٧). فهذا يحيى افندي المفتي (ت ١٧٧٣). يؤكد على طهارة آل البيت من كل دس، فهم صفوة في الخلق الكريم.. والسلوك الحسن. ويلتفت محمد امين الطيب بن ياسين المفتي (ت ١٨٠١)^(٥٨) الى الامام يحيى بن القاسم الذي تختزن الموصل بين جنباتها مرقده، فيخصه بقصيدة يجمع له فيها بين النسب وصلة الرحم بالامام علي رضي الله عنه، وبين الصفات الخلقية والدينية التي خص الشعراء بها آل البيت^(٥٩)
ويسلك شعراء الموصل، مسلك التابذ للحياة المترفة، ويعلن خليل البصير ان الدنيا ليست بدار مقام، بل دار فناء وذهاب.. وتفوح من بعض القصائد رائحة الزهد والتصوف.. بل ويدعو عدد من الشعراء الى الزهد والصلاح. فهذا علي بن الحاج يونس الجليلي (ت ١٧٣٤)^(٦٠) يذكر الناس بهدوء حزين ان الاخير في المتع واللذات التي تجلب الندم وتولد الحسرة^(٦١)

بادر الى صالح الاعمال مفتكراً

قبل القوات فدينانا هي العدم

دع التلذذ فيها انه سفه

لاخير في لذة من بعدها ندم^(٦٢)

ويقترّب الحاج محمد بن عون الدين (ت ١٧٥٧) (٦٣) من الصوفية الى الاستغراق بحب الذات القدسية (٦٤).

بذكر الله انسى كل شيء

كأنّي حين أذكره أراه
يمر الدهر حيناً بعد حين

ولم يخطر على قلبي سواه
وان فسي ليذكره وقلبي (٦٥)

يلاحظه وفي سري هواه

ورغب شعراء الموصل في نقد الظواهر الاجتماعية السيئة، ونقد عيوب المجتمع وتشخيصها، فارتفع صوت الشكوى من الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وقد ولد الكبت والقهر في المجتمع هجرة عدد من الشعراء تاركين الموصل، فتفجر شعر الغربة والحزن في نفوسهم، فراحوا يناجون الوطن عن بعد (٦٦). فهذا علي الغلامي (ت ١٧٧٨) (٦٧) ينشوق الى وطنه شوقاً عارماً.. فهو في بلاد غريبة عنه، والعراق بعيد عن مرآه.. فبات يسال القوافل عن اهله وذويه ووطنه:

هات الحديث عن العراق فأنني

اصبحت عن تلك البقاع بمعزل
ابن العراق وساكنوه لمن غدا

بالروم يسأل كل ركب مقبل
ما حال هاتيك المعاهد بعدنا

ما حال تلك الربع بعد ترحل (٦٨)

وضم الشعر الموصل في القرن الثامن عشر جملة أخرى من الفنون الشعرية.. وازداد ولع الشعراء بفن الغزل والمجاملات الاجتماعية (٦٩) وقد برز في هذا المجال مراد بن علي العمري (ت ١٧١٦) وعمر بن ابي بكر العمري (ت ١٧٤٧) (٧٠).

ان من يراجع نتاج الشعراء في الموصل خلال هذه المرحلة يلاحظ بوضوح شيوع ظاهرة «التاريخ الشعري» واكتارهم منه ولولهم به.. ويعتمد هذا التاريخ على طريقة «حساب الجُمَل» التي تعتمد

ترتيب الحروف الابدائية. ومن الشعراء الذين برزوا في هذا الميدان حسن عبد الباقي العمري (ت ١٧٦٣) وعثمان العمري (١٧٧٠) وقاسم الرامي (ت ١٧٧٢) الذي ارخ لصدر كتاب «شمامة العنبر» بقوله:

يا منطقي نحو معاني الشنا

صف بحر علم فاض بالجواهر
اخني الخفاجي برميحانة

ارخ (له شمامة العنبر) (٧١)

٣٥ + ٧٨١ + ٣٥٣ = ١١٦٨ هـ

وشاع في الموصل شعر المناسبات الاجتماعية الذي يشكل عمود الاخوانيات الى جانب الالغاز والاحاجي التي امست مادة للتسلية اليومية، والرياضة العقلية ووسيلة من وسائل المراسلات بين الاصحاب من الادباء والشعراء (٧٢).

لقد نمت اثر ذلك كله حركة لفحص الاعمال الادبية الجديدة ومقارنتها بغيرها، واكتشاف صلتها بالتراث القديم.. فظهر عدد من النقاد البارعين امثال الشيخ محمد الغلامي (ت ١٧٧٢) والشيخ عثمان الجليلي (ت ١٨٢٩). وقد اثار النقاد جوانب من العثرات والهتات التي ظهرت في الاساليب الكتابية الموصلية سواء في مجالات النحو والصرف او اللغة.. كما ادرك النقاد أن العامية قد غزت بعض قصائد الشعراء وتسلفت اليها بألفاظها واستخداماتها وتراكيبها الدارجة في الحياة اليومية. كما دخلت بعض المفردات الاعجمية من اللغة التركية في ابيات من الشعر الموصل هنا وهناك، واقحم بعض الشعراء الفاظا ومفردات ليست بذات قيمة.. وظهر في لغة آخرين تقليد للأقدمين في لغتهم وتراكيبهم. ومع هذا فقد وصل كثير من شعراء الموصل الى درجة الملاءمة الفكرية بين الوحدة الموضوعية من جانب واللغة السليمة والجودة في الاداء من جانب اخر مما يدل دلالة واضحة على تميز الشاعر الموصل وقدرته على التواصل الفكري مع الموروث ومواكبة العصر والتعبير عن ما برز فيه

من ظواهر سياسية واجتماعية وثقافية^(٧٣).

لقد شجع اهتمام الحكام الجليليين بالثقافة العربية ورعايتهم للشعراء والادباء والمؤرخين الى ظهور حركة واسعة للكتابة والتأليف في الحقول المختلفة. وأدى ذلك الى نمو الحركة العلمية، ورفد المكتبة العربية بمؤلفات عدة في شتى الميادين، كان اهمها في العلوم القرآنية واللغوية والفقه والحديث والتاريخ والطب.

في الدراسات القرآنية برز محمد امين العمري (ت ١٧٨٨) على رأس قائمة المؤلفين في هذا الميدان حين كتب «تيجان البيان في مشكلات القرآن» و «حدائق الزهر والريحان في البيان عن بلاغات القرآن». كما ألف حسن باشا بن الحاج حسين باشا الجليلي سنة ١٧٨٣ معجم الفاظ القرآن وسماه باسم «توتيب حسن». واهمية هذا الكتاب تتجلى في امرين اثنين: اولهما انه في طليعة المؤلفين في فهارس القرآن الكريم، بالارقام العربية، فهو بهذا اسبق في المستشرق الالماني (فلوجل) في كتابه: «نجوم الفرقان في اطراف القرآن» الذي طبع لأول مرة سنة ١٨٤٢ واسبق من كتاب المعجم المفهرس لمحمد فؤاد عبد الباقي. وثانيهما انه في طليعة المؤلفين في احصاء آيات القرآن الكريم وكتلته وحروفه في العصر الحديث^(٧٤).

كما شهد علم الفقه، ظهور عدد من المؤلفين ابرزهم الشيخ عبد الله الرنتكي (ت ١٧٤٦) الذي ألف رسائل عديدة منها: «مختصر الزواجر» و «شرح المنهاج» «المنهاج في بيان احكام العشر والخراج» وهو رسالة في شؤون الاراضي الاميرية واحكامها. وله كذلك «هدى الحكم الى غير الحكم..» وألف مصطفى العزيز بن لطفي الموصلي (ت ١٧٧٤) مجموعة من الكتب الفقهية منها كتاب شرح فيه بعض مسائل الفقه الحنفي المتوفى سنة ١٦٧٧. وقد سماه «مسلك الابوار الى نكات الدر المختار» ويقع في مجلدين^(٧٥).

وآلف الموصليون في علم الحديث كتباً شتى

منها: «ازهار المؤمنين من كلام سيد المرسلين» و «الجوهر العمري في الصلاة والسلام على الحضرة المصطفوية». و «سعادة الدارين في الصلاة والسلام على سيد الكونين» وجميعها لمحمد بن احمد بن علي العمري الموصلي المفتي المتوفى سنة ١٧٨٤م وكتاب «الاستشفاء باحاديث المصطفى» ليوسف بن عبد الجليل الحنفي الموصلي المتوفى سنة ١٨٢٥^(٧٦).

وساعدت الطرق الصوفية التي عرفتها الموصل خلال هذه المرحلة على الاهتمام بتأليف كتب في العلوم الالهية والصوفية^(٧٧) فكتب الشيخ محمد بن احمد العمري كتاب «ازهار الاقدسية في العلوم الالهية» وكتاب «قوت العاشقين» وشرح علي القادري الجعفري (ت ١٧٨٧) قصائد عبد الغني النابلسي في التصوف في كتاب اسماء «كشف المخدرات في خبا المعشرات»^(٧٨).

وفي حقل التأليف اللغوية، شهدت الموصل خلال هذه المرحلة عدداً من الباحثين الذين ألفوا رسائل في اللغة منهم صالح السعدي (ت ١٨٢٩) الذي ترك منظومة في النحو واخرى في الصرف وألف امين العمري (ت ١٧٨٨) شرحاً على ألفية ابن مالك. وكتب الشيخ مصطفى الضرير كتاباً في النحو. ونظم الشيخ خليل بن علي البصير (ت ١٧٦٢) ارجوزة في احوال حروف الجر تزيد على الثلاثمائة بيت اسماءها «الدرر المنظومة والصرر الختومة»^(٧٩).

كما ظهر الاهتمام بعلوم المعاني والبيان. اذ نظم مصطفى الضرير ارجوزته «تنقيح تلخيص النكت» ونظم امين العمري رسالة في الاستعارة. وفي علوم القريض كتب العمري نفسه كتابه «الناهل الصافية في علمي العروض والقافية» وكتب ياسين العمري (ت ١٨١٦) «العذب الصافي في تسهيل القوافي»^(٨٠).

وحظيت الكتابة التاريخية باهتمام متميز في هذه المرحلة. وظهر عدد كبير نسبياً من المؤرخين

الموصلين، وتنوعت أساليب الكتابة التاريخية وتعددت طرائقها، ووجدت كتب التاريخ رواجاً لدى مثقفي ذلك العهد. واهتم الولاة الجليليون بتشجيع هذا اللون من التأليف، رغبةً منهم في تعزيز سلطتهم المحلية واضفاء الطابع الشرعي عليها وذلك بربط تاريخ الموصل بتاريخ العراق والامة العربية. وقد اتضح ذلك من خلال التركيز على تأريخ الموصل وابراز دورها والتعريف باديانها وشعرائها ومورخيه وفنانيه وحرفييه منذ تأسيسها^(٨١) ولم يقف الامر عند هذا الحد، بل شجع الولاة المؤرخين على كتابة التاريخ، ومن ذلك أن امين باشا الجليلي اقترح على الاديب محيي ابن عبدو الجليلي (ت ١٧٨٣) ان يجمع له تاريخاً حاوياً لذكر الدول السابقة والملوك اللاحقة، فكلف الاخير بدوره المؤرخ محمد امين الخطيب العمري (ت ١٧٨٨) بهذه المهمة، فأنتم تأليف كتاب اسماء «سراج الملوك ومنهاج السلوك»^(٨٢). ثم ألف كتاباً شهيراً بعنوان «منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحديباء»^(٨٣). وكتاب «مجموع شجرات الانبياء والملوك» وقد سجل فيه اسماء من حكم الموصل وبغداد وغيرها من الولاة العثمانيين مع تواريخ تعيينهم^(٨٤).

واهتم بعض المثقفين في الموصل بتدوين اخبار رحلاتهم. ولعل من ابرز هؤلاء القس (الكاردينال فيما بعد) الياس حنا الموصلبي الذي يعد اول شرقي يزور القارة الاميركية في العصر الحديث. وقد دون رحلته التي استمرت من ١٦٦٨ حتى ١٦٨٨ في كتاب نشره الاب انطوان رباط سنة ١٩٠٥ بعنوان «رحلة اول سائح شرقي الى اميركا». اما القس خضر الكلداني فقد ترك الموصل سنة ١٧٢٤ متوجهاً الى روما، ماراً بنصيبين وفاردين فالاسكندرونه. وفي روما عكف على تدوين رحلته^(٩٠).

ولم يقتصر اهتمام المثقفين الموصلين على التأليف في ميادين اللغة والادب والتاريخ، بل تعداه الى العلوم الطبية والطبيعية والفلكية والرياضية. وكان من اوائل الذين تخصصوا في علم الطب الحاج محمد العبدلي (ت ١٧٥٠) وقد عرف برحلاته وأسفاره الكثيرة واطلاعه الواسع على كتب الطب والتشريح. ومن تلاميذه نعمان بن عثمان الدفتري الموصلبي ومحمد امين بن اسماعيل حفيد ياسين المفتي وكان المؤرخ ياسين بن خير الله الخطيب العمري (ت ١٨١٧) من المهتمين بالطب ومن اثاره «الخريدة العربية في الطب». وترجم محمد الجليلي (ت ١٨٤٦) كتاباً قيمة من اللغة اللاتينية الى اللغة العربية منها «الطب الجديد الكيمائي» وبرز الطيب اسماعيل الموصلبي (ت ١٨٨٤) في العلوم النفسية والعقلية^(٩١).

كما اشتهر اخوه ياسين بن خير الله الخطيب العمري (ت بعد ١٨١٦) بتنوع الميادين التي تناولها في مؤلفاته التاريخية الكثيرة. اذ زادت مؤلفاته في التاريخ والتراجم عن (١٤) كتاباً.. ابرزها «الآثار الجلية في الحوادث الأرضية»^(٨٥) و«غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر» «غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام» «عنوان الاعيان في ملوك الزمان». و«قرة العينين في تراجم الحسن والحسين» و«منهج الثقاة في تاريخ القضاة». والدرر المكنون في المآثر الماضية من القرون»^(٨٧).

كما اثنى اثره ابنه علي بن ياسين الخطيب العمري، فألف «روضة الاخبار في ذكر افراد

زيادة البعض من الاعداد
 جمع على الغير من الافراد
 وان جمعنا من العدد
 على نظيره فتضعيفاً بعد
 ومهما يكن من امر، فان مساهمات الموصليين
 في مجال العلوم الرياضية، لم تقف عند حدود
 التأليف والشرح، وانما ظهرت عن طريق التعليم
 والتدريس حيث كان ثمة من يقوم بهذه المهمة..
 فكان لهم التركيب في نشر هذه العلوم^(٩٦).

الحياة الفكرية في اواخر العهد العثماني

١٨٣٤ - ١٩١٨ :

قرر السلطان محمود الثاني ١٨٠٨ - ١٨٣٩
 تطبيق النظام المركزي المباشر في الولايات العثمانية،
 والقضاء على الأسر المحلية، ومنها الاسرة الجليلية .
 ويعد محمد اينجة بيرقدار أول وال عمل على تطبيق
 سياسة السلطان محمود الثاني.. وقد بذل هذا
 الوالي جهودا كبيرة من اجل تحديث الموصل،
 وادخال الاصلاحات السياسية والاقتصادية
 والادارية اليها^(٩٧).. كما شهدت الموصل ابان
 حكم مدحت باشا لبغداد ١٨٦٩ - ١٨٧٢ دخول
 التعليم الحديث والطباعة الحديثة. وكان من نتائج
 سياسة مدحت باشا ظهور متغيرات اقتصادية
 واجتماعية.. وبدأت رؤوس الاموال الاجنبية تتدفق
 على الموصل.. واتسعت حركة الاستيراد
 والتصدير.. وارتبط اقتصاد الموصل بالاقتصاد
 العالمي.. وظهرت البنوك في الموصل لتسهيل عملية
 التعامل المصرفي. فكان في الموصل فرع للبنك
 الامبراطوري العثماني، وهو مؤلف من رؤوس اموال
 انكليزية وهناك البنك الشرقي ورأسماله مؤلف من
 اسهم انكليزية وادارته المركزية في لندن.. وقد
 اصبح لتجار الموصل فعاليات مهمة في مجال
 الاستيراد والتصدير.. وكان لهذه النشاطات التركيب
 في انتعاش الطبقة الوسطى التي بدأت تسعى
 للتعبير عن نفسها والبحث عن مواقع ثابتة في الحياة

وظهر في الموصل بعض المهتمين بعلوم الفلك
 والرياضيات. ويمكن ان نشير في هذا الصدد الى
 الشيخ سليم الواعظ الموصلي (ت ٧٤٧)، وكانت
 له، كما يقول الدكتور داود الجلبي « يد طولى في
 الحساب والزيج والاسطرلاب » وقد اخذ عنه بعض
 علومه اساتذة اجلاء منهم ابو البركات جمال الدين
 عبد الله بن حسين السويدي البغدادى (ت
 ١٧٦١). واستلفت الظواهر الطبيعية محمد العبدلي
 الطبيب، فكتب كتابا في الاسطرلاب اسماه
 « تذكرة اولى الالباب في استيفاء العمل
 الاسطرلاب ». كما كتب « رسالة في ماورد في الثلج
 والجمد والبرد »^(٩٨) ليفسر فيها بعبارة علمية واضحة
 اسباب سقوط المطر وكيفية حدوث التبخر وعوامل
 سقوط البرد والثلج وعلاقة ذلك بالضباب.

ونقل محمد الجلبي الموصلي كتاب «الروض
 العاطر في تلخيص زيح ابن الشاطر» وهو من كتب
 الازياج وضعه ابن الشاطر الدمشقي، الفلكي
 المتوفى في أواخر القرن الثالث عشر، من خط طول
 دمشق الى خط طول الموصل، وأعاد تنظيمه على
 السنين الشمسية بعد ان كان يحسب على السنين
 القمرية^(٩٩).

وألّف عبد الله الفخري (ت ١٧٨٤) مجموعة
 من الكتب في علم الفلك منها كتاب «تسريح
 الاحراك في شرح الافلاك» وكتاب «سوانح القرينة
 في شرح الصفيحة»^(١٠٠) «الاسطرلاب» للعالمي
 ورسائله في كيفية العمل بالصفحة فضلا عن
 حاشيته على شرح الجغميني في الهيئة. وفي علم
 الحساب ألف امين العمري (ت ١٧٨٨) رسالة
 اسمها « ذريعة الطلاب الى معرفة الحساب ». وكتب
 الاديب صالح السعدي الموصلي (ت ١٨٢٩)
 حاشيته على شرح الجغميني في الهيئة^(١٠١).

هذا وقد قام محمد امين العمري الخطيب بن
 محمد نجيب افندي بنسخ مخطوطة لوالده سنة
 ٨٧٢ بعنوان «رسالة في علم الحساب» تقع في ١٩
 ورقة يورد فيها مؤلفها القواعد الحسابية نظما وشرحها
 شرحا مسهبا نثرا. ومن ذلك قوله :

وكان لتأسيس المطابع اثر كبير في اغناء المكتبة التاريخية العربية في الموصل بعدد من المؤلفات وصيروتها في متناول ايدي القراء ، بعد ان كان الحصول عليها مخطوطة يعد امراً عسيراً. لذلك شهدت العقود الاخيرة من القرن التاسع عشر تطوراً مهماً في مجال العناية بالتاريخ فيها وكتابة ، وذلك بسبب ادخال مادة « التاريخ » لأول مرة في المناهج الدراسية للمدارس الحديثة^(٩٩) ومن ابرز مظاهر الاهتمام بالتاريخ العناية بتحقيق المخطوطات ونشرها. ولعل من ابرز الذين اقدموا على ذلك اقليمس يوسف داؤد الموصل (ت ١٨٩٠) الذي حقق كتاب « فاكهة الخلفاء ومفاكهة الظرفاء » لاحمد بن محمد بن عريشاه ونشرها بطبعتين في الموصل ١٨٦٩ و ١٨٧٦^(١٠٠).

وشهد التاريخ للمدن اهتماماً خاصاً من لدن بعض المؤرخين. اذ وضع احمد بك العباسي تأريخاً للامارة العباسية في المعادية. كما ظهر الاهتمام بكتب الرحلات ، اذ كتب قاضي الموصل حسن حسني الاعرجي الموصل (ت ١٨٩٩) رحلته الى ديار بكر حدود سنة ١٨٦٧. وتطرق خورشيد باشا الموصل (ت ١٨٧٩) من خلال رحلته « سياحته حدود » الى بعض اوضاع السكان الاقتصادية وطبائعهم الاجتماعية لاماكن تجمعهم وما شاكل ذلك^(١٠١).

كما شهدت الموصل تطوراً ملموساً في مجال التعليم الاهلي والاجنبي. وكان لهذه المدارس دور مهم في نشر الثقافة واللغات الاجنبية وبخاصة اللغة الفرنسية. لذلك عدت ، بالرغم من ارتباطاتها السياسية الاوربية ، حلقة لا بأس بها من حلقات الوصل لبعض قيم الحضارة الغربية الحديثة ومنجزاتها^(١٠٢).

واذا كان للتعليم والطباعة والصحافة الاولوية في السلم الثقافي وتبصير الناس بعقولهم ، فان القصة والرواية هي المرايا التي تعكس حياة الانسان وواقعه.

وكان المثقفون هم القطاع الحيوي داخل هذه الطبقة .. ومعظمهم من ابناء الاسر الكبيرة والبيوتات التجارية .. وقد رافق ظهور تلك التطورات في البنيان التحتي للمجتمع انعكاسات طبيعية في البناء الفوقي .. وتحدد الظروف الموضوعية الجديدة التي حتمت التغيير في تفكير المجتمع .. واخذ الناس يفكرون بأسلوب جديد .. وبدأوا ينتقلون الى احياء عصرية .. وبحرصون على الاحتكاك بالفكر الاوربي ومكتسبات الحضارة الغربية^(٩٩). وقد ظهر ذلك واضحاً في الأدب الذي حاول الخروج عن الصيغ التقليدية والبحث عن صيغ جديدة للتعبير .. ويظهر هذا في اعمال ومؤلفات عدد من الكتاب الموصليين الذين سعوا الى استخدام المسرح للتعبير عن احساسهم بالتذمر من فقدان الحرية والشعور بالتمايز الاجتماعي. ويمكن ان نجد مصداقاً لذلك في اعمال كل من (حنا حبش) المتوفى سنة ١٨٨٢ ونعوم فتح الله سحار (ت ١٩٠٠) وحنا رسام (١٨٩٠ - ١٩٥٨). فحنا حبش قدم لنا عملاً ادبياً تمثل في تمثيلية (يوسف الحسن) في ١٨٨٠ وتدور حول الصراع بين الاغنياء والفقراء. اما سحار فقدم مسرحية « لطيف وخوشابا » قبل سنة ١٨٩٠ وموضوعها يدور حول علاقة الانسان بالارض. وسار حنا رسام على منواله حين قدم سنة ١٩١١ مسرحية (لوجه الله الكريم) التي عاجلت التمييز الاجتماعي وكشفت عن تدمير الفئات المستغلة التي تمردت بحيث خرجت عن القوانين المرعية ، مما دفعها الى امتحان اللصوصية لتقضي مضاجع السلطة فتمنحها حقوقها المسلوقة^(١٠٠).

كما شهدت الموصل في اواخر العهد العثماني حركة طباعية وصحفية .. ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأسست في الموصل اول مطبعة هي مطبعة الدومينكان سنة ١٨٥٨ .. وصدرت اول جريدة رسمية باسم « موصل » في ٢٥ حزيران ١٨٨٥^(١٠١).

(١٨٨٦-١٩٧٩) وخير الدين العمري
(١٨٩٠-١٩٥١) والشيخ محمد حبيب البيدي
(١٨٧٩-١٩٦٣).



خير الدين العمري ١٨٩٠-١٩٥١

اما الاتجاه الاجتماعي - التقدمي الذي يدعو الى الاهتمام بالقضية الاجتماعية والعناية بالمرأة والتأكيد على المساواة واقامة الحكم الديمقراطي، فقد وجد واضحا في كتابات محمد سعيد الجليلي (١٨٩٦-١٩٦٣).

اما الاتجاه القومي فقد قوي وتطور بعد الانقلاب الدستوري العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨. اذ تأثر الوعي القومي في هذه الفترة بالذات. وشهدت السنوات من ١٩٠٨-١٩١٨ تنامي الحركة العربية القومية. ولم تشذ الموصل عن شقيقتها المدن العربية، فقد كانت على اتصال وثيق بالحركة الفكرية في سوريا ومصر. وكان تأثير المطبوعات السورية بدرجة اكبر من غيرها، ولعل ذلك يرجع الى سهولة الاتصال بسوريا عبر البادية الشمالية. وانتهجت صحف الموصل مثل «نينوى» و«النجاح» ذات النهج القومي في الصحف العربية آنذاك وخاصة من حيث الاهتمام باللغة العربية والدعوة الى احياء كيان العرب السياسي وبعثه.

كانت حركة الوعي القومي في سوريا اقدم عهدا، واغوى تنظيمًا، واكثر انصارًا بالقياس الى الاقطار الاخرى^(١٠٩). ولقد سبقت، كما هو معروف، حركة الوعي هذه نهضة فكرية. ولما كان لكل حركة ان تضمن لنفسها واقعا تعمل من خلاله فقد اثمرت تلك النهضة وبدا صداها يترك

ولقد اسهمت القصة في الموصل في حركة النهضة الحديثة وبخاصة حينما لجأ القصاصون الى التاريخ القديم والتاريخ العربي ليستلهموا منه احداث قصصهم حيث وجدوا الروح القومية، كما في رواية «صفحة في زوايا النسيان» لتاج الدين العمري و«يزدان دوخت» لسليمان صايغ^(١٠٦). اما الرواية فانها كانت متأخرة في العراق عنها في الاقطار الاخرى كسوريا ولبنان. فالبداية كانت على يد سليمان فيضي الحامي في «الرواية الايقاظية» سنة ١٩١٩.

اما حركة الترجمة فقد ظهرت في الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. واول من قام بعملية الترجمة من اللغات الاخرى اولئك الذين درسوا في المدارس التبشيرية امثال نعم فتح الله سحار الذي ترجم مسرحية الامير الاسير سنة ١٨٩٥^(١٠٧).

ولقيت الاتجاهات الفكرية التي ظهرت في الوطن العربي في اواخر القرن التاسع عشر صدى واسعا في الموصل^(١٠٨). ولعل من ابرز هذه الاتجاهات: الاتجاه الديني - الاسلامي، والاتجاه الاجتماعي - التقدمي، والاتجاه القومي. ويظهر صدى الاتجاه الديني - الاسلامي واضحا في



سليمان فيضي ١٨٨٥-١٩٥١

افكار ونشاطات كل من الشيخ عبد الله جرجيس النعمة (١٨٧٤-١٩٥٠) والشيخ عثمان الديوبه جي (١٨٦٨-١٩٤١) والشيخ صديق محمد خليل الملاح (١٨٨٦-١٩٤٦) والشيخ عبد الله الحسو (١٨٩٠-١٩٦٠) ومحمد رشيد الخطيب

الهوامش

اثره على الاوضاع السياسية^(١١٠).

واذا كانت حركة الوعي القومي قد اتخذت في سوريا شكلاً منظماً جلب انتباه المؤرخين فليس معنى هذا انه لم يكن هناك في الولايات الاخرى عوامل تعمل عملها في ظل ظروف اقتصادية واجتماعية وفكرية تفاعلت مع بعضها وادت الى ظهور الوعي القومي. وقد كان نصيب الموصل من هذا كله ان برزت فئة من مثقفيها اعتنقت الافكار القومية وعملت على إثارة الوعي القومي بدرجة لا تقل أهمية عما جرى في الولايات العثمانية العربية الاخرى، والوعي القومي في الموصل لم يكن الا جزءاً من الوعي القومي العربي العام. كما اتبع نفس اساليب التوعية في الاقطار العربية واتجه باتجاهاتها، ومن هذه الاساليب الصحافة^(١١١) وانشاء التنظيمات الحزبية، ومن ابرز هذه التنظيمات جمعية العلم السرية وفرع جمعية العهد العسكرية في الموصل. كما تمثل الاتجاه العربي في افكار ومواقف نخبة من الموصليين امثال ثابت عبد النور (١٨٩٠ - ١٩٥٨) وعبد المجيد شوقي البكري (١٨٩٧ - ١٩٦٨) ومحمد رؤوف الغلامي (١٨٨٩ - ١٩٦٨) ومحمد سعيد الجليلي (١٨٩٦ - ١٩٦٣) وسليمان فيضي (١٨٨٥ - ١٩٥١) وداود الجليلي (١٨٧٩ - ١٩٦٠) وداود الملاح آل زيادة (١٨٦٣ - ١٩١٦)^(١١٢).

ومهما يكن من امر فان الفكر القومي العربي في هذه الفترة كان لا يزال في الطور الجنيني، ولم يكن المحرك الاساس الا في التنظيمات السرية التي أشرنا الى بعضها. وقد وجد قادة تلك التنظيمات انفسهم بحاجة الى حيازة المراتب الاجتماعية المتنفذة، مما اضعف من حركتهم. وبعد نشوب الحرب العالمية الاولى وعلان الثورة العربية دخلت الحركة العربية القومية مرحلة جديدة إذ واجهت مهام ذات طابع جديد تميز الصراع ضد السيطرة البريطانية المباشرة^(١١٣).

- (١). لتفاصيل انظر: عماد عبد السلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي ١٧٢٦ - ١٨٣٤، (التجف، ١٩٧٥).
- (٢). هاملتون كب وهارولد باون، المجتمع الاسلامي والغرب، ترجمة احمد عبد الرحمن مصطفى، ج ٢ (القاهرة ١٩٧٠)، ص ٦٠، ٧٤، ٨٠.
- (٣). لتفاصيل ذلك انظر: ياسين بن خير الله العمري، غرائب الاثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر، عني بطبعه ونشره محمد صديق الجليلي، (الموصل، ١٩٤٠)، ص ص ١٣، ١٤، ١٥، ١٩، ٢٦، ٢٨، ٣٩، ٤٠، ٤٨.
- (٤). انظر: عماد عبد السلام رؤوف، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني (بغداد، ١٩٨٣)، ص ص ٢٠، ٢١.
- (٥). انظر كتابه: تاريخ الموصل، ج ٢، (القاهرة، ١٩٢٨) ص ١٢٩.
- (٦). انظر كتابه: تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٢، (بغداد، ١٩٥٤)، ص ٢٤١.
- (٧). احمد نصيف الجنابي، العلوم الدينية في نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج ١١، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٣٥.
- (٨). داود الجليلي، مخطوطات الموصل، (بغداد، ١٩٢٧)، ص ١٣ وكذلك انظر: صايغ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٤، رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص ٤١٥، سعيد الديوه جي، مدارس الموصل في العهد العثماني، مجلة سومر، ج ١٨، ١٩٦٢، ص ٧٨، نيقولا سيوتي، مجموع الكتابات المخررة على ابنة مدينة الموصل، عني بتحقيقها ونشرها والتذييل عليها سعيد الديوه جي، (بغداد، ١٩٥٦)، ص ص ٣٥ - ٤٦.
- (٩). انظر: رؤوف، التاريخ والمؤرخون العراقيون في العصر العثماني، ص ٢١.
- (١٠). صايغ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٠.
- (١١). رؤوف، التاريخ والمؤرخون، ص ٢٠.
- (١٢). انظر: الجنابي، المصدر السابق، ص ١٤ وكذلك علي احمد الزبيدي، علوم اللغة العربية، في نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج ١١، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ١٣.
- (١٣). صايغ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٥، الجليلي، المصدر السابق، ص ١٤.
- (١٤). صايغ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤٥.
- (١٥). محمد بن مصطفى الغلامي، شامة العنبر والزهر العنبر، تحقيق سليم التميمي، بغداد، ١٩٧٧، ص ٥٢.
- (١٦). انظر: الغلامي، شامة العنبر، ص ١٠.
- (١٧). المصدر نفسه، ص ص ٢٧٢ - ٢٧٩.
- (١٨). المصدر نفسه، ص ٢٧٣.

- (١٩). صايغ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٤١.
- (٢٠). انظر: الغلامي، شامة العنبر، ص ٢٧٣.
- (٢١). المصدر نفسه، ص ٢٧٢.
- (٢٢). صايغ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٩ - ١٤٠.
- (٢٣). رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص ٣٦٥.
- (٢٤). انظر: يوسف عز الدين، الشعر العراقي، اهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر (القاهرة، ١٩٦٥)، ص ١٤٦.
- (٢٥). المصدر نفسه، ص ١٤٧.
- (٢٦). انظر نص القصيدة في: عبد الباقي العمري، الترياق الفاروقي، ديوان العمري، (القاهرة، ١٣١٦هـ)، ص ٢٨٨.
- (٢٧). انظر: ابراهيم خليل احمد والحركة العربية في الموصل قبيل الحرب العالمية الاولى، مجلة الخليج العربي، العدد (٧)، ١٩٧٥، ص ٨٠.
- (٢٨). الغلامي، شامة العنبر، ص ١٤٩ - ١٥٠.
- (٢٩). رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص ٣٦٧.
- (٣٠). انظر: الغلامي، شامة العنبر، ص ١١٨ - ١٢٣ وكذلك صايغ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٨.
- (٣١). انظر: ابراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦ - ١٩١٦، (الموصل، ١٩٨٢)، ص ٩٥.
- (٣٢). المصدر نفسه، ص ٩٥.
- (٣٣). انظر، رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص ٤٧.
- (٣٤). للتفاصيل انظر: شريف بشير احمد امين، الشعر في الموصل في القرن الثاني عشر للهجرة (الثاني عشر الميلادي)، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب - جامعة الموصل ١٩٨٩، ص ١٥.
- (٣٥). على سبيل المثال، كان ملا احمد افندي بن بكر الموصل كاتب العربية في ديوان بعض الولاة الجليلين، ومنهم سليمان باشا الجليلي، اديبا شاعرا مجيدا له معرفة بالطلب (ت ١٧٩٢) انظر: الجليلي، المصدر السابق، ص ٢٢ وكذلك ذنون يونس حسين الطائي، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل في اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب - جامعة الموصل ١٩٩٠، ص ٢٨.
- (٣٦). الطائي، المصدر السابق، ص ٢٨ - ٢٩.
- (٣٧). امين، المصدر السابق، ص ٢٠٢.
- (٣٨). انظر: سعيد الديوبه جي وارجوة خليل البصريه، مجلة الجمع العلمي العراقي، المجلد (١٣)، بغداد ١٩٦٥، ص ٢٤٧.
- (٣٩). انظر: عصام الدين عثمان بن علي العمري، الروض النظر في ترجمة ادباء العصر، تحقيق سلم التميمي، ج ١، (بغداد، ١٩٧٤)، ص ٣٠٢.
- (٤٠). سعيد الديوبه جي، ملحمة الموصل، (بغداد، ١٩٦٥).
- (٤١). انظر نص القصيدة في: حسن عبد الباقي الموصل، ديوان حسن عبد الباقي الموصل، تحقيق محمد صديق الجليلي، (الموصل، ١٩٦٦)، ص ٤١ - ٤٢.
- (٤٢). انظر: عثمان الحياثي الجليلي، الحجة على من زاد على ابن
- حجة، نشره محمد صديق الجليلي، (الموصل، ١٩٣٧)، ص ٤٩.
- (٤٣). انظر: امين، المصدر السابق، ص ٣٩ - ٤٣.
- (٤٤). انظر ترجمة الغلامي، شامة العنبر، ص ١٩٣ - ١٩٩.
- (٤٥). امين، المصدر السابق، ص ٤٣ - ٤٤.
- (٤٦). من ديوانه المخطوط المحفوظ في الجمع العلمي العراقي برقم ٩٤ شعروذولين.
- انظر: امين، المصدر السابق، ص ٤٤.
- (٤٧). انظر ترجمته في: عصام الدين عثمان بن علي العمري، الروض النضر، ج ٢، ص ٤٢٩ (بغداد، ١٩٧٥)، ص ٤٢٦.
- (٤٨). المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤٢٩.
- (٤٩). انظر ترجمته: العمري، الروض النضر، ج ٢، ص ٣٧١.
- (٥٠). امين، المصدر السابق، ص ٤٢.
- (٥١). العمري، الروض النضر، ج ٢، ص ٣٧٤.
- (٥٢). انظر ترجمته في العمري، الروض النضر، ج ٢، ص ٢٤٦.
- (٥٣). امين، المصدر السابق، ص ٤٦ - ٤٧.
- (٥٤). انظر ترجمته في: العمري، الروض النضر، ج ١، ص ٤٩٦.
- (٥٥). امين، المصدر السابق، ص ٤٧.
- (٥٦). المصدر نفسه، ص ٤٧.
- (٥٧). انظر: الغلامي، شامة العنبر، ص ١١٣ - ١١٧.
- (٥٨). العمري، الروض النضر، ج ١، ص ٤٠٦.
- (٥٩). انظر: امين، المصدر السابق، ص ٦٨ - ٦٩.
- (٦٠). انظر ترجمته في العمري، الروض النضر، ج ١، ص ٥٧٥.
- (٦١). امين، المصدر السابق، ص ٧١.
- (٦٢). العمري، الروض النضر، ج ١، ص ٥٧٥.
- (٦٣). انظر ترجمته في العمري، الروض النضر، ج ٢، ص ٤٩.
- (٦٤). امين، المصدر السابق، ص ٧٣ - ٧٤.
- (٦٥). العمري، الروض النضر، ج ٢، ص ٥٤.
- (٦٦). للتفاصيل انظر: المصدر نفسه، ص ١٠٧ - ١٠٨.
- (٦٧). انظر ترجمته في الغلامي، شامة العنبر، ص ١٥١ - ١٥٩.
- (٦٨). المصدر نفسه، ص ١٥٤.
- (٦٩). امين، المصدر السابق، ص ١١٩.
- (٧٠). للاطلاع على ترجمتها، انظر: صايغ، المصدر السابق، ص ١٤٩ - ١٥٦، ١٥٠ - ١٥٧.
- (٧١). انظر: امين، المصدر السابق، ص ١٤٩ - ١٥١.
- (٧٢). المصدر نفسه، ص ١٤٢ - ١٤٩.
- (٧٣). انظر: المصدر نفسه، ص ١٦٧ - ١٨٦.
- (٧٤). الجنابي، المصدر السابق، ج ١١، ص ٥٠ - ٥٣، رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص ٣٧٦ - ٣٨٠.
- (٧٥). رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص ٣٨١ - ٣٨٢.
- (٧٦). انظر: قحطان عبد الرحمن البوري، علوم الحديث النبوي الشريف، في نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج ١١ (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٧٤.
- (٧٧). ابراهيم خليل احمد، الحياة الاجتماعية في ولاية الموصل، في: عبد الجليل التميمي (جمع وتقديم)، الحياة الاجتماعية في

- الولايات العربية أثناء العهد العثماني، الجزء الأول والثاني، زغوان، تونس ١٩٨٨ ص ٥٢٨.
- (٧٨). رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص ٣٨٤.
- (٧٩). المصدر نفسه، ص ص ٣٨٤ - ٣٨٥.
- (٨٠). المصدر نفسه، ص ص ٣٨٥ - ٣٨٦.
- (٨١). رؤوف، التاريخ والمؤرخون، ص ٣٢.
- (٨٢). الصايغ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣١ وكذلك، رؤوف، التاريخ والمؤرخون، ص ٣٣.
- (٨٣). حققه سعيد الديوبه جي ونشر في الموصل سنة ١٩٦٧.
- (٨٤). رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص ٣٨٩.
- (٨٥). اختار داود الجليبي زبده وحققه عاد عبد السلام رؤوف ونشر في الجيف الاشرف سنة ١٩٧٤ بعنوان «زبده الآثار الجلية في الحوادث الأرضية».
- (٨٦). حققه ونشره محمد صديق الجليبي ونشره في الموصل سنة ١٩٤٠.
- (٨٧). حققه وترجمه الى الانكليزية مع دراسة نقدية، سياركوكب علي الجليل ضمن رسالته التي حصل فيها على الدكتوراه من جامعة سانت اندروز باسكتلند سنة ١٩٨٣. انظر: Sayar k. AL - Jamil., A critical Edition of al - Durri al Maknun fi al - Maathir al Madiyamin al - Qurun of Yasinal - Umari (920 - 1226 A.H = 1514 - 1515 A.D. 1811 - 1812 A.D - ph. D. Thesis 3 vols. St. Andrews University, scotland 1983.
- (٨٨). حققه ونشره ببغداد سنة ١٩٧٧ سليم التميمي.
- (٨٩). حققه ونشره سليم التميمي بثلاثة اجزاء صدرت ببغداد سنتي ١٩٧٤ - ١٩٧٥.
- (٩٠). للتفاصيل انظر: اغناطيوس كراشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ج ٢، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم، (القاهرة، ١٩٦٣)، ص ص ٧٦٢ - ٧٦٣. وكذلك رؤوف، الموصل في العهد العثماني، ص ص ٤٢٦ - ٤٢٧، وقام الدكتور سامي سعيد الاحمد بترجمة رحلة الكاردينال الياس حنا الموصل الى الانكليزية ونشرها اتحاد المؤرخين العرب ببغداد سنة ١٩٨٢ بعنوان: Travels of the Iraqi cardinal Al - yas Hanna to the Americas (1668 - 1688).
- (٩١). للتفاصيل انظر: ابراهيم خليل احمد والعلوم الطبية والرياضية والطبيعية ١٢٥٨ - ١٩١٤، في نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج ١، (بغداد ١٩٨٥)، ص ص ٢٠٠، ٢٠٤. وكذلك ابراهيم خليل احمد ومحمد العبدلي الطيبي، جريدة الهدباء ١٩ حزيران ١٩٨٤، ابراهيم خليل احمد والطبيب محمد الجليبي الموصل، جريدة الهدباء ١٧ تموز ١٩٨٤.
- (٩٢). حققها هشام احمد الطالب ونشرها ببغداد سنة ١٩٨٤.
- (٩٣). ابراهيم خليل احمد، العلوم الطبية والرياضية والطبيعية، ج ١١، ص ٢١١.
- (٩٤). حققها ونشرها صباح محمود محمد ببغداد سنة ١٩٨٣.
- (٩٥). انظر: ابراهيم خليل احمد، العلوم الطبية والرياضية والطبيعية،

- ج ١١، ص ٢١٣.
- (٩٦). المصدر نفسه، ج ١١، ص ٢١٣.
- (٩٧). للتفاصيل عن فترة حكم محمد ايتجه بيرقدار (ت ١٨٤٣ ودفن في الموصل). انظر: احمد علي الصوفي، تاريخ الهاكم والنظم الادارية في الموصل، (الموصل، ١٩٤٩)، ص ص ١٤ - ١٧.
- (٩٨). للتفاصيل انظر: ابراهيم خليل احمد «اوضاع ولاية الموصل الاقتصادية خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر والعقد الاول من القرن العشرين»، مجلة اداب الرافدين، الموصل، العدد (٧)، ١٩٧٥.
- (٩٩). انظر: ابراهيم خليل احمد والحركة العربية في الموصل قبل الحرب العالمية الاولى. وكذلك: كمال مظهر احمد «حول نشوء حركة التحرر الوطني العربي في دراسة سوفيتية جديدة»، مجلة افاق عربية، العدد (٢)، تشرين الاول ١٩٧٥، ص ص ١٤٠ - ١٤٠.
- (١٠٠). للتفاصيل انظر: نوري احمد عبد القادر، الموصل والحركة القومية العربية ١٩٢٠ - ١٩٤١، رسالة ماجستير لكلية الاداب - جامعة الموصل، ١٩٨٨ غير منشورة، ص ص ١٨، ١٩، ٥٣.
- (١٠١). انظر: ابراهيم خليل، نشأة الصحافة العربية في الموصل، (الموصل، ١٩٨٥)، ص ص ٦، ٢٠.
- (١٠٢). رؤوف، التاريخ والمؤرخون، ص ٥٢.
- (١٠٣). انظر: بهنام فضيل عفاص، اقليميس يوسف دادو، رائد من رواد الفكر في العراق ١٨٢٩ - ١٨٨٩، (بغداد، ١٩٨٥) وكذلك رؤوف، التاريخ والمؤرخون، ص ٥٥.
- (١٠٤). رؤوف، التاريخ والمؤرخون، ص ٦٢.
- (١٠٥). للتفاصيل انظر: ابراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في الموصل ١٨٦٩ - ١٩٣٢، (البصرة، ١٩٨٢)، ص ٤٤.
- (١٠٦). انظر: عمر الطالب، الفن القصصي في الادب العراقي الحديث، (النجف، ١٩٧١).
- (١٠٧). انظر: عمر الطالب والترجمة وديابات المسرحية في العراق، مجلة افاق عربية، العدد (١)، ايلول ١٩٨٢.
- (١٠٨). حول تفاصيل ذلك انظر: عبد القادر، المصدر السابق، ص ص ٢٣ - ٥٣.
- (١٠٩). انظر: عبد الله القياض، الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠، (بغداد، ١٩٦٣)، ص ٤١.
- (١١٠). ابراهيم خليل احمد، الحركة العربية في الموصل، ص ٨١.
- (١١١). انظر: ابراهيم خليل احمد، اثر الصحافة في تنامي الوعي القومي العربي في الموصل، مجلة بين النهرين، الموصل، السنة (٣)، العدد (١٢)، ص ص ٢٨٥ - ٢٩٠.
- (١١٢). انظر: ابراهيم خليل احمد، ولاية الموصل: دراسة في تطوراتها السياسية، ١٩٠٨ - ١٩٢٢، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الاداب - جامعة بغداد ١٩٧٥، ص ص ١١٧، ١٥٢، ١٥٧.
- (١١٣). انظر: غسان عطية والتظيم الحزبي في العراق قبل الحرب العالمية الاولى، مجلة دراسات عربية، بيروت، السنة (٢)، العدد (١٢)، تشرين الاول ١٩٧٢، ص ٤٥.

طبيعة الحياة الثقافية والعلمية في الموصل

د. سيار كوكب علي الجميل

ملاحظات منهجية :

لن أكون سردياً في مبحثي هذا بقدر اتباعي محاولة معرفية (ايبستمولوجية) تكشف عن معطيات إثنية قوية في طبيعة ثقافة الموصل خلال العهد العثماني.. وصولاً لاستلهم بعض الرؤى والنتائج المهمة. وسوف اتخذ من هذا الموضوع الجيوي مجال نقاش وتحليل بصورة مختزلة، متوقفاً عند بعض المحاور الاساسية.. نتساءل ونجيب من خلال المصادر الاصلية عن طبيعة الحياة الثقافية في الموصل، كي نستنتج مؤثراتها التاريخية كرواسب حية كان لها فعلها القوي في الثقافة العربية الحديثة. لا بد لي ان أشير الى بعض المصادر المهمة التي كانت وستبقى علامات بارزة في حياة الموصل خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وأشهرها: كتاب الدر المنكون في الآثار الماضية من القرون، للمؤرخ الشهير ياسين افندي الخطيب العمري^(١)، وكتاب منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحديده، للعالم الفقيه محمد امين الخطيب العمري^(٢)، وكتاب الروض النضر في تراجم ادباء العصر لعصام الدين عثمان افندي الدفتردار العمري^(٣)، وكتاب شماعة العنبر والزهر المعنبر لمحمد بن مصطفى الغلامي^(٤)، وغيرها من الكتب والدواوين والمجموعات، كأدبيات اصيلة تمثل حياة الثقافة الموصلية خلال العهد العثماني. كما وانها اضافة الى الكتاب الرصين الموسوم مخطوطات الموصل الذي ألفه الدكتور داود الجليبي في بداية القرن العشرين^(٥)، انما تشكل، علامات فارقة في تحديد رؤية معرفية عن طبيعة تلك الثقافة والعلوم ومجالاتها المتنوعة.

إن اية ثقافة، لا يمكن فصلها او تجريدتها عن

الواقع الذي كانت تعيشه، اوتتنامي في خضمه: سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، لذا ساحتد بعض المؤشرات المنهجية المستخلصة في هذا المجال :

١- ان دراسة اية حياة ثقافية في التاريخ هي دراسة خطاب ما عبر عنه واقع ذلك التاريخ، وفحص سماته ونسبجه بمجالة من الافصاح والنقد والمقاربة المعرفية. هكذا سنعلم أن الثقافة التي مستحدثت عنها انما تمثل خطاباً عربياً يكاد الاقن العثماني ان يغيب في تشكيله وتكوينه مقارنة بالاقالم الاخرى. وقد قادنا الكشف والفحص الى الاعلان عن «الخصوصية الثقافية» التي تمتعت بها الموصل في ظل الهيمنة العثمانية. وعليه فان النتائج التي يطمح لتحقيقها الباحث والقارئ معا ستكون دون شك، غنية بالرؤى والتطلعات والمفاهيم الجديدة التي لم تزل ثوابتها في طي المخطوطات او التحفظ والكنان والسؤال هو لماذا؟ وكيف؟

٢- في الحقيقة أننا مازلنا حتى يومنا هذا، لا نميز مصطلحياً في النظرة والممارسة بين ما هو «ظلامي» وما هو «سكوني» في تاريخنا... ناهيك عن قياس التصور الاقليمي او القطري المعاصر المفروض والمهيمن كثيرا عند بعض الاجيال العربية المثقفة الحالية، عنه لما كان عليه الحال قبل مائة سنة من اليوم. ان المصادر التاريخية الاصلية تكشف لنا بكل صراحة عن جغرافية تراثية عربية متكاملة، وتنوع «ثقافي» موحد في اطار الممكن التاريخي العربي لا الواقع العثماني المهيمن

سياً وإدارياً. وعلى هذا الأساس فإن دراسة الحياة الثقافية العربية خلال التاريخ الحديث يجب إعادة تخطيطها، واستكشاف عواملها، ونقد معطياتها من خلال «سيوسبولوجيا المعرفة» و«الديموغرافيا التاريخية» وعلى أسس بنوية من المفاهيم التي تتقبل مسار التكامل التاريخي الذي عاشت عليه الثقافة العربية قروناً طويلة حتى في ظل الهيمنة الأجنبية. وهكذا، سنجد حواضر عربية تمثل اقطاباً تجارية (كوسموبوليتيكية) كبيروت والبصرة، أو تجارية (أسرية) تحكم مسالك الشرق بالغرب كالموصل وحلب وديار بكر... أو ذوات مراكز تاريخية فاعلة كبغداد ودمشق والقاهرة... الخ وفيما عدا الحواضر، فهناك الأرياف والدساكر والسهوب والتخوم من الصحارى والجبال كأراض محايدة كان لها مطلق المرونة أمام الامتداد التجاري عبر المسالك، والتسرب الثقافي وهجرة العلماء، وانتقال الاختبار والافكار والأشعار^(٦).

٣- يتميز التاريخ الثقافي بمفرداته وحيويته. وتكاد تخلو فيه الدراسات والجهود العلمية الرصينة حتى يومنا هذا، عدا بعض الدراسات الأجنبية^(٧). وإذا كانت ثمة «دراسات» أكاديمية قد خطت خطوات مهمة في مجال الاستراتيجية السياسية والحربية للموصل «العثانية»^(٨)، فإن النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بحاجة للمزيد من الاعمال المعرفية. ومن الجدير بالذكر أن المدرسة التاريخية الفرنسية لم تول عناية كبيرة بتاريخ العراق الحديث^(٩)، في حين اهتمت كثيراً ببلاد الشام وبلدان المغرب العربي^(١٠). وكان المؤرخ الانكليزي لونغريك من اوائل الذين اهتموا بتاريخ العراق الحديث^(١١).

أما في العراق نفسه فقد ظهر كثير من الاعمال التي اهتمت بسرد الحدث التاريخي بصدد الفترة المعنية، وبرزها كتاب تاريخ العراق بين احتلالين^(١٢) أي الاحتلال العثماني والاحتلال البريطاني. وظهر كتاب تاريخ الموصل باجزائه الثلاثة منذ زمن بعيد^(١٣)، فضلاً عن بعض التحقيقات والكتابات.

٤- إن المؤثر الآخر الذي يجب التذكير به منهجياً هو ذلك «العرف» أو «التقليد» الذي افترضه منذ زمن بعيد بعض الكتاب العرب، وسرى عند المثقفين والدارسين بعد أن تربت الاجيال المعاصرة عليه في المدارس والجامعات، انه «التقليد» الذي جرى مجرى العرف المؤكد بذهنية مركبة في مختلف الكتب والمناهج التربوية- العربية، والقائل بأن النهضة الادبية- العربية الحديثة قد ظهرت لأول مرة مع بروز الشاعر المصري محمود سامي البارودي والشعراء والادباء اللامعين الذين رافقوه والذين أتوا من بعده في مصر او من خلال الهجرة اليها. أولئك الذين افترضهم جميع الكتاب والدارسين انهم من المجددين الأوائل في اسلوب الشعر العربي، والديباجة الادبية. لقد نشروا ذلك «الانبثاق» على عموم الساحة العربية، دون حصرهم لها بحياة مصر الادبية في القرن التاسع عشر، ودون ان يكشفوا ويطلعوا كفاية على انماط ادبية رصينة سابقة لاوان القرن المذكور، في اقاليم عربية اخرى من غير مصر. وبطبيعة الحال هناك اسباب عدة كفلت لمصر بروز البارودي مجدداً رصيناً في الشعر العربي مثلاً، منها الطباعة والنشر، فضلاً عن ان التراثات الادبية لاقاليم اخرى لم تكشف الا مؤخراً، ومن هذه الادبيات التراثية تلك التي كتبت في الموصل خلال

القرن الثامن عشر. وعليه فلا بد من الدعوة هنا معرّفياً ومنهجياً الى تغيير عدد من المفاهيم المتواترة خطأً، والعمل على دراسة المعطيات الالدية العربية التي سبقت عصر البارودي بمصر، تحقيقاً ونقداً ومقارنةً، من اجل ان نثبت علمياً الجذور الحقيقية للنهضة العربية، وإعادة الاعتبار لتنتاجات وتواريخ وشخصيات وأمكنة مغبونة اشد انواع الغبن وادانها بعض الجوانب العربية من المعطيات :

مؤشرات في تكوين ثقافة الموصل الحديثة :

كانت الموصل مدينة وحاضرة عربية أول من وقع في اطار الهيمنة العثمانية عام ١٥١٦ م^(١٤)، ومن المصادفات التاريخية انها كانت آخر مدينة عربية يجلو عنها الاتراك بعد هزيمتهم أمام الجيوش البريطانية التي احتلت الموصل عام ١٩١٨ م، مما يعطينا انطباعاً عن المجال التاريخي - العثماني الذي كان اطول من بقية الحواضر والاقاليم العربية الاخرى على الرغم من انقطاعه لمدة ثلاث سنوات للفترة ١٦٢٣ - ١٦٢٦ م ابان الهجمة الفارسية الشرسة على العراق بقيادة الشاه عباس خلال القرن السابع عشر^(١٥). ويرغم هذا التشكل العثماني الطويل فان هيمنة التودج العثماني الغرب لم يكن ذا شأن بالغ الخطورة على التكوين الثقافي - العربي الذي غدا يمثل خصوصية تاريخية للموصل خلال فترة الحكم المحلي (الجليلي) ١٧٢٦ - ١٨٣٤ م. ان ذلك التكوين العربي هو الذي جسّد الخطاب الثقافي وخصوصيته، ويعود السبب في ذلك الى ان «الخطاب الثقافي» هو الذي عبر تعبيراً اصيلاً عن الحالات القاسية العديدة التي مثلها الواقع التاريخي عصر ذلك.. ذلك الواقع الذي مثلته قلعة الموصل في مواجهة الغزوات الفارسية وعوامل الهيمنة العثمانية الطويلة،

ناهيك عن كثافة المآسي الاقتصادية والاهوال الاجتماعية نتيجة للاضطراب السياسي المزمن. في حين اننا نعلم أن قلعة الموصل تمتعت باستراتيجية بالغة الاهمية من نواح متعددة ساعدتها كثيرا في دفع كثير من المخاطر الصعبة التي كان يتعرض لها المشرق العربي قاطبة، ومنها على سبيل المثال : هجمة نادرشاه الشرسة على الموصل عام ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م، ودفاعها الذاتي البطولي الذي عبر تعبيراً بالغاً عن أهميتها التاريخية واصالتها العربية في التاريخ.

كانت الموصل نقطة جذب حضرية عملت على كسب ولاء غير منقطع لاقليم متنوع يمتد بشكل دائري عبر شمال العراق شاسع الاطراف، والذي يمتد من ديار بكر شمالاً حتى تكريت جنوباً، ومن الرقة غرباً حتى السلجانية شرقاً. ان العلاقات تجاه مركزية الموصل وكعاصمة قديمة لاقليم بلاد الجزيرة وكانت تحددها بالذات شبكة كثيفة من الموروثات الثقافية المتنوعة بما فيها جملة التقاليد والعبادات واللهجات المستعملة والكرنفالات وأساليب التعامل في الحياة الاجتماعية العريقة.. ناهيك عن الميزات الحيوية في العمل والحياة وهذا ما اشار اليه بعض من الباحثين الاجانب^(١٦)، فليس من الغرابة اذن ان يزدهم مركز مدينة الموصل بعشرات المدارس والمساجد والمكتبات والمجالس الثقافية والشعبية، كما ويعبر بمحالات «الطريقة» المستولية عصر ذلك على روح التفكير العربي، هذا الى جانب الاساليب المتميزة في العمران والفنون والفولكلوريات المتنوعة والحياة البيئية من طعام وشراب.. لقد ساعدت جملة من العوامل الاقتصادية والجغرافية في ان تكون الموصل نقطة جذب حضرية تستقطب العلاقات الثقافية مع الاطراف او الحواضر العربية في المشرق العربي، وكتيجة من نتائج وجود الاسواق المحلية لتسويق منتجات الاطراف فيها، الى جانب وجود سوق

اقليلية عامرة بالبضائع التي تنقلها القوافل التجارية الاقليمية والدولية عبر الموصل من خلال المسالك البرية والنهرية^(١٧). وقد قضى على هذه المركزية الاقتصادية اثر فتح قناة السويس عام ١٨٦٩ م ، فتأثرت اقتصاديات الموصل كثيراً بالصد ، وتأثرت ايضا العلاقات الثقافية على نحو لم يسبق له مثيل قبل هذا التاريخ ، لتغدو بعده كأي مدينة تابعة ، وبالأذات نحو العاصمة اسطنبول^(١٨).

ان النضال الاكبر للموصل امام الفرس مثلاً ، وانتصارها المجيد على نادرشاه عام ١٧٤٣ م ، لم يكن من قبيل الصدفة ، او من قبيل محددات طارئة في العوامل والعلل التاريخية او النتائج بعيدة المدى... سواء كانت اقتصادية مرحلية ، ام سياسية آتية سريعة العطب ، بل مثلت «الجغرافية» دوراً خطيراً في هذا المجال^(١٩) ، فضلاً عن التكوين الاجتماعي والاثنوغرافي في الطويل الامد لمدينة الموصل بالذات. ان البنية الاجتماعية لمدينة الموصل «العثمانية» قد اختلفت من قبل عناصر طبقية ثلاثة ، هي : (١) النخبوية الاسرية والعسكرية . (٢) طبقة العلماء والادباء . (٣) الطرقية والشعبوية . والملاحظ ان هذه البنية الاجتماعية قد تشبعت كثيراً بـ «ايدولوجية» السلطنة العثمانية ، اي بمذهبها الديني الذي غدا عقيدة سياسية للدولة ، وقد عملت السلطات العثمانية على نشره وبثه في الاماكن المهمة والحساسة من الامبراطورية ، كما حصل في الموصل بعد فترة زمنية من دخولها في اطار السيطرة العثمانية .. والملاحظ ايضاً على بنية مجتمع الموصل خلال العهد العثماني أنها قد تجذرت كثيراً وأفصح عن المزيد من قيمها العربية خلال العهد الجليلي بفعل رسوخ نماذج سياسية جديدة توافقت وانتصار الموصل على نادرشاه عام ١٧٤٣ م^(٢٠) . ولكن لتساءل : من الذي افرز تلك «القيم» ، وصنع تلك «النماذج» ؟ هل كانت تناقضات السلطة وعلاقاتها المتأزمة وراء كل ذلك ؟ الجواب :

انما ينحصر كل ذلك بالحالة الاندماجية التي خرج بها المجتمع الموصل بالفتح السكاني ، وتنوعه الانثي الى حالة جديدة عما كان عليه . هكذا سنجد اثلاً وتلاحماً في القيم الاجتماعية والثقافية برغم الانقسامات السياسية التي ستتوالد فيها بعد وخاصة خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر. لقد توضحت تشكيلة المجتمع على نحو يتألف من خمس وحدات (اورطات) عسكرية الانكشارية^(٢١) واعيان الاسر المحلية القديمة منها والحديثة ، ثم ارباب الصنائع والمهنيين ورجال الحكومة المحلية ، ثم المشايخ في الطرقة التقليدية .. وهناك التجار الكبار والصغار وجماعات النواحي والداكر والضواحي المجاورة ، واغلبهم من اصحاب البساتين والفلاحين المرتبطين بالسوق المحلي^(٢٢) .. ويقيم العلماء والادباء كطبقة تتشكل عناصرها من مختلف الفئات التي تقدم ذكرها آنفاً. لتساءل الآن : اذا كان هناك ثمة انقسامات محلية قد حدثت في البنية الاجتماعية الموصلية خلال الفترات العثمانية بفعل عوامل سياسية ، فان هؤلاء جميعهم كانوا يحضرون وقائع التاريخ المريرة والمتمثلة بالتحديات القاسية كالحرب والمجاعات وآفات الجراد ونكبات الطواعين ، يلتحم الجميع ليصوغوا اشكالاً دقيقة من الوظائف والتقاليد الاجتماعية والمتميزة من خلال العلاقات الثقافية . هكذا يمكن اعتبار مؤشرات الثقافة الموصلية أدلة حقيقية لبروز فكرة وعي وطني بتحديد المعنى الضمني لا المصطلحي للمدينة او الحاضرة المركزية ذات الاستراتيجية الاقتصادية ، والمستقطبة في حركتها الحواضر الاقتصادية والثقافية الاخرى التي تدور مواقعها حولها وعلى مدى جغرافي يتراوح بين ٣٠٠ - ٦٠٠ كم ، فقد كانت كل من آمد وديار بكر شمالاً وبغداد والبصرة جنوباً ، ويتم الاتصال عمودياً عبر الموصل نهراً من خلال دجلة ذي الجريان السريع . اما حلب فهي على الغرب تصل

الموصل بالبحر المتوسط برأى، في حين كانت العمادية وكركوك والسليمانية شرقاً تمتد نحوهم المسالك البرية من خلال الجبال (٢٣).

بعد تحليل اهم مؤشرات الثقافة في الموصل خلال الفترات العثمانية، لتتوقف عند جوانب اساسية في دراسة طبيعة العلاقات الثقافية، والتأكيد على بعض التماذج الفاعلة في تكوين الموصل الحديثة.. ولكي نتوصل الى اهم نتائج ذلك التكوين: بروز الموصل كبؤرة اشعاع في القومية والتحديث.

طبقة العلماء والادباء: التركيب والاسروية بين المركزية والاقليمية

مثلت طبقة العلماء والادباء في الموصل خلال الفترات العثمانية احدى البنى الاجتماعية المؤثرة في التكوين التاريخي. وقد شكلت تلك «الطبقة» بنية متشابكة العلاقات، توافرت عناصرها المتنوعة بتفاوت مصالحها ويتوسطها بين طبقتين متناقضتين ومتصارعتين هما: فئة الاعيان والطبقة العامة، أي تصادم التناقضات بين الفئة الارستقراطية التي يمثلها الحكام الاقطاعيون وكبار الملاك من الاسر القديمة او العثمانية المستحدثة، وبين طبقة الصانع والعمال الذين كان الفقر والجوع يؤاكلهم ويحصد المئات منهم (٢٤). لقد تشكلت طبقة العلماء والادباء في خضم هذه التناقضات، ولتشارك ليس في الصراع السياسي فحسب، بل لتعمل في جو مشحون بالامتيازات والمصالح المحلية والاقليمية.

لم تلد هذه «الطبقة» وحيدة في مجتمع كالموصل فحسب، بل كان من الطبيعي ان تبلور محلياً واقليمياً نتيجة لما تتمخض عنه الوضع العثماني السائد في المجتمعين الاناضولي والعربي منذ القرن الخامس عشر، اذ عدت طبقة العلماء والادباء من تشكيلات الحياة الاجتماعية - العثمانية على مدى قرون طويلة (٢٥). وعليه فان الموصل لم تكن

اشكالية منفردة في خصوصيتها، ولكن سيختلف تطورها لا محالة عن الاوضاع التي تجدها في اقاليم اخرى، بعيدة كانت ام مجاورة، وعلى الاخص، ما سيؤول اليه حالها خلال القرن الثامن عشر بشكل حيوي وناضح مقارنة باوضاع شبيبتها في دمشق او بغداد او القاهرة مثلاً، ثمة تقارب واضح في السيات والزيا لما كان عليه وضع الموصل من هذه الناحية في المشرق العربي، ووضع مدينة فاس المغربية خلال القرن المذكور (٢٦).

ان الذي يهنا في هذا المجال هو دور هذه «الطبقة» التي حملت على كاهلها حالة Status ثقافة الموصل بين ايجابياتها وسلبياتها بوساطة مختلف العناصر التي ساهمت بمعطياتها المشتركة ام الاحادية. السؤال الآن: من تركب هذه «الطبقة»؟ وهل من توضيح مختزل عن ماهية تفكيرها وطبيعة اعمالها؟ ان الباحث المؤرخ سيتوقف دون شك على جملة من المصطلحات والاعراف المتواترة والمتداولة عصر ذاك، وخصوصاً في «ادبيات التراجم» (٢٧) .. فاذاً سيجد انه سيجد «العالم»، «العلامة»، «الفقيه»، «القاضي»، «المفتي»، «الاديب»، «الشاعر»، «المحقق»، «المصنف»، «المؤرخ»، «الكاتب»، «المدقق»، «الحكيم»، «المدرس»، «الناظم»، «شيخ القراء»، «السوّاق»، «المجود»، «الخطيب»، «الشيخ»، «المنشي»، «المتصوف»، «الامام»، «العلّامة» (يفتح الميم وتشديد اللام) (٢٨) ... الخ.

ان جميع هذه المصطلحات نجدها مستخدمة في ادبيات الموصل وموروثها الثقافي وبشكل كبير، مما يدل على تنوع مجالات «الثقافة» برغم ضعف مستوياتها في احايين كثيرة كما هو معروف.. لكن الذي يهنا هو تحديد علاقة كل «مصطلح» او «لقب» بالتمط المعاشي الذي يحياه صاحبه، فثلاً «المفتي» و«القاضي» و«كاتب الانشاء» سيختلف

اصحابها كليا عن الخط الذي يعيشه ويمارسه «الخطيب» و «الشيخ» و «الملك» وهكذا، في حين ان كلا من الصنفين يجتمعان في تركيبة بنية طبقية واحدة تجمعها مصالح وغايات مشتركة.

ان تركيب طبقة العلماء والادباء في الموصل خلال الفترات العثمانية يمثل حالة اسورية في الأساس، تقوده وتنبئه طويلاً، وهي الحالة التي جانست على مدى زمني طويل يتجاوز قرنين من تاريخ الموصل الحديث، بين عروبته وبين تبعيتها المباشرة للمؤسسة الدينية والسلطوية العثمانية - المركزية وهذا ما يتلمسه المؤرخ في «الحالة» التي تميزت بها الاسرة العمرية بالموصل، والمتنمية بمجذورها الى مؤسسها الحاج قاسم العمري، وهو الجد الأكبر للأسرة، وقد استفدته العثمانيون من الحجاز، كي يعمل داعية للحكم العثماني بالموصل خلال النصف الثاني من القرن السادس عشر، اي في نهاية عهد السلطان سليمان القانوني وبداية عهد ولده السلطان سليم الثاني. لقد نجح الحاج قاسم العمري في مساعده، وغرس جذوره في المدينة التي كانت تتنازعها الاهواء الدينية والفضوى السياسية. إذ بنى جامعاً له بجوار سكنه في منطقة «باب العراق» سنة ٩٧١ هـ / ١٥٦٣ - ١٥٦٤ م، ووقف عليه اوقافاً كثيرة^(٢٩) واستغدى الاسرة العمرية منذ ذلك الوقت بفروعها الثلاثة من صلب الحاج قاسم هي الميسطرة ثقافياً في الموصل الى جانب نفوذها الاقتصادي والاجتماعي المستمد من دعم السلطة العثمانية في العاصمة اسطنبول.. وكفئة يمثلها بعض الرؤوس الذين كانوا يعملون دوماً ضمن اطار مركزي - عثماني، بتكريس التوجه العثماني باداءه ومنظار عربيين، باعتبارها ذات جذور عربية في الانتهاء والثقافة أستاذ منها في تكرير ذلك التوجه والاتلاف

العثمانيين. ويتوضح ذلك الارتباط المركزي من خلال حالات التصادم بين بعض رجال الاسرة مع بعض الحكام والولاة المحليين^(٣٠) او الولاة الاتراك الذين كانوا يحكمون الموصل لفترات قليلة^(٣١)، اذ قلما يتجاوز حكم او ولاية احدهم سنة كاملة. اضافة الى ذلك، فيتوضح امام المؤرخ في دراسته لأكثر من قرنين لحياة الموصل الحديثة، ان العمرين كانوا يسافرون دوماً الى اسطنبول بفعل انشدادهم الى المركزية العثمانية، ومنهم من مات فيها^(٣٢).

لقد وجدت اسر اخرى بالموصل، ولكنها لم تتفوق ثقافياً على العمرين، في حين شغل صراع محتمل بين العمرين «والسادة» في جوانب فكرية كانت تشغل الرأي العام عصر ذاك^(٣٣). وفي بداية القرن الثامن عشر، ظهرت اسرة جديدة على الساحة بعد تفاعلها مع مختلف الاوساط بفعل انشطتها التجارية المكثفة، فسيطرت على السوق بفعل امتلاكها لكثير من رؤوس الاموال. وخلال فترة قصيرة تغدو «الاسرة الجليلية» المتنمية الى مؤسسها «عبد الجليل»^(٣٤)، ذات نفوذ محلي واسع، ساهمت بمدخيلها في الاستحواذ على نفوذ اقليمي بتنصيب أول وال جليلي على الموصل هو اسماعيل باشا، وذلك سنة ١٧٢٦ م / ١١٣٩ هـ، والذي قضى في منصبه سنة واحدة ليخلفه ولده الحاج حسين باشا بعد ثلاث سنوات من وفاته. اذ عين الحاج حسين باشا سنة ١٧٣٠ م / ١١٤٣ هـ والياً على الموصل^(٣٥)، وهو الزعيم المؤسس لسلالة حكم الولاة المحليين من الجليليين والتي رسخها من خلال جهوده العسكرية والادارية في حكمه للعديد من ولايات الاقاليم الشرقية للامبراطورية العثمانية.

تكاد تتفوق كثيراً طبقة العلماء والادباء خلال العهد الجليلي ليس فقط بامتيازاتها الجديدة، ولكن

بحالة توسعها الكبير من خلال قاعدتها وعدد المنتمين إليها، وكثرة نتاجاتها المختلفة. لقد كثرت المدارس الدينية الفقهية والعلمية خلال العهد المذكور ١٧٢٦ - ١٨٣٤م^(٣٦)، ولكن روح المنافسة في المجال الثقافي قد ارتبطت ارتباطاً كبيراً بالمصالح السياسية والاحوال الاقتصادية. ويظهر الانقسام الاجتماعي بشكل مضطرب عندما نشخص ظواهر تشير الى مستوى معيشة أولئك الذين يشكلون طبقة العلماء والادباء، والتي تترامى وهي تعيش ازمة داخلية بين «الاعيان» من اصحاب رؤوس الاموال والاملاك ومن ذوي الانتماء الاسروي، واغلبهم من القضاة والمفتين.. وبين «الفقراء» الذين يشكلهم الادباء الصغار والمتصوفة والخطباء. ولم تتوقف الازمة عند هذا الحد، بل ان هناك «الانقسام» داخل الاسر المتنفذة كالاسرة العمرية نتيجة عوامل اقتصادية ارضية كالحالة الوقفية المتأزمة التي عاشت اشكالياتها على مدى زمني طويل. فقد انقسمت هذه الاسرة الى ثلاثة فروع اساسية عن صلب الحاج قاسم العمري: فرع العلماء الاغنياء (فرع عثمان بن علي ابن الحاج قاسم) وفرع الوسط من الادباء (فرع محمود بن علي بن الحاج قاسم) وفرع الخطباء والملائي (فرع موسى بن علي بن الحاج قاسم)^(٣٧). هكذا يشكل الانقسام الاجتماعي ظاهرة اسروية مؤثرة في الحياة الثقافية. اما الانقسام الحاصل في الاسرية الجليلية الحاكمة فهو انقسام سياسي في الدرجة الاولى..^(٣٨) والملاحظ من طرف آخر ان اغلب الادباء الصغار من الكادحين كانوا يشتغلون بـ «الصنائع» اي الاعمال المهنية كالحياكة والغزل والوراقة.. وقد عبر احدهم تعبيراً حياً عن حياته المعيشية وذاته المحموم، بقصيدة من الشعر وهو يخدم في الحياكة وذلك في اواخر القرن السابع عشر:

جار الزمان على الحدباء شتتنا
في عام خط به تاريخه الغبن^(٣٩)
فصرت من بعد اخذ العلم متخذاً
أدنى الصنائع اخدم طاقة القطن^(٤٠)
ومن السات البارزة ايضا في طبقة العلماء والادباء انها لم تنحصر بداخلها الموصلية فقط، بمعنى انها توزعت في مناطق مختلفة من الاقليم واسع الاطراف، ورغم ان الموصل كانت مركزاً حقيقياً لذلك الانتشار، وهذا عكس ما نجده في مصر «العثمانية» مثلاً^(٤١). فرغم وجود المدارس المتعددة سواء كانت القديمة منها، أم تلك التي انشئت خلال القرن الثامن عشر بالموصل فان الحركة الثقافية تكاد تكون معكوسة فيها عن مصر، اي من المدينة الى الاطراف، او من الداخل الى الخارج، وخاصة عندما يريد البعض ان يتعلم ويتقن باللغة العربية في مدرسة رصينة كتلك التي تقع بمدينة ماوران الكردية مثلاً، والتي تخرج فيها عدد وافر من العلماء الاكراد.^(٤٢)

من جانب اخر، لم نجد ثمة اختلافات جذرية تحكم طبيعة الذهنية في الثقافة ما خلا بعض الحركات المناوئة للنمط التقليدي الذي تعارف عليه المجتمع منذ زمن طويل، وكرسته المؤسسة العثمانية - الدينية تكريساً قوياً. وعلى الرغم من اعتناق اغلب العلماء والادباء للمذهب الحنفي وهو المذهب الرسمي للدولة العثمانية، وبرغم اشتراك «الشافعية» الى جانب «الحنفية» في الموصل فقد بقيت العربية سلوكاً واسلوباً وآداباً ومنهج حياة، سارية المفعول حالها كحال اي مكان عربي آخر من البيئة العربية المهيم عليها عثمانياً، ولكن الفارق الاساسي هو ان العربية قد تفوقت بمعطياتها الادبية عند اصحابها المواصلة اكثر مما نجده في غيرها من الاماكن العربية وخاصة في القرن الثامن عشر، عندما تفوقت العربية على نحو لم يشهد العرب بمثله

من قبل .

هكذا ، فان طبقة العلماء والادباء في الموصل كان لها دورها المؤثر في طبيعة الحياة الثقافية ومجمل العلاقات التي حكمها على نحو قد لانجده بوضوح في مواطن واقاليم عربية اخرى .. وسنفصل ادناه عما يكشف عن كثير من الطروحات التي تقدمنا بها :

الموصل مركز اشعاع ثقافي عربي :

١ . النخبة : النزوع الانفصالي :

ان الميزة الأساسية التي يجب ان تخلص بها دراسة طبيعة العلاقات الثقافية لمنطقة الموصل ، انما تتمثل في بحث مزدوج : التحليل البنوي ومعرفة «عراقة» الثقافة وشموليتها . اي بمعنى ، ذلك البحث الذي يتعدى مستوى «الأقلمية» نحو مستوى الفكرة القومية والنزوع العروبي ذلك النزوع الذي صيغ احوال الموصل الثقافية عبر العهود العثمانية الطويلة من خلال مركزيتها .. والفكرة التي جسدها العشرات من الرجال الموصلية الذين كانوا يتحركون بدنياميكية ، وبالمستوى المعبر نفسه عن حالة التكوين الاجتماعي وتبلوره على مدى التاريخية الحديثة .. ناهيك عن طبيعة المعطيات الثقافية التي عبرت عن روح المرحلة التاريخية ، دون ان يمر اغلبها اساساً عن طريق القنوات العثمانية . وهذه ميزة خدمت الثقافة العربية كثيراً ، فهناك نتاجات حرة عبرت عن نفسها بمعزل عن اية تأثيرات عثمانية فمنها ما عبر عن روح «المواطنة» ولكن دون وعي فاعل على مستوى الذهن ام الخطاب كما نجده عند خليل البصير وعثمان الخطيب ، ومنها ما عبر عن روح عروبية صادقة بلا زئوش او مؤثرات خارجية ، ولكنها من خلال وعي مفقود في خضم اشكالية الهيمنة العثمانية كما عند القاضي عبدالله الفخري ، ومنها ما عبر عن حالة انفرادية استلهمت سيرة الامام الحسين بن علي رضي الله عنه نتيجة مجاورة ذاتية لضريحه في النجف الاشرف كما حدث

عند الشاعر المبدع الغريب الاطوار حسن عبدالباقي الموصلية .. ومنها ما عبر عن حاله هجرة واغتراب عن القوالب التقليدية «الدينية» ليعبر عن مجموعة من الهواجس الذاتية والمركبات الذهنية المرتبطة اساساً بمصير الدين وسلفية الطريقة التصوفية كما حدث عند بعض «العلماء» وطلبة علوم الدين ... الخ ان جميع مثل هذه المعطيات الثقافية كانت تعبر عن خطاب انفصالي . يخلو عما يجب ان يعبر عنه تعبيراً متكاملأً عن ذلك «الواقع» المتأزم لا «المتخلف» بالمعنى الاستدلالي للكلمة . هو خطاب انفصالي؟؟ نعم ، لأنه لم يخرج عن طوق الاعتراف بـ «العثمانية» واطرها المؤلفة دينياً ، والمؤشكلة سياسياً معاً . ولو خدمته الظروف بصورة اكثر لحظي بتجاوز الحالة الانفصالية الى التبشير بـ «الانقلابية» كما وجدناه عند رواد اليقظة العربية في لبنان ابان القرن التاسع عشر . ولكن وكرد فعل على انفصاليته تلك ، وكان هناك الاغراق في التقليدية والتشبث بـ «العثمانية» على نحو سكوني متخلف قبل التحديث .

٢ . روح المواطنة والنزوع العروبي :

لقد تجانست روح المواطنة - بالمعنى الاستدلالي للكلمة - واتلفت بين الغني والفقير في المجتمع ، وقد استمر هذا التوجه المتقد على مدى العهود العثمانية الطويلة . وهناك اشارات عدة لهذا المنحى الذاتي والاستعداد الفطري منها تلك التي وجدناها في القرن ١٧م / ١١ هـ ، عندما يذكر احمد بن جلاله الموصلية ، وكان قد غلبه الفقر المدقع :

قد كنت في نعمة المغبوط في وطني

مع الاخلاء اهل العلم في زمي (٣٤)
ويأتي علي افندي الغلامي ، مفتي الشافعية بالموصل ، وكان يتمتع بمركز لائق وحظوة عن الحكام الجليليين في القرن الثامن عشر ، ليقول وهو في العاصمة العثمانية استانبول متشوقاً :

افندي الفخري بفخر بنزعه العروبية يؤكد بقوله :
 وانا من العرب الكرام ذوي العلا
 وفينا الهدى والمجد والعلم والشعر
 وما ضم حب المال قط صدورنا
 فأموالنا عبد واعراضنا حر
 أئى المجد الا ان نعيش بعزة
 فان لم يكن عز فمختارنا القبر
 وانا لفينا نحوه عربية
 وانا لنا جد به ينتهي الفخر^(٤٧)

وذلك الشيخ عبدالرحمن السويدي الذي
 مدح الوالي الحاج حسين باشا الجلبي بطل حصار
 الموصل قائلاً :

لله دركم ودر رئيسكم
 ملك تولى قنة العلياء
 عربي اصل فأتك ذو خيرة
 ذو شيمه محمودة وسخاء^(٤٨)

انه خطاب عروبي يعبر عن شعور وإيمان
 بمواصفات اصحابه وكثير من قيمهم الاصيله في
 التاريخ، ثم نهجهم الصارم في الحياة .. وهذا ما
 اكدت عليه اهم مبادئ القومية العربية عند فاتحة
 القرن العشرين.

لقد تميزت الآثار الادبية والنفسية التي ولدها
 كل من الحصار والانتصار على نادرشاه، بعروبيتها
 وزعنتها الوطنية، اذ لم يقتصر الامر على مباراة
 الشعراء في قصائدهم، بل ساهم الادياء بازجالهم
 وارجيزهم وكتاباتهم، والتصوف في اغانيهم
 وانشيدهم. وكثرت الاوصاف والالقاب والتناجات
 التي استمر فعلها مؤثراً في الحياة الثقافية - الموصلية
 على مدى قرنين من الزمن. ومن الآثار الأخرى التي
 تركها الحصار والانتصار معاً، هو الاعتزاز بعروبة
 الولاية لفترة طويلة، فرغم الانقسامات التي
 تولدت فيها سياسياً واجتماعياً بفعل عوامل داخلية
 بحتة فإن ذلك لم يمنعها من ان تتفرض او تتور في
 وجه اي وال تركي غرب عنها، فيكون مصيره

برق تألّق في الظلام المسدل
 فأثارني الاحشاء ذكر الموصل
 هات الحديث عن العراق فاني
 اصبحت عن تلك البقاع بمعزل
 اين العراق وساكنوه لمن غدا
 بالروم يسأل كل ركب مقبل
 حيا الحيا تلك الرحاب وان نأت
 عني فذكرها حليف تخيلي
 ما الروم داري يا بريق ولا انا
 ممن تشد الى ذراها ارجلي^(٤٩)
 اما الشيخ عثمان الخطيب الذي توفي سنة
 ١١٤٥ هـ / سنة ١٧٣٢ م، فهو يقول :
 اقم ببلدتنا الحديباء واستقم
 فانها موصل الآلاء والنعم
 اكرم بها موطننا للمقاتنين بها
 جزيل حظ من الاحسان والكرم^(٥٠)
 اما «العروبة» فتزید من هذا التوجه الذاتي
 لتجعله ذروة في التطلع الجماعي الذي ينشد مفتخراً
 بمكارم العرب وسجاياهم منذ القرن الثامن عشر،
 فلا عجب ان تغدو الموصل فيما بعد وعند بداية
 القرن العشرين، احدى مراكز الاشعاع القومي،
 كنتيجة من نتائج ادوارها التاريخية التي اضطلمت
 بها على مستوى الخطاب والفعل في الحفاظ على
 عروبة المشرق العربي ضد الاخطار الفارسية التي
 كان قد توجهها غزو نادرشاه العاتي وحصاره الرهيب
 للموصل سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م، وفشله الذريع
 امام اسوارها، بعد دفاع اهالي الموصل عن
 عرينهم. لقد استطاع الانتصار ان يجذّر عروبة
 المشرق العربي، ويكني ما صدر من ادبيات عروبية
 صادقة تفخر وتؤرخ تلك الحرب الضروس، فهذا
 السيد خليل البصير الموصلي يقول :

كنى الله اهل الموصل الشر اذ اتى
 عدوهم من جانب الشرق ناهض^(٥١)
 وهذا كاتب الانشاء لولاة بغداد السيد عبدالله

القتل او السجن ، او العزل او الهروب .^(٩٩)

لقد بقي النزوع العروبي موجعاً في صدور ابناء الموصل على امتداد العصر السكوني - العثماني ، فهو ان لم يتخذ له منحى « ايدولوجياً » للتعبير عن فعله وخطابه بافصاح مطرد وانتشار كبير ، فقد اتخذ من ميدان الادب ميدانه كحي ثؤلف خيرة الاعمال ، وتنتج اقوى الاشعار ، واغزر الكتابات .. وقد ساعد في ذلك طبيعة الحكم المحلي الاسروي الذي استمر على مدى قرن كامل من الحياة التاريخية العثمانية .

٣. العلاقات الثقافية : نماذج وصور

ان ارتباط الموصل سواء بالعاصمة العثمانية أم بغيرها من المدن والخواضر الاقليمية والعربية ، انما تفرزه لنا اختيار اولئك الرجال المواصلة الذين تعاملوا ضمن هذا الاطار من العلاقات . ويعزز ذلك ما وجدناه من آثار تؤكد ظواهره ، فهناك الهجرة والاغتراب والاسفار الوظيفية والمراسلات والمكاتبات .. كانت الموصل مركز دفع واستقطاب جاذب معاً ، وكثيراً ما تواردت اسماء استنبول وبغداد والبصرة وديار بكر وحلب وكركوك والعادية .. لتؤكد طبيعة تلك العلاقات سواء على المستوى الوطني كالتقضاء والافناء والمهام الرسمية الأخرى ، او من خلال الاغتراب الادبي والعلمي والاقتصادي وحتى السياسي . ولدينا اشارات عدة لمن استوطن الموصل بالمقابل سواء من بغداد او حلب او تكريت او المغرب او جبال الاكراد ، وهناك من البصرة او ديار بكر او دمشق . ويكاد الارتباط القوي يكون كبيراً مع استانبول عند بعض من ابناء الاسر المتنفذة تطلعاً لمنصب او وظيفة او شكوى . ويتوقف الباحث المؤرخ عند عدد من الاسماء التي كانت على اتصال بالمركزية العثمانية وخاصة تلك التي مثلها الصدر الاعظم . وكان العمريون في الموصل على اكبر علاقة بتلك المركزية ، فالشاعر عبد الباقي ابن مراد بن عثمان العمري سافر الى استانبول وبني له

علاقة علمية مع وزراء آل كوبرلو ، ويشيد بالوزير الاعظم فاضل احمد باشا ابن محمد باشا الكوبرلو ومعدحه ، فيتولى العمري قضاء سبع مناطق عراقية منها : الموصل وكركوك والبصرة وعانة في اوقات مختلفة ، وقد توفي سنة ١١٠٩هـ / ١٦٩٧م^(١٠٠) .

اما فتح الله بن الشيخ موسى الخطيب العمري فيتولى هو الآخر قضاء البصرة بعد سفرة له الى اسطنبول والذي يموت قبل سابقه بسنة واحدة.^(١٠١) اما الشاعر العالم مراد ابن المفتي علي العمري فيهاجر الى استانبول ويموت فيها سنة ١١٢٩هـ / ١٧١٦م بعد خلاف مع ابيه^(١٠٢) . كما وسميت فيها ايضا غيره من العمريين بعد هجرتهم اليها^(١٠٣) . وتوثقت عرى العلاقة بين الوزير الاعظم راغب باشا وكل من الاديبين الموصلين المشهورين : عصام الدين عثمان العمري والسيد خليل البصير^(١٠٤) فقد اهداه الاول كتابه الشهير « الروض النضر » وجعله باسمه ، فولاه دفتراوية بغداد بعد سفرات متعددة الى استانبول ، ثم تنتهي حياته بمأساة تراجيدية بعد خلافه مع والي بغداد ، وسجنه وتشرده ونفيه من قبل عمر باشا ، لموت في سنة ١١٨٤هـ / ١٧٧٠م^(١٠٥) . وهناك ايضا الحاج قاسم اغا الروقي الجليلي الذي رافق الوالي الحاج حسين باشا في العديد من وقائعه واسفاره.^(١٠٦) وهكذا بالنسبة للعديد من الرجال الآخرين الذين تحركوا هنا وهناك .

٤. جذور الافكار الاصلاحية الدينية :

يتجربنا التاريخ المحلي للموصل عن انبثاق بعض « الافكار » الاصلاحية الدينية التي كانت بنظر الاوساط الرسمية والشعبية انها افكار « إلحادية » مادامت قد خرجت عن التقاليد الاسطورية المتعارف عليها . هكذا نقف عند مصطلح جديد هو « الانكار » الذي يعد دليلاً على بروز بعض الافكار التي نادى بالخروج عن طوق التقليد المغلف باسم

« الدين » بصورة مؤشكلة . اي الدعوة للتوقف عن بعض حالات اسطورية مسيطرة على الذهن والممارسات .

لقد برزت بعض الافكار الاصلاحية خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر حتى بداية القرن التاسع عشر . وهي الافكار التي تعد - عندي- : الجذور الحية الحقيقية لمنشأ الحركة (الوهابية) كحركة اصلاحية - دينية في الفكر الاسلامي العربي الحديث ، والتي انتشرت من خلالها بقية الاصلاحات الدينية الاخرى كالحركة السنوسية والحركة المهدية ، ثم افكار التجديد الاسلامي عند جمال الدين الافغاني ومحمد عبده . دعيت افكار الموصلي بـ «السلفية» التي لم تجد لها متنفساً للذنبوع والانتشار فبقيت محصورة داخل اسوار الموصلي بسبب نقصها لعدد من الادوات والوسائل ، في حين نجحت الحركة (الوهابية) اثر الزيجة السياسية - الدينية ، ونشرها بين القبائل .

تعود الافكار الاصلاحية الاولى الى الشيخ احمد بن الكؤلة الموصلي ، ففي سنة ١١٤٣هـ / ١٧٣٠م - يقول المؤرخ ياسين الخطيب العمري - : « ظهر من الشيخ منلا احمد بن الكؤلة الموصلي شيء مخالف لدعواه التي هو فيها من العلم والطريقة ، وهي انكار نبوة نبي الله جرجيس ، فبلغ والي الموصلي الحاج حسين باشا الجليلي فاحضره ووبخه وامره بالتوبة والاستغفار ، ثم ان منلا احمد اطاع ظاهراً وانكر خفية وشاع عنه ذلك ، فرجع عن انكاره وتاب . ووصلت الاخبار الى حلب فالتف الاديوب العلامة الشيخ علي المؤقت المعروف بالدباغ الحلبي رسالة اثبت فيها رسالة نبي الله جرجيس ، والرد على من انكر رسالته وارسلها الى الموصلي » . (٥٧) وفي رواية اخرى للمؤرخ العمري ان الشيخ احمد بن الكؤلة كان «شديد الانكار» (٥٨) . وبعد اكثر من ستين سنة ، اي بالتحديد سنة ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م ، - يكتب

ياسين الخطيب العمري قائلاً : « في الموصلي ظهر من احد طلبة العلم انكار على الشيخ عبدالقادر الكيلاني والشيخ محي الدين بن العربي وامثالهما ، فاحضره والي الموصلي الوزير محمد باشا الجليلي وزجره وشتمه وأمر ان يضرب على رأسه ثم نفاه الى بغداد وابطل هذه البدعة بعد اعوام ، ظهر منه في بغداد مثل هذا فنفاه والي بغداد الوزير سليمان باشا ، فقدم الى الموصلي ممقوتاً » (٥٩) . وفي رواية اخرى للمؤرخ : ان الانكار قد جرى ايضا على الشيخ عمر بن الفارض والشيخ عبدالكريم الجليلي . (٦٠) وفي النسخة الاخرى من كتاب المؤرخ العمري يذكر الناسخ : ان الانكار قد وقع من بعض العلماء بدل «احد طلبة العلم» . (٦١)

المهم ان المؤرخ ياسين الخطيب العمري عندما يترجم لوفاة «الشيخ الوهابي» في اخبار سنة ١٢٠٨هـ / ١٧٩٤م ، يذكر بأنه قدم الى الموصلي وقرأ على بعض علمائها ثم سافر الى مكة ورافق الملحمدين وصار منهم وامامهم ... واقام مكانه ابن اخيه عبدالعزيز فشي على سيرته . اما اصله فهو من نواحي بغداد . (٦٢) وفي رواية اخرى للمؤرخ ، ان «اصله من نواحي العراق» (٦٣) ، ويعني بذلك اقليم نجد .

لقد كانت الثقافة العربية في الموصلي قد وصلت الى درجة تسمح لها في ان يفكر بعض ابنائها بحالة اصلاح لما كان قد استشرى في المجتمع العربي عصر ذاك من تصورات خرافية وتقاليده عقيمة في التفكير والذهنية والممارسات اليومية . ولم يفصح المؤرخ العمري اكثر من ذلك ، ويعود السبب في ذلك اساساً لكونه هو نفسه . كان يؤمن بكرامات الاولياء ، ويضع نفسه في قائمة الشيوخ المتصوفة . ولكن نستنتج استنتاجات غاية في الاهمية ، رغم ان رد الفعل الحكومي والشعبي كان قوياً ضد تلك «الافكار» و «الدعوات» الجديدة على التفكير القديم والمخالفة له فانها غرست علاماً واضحة على

طريق الاصلاحية الدينية الاولى، واعتبرت جذراً حقيقياً لها قبل عملية التفكير بالاصلاحية الدينية التي ولدت بعد ذلك على يد الافغاني ومحمد عبده، وقبل التفكير ايضا بالاصلاحية المدنية او التحديث، كما نلاحظه عند الاجهزة الرسمية العثمانية أو مصر محمد علي.

ان الافكار الاولى في الاصلاحية الدينية قد سبقت طويلاً التوجهات نحو الاصلاحية المدنية. وإذا كانت الاخيرة قد بدأها الاتراك في المركزية العثمانية وخصوصاً سليم الثالث ومحمود الثاني.. وايضاً محمد علي بمصر فان الاصلاحية الدينية كانت عربية خالصة يجذورها او بالتطورات التي لحقت بها خلال القرن التاسع عشر، وقد أُسْتُغِلَتْ في نهاية عصر الدولة من قبل السلطان عبدالحميد الثاني في دعوته لـ «الجامعة الاسلامية» و «الخلافة» وذلك بعد دخول الدولة طريقها المسدود.

٥. الخصوصية في التقاليد الثقافية :

اتسمت حياة الموصل بتقاليدها الثقافية العريقة والمرتبطة اغلبها بطبيعة الموروثات الشعبية - الفولكلورية. اذ قد نجد بعضها ما يتجانس مع ما كان معروفاً في البيئات العربية الاخرى كبغداد او حلب او دمشق او بيروت.. ولكن منها ما اختصت به الموصل لوحدها كمدينة، او بعضها الآخر الذي نجده في بقية انحاء الاقليم المتنوع بتركيبه السكاني والجغرافي والديني واللغوي. ان المكونات الثقافية - التراثية التي لم تزل تحيا عليها مدينة الموصل انما تخبرنا عن طبيعة «الخصوصية»، وتمثل عراقها اذا ما قورنت بما كانت تمارسه الاجيال القديمة فيها على مدى احقاب طويلة لا تقتصر على الفترات العثمانية، بل تمتد الى العصور الوسطى، وعلى الاخص : العهود الزنكية - الأتابكية.. اذاً لتوقف قليلاً عند بعض هذه التقاليد :

ظاهرة «الكرنفالات» الشعبية التي يخبرنا صاحب كتاب «الدُر المكنون» بممارستها في المناسبات المهمة من قبل اهالي الموصل خلال القرن الثامن عشر. وتشتبك في المهرجانات، مختلف القطاعات الشعبية والاصناف المهنية، ونقابات الشغيلة من العمال والصناع المهرة. وكان الوالي العثماني مع جهاز حكومته يحضرها بنفسه، لقرن امام سرادقه مختلف تلك الاصناف بأدواتها ووسائلها وملابسها الخاصة.. ثم يوزع الهدايا عليهم^(٦٤). ويعود السبب في تطور هذه الظاهرة الى سببين اساسيين :

١ - التقليد التاريخي المفرد لما كان عليه المجتمع منذ العهود الأتابكية في إقامة المهرجانات السنوية.

٢ - تنامي الصناعات المتنوعة في الموصل سواء في النحاسيات ام الاحشاش ام في الغزل والنسيج وصناعة الموصليين.. الخ خلال القرن الثامن عشر، فضلاً عن مصنوعات اخرى استجدت خلال تواريخ مختلفة، ويخبرنا الرحالة جاكسون الذي زار الموصل سنة ١٧٦٧م / ١١٨١هـ أن بعض المصنوعات الموصلية تتفوق على المصنوعات الاوربية مثل صناعة السروج والاحزمة والسجاد الحريري المطرز بالازهار، ثم مصانع الحديد والنحاسيات لمختلف المواد التي يتم شحنها الى الخارج عبر نهر دجلة نحو البصرة.^(٦٥)

وهناك تقليد ثقافي آخر يمتاز بخصوصيته، فعلى الرغم من التقاليد المتشابهة في البيئات العربية والتي تجري بمناسبة المولد النبوي الشريف، حيث تقام مظاهر الافراح. وتعالى السراقات ومعالم الزينة في البيوت والاسواق الشعبية، وتجري الموائد النبوية فان الموصل قد اختصت فضلاً عن ذلك كله بممارسة فن تَقَرَّدت به الموصل ثقافياً واجتماعياً في

والدواوين (القوناغات) ، ويعود اصله الى ما كان يزاوله قادة الانكشارية ، حين تتوزع هذه المجالس على كل يوم من ايام الاسبوع عند رجالات البلد ، وله تقليد خاص تتم فيه مناقشة مختلف الامور او يكون بمثابة جلسات سمر.. وآخر «قوناغ» استمر حتى ما بعد الحرب العالمية الثانية هو «قوناغ» قاسم اغا الديوه جي في محلة الامام ابراهيم بشارع النبي جرجيس . ومازالت «المجالس» الموصلية مستمرة تقليداً متوارثاً للبعض . وهناك تقاليد موصلية اخرى كانت متعشة كثيراً في القرن الثامن عشر ، ويشترك فيها عامة الناس ، منها مثلاً : الاصطياف في حمام العليل ، وتقاليد تختص باساليب الحياة في البيوت والمدارس والمقاهي وغيرها .

٦. محاولة تقويم «نماذج» من المعطيات : ادب التراجم ، التاريخ ، الشعر :

يقف الباحث في دراسته لادبيات التراجم والاعمال التأريخية على عشرات الاسماء الموصلة التي ساهمت في اغناء الثقافة العربية بكثير من المعطيات في الأدب والتأريخ والتراجم والتفسير واللغة والطب والعلوم المتداولة خلال الفترات العثمانية . وتكاد الكتابات تغطي في الشعر والتراجم والتأريخ على غيرها باحتوائها على مواد مهمة في تأريخية واصول الثقافة العربية والعلوم التي كانت تدرس في مدارس الموصل وانحائها ، وخاصة خلال العهد المحلي . ولعل ابرز من اطلعنا على تلك المواد والاصول هو المؤرخ ياسين افندي الخطيب العمري واخوه محمد امين الخطيب العمري في كتاباتهما العامة التي وصفت المدارس القديمة والجوامع ، فضلاً عن المدارس الحديثة والمكتبات الوقفية التي وجدت من خلال المجهودات الخاصة لبعض الشخصيات المتميزة الى النخبة الحاكمة او المثقفة ، وارتبطت اسمائها بها ، ناهيك عن تعداد عشرات المدرسين والعلماء والادباء الذين عملوا بين جذرائها خلال القرنين السابع

هذا المجال : انه شعر «التزييلات» الذي يعود تأريخه الى عهد مظفر الدين كوكبوري حاكم اربل ، وهو ابن زين الدين علي كرجك والمعروف بابي الحسن علي بن بكتكين بن محمد ، ولي الموصل سنة ٥٣٦هـ / ١١٤١م ، وجعلت له امرة الجيش الأتابكي .^(٦٦) لقد تطورت «التزييلات» شكلاً من اشكال المديح الديني المكرس للذكرى الرسول العربي محمد ﷺ ، حتى لتغدو التزييلات الموصلية تنشد في كل الافراح والمناسبات العادية خلال القرن التاسع عشر..^(٦٧) تغنى وتنشد من قبل جماعات انشاد معينة ، تتميز بأصواتها الرخيمة وادواتها من الدفوف وطبالات الايقاع . وعلينا ان نبين في هذا الصدد أن «التزييلات» هي غير «الموشحات» المعروفة او الاناشيد المتداولة ، فنظم التزييلات تكنيك خاص^(٦٨) .. وآخر من كان مشتهراً في هذا الفن هو الموسيقار الشيخ الملا عثمان الموصلي ١٢٨١-١٣٤١هـ / ١٨٦٤-١٩٢٢م^(٦٩) . بقي هذا الفن التقليدي مستمراً حتى الحرب العالمية الثانية عندما خبا اثره ولم يعد احد ينظم فيه او يؤديه . ومنه على سبيل المثال هذه التزييلة :

بانديمي هات خمرة الحان
واسقني صرفا وامل فنجاني
خمرة تجلو كل احزاني
وتزيل الهم حين تلقاني
قال فاشربها واغتم ثأني
واصطبح وانشد انني فاني
دارها المحبوب بين اخواني
وانشئ نحوي حين صافاني
صل يا امجد على محمد
كامل الأوحـد نسل عدنان
وعلى الآل اهل الكـال
ما دمع سالي على الأجفان^(٧٠)

هناك تقليد موصلي آخر هو المجالس الاسبوعية

عشر والثامن عشر. ان المصادر الموصلية قد تضمنت تفاصيل واسعة للمواضيع التي كانت مدار نقاش وجدل فكريين في الاوساط المثقفة وبيتها التي كانت تعمل من خلال اتصالات عدة مع حواضر اخرى.. فضلاً عن المصادر والكتب المتنوعة التي كانت تعد مجالات عمل للمدرسين كافة، وما استجد من كتابات جديدة. ولم يتوقف الامر فقط لما كان يطرح في الساحة من اعمال، فقد تضمنت ادبيات الموصل كثيراً من النشاطات التي كانت تجري في بغداد وحلب والبصرة ودمشق ومكة.. وكذلك في المناطق التابعة للموصل من اطراف الاقليم وخاصة عند الاكراد. وهنا تجدر الاشارة الى ان اغلب المثقفين والعلماء الاكراد كانوا من المثقفين المتمازين في علوم اللغة العربية وأدبياتها، فضلاً عن العلوم الدينية المختلفة.

يشكل ادب التراجم جزءاً مهماً من الكتابات التاريخية الثرية في الموصل، خاصة وهو احد اهم مصادر الدراسات الادبية والتاريخية في الثقافة العربية. ولعل اشهر المصادر في هذا الباب هي الكتب الاربعة التي ورد ذكرها في مطلع البحث هذا. لكن الذي ميزها على نحو واضح: جانبان اساسيان لا يمكن التغاضي عن معرفتهما، ذلك ان كلا من كتاب «الروض» وكتاب «الشامة» قد كتبنا باسلوب ادبي ذي بيان بارع ولغة رصينة وبصنعة بديعية متكلفة.. واقتصرت «التراجم» فيها على عدد قليل من اشهر العلماء والادباء، فجاءت مطولة مسهية نثراً، ومعتنية كثيراً بآثار الذين ترجمت لهم شعراً.. في حين يعد الكتاب الحولي «الدر المكنون» وكتاب التراجم «المنهل» للاخوين ياسين ومحمد امين الخطيب العمري لها ميزتها المشتركة - فضلاً عن الكتب الاخرى لياسين في التراجم، في الاسلوب البسيط، والمعلومات التاريخية الواضحة عن ولادة المترجم له، ودراسته ومصنفاته واعماله ثم وفاته.. وقد لا تزيد بعض «الترجمات» عن سطور

قليلة، فشملت بذلك جل الرجال والنساء الذين ظهروا في الموصل وغيرها. كما ولم تقتصر «التراجم» عندهم على طبقة العلماء والادباء، بل أزدحمت ايضا لتشمل حتى المتصوفة والمغنين واصحاب الصنائع والظرفاء، ناهيك عن رجال الدولة والحكومة والعسكريين.. الخ ويكني ان نذكر أن «الدر المكنون» قد احتوى على حوالي (١٥٠) ترجمة لرجال مواصلة من ادباء وعلماء وشيوخ.. الخ تفوقوا خلال القرن الثامن عشر.

لقد خدم المؤرخ ياسين الخطيب العمري تاريخ العراق كثيراً فيما تركه من كتابات وتواريخ للاجيال من بعده، ولذا فهو المؤرخ العراقي الاول الذي اثرى تاريخ عراق القرن الثامن عشر بصفة خاصة، وذلك من خلال سرده للاحداث كبرها وصغيرها، فضلاً عن حفظه لمئات التراجم. كما وتميز بطريقته التراثية واسلوبه الفهرس في اعماله التاريخية التي تجاوزت على ١٧ كتاباً في حقول تاريخية شتى منها: التاريخ الحولي وادب التراجم والتاريخ السلالي والتاريخ المحلي. اما بالنسبة لهذا «الاخير»، فقد سجلت فيه محليات الموصل بامانة وصدق وشهادة عيان وسماع: قصة حصار نادرشاه للموصل، والانتصار المجيد الذي حققه اهالي الموصل على حوالي ربع مليون من القوات الايرانية الافشارية سنة ١١٥٦هـ / ١٧٤٣م، وكذلك تسجيل هجومات الفرس الاخرى على الموصل. لقد كان لكل من الاخوين المبرزين ياسين ومحمد امين الدور البارز في حفظ الرواية الكاملة لتلك الاحداث الدراماتيكية المرية من حياة العراق والمشرق العربي قاطبة. (١١)

اما ميدان الشعر فلم يكن هناك ادنى تغيير واضح في الاغراض الشعرية التي استخدمها شعراء الموصل، الا بالقدر الذي فرضته الحوادث التاريخية المرية التي واجهتها الموصل في تكوينها التاريخي الحديث. لقد زاول الشعراء اغراض المديح والفخر

والتشبيب والغزل والرثاء والهجاء... الخ كما وزاولوا
ايضا الاغراض التقليدية كالتاريخ الشعري
والاراجيز والمدائح النبوية والموشحات .

لقد برز كثير من الشعراء الممتازين في الموصل
خلال القرن الثامن عشر، وجددوا في الاسلوب
والعبارة والموضوع بنظمهم لعدد من القصائد
الرصينة برغم عدم خلو بعضها من الصنعة
والتكلف، ولكنني اجدتها قد ابتعدت كثيراً عن
مواصفات آية الهزل اللغوي والفكري التي كانت
مسيطرة سيطرة عمياء على الفكر العربي عصر
ذاك.. وكما عرف ذلك عن ادبيات «الفترات
المظلمة» - كما هي معروفة عن غالب الباحثين
والنقاد والدارسين. ولنتوقف قليلاً عند بعض ابيات
الشاعر حسن عبد الباقي الموصلي الذي كانت له
خبرة بالعلوم العقلية والنقلية، وكان يدمن الخمر،
فاذا سكر نظم الابيات الحيدة السبك، واذا صحا
عجز عن نظم البيت الواحد، يقول :

قد فرشنا لوطء تلك النياق
ساهرات كليله الآفاق
وزجرنا الحداة ليلا فجدت
ثم ارخت أزمة الاعناق
حبذا السير يوم قطع الفيافي
ماحلى الوداع عند الفراق
وأمام الامام نجمل علي
فخر آل البتول يوم السباق^(٧٢)

وهذا الشاعر الأديب علي افندي العمري ابن المفتي
علي افندي العمري الموصلي الذي توفي في
استانبول، وكتب شعراً رقيقاً لم يزل يردده قراء المقام
الموصلي على السنتهم، ومن غرره قوله :

طرة النهر سرحتها النسائم
وعلت منبر الغصون الحمايم
ساجلتها بلابل الروض حتى
شقَّ ورد الرنى جيوب الكائم
مازى الشرق سل مرهف فجر

قد تعرى براحة الأفق قائم
فاختلس فرصة الزمان بروض
ضحك الدهر عن بكاء الغائم^(٧٣)

وقد سجل كثير من شعراء الموصل قصائدهم
الملحمية بعد الانتصار على نادرشاه، ومنهم :
السيد خليل البصير والسيد عبدالله الفخري..
وغيرهما وكان حسن عبد الباقي قد كتب قصيدة
عصماء عن انتصار جيش الموصل على الفرس الذين
هاجموا الموصل بقيادة تركرخان سنة ١١٤٥هـ /
١٧٣٢م، قال :

قفا نصطح ما بالاناء المسجد
فاحياء اموات الغبوق على يدي
ورھط من الاعجام بين مدرع
على لاحق وافي وبين مزرد
فجاءوا صفوفاً والقنا يقرع القنا
كغيم كثيف او بناء مشيد
فشمنت السبع الطباق سرادقا
بناها قنّام الخيل من غير اعمد
ولما دجى ليل الخطوب وقد بدت
بدور صدور من غلائل خرد
ومزقن امراطا وسجف هوداج
واصداع خد كالحريير مورد
ونادت بنات الحمي اين رعانا
واين الفتى المنعوت في كل مشهد^(٧٤)

الموصل على أبواب التغيير:

١ - التغييرات العامة :

لقد ولدت فئة مصغرة في عدها، كبيرة
وجريئة في أعمالها ومواقفها، فئة من المثقفين المواصلين
خلال المراحل الأخيرة من الفترات العثمانية، وهي
الفئة التي تخرّجت بين قرنين: التاسع عشر
والعشرين. وقد شغلت عناصرها فترة دقيقة وخطيرة
في ولادة الحياة العربية الحديثة والمعاصرة، من
خلال النهضة العربية، وبروز الأفكار القومية، ثم

العمل على الانحسار عن أطار السيطرة العثمانية. وقبل أن تحلل طبيعة ثقافة المخضرمين من فئة مثقفي (انتلجنسيا) الموصل التي وقعت عليها مهام الانتقال من القديم الى الجديد، ومن الأساليب التقليدية نحو التحديث.. علينا بالوقوف قليلاً عند طبيعة القرن التاسع عشر، ومؤثراته على حياة ولاية الموصل من الناحية الثقافية.

كان الحكم المحلي للموصل من قبل الجليليين قد أنتهى سياسياً عام ١٢٤٩هـ/ ١٨٣٤م، وأشغل الولاية الأتراك مكانهم. كان يحجي باشا، وهو آخر وال جليلي له علاقات سرية مع بعض القبائل العربية التي كانت لها اتصالات من طرفها بأبراهيم باشا والي الشام،^(٧٥) ولكن مجمل التغييرات التي حصلت في الأجهزة الإدارية من خلال السياسة الإصلاحية التي بدأت الدولة العثمانية ممارستها في أرجاء نظام المركزية الى العديد من أقاليمها الاستراتيجية، غيرت كثيراً من المشاريع العربية التي كانت قد بدأت بالانتعاش. هكذا أستعادت الدولة نشاطها المركزي، وجاء الولاية الأتراك ليقبضوا على حكم الموصل، وكان أشهرهم القائد التركي محمد باشا ابنه بقردار الذي حكم الموصل للفترة ١٢٥١-١٢٦٠هـ/ ١٨٣٥-١٨٤٤م. وقد أدخل هذا الوالي، وكان قوياً صارماً، عدداً من التغييرات والإصلاحات على وضعية الموصل، وقضى على حالة الفوضى التي استشرت فيها اثر السقوط الجليلي^(٧٦). أما الولاية الآخرون من الأتراك فلم يزد حكم اي واحد منهم على ستة واحدة^(٧٧). وعليه، فقد استشرى الفساد كثيراً بفعل السياسة التركية المتفطرة وخصوصاً من الناحية الاقتصادية. وقد لحقت الموصل تغييرات إدارية اثر الترتيبات التي أجراها مدحت باشا والي بغداد المشهور الذي جاءت إصلاحاته المعروفة ضمن التبدلات في اطار النظام التحديثي في الحكومة العثمانية، والذي استطاع

مدحت باشا أن يدخله على البلاد برمته^(٧٨) ولكن الزمن لم يسعفه في اكمال مشروعه. لقد أحل محل الباشوات المستبدين طائفة كبيرة من الموظفين النظاميين، كفتة جديدة عرفت بـ "الأفندية" بعد أن كانت الساحة حكراً على الباشوات والبيكات والأغوات^(٧٩). وإذا كانت حكومة بغداد قد حظيت برجل مثل مدحت باشا، فإن حكومة الموصل بقيت في حالة صراع مزمن مع بعض أطراف الأقليم، وخاصة مع العشائر الزيدية من خلال ما شن من حملات عليهم بقيادة الولاية الأتراك للموصل، ومنهم: كريدي محمد باشا، وطيار باشا، والفريق عمر وهي باشا. وكان هذا ضمن التقليد التاريخي للولاية العثمانية للموصل، ويضمهم ولاية الحكم المحلي من الجليليين^(٨٠)، فضلاً عن أجتادات مدحت باشا في سياسته الجديدة القاضية بأطاعة القوانين والأنظمة والأوامر الصادرة من قبل الحكومة^(٨١).

٢- التغيرات الثقافية في خضم التحديث وولادة فئة مثقفة (انتلجنسيا) جديدة من المخضرمين:

برزت أهمية الموصل خلال القرن التاسع عشر كثيراً بالنسبة للغرب، حالها في ذلك حال حلب وبيروت والقدس، وذلك للتنوع الثقافي والديني والأثنيوغرافي في هذه الحواضر العربية الأربع في المشرق. وأزدادت قيمة الموصل ثقافياً لما كانت تكتنزه من آثار مهمة، وخاصة بقايا وأطلال كلاسيكية تعود تواريخها الى العهود الآشورية القديمة^(٨٢)، لذا أزدادت حركة البعثات الآثارية إليها، وزارها كثير من رجالات أوروبا ولاسيما من أنكلترا وفرنسا. واهتمت البعثات الأمريكية بالتبشير كثيراً، ونلاحظ ذلك من خلال طموحات الغرب ودوله في توسيع مجالات النفوذ في هذه الولايات الأربع عن طريق تأسيس مدارس وكرليات ومعاهد ومطابع للعمل على بث لغاتها وثقافتها الجديدة التي تساعدها في مهامها

لقد وفد الآباء الدومينيكان على الشرق،
واسسوا في الموصل مطبعة عربية سنة ١٢٧٧هـ /
١٨٦٠م^(٨٤)، وقامت هذه المطبعة بطبع ونشر
عدد من الكتب اللاهوتية التي خدمت اساساً
أغراض الكنيسة. وقد طبعت هذه الكتب بلغات
ثلاث: العربية والكلدانية والفرنسية^(٨٥). وكان
الشماس روفائيل مازجي الآمدي قد أسس من
أمواله الخاصة مطبعة مجهزة بكل لوازم الطبع سنة
١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م^(٨٦)، ولكن هجرت هذه
المطبعة فيما بعد. وكان أسماها "المطبعة الكلدانية"،
وقد أرخصها الشاعر شهاب الدين العلوي
المليسي^(٨٧). أما الحكومة العثمانية، فقد أسست
مطبعة حكومية في دار الحكومة سنة ١٣٠٢هـ /
١٨٨٥م، واصدرت عنها جريدة رسمية اسبوعية
ثقافية اخبارية باللسان التركي^(٨٨). كانت
"جريدة موصل" هذه: لسان حال الأتراك. وقد
كتب تاريخاً لها الشاعر التركي المعروف عبدالله
صافي مرحباً بها، ومدح السلطان عبد الحميد
الثاني على هذا العمل^(٨٩).

أما التعليم فكان نشاطه محصوراً في جنبات
المساجد ومدارسها الدينية. وهو تقليدي كما عرفته
القرون الماضية. وبدت الموصل خلال القرن التاسع
عشر غنية بهذا النوع من المؤسسات الأهلية والوقفية
المتوارثة التي تعد بالعشرات، ومنها المدارس القديمة
المشهوره كالمدرسة الأحمدية والخزامية
والعبدالية... الخ لقد بلغ عدد المدارس الدينية
والأهلية في الموصل خلال العهود العثمانية المتأخرة
حوالي (٦٥) مدرسة،^(٩٠) حفلت أغلبها بمكتبات
عامرة بالمخطوطات الثمينة المتنوعة بعلومها وآدابها
ومعارفها^(٩١). أما العلوم التي كانت تدرس في تلك
المدارس، فهي: العلوم الدينية واللغوية كالفقه
والتفسير والحديث والنحو والصرف والمعاني
والبديع.. ثم المنطق وآداب الوضع والمقابلة

والمناظرة، والعقائد ثم العروض والشعر^(٩٢). أما
المدارس الحكومية فقد دخل ضمن علومها:
الحساب والهيئة والمناظرة والكلام وقواعد اللغتين
العربية والتركية. لقد سعت الحكومة العثمانية في
أنشاء المدارس عدا مدارس الجوامع، وقد شيدت
أول مدرسة (=مكتب) عثماني بجوار باب لكش،
وهي محلة مشهورة بالموصل، وأفتتحوا فيه صفوفاً
رشدية في عهد ولاية كنعان باشا سنة ١٢٧٨هـ /
١٨٦١م. فكان في الموصل سنة ١٣٠٨هـ /
١٨٩٠م "مكتب" رشدي واحد، و "مكتب"
آخر ابتدائي. وفي سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١١م، أفتتح
"مكتب" أعدادي، وهو يقابل بمناهجه التدريسية
الصفوف الثانوية.. كما أفتتحت ست مدارس
رسمية. ولم تزل الموصل محرومة من مدارس الأناث،
حتى أقبلت الراهبات المعرفات بأخوات المحبة،
وكان يجيئن للموصل في شهر تشرين الثاني سنة
١٨٧٣م / ١٢٩٠هـ، فأفتتحن مدارسهن للبنات
المسلمات والمسيحيات على حد سواء! ثم أفتتحت
الحكومة العثمانية مدرستين للبنات. أما المدرسة
الرشدية الرسمية فهي المدرسة العثمانية الوحيدة التي
تأسست في الموصل، اذ لم يكن ثمة غيرها حتى
سنة ١٣٠٨هـ / ١٨٩٠م ما عدا مدرسة ابتدائية
اخرى.^(٩٣)



عبدالله راقم أفندي

هنا يدعو الشاعر الموصلبي عبدالله راقم أفندي
للأصلاح والقضاء على الجهل في نشيده الذي
نظمه وصدحت به حناجر طلاب المدرسة الرشدية

الرسمية بمناسبة زيارة والي الموصل إليها ، وهو مصطفى نجيب باشا الذي تعين وخدم واليا للفترة ١٢٩١-١٢٩٣ هـ / ١٨٧٤-١٨٧٥ م ، يقول الشاعر:

أشرقت شمس الفلاح

وظلام الجهل زاح

وانزوى ليل الرقاد

وضياء الجدل لاح

فاصبنا من حميا

كرمة العلم أنشراح

(الى آخر النشيد)^(٩٤)

وكان من أبرز علماء الموصل خلال القرن ١٩ ، أقليمس يوسف داود ١٨٢٩-١٨٩٠ الذي أنقذ عدة لغات ، وكان رجلاً متبحراً في علوم اللغة العربية ، وكانت حصيلة حياته حوالي (٨٥) مؤلفاً في مختلف المعارف ، وقد أنتخب عضواً عاملاً في الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية سنة ١٨٩٠ م وعُدَّ من رواد النهضة الفكرية العربية^(٩٥) .



• اقليمس يوسف داود آل زويبي (١٨٢٩-١٨٩٠ م).

كان من أشهر المدرسين في المدرسة الرشدية رسول مستي افندي ، مدرس الرياضيات والطبيعات وعلم الهيئة ، والذي ساح في بلدان متعددة ، ثم عين مديراً لمعارف الموصل سنة ١٣١٢ هـ / ١٨٩٤ م . وعاد الى سياحته من جديد ، فسافر الى مصر وأوروبا ، وألف بعد رجوعه كتاب "سبر زلزلة" سنة ١٣٢١ هـ / ١٩٠٣ م ، في حين كان قد طبع في اسطنبول كتابه القيم "حوادث وعناصر" سنة ١٢٩٠ هـ / ١٨٧٣ م.^(٩٦)

وقد تلمذ على يده الاستاذ الشاعر عبدالله راقم افندي الموصلي الذي عاش للفترة ١٢٧١-١٣٠٩ هـ / ١٨٥٣-١٨٩١ م . وحمل فكراً أصلاحياً ومات في عز شبابه بعد أن أحرق ديوان شعره ، ولم يبق من شعره إلا القليل.^(٩٧)

لقد كان هناك عدد من الرجال المواصلة الذين خدموا العلم والأدب خلال القرن التاسع عشر ، ومن أشهرهم : الأستاذ عبدالله افندي الفيضي المتفقه بعلوم اللغة العربية ،^(٩٨) وهناك عثمان بيك الجليلي الذي ألف كتاب "الحجة على من زاد على ابن الحجة"^(٩٩) ، والشعراء الذين لم يخرجوا عن طوق التقليد ، وهم : عبد الباقي الفاروقي^(١٠٠) وملا حسن البراز ومحمد شيت الجومرد..^(١٠١) وقد تجدد الشعر كثيراً في سبكه وعبارته وقوة معانيه عند سليمان بن مراد بيك الجليلي والسيد أحمد الفخري ثم الذين أخذوا عنها من المخضرمين . أما أشهر العلماء فكان هناك عثمان افندي الديوه جي وأحمد افندي الديوه جي ودادود بن سليم الصانع وعثمان الخطيب وغيرهم^(١٠٢) .

لقد تعلم على أيدي هؤلاء الرجال نخبة من المثقفين الذين سيغدون من المخضرمين بين قرنين بعد اجتيازهم نهايات القرن التاسع عشر الى أعتاب القرن العشرين ، واصطدامهم بعدد من الأشكاليات السياسية والحضارية وتعبيداتها ، ومن أشهرهم : محمد حبيب العبيدي وعلي الجميل وحسن الأطراقجي الحمامي وأحمد عزت آل قاسم أغا السعري والدكتور داود الجليلي والموسيقار الملا عثمان الموصلي ومحمد رؤوف الغلامي والقاسم سليمان الصانع والدكتور حنا خياط ومحمد امين العمري وتوفيق السمعاني وسليمان فيضي الموصلي والصحافي سليم حسون ودادود الملاح آل زيادة... وغيرهم^(١٠٣) . وهناك بعض ممن شارك في الثورة العربية الكبرى سنة ١٩١٦ م . السؤال الآن : ماذا كانت أدوار هذه النخبة من المثقفين الذين وجدوا

جمعية العهد الموصلية التي كان لها دور مؤثر من خلال الضباط المواصلة، فضلاً عن الاتصالات التي كانت عليها الموصل مع بؤر قومية أخرى في العراق وبلاد الشام واسطنبول.. لقد كان البلاط العثماني يتحسس ذلك النزوع في حاضرة مثل الموصل، فليس عبثاً أن يرسل السلطان عبد الحميد الثاني في السنوات الأخيرة من القرن ١٩ الى الموصل الشيخ ابو الهدى الصيادي.. وكان الهدف من زيارته: ترويج سياسة (الجامعة الاسلامية) التي تبنها السلطان عبد الحميد الثاني. ومن المعروف أن عبد الحميد الثاني كان قد فرض حظراً على النشاط القومي العربي.

وكان انقلاب تركيا الفتاة سنة ١٩٠٨ ومجيئ الاتحاد والترقي الى الحكم.. وتمضي سنوات قليلة كفي تفجر الحرب العالمية الأولى، ومع نهايتها تكون الدولة العثمانية قد خسرت ممتلكاتها جميعاً في المشرق العربي عندما أحتل الأنكليز الموصل سنة ١٩١٨.. ولكي تبدأ صفحة جديدة من الثقافة والنضال ضد المحتل الجديد، وتبدأ حياة الموصل المعاصرة.

الهوامش:

- (١) هناك كتابان حريان كبيران للمؤلف نفسه تحت هذا العنوان، ورغم الاختلافات الواضحة والأضافات التاريخية الكثيرة بينهما، فقد حققها كاتب هذا البحث بثلاثة أجزاء، أنظر:

Sayyar K. AL-Jamil, *A Critical Edition of al-Durr al-Maknun fi al-Ma'athir al-Madiya min al-Qurun of Yasin al-Umari* (920 - 1226 A. H. = 1514/1515 A. D. - 1811/1812 A. D.), Ph. D. thesis, 3 vols.: vol. I (= Introduction and Notes), vol. II (= Text), vol. III A&B (= Apparatus Criticus), St. Andrews Univ., Scotland, 1983.

- (٢) حقق الأستاذ سعيد الديوه جي هذا الكتاب ونشره بجزئين في الموصل، سنة ١٩٦٧.

- (٣) حقق د. سليم النعيمي هذا الكتاب ونشره بجزئين ببغداد، ١٩٧٥.

أنفسهم لأول مرة بين ثقافتين، قديمة وحديثة؟؟ لقد تصادم فعلاً طابع النهضة والتحديث مع القوالب الجامدة وعناصرها من الخطباء ورجال الدين الذين آثروا البقاء على الأنماط السلفية المنبثقة عن المدارس الدينية والوقيات القديمة، ولكن ستتغلب الأفكار الجديدة التي حملها العديد من الرجال على تلك القوالب والأنماط التي تجاوزها العصر، ثم القضاء على مصالحها وامتيازاتها من خلال تأسيس المدارس الجديدة، وستكون أشهرها "المدرسة الخضرية" (الأعدادية الشرقية حالياً)، ومن خلال الصحافة وتأسيس كثير من المطابع، ناهيك عن توافد الصحف والمجلات الأجنبية ثم العربية والمصرية بشكل خاص^(١٠٤). أن الحالة الثقافية التي ولدت على ايدي الرجال المتحضرين والمعاناة من الأشكاليات والتعقيدات التي خاضوها.. كانت جزءاً مهماً من عملية تغيير الواقع الثقافي عما كان عليه، وتلك من أصعب الأمور.. أي بمعنى: تبديل القوالب والأشكال والأنماط التقليدية التي كانت قد دامت قروناً طويلة بجملتها رواسيها وبقيائها.. وكان ذلك جزءاً مهماً من حلقة التحديث والنهضة ضد كل ما هو سكوني جامد^(١٠٥)، ولما لم تندرج عملية التحديث الفكري بالموصل في إطار المؤسسة العثمانية بشكل كبير وفعال، فأنها قد تمفصلت أجالياً من روح البيئة التاريخية التي ولدت النخبة في أحضانها. أن تلك النخبة المثقفة بثقافة عالية لم تجد البديل إلا في العروبة التي بلغت ذروتها في الموصل وبيتها التاريخية ذات الأصالة المعروفة.. كان أن ظهر رجال مواصلة التزاموا هذا المسار سراً وجهراً، وغدوا بمثابة اشعاع قومي سيؤثر فيما بعد في الفكر القومي العربي الحديث، وخاصة في العراق ابان الثلاثينيات، وقبل ولادة الأيديولوجيا العربية المعاصرة. لقد عرفت الموصل بتأثيرها القومي الفعال من خلال الجمعيات العربية، كان أشهرها

الأجانب عنها قبل وبعد فتح قناة السويس سنة ١٨٦٩م ،
ومن أشهرهم مثلاً إفندي ونيور وجاكسون من قبل ، ثم بيركنس
وجيستي ولأبارد من بعد .

(١٩) أنظر الفصل الأول من كتاب روبرت أولسن :

R. Olson, *op. cit.*, pp. 7-9.

(٢٠) تحليل للطلل والمسببات ضمن المرجع المذكور في ملاحظة رقم
١٦ أعلاه .

(٢١) أنظر التفاصيل عند د. عاهد السلام رؤوف ، الموصل في
العهد العثماني : فترة الحكم المحلي ، النجف ، ١٩٧٥ ،
ص ٢٥٦ .

(٢٢) د. سيار الجميل ، المرجع السابق ، ملاحظة رقم ١٦ أعلاه .

(٢٣) للاستزادة والأطلاع على مكانة الموصل وأقليمها في
الجغرافية-التاريخية للإمبراطورية العثمانية ، أنظر :

D. E. Pitcher, *An Historical Geography of the Ottoman Empire*, Leiden & Brill, 1972, map No. XXXII.

(٢٤) هناك معلومات تاريخية واسعة سجلها المؤرخ ياسين الخطيب

العربي في أشهر حياته ، أنظر :

Sayyar K. Al - Jamil, *op. cit.*, vol. II, pp. 336 - 504; vol III, pp. 832 - 1232.

وأنظر أيضاً : ياسين الخطيب العمري "زبدة الآثار الجبلية في
الحوادث الأروضية ، أنتخب الزبدة : د. داود الجلي ، حقه
ونشره : د. عاهد السلام رؤوف ، النجف ، ١٩٧٤ .

(٢٥) لمعرفة طبيعة تركيب طبقة "العلماء" في الدولة العثمانية ، أنظر :
Stanford J. Shaw, *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey*, vol. I, Cambridge, 1978, pp. 132 - 149.

(٢٦) لمزيد من التوسع في هذا الطرح المقارن ، أنظر : د. سيار
الجميل ، "تحليل كتاب نشر المائتين لعماد القادر تحقيق نورمان
سيكار" ، المجلة التاريخية الغربية ، العددان ٣٥-٣٦ ،
تونس ، ديسمبر ١٩٨٤ ، ص ٢١٩-٢٢٩ .

(٢٧) من أهم أدبيات التراجم ، تلك التي ورد ذكرها أعلاه :
الممثل ، الدرر الكون ، .. الشمامة ، الروض ، الزبدة ... الخ .

(٢٨) أنتشرت هذه الكلمة (=التلّال) الى جميع أنحاء العراق ،
ويعود أصلها الى الموصل الزنكية-الأنابكية ، وبالذات الى
شخصية عمر اللال الذي بنى مائة الحدياء في الجامع النوري
الكبير ، ولفظها الموصل هو الصحيح اي يفتح الميم وتشديد
اللام ، في حين تلفظ ببغداد بضم الميم . نسبت كلمة "التلّال"
اليه لأنه كان ملأً تانير الأجر . . أنظر : ابن الأثير ، الباهر في
تأريخ الدولة الأنابكية بالموصل ، تحقيق : عبد القادر طلبات ،
مصر ، ١٩٦٣ ، ص ٢٣١ ، ٢٧٩ ، ٣٠٩ .

(٢٩) راجع التفاصيل التاريخية عند :

Sayyar K. Al - Jamil, *op. cit.*, vol. I, p. 15, vol. II, p. 61, vol. III, p. 555.

(٣٠) هناك أشارات لدينا تدل على حدوث بعض المشاحات
والمصادمات الفردية لبعض الشخصيات من العبريين

(٤) حقه أيضاً د. سليم التميمي ، وظهر بجزء واحد ، بغداد ،
١٩٧٧ .

(٥) أنظر : د. داود الجلي ، مخطوطات الموصل ، بغداد ،
١٩٢٧ .

(٦) للتوسع في هذه المفاهيم ، أنظر :

Sayyar K. AL - Jamil, *op. cit.*, vol. I, pp. 142 - 5.

(٧) خصص د. برسي كيب أطروحة حول موضوع "الموصل
والمؤرخون الموصليون خلال العهد الجليلي" أنظر :

Percy Kemp, *Mosul and Mosuli Historians of the Jalili Era 1726 - 1834*, D. Phil. thesis, Oxford, Oxford Univ., 1980.

(٨) من أبرز هذه الدراسات ، أنظر :

Robert Olson, *The Siege of Mosul and Ottoman-Persian Relations 1718 - 1743*, Indiana Univ., Indiana, 1975.

(٩) عدا مقالة رصينة للمؤرخ وروبرت منتران ، أنظر :

Robert Mantran, "Baghdad a'poque Ottoman", *Arabica*, Special vol., 1962.

(١٠) من أشهرهم : المؤرخ سوافجييه الذي أشهر بكتابه التأسيسية
عن "بلاد الشام" ، في حين أشهر المؤرخ شارل أندريه جوليان
في كتاباته عن "بلدان المغرب العربي" .. وهناك غيرها من
الفرنسيين .

(١١) أنظر كتابه الشهير :

S. H. Longrigg, *Four Centuries of Modern Iraq*, Oxford, 1925.

لقد ترجم هذا الكتاب للربية الأستاذ جعفر خياط تحت
عنوان : أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، وعلق عليه :
د. مصطفى جواد ، بغداد ، ط ٣ ، ١٩٦٢ .

(١٢) عباس المزاري المحامي ، تاريخ العراق بين احتلالين ، ٨
أجزاء ، بغداد ، ١٩٣٥-١٩٥٦ .

(١٣) القس سليمان صانع (المطران فيما بعد) ، تاريخ الموصل ، ٣
أجزاء ، ج ١ ، القاهرة ، ١٩٢٨ ، ج ٢ ، بيروت ، ١٩٤٠ ،

(١٤) للتوسع في طبيعة التوسع العثماني للعراق ، أنظر : د. سيار
الجميل ، "استراتيجية العراق وأثرها في نشوء الصراع
العثماني-الآرمني" ، مجلة أفاق عربية ، العدد ١٠ ، حزيران
١٩٨١ .

(١٥) الممثل ، سبق ذكره في ملاحظة ٢ ، ج ١ ، ص ١٣٦ . وأنظر :
عباس المزاري ، المصلد السابق ، ج ٤ ، ص ١٨٣ .

(١٦) للاستزادة عن طبيعة الجغرافية-التاريخية لولاية الموصل خلال
العهد العثماني ، أنظر : د. سيار الجميل ، "الحياة الاقتصادية
والاجتماعية لولاية الموصل خلال العهد الجليلي
١٧٢٦-١٨٣٤" ضمن أعمال المؤتمر الدولي الثاني للدراسات
العثمانية ، تونس ، آذار/مارس ١٩٨٦ .

(١٧) المصليات نفسها ضمن المرجع أعلاه ، ملاحظة رقم ١٦ .

(١٨) هذا ما توضحه دراسة الباحث المقارنة للمواصفات الاقتصادية
أقليمياً وإستراتيجياً للموصل ، والتي سجلها عدد من الرحالة

- (٥٥) أنظر ترجمة عصام الدين عثمان الدفترى العمري في "المقدمة" التي كتبها د. سليم التميمي لمحققة الروض النضر، الكتاب الذي تقدم ذكره: الملاحظة رقم ٣ اعلاه. أن الصفحة البطولية لهذا الرجل بحاجة للمزيد من الدراسات، فقد كان مناضلاً وأديباً ورجلاً إدارة من الطراز الأول.
- (٥٦) هو أحد أدباء الموصل اللامعين، وكان أستاذاً على مسمى... أنظر ماكتبه عنه د. محمد صديق الجليلي في ملحق به: ديوان حسن عبد الباقي الموصل، سبق ذكره آنفاً
- (٥٧) Sayyar K. Al – Jamil, *op. cit.*, vol. II, p. 346.
- (٥٨) *Ibid.*, vol. III, p. 861.
- (٥٩) *Ibid.*, vol. II, p. 465.
- (٦٠) *Ibid.*, vol. III, p. 1100.
- (٦١) *Loc. cit.*
- (٦٢) *Ibid.*, vol. II, p. 466.
- (٦٣) *Ibid.*, vol. III, pp. 1101 – 2
- (٦٤) *Ibid.*, vol. III, p. 939.
- (٦٥) J. Jackson, *Journey from India*, London, 1799, p. 76.
- وأنظر غيره من الرحالة الأجانب، وخصوصاً كريستيان نيور وايفز
- (٦٦) أنظر: ابن الأثير، المصطلح السابق، ص ٢٤٤-٢٤٥.
- (٦٧) عرفت د. محمد صديق الجليلي هذا الفن بقوله: وهي منظومات على أسلوب الموشحات في المديح النبوي الشريف أو التوسلات أو الأبيات الصوفية المتنوعة، منها ما هو من تلحين ناظم آيات الموشح نفسه (=التزلية)، ومنها ما نظم على الحان الأغاني التي كانت شائعة في عصر الناطم، كرامه الموسوم: التراث الموسيقي في الموصل، الموصل، ١٩٦٥، ص ٥.
- (٦٨) لقد جمع الباحث قبل سنوات عدة مئات من التزيلات الموصلية في ديوان كبير أشتغل عليه طويلاً، ولم ينشر بعد. وأشار إليه السيد محمد نايف الدبلي في مقدمة كتابه: ديوان الموشحات الموصلية، الموصل، ١٩٧٥، ص ٤-٧.
- (٦٩) افرد د. عادل البكري كتاباً عن الموسيقى الملائمة لعثمان المولوي الموصل، ونشاطاته وسفريات وإبداعاته في الفن والأدب. أنظر: د. عادل البكري، عثمان الموصل: الموسيقى الشاعر للتصوف، بغداد، ١٩٦٦.
- (٧٠) تزيلة نادرة للشاعر الموصل عبد الله راقم اغني أنضجها الباحث من ضمن أرشيفه الأدبي الذي يحتفظ به.
- (٧١) قارن تأنيلاً رواية حصار الموصل سنة ١٧٤٣ م كما جاءت عند محمد أمين الخطيب العمري في "المثل" وكما ترجمها د. بريسي كيمب في أطروحته (سبق ذكرها: ملاحظة رقم ٧) مع رواية الحصار نفسه كما أوردها ياسين الخطيب العمري في "الدركون" وكما حققها وعلق عليها د. سيار الجميل في أطروحته (سبق ذكرها: ملاحظة رقم ١).
- (٧٢) أنظر: ديوان حسن عبد الباقي الموصل، سبق ذكره، ص ٥٦.
- (٧٣) لم يزل أبناء الموصل من المثقفين القدامى يتناقلون هذا القصيد

- والجليلين. التفاصيل في المصدر اعلاه، ملاحظة رقم ٢٩.
- (٣١) التفاصيل في المصدر المشار اليه من ملاحظة رقم ٢٩.
- (٣٢) أنظر لاحقاً موضوع: "العلاقات الثقافية: نماذج وصور".
- (٣٣) عن تطور مثل هذه العلاقات وتكوين البيئة الاجتماعية، أنظر: Sayyar K. Al – Jamil, *op. cit.*, vol. I, pp. 15 – 24.
- (٣٤) أنظر ماكتبه د. محمد صديق الجليلي في أوراقه التي ضمها كـ "ملاحق" في تحقيقه: ديوان حسن عبد الباقي الموصل، الموصل، ١٩٦٦.
- (٣٥) ياسين الخطيب العمري، منية الأدباء في تأريخ الموصل الحلهاء، حققه ونشره: سعيد الديوه جي، الموصل، ١٩٥٣.
- (٣٦) أنظر بحث المؤرخ سعيد الديوه جي: "مدارس الموصل في العهد العثماني" مجلة سومر، المجلد ١٨، بغداد، ١٩٦٢.
- (٣٧) لمزيد من المعلومات عن التشكيلة الأسرية أنظر نتائج دراسة الباحث المذكورة اعلاه، ملاحظة رقم ٣٣.
- (٣٨) من المفيد مراجعة تحليلات المؤرخ بريسي كيمب في أطروحته أيضاً:
- Percy Kemp, *op. cit.*, pp. 133 – 168.
- (٣٩) أن التاريخ الشعري لكلمة "النين" هو: ١٠٨٣ الذي يقابل سنة ١٦٧٢-١٦٧٣ م.
- (٤٠) والقصيدة طويلة مذكورة في الدر المكنون... والآثار الجلية.
- (٤١) أنظر التفاصيل التي كتبها المؤرخ ستانفورد شو عن أحوال مصر الثقافية في كتابه: Stanford J. Shaw, *Ottoman Egypt in the Age of the French Revolution*, Cambridge, 1964, pp. 67 – 113.
- (٤٢) اشارات كثيرة عن هذه المدينة وغيرها من المدن الأقلية، أوردها كتاب "المثل" على وجه التحديد، وفي العديد من التراجم.
- (٤٣) القصيدة نفسها اعلاه. أنظر هامش رقم (٤٠).
- (٤٤) وردت في كتاب "الشهامة"، ص ١٥٤.
- (٤٥) وردت في كتاب "الدركون"، أنظر: Sayyar K. Al – Jamil, *op. cit.*, vol. II, pp. 349 – 350.
- (٤٦) المصدر نفسه اعلاه، أنظر: *Ibid.*, vol. II, p. 392.
- (٤٧) الشهامة، ص ١٢٣.
- (٤٨) أقتبس هذه الأبيات عن: د. عاد رؤوف، المرجع السابق، ص ٢٠٢.
- (٤٩) التفاصيل التاريخية في "الدركون"، أنظر: Sayyar K. Al – Jamil, *op. cit.*, vol. I, p. 137.
- (٥٠) *Ibid.*, vol. II, pp. 321 – 2; vol. III, pp. 816 – 819.
- (٥١) *Ibid.*, vol. II, p. 320; vol. III, p. 815.
- (٥٢) *Ibid.*, vol. II, p. 334; vol. III, p. 835.
- (٥٣) *Ibid.*, vol. II, p. 432, p. 472.
- (٥٤) *Ibid.*, vol. II, p. 393; vol. III, p. 956.

- على السنين، وقد وردت في أكثر من مصدر كالشامة والدر...
- (٧٤) ديوان، سبق ذكره، ص ٦١.
- (٧٥) هذه المعلومات التي وجدت في السنين الأخيرة عن "وثائق الكروايل (العقيد) تيلر" قد حللها كل من د. عبد العزيز سليمان نوار ود. عمار عبد السلام رؤوف.
- (٧٦) أنظر: القس سليمان صانع، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٤١، وأنظر أيضاً ما كتبه المؤرخ لوزيك في كتابه المذكور سلفاً.
- (٧٧) من المفيد في هذا المجال: مراجعة "سائمة الموصل" لسنة ١٣١١هـ.
- (٧٨) احيل القارئ الى ما كتبه الاستاذ صديق المدملوجي في كتابه عن: مدحت باشا، بغداد، ١٩٥٣.
- (٧٩) هكذا يمكن أن نقارن وضع كل من الموصل وبغداد مع تغييرات عدة جرت في بعض المياكل التي كان عليها المجتمع المدمشي في بداية القرن التاسع عشر، فنجد أن الوضع كان يتساقط وخطط المؤسسة العثمانية الحاكمة في أقاليم العراق وبلاد الشام. فكانت بغداد هي السبابة في تطبيق تلك الخطط، إلا أنها لا تتساقط مع الخطط التحديثية الكبرى التي كان محمد علي باشا قد بدأ بتطبيقها في مصر.
- (٨٠) أنظر: سليمان صانع، المصدر السابق، ج ١، ص ٣١٧-٣٢٠.
- وراجع مقدمة المستر هنري ليارد في كتابه الشهير:
H. Layard, *Niniveh and its Remains*, Vol. 2, London, 1849, pp. 213-4.
- (٨١) أنظر: عباس الزاوي، المصدر السابق، ج ٧ (= العهد العثماني الثالث)، بغداد، ١٩٥٥، ص ١٦٠.
- (٨٢) أنظر: سليمان الصانع، المصدر السابق، (غرائب الآثار)، ص ٢٠-٥٥. أيضاً من الأهلية فحص ما كتبه هرمزد رسام رجل التقنيات الشهير وهو موصلي الأصل أورني الثقافة:
- Hormuzd Rassam, *Ashur and the Land of Nimrod*, New York, 1897, p. 307.
- (٨٣) أنظر: ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت، ١٩٦٠، ص ٩٥. ومن المفيد في هذا الصدد أن أذكر ما كتبه قد سمعته قبل سنوات عن الاستاذ محمد علي السلطان - رحمه الله - اذ حدثني قائلاً: إن الأمريكيين كانوا قد أجروا اتصالات عدة في نهاية القرن ١٩ لإنشاء جامعة أمريكية بالموصل، وفعلاً اختاروا المنطقة الواقعة قرب محطة قطار الموصل الحالية والمجاورة لبناء الفنتصيلة البريطانية. وذلك على غرار الجامعة الأمريكية ببيروت. وقد قوبل هذا المقترح برفض عارم من أهالي الموصل، في حين نجحت البعثات الأمريكية في الشرق من تأسيس عدد من المدارس والكلليات في حواضر عربية أخرى.
- (٨٤) نجيب المفيدي، المستشرقون، ج ٣، القاهرة، ١٩٦٥، ص ١٠٥٢.

- (٨٥) سليمان صانع، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٢٣.
- (٨٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٢٤.
- (٨٧) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٢٦٦.
- (٨٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٣٢٤.
- (٨٩) عباس الزاوي، المصدر السابق، ج ٨، "حوادث سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٢م"، ص ٦٩-٧٠.
- (٩٠) سعيد الديوه جي، المرجع السابق، "المقالة كاملة".
- (٩١) د. داود الجبلي، المصدر السابق (نفس المعطيات السابقة)، وأنظر: سالم عبد الرزاق احمد، فهرس مكتبة الأوقاف العامة في الموصل، ٦ أجزاء، بغداد - الموصل، ١٩٧٦-١٩٧٧.
- (٩٢) استنتاجات عن معطيات أدبيات التراجم المذكورة سلفاً، أنظر: الملاحظة رقم ٢٧ أعلاه.
- (٩٣) سليمان صانع، المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٢٢-٣٢٥.
- (٩٤) عن الأرشيف الأدبي للشاعر عبدالله راقم افندي، الملاحظة رقم ٧٠ أعلاه.
- (٩٥) أنظر عنه: بهنام فضيل عباس، أقيمت يوسف داود: والد من رواد الفكر في العراق، بغداد، ١٩٨٥.
- (٩٦) الأرشيف نفسه، ومعلومات أفندي بها د. محمد صديق الجبلي - رحمه الله - قبل سنوات عديدة.
- (٩٧) عن الأرشيف نفسه أعلاه.
- (٩٨) له ديوان شعر وكتاب مطبوع تحت عنوان: "نور القمر في صيرة أمير المؤمنين"، طبعه حفيدته: محمود نشأت الفيضي، الموصل، ١٩٣٨.
- (٩٩) عثمان بك الجبلي، الحجة على من زاد على ابن الحجة، نشره د. محمد صديق الجبلي في الموصل، ١٩٣٧.
- (١٠٠) له ديوان مطبوع تحت عنوان "الترياق الفاروق أو ديوان عبد الباقي العمري"، طبع في النجف، ط ٢، ١٩٦٤.
- (١٠١) قام الشاعر محمد شيت الجورمد بنشر ديوان الملا حسن البراز الى جانب ديوانه في نسخة واحدة: المطبعة العامة الشرقية بمصر في محرم ١٣٠٥هـ / سبتمبر-أكتوبر ١٨٨٧م. ويقع الديوان في ١٣٩ صفحة، وتحت عنوان ديوان ملا حسن البراز. وأنظر عن الشاعرين عند سليمان صانع، المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥٨.
- (١٠٢) التفاصيل في: احمد محمد اختار، تأريخ علماء الموصل (جزوان)، د. ت. (أرخت مقدمته في ١٩٦١).
- (١٠٣) التفاصيل في: ذنون يونس الطائي، الانتباهات الاصلحية في الموصل في أواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني. (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الآداب / جامعة الموصل، ١٩٩٠، ص ١٩٦-٢٦٩.
- (١٠٤) من المهم جداً مراجعة كتابات الدكتور ابراهيم خليل احمد عن الموصل والنشورة في مجلة بين النهرين الموصلية.
- (١٠٥) أنظر: د. سيار الحميد، "انتاجية العراق: التكوين والانتشار القومي"، مجلة آفاق عربية، العدد (٩)، السنة (١٦)، البوكل، ١٩٩١، ص ٣٥.

حركة التربية والتعليم

د. ابراهيم خليل أحمد

مقدمة :

لذلك سجل القرن السابع عشر البدايات الاولى لتغيرات سياسية وإدارية واقتصادية وعسكرية وثقافية في الموصل ، منها ازدياد ارتباطها ببغداد^(٤).

وضع التعليم في الموصل قبل نشأة المدارس الحديثة :

ظلت المؤسسات التعليمية الشعبية ، المتمثلة بالكتاتيب والمدارس الدينية تقوم بدور كبير في تشكيل شخصية الإنسان الموصل حتى في اعقاب وقوعها بيد المغول سنة ١٢٦٠م (٦٦٠هـ). فقد احجم الغزاة المغول ، ومن بعدهم الفرس ثم العثمانيين عن التعرض لهذه المؤسسات خوفاً من ردود الفعل الشعبية^(٥). وكان من نتائج ذلك ، كما يقول المؤرخ عباس العزاوي^(٦) ، الاحتفاظ بالمعارف والعلوم ، فكانت خير واسطة للم شعث ، واستيفاء الحضارة ».

أ- الكتاتيب :

انتشرت الكتاتيب في أنحاء مختلفة من الموصل انتشاراً كبيراً. وما ساعد على ذلك أن الدولة العثمانية لم تكن ، في البداية ، تعد الخدمات التعليمية من اختصاصها ، وإنما من اختصاص الأفراد والجماعات^(٧). وكان التعليم في هذه المؤسسات مجانياً ، إلا أن الآباء عادة كانوا يسهمون في تقديم بعض الأموال الى المعلمين (الملاي) الذين يعلمون الاطفال : القرآن الكريم ، والكتابة والحساب^(٨). ولم تقدم الحكومة اية مساعدات مالية الى هذه

أبى السلطان العثماني سليم الاول (١٥١٢-١٥٢٠) بعد انتصاره على الفرس في موقعة جالديران سنة ١٥١٤ ، فرهاد باشا أحد قواده ، لأكمال احتلال الولايات المناخمة للحدود العثمانية - الفارسية. وقد أمر فرهاد باشا بيقلى محمد باشا بالسيطرة على الموصل واربيل وكركوك ، وقد تم احتلالها في ٤ أيار ١٥١٦. غير أن الحكم العثماني في هذه المناطق ظل قليلاً بسبب الموقف السليبي الذي اتخذته السكان من العثمانيين آنذاك^(٩). وبعد دخول السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠-١٥٦٦) ، ببغداد في ٣٠ كانون الاول سنة ١٥٣٤ ، وطرده الحامية الفارسية منها ، ارسل محمد باشا الى الموصل لتثبيت الحكم العثماني المباشر عليها. كما وافق على تعيين الشيخ راشد بن مغامس امير البصرة العربي والياً على البصرة شريطة أن يكون تابعاً لباشا ببغداد. واصبح العراق في عهد السلطان سليمان القانوني مقسماً الى اربع ولايات كانت الموصل واحدة منها^(١٠).

ولم تكن الموصل حين سيطر عليها العثمانيون غير بلدة صغيرة مسورة قليلة العمران ، ولا تحتفظ الا ببقية من شهرتها التجارية القديمة ولم يعرف عن احوالها غير عدم الاستقرار^(١١). ولقد اورد المؤرخون قوائم باسماء الولاة الذين حكموا الموصل في مطلع العهد العثماني ، ولعل علي باشا الربيعي (١٦٨٣-١٦٨٥) ، وكان عربياً من الموصل ، يعد من أشهرهم إذ عرف بعدله وحزمه فأصلح الولاية ، وتلافى الخلل الذي إلتاب المدينة قبل ولايته ، وعمل على إستتباب الأمن وقطع دابر اللصوص.

هذا^(١٣).

وعلى الرغم من ان معظم المعلمين كانوا يعدون عملهم جزءاً من واجباتهم الدينية، فانهم كانوا يتسلمون اجوراً من اولياء امور الاطفال. وتسمى تلك الاجور (الخميسية) لانها تعطى كل يوم خميس. ولم تكن الاجور محددة بل يقدم ذرو التلميذ ماتجوده به انفسهم. وقد يدفعون للمعلم اشياء عينية. ويمكث الطفل في الكتاب من مطلع الشمس حتى غروبها، باستثناء فترة الغداء الذي كان يتناوله في بيته. وللملا مساعد يسمى (خلفة)، واجبه الاشراف على الاطفال الجدد وحملهم على انجاز واجباتهم واخبار الملا بذلك ليعطيهم درساً جديداً وهكذا يستوعب الطفل القسم المطلوب منه لينتقل الى القسم الآخر^(١٤).

ذلك بالنسبة الى البنين الذين ينصرفون بعد اكالمهم التعلم في الكتاب الى الحياة العملية لاكتساب حرفة من الحرف. وقد يتجه قليل منهم الى المدارس الدينية ليكمل تعليمه. اما البنات فكن يرسلن الى (الملاية) وتعنى المعلمة هذه بتعليمهن القرآن الكريم وواجبات الدين الخفيف. وقد يكون الكتاب الذي تديره (الملاية) مختلطاً^(١٥).

ليس ثمة احصائية دقيقة عن عدد الكتابيات في الموصل خلال هذه المرحلة من تاريخها الحديث. إلا انه يمكن القول بانه لم يكن يخلو مسجد او جامع سواء في مدينة الموصل أو الاقضية والنواحي والقرى المرتبطة بها من كتاب.. ومعنى هذا ان العدد قد يتجاوز البضع مئات.. ويتحدث بعض ممن درسوا في هذه الكتابيات، فيشيرون الى اهميتها في تعلمهم القرآن الكريم ومبادئ الاسلام الخفيف.. وشعاره الدينية.. وفوق هذا وذاك دورها في ماعرفوا به فيما بعد من استقامة وسلوك حسن في التعامل مع الناس والحياة بكل مفرداتها التفصيلية. وكان من ابرز كتابيات الموصل، الكتاب الذي اشار اليه المؤرخ الموصل سيدي الديوب جي وهو كتاب الملا صالح (١٩١٦) في مسجد منصور الحلاج بباب المسجد في الموصل. وكان الملا صالح شيخا

الكتابيات التي ظلت تعمل وفق اساليب تعليمية متخلفة^(١٦). وكان للأقليات المسيحية واليهودية مؤسسات تعليمية تشبه في الغرض الذي من أجله انشئت كتابيات المسلمين ومدارسهم. فقد نهضت مدارس المسيحيين الدينية المنتشرة في الكنائس والاديرة بدور كبير في التعليم، ومعظم معلمي هذه المدارس من القسس والرهبان والشهاسة ويتلقى التلاميذ دروسهم باللغتين العربية والكلدانية^(١٧). اما اليهود فكان لديهم ما يسمى بـ (المدراش) وفيه يدرس التلميذ الدروس الدينية واللغة العبرية^(١٨).

كان الكتاب يديره معلم (الملا)، ولا يشترط في هذا المعلم سوى ان يكون من حفظة القرآن الكريم، وما يتطلب ذلك من معرفة القراءة والكتابة. ويتم التدريس في حجرة صغيرة في مسجد او في دار الملا أو في دكانه، حيث يجلس الاطفال على الحصى واضعين بين ايديهم القرآن الكريم، أو أحد اجزائه، ويحمل كل طفل معه الى الكتاب ريشة أو قلماً، وجبراً ولو حاضراً يستعمله في كتابة (الالفاء) أو العمليات الحسابية البسيطة. وكان هناك نوع من التعاون بين المعلم ووالد الطفل، فكان القول المشهور اذا أودع الوالد ولده عند المعلم ان يقول له: «لك اللحم ولي العظم». ويقصد بذلك ان للملا صلاحية واسعة في تربية الولد. وقد يستعمل القسوة في معاملة الولد الذي يشذ في سلوكه او يقصر في دراسته. ومن هنا فقد كان بعض الاطفال يغفرون من الكتاب^(١٩).

كان التعلم في هذه المؤسسات حراً، لا يخضع لنظم او قوانين. فالملا لا يلتزم بعدد السنوات في تربية الاولاد، لانهم يومئذ يتقدمون حسب قابلياتهم، فكانوا يختمون القرآن الكريم في فرص متفاوتة، كل حسب ذكائه واجتهاده. وعملية التعلم تتم بتحفيظ القرآن واصول الدين بتكرار مطرد، وطريقة التعلم فردية. إذ يُعد كل طفل صفاً قائماً بنفسه. وهنا يمكن القول بأن مبدأ مراعاة الفروق الفردية في عملية التعلم والتعليم هو من المبادئ التي تنادي بها التربية الحديثة في يومنا

جلبلاً ، يمتاز بهدوئه وشفقته ، وقدرته على إفاة الاولاد^(١٦) .

ومن التقاليد التي ارتبطت بالكتاتيب تلك الاحفالات التي تتم لمناسبة انجاز الاولاد ختمه القرآن الكريم .. اذ تقام للخاتم حفلة تنوبها لفترة حاسمة من حياة التلميذ ، وطبيعي ان يؤذن ختام القرآن ، بانتهاء مهمة الكتاب وفتح صفحة جديدة لاتقل من ناحيتها المعنوية عن شهادة الجامعة في الوقت الحاضر^(١٧) .

ب - المدارس الدينية :

اما المدارس الدينية التي وجدت في الموصل خلال العهد العثماني فلم تكن سوى امتداد للمدارس العربية في العصور الوسطى الاسلامية . وقد تنافس الولاة والتجار وابناء الأسر الثرية في انشاء المدارس الدينية بدافع الاخلاص للدين والوجهة^(١٨) فكانوا يوقعون لها مايلزمها ، ويسهلون للناس تلقي العلوم الثقيلة منها ، وجعلوا فيها خزانة كتب . كما كانوا يقدمون التسهيلات للطلاب^(١٩) .

وكانت الدراسة في تلك المدارس خلواً من العلوم العملية التي تفيد صاحبها في مواجهة الحياة^(٢٠) . ولم تستطع ان تسير روح العصر ، بل بعكس ذلك تقهقرت الى الوراء خلال العهود الأخيرة من الحكم العثماني لانها تجردت ، بالتدرج ، عن جميع العلوم العقلية وصارت تكاد لاتهتم بشيء غير العلوم الثقيلة^(٢١) . ولم تكن هناك مؤهلات ومتطلبات علمية تؤهل صاحبها للالتحاق بهذه المدارس ، وليس لها مديرون ولا اساتذة دائمون ، ولا اجور دراسية ، كما انه ليس للمدرسة موازنة ، ولا مدة معينة من السنوات للتخرج . لكن التعليم في هذه المدارس يمتاز بالحرية الواسعة النطاق ، فالطالب حُر في اختيار الاستاذ الذي يريد ان يتلقى عليه موضوعا من المواضيع والدراسة فيها تستمر طول السنة^(٢٢) . وهدفها لم يكن اكتساب معرفة جديدة بقدر ما كان التمكن الى أقصى حد ممكن من المادة التي انتجتها الاجيال السالفة . ومع

هذا فقد كان للمدارس الدينية في الموصل دور مهم في الحفاظ على اللغة العربية والتراث العربي الاسلامي^(٢٣) . كما انها استطاعت ان تلبي احتياجات المجتمع العراقي حتى نشوء المدارس الحديثة في القرن التاسع عشر^(٢٤) .

كانت اهداف المؤسسات الدينية التقليدية منسجمة مع اهداف الدولة العثمانية في اعداد وتربية ابناء البلاد . فالهدف الذي انصرفت جهود العثمانيين قروناً طويلة الى بلوغه هو ان يحملوا العراقيين على التوجه بولائهم للدولة وللسلطان - الخليفة العثماني . لهذا اهتمت الدولة بالتعليم الديني بحكم طبيعتها كدولة ثيوقراطية يحتل فيها علماء الدين مركزاً اجتماعياً مرموقاً وتأثيراً في توجيه الحكم^(٢٥) وقد استمر ذلك حتى قيام الحكومة العثمانية بتأسيس مدارس حديثة على النمط الاروبي ، تجهز الدولة بما تحتاجه من الموظفين والكتب . لذلك فقدت المؤسسات التعليمية الدينية اهميتها ، وقل اقبال الطلاب عليها ، وصار عددها يتناقص وتأثيرها يضعف في المجتمع ومع هذا فقد ظلت تعمل جنباً الى جنب مع مؤسسات التعليم الرسمي الحديثة^(٢٦) .

ان من اقدم المدارس الدينية التي اشتهرت في الموصل في مطلع العهد العثماني ، المدرسة اليونسية وكان يدرس فيها مراد بن عثمان العمري (ت ١٦٨٠) ثم المدرسة المجرسية وكان المدرس فيها محمود بن عبد الله الحنفي (ت ١٦٧١) وكان يختلف اليها الطلبة الذين لم يشتر احد منهم ودروسهم لاتتعدى الدروس الفقهية فقط . اما في مطلع القرن الثامن عشر فترى الاقبال على المدارس الدينية ، أكثر مما كان في القرن السابق له . واشتهر يومئذ في التدريس الشيخ عبد الله الرثكي المعروف بالمدرس (ت ١٧٤٦) والشيخ يوسف النائب (ت بعد ١٧٦٢م) والشيخ جرجس بن درويش (ت ١٧٢٧) وكانوا يدرسون زيادة في علوم الفقه واللغة شيئاً في علم الحساب وعلى النحو الذي لاتتعدى المعلومات فيه ما يقتضيه درس

واسهمت أسر موصلية أخرى في حركة تشييد المدارس. ففي سنة ١٧٨٦ أنشأ الحاج زكريا التاجر مدرسته، وأوقف عليها مائتي مجلد من الكتب. وفي السنة ذاتها قام أحمد أفندي بن بكر بن علوان كاتب العربية ببناء مدرسته وانتهى منها سنة ١٧٨٧. وبنيت في الفترة ذاتها مدارس أخرى منها مدرسة عثمان الخطيب ومدرسة ابن الحبار ومدرسة جامع التوكندي (٣٢). ومدرسة جامع باب الطوب، ومدرسة الاحمدية، ومدرسة الشيخ أبي العلا، ومدرسة الجليبي ومدرسة الخزندار. وما يلحظ أن الأسر الموصلية كانت تتسابق فيما بينها لإنشاء المدارس وتقديم ما تحتاج اليه من عون مادي. ومن يراجع قوائم المخطوطات التي دونها داؤد الجليبي في كتابه «مخطوطات الموصل» والمخطوطات التي تضمها مكتبة الاوقاف في الموصل او مكتبات الاسر الموصلية ذاتها يقف على المدى البعيد الذي نهضت به تلك الاسماء في مجال العلم والمعرفة.. وقد وصل الامر ببعض الباحثين الى القول بان كل جامع او مسجد في الموصل، وكل بيت معروف، كان مدرسة يؤمها طلاب العلم.. ومن هنا فان العشرات من هذه المدارس كانت تنتشر في رحاب الموصل، وكان هذه الرحاب جامعة كبيرة او مؤسسة علمية واسعة تلفت النظر.. وبعض هذه المدارس لا يزال، حتى يومنا هذا، ماثلاً أمام العيان بمخطوطه ومخاربه وجدرانه. إلا ان اغلب هذه المدارس أصبح في عداد الدوارس (٣٣).

اما مناهج الدراسة في تلك المدارس، فقد تطورت واتسعت عما كانت عليه في مطلع العهد العثماني.. اذ لم تقتصر المواد على علوم القرآن واللغة العربية، وانما درست كذلك علوم المنطق والفلسفة والعلوم الرياضية والفلك والطب والموسيقى (٣٤) وكانت اهم كتب التدريس المعول عليها يومئذ بعض الشروح كشرح الشمسية المطول، وشرح الهداية وبعض شروح الدواوين الادبية وشروح

وقد تأسست في الربع الاول من القرن الثامن عشر، مدارس دينية مهمة، كان من أبرزها، مدرسة جامع الاغوات التي شيدها خليل أغا بن عبد الجليل سنة ١٧٠٢م، ومدرسة الحاج محمود بن علي التومة المشيدة سنة ١٧٠٨ ومدرسة محمد أغا السعري المشيدة سنة ١٧١٥ ومدرسة ياسين أفندي العمري (ت ١٧٢٢) ومدرسة جامع النبي جرجيس التي فتحها اسماعيل أغا بن عبد الجليل لتدريس القراءات والعلوم القرآنية (٢٨).

وخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر شهدت الحركة الثقافية في الموصل نمواً ملحوظاً. وكان لتولي الجليلين الحكم فيها بين سنتي ١٧٢٦ - ١٨٣٤ اثر كبير في تشجيع حركة التعليم، وانشاء المدارس الدينية. مما ادى الى ان تصبح الموصل من المدن التي تشد اليها الرحال، يؤخذ من علمائها وادبائها ويستعان بهم للتدريس في الولايات المجاورة (٢٩). وكان من اهم المدارس الدينية التي انشأها الجليليون مدرسة جامع الباشا سنة ١٧٥٥ والتي عرفت كذلك بالمدرسة الامينية نسبة الى محمد امين باشا الجليبي والي الموصل انذاك. وفي سنة ١٧٦٦ انشأت رابعة خاتون بنت اسماعيل باشا الجليبي داراً لتدريس القرآن الكريم في جامعها الذي بنته، فكان اول من درس فيها شيخ القراء في المدرسة، على ان دروسه لم تقتصر على العلوم القرآنية فحسب، بل اتسعت لتشمل علوماً أخرى. وانشأ عثمان بك بن سليمان باشا الجليبي (١٧٦٤ - ١٨٢٩) في الجامع نفسه مدرسة أخرى سميت بالمدرسة العثمانية نسبة اليه، وكان هو اول من درس فيها، وأوقف عليها كتباً كثيرة (٣٠) وثمة مدارس أخرى انشأها الجليليون منها المدرسة الحسينية التي شيدها حسن باشا بن الحاج حسن باشا الجليبي سنة ١٨١٦ ومدرسة يحيى باشا الجليبي التي شيدت سنة ١٨٢٥ ومدرسة الحجابات، التي قامت على بنائها الحاجة عادلة والحاجة فتحية ابنتا

الاجازة تتيح له التدريس مستقبلاً بما أجزبه . ولا تمنح الاجازة الا لمن قضى في رحاب العلم سنوات ، وخضع لاختبارات استاذة ، وحل محله في تدريسه ، واجتاز ماهو مكلف به من كتب ومواد وموضوعات (٣٦) .

وقد وجدت مستلزمات الدراسة والتعليم والثقافة في الموصل أرضاً خصبة ، ففضلاً عن بناء المدارس ووقف المخطوطات والمصادر ، أوقف البناة انفسهم او غيرهم مخصصات مادية للمدرسين والطلبة والقايمين على ادامة المدرسة ، ورعاية شؤونها. كما بنوا غرقاً في عدد من المدارس لسكنى الطلبة الغرباء وذوي الاماكن البعيدة ، وسكنى المدرس نفسه ، ان لزم الأمر . وكان بعض الواقفين يشترط عدم خروج المصادر خارج المدرسة ، بل الافادة منها داخلياً فقط وعندئذ يضطر الطلبة الى نسخ ما يرغبون فيه من المعلومات (٣٧) .

لقد بقيت حركة التعليم الديني في الموصل ، تمارس دورها حتى بعد انشاء المدارس الحديثة.. وبرز شيوخ وأساتذة وعلماء ذاع صيتهم ليس في الموصل وحدها ، بل وفي بقية انحاء العراق واجزاء من الوطن العربي.. ومن هؤلاء الشيخ محمد الرضواني (١٨٥٣-١٩٤٢) والشيخ أحمد الجوادي (١٨٦٧-١٩٥٨) والشيخ فائق الديوبني (١٨٨٩-١٩٦١) والشيخ عبدالله النعمة



• الشيخ فائق الديوبني .

الفرائض وعلم الحساب في رسالة الحساب للبهائي . اما في الطب فكانت مؤلفات الاغريق المعرفة وكتب ابن سينا وابن داود وغيرها من الاطباء والكحالين العرب تعد المرجع الاساسي لكل معرفة طبية . كما ترجم محمد الجليبي الطبيب الموصل (ت ١٨٤٦) كتاباً طبياً قيمة من اللغة اللاتينية . وقام بعض العلماء والادباء بتأليف كتب للتدريس في المدارس الدينية ، وكانت تدور حول العلوم القرآنية ، والفقه واللغة والمنطق والفلك والحساب والطب وغيرها من العلوم . وقد اخذ المدرسون ، كلما اقتربوا من نهاية القرن الثامن عشر ، وبسبب الاحتكاك بالغرب الاوربي يتوسعون في الدروس . وسهقت المهمة بالكثيرين الى ان يرحلوا الى المناطق المجاورة كبلاد الشام واسطنبول ، والقاهرة وبلاد المغرب العربي لاغراض الدراسة والتدريس .. وقد اشتهر يومئذ في التدريس الحاج محمد العبدلي (ت ١٧٥٠) والسيد موسى الحدادي (ت ١٧٧٢) والشيخ حمد الجميلي (ت ١٧٥٦) والشيخ سليم الواعظ (ت بعد ١٧٤٧) والشيخ اسماعيل بن ابي جحش (ت ١٧٢٧) والشيخ يونس النائب (ت ١٧٣٧) . والشيخ مصطفى الصباغ (كان حياً حوالي ١٧٨٥) والشيخ علي الوهسي الجفعتري (ت ١٧٨٧) والشيخ جرجيس الاربلي (كان حياً سنة ١٧٨٧) والملا احمد بن الكولة الموصل (ت ١٧٥٩م) والملا ابراهيم الجيش (ت ١٧٧٦) والسيد خليل البصير (ت ١٧٦٢) وخير الله بن محمود العمري (ت ١٧٦٨) والشيخ علاء الدين الموصل (ت ١٧٦٨) والشيخ عبد الله باشاعلم (ت ١٨٧٩) وعبدالله بن مصطفى الفضي (ت ١٨٩١) وسليمان بك بن مراد بك الجليبي (ت ١٩٠٨) وغيرهم (٣٥) .

وكان الطالب ، بعد ان يجتاز بنجاح قراءة وتفهم مواد الدراسة العقلية فيها والنقالية ، ينال (الاجازة) في الفرع الذي أتقنه وبرز فيه . وهذه

الولايات^(٣٩). لذلك فإن أقدم المدارس الحديثة التي تأسست كانت المدارس العسكرية. ثم تأسست المدارس المدنية. وتؤرخ بدايات التعليم الرسمي الحديث في الدولة العثمانية بالفترة الواقعة بين سنتي ١٧٩٣ - ١٧٩٥ حين أنشأ السلطان سليم الثالث (١٨٠٧ - ١٨٠٩) عدداً من المدارس العسكرية. وفي عهد السلطان محمود الثاني (١٨٠٨ - ١٨٣٩) تأسست مجموعة من المدارس المدنية (الابتدائية والثانوية)^(٤٠) وكانت مهمة تحديث التعليم وإجراء تغيير في بنية التعليم العثماني من اختصاص (مجلس الامور النافعة) الذي نشر



• الشيخ عبدالله الحسو (١٨٩٠-١٩٦٠)

(١٨٧٤ - ١٩٥٠) والشيخ عثمان الديوهجي (١٨٦٨ - ١٩٤١) والشيخ عبدالله الحسو (١٨٩٠ - ١٩٦٠) والسيد محمد حبيب العبيدي (١٨٨٠ - ١٩٦٠) والشيخ عثمان بن محمد عبيد الجبوري (١٩٠٩ - ١٩٨٤) وغيرهم من الذين كان لهم دور كبير في الحفاظ على التوجه الديني لمدينة الموصل، والتأكيد على استمرار تقاليد التعليم المتوارثة والتحكم من الثقافة الدينية مع الحرص على ادخال أساليب حديثة في التدريسات. وقد اتضح ذلك من خلال المشاريع التعليمية التي تعهدها هؤلاء وأحاطوها بالرعاية وفي ذلك المدرسة الاسلامية التي تأسست في الموصل سنة ١٩١٩^(٣٨).

نشأة المدارس الحديثة :

ظهرت في الدولة العثمانية منذ النصف الثاني في القرن الثامن عشر محاولات اصلاحية عدة ، تناولت اجهزة الحكم والمؤسسات المختلفة. وكان الجيش هو الميدان الاول الذي اتجهت اليه الاصلاحات ، وذلك لما كان يعانيه من تخلف ظاهر في التدريب والتسلح أخذ يظهر واضحاً في تكرار الهزائم العسكرية واستمرار الثورات في مختلف



• الشيخ عبدالله النعمة ١٨٧٣-١٩٤٩م.

سنة ١٨٣٨ تقريراً دعا فيه الى الاهتمام بالتعليم الابتدائي اساساً صلباً لتقدم التعليم^(٤١) وقد نال التعليم قسطاً وافراً من اهتمام المصلحين العثمانيين خاصة بعد صدور المرسومين الاصلاحيين (خطي شريف كلخانة ١٨٣٩) و (خطي شريف همايون ١٨٥٦). وفي آب ١٨٤٦ صدر قانون اصلاح النظام التعليمي ، وفي ٢٠ ايلول ١٨٦٩ صدر نظام المعارف العمومي (معارف عمومية نظامنامه سي) والذي بموجبه نشأ نظام مدني كامل للتعليم الرسمي التابع للدولة مباشرة^(٤٢).

لقد نص القانون على تقسيم التعليم الى درجات ثلاث : وهي المرحلة الابتدائية (مكاتب الصبيان) ومدتها اربع سنوات والمرحلة المتوسطة (المكاتب الرشدية) ومدتها ثلاث سنوات والمرحلة الثانوية

(المكاتب الاعدادية) ومدتها أربع سنوات. ويضاف الى ذلك المدارس السلطانية ومدة الدراسة فيها (١٢) سنة الخمس الاولى منها ابتدائية. وإلى جانب ذلك مدارس الصنائع ودور المعلمين وبعض المعاهد العالية^(٤٣). وكانت موضوعات الدراسة في المدارس الابتدائية تتألف من عدد من المواد اهمها: الف باء، القرآن الكريم، مبادئ الحساب، مختصر التاريخ العثماني، مختصر الجغرافية، معلومات ناعمة (اشياء وصحة). اما منهج المدارس الرشدية فيتضمن: قواعد اللغة التركية، وعلم الحساب، ومبادئ الهندسة، والتاريخ العام، والجغرافية، والجمناستيك، والرسم. ويحتوي منهج المدارس الاعدادية على الاقتصاد والحساب واللغة الفرنسية والجغرافية، والهندسة، والتاريخ العام، والمنطق، وعلم المواليذ (علوم الحياة) والكيمياء، والجبر، والرسم^(٤٤).

ومع ان تأثير حركة الاصلاحات العثمانية في مجال التعليم لم يظهر في بغداد الا بعد تعيين مدحت باشا والياً عليها سنة ١٨٦٩، فإن الموصل كانت السباقة في إنشاء المدارس الحديثة. إذ أن أول مدرسة حديثة أسست فيها يرجع تاريخها الى عهد حكم كنعان باشا ١٨٦١م - ١٢٧٨هـ. فقد فتح هذا مدرسة حديثة سنة ١٨٦١ وكانت تضم صفوفاً ابتدائية ورشدية (متوسطة)^(٤٥) ويتحدث سليمان صايغ^(٤٦). عن حركة انشاء المدارس الحديثة في الموصل فيقول: «ثم اتسع نطاق المعارف تدريجياً، حتى تعددت هذه المكاتب (المدارس) الابتدائية في الموصل وفي قرأها المجاورة، مع بقاء المدارس الوطنية (الاهلية) الاسلامية والمسيحية. ثم أنشأت الحكومة العثمانية مكاتب رسمية أرقى درجة من الابتدائية. فكان في الموصل حوالي سنة ١٣٣٠هـ (١٩١٢م) مكتب اعدادي .. وست مدارس أولية رسمية عدا مدارس الجوامع ومدارس الطوائف للذكور والاناث. ثم أنشأت الحكومة العثمانية دار

المعلمين ومدرسة للصنائع^(٤٧). وقد احدثت هذه المدارس حركة علمية بين الاهالي، إلا ان هذه الحركة كانت دون ما تستحقه الموصل، بالنظر الى مركزها التاريخي والاقتصادي.

ومنذ مطلع سنة ١٨٨٠ اهتمت الحكومة اهتماماً ملحوظاً بالتعليم، وظهر ذلك واضحاً في الموافقة على تأسيس مجالس للمعارف في كل ولايات الدولة. وقد تأسس مجلس معارف الموصل سنة ١٨٨٤. وكان في الموصل مديرية للمعارف تضم مدير المعارف، وبضعة موظفين بينهم المحاسب والكاتب وأمين الصندوق. وقد ارتبطت مجالس المعارف في الولايات بديوان وزارة المعارف في استانبول العاصمة^(٤٨) وتعد السنة ١٨٨٩ بداية اهتمام الحكومة العثمانية بتوسيع نطاق المدارس في ولاية الموصل. ولم يكند ينتهي القرن التاسع عشر حتى أخذ عدد المدارس الابتدائية يزداد ليصل سنة ١٩٠٥ الى (٣٠) مدرسة^(٤٩).

لقد شهدت هذه الفترة نمواً ملحوظاً في المدارس الخاصة (الاهلية والاجنبية) وذلك بعد أن أدخلت هذه المدارس اللغة العربية والعلوم الحديثة ضمن مناهجها الدراسية المقررة. ففي الموصل غدا نشاط الآباء الدومنيكان التعليمي أكثر اتساعاً من ذي قبل. وكانت هذه الارشالية التبشيرية تلقى مساعدات مالية من بعض الحكومات الاوربية وخاصة فرنسا^(٥٠). ومن المدارس التي فتحوها مدرسة الراهبات المعروفة ب (اخوات المحبة) سنة ١٨٧٣. وقامت هذه المدرسة بنصيب وافر في تعليم البنات الموصليات وتدريبهن على الاشغال البيتية كالخياطة والتطريز^(٥١).

كما ازداد الاقبال على مدرسة الدومنيكان الابتدائية التي تأسست منذ سنة ١٨٥٤ واصبح عدد طلابها سنة ١٨٧٥ (١٢٢) طالباً يدرسه (٤) معلمين^(٥٢).

إن أبرز ما كان يميز السياسة التعليمية العثمانية

أوضاع التعليم في الموصل ١٩٠٨ - ١٩١٨ :

شهدت الحركة التعليمية في العراق بعد الانقلاب العثماني الدستوري في ٢٣ تموز ١٩٠٨ أحداثاً بارزة لعل في مقدمتها ان الاتحاديين حرصوا على استخدام المدارس لنشر أفكارهم ومبادئهم السياسية المستندة الى شعارات الحرية والعدالة والمساواة. ولم يكتفوا بذلك، بل أسسوا مدارس ابتدائية ملحقة بجمعية الاتحاد والترقي، وحاولوا جعلها مدارس نموذجية وعينوا لها معلمين من بين اعضاء الجمعية بلقنن الطلاب اهداف الجمعية ومبادئها السياسية. وكانت الموصل واحدة من الولايات التي تأسست فيها مدرسة من مثل هذا النمط^(٥٩).

خلق الانقلاب العثماني، وعودة الحياة الدستورية ثانية^(٦٠)، ظروفاً جديدة ملائمة ومشجعة للنشاط الثقافي، وللتوسع في الخدمات التعليمية. فقد شهدت الموصل في أعقاب ذلك حركة محدودة النطاق على الصعيدين الرسمي والشعبي لانشاء المدارس الحديثة. فعلى الصعيد الرسمي تم فتح مدارس ابتدائية جديدة. وحظيت قضايا التفتيش (الاشراف التربوي) بالاهتمام. كما دخل النشاط غير الصفي الى المدارس الرسمية في العراق لأول مرة. وبعد ١٩٠٨ ادخلت مادة الرياضة البدنية وعرف العراقيون الكشافة سنة ١٩٠٩^(٦١).

اما على الصعيد الشعبي فقد اتسعت حركة المطالبة بتأسيس المزيد من المدارس، وجعل لغة التدريس فيها باللغة العربية. وقد اتخذت هذه الحركة من الصحافة والمجالس العمومية للولايات ومجلس المبعوثان (النواب) ميادين لاثارة هذه المطالب الحويوية. وقد أشرنا فيما سبق الى موقف الصحافة.. ونشير هنا الى ان نواب ولاية الموصل

خلال العقد الذي يبدأ بسنة ١٨٩٠ هو حرصها الشديد على تطوير المدارس الرشدية، وخاصة بعد ظهور الحاجة الى خريجيها في الوظائف الحكومية^(٥٣). وقد نجحت هذه السياسة كثيراً حتى ان معظم العاملين في الدوائر الحكومية في العراق منذ نهاية القرن التاسع عشر لم يكونوا من الاترك، وانما كانوا من المواطنين العراقيين الذين تلقوا تعليمهم في المدارس الحديثة. ولقد اظهرت احصائيات سنة ١٩٠٠ ان هناك (١٧) مدرسة رشدية موزعة في العراق مجموع طلابها (١٢١٨) طالباً يعلمهم (٥٠) مدرساً ولم يكن هناك في السنة ذاتها سوى مدرستين اعداديتين الاولى في بغداد والثانية في الموصل. وكان عدد طلاب الاولى سنة ١٨٩٨ - ١٨٩٩ (١٠٧) طالباً في حين كان عدد طلاب الثانية (٣٤١) طالباً^(٥٤) اما بالنسبة للمدارس الرشدية للبنات فقد تأسست في الموصل بعد سنة ١٨٩٩ مدرسة رشدية حديثة^(٥٥).

قررت السلطات العثمانية فتح دور للمعلمين، وذلك بعد التوسع الذي حدث في التعليم الابتدائي وظهور مؤسسات تقوم باعداد المعلمين، فافتتحت حوالي سنة ١٩٠٠ دار للمعلمين في الموصل^(٥٦). وكانت مدة الدراسة في هذه الدار ثلاث سنوات بعد المرحلة الرشدية. ثم زيدت الى أربع سنوات. أما أبرز الدروس التي كان يتلقاها الطالب فيها فهي اصول التدريس واللغة التركية والرياضيات والعلوم الطبيعية والتاريخ^(٥٧).

أرتفع عدد المدارس الرشدية بعد سنة ١٩٠٠. ففي ولاية الموصل اصبح عددها بين سنتي ١٩٠٠ و ١٩٠٥ (١٤) مدرسة بعد ان كانت (٦) مدارس. اما في ولاية بغداد فقد اصبحت للفترة ذاتها (١٩) مدرسة سنة ١٩٠٥ بعد ان كانت سنة ١٩٠٠ (٥) مدارس فقط^(٥٨).

وأبرزها الايمان باللامركزية بين الاهالي ومنهم الطلاب^(٦٦).

استجاب الاتحاديون لبعض مطالب الاهالي ، والمؤتمر العربي الاول الذي عقد في باريس بين ١٨ - ٢٣ حزيران ١٩١٣ . اذ أصدر الباب العالي في آب ١٩١٣ قراراً يقضي بأن يكون التدريس في دور المعلمين أو المدارس الاعدادية باللغة العربية . أما دروس التاريخ والجغرافية فتدرس باللغة التركية . ولكن السلطات المحلية لم تكن جادة في تطبيق القرار . وكانت تعلق ذلك الأمر بقله

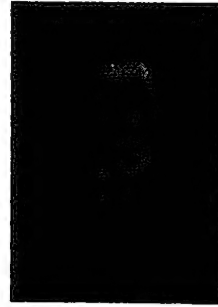
أثاروا قضايا تعليمية كثيرة في مجلس المبعوثان ، ومن ذلك دعوتهم للاهتمام بالتعليم الزراعي والمدارس الصناعية^(٦٧).

كما التفتت سلطات التعليم الى الكتابات ، فأمرت بإغلاق معظمها ، لأن اماكنها مغارة لقواعد حفظ الصحة والتعليم فيها ليس على اصول مرعية . ويبدو ان لشكاوي الاهالي المتكررة في أوضاعها أثر كبير في قيام الحكومة بوضع قانون لمراقبة الكتابات والتأكد من صلاحيتها مكاناً للتدريس^(٦٨).



• توفيق آل حسين (أغوا).

المعلمين الذين يستطيعون التدريس باللغة العربية^(٦٩) وقد أغتم بعض المثقفين الموصليين وخاصة من العاملين في الحركة القومية العربية والذين شكلوا فيما بعد جمعية العلم السرية سنة ١٩١٤ للنضال ضد الحكم العثماني ، الفرصة لوضع كتاب يتضمن أناشيد عربية حماسية وتسهيل شرحها بين طلبة المدارس . وما يلحظ ان هذه الأناشيد قد غلبت عليها الصبغة القومية التي تنغى بمجد العرب التاريخي واذكاء نار الثورة في أفئدة النشئ العربي . ولعل من أبرز الأدباء والشعراء الذين اسهموا في وضع الأناشيد التي جمعها ونشرها محمد سعيد الجليلي بعنوان «الاناشيد الموصلية للمدارس العربية» وطبعت سنة ١٩١٥ ، اسماعيل حقي فرج ، وتوفيق آل حسين ٣٤١



• اسماعيل حقي فرج .

وفي عهد ناظم باشا الذي عين والياً على بغداد في نيسان ١٩١٠ ، ومنح صلاحيات واسعة شملت ولايتي الموصل وبغداد تنامت الدعوة الى نشر التعليم وجعله في المدارس الابتدائية باللغة العربية . فقد أشارت جريدة (نينوى) مثلاً الى أن التعليم هو اساس كل نهضة قد تنمو وتزدهر^(٧٠) . وازدادت حدة المعارضة لجمعية الاتحاد والترقي ولفلسفتها المركزية في الحكم . وكان حزب الحرية والائتلاف الذي تأسس في استانبول في ٨ تشرين الثاني ١٩١١ من أبرز قوى المعارضة^(٧١) . وقد فتح هذا الحزب فرعاً له في الموصل منذ أواخر سنة ١٩١١ . كما سعى الى ترويج أفكاره ومبادئه السياسية

- (٧) عبدالعزيز سليمان نوار، الشعوب الاسلامية، (بيروت، ١٩٧٣)، ص ١٥٧.
- (٨) Fahih A. Al – Shaikhly, Education and Development in Iraq, with Emphasis on Higher Education, Ph. D. thesis Submitted to th Graduate school at the University of Massachuets, 1974, Unpublished p. 119.
- (٩) ساطع الحصري، مذكراتي في العراق، ج ١، ١٩٢١-١٩٢٧، (بيروت، ١٩٦٧)، ص ٤٣٧.
- (١٠) سليمان صايغ، تاريخ الموصل، ج ١، (القاهرة، ١٩٢٣) ص ص ٣٢٥-٣٢٧.
- (١١) خلدون ناجي معروف، الاقلية اليهودية في العراق بين ١٩٢١-١٩٥٢، ج ١، (بغداد، ١٩٧٥)، ص ص ٧٧، ١٣٦.
- (١٢) انظر: ابراهيم خليل احمد، حركة التربية والتعليم والنشر، ص ٢٩١.
- (١٣) المصدر والصفحة نفسها.
- (١٤) للتفاصيل انظر: سعيد الديوهجي «المكانب في العصر المظلم» مجلة العلم الجديد، السنة (١٠)، العدد (٦)، كانون الاول ١٩٤٦، ص ٢٢.
- (١٥) صحيفة الشيخ داود، أول الطريق الى النهضة النسوية في العراق، (بغداد، ١٩٥٨)، ص ٤٤.
- (١٦) سعيد الديوهجي يتحدث عن حياته ومؤلفاته ونشاطاته وجهوده العلمية، مطبوع على الآلة الكاتبة، توجد نسخة منه لدى الساحت، ص ١.
- (١٧) داود، المصدر السابق، ص ٤٤.
- (١٨) انظر: غانم سعيد العبيدي، التعليم الاهلي في العراق، (بغداد، ١٩٧٠)، ص ٣٩.
- (١٩) سعيد الديوهجي، مدارس الموصل في العهد العثماني، (الموصل، ١٩٦٢)، ص ٢.
- (٢٠) عبدالرزاق الهلالي، تاريخ التعليم في العراق في العهد العثماني ١٦٣٨-١٩١٧، (بغداد، ١٩٥٩)، ص ١١٧.
- (٢١) ساطع الحصري، حولية الثقافة العربية، ج ١، (القاهرة، ١٩٤٩)، ص ص ٣-٤.
- (٢٢) عبدالله فهد النجسي، في تطور العراق السياسي الحديث، (بيروت، ١٩٧٣)، ص ص ٥١-٥٣.
- (٢٣) انظر: يوسف عز الدين، الشعر العراقي: أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر، (القاهرة، ١٩٦٥) ص ٢١، وابراهيم الوائلي، الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر، (بغداد، ١٩٦١)، ص ١٠٢.
- (٢٤) الهلالي، المصدر السابق، ص ص ٩٣-٩٦.
- (٢٥) خالد الهاشمي، تجديد مناخ اعداد المعلمين في العراق، ترجمة عبدالعزيز البسام، (بيروت، ١٩٤٦)، ص ص ٦٦-٦٧.
- (٢٦) العبيدي، المصدر السابق، ص ٣٦.
- (٢٧) انظر: سليمان صايغ، تاريخ الموصل، ج ٢، (القاهرة، ١٩٤٩).

اغوان، وداود الملاح آل زيادة، والشيخ قاسم الشعار، ومحمد حبيب العبيدي. وكان معظمهم يدرسون في دار المعلمين او مدرسة النجاح في الموصل (٦٨)

وبعد اندلاع الحرب العالمية الاولى، ووقوف الدولة العثمانية الى جانب المانيا وحليفتها ضد بريطانيا وحليفتها، أقدمت بريطانيا على احتلال البصرة سنة ١٩١٤ ثم بغداد ١٩١٧. وقد واصلت مدارس الموصل نشاطها التعليمي وسط ظروف الحرب القاسية بعد احتلال ولايتي البصرة وبغداد.

وكانت الظاهرة المميزة في مدارس الموصل، هي تنامي النشاط القومي العربي وخاصة في دار المعلمين ومدرسة دار العرفان الابتدائية. فلقد اتخذ المعلمون القوميون من هاتين المؤسستين مكاناً لنشر الفكرة العربية وبث الشعور المعادي للاتحاديين. وقد استمرت هذه النشاطات السياسية حتى احتلال الانكليز للموصل، في تشرين الثاني. ١٩١٨ (٦٩).

الهوامش

- (١) للتفاصيل انظر: ابراهيم خليل احمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ١٥١٦-١٩١٦، (الموصل، ١٩٨٢)، ص ٤٢.
- (٢) اما الولايات الاخرى فهي: بغداد، البصرة، شهبزور انظر المصدر نفسه، ص ٤٤.
- (٣) للتفاصيل انظر: عبدالكريم غرابية، مقدمة في تاريخ العرب الحديث ١٥٠٠-١٩١٨، (دمشق، ١٩٦٠).
- (٤) انظر: ابراهيم خليل احمد، الموصل في العصور الحديثة، في عامر سليمان وآخرون، محافظة نينوى بين الماضي والحاضر، (الموصل، ١٩٨٦)، ص ٩١.
- (٥) ابراهيم خليل احمد، حركة التربية والتعليم والنشر، في نخبة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج ١١ (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٢٨٩.
- (٦) انظر كتابه: تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٤، (بغداد، ١٩٤٩).

- (٢٨) انظر: حماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، فترة الحكم المحلي ١٧٢٦ - ١٨٣٤، (النجف، ١٩٧٥)، ص ٤١٥.
- (٢٩) العبيدي، المصدر السابق، ص ٣٧.
- (٣٠) رؤوف، المصدر السابق، ص ٤١٧.
- (٣١) المصدر نفسه، ص ٤١٨ - ٤٢٠.
- (٣٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٠ - ٤٢١.
- (٣٣) سالم الحمداني، التعليم في الموصل في القرن التاسع عشر، مجلة اداب الرافدين، العدد (١٠)، آذار ١٩٧٩، ص ٤١٥.
- (٣٤) انظر: رؤوف، المصدر السابق، ص ٤٢٢.
- (٣٥) انظر: الصايغ، المصدر السابق، ج ٢، ص ١٣٤ وكذلك: داؤد الجلي، مخطوطات الموصل، (بغداد، ١٩٢٧)، ص ١٤.
- (٣٦) انظر: شريف بشير أحمد امين، الشعر في الموصل في القرن الثاني عشر للهجرة (١٨م)، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لكلية الآداب - جامعة الموصل ١٩٨٩. ص ٣١ - ٣٢.
- (٣٧) امين، المصدر السابق، ص ٣٢.
- (٣٨) للتفاصيل انظر: ذنون يونس حسين الطائي، الانتجاهات الإصلاحية في الموصل في اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت الى كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٩٠، ص ١٩٧ - ٢٠٠.
- (٣٩) انظر: إبراهيم خليل أحمد، تاريخ الوطن العربي في العهد العثماني ص ١٧٧ - ١٨٠.
- (٤٠) انظر: إبراهيم خليل احمد، تطور التعليم الوطني في العراق ١٨٦٩ - ١٩٣٢، (البصرة، ١٩٨٢)، ص ٢٩ - ٣٠.
- (٤١) عبد الوهاب القيسي، حركة الإصلاح في الدولة العثمانية وتأثيرها في العراق ١٨٣٩ - ١٨٧٧، (بغداد، ١٩٦١) ص ٢ - ٣.
- (٤٢) للتفاصيل انظر: مجموعة التنتقيات المنشورة باسم (الدستور) ترجمها عن التركية نوفل عبدالله نوفل ج ٢، (بيروت ١٣٠١ - ١٨٨٤)، ص ٢١١ وكذلك احمد، تطور التعليم الوطني في العراق، ص ٣٢ - ٣٣.
- (٤٣) ابراهيم خليل احمد، اوضاع التعليم في العراق بين سنتي ١٨٦٩ - ١٩١٤، مجلة التربية والعلم، العدد (٣)، شباط ١٩٨١، ص ٤٥.
- (٤٤) المصدر نفسه، ص ٤٥.
- (٤٥) للتفاصيل انظر: الحلاي، المصدر السابق، ص ١٧٧؛ الصايغ، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٣؛ الحمداني، المصدر السابق، ص ٤١٨.
- (٤٦) انظر كتابه: تاريخ الموصل، ج ١، ص ٣٢٣.
- (٤٧) تأسست مدرسة للصنائع في الموصل سنة ١٨٧١ انظر: جريدة الزوراء ٢٨ شعبان ١٢٨٨ هـ (١٨٧١).
- (٤٨) احمد، اوضاع التعليم في العراق بين سنتي ١٨٦٩ - ١٩١٤،
- ص ٥٢.
- (٤٩) انظر: سليمان فيضي، في غمرة النضال، (بغداد، ١٩٥٢)، ص ٥٨ - ٥٩.
- (٥٠) ابراهيم خليل احمد، حركة التربية والتعليم والنشر، ص ٢٩٩.
- (٥١) صايغ، المصدر السابق، ج ١، ص ٣٢٣.
- (٥٢) ابراهيم خليل احمد، أوضاع التعليم في العراق بين سنتي ١٨٦٩ - ١٩١٤، ص ٥٣.
- (٥٣) John J. Diskin, The Genesis of the Government Educational System in Iraq. ph.D thesis Submitted to Graduate faculty in the School of Education, University of pittsburgh, 1971, Unpublished, p. 127.
- (٥٤) احمد، اوضاع التعليم في العراق بين سنتي ١٨٦٩ - ١٩١٤، ص ٥٥.
- (٥٥) الحلاي، المصدر السابق، ص ١٥٨ - ١٦٠.
- (٥٦) المصدر نفسه، ص ١٨٢.
- (٥٧) حنان عيسى الجبوري، مشكلات ادارة المدارس الثانوية في العراق، (بغداد، ١٩٧٠)، ص ١٨٢.
- (٥٨) جاسم محمد حسن، العراق في العهد الحيددي ١٨٧٦ - ١٩٠٩، رسالة ماجستير غير منشورة قدمت لكلية الآداب - جامعة بغداد سنة ١٩٧٥، ص ١٢٠.
- (٥٩) للتفاصيل انظر: عبدالمتم الغلامي، أسرار الكفاح الوطني في الموصل ١٩٠٨ - ١٩٢٥، ج ١، (بغداد، ١٩٥٨)، ص ٢٢.
- (٦٠) كان السلطان عبدالحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩) قد أوقف العمل بدستور سنة ١٨٧٦ بعد أشهر قليلة من توليه السلطة.
- (٦١) الحلاي، المصدر السابق، ص ٢٢٨ - ٢٣٧.
- (٦٢) مجلس مبعوثان ضبط جريدة سي (محاضر مجلس المبعوثان) جلسة ١ أيار ١٩١٢.
- (٦٣) العبيدي، المصدر السابق، ص ٣٢.
- (٦٤) انظر: جريدة نينوى ٢٧ تشرين الأول ١٩١٠.
- (٦٥) توفيق علي بزو، العرب والترك في العهد الدستوري العثماني، (القاهرة، ١٩٦٠)، ص ٣٠٢ - ٣٠٤.
- (٦٦) Ghassan R. Atiyah, Iraq, 1908 1921, Apolitical Study, (Beirut, 1973), pp. 57 - 58.
- (٦٧) مجلة لغة العرب، السنة (٣)، ج ٥، تشرين الثاني ١٩١٣، ص ٢٧٦.
- (٦٨) انظر: محمد سعيد الحلبي، الاناشيد الموصلية للمدارس العربية، ط ٢، (الموصل، ١٩٥١) وكذلك ابراهيم خليل احمد وانشيد عربية موصلية، جريدة الحداية ٢ تشرين الاول ١٩٨٤.
- (٦٩) انظر: عبدالمتم الغلامي، السوانح (الموصل، ١٩٣٢)، ص ٩ - ١٠.

فَتَجِدُ كَلْبًا لِّكُتُبٍ

أ. د. عادل نجم عبو

تمهيد :

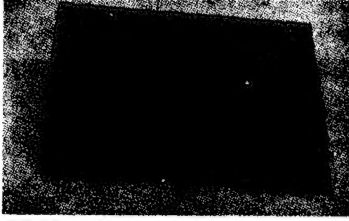
يعد تجليد الكتب جزءاً من فن الكتاب المتضمن الخط والتذهيب والتجليد. كما يشكل فن الكتاب بدوره جانباً من الفنون العربية الإسلامية فإذا بقصد بالتجليد؟ اتنا لانعني بالتجليد عملية جمع أوراق الكتاب وربطها وقصها وتغليفها بقدر ما نقصد به شكل الغلاف ونقوشه والجوانب الفنية فيه. إن فن التجليد إذن يرتبط بالشكل الحالي للكتاب، كما يرتبط الكتاب بالكتابة والتدوين وجمع المدونات وحفظها، فتنبى ظهر الشكل الحالي للكتاب؟ من المعروف ان هناك مادتين رئيسيتين للكتابة قبل شيوع استخدام الورق وهما: ألواح الطين في العراق، والبردي في مصر فضلاً عن المواد الأخرى مثل الجلد والعظام والخشب، وأن المادتين بعيدتان عن الشكل الحالي للكتاب، فأوراق البردي كانت تنظم بشكل أدراج تُلف على نفسها، وكانت ألواح الطين ذات أشكال مختلفة ومتفردة، فإن أراد المرء جمع نصوص ذات موضوع واحد وضعها في اناء خاص، ومع ذلك، فكلما الشكليات من اشكال التدوين كان يغلف، فالقسم الأخير من ملف البردي كان يعد عادة بشكل أكثر سمكاً من بقية الأجزاء ليحفظها، وكان للرقم الطينية المهمة غلاف طيني^(١) قليل السمك يحميها، ويحفظ أسرارها. وفضلاً عن هاتين المادتين استخدم الجلد والرق^(٢) من أحشاء الحيوان. ويبدو أن الشكل الاول للكتاب الحالي Codex قد ظهر مع الاستخدام الكثير للجلد والرق، فبدلاً من لصق الصفحات الواحدة بالأخرى لتشكل الملف أو الدرج، صارت ترتب بعضها فوق بعض على شكل رزمة ترتبط من أحد جانبيها الأيسر أو الأيمن.

كما كانت في بعض الأحيان ترتبط من جانبها العلوي^(٣). ويبدو أن هذا التحول قد حصل في مطلع التاريخ الميلادي، وكان لابد للكتاب من غلاف يمسك بين دفتيه صفحات الرق المتعددة وبذلك ظهر فن تغليف الكتاب^(٤) وكان هذا الفن من الفنون التي ازدهرت في مصر قبل الاسلام^(٥).

يبدوان فكرة صحائف الكتاب المرتبطة بعضها مع بعض من إحدى نهاياتها، والمغلقة بغلاف أي الشكل الحالي للكتاب كانت معروفة في العراق القديم أيضاً على الرغم من أن المادة الأساسية كانت العاج والخشب فقد كشف في كالخو (الفرود) عن نموذج من هذا النوع من العاج عده بعضهم أقدم أشكال الكتاب القديم في مادته وتجليده^(٦). ويؤرخ ذلك الكتاب من حوالي ٧٠٧-٧٠٥ ق. م، حيث أعده نحة متميزة من كتاب مقدم بنحو خاص لقصر سرجون الثاني في خورساباد^(٧) إلا أن هذا النموذج كان فريداً وليس ثمة تواصل لاستخدامه في العراق في حين كان هناك تواصل لهذا الفن في مصر قبل الاسلام ووصل الينا منها عدد من جلود الكتب بمختلف مراحل تطورها. فهناك اغلفة من ألواح خشبية عثر عليها في مصر^(٨).

تجليد الكتب في العصر الاسلامي :

على الرغم مما قيل عن تأثير الفنون القديمة على تجليد الكتب العربية الإسلامية، فإن الخصائص التي اكتسبها هذا الفن خلال العصر الاسلامي في مختلف الاقاليم قد جعلت منه فناً متميزاً بخصائصه.



الشكل (١)

جلد كتاب اسلامي من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي)

في القرن العاشر الميلادي (١٥).

لقي فن تجليد الكتب في المغرب رعاية خاصة ، وقد عرف لديهم «التفسير». ووصلت الينا مخطوطات توضح أساليبه وفنونه، ولعل أبلغ ما يصور الاهتمام بهذه الصناعة في المغرب ما قام به الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ - ٥٥٨ هـ / ١١٣٠ - ١١٦٣ م) من تحلية المصحف العثماني الذي كان قد وصل اليه هدية من أهل قرطبة فاحتفل لقبوله في مراكش احتفالاً عظيماً وصنع له خزانة وأغشية محلاة بالذهب والفضة. فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظاميين والحلائين والنقاشين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسميين والمُجلدين^(١٦). وعثر على اعداد كبيرة من جلود الكتب في القيروان وغيرها من مدن المغرب^(١٧) ترجع الى القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ونوع التنوع في الأساليب وفي استخدام العناصر الفنية فقد سادت في المغرب الزخارف المكونة من تقاطعات الأشطر^(١٨) لتكون حشوات نجمية أو مثلثات ومعينات.

ووصلت العناية بفن الكتاب بالمغرب أوجها في عصر الموحدين ، اذ يذكر أن السلطان أباً حفص عمر المرتضى كان يكتب المصاحف بخط يده^(١٩) ، واذا ما انتقلنا الى الشرق فانه على الرغم

ويُعد المصحف الشريف أول كتاب عربي ظهر على النحو الذي نعرفه اليوم على الرغم من الاعتقاد بمعرفة العرب له في جنوب الجزيرة العربية قبل الاسلام^(٢٠) خاصة وان مناطق معينة في الجزيرة قد اشتهرت بدباغة وصناعة الجلود ، وهو من الأمور المساعدة في اتقان صناعة التجليد ، فقد كان في منطقة صعدة في جنوب الجزيرة العربية صناعة متطورة للجلود ودباغتها والتي كانت من ضروريات تجليد الكتب ، وقد عرفت منطقة الطائف بجلود كتبها الفاخرة^(٢١). إن ارتباط عملية التجليد بالمصحف الشريف ، حباها مكانة متميزة لدى المسلمين ، فيذكر عنها احد المعينين^(٢٢) بهذه الصناعة في المغرب فيقول : «فهذه الصنعة الشريفة والبعيدة الظرفية التي يوأها الله تعالى أعلى الرتب وحظها بأن تكون حجاباً لكتابه المنتخب . ومع شرفها فلا يحملها إلا حامل لكتابه الكريم أو من يشارك في شيء من التعاليم».

وهناك الكثير من الاشارات والقرائن على وجود التجليد والاهتمام به في صدر العصر العباسي ، فلدينا ما يشير الى وجود جلود كتب فاخرة والى وجود مجلدين متميزين عن غيرهم من أقرانهم ومنهم من كان يعمل في خزانة الحكمة للامون^(٢٣). مع ذلك فان أقدم جلود الكتب الاسلامية التي وصلت الينا ترجع الى القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي ، ومن ابرزها غلاف كتاب محفوظ في متحف برلين معمول من الخشب المطعم بقطع من عاج وعظم وخشب بألوان مختلفة قوام الزخرفة فيه بائكة من عقود زينت خلفيتها وتفاصيلها بأشكال هندسية من مثلثات ومربعات ومعينات وأشكال نباتية مثل الأوراق النخيلية^(٢٤) ، ووزعت هذه العناصر الزخرفية جميعها ضمن حقول ناتجة عن تقاطعات هندسية (الشكل ١) واختلف الباحثون في تحديد تاريخ هذا الجلد. إذ يؤرخه بعضهم بين القرنين التاسع والعاشر الميلادي^(٢٥) ويؤرخه آخرون

الفارسية^(٢٦).

فن التجليد في الموصل :

اما في العراق قاعدة الخلافة والمركز العلمي والفكري للدولة العربية الاسلامية وميدان انتشار المدرسة الفنية في تزويد الكتب المعروفة بمدرسة بغداد أو المدرسة العراقية لا بد ان انتجت اعداداً كبيرة جداً من الكتب ، ولا بد أن يكون هناك اهتمام بتجليدها يوازي الاهتمام بتزويقها وخطها وتذهيبها ، الا ان الاختلافات الكبيرة في المناخ ، وتفاوت الجو بين حار جاف وبارد رطب ، فضلاً عن تعرض البلاد للكثير من الغزوات واهمال التخريب فقد أدت جميع هذه الامور الى فقدان وتلف اعداد كبيرة من الكتب وجلودها ، لذلك فان النماذج القليلة التي وصلت الينا من الفترة التي سبقت الغزو المغولي ، عند مقارنتها بما وصل الينا من جلود كتب بعد الغزو المغولي ، تدل على أن العراق كان المركز الذي انتشرت منه الطرز والاساليب الفنية الى بقية الاقاليم الاسلامية ، فنلاحظ فيه عنصر الصرة والتوريق الذي إنتشر استخدامه في المشرق ، في تركيا وإيران ، كما نلاحظ عنصر الأشرطة المتقاطعة الذي انتشر في مصر والمغرب . وفضلاً عن ذلك اظهرت النماذج القليلة التي وصلت الينا من العراق استخدام عنصر زخرفي لم يسبق مشاهدته من قبل في زخرفة جلود الكتب ذلك هو عنصر الخطوط الدقيقة المرتبة بحيث تكون اربعة مربعات^(٢٧).

وكانت الموصل ، باعتبارها جزءاً من العراق ، مركزاً من مراكز تطور الكتاب وفنونه من خط وتذهيب وتزويق وتجليد ، فكانت الساحة التي انتشرت فيها مدرسة الموصل في التصوير ، مع ذلك فان ما وصل الينا من جلود الكتب بعامة كان قليلاً ، ويرجع في الغالب الى فترات متأخرة . كما تشير الجلود التي وصلت الينا الى استخدام الفنان

ما قبل عن دور ايران ومساهماتها في تطوير الفنون^(٢٨) فان اقدم مانعرفه من جلود الكتب الايرانية يرجع الى نهاية القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي^(٢٩) ، حيث ظل المصريون والسوريون اسباب هذه الصناعة حتى أيام تيمورلنك في نهاية القرن الرابع عشر الميلادي حيث نقل الصناع والفنانون من الاقطار المغلوبة الى تركستان وفتح لهم ورشات خاصة بهم وفتنهم ويبدو أن المجلدين المصريين والسوريين حملوا صناعتهم بهذه الطريقة الى ايران والمشرق^(٣٠) . فبدأت منذ ذلك التاريخ فنون التجليد بالتطور والتنوع في حين كانت الخصائص العربية هي السائدة في هذا الفن قبل القرن الرابع عشر^(٣١) فتطورت وتنوعت أساليب وعناصر فن التجليد منذ القرن الرابع عشر وما بعده .

وظهر في القرن الخامس عشر الميلادي العكس المعدني المكون من قطعة واحدة ، وقد استخدم لضغط الجلد فأصبح متمماً للطريقة التقليدية القديمة الشائعة والتي كانت تستخدم عدة قوالب أو اختام صغيرة يختم بها الجلد عدة ختمات ، فتكون نتيجتها زخارف متنوعة اما هندسية او نباتية . فأصبحت جلود الكتب بمساعدة المكبس الكبير هذا ذات تصاميم متقنة^(٣٢) . ونشأت بعد هذه الفترة في ايران أو في غيرها من الأقاليم الاسلامية طريقة الزخرفة يرسم اللاكيزه وذلك منذ منتصف القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي^(٣٣) .

أما من ناحية العناصر الزخرفية فقد ظهر على جلود الكتب ظاهرة عامة حيث زينت الكثير منها بصورة مركزية تتوسط المتن وفي الأعلى والأسفل منها دلايتان صغيرتان ومقاطع تمثل ارباع هذه الصرة تزين الزوايا الأربع للمتن أو يقوم مقامها زوايا مثلثة مشظوفة . ومن المعتقد أن عنصر الصرة هذا نشأ في مصر ووصل الى ايران لأن ظهوره على جلود الكتب العربية كان أقدم من ظهوره على جلود الكتب

الموصلية لجميع العناصر والأساليب الفنية لتجديد الكتب والتي انتشرت في بقية الأقاليم العربية الإسلامية.



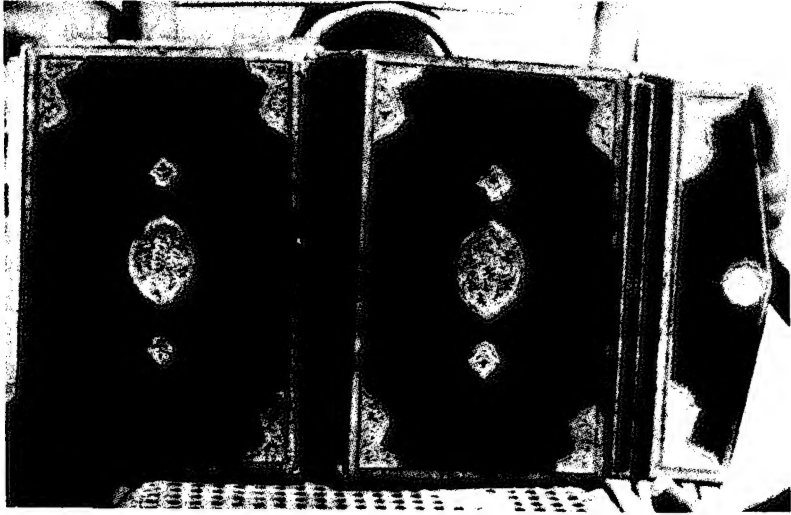
الشكل (٢)

جلد كتاب من الموصل من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي)

استخدمت في فن التجديد، فأستخدم الصرة أصبح من الامور الشائعة في تجديد الكتب منذ القرن السادس عشر الميلادي وما بعده (٣٠). وتشير المراجع الى وجود جلود كتب زاهية في الموصل، فقد ذكر أنه كان في بيت قاضي الموصل سنة ٦٦٠ هـ / (١٢٦٠ م) مصحف شريف بخط الخليفة عثمان رضي الله عنه وقد طبقوا جلده بالذهب وزوق بعناية فائقة وفي سنة ٦٦٠ هـ غزا التتر مدينة الموصل وانهبوا خزائنها وانهب المصحف المذكور وأخذ ما كان طبق على جلده من الذهب (٣١).

ونلاحظ في معظم جلود الكتب في الموصل، الأسلوب التقليدي في زخرفتها وذلك بوجود عنصر الصرة. فالشكل (٣) الموجود في الصفحة التالية يمثل جلد مخطوطة لكتاب جامع الاصول لابن الأثير، استنسخها محمد ملا خليل الملقب «حمو الكردي» في الموصل في شعبان عام ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م. وكانت المخطوطة محفوظة في مكتبة مدرسة يحيى باشا الجليلي في الموصل. وقوام زخرفة هذا الجلد إطار مجدول وبارز يدور حول المتن الذي توسطه صرة بيضوية مستنة بتصل بها

ومن اقدم جلود الكتب ذات المسحة الفنية والتي وصلت الينا هي جلد مخطوطة كانت محفوظة في جامع الباشا بالموصل لكتاب السياسة لأرسطوطاليس. طول الجلد (٢٥) سم وعرضه (١٨) سم ولا تحمل المخطوطة تاريخ نسخها ولكن الصفحة الأخيرة منها تتضمن عبارة يستدل منها على تاريخها وتقرأ العبارة: «هذا كتاب السياسة وقد كتب لخزانة السلطان المعظم والمولى الفخيم ملك ملوك الترك والعرب والعجم مولانا ومخدومنا السلطان مسعود بن مودود السلجوقي». ومن المعروف أن مسعود بن مودود (٢٨) قد حكم الموصل بين سنتي ٥٧٦ - ٥٨٩ هـ / ١١٨٠ - ١١٩٣ م غلفت دفئا الكتاب واللسان بجلد أحمر داكن عليه نقوش معمولة بالقالب، وقوام الزخرفة فيه: إطار من سلسلة من الدوائر يحيط بالمتن ويتوسط المتن صرة لوزية في الأعلى والأسفل منها دلايتان صغيرتان وملئت الزوايا الأربع للمتن بقطع زخرفية مستمدة من الصرة الوسطية، إذ ملئت الصرة والدلايات والزوايا بزخرفة التوريق على أرضية غائرة جداً (الشكل ٢). ونلاحظ الزخرفة ذاتها في تزيين لسان الجلد الذي تزين زاويتيهِ العناصر المزينة لزوايا متن الواجهة فضلاً عن صرة محوّرة توسط نهاية اللسان. وتكمن أهمية هذا الجلد بقدمه أكثر من أهمية عناصره الزخرفية، ففيه الكثير مما يدل على أن الموصل كانت جزءاً مهماً أسهم في استخدام وتطوير العناصر الزخرفية للتجديد في العالم الإسلامي، إذ نلاحظ في هذا الجلد استخداماً مبكراً لعنصر الصرة والدلايات المتصلة بها والإطار المحيط بالمتن كما نلاحظ فيه اللسان الذي يعزى الى العرب استخدامه في فن التجديد (٢٩). وهذه العناصر جميعها كانت من الخصائص العامة التي



الشكل (٣)

جلد كتاب جامع الاصول لابن الاثير

ولان في زوايا المتن اربع قطع زخرفية واحتوت الصرة والزوايا على زخارف من التوريق العربي تكسوه برادة الذهب مدموغة بمكبس ساخن . أما اللسان فقد زخرف بالاسلوب نفسه مع وجود صرة دائرية مسننة في نهايته . اما الجزء الداخلي من الجلد فنلاحظ فيه الاسلوب نفسه من الصرة والدلايات

والزوايا المسننة (الشكل ٤) إلا أن ارضيتها محبة ، في حين أن ارضية المتن حمراء . ويحيط بالمتن اطار عريض نسبياً تشغله زخرفة من غصن ملتوٍ منتظم في التواءاته اوراق نباتية بالشكل المعروف بـ (scroll) .

ويمثل (الشكل ٥) جلد الجزء الثاني من كتاب جامع الأصول لابن الاثير وقد كان محفوظاً في مكتبة مدرسة يحمي باشا الجليلي وهو مشابه تقريباً لجلد كتاب الجزء الأول فيما عدا أن الاطار هنا رسم بماء الذهب بشكل مستوٍ في حين رسم اطار الجزء الأول بشكل حبل مجدول ، كما أن كعب جلد الجزء الثاني زين باطار محدد بشكل حبل مجدول ويحتوي على زخارف بسيطة قوامها نقاط أو دوائر صغيرة ذهبية ، فضلاً عن أن الجزء الثاني لا يحتوي على لسان .



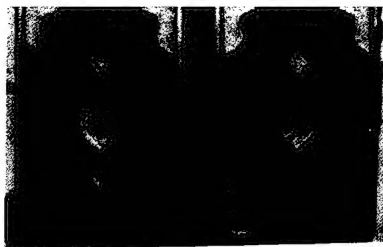
الشكل (٤)

الجزء الداخلي من جلد كتاب جامع الاصول لابن الاثير

شريط من بروزات خيطية تتناوب مع دوائر (الشكل ٦) ويشغل ارضيات عناصر الصرة والزوايا توريقات مذهبة ناتجة عن كبس برادة الذهب بمكبس ساخن مع استخدام اللون الأحمر الداكن في تلوين عناصر التوريق ، كما نلاحظ العناصر والأساليب ذاتها في زخرفة اللسان .

وهناك جلدة مخطوطة أخرى كانت محفوظة في مكتبة يحيى باشا بالموصل لجزء من كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان لسبط ابن الجوزي يبدأ الجزء في السنة الثامنة عشر للهجرة وينتهي بمحدث محمد بن الحنفية بخط (يحيى بن عبيد اغا) إستنسخه في رجب سنة ١١٧٧هـ / ١٧٦٣م (الشكل ٧) .

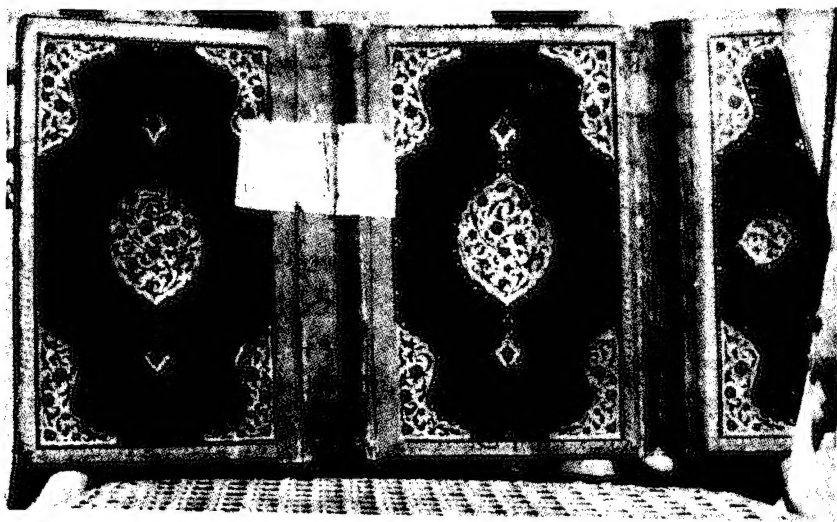
ويمكن مقارنة جلود الكتب الموصلية المعروضة في اللوحات ٣ - ٧ بجلد كتاب تركي يرجع الى القرن السادس عشر أو السابع عشر وهو المعروض في (الشكل ٨) . إذ أن الجلد يتكون من متر محاط بإطار مجدول ويتوسط المتن ذا اللون الأحمر



الشكل (٥)

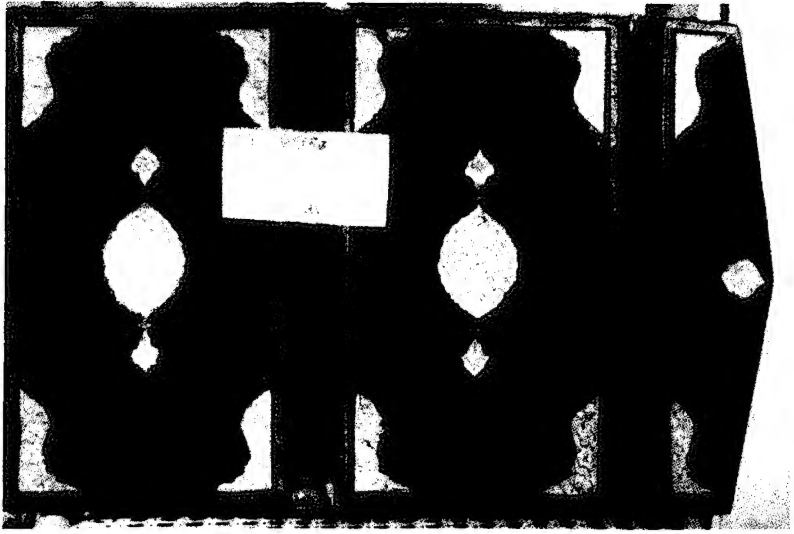
جلد كتاب جامع الاصول الجزء الثاني .

مدرسة يحيى باشا الجليلي كذلك مخطوطة لكتاب التفسير المنسوب لابن عباس ، إستنسخه محمد امين الشهري المعروف بحافظ القرآن سنة ١١٦٣هـ / ١٧٥٠م وقوام الزخرفة على كل من دفتيه اطار مجدول يحيط بمتن أحمر داكن تتوسطه صرة بيضيه الشكل تتصل بها دلايتان من الأعلى والاسفل ويشغل الزوايا الأربع للمتن وحدات زخرفية كل منها بشكل نصف ورقة نخيلية محورة Palmet ويحيط بالخافات الخارجية لهذه العناصر



الشكل (٦)

جلد كتاب التفسير

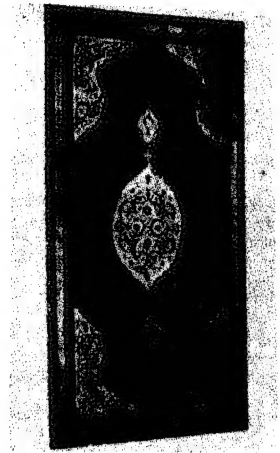


الشكل (٧)
جلد كتاب مرآة الزمان

أحمر داكن^(٣٣) . ويحيط بحافات هذه العناصر جميعها من صرة ودلايات وزوايا شريط من بروزات خيطية تتناوب مع دوائر، وإن من يشاهد هذه النماذج لا يعتقد أنها ترجع الى مدرسة فنية واحدة فقط بل تبدو وكأنها من عمل فنان واحد.

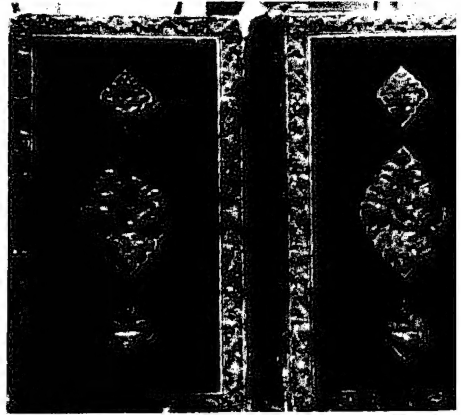
وكانت مكتبة يحيى باشا تضم نسخة من ديوان الشاعر المتنبي تختلف زخرفة الجلد فيه عن زخارف الجلود المذكورة سابقاً، فقد عمل جلد هذه المخطوطة من الورق المقوى السميك المطلي بدهان لامع شبيه بدهان اللاكية، ومن المعروف أن الفنان المسلم قد عرف هذه الطريقة من تزيين جلود الكتب في نهاية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي)^(٣٤) . وتتكون زخرفة جلد هذا الكتاب والمثلة في (الشكل ٩) من اطار قوام الزخرفة فيه ازهار وأوراق صيغت بشكل بارز، ويحيط الاطار بمتم ذي لون أحمر داكن تتوسطه صرة معينة الشكل، في الأعلى والأسفل منها دلايتان أو صرتان صغيرتان كل منها ذات شكل

الداكن صرة بيضيه يتصل بها من الأعلى والأسفل دلايتان وتشغل زوايا المتن عناصر زخرفية كل منها بشكل نصف ورقة نخيلية Palmet . ونفذت زخارف هذه العناصر بكبس برادة الذهب بمكبس ساخن ثم تلوين بعض التوريقات والتفريعات بلون



الشكل (٨)
جلد كتاب تركي يوضح التأثيرات المتبادلة في فن التجليد.

اليسرى ويتصل بها اللسان وقوام الزخرفة فيه اطار ذو حشوات مختلفة الأشكال يحيط بمثن مركزي تتوسطه صرة بيضيه يتصل بها من الأعلى والأسفل دلايتان وتوزع على الزوايا الأربع عناصر زخرفية كل منها بشكل نصف ورقة نخيلية Palmet وتشغل ارضية الصرة والدلايات وعناصر الزوايا زخارف التوريق التي صبغت على أرضية غائرة ومذهبة واستخدمت الألوان المختلفة الى جانب التذهيب في تلوين الحافات والأزهار والتفرعات النباتية ونلاحظ اعمال التخریم الدقيقة في تزيين الجزء الداخلي من الجلد.



الشكل (٩)

جلد كتاب ديوان التني.

ومن الجدير بالذكر أن جلود الكتب المعروضة في هذا البحث لا تمثل إلا نسبة صغيرة جداً من مجموع المخطوطات المصحفة وقد حفظت مؤخراً في مكتبة الأوقاف بالموصل، وقد تم اختيار النماذج التي تمثل أبرز الأساليب الزخرفية وأكثرها انتشاراً وأن مكتبة الأوقاف في الموصل تزخر بإعداد كبيرة من جلود المخطوطات ذات المسحة الفنية.

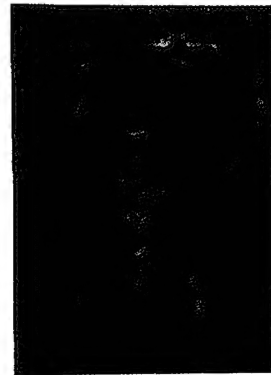
خاتمة :

وأخيراً يجدر بنا أن نذكر أن لفن تجليد الكتب في الدولة العربية الاسلامية، الذي كان ذا طابع وميزات وخصائص تطورية موحدة، تأثره الواضح على فن تجليد الكتب في اوربا. ففن طريق الأندلس انتقلت الى اوربا اساليب تجليد الكتب المغربية ومنها الزخارف المتشابهة على مهاده زخرفية (٣٥).

ومن المعروف أنه قد استخدمت في الأندلس الزخارف المضغوطة المذهبة بإستخدام المكبس الحديدي الساخن، حيث ظهر هذا الاسلوب في الأندلس قبل اوربا بمائتي عام (٣٦). وقد أخذ الاوربيون عن المغرب اسلوب تزيين الكتب بنجمتين في اعلى الجلد وأسفله وكل منها في حقلها الخاص بها. وقد فن تجليد الكتب الاسلامية تماماً في ايطاليا وخاصة في البندقية في أواخر القرن

معيني والصرر المعينية هذه زينت بزخارف من اوراق وازهار على غرار زخارف الاطار صبغت بدهان اللاكية البارز.

وكان في جامع النبي يونس مصحف ذو جلد محلى ومنقوش أوقفه سليمان باشا بن خالد باشا سنة ١١٧٠ هـ / ١٧٥٧ م ولا يحمل المصحف تاريخ نسخه. ويعد جلد هذا المصحف من أجمل جلود الكتب الموصلية زين بطريقة الكبس والتذهيب والتلوين والتخریم ويمثل (الشكل ١٠) واجهة الدقة



الشكل (١٠)

جلد مصحف محفوظ في جامع النبي يونس في الموصل

- (٧) D. J. Wiseman, Assyrian Writing— Boards IRAQ vol. XVII, P. 3
- (٨) Berthe van Regemorter, Some Early Bindings from Egypt in the Chester Beatty Library, (Dublin, 1958) PP. 13— 14.
- (٩) القصيري، المرجع السابق ص ١٢.
- (١٠) Martin Levey, Medieval Arabic Bookmaking and its Relation to Early Chemistry and Pharmacology PP. 5— 6.
- (١١) بكر بن ابراهيم الاشيلي، التيسير في صناعة التفسير، تحقيق عبد الله كتون، ص ١٠.
- (١٢) ابن النديم، الفهرست، (القاهرة، د. ت) ص ٢٠.
- (١٣) القصيري، المرجع السابق، ص ١٣ - ١٤.
- (١٤) F. Sarre, Islamic Bookbinding (London, 1923) P. 11.
- (١٥) انظر: زكي محمد حسن، الفن الاسلامي في مصر من الفتح العربي الى نهاية العصر الطولوني، (القاهرة، ١٩٣٥)، ج ١ ص ١١٤.
- (١٦) الاشيلي، التيسير، ص ١٢.
- (١٧) القصيري، المرجع السابق، ص ١٧ - ٢٠.
- (١٨) المرجع نفسه، ص ٣٥.
- (١٩) J. Harthan, Bookbinding (London, 1961), P. 10.
- (٢٠) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية في العصر الاسلامي (القاهرة، ١٩٤٦) ص ١١.
- (٢١) المرجع نفسه، ص ١٤٣.
- (٢٢) F. Sarre Islamic Bookbinding, P. 14
- (٢٣) Aga Oglu, Persian Bookbinding of the Fifteenth century (Michigan, 1935), P. 2.
- (٢٤) Ago Oglu, Op. cit. P. 2.
- (٢٥) زكي محمد حسن، الفنون الإيرانية ص ٥٥٩ الشكل ٩٤٤.
- (٢٦) Ago Oglu, Op. cit. P. 11.
- (٢٧) القصيري، المرجع السابق، ص ٤٠ وراجع كذلك الشكل (٢٩) واللوحه (٩ب) في المرجع نفسه.
- (٢٨) عز الدين بن الاثير، التاريخ الباهر في الدولة الاتاكية، تحقيق عبد القادر طليبات، (القاهرة، ١٩٦٣) ص ١٨١ - ١٨٩.
- (٢٩) عبد العزيز مرزوق، الفن الاسلامي، ص ١٦٣.
- (٣٠) Gratzl, Op. Cit., III, P. 1985.
- (٣١) سعيد الديوهجي، الموصل في العهد الاتاكي، ص ١٧.
- (٣٢) زكي محمد حسن، اطلس الفنون، ص ٥٥٩، الشكل (٩٤٧).
- (٣٣) Sarre, Islamic Bookbinding, p.18: عن هذا الجلد راجع
- (٣٤) Aga Oglu, Persian Bookbinding. p.13
- (٣٥) Ettinghausen, OP. cit. Ars Orientalis III, p.119
- (٣٦) Ibid, p.122.
- (٣٧) ديمان، الفنون الاسلامية، ص ٨٩.
- (٣٨) Ettinghausen, OP. cit. Ars Orientalis. III, p. 130.

الخامس عشر والقرن السادس عشر (٣٧).
ومن العناصر الزخرفية الاسلامية التي استعملت في اوربا عنصر الصرة والزوايا المزينة للمتن حيث استخدمه مجلدو الكتب الانكليزي والفرنسيون خلال القرن السادس عشر، وانتشر هذا العنصر على نطاق واسع في ايطاليا (٣٨). ويمثل (الشكل ١١) جلد كتاب ايطالي من القرن السابع



الشكل (١١)

جلد كتاب ايطالي يوضح الميزات العربية الاسلامية في فن التجليد في اوربا

عشر يزين واجهته متن محدد بإطار من التوريق ويتوسط المتن صرة دائرية يتصل بها من الأعلى والأسفل دلايتان، ويزين الزوايا عناصر من ارباع دائرة. ويوضح جلد الكتاب هذا مدى تأثير الفن الاسلامي عامة على الفنون الاوربية وفن تجليد الكتب بخاصة.

الهوامش

- (١) هاري ساكر، عظيمة بابل، ترجمة د. عامر سليمان (الموصل ١٩٧٩) ص ٢٤٧.
- (٢) عن اصول استخدام الرق راجع: محمد عبد العزيز مرزوق، الفن الاسلامي، تاريخه وخصائصه، (بغداد، ١٩٦٥)، ص ١٥٨.
- (٣) اعتاد القصيري، فن التجليد عند المسلمين (بغداد، ١٩٧٩) ص ٤.
- (٤) المرجع نفسه، ص ٤.
- (٥) F. Sarre, Islamic Bookbinding, (Berlin, 1923) P. 18
- (٦) M. E. L. Mallowan, The Excavation at Nimrud 1953, IRAQ, vol. XVI, (1954), P. 99.

الخط العربي في الموصل

إدهام محمد حنش

مقدمة :

للسيطرة العثمانية كان واضحاً وملموساً بفعل الدور الحضاري العثماني وتقادمه الزمني الممتد ستة قرون ، فضلاً عن أن موقع الموصل الجغرافي القريب من العاصمة العثمانية سهّل وصول المؤثرات الحضارية والثقافية إليها أسرع وأعظم من وصولها إلى الولايات الأكثر بعداً .

ولكن علاقة التأثير والتأثير الناشئة بين العثمانيين والموصل في مجال الاهتمام بفن الخط العربي لم تبد واضحة إلى حد جعل الاهتمام العثماني عامل التأثير الحاسم والأكبر في تحفيز النخبة المثقفة الموصلية على الاهتمام بالخط : ثقافة وأداءً وفناً . ولعل السبب في ذلك هو أن هذا الاهتمام العثماني كان موجهاً بالدرجة الأساس إلى العاصمة ، ولم يمتد أفقياً إلى الولايات التابعة ، كما إن إستقدام الخطاطين من هذه الولايات إلى العاصمة أدى إلى امتصاص قدراتها وأمكاناتها الأبداعية لتعزيز مركز العاصمة في هذا المجال .

وكان للاهتمام العثماني بالخط انعكاس سلبي على مستوى فن الخط في الموصل ، وبخاصة في بدايات السيطرة العثمانية ، إذ لانكاد نثر على أبة إرهابية فنية وأبداعية قيّمة في هذا المجال خلال القرنين الميلاديين : السادس عشر والسابع عشر (العاشر والحادي عشر الهجريين) . وقد يكون هذا عاملاً مباشراً من عوامل أنحسار أهتمام الموصل بفن الخط ، لكنه لايتحمل وحده عبء هذا الانحسار ، فهناك عوامل أخرى ، غير مباشرة ، تتمثل في الأحداث العسكرية والسياسية والكوارث الطبيعية^(١) التي مرت بها الموصل قبيل السيطرة العثمانية ومارافقها وماتلاها ، والتي أدت

تزامن دخول الموصل في النظام الإداري العثماني عقب السيطرة عليها سنة ١٥١٦م / ٩٢٢هـ ، مع فورة الأهتمام العثماني بفن الخط الذي أتخذهُ العثمانيون وسيلة مهمة من وسائل تثبيت سلطتهم على العالم الإسلامي ، من خلال استخدام الخط في الأعلام الداخلي والخارجي لهم تعبيراً عن قوة السلطة العثمانية وهيبتها وراثتها وتفوقها . وقد عمدوا إلى إستقدام الخطاطين من شتى الولايات إلى العاصمة ، وصار الخط شرطاً من شروط الوظائف الأساسية في الدولة ، وأمسى الخطاط رجلاً من رجالها البارزين .

ونتيجة لهذا الأهتمام ، الذي أسهم في ظهور خطاطين عثمانيين كبار مثل حمدالله الأماسي (١٤٢٩-١٥١٩م / ٨٣٣-٩٢٦هـ) ، نشأ لهم ما سمي بـ «المدرسة العثمانية أو التركية» في الخط . وتتصل جذور هذه المدرسة بالمصادر اللغوية والفنية والحضارية العربية الخالصة للخط ، والمتثلة بنتاج «المدرسة العراقية أو البغدادية» ، وجهود أقطابها وهم : أبو علي محمد بن مقله الوزير (٨٨٦-٩٤٠م / ٢٧٢-٣٢٨هـ) وأخوه أبو عبدالله الحسن بن مقله (٨٩١-٩٤٩م / ٢٧٨-٣٣٨هـ) ، وعلي بن هلال المعروف بأبن البواب (ت-١٠٢٢م / ٤١٣هـ) ، وياقوت المستعصمي (ت ١٢٩٨م / ٦٩٨هـ) ، وعبدالله الصيرفي البغدادى (ت بعد ١٣٤٣م / ٧٤٤هـ) . ولاشك في ما قد يكون للأهتمام العثماني من أثر في أهتمام الموصل بفن الخط ، وذلك لأن التأثير العثماني الشامل ، المباشر وغير المباشر ، في البيئات الاجتماعية المجاورة ، وبخاصة تلك الخاضعة

الى تردّي الأوضاع الاجتماعية والثقافية عامة، وتعطيل أي نشاط ثقافي وفني، خاصة، يمكن أن يتواصل مع ما كان سائداً من اهتمام واضح بالخط ومن نهضة فنية بارزة في تأريخ الموصل الحضاري قبل السيطرة العثمانية، وأخيراً، الى تأخير عودة الاهتمام الموصلية بهذا الفن خلال هذه الحقبة حتى القرن الثامن عشر الميلادي (الثاني عشر الهجري).

رواد الخط العربي في الموصل خلال القرن الثامن عشر:

منذ أن استقر حكم العثمانيين للموصل في بداية هذا القرن، ثم من خلال إحدى الأسر الموصلية (الجليليين) سنة ١٧٢٦م/١١٣٩هـ، أنتعشت الحياة العمرانية والتجارية والاجتماعية والعلمية والثقافية في الموصل. وتمثل هذا الانتعاش في بناء الكثير من الجوامع والمدارس ودور العلم، وفي حركة التبادل الثقافي والعلمي بين الموصل وبلاد الشام التي نشطت في ظل العلاقات التجارية القائمة بينها.. وفي ظل الاهتمام بالثقافة العربية الإسلامية وخاصة في مدينتها القومية التي تحركت في بلاد الشام ومصر بتأثير السياسة العربية لمحمد علي باشا وأبنه ابراهيم باشا. وضمن هذا السياق عاد الاهتمام بعلوم الكتابة وفنون الاستنساخ الى ربوع المجتمع الموصلية وبخاصة مؤسساته الدينية والعلمية والإدارية. ومع هذا الاهتمام أنتعش فن الخط العربي بين الفئات الاجتماعية المتباينة في وظيفتها الادارية وثقافتها الدينية ومكانتها العلمية، فبرز عدد كبير من الخطاطين المتفاوتين في جودة الخط، ولكنهم أسهموا في أنتعاش حركة الخط الفنية والثقافية في الموصل آنذاك، وتركوا آثاراً مهمة في هذا الفن، ومن أشهرهم:

خليل خدّادة:

هو الشيخ خليل بن عمر خدّادة الموصلية. لم يصل أحد من مترجميه الى سنة ولادته ولكنهم رجّحوا سنة وفاته بعام (١٧٤٩م/١١٦٣هـ). عرف بكونه واحداً من أبرز الخطاطين المجيدين في زمانه، فصار المثل في جودة الخط وحسنه ونفاسته بهذا الرجل الذي أجمع مترجموه على تلقيه بلقب «ياقوت زمانه وأبن مقلّة أوانه» وأنه «آتاه الله من حسن الخط وجوده الكتابة وتصوير الحروف ما لا يدرك ولا يلحق ولا يأتي الزمان بمثله»^(١) لأنّه «الكاتب الماهر والخطاط الشاعر الذي تنتهي اليه الكتابة والخط في زمانه»^(٢). برع في الخطوط المنسوبة كالثلث والنسخ والريحاني.

قَدْ كَلَّمَ هَذَا الْمُصَنِّعُ الْمُبَارَكُ كِتَابَةً
عَلَى بَيْدِ الْفَقِيرِ الْمَعْرِفِ بِالذَّنْبِ وَالنَّقْصِيرِ
أَنْزَاجِي عَفْوَ مَوْلَاهُ الْفَرِيدِ لِبَنِي الْمَرْحُومِ عُمَرَ
حَا إِذَا دَامَ الْمَوْصِلُ الْحَاجَّ خَلِيلٌ حَامِداً
وَمُصَلِّياً وَمُسَلِّماً عَلَى بَيْتِ النَّبِيلِ لِلْأَعَزِّ
أَلَا كَرَمٌ مَحْمُداً عَا بَنِي الْمَرْحُومِ الْحَاجَّ صَالِحاً
عَبْدُ الْجَلِيلِ زَادَهُ فِي شَهْرِ حَمَادَى الْإِحْسَانِ

صفحة من مخطوط «الحسن الحسين» الذي كتبه خليل خدّادة بخط النسخ سنة ١١٥١هـ.

وكان خليل خدّادة، فضلاً عن كونه خطاطاً مجيداً، أديباً بارعاً وشاعراً موهوباً، له «أدب جميل وأنشاء بديع»^(١) تجلّى في قصائده المطوّلة والقصيرة، سواء تلك التي نظمها في ظل تجربة الحصار الفارسي المقيت الذي فرضه نادر شاه على الموصل سنة ١٧٤٣م/١١٥٦هـ، وخصوصاً في مدح والي الموصل حسين باشا الجليلي

(١٦٩٦-١٧٥٧م/١١٠٨-١١٧١هـ) لوفته الشجاعة في التصدي للحصار^(٥).. أم تلك القصائد القصيرة التي تبادلها مع صديقه الحميم الشيخ خليل البصير (١٧٠٠-١٧٦٢م/١١١٢-١١٧٦هـ)، وخاصة بعد فراقها، إذ كان خليل خدادة قد «رحل الى الهند في سنة إحدى وستين ومائة وألف»^(٦). وقد أورد صاحب (شمامة العنبر) أمثلة ليست قليلة من شعره هذا^(٧).

نعمان الذكائي^(٨) :

هو الخطاط الشهير درويش نعمان الذكائي بن محمد أفندي ابن المتصرف القادري الحنفي البغدادي. أصله من الموصل ولكنه نشأ ببغداد ودرس على علمائها. وقد أخذ فنون الخط العربي عن الخطاط محمد أمين الأنسي (ت ١٧٦٨م/١١٨٢هـ) ونال الإجازة منه سنة (١٧٦٥م/١١٨٢هـ).

(١١٧٩هـ). كما نال الإجازة بفنون الخط من السيد أحمد رسمي سنة (١٧٨٤م/١١٩٩هـ)، وكذلك من السيد محمد داشنجي زادة في السنة نفسها، وأخيراً من السيد محمد النوري^(٩).

له آثار خطية كثيرة منها إبيات شعرية على باب مصلى جامع مرجان كتبها سنة (١٧٨٥م/١٢٠٠هـ)، وله مجموعة كبيرة لدى أحد أحفاد أسرته. وقد أخذ الخط عنه وتخرج على يديه في بغداد خطاطون كثيرون أبرزهم الخطاط الكبير سفيان الوهي (ت ١٨٤٩م/١٢٦٧هـ) ودرويش الفيضي (ت بعد ١٨١٧م/١٢٣٣هـ) وخلف أغا المصرف دار (ت ١٨٦٠م/١٢٧٨هـ) وغيرهم هذا وقد توفي الخطاط نعمان الذكائي سنة (١٨١٢م/١٢٢٧هـ).

خطاطون آخرون :

وبرز خلال هذا القرن خطاطون آخرون عرفوا



اداء متن وتشكيل حسن لخطي التلث والنسخ في لوحة نعمان الذكائي .

الخط وتعاملوا معه وأجادوه بناءً على مقتضيات أهتماماتهم العلمية والإدارية والفنية ، ولكنهم لم يرتقوا في أدائهم الخطي الى درجة الخطاطين المجيدين الأفاض الذين أنتسبوا في موهبتهم الى هذا الفن .

ولعل من أبرزهم : محمد سعيد الموصللي وهو « من الخطاطين والمزوقين الذين نبغوا في القرن الثاني عشر للهجرة . ومن آثاره نسخة من القرآن الكريم ، زوق فيها أوائل السور والأحزاب بنقوش مختلفة وحلاها بماء الذهب ، وأنهى منها سنة ١٧٠٢ م / ١١١٤ هـ ^(١٠) . والعلامة الشيخ سلطان بن احمد الجبوري (١٦٦١ - ١٧٢٥ م / ١٠٧٢ - ١١٣٨ هـ) الموصللي الذي رحل الى بغداد وصار شيخ القراء فيها إذ «كان من أفاضل العلماء في اللغة والقراءات ، وأشهر بحسن الخط ، وكان ينسخ لنفسه وللعلماء ، وخطه مرغوب فيه لحسنه وضبطه وأتقانه » ^(١١) . وأبو بكر الكاتب بن إبراهيم (ت ١٧٥٠ م / ١١٦٤ هـ) وهو «كاتب جرى له القلم في خدمة نبي الله جرجيس عليه السلام» ^(١٢) بمرقده في الموصل . وقاسم بن محمد حسن اليزاز الموصللي (ت ١٧٥٦ م / ١١٧٠ هـ) الذي كان تاجراً ورث تجارة القماش عن ابيه ، وعرف بمحصله على معارف عصره اللغوية وفنونها الأدبية ، وأتجه الى الأدب مبكراً وله شعر كثير ^(١٣) ، وكان «حسن الخط ، جيد التصوير» ^(١٤) . والخطاط محمد بن خليل الملقب حمّو الكردي الذي يثير الدهشة بكثرة نسخه للكتب بخط النسخ الجميل في السنوات (١٧٥٣ - ١٧٧٠ م / ١١٦٧ - ١١٨٤ هـ) . وكان من أشهر ماكتب وزوق كتاب «جامع الاصول في أحاديث الرسول» في مجلدين بخط هو غاية في الجودة والأتقان ، على ورق حريري ، وجلد الكتاب محلى ومزخرف ، وحواشيه مرتبة بقبية خاصة ^(١٥) . والسيد عبدالله بن فخر الدين الأعرجي الحسيني ، ولد في الموصل ونشأ فيها وأخذ العلم عن شيوخها ،

وأُتصل بخدمة ولاية الموصل وبغداد ، فصادف قبولاً لديهم فقرّبه ، فشغل منصب كاتب ديوان الأنشاء ببغداد وبقي في منصبه هذا حتى توفي سنة (١٧٧٤ م / ١١٨٨ هـ) . ومع أنصرافه الى العلم والأدب والإدارة والسياسة كان عبدالله الأعرجي الحسيني خطاطاً بارعاً ومجيداً ^(١٦) . ويضاف الى هذه الجمهرة كاتبان من كتاب ديوان الأنشاء هما : يونس الكاتب الموصللي (يونس أفندي بن يحيى بك : ١٧٠٧ - ١٧٧٨ م / ١١١٩ - ١١٩٢ هـ) نائب الشرع وكاتب الديوان في عهد الوزير حسن باشا الجليلي . لقب بذئ الرئاستين . وهو جد الخطاط الكبير صالح السعدي ^(١٧) . وملا يونس الكاتب (يونس بن ملا حسن بن الحاج شعبان بن عبد الدائم الراوي : ت ١٧٩٢ م / ١٢٠٧ هـ) ، تولى كتابة الأنشاء للوزير محمد أمين باشا الجليلي ثم لولده سليمان باشا . ^(١٨)

الخط العربي في الموصل خلال القرن التاسع عشر ورواده :

ظلّ الأهتمام بفن الخط منذ بدايات هذا القرن متنشئاً لدى الأوساط الثقافية والتعليمية الموصلية . وكان هذا الأهتمام مدفوعاً بتأثير عوامل ذاتية تتصل بتأثير أعلام الخط البارزين كالخطاط صالح السعدي الذي تلمذ له عدد غير قليل من خطاطي الموصل في هذا القرن ، كما تتصل بالأقبال الذاتي لبعض طلبة العلم في المدارس والجامع ودور العلم الأخرى على تعلمه . وعوامل موضوعية تتصل بواقع الموصل الحضاري وخاصة على الصعيد العلمي والثقافي والوعي القومي المتأثر بالهضة العربية في مصر وبلاد الشام وآفاقها الثقافية في تحقيق الكتب والمخطوطات التراثية ، التاريخية والأدبية ، العربية على أثر ظهور الطباعة في المشرق العربي . وقد لقيت هذه الآفاق استجابة طيبة لدى النخبة المثقفة الموصلية وهو ما دفع الى أنتعاش

الواقع الثقافي عموماً، وفي ظلّه أنتعش استنساخ الكتب والعناية بالخط فناً وأداةً ووسيلةً للرزق مالبثت أن انحسرت على أثر ظهور الطباعة في الموصل في منتصف القرن التاسع عشر.

وعلى الرغم من التأثير المزودج لظهور الطباعة في الموصل على يد الآباء الدومينيكان : الإيجابي الثقافي والعلمي العام، والسليبي الفني المتمثل في تراجع الخط من خلال تضائل الحاجة إليه أداةً وظيفية وجالية معاً، ظهر خطاطون بارزون خلال هذا القرن، تركوا آثاراً واضحة في مسيرة الخط الفنية والثقافية بفضل مستوياتهم الأبداعية العالية في هذا الفن، لتتواصل سلسلة الخطاطين المواصله، بظهور أبرز خطاطي الموصل في هذا القرن :

صالح السعدي :

يمكن القول إن أنتعاش الحركة الفنية للخط وظهور طبقة واسعة نسبياً من الخطاطين المواصله في هذه الحقبة قد مهدا لظهور خطاط موصلي كان واحداً من أنبغ الخطاطين العرب والمسلمين في عصره، اذا لم نقل أنه كان « أعظم خطاط عرفته الموصل في عصرها المتأخرة، لا بل العراق والأقطار العربية جميعها، وليس ثمة من يضاهيه سوى الخطاطين العثمانيين العظام... » أنه صالح السعدي الموصلي الذي كان يجيد جميع أنواع الخطوط اليدوية من ثلث ونسخ وتعليق وغيرها بأسلوب متميزه^(١٩)، بل ذكر أنه كان يحط بأنني عشر قلماً خطاً رائعاً وله موهبة فذة في تقليد خط ابن الشيخ (حمد الله الأماسي) والحافظ عثمان^(٢٠). وكانت له مكانة مؤثرة في الخط والعلم والأدب والشعر ليس بين علماء الموصل حسب، بل في بغداد أيضاً.

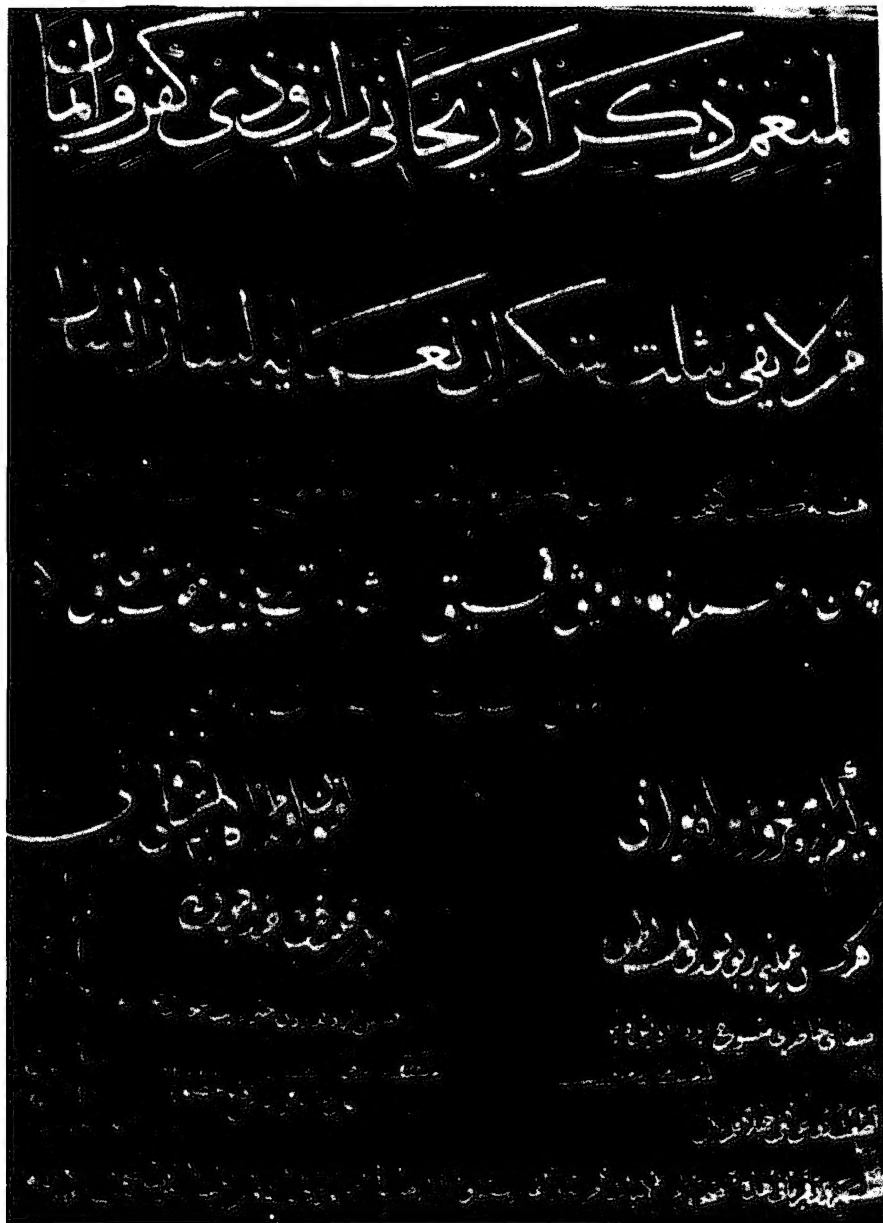
هو صالح تقي الدين أفندي بن يحيى أفندي بن يونس أفندي بن يحيى بك الشهير بسعدي الموصلي^(٢١). وقد لحقه لقب « السعدي » جرياً على

عادة الألقاب الشائعة في الموصل، وخاصة في تلقيب التلاميذ الذين يكملون دروسهم الدينية ويجازون فيها بألقاب مثل سعد الدين وحمد الدين ونور الدين وغير ذلك. ولا يزال الأمر جارياً على هذا المنوال حتى الوقت الحاضر في الموصل ولاسيما لدى القراء. وأصل لقب « السعدي » قد لحقه من لقبه الديني « سعد الدين » الذي منحه إياه أستاذه بعد أن أجازته.

ولد صالح السعدي في الموصل قبل سنة (١٧٧٨ م/١١٩٢ هـ)، وتوفي فيها مقتولاً خلال فترة سياسية وقعت سنة (١٨٢٩ م/١٢٤٥ هـ)، وربما لأنه كان متقدماً في مراتب الحكومة، إذ كانت له رئاسة ديوان الأشياء في الموصل.

أخذ السعدي العلم عن شيوخ الموصل وعلمائها، ثم رحل طالباً العلم في بغداد على يد أبي التناء الآلوسي سنة (١٨٥٣ م/١٢٧٠ هـ). كان ذا قدم راسخة في الآداب العربية والتركية والفارسية، ولذلك أستطاع أن يقدم الكثير من الرسائل والتعليقات والشروح والحواشي بالإضافة الى ديوان شعري ذي قصائد بليغة نظمت باللغات الثلاث^(٢٢). وفي هذا السياق يقول الدكتور عبدالله الجبوري^(٢٣) : أشغل السعدي في كثير من المعارف والعلوم المألوفة في وقته، وألف فيها جميعاً، وقد ترك لنا ثروة جليلة من هذه الآثار النفيسة، صانت لنا الايام بعضها وأتلفت الرزايا بعضها الآخر. ويشير الجبوري الى مايقرب من ثلاثين أثراً علمياً وصلت اليها يده في مجالات اللغة وعلومها والمنطق والكلام والموسيقى والفلك والخط والأدب والفرائض وعلوم الحديث فضلاً عن مجاميعه الشعرية والثرية والخطية.

والى جانب كون السعدي نابعةً من نوابغ الموصل في الخط خلال هذا القرن، فهو يتمتع بالمهارة في رسم الخط وبشدة ضبطه ودقة حروفه مع حسن خطه، فقد كان أيضاً ملماً بثقافة الخط



لوحة جامعة لخطوط (المحقق والثالث والنسخ والتعليق والشكسته وجلي الديواني والديواني والسبابة والرقاع والاجازة والنسخ المرقط). أُنِيعها الخطاط الكبير صالح السعدي سنة ١٢٣١هـ.

وآدابه اللغوية والفنية . وليس أدل على ذلك من أرجوزته في «علم رسم الخط» التي تناول فيها السعدي موضوعات عدة منها مايتصل بأصلاح الخط ومنها مايتصل بأصلاح اللسان ومنها مايتصل بأدوات الكتابة وأنواعها وأسمائها .

قاسم الحمدي (٢٤) :

هو قاسم الحمدي بن محيي بن يونس بن محيي أغا من آل (محضر باشي) من أسرة معروفة بالفضل والعلم في الموصل ، فقد كان جده كاتباً لديوان الأنشاء فيها ، وهو اخو الخطاط الكبير صالح السعدي الذي ولي رئاسة هذا الديوان أيضاً . وقد ولي هو أيضاً بعد وفاة أخيه كتابة ديوان الأنشاء في الموصل الى أيام الوالي محمد باشا اينجة بيرقدار .

لقد كان قاسم الحمدي من أعلام الأدب في الموصل ، وكان له دور كبير في الحياة الأدبية والفنية في تلك الفترة . وقد كان له دور كبير في الحياة الأدبية والفنية في تلك الفترة . وقد كان له دور كبير في الحياة الأدبية والفنية في تلك الفترة .

تموج من خط (قاسم الحمدي) مؤرخ سنة ١٢٢٣ هـ .

أخذ قاسم الحمدي الثقافة عن أخيه هذا فنيح فكان أديباً وكاتباً وشاعراً لامعاً في تاريخ الأدب العربي في العراق (٢٥) . كان يتقن اللغتين التركية والفارسية ، وله فيها نظم بليغ - كما يقول المؤرخ سليمان صانع في الصفحة (٢٤٧) من الجزء الثاني من كتابه الموسوم «تاريخ الموصل» . ويضيف : أما نظمه العربي ففي منتهى الرصانة والرفقة والعدوية ، وله ديوان شعر معروف ،

منه نسخ كثيرة كتبها الحمدي بخطه الجميل النفيس ، كما هي عادته في خط أعماله الشعرية والنثرية لأن قاسماً الحمدي كان خطاطاً مشهوراً له بجودة الخط وألقانه وحسنه وضبطه ، جعله ذلك كله واحداً من مبدعي هذا الفن الموصلة في هذه الحقبة ، لأنه - كما يقول معاصره وصديقه عبد الباقي العمري (ت ١٨٦٠/ ١٢٧٨ هـ) قد أخذ «من الكمال نصيباً وساعده خطه فصار لكل غرض مصبياً ، فخطه كالغدار المزرد ، اذا تسلسل فوق الخد أورد» .

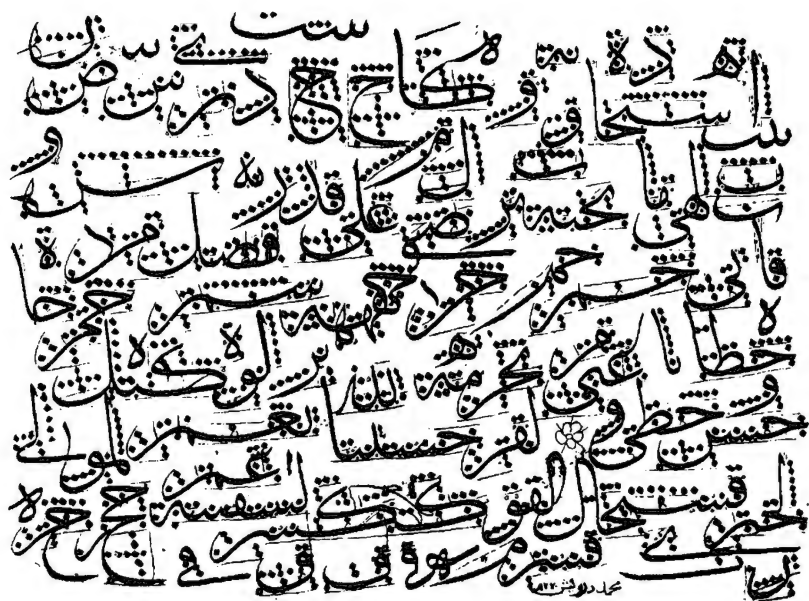
كانت لقاسم الحمدي علاقات أدبية وثقافية حية وبالغة الأهمية مع أدباء ومتفني زمانه في الموصل وبغداد ، فأتصل بالعلامة أبي النناء الآوسي والشيخ عبد الفتاح الشواف والشيخ عبدالله أفندي العمري وعبد الباقي العمري وغيرهم .

توفي قاسم الحمدي مقتولاً سنة ١٨٣٩ م / ١٢٥٥ هـ .

محمد درويش البروشكي (٢٦) :

لا يعرف تاريخ مولده ، ولكن المعروف عنه أنه كان رجلاً مشهوراً بالورع والتقوى ، وكان لشدة ورعه لا يأخذ ثمناً عن كتاباته وأعماله الخطية ، لأنه يراها عملاً دائماً في سبيل الله .

كان خطاطاً مجيداً ومتمكناً من دقائق الخط الفنية والتشكيلية . وتشير أعماله الخطية ، وخاصة في مجال خط الثلث ، الى أنه كان واحداً من أبرز خطاطي الموصل في العصر الحديث ، وقد تلمذ للخطاط الكبير عباس الصبري الآمدي (ت بعد ١٨٦٩ م / ١٢٨٦ هـ) وقد تلمذ له كثير من الناس في الموصل منهم أمين أفندي الخطاط (ت بعد ١٨٧٩ م / ١٢٩٨ هـ) وقد كان يكتب على المرمر ، والخطاط الوصلي المعروف محمد صالح الشيخ علي ، والخطاط محي الدين (ت ١٩٣٢ م / ١٣٥١ هـ) .



نموذج لميزان الحروف بخط الثلث، كتبه البروشكي سنة ١٢٧٠ هـ، وهو يعكس قوة أدائه وجودة خطه النادرة.

خطاطون آخرون:

ولم تنقطع سلسلة الخطاطين الموصلين خلال هذا القرن بهذه النخبة، ولم تنقطع أيضاً عما كانت عليه قبل هذه الفترة من الخطاطين المتمكنين، وتواصل الاهتمام بالخط. فقد تواصل بروز خطاطين آخرين لا يقلون جودة وأتقاناً عن سبقوهم، ولكن حظهم في تحقيق مستوى أبداع في ناضج يرقى إلى درجة أداء أفاذا الخط المواصلة كالسعدى مثلاً كان قليلاً. وربما يعود ذلك إلى ما قد يلاحظ على مسار الخط في تلك الحقبة من غلبة صورة أداء تقليدية متشابهة فقيرة غالباً في ضبط قواعد الخط وأصوله العلمية والفنية، وأن كان فيها شيء من الفن والابداع.

وقد رصد لنا الباحث والخطاط يوسف ذنون^(٢٧) جمهرة ليست قليلة من هؤلاء الخطاطين الآخرين، بينهم: محمد أمين العمري^(٢٨) (محمد أمين بن يوسف بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن

موسى الخطيب العمري) المولود في الموصل سنة ١٨٠٨ م/ ١٢٢٣ هـ. رحل إلى بغداد وآلت إليه كتابة ديوان الأنشاء وخدم في مناصب رسمية أخرى. توفي ببغداد سنة ١٨٧١ م/ ١٢٨٨ هـ. وكان خطاطاً مجيداً فضلاً عن كونه شاعراً. والشاعر الخطاط عبد الغفار الأخرس^(٢٩) (١٨٠٥-١٨٧٤ م/ ١٢٢٠-١٢٩١ هـ) الذي عرف بجودة خطه وحسنه الذي «لم يشاركه فيه أحد من أدباء ذلك الزمان» على حد قول محمود شكري الألوسي. ومحمد الفهمي (١٧٨٠-١٨٣٤ م/ ١١٩٥-١٢٥٠ هـ)^(٣٠)، والخطاط عبد الغفور الجليبي الذي أجزى في الخط سنة (١٨١٠ م/ ١٢٢٥ هـ)، ثم أعقب هؤلاء طبقة واسعة من الخطاطين يأتي في مقدمتهم تلاميذ الشيخ الخطاط صالح السعدي من أمثال عبد الرحمن فهمي وحسين الجدي. وكذلك الخطاطون: أمين أفندي الخطاط ومحمد صديق الجليبي

(١٨١٥-١٨٧٣م/١٢٣١-١٢٩٠هـ) ومحمد سعيد الجليلي (١٨٤٢-١٨٦٥م/١٢٥٨-١٢٨٢هـ) وعبد الرحمن جلبي الصائغ (ت ١٨٧٧م/١٢٩٤هـ) وأخيراً مصطفى الشريجي في النصف الثاني من هذا القرن.

الهوامش

- (١) علي شاكِر علي: تأريخ العراق في العهد العثماني. منشورات مكتبة ٣٠ تموز. نيوى، ط ١/١٩٨٥. ص ١٥٣-١٥٧.
- (٢) محمد أمين بن خيرانه الخطيب العمري: منهل الأولياء وشرب الأصفياء من سادات الموصل الهدايا (جزءان). حققه ونشره: سعيد الديوه جي. مطبعة الجمهورية ١٩٦٧، ج ١. ص ٣٠١.
- (٣) محمد خليل المرادي: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر. مصر ١٣٠١هـ، ٢: ١٩٤.
- (٤) محمد رؤوف الغلامي: العلم السامي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي. الموصل ١٣٦٢هـ. ص ٢٨٢.
- (٥) عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري: الروض النضري في ترجمة أدياب العصر (٣ أجزاء). تحقيق: الدكتور سليم العيسى. مطبعة المجمع العلمي العراقي. ٢: ٣٥٠-٣٧٠.
- (٦) محمد خليل المرادي: (مصدر سابق) ٢: ١٩٤.
- (٧) محمد بن مصطفى الغلامي: شتامة النبر والزهر المعنبر. تحقيق: الدكتور سليم العيسى. مطبعة المجمع العلمي العراقي: ٣٣٤-٣٣٥.
- (٨) وليد الأعظمي: جمهرة الخطاطين العراقيين (جزءان). دار الشؤون الثقافية. بغداد: ١٩٨٩، الطبعة الأولى، ٢: ٦١٥. ناجي زين الدين المصروف: مصوّر الخط العربي. منشورات مكتبة النهضة. بغداد. الطبعة الثانية. بيروت: ١٩٧٤، ص ٣٥٧.
- (٩) جميع هذه الأجازات محفوظة في مكتبة المتحف العراقي.
- (١٠) سعيد الديوه جي: أعلام الصناع المراسلة. مطبعة الجمهور. الموصل. ١٩٧٠، ص ٢١٥.
- (١١) وليد الأعظمي: (مصدر سابق) ٢: ٥٨٠.
- (١٢) الغلامي: (مصدر سابق) ص ٣١٩.
- (١٣) شعرة في: الروض النضر ٢: ٤٢٠. شتامة النبر: ٢٦٧-٢٧١.
- (١٤) محمد أمين العمري: (مصدر سابق) ١: ٣٠٨.
- (١٥) الديوه جي: (مصدر سابق) ص ٢١٤.
- (١٦) سليمان الصائغ: تأريخ الموصل (٣ أجزاء)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٢٨، ٢: ١٨٧. محمد أمين العمري: (مصدر سابق) ١: ٢٤١. عصام الدين العمري: (مصدر سابق) ١: ٢٦٢. عباس الزاوي: تأريخ الأدب العربي في العراق (جزءان)، مطبوعات المجمع العلمي

العراقي: ١٩٦٢، ٢: ٣٨، ٢١٥، ٢٨١.

- (١٧) الغلامي: (مصدر سابق) ص ٢٩٦.
- (١٨) سعيد الديوه جي: جوامع الموصل في مختلف العصور. مطبعة شقيق. بغداد ١٩٦٣، ص ٢٠٨-٢١٠. وينظر: الغلامي: (مصدر سابق) ص ٢٩٦.
- (١٩) ينظر: يوسف ذنون: الموصل والخط العربي: عرض وقده، مجلة الربيع، الموصل، عدد خاص صدر بمناسبة مهرجان الربيع القطري الثاني - الرابع عشر بالموصل ١٩٨٢، ص ٦٦.
- (٢٠) ينظر: د. زهير زاهد وهلال ناجي: أروجة في علم رسم الخط (تحقيق). المورد (مجلة تراثية فصلية، العراق)، المجلد الخامس عشر، العدد الرابع ١٩٨٦م، ص ٣٤٦. أما بالنسبة لابن الشيخ (١٤٢٩-١٥١٩م/ ٨٣٣-٩٢٦هـ) فهو حمدالله ابن الشيخ مصطفى دده. اصله من بخارى وعاجز إلى أُناسيا ولقب بها. اخذ الخط عن خير الدين المرعشي (ت ٨٩٦هـ). سمي بقبة الكتاب لما اشتهر به من الاتقان والجودة في الخط وبخاصة في الأعلام الستة. وبالنسبة للحافظ عثمان (ت ٦٩٨م/ ١١١٠هـ) فهو حافظ القرآن عثمان أفندي بن علي. يمتاز بأسلوب ورشيق في خطي الثلث والنسخ. تعلم الخط على شيوخ الخطاطين في زمانه. أشهر بكتابه اليدوية للمصحف.
- (٢١) سليمان الصائغ: (مصدر سابق) ٢: ٢٤٩. وينظر: د. عبدالله الجبوري: صالح السعدي الموصل. مجلة الأعلام (وزارة الأعلام. بغداد) عدد حزيران ١٩٦٨.
- (٢٢) سليمان الصائغ: المصدر نفسه.
- (٢٣) الأعلام. عدد حزيران ١٩٦٨، (مصدر سابق).
- (٢٤) ينظر: عباس الزاوي: الأستاذ قاسم الحمدي الموصل. مجلة الأعلام. الجزء السابع. السنة الثالثة، آذار ١٩٦٧، سليمان الصائغ (مصدر سابق) ٢: ٢٧٣.
- (٢٥) ينظر أيضاً: عباس الزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق (مصدر سابق) ج ٢.
- (٢٦) الدكتور داود الجلي: مخطوطات الموصل. مطبعة الفرات. بغداد ١٩٢٧، ص ٢٦٨. وناجي المصروف: مصوّر الخط (مصدر سابق) ص ٣٤٩.
- (٢٧) يوسف ذنون: (مصدر سابق)، ص ٦٤-٦٨.
- (٢٨) وليد الأعظمي: (مصدر سابق) ٢: ٦٧٠، سليمان الصائغ: (مصدر سابق) ٢: ٢٣٠.
- (٢٩) وليد الأعظمي: (مصدر سابق) ٢: ٦٧٤، سليمان الصائغ: (مصدر سابق) ٢: ٢٣٧.
- (٣٠) وهوكا بيدوليس الحاج محمد نهمي أفندي بن مصطفى العمري (١٨٢٨-١٨٧٣م/ ١٢٤٥-١٢٩٠هـ) الذي تقلب في المناصب في ولاية الموصل على عهد يحيى باشا الجليلي، ثم سافر إلى بغداد فقلد فيها رئاسة ديوان الأنشاء، وبعدها حوّل الأمارة والسفارة في كثير من البلاد الخاضعة للسيطرة العثمانية، وعينه مدحت باشا كاتباً خاصاً به. (ينظر: سليمان الصائغ: تأريخ الموصل، ٢: ٢٣٣-٢٣٣).

النشروالصحافة في الموصل

(١٢٧٤ - ١٣٣٦ هـ ١٨٥٨ - ١٩١٨ م)

د. أبراهيم خليل أحمد

مقدمة :

«رياضة دزب الصليب» والذي طبع سنة (١٨٦١) أول كتاب يطبع فيها^(١). وفي سنة ١٨٦٣ وجد الدومنيكان أن مطبعتهم لا تفي بالغرض لذلك عملوا على توسيعها بشراء معدات طباعية كاملة خصصوا لها مبلغاً كبيراً من المال، أسهمت فيه جمعية مدارس الشرق بباريس بستة آلاف فرنك، هذا فضلاً عن تبرع المطبعة الأهلية بباريس بمجاميع من الحروف العربية والسريانية والفرنسية. وقد ألحق بالمطبعة مسبك لصب الحروف وقسم لتجليد الكتب وتذهيبها بالطرق الحديثة.^(٥)

أنجرت مطبعة الدومنيكان نشر قرابة (٢٩٣) كتاباً في مختلف المعارف^(٢). كما طبعت فيها الكتب السنوية العثمانية التي أصدرتها ولاية الموصل بعنوان «السالنامات»، لكن معظم الكتب التي تولت طباعتها كانت تدور حول «الطقوس الدينية» وبلغات كائنات المشرق كافة. وتبنت المطبعة نشر الكتب المدرسية باللغة العربية منها كتاب مختصر صغير في الجغرافية لأفليمس يوسف داؤد طبع سنة ١٨٦١ وكذلك كتاب في تعليم اللغة العربية عنوانه: «التهجئة ومبادئ القراءة لتدريس الصبيان». الذي طبع سنة ١٨٦٢ باللغة العربية. وأسهمت المطبعة في توجيه النشر إلى التاريخ، وخاصة الديني منه، بما نشرته من الكتب التي تتناول موضوعات من التاريخ القديم والوسيط والحديث. ومن هذه الكتب «مختصر في التواريخ القديمة» للقس لويس رحامي والمطبوع سنة ١٨٧٦ و «مختصر في تواريخ القرون الوسطى» للمؤلف نفسه والمطبوع سنة ١٨٧٧

شهد العراق منذ أواخر العهد العثماني ما يعرف بالصحافة المحلية. وقد أدت الصحافة المحلية وظيفتها الإعلامية على نحو لا يقل أهمية عما أحرزته صحافة العاصمة. ومن ذلك أنها أسهمت في أيقاظ الفكر وتنوير الأذهان. وتعد جريدة «موصل» التي صدرت في ٢٥ حزيران سنة ١٨٨٥ أول جريدة في تأريخ هذه المدينة، وثاني جريدة تصدر في العراق، حيث أن أول جريدة كانت «زوراء» قد صدرت ببغداد في ١٥ حزيران سنة ١٨٦٩. وارتبط تأريخ صحافة الموصل بنشأة الطباعة وتطورها. وكما هو معروف فإن ثمة علاقة قوية بين الطباعة والصحافة وكلاهما من مظاهر النهضة الفكرية.^(١)

الطباعة في الموصل :

شهدت مدينة الموصل في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تأسيس عدد من المطابع، أهمها مطبعة (الدومنيكان)، والمطبعة (الكلدانية)، ومطبعة (نينوى)، ومطبعة (الولاية). وقد أصدرت هذه المطابع عدداً وافراً من الكتب والمجلات والصحف التي كان لها اثر في تنامي الوعي الفكري، وتنمية الثقافة آنذاك.^(٣)

ومما يلحظ أن تأسيس أول مطبعة في الموصل ارتبط بنشاط ارسالية الدومنيكان التبشيرية التي قدمت الموصل سنة ١٧٥٠.^(٣) وكان من أهدافها جلب مطبعة الى الموصل لنشر الفكر التبشيري. وفي سنة ١٨٥٨ تم تأسيس مطبعة (الدومنيكان) في محلة الجولاق بالجانب الأيمن من المدينة وكانت مطبعة حجرية في بداية أمرها. ويعد كتاب

وكتاب «جنى الثمار من لطائف الأخبار لتمرير الصبيان في المدارس مجموع من أحسن كتب العرب» لمؤلفه أقليمس يوسف داود، وقد طبع سنة ١٨٦٣ وكتاب «الذهب لتهديب أحداث العرب» المطبوع سنة ١٩١١ لسليم حسون^(٧). وكتاب «أبهى القلائد في تلخيص أنفس القوائد» لأحمد فائز بن السيد محمود أفندي البرزنجي المطبوع سنة ١٨٩٧ وهو دراسة في العقائد الإسلامية وعلم الكلام وكتاب «ذخيرة الأذهان في تواريخ المشاركة والمغاربة والسريان» للنقس بطرس نصري الكلداني الذي طبع الجزء الأول منه سنة ١٩٠٥ والجزء الثاني بعد ذلك بثمان سنوات^(٨). وقد استمرت مطبعة الدومنيكان في النشر وبدون انقطاع أربعاً وخمسين سنة حتى توقفت عن العمل اثر مصادرة السلطات العثمانية لمكائنها بدعوى تبعية دولة أجنبية معادية^(٩). وقد نقلت مجموعة من أدواتها وآلاتها وحروفها الى مطبعة الولاية. وبعد الاحتلال البريطاني للموصل في تشرين الثاني ١٩١٨ عادت الى العمل لتواصل نشاطها، قطعت الكثير من الكتب والكراريس والمنشورات الحكومية. ولعل من ابرز ما طبعته خلال هذه الفترة «منهج التعليم الابتدائي» سنة ١٩١٩ و «نظام بلدية الموصل» سنة ١٩٢٠ و «ايضاحات في تدريس اللغة العربية في المدارس» سنة ١٩٢١^(١٠). قامت مطبعة الدومنيكان بدور مهم في نشر الثقافة العربية في الموصل. وعلى الرغم من الارتباطات الأوروبية لمؤسسيها، فإنها كانت عاملاً من عوامل النهضة الفكرية في الموصل. هذا فضلاً عن أنها كانت بمثابة المعهد الذي تدرب فيه عدد من شباب الموصل، على فن التنضيد وسبك الحروف وطبعها^(١١).

وفي سنة ١٨٦٥ تأسست المطبعة الكلدانية لتسهم في نشر الوعي الثقافي وذلك بجهود روفائيل بطرس المازجي وبتشجيع بطريك الكلدان يوسف

أودو، وقد نصبت المطبعة في محلة حوش الخان مقابل كنيسة شمعون الصفا^(١٢). وقد زودت المطبعة التي جلبت من باريس بمسبك للحروف العربية والكلدانية والفرنسية. وقد عمل فيها عمال تدربوا في مطبعة الدومنيكان، وبعد كتاب «مزامير داود النبي» لعبد يشوع الخياط الذي نشر سنة ١٨٦٦ أول ما طبع فيها. وقد طبع بالكلدانية مع مقدمة باللغة العربية. كما نشرت في المطبعة عدد من الكتب المدرسية والتأريخية. وفي سنة ١٨٩٨ توقفت المطبعة عن العمل وبيعت بعض مكائنها لمطبعة الولاية في الموصل^(١٣).

لقد تأسست مطبعة الولاية في عهد متصرف الموصل تحسين باشا سنة ١٨٧٥. وكانت المطبعة يديرها مكتبوحي الولاية (مدير التحرير) ونصبت مكائنها التي جلبت من العاصمة أستانبول في سراي الحكومة. وقد طبعت بمطبعة الولاية الدفاتر والأوراق الرسمية، والكتب السنوية (السالنامات). هذا فضلاً عن قيامها بطبع عدد من الكتب الثقافية وخاصة التاريخية. كما كانت تطبع ما يقدمه اليها الأهالي من مطبوعات، وتولت كذلك طبع جريدة «موصل» التي أصدرتها الولاية في ٢٥ حزيران ١٨٨٥ ومن الذين تولوا إدارة المطبعة رؤوف أفندي الشربتي، وعلي بك كاتب مجلس الإدارة والمكتبوحي طاهر بك، وأحمد أفندي رئيس كتاب المحاسبة الخصوصية ورئيس بلدية الموصل للسنوات ١٨٨٧-١٨٩٢، حسن زبور العمري وفي سنة ١٨٩٣ التحقت بالمطبعة تسع مطابع، واحدة تدور بالبخار وأثنان تدوران باليد، وأربع حجرية وآلة لعمل الأغلفة^(١٤). وأختصت إحدى هذه المطابع بالجيش وسميت مطبعة (الفيلق)، وكان من مهامها طبع ما يحتاج اليه الجيش من المنشورات والكتب الفنية العسكرية^(١٥).

وقد استمرت مطبعة الولاية بالعمل خلال

«حرباً دينية» (١٩).

وبعد الاحتلال البريطاني للموصل تأسست مطبعة دار السلام.. وتعد ثاني مطبعة أهلية.. وكان صاحبها اسطيفان فتح الله عزيزة.. قد أسسها سنة ١٩١٩ بمشاركة عبو الياس شعبا.. وكانت مطبعة يدوية استقرت في محلة شهر سوق.. ثم نقلت الى مقابل الكرك القديم واستمرت بالعمل حتى سنة ١٩٢٩ حين انفرد اسطيفان فتح الله عزيزة بها وسماها «المطبعة الشرقية الحديثة» (٢٠).

اصدار جريدة «موصل» ومجلة «أكليل الورد» :

شهد العراق في ١٥ حزيران ١٨٦٩ صدور أول جريدة في تأريخه بأسم «زوراء» (٢١). وبعد (١٦) سنة صدر في الموصل في ٢٥ حزيران ١٨٨٥ العدد الأول من جريدة مماثلة لجريدة زوراء الرسمية.. بأسم جريدة «موصل». وكان صدورها بأربع صفحات بالحجم المتوسط مقاس (٤٣×٢٧سم). وكانت كل صفحة تتألف من ثلاثة اعمدة، وكانت الصفحتان الأولى والثانية بالتركية، أما الثالثة والرابعة فكانت باللغة العربية. وقد شغلت إدارة الجريدة شقة خاصة في سراي الحكومة بمدينة الموصل. وجاء في ترويسة الجريدة : أنها «الجريدة الرسمية للولاية تنشر مرة كل أسبوع». واحتوت الصفحة الأولى من الأعلى معلومات تتعلق بالعدد وإدارة المطبعة وعبارة هي «بخصوص الاشتراك يراجع مباشرة تحريرات الولاية»، وتاريخ الصدور وأجرة النشر عن كل سطر يتكون من خمس كلمات قرش واحد. ولم يشاهد في الجريدة اي صور أو عمل فني زيكغرافي غير كلمة ال «موصل» كتبت بخط النسخ (٢٢). تعد جريدة «موصل»، من الصحف الرسمية.. وكان يوم الخميس موعداً لصدورها.. وقد أستمريت على الصدور حتى سنة ١٩٣٤.

الحرب العالمية الأولى وخاصة بعد أن نقلت اليها بعض المكائن والحروف الطباعية المصادرة في مطبعة الدومنيكان. وبعد الاحتلال البريطاني.. تم تجديد بعض مكائنها وزودت بحروف حديثة واستمرت بالطباعة حتى بعد قيام الدولة العراقية سنة ١٩٢١ وصارت تعرف بـ (مطبعة الحكومة). (٢٣)

لم تتحمل مطبعة الدومنيكان والمطبعة الكلدانية ومطبعة الولاية وحدها عبء النهضة الفكرية، بل شاركتها في ذلك مطبعة تعد أولى المطابع الأهلية في الموصل وهي مطبعة «نينوى» التي أسسها عيسى محفوظ بمشاركة فتح الله سرسم سنة ١٩١٠ وذلك في بناية تقع فوق الكرك القديم مقابل (قهوة) الثوب على شاطئ دجلة ووافق تأسيس هذه المطبعة، بداية انتشار الأفكار القومية العربية لذا كانت مساهمتها في النهضة الفكرية، ونشر الوعي القومي أكثر من غيرها. اذ لجأ اليها عدد من المثقفين، ومنهم من كان يعمل في الحركة القومية، لتسهم في طبع مؤلفاتهم وكان كتاب «الأناشيد الموصلية للمدارس العربية» الذي ألفه محمد سعيد الجليلي سنة ١٩١٤ من أكثر تلك الكتب أهمية وانتشاراً. وبضم الكتاب أناشيد عربية حساسة لها صبغة قومية تتغنى بمجد العرب التاريخي وتذكى روح الحماة في أفئدة النشء العربي. (٢٤)

أقدمت سلطات الولاية خلال الحرب العالمية الأولى على مصادرة مطبعة نينوى وأستخدامها في نشر جريدة «حق طوغرو» أي دعوة الحق.. وهي جريدة مكرسة صفحاتها للدعاية للحكومة العثمانية وحلفائها. (٢٥) كما طبعت في المطبعة أهم الرسائل الدعائية.. وهي «خطبة نادي الشرق» لمحمد حبيب العبيدي وهو أحد رجال الدين الموصليين الذين كرسوا جهودهم آنذاك لنصرة العثمانيين في حربهم ضد الدول الاستعمارية. ويتضمن الكتاب دعوة الى الجهاد والوقوف ضد أطاع الغرب الذي كان يشن على الدولة العثمانية، وخاصة في البلقان

ويمكن تمييز أربع مراحل في تأريخها.. تبدأ المرحلة الأولى منذ صدورها في ٢٥ حزيران ١٨٨٥ وحتى إعادة العمل بالدستور العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨. وتمتد المرحلة الثانية منذ ١٩٠٨ حتى قيام الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤. وبعد الاحتلال البريطاني في الموصل سنة ١٩١٨ أستمّر صدور الجريدة حتى سنة ١٩٣٤.. وهذه هي المرحلة الثالثة في تأريخ الجريدة.. أما المرحلة الرابعة فتبدأ من سنة ١٩٤٧ حين أصدرها مرة أخرى بعد انقطاع طويل يونان عبو اليونان، وأستمّرت في الصدور حتى ١٩٤٩. (٢٣)

لم تكن جريدة الموصل في مرحلتها الأولى سوى جريدة رسمية. لذلك تميزت مثل نظيرتها البغدادية «زوراء» بأنها صحيفة تعبر عن وجهة نظر الحكومة العثمانية.. فلم تكن تنشر إلا ما توافق عليه السلطات.. وكثيراً ما كانت تذكر محاولات المعارضة على أنها تمرد وعصيان على السلطان العثماني. وقد حرصت على ذكر أخبار السلطان وولائه بعبارات التفخيم والتعظيم.. أما آمال الشعب وطموحاته فليس لها نصيب من اهتمامها. (٢٤)

وكانت الجريدة تنقل أخبار أولئك الذين يهتمون بأنهم يحملون أفكاراً مضادة لسياسة الدولة. فقد نشرت على سبيل المثال في عددها الصادر في ٢٦ ربيع الآخر ١٣٢٣ هـ / ٧ حزيران ١٩٠٥ خبراً يتعلق ببنى عدد من الأشخاص الى بعض الولايات فقالت «غادر مدينتنا (الموصل) قبل بضعة أيام متوجهين الى بغداد كل من أصحاب الفضيلة الأفندية ثابت وشاكر آل اللوسي والحاج أحمد آل العسافي وذلك بعد صدور الأرادة السنية... بالمرحمة، وصرف النظر عن أبعادهم. وكانوا قد أرسلوا من ولاية بغداد متوجهين الى أماكن نفهم من ديار بكر وسيواس وخربوط» (٢٥). كما أشارت في عددها الصادر في ٢٦ ذي الحجة ١٣٢٢ هـ /

شباط ١٩٠٥ الى اعتقال عاصي بن فرحان باشا وأبنة الهادي من رؤساء عشيرة شمر الجريا في الموصل بتهمة يرجح أنها تتعلق بممارستهم نشاطاً معادياً للسلطة. (٢٦)

لكن هذا لا يعني أن الجريدة أهملت نشر أخبار الولاية. وذلك أنها خصصت باباً بعنوان «أحداث الولاية» تناولت فيه أخبار ولاية الموصل السياسية والاقتصادية والعسكرية (٢٧) كما نشرت على صفحاتها كل ما من شأنه تشجيع الناس على الزراعة ومن ذلك نشرها طلب مديرية الديوان العمومية في ولاية الموصل سنة ١٩٠٥ الى السلطات المحلية بوجود حث السكان على زراعة أشجار التوت وتشجيعهم على تربية دودة القز عليها لما لذلك من أهمية اقتصادية (٢٨). ولم تهمل الجريدة الأخبار الخارجية. كما اعتادت على نشر بعض مضامين خطب الجمعة التي تلقى في جوامع الموصل وخاصة تلك التي تنطوي على الدعم والتأييد والدعاء بالخبر للسلطان.. ففي عددها الصادر في ٢٧ آب سنة ١٩٠٥ نشرت، على سبيل المثال، الدعاء الذي ألقاه السيد محمد الشعار من علماء الموصل المشهورين في جامع نبي الله يونس لمناسبة نجاة السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩) (٢٩). من حادث الاغتيال الذي تعرض اليه في ٢٤ آب ١٩٠٥.

هذا وقد نقلت الجريدة على صفحاتها ما يتعلق بحياة الناس اليومية، وما يطرأ عليها. فهاهي ذي تنشر خبر انخفاض درجة الحرارة، وتحمد مياه دجلة بصورة لم يسبق لها مثيل في تأريخ مدينة الموصل مما تسبب في إلحاق الضرر بالأهالي نتيجة لاشتداد البرد وقلة وسائل التدفئة لديهم. (٣٠)

ونشرت الجريدة كذلك أخباراً تتعلق بالشؤون العامة للولاية.. ففي عددها الصادر في ١٨ ذي القعدة ١٣٢٣ هـ / ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٠٦ نشرت خبراً يتضمن وصول وفد من أستانبول يتألف

بثلاث سنوات مجلة «زهرة بغداد»^(٣٥). وكان صدور عددها الأول في ٢٥ آذار سنة ١٩٠٥. وقد اتسمت المجلة بصيغة دينية تبشيرية.. اذ أن الآباء الدومنيكان هم الذين اصدروها. وقد جاء في نرويساتها «مجلة دينية ادبية علمية شهرية، اصحاب الامتياز الآباء الدومنيكان»^(٣٦).



• مجلة اكليل الورود أول مجلة تصدر في العراق كانون الاول ١٩٠٢ - كانون الاول ١٩٠٩ م

وقد بلغ عدد صفحاتها عند بداية صدورها (٢٠) صفحة، ولكنه كان يتغير في بعض الأحيان اذ يزداد ليرتفع بين (٢٤ - ٢٨) صفحة، علماً بأن الواجهتين الداخليتين للغلاف كانتا تستعملان لكتابة المقالات كذلك. وفي بعض الأحيان تستعمل الواجهة الأخيرة من الغلاف في تكملة^(٣٧) المقال. أما بالنسبة لمقاس المجلة فهو (١٨ ×

من عدد من المسؤولين العثمانيين وذلك لبحث مشكلة الحدود العثمانية - الأيرانية^(٣١) وفي عددها الصادر في ٢٣ شباط ١٩٠٦ نشرت خبراً يتعلق بتبرع والي الموصل مصطفى عيني بك براتبه لصالح إنجاز مشروع سكة حديد الحجاز.^(٣٢)

تميزت جريدة «موصل» عن جريدة «زوراء» في أن اسلوبها أدبي جزل واضح ليس فيه شيء من آثار العجمة والغموض والركاكة التي حفلت بها صفحات جريدة الزوراء. ولم يخل هذا الأسلوب مما كان يخضع له النثر في تلك الفترة من محسنات بدعية كالسجع والطباق والجناس. ويقارن المرحوم الدكتور عباس الزبيدي^(٣٣) بين جريدتي الموصل والزوراء من حيث الأسلوب واللغة فيقول أن هناك بوناً شاسعاً بينهما من هذه الناحية، فقد أستمزت جريدة الزوراء تصدر حتى آخر عدد منها بأسلوب تغلب عليه الركاكة على حين بدأت جريدة الموصل منذ أعدادها الأولى متينة الأسلوب نسبياً. ويمكن أن نعوذ ذلك الى أن معظم المشرفين عليها كانوا من الأدباء والكتاب الموصليين العرب، وليسوا من الأتراك.

على الرغم من قول روفائيل بطي^(٣٤) أن جريدة الموصل لم يكن لها أثر يذكر على الحياة الفكرية في المدينة وذلك لانتشار الجهل بين الناس في الموصل وقلة من يعرف القراءة والكتابة بينهم، يمكن القول بأن جريدة الموصل أدت دورها في توعية الاهالي صحياً واجتماعياً، وذلك بما كانت تنشره من المقالات الصحية والاجتماعية ومانتقله من توجيهات الدوائر المحلية للاهالي حول قضايا الزراعة والحفاظ على الصحة العامة وغير ذلك ويتوضح دورها على نحو أكبر في العهد الدستوري العثماني كما سنرى.

كما صدرت في الأول من كانون الأول ١٩٠٢ مجلة في الموصل باسم «اكليل الورود». وتعد اكليل الورود اول مجلة تصدر في العراق. اذ صدرت بعدها

(مدفع فرنسي جديد) ، (أول سلك تلغرافي بحري) ، (أكبر ساعة في العالم) ، (حريقان هائلان في باريس) ، (الوفد العشائي في الفاتيكانيكان) ، (احوال الزلازل في جنوبي ايطاليا)^(١٢) .

واهتمت المجلة بالموضوعات الاجتماعية ، ومنها تلك التي تؤكد قيمة العمل وأهميته وضرورته ومن ذلك ما نشرته تحت عنوان «لا تستمع من صناعتك وان بانث حقيرة» قالت فيه : «الشرف معلق بأهداب الشغل المخلل ومن احتسب الشغل عاراً أو نظر اليه بعين الاحتقار فقد تعدى وظلم ... انما العار وكل العار على من كان عبد البطالة المهلكة أو من طلب الربح في طرق «محظورة» يترفع عن قصدها ذو الذمة الصادقة والشرف الحقيقي ... فأنت شريف في شغلك يا عجب الشغل أيا كانت صناعتك ... فلا تستمع منها بل فليستع من لبس له شغل، حلال ...»^(١٣)

وعنيت المجلة بنشر احصائيات عن انتاج النفط وأهميته . ففي عددها الصادر في كانون الأول ١٩٠٧ قال بعنوان : «البترول : كم طناً من البترول كان يستخرج كل سنة منذ نصف قرن؟» . «في سنة ١٨٥٧ بلغت الكمية المستخرجة (٢٥٧) طناً . وبعد ذلك بعشر سنوات اي في ١٨٦٧ بلغ البترول المستخرج في العالم (٤٣٥٦٧٦) طناً ... وفي سنة ١٨٧٧ استخرج مقدار (١٧٨٨١١٩) طناً وفي ١٩٠٦ استخرج (٢٨٠٧٦٢٩٧) طناً ، ولولا حوادث روسيا (ثورة ١٩٠٥) ... لبلغ مجموع البترول المستخرج من الأرض ما يربو على ٣٠ ألف ألف طن»^(١٤) .

وتابعت المجلة اخبار الصحافة العالمية وذكرت احصائيات مفيدة وفريدة عن صحافة فرنسا وقالت في مقال بعنوان «الصحف السيارة في فرنسا : «في منتصف القرن التاسع عشر لم تكن باريس تنشر من الجرائد اليومية إلا (٢٦) نشرة لها ... وفي

صدرت مجلة اكليل الورود بثلاث لغات ، هي العربية وصدر منها (٦٥٠) عدداً ، والفرنسية وصدر منها (٤٠٠) عدد والكلدانية وصدر منها (٣٠٠) عدد . وفي جميع هذه اللغات كانت الموضوعات متشابهة تقريباً حيث كانت تترجم من لغة الى اخرى فقط^(١٥) .

اشتغل في تحرير المجلة عدد من المحررين ، منهم الأب عبدالأحد جرجي السرياني البغدادي ، والأب هياسنت وهو فرنسي الأصل ، والقس باسيل بشوري البغدادي والأديب فرج الله كسيو . وتنسم كتابات هؤلاء جميعاً بالطابع الديني الكنسي^(١٦) لكن هذا لم يكن يعني خلو المجلة من مقالات ذات طابع صحي وسياسي واجتماعي وثقافي .. فالمجلة مثلاً اهتمت بتزويد القارئ بالمعلومات العامة المفيدة ، فقد كتبت عن «السكر» و «التبغ» و «القهوة» وما شاكل ذلك^(١٧) وهكذا مارست المجلة وظيفتها الصحفية في العناية بمواد التهذيب والتوجيه والارشاد والتثقيف وبوسائل متعددة منها نشر القصص القصيرة ذات الطابع الانساني ، أو نشر الاقوال الحكيمة . وخصصت المجلة بعض صفحاتها لعرض ونقد الكتب الجديدة^(١٨) .

كما عنيت المجلة بتزويد القارئ بأخبار العلم واكتشافاته الحديثة . وكان للمجلة ابواب ثابتة اهمها باب بعنوان «نصائح صحية» اوردت فيه مقالات تعالج بعض المسائل الصحية ، وتدعو الى وجوب الالتزام بالقواعد الصحية .. ومن ذلك مقالات عن «الهواء» ، «في الرياضة البدنية» ، «الاستحمام بالماء البارد» ، «الأشربة الكحولية» ، «مضار البرد والرطوبة» . كما أفردت باباً بعنوان : «أخبار حالية» تذكر فيه بعض الأخبار السياسية والاقتصادية والعمرانية . وفي بعض فهارس المجلة تشير الى العناوين التالية : (الطواف حول الأرض) ، (معاشات بعض رؤساء الحكومات) ،

سنة ١٩٠٠ صار لباريس (٢٧٠٩) جريدة و (١٨٥) مجلة... وقد علفت على هذه الصحف والمجلات بقولها: «لكن الكثير منها لا يفيد التقوى وتحسين الأخلاق»^(٤٥).

وفي عددها الصادر في آب ١٩٠٥ اشارت الى انه يوجد في الولايات المتحدة الاميركية لكل (٣٤٠٠) من اهلها جريدة. وفي المانيا يوجد لكل (٧٥٠٠) من اهلها جريدة»^(٤٦).

ان مجلة اكليل الورود، وان «كانت غايتها الاولى تهذيب الاخلاق بالطرق الدينية، فقد نشر اصحابها، كما يقول رزوق عيسى»^(٤٧) وهو احد مؤرخي الصحافة العراقية، طائفة صالحة من المقالات الأدبية والاجتماعية. واثبتوا على اعمدتها اخباراً متنوعة». كما عينت المجلة بنشر اخبار المجتمع الموصل. وقد استمرت تصدر بانتظام نحو سبعة اعوام حتى بعد اعلان العودة الى الدستور في ٢٣ تموز ١٩٠٨. وكثرة الصحف والمجلات في العراق.. عند ذلك توقفت عن الصدور من تلقاء نفسها لتفسح مجال الخدمة الى غيرها من الصحف والمجلات. وقد صدر آخر عدد منها في كانون الأول سنة ١٩٠٩.

الدستور والصحافة الموصلية :

دخلت الصحافة الموصلية، شأنها شأن الصحافة في مختلف انحاء الدولة العثمانية دوراً مهماً بإعلان عودة العمل بدستور ١٨٧٦ وذلك اثر الانقلاب العثماني الذي حدث في ٢٣ تموز ١٩٠٨. وهكذا شهدت الدولة العثمانية نهضة صحافية حقيقية^(٤٨).. فقد صدرت بين سنتي ١٩١٠ و ١٩١١ على سبيل المثال (٣٦) جريدة عربية وذلك ما يعادل ٦٠٪ من (٦١) جريدة كانت قد صدرت في الفترة الواقعة بين ١٩٠٤ - ١٩١٤. وقد بلغ مجموع الصحف التي اجيزت في العراق بعد اعلان الدستور خمسين وعشرين صحيفة

ومجلة منها (١٩) جريدة ومجلة في بغداد وحدها^(٤٩) أما في الموصل فقد صدرت جرائد النجاح ونيوى وجكة باز.. فضلاً عن استمرار جريدة الموصل ومجلة اكليل الورود في الصدور.

فبالنسبة لجريدة الموصل فقد طفتت تنشر أخبار السلطة الجديدة. كما اوقفت صفحاتها لنشر اهداف جمعية الاتحاد والترقي ورجالها الذين قاموا بالانقلاب الدستوري في ٢٣ تموز ١٩٠٨ وأصبحت اللسان الناطق بإسمهم، الى ان أحتجبت في أواخر تشرين الأول ١٩١٨^(٥٠).

أما مجلة اكليل الورود فقد تابعت كذلك اخبار الاحداث الجديدة في العاصمة استانبول. ففي عددها الصادر في ايلول ١٩٠٩ نشرت المجلة خبراً يتعلق بزيارة وفد المبعوثين العثمانيين الى باريس ولندن.. وركزت على قول نعم باشا سفير الدولة العثمانية في باريس لمجموعة من النواب الفرنسيين.. بأن شعار الثورة العثمانية كان الحرية والمساواة والاخاء.. وهي نفس شعارات الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩^(٥١).

كما كتبت عن مقابلة بطريك السريان أغناطيوس أفرام رحاني للسلطان الجديد محمد الخامس وقالت بأن البطريك «فاه بخطاب عربي بليغ أفصح فيه عن تهاينه وأمانيه وشواعر تعلقه المتين وعن أخلاص طائفته لعرش جلالته. ولما كان جلالة السلطان يفهم اللغة العربية حق الفهم، (فقد) أعجب ببلاغة الخطاب وكرر الشكر بعظمته مراراً...». وفي عدد تشرين الأول ١٩٠٩ نشرت اكليل الورود نص خطاب البطريك. وما جاء فيه: «ما طارت الى بلاد سورية وما بين النهرين وكردستان، البشرى الماثورة باستئصال دابر الاستبداد... الا وطربت لها فرحاً وجوراً...» وقد عكس الخطاب تممس الموصلين للحريات التي أطلقها الدستور العثماني وخاصة في مجال «تعميم العدالة والأمن والمساواة بغض النظر عن

لقد كان لأعلان الدستور أثر كبير في إيقاظ المثقفين الموصلين، ورغبتهم في التخلص من شتى صنوف الظلم والاستبداد والكنبت، ورغبتهم في الإفصاح عن آمالهم وأمنيتهم. وكان لشعارات الحرية والعدالة والمساواة التي رفعها الأنقلابيون صداها السريع في الموصل.. وقد أنضج ذلك من خلال الصحف التي صدرت. ومن هذه الصحف: نينوى والنجاح وحكة باز.

صدرت جريدة نينوى في ١٥ تموز ١٩٠٩. وكان صاحب امتيازها فتح الله سرسم ومديرها المسؤول محمد أمين الفخري ثم أصبح بعد ذلك محمد شكري أفندي. وتعد أول جريدة أهلية في الموصل (٥٣). وكانت تصدر مرتين في الأسبوع، وأخذت منذ صدور عددها الأول تعبر عن أهداف جمعية الأتحاد والترقي «حتى حسب بعض مؤرخي الصحافة أنها «لسان حال الجمعية في الموصل» (٥٤) والصحيح أن فرع الجمعية في الموصل إستعان بها بهدف نشر أهدافها السياسية. وقد تألفت الجريدة من أربع صفحات.. صفحتان باللغة العربية وصفحتان باللغة التركية.. وكان لها محرران أحدهما للقسم العربي وهو محمد فخري والثاني للقسم التركي وهو علي حكمت (٥٥).

تضمن المقال الافتتاحي للعدد الأول من الجريدة سياستها وأهدافها.. وما جاء فيه: «... أحكت في كثير من الأماكن أحكام الدستور فأقذت لذلك البلاد من مساوئ الاستبداد وأرتاحت من العناء سوى الموصل الخدباء فأنها قد أحدت عليها المالك من جميع المسالك، وعمت المحن جميع أهل الوطن، ولم تجد من يروح نفوسها، ويزيل بؤسها. ولذلك نراها كاسدة البضائع خامدة الصنائع، لم ترق أسبائها، ولم يتم اكتسابها ولم تنشط المعارف، ولم تهتد أن تلتفت في رياض الأدب أزهار اللطائف فتحركت لذلك

دواعي الحمية من رجال الجمعية وأرادوا نشر جريدة في بابها فريدة، خادمة للوطن، دافعة للمحن، ترجان الملة باحثة عن العلول والعلة، منبهة لذوي الأسباب على اكتساب الأداب، محرضة للعموم على تحصيل العلوم، داعية في كل ناد على الأتلاف والأتحاد...» (٥٦).

وعلى الرغم من سيطرة الأتحاديين على الجريدة وتوجيهها لخدمة السلطة الجديدة فقد أتخذ بعض المثقفين الموصلين في صفحاتها وسيلة لنشر مآبعر عن طموحاتهم وأمنيتهم. ومن ذلك أنها أسهمت في معالجة قضية حيوية شغلت أذهان الناس في تلك المرحلة، ألا وهي جعل اللغة العربية لغة التدريس في المدارس (٥٧). كما أثار بعض الكتاب على صفحاتها كثيراً من القضايا السياسية والأجتماعية. ولم تسكت عن بعض السلبات التي كانت تحدث في دوائر الدولة آنذاك. وقد بينت من خلال بعض مقالاتها للرأي العام الموصل مواضع النقص وأرشدته الى طريق النهضة والأصلاح. ومن أبرز الكتاب الذين ساهموا في تحريرها أحمد الفخري ودأود الملاح آل زيادة وحبيب العبيدي وأحمد سعد الدين زيادة وفتح الله سرسم. (٥٨).

بحثت جريدة نينوى في الأمور السياسية والأقتصادية والثقافية والأدبية وغيرها. وكان لها دورها البارز في ترسيخ النزوع الوطني، والفكرة القومية والمطالبة بالأصلاح السياسي والأجتماعي ونشر المفاهيم السياسية الحديثة (٥٩) وضمن هذا التوجه عالجت الجريدة في مقال افتتاحي بعنوان «المدينة والحكومة الدستورية» مسألة دور المثقف في تنوير الأذهان (٦٠). ولم تغفل الأهتمام بالأحوال الصحية، ومن ذلك دعوتها الدولة الى رعاية «صحة ومنتافع التبعة العمومية، ولأجل تكثير النفوس... ومحافظة الصحة والمقصد العالي لمعافاتهم من الأمراض السارية» (٦١).

وتابعت الجريدة أخبار ترميزات العشائر وجهود

الحكومة في مجال المحافظة على الأمن العام والاستقرار. وانتقدت بشدة ظاهرة انتشار استخدام الفرق الفنية، وأستلفت أنظار الحكومة والآباء لمنع أبنائهم من ارتياد الأماكن التي تعمل فيها هذه الفرق «الراقصة»، والسعي لتربيتهم وتعليمهم الأخلاق الفاضلة والسلوك الحسن.^(٦٢)

كما أنبرت الجريدة، لمعالجة ظاهرة (الخمير) وحذرت من مخاطره الصحية والاجتماعية: «... فحضره لم تحف على أحد... فهذا الداء الذي يمت الضمائر الحية، ويضعف القوى الأدبية... ويسلط عليها الشهوات الجسدية، ويميل لها الى أضرار الملذات ومخالطة السفهاء والتلفظ بالفحشاء...».^(٦٣)

وأكدت الجريدة في كثير من مقالاتها أهمية الوحدة العثمانية.. والوقوف ضد أية محاولات لتفريق الدولة.. ففي أحد أعدادها، كتب أحمد سعدالدين زيادة مقالة بعنوان «الأنحاد والأخاء» جاء فيه: «أن سعادتنا نحن أبناء الوطن إنما هي الوحدة العثمانية التي تتوقف عليها الجامعة الوطنية»^(٦٤) وكرست الجريدة صفحاتها لنشر البيانات الصادرة من المركز العام لجمعية الأنحاد والترقي العثماني. وكانت الجريدة ترد على ما تنشره الصحف الأخرى في هذا المجال، فعلى سبيل المثال نشرت في عددها الصادر في ١٩ رجب ١٣٢٧ (١٩٠٩) مقالاً ردت فيه على جريدة «نهضة العرب» وذلك لنشرها أخباراً مفادها «إثارة الأتراك على العرب» وقالت أن زعماء الأنحاد «أنهضتهم الحمية الدينية، والخدمة الوطنية لكشف الغمة عن سائر الأمة».^(٦٥)

وهاجمت جريدة نينوى جريدة النجاح الناطقة بلسان جمعية الحرية والأنحاد وأتهمتها بأنها حادت عن خطتها الأصلية التي أعلنتها منذ عددها الأول.. وهي أنها تدور مع الحق.. وقالت: «في عددها الأخير قد عدلت عن

ذلك، ولاحظت بعض الأفكار أن الدعوى التي أدعتها في الأمان والأطمئنان لاتوافق دور الحكومة الدستورية، بل توافق دور الحكومة المطلقة الحميدية لأن النهب والنصب سواء قل أو كثر لا يلائم إعلان الدستور»^(٦٦).

وفي عددها الصادر في ١٤ تموز ١٣٢٧ (١٩٠٩) نشرت مقالاً تهجمت فيه على المعارضة المتمثلة بالحزب الحر المعتدل. وعندما ابتدأت انتخابات مجلس المبعوثان في أواخر كانون الثاني ١٩١٢، شاركت جريدة نينوى في الصراع الحزبي بين جمعية الأنحاد والترقي وجمعية الحرية والأنحاد ودعت أهالي الموصل الى إعطاء أصواتهم «لمرشحي جمعية الأنحاد والترقي التي خلصت الوطن العثماني من مخالب الأنقراض وجاهدت حق الجهاد بعزم قاطع وقاموس ساطع». وحددت الجريدة في مقالها الصادر في ١٠ شباط ١٩١٢ صفات المبعوث الجيد.. ومن ذلك قولها: «... المبعوث من أي ملة كان وعلى أي مذهب كان، لينظر الى اثاره الخيرية ومنافعه العمومية... لسكان مملكته خاصة وللأمم العثمانية عامة. ولينظر ثانياً الى غبرته ونحوته وحميته على أهل وطنه وسكان بلدته... (وأن يكون) محافظاً على حقوق الجامعة المالية... والحقوق الوطنية».^(٦٧)

حقاً، كانت جريدة نينوى، مرآة صادقة انعكست في صفحاتها أوضاع الموصل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.. كما كان لها دورها البارز في شحذ الأذهان وترسيخ مفاهيم الحرية والعدالة والمساواة.. ولم تمنع سيطرة الأنحاديين عليها، من أن يتخذها بعض مثقفي الموصل انداك وسيلة لنشر مقالات انتقادية توضح تراخي السلطات الحكومية وتوانها عن اتخاذ الإجراءات المناسبة لتحقيق التقدم ومقارعة الاستبداد والظلم.. في عددها الصادر في ٢ كانون الأول ١٩٠٩ نشرت مقالاً لداود الملاح آل زيادة

بعنوان «فتور الهمة من الحكومة والأمة». خاطب فيه الحكومة بقوله: «أيها الحكومة الدستورية قد كنا صامتين في دور الاستبداد... أما اليوم فالأمة حرة لاتنقض جفنها على الضم ولاترضى لنفسها الأهمال عن حقوقها... ويراع قلمها يرشح مداداً فاغراً فاه نذيراً لمن لم يراع جانب الأمة لينفث سم مداده... فإذا كان الحال على ما نراه والأمة تتأفف من هذا الدور وتحش عقابه فأني دور ننتظر وبأي حكومة ننتصر وعلى من نعتمد ومن نستمد. أجل لايقال أن... بواعث الترقى وما يلزم بعمران الممالك هو منوط بالحكومة فقط بل بأشتراك الأمة معها...». ثم وجه اللوم الى الأهالي وأتهمهم بالركون الى «الخمول والتواني» ودعاهم الى العمل الجاد وفهم الحقوق والواجبات حتى يفهموا والاتصال بالنواب ومعرفة مايجرى «فهلا كان من الواجب عليكم بالأقل أن تكتبوهم بما فيه صلاحكم وصلاح أوطانكم». (٦٨)

صاحب أمتيازها أحمد مدحت، وبعد صدور خمسة أعداد منها أصبح صاحب الأمتياز خير الدين القاروقى العمري والمدير المسؤول عبدالله رفعت العمري. وكانت جريدة أسبوعية تصدر باللغتين العربية والتركية (٦٩) وفي عددها الأول وضحت سياستها وأسباب صدورها وقالت «أن السبب الداعي لأصدار هذه الجريدة خدمة الوطن... ونشر الحقائق... وأعلى شأن الدستور...» (٧٠) لذلك تعد من أبرز الصحف التي أسهمت في خلق طبقة مثقفة في الموصل وتكوين وعي دستوري بين قرائها. (٧١)

كان آصف وفاني محرر القسم التركي. أما عبد المجيد متولي فكان محرر القسم العربي. وكانت الجريدة تصدر يوم السبت من كل أسبوع، وعقبا ٢٨×٤٠ سم) وبأربع صفحات وكل صفحة تحتوي (٤) أعمدة كتب في ترويسها عبارة «تفخر بأنها تقدم خدمة للوطن». (٧٢) ويروي

<p>١٣٧٩</p> <p>ساحب النياز</p> <p>خير الدين القاروقى</p> <p>سكرى العمري</p> <p>آصف وفاني</p> <p>أوه نوري (مدير الادارة) و نوري افندي (مساعد الادارة)</p>	<p>النجاح</p> <p>١٣٧٨</p>	<p>١٣٧٩</p> <p>ساحب النياز</p> <p>خير الدين القاروقى</p> <p>سكرى العمري</p> <p>آصف وفاني</p> <p>أوه نوري (مدير الادارة) و نوري افندي (مساعد الادارة)</p>
<p>العدد الاول</p> <p>عبدالله رفعت فاروقى</p> <p>شرائط الاشتراك</p> <p>الاصدار ثلاثة اضعاف واحدة في الاسبوع</p> <p>وعارضا يكون هذا الاصدار هدي</p> <p>واحد</p> <p>الاصدار حسب الحاجة</p> <p>١٣٧٧</p>	<p>يوم السبت</p> <p>النجاح</p> <p>تفخر بأنها تقدم خدمة للوطن.</p>	<p>ساحب النياز</p> <p>خير الدين القاروقى</p> <p>سكرى العمري</p> <p>آصف وفاني</p> <p>يرجى مراجعة مدير الادارة السيد</p> <p>نوري افندي لمن يريد الاشتراك.</p> <p>النسخة مطبوع</p>

« جريدة النجاح صدر عددها الاول في الموصل بتاريخ ١٢ تشرين الثاني ١٩١٠ م.

خير الدين العمري، قصة صدور الأعداد الأولى من الجريدة، وفرع بعض العاملين من نهجها فيقول: «راجت الجريدة لمهاجمتها الحكومة وجرائتها في الكلام. فبعد صدور العدد الأول

أما جريدة النجاح، فقد صدرت بتاريخ ١٢ تشرين الثاني سنة ١٩١٠. وقد عرفت الجريدة بأنها للادعوة الى اللامركزية وتأييد الحزب الحر المعتدل، ثم جمعية الحرية والائتلاف. وكان

أنسحب نصف المحررين . وفي العدد الثاني لم يبق إلا أسمي وأسم صديق الدملاجي . ولما حضر العدد الرابع وأعد للطبع أنسحب المدير المسؤول وصاحب الأمتياز وبقيت الجريدة بدون صاحب ، فوقعنا على النسخة أنا وأصف أفندي وصديق الدملاجي ومحرر (القسم) العربي الشاعر مجيد متولي .^(٧٣)

حرصت جريدة النجاش على اللغة العربية وآدابها . . فدعت الى أحيائها ولم تنفك عن دعوة الشبيبة العربية الموالية الى الأهتمام بلغتها . فعلى سبيل المثال نشر خير الدين العمري سلسلة مقالات بتوقيع (عربي) حث فيها على ضرورة دراسة اللغة العربية ، ووجهت الأنظار الى التاريخ العربي ، ودعت الشباب الى قراءته والنظر فيه نظرة تدقيق وأمعان . . وأخذت تشير أشارات صريحة الى ماشهدته مصر وسوريا من نهضة فكرية ودعت الى الاقتداء بها^(٧٤) .

كما حاولت الجريدة أن تلفت أنظار السلطات الاتحادية الى أهمية التربية والتعليم . . ووجهت نقداً قاسياً الى حملة الأرقام من الموصليين الذين يكتبون مقالاتهم باللغة التركية على صفحات الجرائد . . وحملت الحكومة مسؤولية عدم الأهتمام باللغة العربية^(٧٥) .

وأخذت الجريدة على عاتقها ، منذ صدور أعدادها الأولى مناقشة موضوع «الخوة» التي تأخذها عشيرة شمر من العشائر الأخرى . . ومن تجار الأغنام فطالبت الحكومة بوضع حد لهذه الأعمال^(٧٦) ونقلت الجريدة على صفحاتها ما يتعلق بحياة الناس اليومية ومشكلاتهم ومطالبهم ودعت الى حل مشكلة «النزاع حول الأراضي» . . ونشرت مقالاً بعنوان «مزاي الصناعة» دعت فيه الى تأسيس مدرسة للصنائع^(٧٧) وأكدت الجريدة أهمية مواكبة العصر وشجعت الأهالي على إلحاق أبنائهم بالمدارس فالعصر «عصر العلم ، عصر النور والكهرباء ، عصر تقترض فيه الأمة العاطلة وتحجب

فيه الأمة العاملة» . وذكرت الجريدة بمكانة الموصل التاريخية وماضيها العلمي «فالأقدام الأقدام يابني الحدياء لارتشاف رحيق العلم وأجتناء أثمار المعارف فلا أمة إلا برجالها ولأرجال الا بالعلوم ولأعلوم إلا بالمدارس» .^(٧٨)

ونشرت الجريدة مقالات عن أهمية الزراعة وسيلة من وسائل تقدم الدولة وتطورها . وأكدت على ضرورة الأهتمام بالأرض . ودافعت الجريدة عن حقوق الفلاح وطالبت برفع الظلم عنه .^(٧٩) وأهتمت جريدة النجاش بالقضايا الأجتماعية ومنها قضية المرأة ودورها في تنشئة الجيل . ففي عددها الصادر في ١٠ جمادي الأولى ١٣٣٠ هـ (٢٧ نيسان ١٩١٢) قالت : «أن مصدر مجد البيت هو الأم وأخلاقها إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً . اذ هي المؤثر الكبير على الزوج والأبن والبنات ، فإن كانت من ذوات العقل النير والهمة الناهضة والأخلاق الحسنة ، اشعلت فؤاد زوجها سراجاً منيراً لا يطفأ مدى الأزمان . . وجاءت بنين وبنات ترضعهم حليباً صافياً مزوجاً بذكاء ونجاة وحمية وشهامة وعقل ورزانة وتعودهم على العفة ومكارم الاخلاق»^(٨٠)

ولما كانت جريدة النجاش تعبر عن وجهة نظر المعارضة المتمثلة آنذاك بجمعية الحرية والائتلاف . . فقد أهتمت بنشر منهاج هذه الجمعية وقراراتها وتعليقاتها ودخلت في صراع صحتني مع جريدة نينوى مما أدى الى ظهور تيارين سياسيين في الموصل ، أحدهما مؤيد لسياسة الاتحاديين والآخر معارض لهم^(٨١) . وحين بدأت أنتخابات مجلس المبعوثان . . حرصت الجريدة على نشر المقالات العديدة حول ضرورة قيام أنتخابات حرة ، وضمان الحرية للمنتخبين ودعت الأهالي الى ضرورة أنتخاب الشخص الذي ينفع البلد ويعمل على رقيه وتقدمه . كما طالبت في أحد أعدادها بضرورة زيادة عدد النواب الممثلين لولاية الموصل على نحو ينسجم

مع عدد نفوس الولاية. ونبتت الى أهمية «التوفي في الانتخاب» ووجهت الأنظار الى انتخاب الرجال القادرين على النهوض بالمسؤولية وخدمة البلد والأمة. (٨٢)

وكانت جريدة النجاح، بحق أداة مهمة في هذه الفترة للتعبير عن الشعور القومي العربي لدى الموصلين. فعندما وقع الاعتداء الإيطالي على طرابلس الغرب في ليبيا سنة ١٩١١ كتبت مقالات دعت فيها أبناء الموصل الى الجهاد وإعانة أخوانهم العرب. كما نشرت القصائد التي تعبر عن النزعة القومية وتحذر من مخططات الدول الأوروبية في ابتلاع الاقطار العربية (٨٣). وقالت في عددها الصادر في ٢٨ شوال ١٣٢٩ (١٩١١): «أن أوروبا متفكة على اقتسام بلادكم ومحو حياتكم من عالم الوجود.. فالآن أوان الأتفاق والأجتماع» (٨٤)

اللتين صدرتا بعد إعلان الدستور كانت هناك جريدة هزلية سياسية (تركية-عربية) بأسم جكه باز(أي المهدار) ظهر عددها الأول في ٢٧ حزيران ١٩١١. وكانت جريدة أسبوعية صاحب أمتيازها ومديرها المسؤول عبد المجيد خيالي (٨٦) وقد جاء في ترويسها أنها «جريدة سياسية، علمية، فنية، أدبية، فكاهية». صدرت بمقاس (٢٨×٤١سم) وبأربع صفحات، وباللغتين العربية والتركية وأحتوت الصفحة الواحدة على ثلاث أعمدة طويلة (٨٧). وحينما أصدر كاتب هذه السطور كتاب «نشأة الصحافة العربية في الموصل سنة ١٩٨٢ ذكر أنه لم يعثر على نسخة من الجريدة.. إلا أن السيد وائل النحاس أستطاع حين الأعداد لرسالته للماجستير عن «تأريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦-١٩٥٨» وبأشراف كاتب هذه السطور..



جريدة جكه باز (المهدار) صدر عددها الاول في ٢٧ حزيران ١٩١١م.

حقاً كانت جريدة النجاح أداة مهمة من أدوات التعبير عن الرأي العام للمجتمع الموصل، ووسيلة من وسائل التثقيف والتوجيه والأرشاد. وما ساعدها على ذلك اسلوبها الصحفي الواضح وطريقة أظهار الحقائق ومخاطبة القارئ مباشرة.. بما ينعكس على توسيع مداركه المعرفية والعقلية وبما يجعله يلم بما يدور حوله من أحداث وتطورات. (٨٥)

والى جانب هاتين الصحيفتين السياسيتين

من العثور على العدد (١٣) منها والصادر في ٢٥ رمضان ١٣٢٩ هـ (٦ أيلول ١٩١١). وقد أنصح له أن الجريدة سياسية علمية، فنية، أدبية، هزلية أكثر منها هزلية.. ووجد بأن الجريدة تضم عدة أبواب منها باب «حوادث» وباب «مقتطفات» وباب «أنتقاد» (٨٨).

وفي القسم التركي، من الجريدة ثمة أخبار عن الحدود، والأكراد، وتجريد حملة ضد عشيرة

كما صدر في الموصل نوع آخر من الصحف باسم «عثماني أژانسى افامه لري» أي بركات أخبارية عثمانية (٩١) وأژانسى هذه تلفظ (اجانسى) وهي كلمة فرنسية الأصل تعني (وكالة أنباء). وتلك النشرات عبارة عن أوراق مطبوعة تتضمن أخباراً داخلية وخارجية تصدر على شكل بلاغات حرية باللغة التركية وأحياناً باللغة العربية عن الحرب

۳۷۴

الخطيب. وقيل أن السائح الصلحي التركي «عبد الرشيد أبراهيم» الذي كان يدعو للجامعة الإسلامية هو الذي أسس هذه الجمعية بعد وصوله الموصل في أيلول ١٩١٤^(٩٤). وقالت «عثمانلي اژانسى» الصادرة في ٢٧ أيلول ١٩١٤: «أن جمعية مدافعة ملية» ناشدت كل عائلة وكل شخص التبرع بالملابس لأفراد الجيش العثماني كل حسب طاقته.^(٩٥)

أما في عددها الصادر في ١٣ أيلول ١٣٣٠ (٢٦ أيلول ١٩١٤) فقد نشرت أخبار إعلان الحكومة البايانية التعمية العامة لأسطولها. وكذلك أخبار الأضرار الكبيرة التي تكبدتها المدمرة الألمانية درهدن للسفن البخارية الأنكليزية في مياه أميركا الجنوبية^(٩٦). وقد قامت جمعية العلم السرية التي تشكلت في الموصل سنة ١٩١٤، بالتصدي لنشاط الدعاية العثمانية في الموصل الذي تضمنته النشرات التركية (عثمانلي اژانسى)، وكشفت كثيراً من أكاذيب هذه النشرات. كما سعت الى تنفير الأهالي من الأتراك وأشهار ظلمهم وتنبية الأذهان اليه.^(٩٧)

لم تلبث صحف نينوى والنجاح وحكة باز أن توارت عن الأنظار. وقد أشارت جريدة صدى بابل البغدادية بخبر نشرته بعنوان: «من يضع يده على المهاز لا يلتفت وراءه» قالت فيه: «وقفنا على خبر تعطيل جرائد الموصل لأسباب واهية يرفضها العقل السليم ومعجها الذوق السليم». وأضاف تقول: «قاتل الله الغايات ويخ بغ لها من جرائد حرة أوفقت نفسها خدمة للأمة والوطن!». ويبدو أن وراء احتجاب تلك الصحف عوامل سياسية ومادية وشخصية.^(٩٨)

ولئن كانت صحافة الموصل هي تلك التي تناولها البحث وصدرت خلال المرحلة الواقعة بين نشأتها سنة ١٨٨٥ والاحتلال البريطاني للموصل سنة ١٩١٨، فأننا نقول بأن تلك الصحف أدت

دورها على خير مايرام وخاصة في مجال التعبير عن طموحات الموصليين وأفكارهم. كما أسهمت في بلورة الاتجاهات الفكرية، داخل المدينة. وليس من شك في أن وراء ذلك الجهد كله يقف رواد مخلصون. كان لهم دورهم الوطني والقومي ابان تلك المرحلة الصعبة من تأريخ الموصل الحديث. وبدون شك فأنهم بنشاطهم ذلك. أرسوا الأسس الراسخة لنهضة صحفية شهدتها الموصل في المراحل التالية كما سنرى.^(٩٩)

الهوامش

- (١) لم نخط الصحافة الموصلية بما تستحقه من أهتمام الباحثين والمؤرخين العراقيين الذين ركزوا جهودهم على التأريخ لصحافة بغداد. وفي السنوات العشر الماضية ظهر أهتمام في جامعة الموصل بتأريخ الصحافة الموصلية ومن ذلك على سبيل المثال، كتاب د. إبراهيم خليل أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، (الموصل، ١٩٨٢) والرسالة التي قدمها وائل علي الحاسن لكلية الآداب بجامعة الموصل سنة ١٩٨٨ بعنوان «تأريخ الصحافة الموصلية ١٩٢٦-١٩٥٨».
- (٢) أنظر: أبراهيم خليل أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، (الموصل، ١٩٨٢)، ص ص ٥-١١.
- (٣) أقبل الآباء الدومنيكان الى الموصل سنة ١٧٥٠ وعين هنري أمانتون قاصداً رسولياً على بلاد ما بين النهرين وفارس وإريتريا وفي ٩ تموز ١٨٥٨ وصل أمانتون الموصل ومعه شاب مارديني اسمه (يوسف) ساعده في نصب المطبعة.
- (٤) أنظر: يوسف حجي، «النشر المسيحي الغربي في العراق ١٨٥٦-١٩٨٠» مجلة بين النهرين، العددان ٤٩-٥٠، ١٩٨٥.
- (٥) عباس ياسر الزبيدي، تأريخ الصحافة العراقية منذ نشأتها وحتى ١٩٣٦، رسالة دكتوراه قدمت لجامعة عين شمس، سنة ١٩٧٥، ص ١١.
- (٦) أعيد طبع بعض الكتب مرات عدة حتى وصل بعضها الى الخمس عشرة مرة، فضلاً عن كون القسم الأكبر منها مكتوناً من عدة أجزاء مما يدل على نشاط هذه المطبعة الكبيرة في نشر الثقافة والأدب في العراق. أنظر: إبراهيم خليل أحمد والطباعة في العراق، في تمجده من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج ١١، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٣١٦.
- (٧) للتفاصيل انظر: سهيل قاشا، مطبعة الآباء الدومنيكان بالموصل وراثتها الثقافي، مجلة بين النهرين، الموصل، السنة (٥)، العدد (١٧).

- (٨) أنظر: إبراهيم خليل أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٥-٦.
- (٩) التكريتي، المصدر السابق، ص ٤٧.
- (١٠) بطي، الصحافة في العراق، ص ١٧.
- (١١) النحاس، المصدر السابق، ص ٧.
- (١٢) المصدر والصفحة نفسها.
- (١٣) إبراهيم خليل أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل ص ٧.
- (١٤) أنظر: خليل صابات، تأريخ الطباعة في الشرق العربي، (القاهرة، ١٩٥٨) ص ٣٠١.
- (١٥) بطي، الصحافة في العراق، ص ١٢.
- (١٦) للتفاصيل أنظر: بهنام فضيل عفاص، تأريخ الطباعة والمطبوعات العراقية، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ١١٨.
- (١٧) للتفاصيل أنظر: إبراهيم خليل أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٨.
- (١٨) مجلة لغة العرب، السنة (٥)، الجزء (٥)، ١٩٢٧، ص ٥٣٢.
- (١٩) للتفاصيل أنظر: محمد حبيب العبيدي، خطبة نادي الشرق، (الموصل ١٣٣١)، ص ٨-٣٤.
- (٢٠) النحاس، المصدر السابق، ص ١٢.
- (٢١) لدينا بحث غير منشور بعنوان «جريدة الزوراء مصدراً لتأريخ العراق الحديث» قدم إلى ندوة بغداد الأولى التي نظمتها كلية التربية بجامعة بغداد للفترة من ٥-٧ أيار ١٩٩٠.
- (٢٢) أنظر: إبراهيم خليل أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٢٠.
- (٢٣) النحاس، المصدر السابق، ص ٢٥.
- (٢٤) التكريتي، المصدر السابق، ص ٥٦.
- (٢٥) أنظر: سليمان قبضي، في غمرة النضال، نشره عبد الحميد قبضي، بغداد، ١٩٥٢ م، ص ٥٦.
- (٢٦) جريدة موصل ٢٦ ربيع الآخر ١٣٢٣ (١٩٠٥).
- (٢٧) جريدة موصل ٢٨ كانون الأول ١٩٠٥ كما وردت في الزبيدي، المصدر السابق، ص ٣٣.
- (٢٨) جريدة موصل ١٦ ذي القعدة ١٣٢٢ (أذار ١٩٠٥).
- (٢٩) جريدة موصل ٢٧ آب ١٩٠٥.
- (٣٠) أنظر: إبراهيم خليل أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٢٢.
- (٣١) جريدة موصل ١٨ كانون الثاني ١٩٠٦.
- (٣٢) جريدة موصل ٢٢ شباط ١٩٠٦.
- (٣٣) أنظر رسالته مارة الذكر، ص ٣٢-٣٣.
- (٣٤) الصحافة في العراق، ص ١٨.
- (٣٥) أنظر: إبراهيم خليل أحمد والصحافة في العراق، في تحفة من الباحثين العراقيين، حضارة العراق، ج ١١، (بغداد، ١٩٨٥)، ص ٣٣٥.
- (٣٦) مجلة اكلييل الورود، السنة (١)، العدد (١)، كانون الثاني ١٩٠٢.
- (٣٧) أنظر: إبراهيم خليل أحمد و«اكلييل الورود»، أول مجلة تصدر في العراق، مجلة الجامعة، الموصل، السنة (٧)، العدد (٨)،

- ايار ١٩٧٧، ص ٧٤.
- (٣٨) الزبيدي، المصدر السابق، ص ٤٥.
- (٣٩) أنظر على سبيل المثال مقالات الأب عبد الأحد جرجي السرياني البغدادي عن «حبل العذراء»، ومفالات القس باسيل عن «الطهور الزكية في عبارة المسبحة الوردية»، مجلة اكلييل الورود، كانون الثاني ١٩٠٥، ص ١٥.
- (٤٠) أنظر: مجلة اكلييل الورود، تموز ١٩٠٧، حزيران ١٩٠٨ ايار ١٩٠٧.
- (٤١) أنظر: مجلة اكلييل الورود، آذار ١٩٠٣، ص ٢، شباط ١٩٠٧، ص ٤٨.
- (٤٢) إبراهيم خليل أحمد، اكلييل الورود، ص ٧٦.
- (٤٣) مجلة اكلييل الورود آب ١٩٠٧، ص ١٨٦.
- (٤٤) مجلة اكلييل الورود، كانون الأول ١٩٠٧، ص ٢٧٧-٢٧٨.
- (٤٥) مجلة اكلييل الورود، كانون الأول ١٩٠٧، ص ٢٧٨.
- (٤٦) مجلة اكلييل الورود، آب ١٩٠٥، ص ٢.
- (٤٧) أنظر مقالة «الصحافة في العراق»، مجلة الحرية، السنة (٢)، الجزء (٢)، بغداد ١٩٢٥، ص ٥٤٣.
- (٤٨) إبراهيم خليل أحمد، نشأة الصحافة في الموصل وتطورها ١٨٨٥-١٩٨٥، (الموصل)، ١٩٨٥، ص ١١.
- (٤٩) أنظر: Philip W. Ireland, Iraq, A study in Political Development, (New York, 1938), p.230
- (٥٠) إبراهيم خليل أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٣٧.
- (٥١) مجلة اكلييل الورود، ايلول ١٩٠٩، ص ٢١٥.
- (٥٢) مجلة اكلييل الورود، ايلول ١٩٠٩، ص ٢١٤-٢١٥، تشرين الأول ١٩٠٩، ص ٢٤٠.
- (٥٣) أنظر: إبراهيم خليل أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٣٨.
- (٥٤) النحاس، المصدر السابق، ص ٢٨.
- (٥٥) أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٣٨.
- (٥٦) جريدة نينوى ٢ تموز ١٣٢٥ (١٥ تموز ١٩٠٩).
- (٥٧) جريدة نينوى ١٤ تشرين الأول ١٣٢٦ (٢٧ تشرين الأول ١٩١٠).
- (٥٨) أنظر: جريدة نينوى، ٢ تموز ١٣٢٥ (١٥ تموز ١٩٠٩)، ٥ رجب ١٣٢٧ (١٩٠٩)، ١٩ رجب ١٣٢٧ (١٩٠٩).
- (٥٩) أنظر: ذنون يونس حسين الطائي، الاتجاهات الإصلاحية في الموصل في أواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني، رسالة ماجستير، غير منشورة، قدمت الى كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٩٠، ص ١٤٥.
- (٦٠) جريدة نينوى، ٢٣ محرم ١٣٢٨ (١٩١٠).
- (٦١) جريدة نينوى ١٠ ربيع الأول ١٣٢٨ (١٩١٠).
- (٦٢) الطائي، المصدر السابق، ص ١٤٧.
- (٦٣) جريدة نينوى ١٩ ذي القعدة ١٣٢٧ (١٩٠٩) وكذلك الطائي، المصدر السابق، ص ١٤٧.
- (٦٤) جريدة نينوى ٥ رجب ١٣٢٧ (٩ تموز ١٣٢٥).

- (٨٥) أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل ص ٥٣ وكذلك الطائي، المصدر السابق، ص ١٥٣.
- (٨٦) أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٥٤.
- (٨٧) النحاس، المصدر السابق، ص ٣٧.
- (٨٨) جريدة جكة باز، ٢٥ يفتان ١٣٢٩ هـ (٦ أيلول ١٩١١).
- (٨٩) النحاس، المصدر السابق، ص ٣٨، الطائي، المصدر السابق، ص ١٥٣.
- (٩٠) لم نثر على أي عدد منها. أنظر: روافيل بطي «تأريخ الطاعة» مجلة لغة العرب، السنة (٥)، ج (٩)، ص ٥٣٢.
- (٩١) للتفاصيل أنظر كتابنا نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٥٥.
- (٩٢) أعارني السيد أحمد النيلة أمين المكتبة المركزية العامة في الموصل سابقاً، مجموعة من هذه النثرية، وتعد من المجموعات النادرة.
- (٩٣) أنظر: علي الورد، لغات اجتماعية من تأريخ العراق الحديث، ج ٤، (بغداد، ١٩٧٤)، ص ٩٧.
- (٩٤) أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٥٥.
- (٩٥) عثمانلي أزانسي، ٢٧ أيلول ١٩١٤.
- (٩٦) عثمانلي أزانسي، ١٣ أيلول ١٣٣٠ (٢٦ أيلول ١٩١٤).
- (٩٧) أنظر رسالتنا للإجستير الموسومة «ولاية الموصل: دراسة في تطوراتها السياسية ١٩٠٨-١٩٢٢» قدمت لكلية الآداب بجامعة بغداد سنة ١٩٧٥ وهي غير منشورة.
- (٩٨) أنظر: جريدة صدى بابل ٥ تموز ١٩١٢.
- (٩٩) أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٤٥، الطائي، المصدر السابق، ص ١٥٤.

- (٦٥) جريدة نينوى ١٩ رجب ١٣٢٧ (١٩٠٩).
- (٦٦) جريدة نينوى ١٤ نيسان ١٣٢٧ (٢٧ نيسان ١٩١١).
- (٦٧) جريدة نينوى، ١٢ كانون الأول ١٩٠٩ وكذلك أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٤٣.
- (٦٨) جريدة نينوى ١٩ تشرين الثاني ١٣٢٥ (٢ كانون الأول ١٩٠٩).
- (٦٩) للتفاصيل أنظر: أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٤٧.
- (٧٠) جريدة النجاح ١٢ تشرين الثاني ١٩١٠.
- (٧١) أحمد، نشأة الصحافة العربية في الموصل، ص ٤٧.
- (٧٢) النحاس، المصدر السابق، ص ٣٠.
- (٧٣) الطائي، المصدر السابق، ص ١٤٨.
- (٧٤) إبراهيم خليل أحمد، الصحافة، في غيبة من الباحثين العراقيين، ج ١١، ص ٣٤٤.
- (٧٥) جريدة النجاح ٢ صفر ١٣٣٠ (كانون الثاني ١٩١١).
- (٧٦) جريدة النجاح ٢٢ ذي الحجة ١٣٢٨ (كانون الأول ١٩١٠).
- (٧٧) جريدة النجاح ١٠ ذي القعدة ١٣٢٨ (١٩١٠).
- (٧٨) النحاس، المصدر السابق، ص ٣٦.
- (٧٩) الطائي، المصدر السابق، ص ١٥١.
- (٨٠) جريدة النجاح ١٠ جمادي الأولى ١٣٣٠ هـ (٢٧ نيسان ١٩١٢).
- (٨١) الطائي، المصدر السابق، ص ١٤٩.
- (٨٢) أنظر: جريدة النجاح ١٠، ١٧، ٢٤ جمادي الأولى ١٣٣٠ (أذار ١٩١٢)، ٦ ربيع الأول ١٣٣٠ (١٩١٢).
- (٨٣) الطائي، المصدر السابق، ص ١٥٢.
- (٨٤) جريدة النجاح ٢٨ شوال ١٣٢٩ (١٩١١).

الطُّبُّ

د. محمود الحاج قاسم محمد

مقدمة :

فضلاً أن الجراد النجدي كان يأخذ أحيانا حصته من المدينة في تدني المستوى المعيشي للسكان. وما يؤسف له في هذا المجال سكوت المصادر عن إيراد معلومات دقيقة عن الاطباء في الموصل خلال الفترات الاولى من السيطرة العثمانية، فالإشارات الواردة في هذا المجال تتعلق بالطب الشعبي فقط، غير انه يمكننا القول ازاء الصورة التي رسمناها في السطور السابقة بوجود اطباء كانوا يمارسون هذه المهمة. لان كثرة الامراض والاوبئة كفيلة بخلق شرحمة متخصصة في وصف العلاج لتلك الامراض

٣٧٧

في القرون الثلاثة التالية لسقوط بغداد بيد المغول ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م، تردت الاحوال الصحية في الموصل شأنها شأن المدن العراقية الاخرى نتيجة لتصارع القوى السياسية الاجنبية على السلطة وما نجم عن ذلك من انتشار الفوضى والاضطراب فضلاً عن عدم وجود اهتمام من قبل هذه القوى السياسية المتصارعة باحوال الناس الصحية، لذا ليس غريباً ان نجد المصادر المتيسرة^(١) لدينا تفيض في الإشارة الى سنوات محددة كسنوات انتشار الطاعون او حدوث فيضانات او سنوات مجاعة،

تناولنا الموضوع الطب في الموصل خلال الفترة العثمانية سيكون ضمن خمسة مباحث هي :

أولاً- الطب الشعبي

لم تكن ممارسة الطب في الموصل خلال الفترة العثمانية من اختصاص الأطباء وحدهم ، وإنما كان يقوم به اصناف مختلفة فضلاً عن الأطباء ، وهؤلاء هم :

١- طب يقوم به بعض الرجال والنساء (كبار السن عادة) في الارياف والمدينة ، يتوارثونه من الآباء والأمهات عن طريق التجربة فكانوا يستعملون الكي وبعض الادوية المستخلصة من النباتات .

٢- الطب العطارى ، وكان ذلك على شكل :
أ- وصفات عطارية يصفها العطار (تعلمها اما بالوراثة او من بعض الكتب القديمة) للمريض الذي يعرض له حالته .

ب- وصفات شائعة بين الناس نتيجة خبراتهم السابقة ، وأحياناً دون استشارة احد . وما زال البعض القليل -حتى يومنا هذا يذهبون الى العطار لشراء وصفات جاهزة مثل (السفوف والسقوي والزريقون) .

ج- وصفات عطارية يصفها بعض الأطباء ويروي الكثير من الناس ان المرحوم الدكتور داؤد الجلبي (١٨٧٩ - ١٩٦٠م) كان يصف احياناً لمرضاه ادوية عطارية ويبعث بالمريض الى العطارين مع تعليماته للعطار بشأن الوصفة .

٣- الطب الروحي :يعتمد هذا النوع من الطب على فلسفة (الايمان والاعتقاد) ، إيمان الطرف الذي يمارس الطب الروحي انه قادر ، باذن الله ، على شفاء او تخفيف الم المرضى ، واعتقاد الناس الى حد اليقين بان الرقية والتعاويذ والعزامة وكرامة الاولياء

وتجدر الاشارة هنا الى ان شحة المعلومات في الفترات الاولى من السنوات العثمانية قابلها كم هائل من المعلومات في الحوليات والوثائق العثمانية في مطلع القرن الحالي (القرن العشرين) . من ذلك اشارة واضحة في السالنامة الخاصة بولاية الموصل لسنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م الى جملة اسباب ساهمت في توطن الامراض والاوبئة ولاهمية التشخيص الوارد في السالنامة لهذه المسالة ، نورد أبرز ما ذكره طبيب بلدية الموصل فيها ^(٢) :

١- اختلاف الجو اختلافاً كبيراً خلال الفصول الاربعة للسنة مما ادى الى تسبب امراض مختلفة .

٢- تخلف المدينة من ناحية التعليم بصورة عامة ، وقد ادى ذلك الى ان كثيراً من التداوير الصحية لا تراعى فيها .

٣- أثر الفقر على الصحة العامة من حيث السكن غير الصحي الذي يساعد على انتشار وتوطن الامراض ، ونوعية الاكل غير الجيد الذي يؤدي الى امراض مختلفة .

٤- تكاثر مضار نهر دجلة عند مدينة الموصل خلال الصيف وذلك لسوء استعمال المياه واساليب جلبها منه الى البيوت . وما زاد سوء استخداماته وقوع المدايع قرب النهر والتي ترمي بفضلاتها داخله فتسبب مظاهر صحية غير سليمة تؤدي الى انتشار الامراض .

٥- كثرة المقاهي والمطاعم القذرة والتي كانت تنفق الى الشروط الصحية هي الاخرى احد العوامل في انتشار بعض الامراض .

وفي ضوء ماسبق ، نستطيع القول بان السلطات العثمانية كانت تشعر او تتحسس بوطأة الامراض والاوبئة في ولاية الموصل بلدياً تشخيص سالنامة الموصل لمسببات الامراض ، غير ان ظروف الدولة العثمانية وخاصة صراعها مع الدول الاوربية اضافة الى ضعف الوعي الصحي ، وقلة الكادر المتخصص كانت كلها عوامل ساهمت في انتشار الامراض والاوبئة .

٥- الولادة والأمراض النسائية : كان ذلك من اختصاص القابلات والعجائز اللاتي يتوارثن المهنة ويقمن بالإشراف على الولادة ومعالجة بعض الأمراض النسائية وأمراض الاطفال .

ثانيا- مؤسسات دراسة الطب التقليدي :

كان الطب التقليدي مبنياً على قواعد علمية ومعارف طبية جاءت في مؤلفات الاطباء اليونان والعرب والمسلمين في العهود السابقة من امثال (ابوقراط وجالينوس وابن سينا والرازي ، وغيرهم) او على بعض المؤلفات الجديدة لبعض المتأخرين والتي كانت هي الاخرى لانتج عن دائرة الطب القديم ، علماً بأن مستوى الطب لم يكن يختلف عن الطب في اوربا او اي مكان في العالم في حينه .

وحتى بالنسبة لهذا الطب التقليدي لم نجد مايشير الى وجود مدارس متخصصة بتدريس وتخرج الاطباء في الموصل طيلة ذلك العهد^١. وان دراسة الطب كان يجري في المدارس التي كان يدرس فيها علوم اخرى ، وهذه المدارس كان اغلبها مبنياً منذ عهد بعيد وبعضها مبنى حديثاً ، ومن بين المدارس التي بنيت في هذه الفترة (مدرسة احمد ابن علوان) حيث عمرها لطلبة العلم وواقف عليها كتباً ووقفاً^(٢) . اما اشهر من تخصص باعطاء دروس في الطب وتدريب الاطباء على ممارسة الامور الجراحية فكان محمد بن القاسم العبدلي الحكيم والذي سوف يأتي الحديث عنه فيما بعد .

ثالثا- بدايات الطب الحديث :

بقي الطب في العالم متخلفاً حتى اكتشاف المجهر (المكروسكوب) والاشعة واللقاحات ، وتم ذلك بصعوبة بالغة وعلى نحو بطيء جداً ابتداء من القرنين السادس والسابع عشر. وكان اول اتصال بالتقدم العلمي في اوربا عن طريق مؤلفات ابن سلوم صالح افندي بن نصر الله الحلبي رئيس الاطباء في الدولة العثمانية (ت ١٦٢٠ - ١٠٨١هـ) وكان هذا

تشفيهم من الامراض واشتهرت في الموصل اسر بالقيام بالعزامة مثل بيت سيد توحى والرضواني والحبار والرشيدي وال سليم بك وآل عبد الله بك ... الخ وهناك بعض هذه الاسر لديها تخصصات ، فمثلاً اسرة سيد توحى متخصصة بالعزامة على الخبث واسرة عبد الله بك بالقراءة على الفالول ... الخ. وبجانب هؤلاء كان هناك اناس مثل فتاحي الفال يقومون بمعالجة المرضى بالخزعبلات ووصف وصفات خرافية .

٤- الجراحة كان يقوم بها اصناف هم :

أ- الحلاقون حيث كانوا يقومون بممارسة الحجامة والفصد والكسي وفتح الخراجات وقلع الاسنان. واحياناً كانوا يعالجون المرضى بوصف بعض الوصفات العطارية. وبقي حتى الربع الاول من قرننا هذا بعض الحلاقين مثل المرحوم الحاج مصطفى والمرحوم ابن الساري يمارسون ذلك .

ب- الختانون ويقومون باجراء عملية الختان على الاولاد ، وكان على الاغلب هؤلاء من الازعرية (وهم مهاجرون من مدن تركية مثل مدينتي (سعد ، وبديليس) ويأتي هؤلاء الى الموصل ببقية النحاء العراقي في مواسم الختان التي تصادف في اواخر الصيف .

ج- جوالون يمارسون قلع الاسنان واجراء عملية الحشو والسداد (الكاتاركت) والبواسير. اضافة لمعالجة بعض الامراض بالوصفات العطارية. والى فترة قصيرة كان يدور في ازقة الموصل من ينادي (طبيب حكيم) وبعض هؤلاء كانوا ممن يسمون (الصلبة) وهؤلاء جاعة يسكنون في الصحراء في بيوت شعر يعيشون على الصيد ومعالجة المرضى وتركيب الاسنان الذهبية للنساء والرجال في المدن والقرى ويقال انهم من بقايا الصليبيين .

قد ادرك اوائل الحركة الطبية عند الاوربيين واقتبس من مؤلفاتهم، ومن مؤلفاته بالعربية والمتوفرة في اغلب خزائن الكتب في الموصل «برء الساعة» و«غاية الاتقان في تدبير بدن الانسان» واللذان كانا من الكتب المعتمدة لدى اطباء الموصل المتأخرين⁽⁴⁾.

لقد كان الطبيب الموصلي محمد الجليبي من ابرز الاطباء واكثرهم شهرة وتأثيراً في مجال تطوير العلوم الطبية، فقام بترجمة بعض الكتب من اللاتينية للعربية كما سيأتي تفصيله فيما بعد. وكان لوجود الارشالية الدومنيكية دور خاص في ادخال الخدمات الطبية الحديثة في الموصل.

شهدت الموصل في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر حركة ثقافية متميزة في مجال الطب، حيث تحفز عدد من الشباب الموصلي للتخصص بدراسة الطب والبروز فيه خلال الفترات اللاحقة. وهكذا اصبحت الموصل تقدم الخدمات الطبية ليس لسكانها فحسب بل ولسكان المناطق المجاورة الذين توافدوا عليها للاستفادة من خبرة اطباؤها المشهورين في تلك المرحلة التي سبقت ظهور المؤسسات الصحية الحديثة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر⁽⁵⁾.

رابعا- الاطباء :

ان ابرز اطباء الموصل الذين حفظت لنا كتب التاريخ والسيرة اخبارهم في الفترة العثمانية عاشوا خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، نذكرهم فيما يلي حسب تسلسلهم التاريخي :

محمد بن قاسم العبدلي الحكيم

ولد ١٦٧٠ وتوفي ١٧٥٠ ونشأ من آل العبدلي علماء ومدرسون واطباء الا ان محمد بن القاسم العبدلي^(٦) كان اشهر فرد في هذه الاسرة الموصلية. ولد في الموصل ودرس فيها. قرأ الطب والتشريح على المهرة والحذاق من الاطباء وهاجر الى

مصر، ودخل حلب مرارا وتضلع بالكثير من العلوم العقلية والنقلية، الا انه اشتهر في الطب وغدا رئيسا للاطباء وطيبيا للطبقة الثرية في الموصل طيلة النصف الاول من القرن الثامن عشر، واخذ عنه الطب غالب اطباء الموصل في زمانه وقصده المرضى من البلدان المجاورة وبعد معركة دجيل سنة ١١٤٦ هـ (١٧٣٣ م) قرب نهر العظيم والتي انتهت بهزيمة نادر شاه برز مشرفاً على الاطباء والجراحين في معالجة الالاف الذين ارسلوا الى الموصل. وعندما مرض والي بغداد علي باشا عام ١٧٠٨ م/ ١١٢٠ هـ استدعي من الموصل ليعالجه وشفي على يديه، لذا فان الوالي خلع عليه خلعاً القبول والرضى. وكان من نتائج السمعة العلمية التي حصل عليها الحاج محمد العبدلي ان تحفز عدد من الشباب الموصلي للتخصص بدراسة الطب والبروز فيه. ومن تلمذ عليه ولده احمد، ونعمان بن عثمان الدفتري الموصلي. ومحمد امين بن اسماعيل حفيد ياسين المفتي وكذلك امين العمري وخير الله العمري الخطيب. توفي في الموصل وقام مقامه ولده احمد في الطب والعلاج.

احمد بن محمد العبدلي

درس الطب على والده وقام مقامه في الطب والعلاج بعد وفاته. وعلى اكثر من ميتين سنة وكانت وفاته سنة ١١٨٩ هـ - ١٧٧٥ م^(٧).

نعمان بن عثمان العمري

درس الطب على محمد العبدلي. كان له معرفة بالطب وخبرة بالمعالجات. الف كتاب «الرياض النعمانية في فوائد الطب من الحكمة الطبيعية» وكانت وفاته سنة ١٢٠٠ هـ - ١٧٨٥ م^(٨).

احمد بن علي المفتي العمري^(٩)

كان له اليد الطولى بالطب ومعالجات الامراض وله معرفة بالاجزاء والحشائش وتركيب الادوية والحبوب والمعاجين. توفي سنة ١١٩٠ هـ - ١٧٧٦ م.

محمد امين بن ابراهيم بن يونس بن ياسين
المفتي^(١٤)

درس الطب على الحاج محمد العبدلي. ومهرفي علم الطب ومعالجة الامراض. له مصنفات مفيدة منها اوراق الذهب، والشفاء العاجل والدواء الكامل. ويقول معاصره محمد امين العمري: وبالجملة فلا قرين له في علمي الطب والتشريح، وقد استفدنا منه فوائد جمة في العلمين. سافر الى بغداد مرارا. كان آخرها سنة ١١٨٤هـ - ١٧٧٠م ولما قدم الموصل الوزير علي باشا والي بغداد سنة ١٢٢٠هـ - ١٨٠٥م عالجته من مرض ألم به فأكرمه وقره.

عبد الله بن امين بن ياسين المفتي^(١٥)

ورث الطب عن ابيه واشتهر به كان له معرفة بالامور الصيدلانية مثل تركيب الادوية والحبوب والترياقات والمعاجين. وكانت وفاته سنة ١٢٢٦هـ - ١٨١١م او بعدها بقليل.

ياسين بن خير الله الخطيب العمري^(١٦)

مولده سنة ١١٥٧هـ = ١٧٤٤م ووفاته ١٢٣٢هـ = ١٨١٧م. من اساتذته محمد بن قاسم العبدلي. له ادب ومعرفة بالنظم، ويد طولى في سرعة نظم التواريخ، وله اطلاع على عدة فوائد من علوم شتى، وله خبرة بفن الطب ومن آثاره «الخريدة العربية في الطب».

محمد جلبي بن يوحنا الموصل^(١٧)

اسمه القس عبد الاحد بن يوحنا الموصل. ولد في الموصل سنة ١١٩٠هـ = ١٧٧٦م واسلم سنة ١٢٣١هـ = ١٨١٥م وتسمى محمد امين درس الطب على والده. وكان يتقن التركية والسريانية واللاتينية مما ساعده ذلك على ترجمة بعض الكتب القيمة من اللاتينية الى العربية مثل «الطب الجديد الكيميائي» لمؤلفه براكليسوس المتوفي ٩٤٨هـ - ١٥٤١م «صناعة الطب الكيميائي» تاليف

محمد بن محمود الجليلي الموصل

هو احد الفضلاء المتأدبين له معرفة بالطب والتواريخ وله شعر.. رحل الى بغداد لعلمه انها دار المراد سنة ١١٨٥هـ - ١٧٧١م واقام فيها اياماً وليالي الى أن صلح منه الحال فقدم الى الموصل^(١٨) واشتهر بالتجبير ومعالجة الكسور.

محمد امين بن خير الله الخطيب العمري^(١٩)

ولد في الموصل سنة ١١٥١هـ - ١٧٣٨م. درس على علمائها وعلماء بغداد. واتصل بالشيخ اسماعيل بن فتوحى سنة ١١٨٦هـ - ١٧٧٢م واجازه في كتابة الدائرة المجربة لدفع الطاعون المنسوبة للامام علي رضي الله عنه ودرس ايضا على محمد بن قاسم العبدلي.

تقلد الوظائف الدينية من خطابة ووعظ وتدریس. ولم نجد ما يشير الى ممارسته الطب سوى قوله هو عندما ترجم لمحمد امين بن ابراهيم بن ياسين المفتي «وبالجملة فلا قرين له في علمي الطب والتشريح. وقد استفدنا منه فوائد جمة في العلمين» وهذا يعني انه كان عارفا بالطب وكانت وفاته سنة ١٢٠٣هـ - ١٧٨٨م.

احمد بن علوان^(٢٠)

ملا احمد بن ملا بكر كاتب العربية لوزراء الموصل من الجليليين. كان عارفا بالطب ومعالجة الامراض. عَمَّرَ بالموصل مدرسة لطلب العلم، ووقف عليها كتباً وواقفاً. وله شعر جيد. وقد توفي سنة ١٢٠٧هـ - ١٧٩٢م.

قاسم بن فلاح المولى الموصل^(٢١)

نصبه سليمان باشا محافظاً وقياً على دار الكتب في جامع ابيه الذي بناه سنة ١١٩٢هـ - ١٧٧٨م، ثم سافر الى حلب فاعطى التكية المولوية هناك ثم عاد الى الموصل. وتعلم الطب ومعالجات الامراض وقد فرغ من تأليف كتابه الشهير (مفردات الطب) سنة ١٢٠٧هـ - ١٧٩٢م.

عبد الله احمد الجلي
لانعرف شيئاً عنه سوى انه كان كاخيه محمد
سلمم مقصد المرضى بالموصل^(٢١).

سليمان جرجس غزالة

ولد في الموصل سنة ١٢٧٠هـ = ١٨٥٣م وتوفي
في بغداد سنة ١٣٤٨هـ = ١٩٢٩م. درس على
الاباء الدومنيكان في الموصل ثم عند الاباء
اليسوعيين في بيروت. دخل جامعة باريس سنة
١٨٨٠ ودرس الطب على شانتس وبوتري وباستور
ثم حصل على الدكتوراه في الطب عام ١٨٨٦م وفي
سنة ١٨٨٧ وصل استنبول. وخلال الفترة من
١٨٩٥ - ١٩٠٥ عمل في العراق وسوريا. وبين
١٩٠٥ - ١٩١١ عمل في ليبيا. وانتخب عضواً في
الجلس التأسيسي العراقي سنة ١٩٢٥ وفي عام
١٩٢٧ أصبح استاذاً في الكلية الطبية العراقية بعد
تأسيسها مباشرة^(٢٢) له مؤلفات في الاقتصاد
السياسي والاجتماع والفلسفة^(٢٣).

حسن عبد القادر الموصل

لانعرف بالتحديد تاريخ ولادته او وفاته. له
رسالة في المرض الفرنجي. منه نسخة خطية في
مكتبة جراح باشا - قسم تاريخ الطب - استنبول
(تاريخ استنساخها ١٢٣١هـ = ١٨١٥م)^(٢٤).

حنا خياط

ولد في الموصل سنة ١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م.
حصل على بكالوريوس في العلوم والاداب من كلية
الطب الفرنسية في بيروت عام ١٩٠٣ وعلى دبلوم
الطب من جامعتي باريس واستنبول سنة ١٩٠٨.
وخلال الحرب العالمية الاولى عمل طبيباً واثناً
لرئيس جمعية الهلال الاحمر بالموصل ورئيساً
للمستشفيات فيها من ١٩١٤ - ١٩١٩. ^(٢٥)
وانتمى الى النادي العلمي فيها وشارك بنشاطات
فعالة. وخلال سنة ١٩٢٠ - ١٩٢١ ترأس مديرية
مصلحة الصحة العراقية. وفي الوزارة التقنية الثانية

فروليوس. وبذلك يعزى له فضل ادخال العلوم
الطبية الحديثة في الموصل بعد صالح بن نصر الله
الجلي (ت ١٠٨١هـ = ١٦٧٠م) وكان له عدد
من التلاميذ منهم شماس عبد الكريم بن نعمو. وله
مؤلفات مخطوطة منها شرح ارجوزة ابن سينا في
الطب والطب المختار. جاء في كتابه هذا شرح
لكيفية استعمال لقاح الجدري السلم الذي اكتشفه
جنر سنة ١٧٩٨م. وكتاب مفردات الطب المختار
وقد اعتمد في تأليفه على كتب الطب العربية
والاوربية الحديثة ورسالة في النبض وحفظ الصحة
واقرباذين الطب المختار وكتاب في الفلك اسمه
«الروض العاطر في تلخيص زيح ابن الشاطر»
الدمشقي الفلكي. وكانت وفاته سنة ١٢٦٣هـ =
١٨٤٦م.

احمد بن محمد الجلي (ت ١٢٨٢هـ =
١٨٦٥م)^(١٨)

ورث الطب عن والده واشتهر به. له كتاب
جمع فيه مجرباته في الطب.

شماس بن عبد الكريم بن نعمو

من طلاب محمد الجلي. كلفه محمد الجلي
باستنساخ بعض المصادر منها كتاب «نهاية القصد
في صناعة القصد»^(١٩) لانعرف بالتحديد تاريخ
ولادته ووفاته.

محمد سليم احمد الجلي (ت ١٣٤٣هـ -
١٩٢٤م)^(٢٠)

ورث الطب عن والده وبرز فيه، ترك مجموعة
مشاهدات ومقولات ومجربات طبية مؤلفة على غرار
الكتب الطبية القديمة. عاش حوالي خمسة
وسبعين سنة. وهو اخر السلسلة من الاطباء على
الاساليب القديمة. وبعده بدأت دراسة الطب من
اهل الموصل في الكليات الطبية في استنبول واوريا
ومنهم ابنه داود الجلي.

العيون ومرض (الاخت = حبة بغداد) بالدواء العطاري الذي كانت تقوم بتركيبه بنفسها. وكانت تتقاضى اجورا بسيطة وكانت تعالج الفقراء مجانا. وقد ذاع اسمها في الموصل وخارجها، وعند وفاتها قامت ابنتها (مریم محبي اغا) بمعالجة امراض العين، واصبح هذا العمل وراثيا عند هذه العائلة، حيث قامت بذلك بعدها ابنتها عزيزة فقد اعطيت الاخيرة اجازة لمعالجة امراض العين من قبل رئاسة صحة الموصل انذاك.



• الدكتور حنا خياط .

عبد الله الشلشي (او الشنشلي)

طبيب موصل كان يطب على اصول الطب العربي القديم، هناك ارجوزة في الحميات منسوبة اليه. تبين مؤخرا انها لابي موسى بن عذرون المغربي وليست له (٣١).

متي جرجيس فرنكول (٣٢)

ولد سنة ١٨٨٨، وهو من خريجي كلية الطب في جامعة بيروت الامريكية. وافاه الاجل في الموصل في ٥ آب سنة ١٩٥٩م.

السيد حسن بن السيد حسين (٣٣)

١١٩٢هـ = ١٧٧٨م، كان يعالج الامراض الجلدية بدهن الكبريت.

محمد طاهر بن عبد الله بن محمد الصائغ

درس في مدرسة الجلبي (او مدرسة الصائغ نسبة لبانيها عمه عبد الرحمن بن محمد جلبي الصائغ) حتى ادرسته المنية سنة ١٣٣٧هـ = ١٩١٨م) «ودرس الطب على الطائي» (٣٤).

داؤد الجلبي (٣٥)

ولد داؤد بن محمد سليم بن احمد بن محمد الجلبي الموصل سنة ١٢٩٧هـ = ١٨٧٩م. بدأ حياته الدراسية في كتابات الموصل وفقا للعادة فتعلم مبادئ القراءة والكتابة وقرأ القرآن الكريم، ثم درس في مدرسة الآباء الدومنيكان، وبعدها دخل

١٢ ايلول ١٩٢١ تولى مسؤولية اول وزارة صحة في الدولة العراقية (٣٦).

وهو طبيب ماهر وكاتب ومؤرخ له اثار طبية وكتابات في علم الاجتماع. وقد كان لتخصصه في الطب وثقافته الواسعة في احوال المجتمع الدور البالغ في تطور الامور الطبية بمدينة الموصل في اثناء توليه منصب رئاسة المستشفيات الملكية، ويتضح ذلك فيما اعده من خطط اصلاحية لرفع كفاءة الجهاز الطبي فيها (٣٧).

اسماعيل الموصل

ولد في الموصل ودرس في مدرسة الصناعة ببغداد في اوائل سنة ١٢٨٨هـ = ١٨٨١م وبرز في العلوم النفسية والعقلية. وتوفي ١٣٠٢هـ = ١٨٨٤م (٣٨).

الحكيم الاعور (٣٩)

متطب من اهل الموصل، كان يسكن في محلة الميدان، وكان يعالج اكثر الامراض بالادوية العشبية وكانت زوجته تعاونه. وقد توفي في حدود ١٣٤٧هـ = ١٩٢٨م.

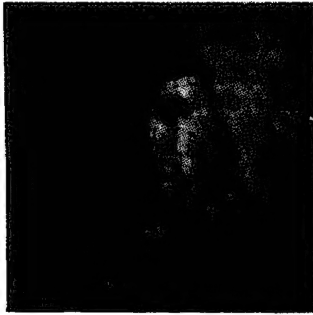
عدلة الحكيمة (٣٠)

اسمها عدلة محمود جرجيس اغا، ولدت في الموصل سنة (١٢٥١هـ = ١٨٢٥م) وتوفيت سنة (١٣٥٤هـ = ١٩٣٥م). كانت تعالج امراض

عاش الجلي حياة علمية في السنوات الاخيرة وتوفي سنة ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠ ، وبقدر تعلق الامر بمؤلفاته الطبية فقد الف ١ - مخطوطات الموصل ، ٢ - تحقيق كتاب الطيبخ لمحمد بن الحسن بن محمد ابن الترم الكاتب ، ٣ - رسالة محمد بن زكريا الرازي .

الدكتور يحيى نزهت عبد الله (٣٦)

ولد في مدينة الموصل ١٣٠١هـ = ١٨٨٣م وبعد ان اتمى دراسته الابتدائية والاعدادية في الموصل غادر الى مدينة استنبول لدراسة الطب



الدكتور يحيى نزهت علي ١٨٨٣ - ١٩٥٥

وتخرج من كلية طب استنبول عام ١٩١٤م. خدم في الجيش التركي حتى عام ١٩٢٦ عاد بعدها للعراق ليعمل في وزارة الصحة - المستنشي الملكي - في الموصل. نقلت خدماته الى الجيش العراقي عام ١٩٣٦. توفي عام ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م وقد ساهم خلال حياته بالقاء العديد من المحاضرات الطبية في المواسم الثقافية التي كانت تقام في مدينة الموصل .

الاباء الدومنيكان (٣٧)

اما الاباء الدومنيكان الذين اسسوا ارسالهم في الموصل سنة ١١٦٤هـ - ١٧٥٠م فقد كان



الدكتور داود الجلي (١٨٧٩ - ١٩٦٠ م).

المدرسة الاعدادية الملكية في الموصل ، وبعد تخرجه سافر الى استنبول وتخرج من الكلية العسكرية عام ١٩٠٩ طيبيا برتبة (يوزباشي = نقيب) عمل طيبيا في الجيش العثماني حتى ١٩١٥م حيث وقع في اسر القوات البريطانية واستمر أسره حتى سنة ١٩١٨م حيث عاد الى الموصل ليساهم مع نخبة من المثقفين الموصليين في تأسيس النادي العلمي سنة ١٩١٨م كواجهة للعمل السياسي ضد السلطات البريطانية وانتخب رئيسا لهذا النادي وبعد تأسيس الحكم الوطني عام ١٩٢١ عين طيبيا اولاً للمنطقة الشمالية ، كما انتخب سنة ١٩٢٤ عضواً في المجلس التأسيسي كنائب عن الموصل ويبدوانه عمل طيبيا للملك فيصل الاول (١٩٢١ - ١٩٣٣) ، وفي سنة ١٩٣٠م اصبح مديراً للامور الطبية للجيش العراقي واحيل على التقاعد سنة ١٩٣٣ . وفي سنة ١٩٣٧ عين عضواً في مجلس الاعيان في البرلمان . عرف الجلي في الاوساط الموصلية بعلمه الجم في مجال الطب ودقة التشخيص وكان يفضل الاستعانة بالاعشاب على الادوية الجاهزة . وفي معالجة امراض محددة ، ولعل من المناسب الاشارة هنا الى ان الجلي كان بحق موسوعياً في علمه اذ لم تكن دائرة اهتماماته تنحصر في الطب بل في مجال التاريخ والاثار والادب ، لذا اختارته المجاميع العلمية العربية في كل من دمشق وبغداد والقاهرة عضواً مراسلاً لها .

شيئا عن استحداث اية مؤسسة صحية في الموصل حتى نهاية النصف الاول من القرن التاسع عشر، كما اننا لم نجد لديهم مايشير الى تحديد الفترة التي استمرت فيها البياراتانات (المستشفيات) المبنية قبل الحكم العثماني في مواصلة اعمالها.

والمؤسسات الصحية في الموصل هي :

أ- المستشفيات العسكرية

١- مستشفى القشلة (الثكنة) العسكرية

خلال تولي محمد باشا ابنجة بيرقدار للموصل قام ببناء ثكنة واسعة للجيش كانت تعرف بالقشلة العسكرية والقسم المطل منها على دجلة بنى فيه مستشفى عسكري^(٣٩) وتم بناؤه في حدود سنة ١٢٥٨ هـ = ١٨٤٣ م. ويمكن اعتبار هذا المستشفى اول مستشفى حديث بني في العراق ومن ثم لتأمين الخدمات الصحية للفرقة ١٢ (١٢ قول اوردوسي) المرتبطة بالجيش السادس العثماني والتي كان مقرها الموصل جعل بناء الثكنة العسكرية ومستشفاهها كمستشفى مركزي. ولم يحصل اي تطور في هذا المستشفى فيما بعد سوى فتح غرفة عمليات صغيرة سنة ١٩١٠ وفي سنة ١٩١٤ وخلال الحرب العالمية ازداد عمله واهميته الاستراتيجية^(٤٠).

٢- مستشفى البلدية (الغبراء) والمدرسة الاعدادية :

في سنة ١٩١٤ وخلال الحرب العالمية الاولى جعلت بعض الابنية مثل مستشفى البلدية (الغبراء) ورداهات المدرسة الاعدادية تحت إمره الجيش وادخل في هذه الاماكن مرضى القوة الخفيفة^(٤١).

٣- المستشفى المركزي الذي افتتح في المنازل :

خلال الحرب العالمية الاولى عندما عادت الموصل من جديد مقراً للفيلق ، ولعدم وجود أماكن كافية في المستشفيات اتخذت بعض من دور الجنود من اهل الموصل كمستشفيات ينام فيها الجنود الجرحى والمرضى ويعالجون فيها.

لقد كانت العناية والنظافة مفقودة في هذه



• الاطباء الموصليون وقت دراستهم في المدرسة الطبية باستانبول قبل الحرب العالمية الاولى وهم الدكتور داؤد الديبوني (الجالس من اليمين) والدكتور عبدالله السليجي (الواقف الثاني من اليمين) والدكتور يحيى زهت علي (الواقف من اليسار).

يتقدمهم طيبان ايطاليان مبشران هما الاب فرنسيسكو توراني Touriane والاب دمينكو كود ايلنشيبي Codelin chieni واشهر الدومنيكان بصناعة الطب. وكان الاب اوغسطين ميرسي Merciai من انشط المبشرين الناجحين خلال الفترة بين ١٨٤٠ - ١٨٥٦ الذي عالج في الموصل وفي دير ماري عقوب .

ولكي تحصل الرسالة الدومنيكية على الحاية الضرورية وخوف البابوية من وجود البروتستانت في العراق فقد سارع الباب بيوس التاسع سنة ١٨٥٦ فاصدر قرارا بنقل قيادة البعثة التبشيرية الدومنيكية في الموصل الى دومنيكان فرنسيين.

وقد برز من هؤلاء في مجال الطب الاب هياسانت بيسون Besson والاب لويس ليون Lion والاب الرئيس كالان Calland والدكتور دنيس كوليه Collet الذي كان يدير اعمال المستوصف الذي افتتحوه سنة ١٨٧٦^(٣٨). وقد توالى عدد اخر من الاطباء للعمل في المستوصف سوف نذكرهم عند التحدث عن مستوصف الاباء الدومنيكان.

خامساً - المؤسسات الصحية :

لم يذكر لنا المؤرخون الذين ارخوا لمدينة الموصل

٥- دار القاهة :

افتتحت هذه الدار في باب سنجار خلال فترة الحرب سنة ١٩١٤ وبسعة ٥٠٠ سرير^(٤٦).

٦- مستشفى الهلال الاحمر العثماني في الموصل ومستشفى الصليب الاحمر الالماني في الموصل :

لنعلم على وجه التحديد موقع هذين المستشفيات، وعلى الاغلب كانا ضمن تشكيلات القطعات الثابتة في الموصل. ومن عملوا في مستشفى الهلال الاحمر بالموصل الدكتور عبدالله جميل^(٤٧).

ب- المستشفيات المدنية :

١- مستشفى البلدية (الغبراء) :

من بين المشاريع العمرانية والصحية والاجتماعية التي قام بها سعيد افندي بن قاسم اغا سعري في اثناء رئاسته الاولى (١٨٩٨-١٩٠٤) والثانية (١٩٠٨-١٩١٢) لبلدية الموصل هو انشاء بناية للمستشفى قرب باب سنجار^(٤٨) فوق تل الكناسة (تل كناس) وقد عهد للخدمة فيها عدد من الاطباء المواصلة وهم من الرعيل الاول الحاصلين على شهادات التخصص الطبي من جامعات استنبول وبيروت وباريس، ومنهم د. عبد الاحد عبد النور ود. فتح الله غنيمه ود. عبد الكريم قليان ود. يحيى سميكه^(٤٩). داؤد الجلي ود. احمد وجدي.

٢- مستشفى مدرسة الصناعة او (الاعدادية) :

شيدت البلدية خلال رئاسة سعيد افندي ايضا بناية ضخمة لمدرسة الصناعة في الموصل (٥٠). واستمرت هذه المدرسة بتعليم ابنائها حتى اعلان الحرب العالمية الاولى حيث جعلت قاعاتها وكذلك مستشفى البلدية تحت امرة الجيش وادخل فيها مرضى القوة العثمانية الخفيفة من الجيش العثماني كما ذكرنا سابقاً^(٥١).

المستشفيات نتيجة الازدحام وكثرة الاوساخ مما ادى الى انتشار القمل انتشاراً شديداً ثم الى انتشار مرض التيفوس حتى ان الاطباء المعالجين اصيبوا بهذا المرض.

ونتيجة لمطالبات الحرب اضيف ٥٠ سريراً لهذه المؤسسة الصحية غير النظامية والمكونة من ٢٥٠ سريراً وأطلق عليها اسم «المستشفى المركزي»^(٥٢).

في الوقت الذي كانت فيه المستشفيات قائمة على علاج الجرحى من الجنود ابتدأت حملات مكافحة الامراض التي انتشرت بين المدنيين والجنود. ونتيجة لزيادة الاهتمام بصحة الاهالي جعلت بعض الكنائس والبيوت المتواجدة في باب سنجار على شكل مستشفيات وبسعة ١٠٠ سرير لمعالجة هذه الامراض والامراض المعدية الاخرى. وفي هذا المجال افتتح الالمان مختبراً للقيام باجراء الفحوصات.

ان اعمال وخدمات الاطباء في مستشفيات الموصل خلال تلك الفترة (١٩١٤، ١٩١٥) تعد نموذجاً رائعاً للتضحية والفداء وهؤلاء هم^(٥٣).

رئيس الاطباء عزت سليمان، والجراح البكباشي كمال (سونش) والجراح خليل سيزافي (سيزر) والجراح مصطفى تحسين (كوركان) والجراح الاحتياط يوزباشي الموصل داؤد^(٥٤) ود. كاني (كومكاي) ود. مراد ود. ضياء (كباكلي اوغلو) واخصائي الجلدية احمد بلال ود. راشد (تاينكن).

٤- مستشفيات المقرات (٣، ٤) (الوحدات الطبية) :

خلال الحرب العالمية ايضا وعند انسحاب القوات العثمانية الى الموصل اضيف للمرضى الذين ادخلوا اليها مستشفين في مقرات القطعات وتحت رقم (٤، ٣) سعة كل منها (٣٠٠) سرير وبذلك ومع المستشفيات المفتوحة سابقا ارتفع عدد الاسرة الى (٣٥٠٠) سرير^(٥٥).

وملقح للجذري ومولدة. ومن اهم واجبات طبابة البلدية مراقبة المرافق العامة كالمطاعم والمقاهي وغيرها وكذلك مراقبة النظافة .. وتقيم مياه الشرب وكان لطبابة البلدية في الموصل صيدلية ومستوصف لعلاج الفقراء وتوزيع العقاقير التي يحتاجونها^(٥٦).

٢- مستوصف الآباء الدومنيكان :

في سنة ١٨٧٦ تم افتتاح مايسمى مستشفى ليجون، لكنه في الحقيقة لم يكن مستشفى متكامل وانما كان مستوصفا لعلاج المرضى اي كعيادة خارجية. وقد انضم الى الخدمة في هذا المستشفى راهبات التقدمة. وبعد سفر الاب كويله سنة ١٨٧٧ كان يدير المستوصف طبيب بولوني هو الدكتور الكسندر كومستاف Gustave الذي توفي في الموصل سنة ١٩٠٣. ومن بعده تولى ادارة المستوصف وللسنوات ١٩٠٣ - ١٩٠٥ طبيب لبناني. وفي ١٩٠٧ استطاع المستوصف الاستفادة من خدمات طبيب موصل تخرج حديثا من كلية الطب الفرنسية ببيروت وهو الدكتور حنا خياط الذي سبق ترجمته وعلى اثر نشوب الحرب العالمية الاولى غادر الآباء الموصل لكنهم عادوا سنة ١٩٢٠ لينصرفوا الى عملهم التبشيري ويتخلوا عن نشاطاتهم الطبية بعد ان تحملت الحكومة العراقية مسؤولية تنظيم الخدمات الصحية^(٥٧).

الهوامش

- (١) الرفوف على ابعاد الامراض والاورثة انظر: ياسين العمري، منية الادياء في تاريخ الموصل الحدياء - تحقيق سعيد الديوجي - الموصل ١٩٥٥ ص ١٧٣ ، ١٧٥ . وانظر كذلك :
- عبد السلام رؤوف/ الموصل في العهد العثماني - فترة الحكم المحلي ١١٣٩ - ١٢٤٩ هـ / ١٧٢٦ - ١٨٣٤ م - مطبعة الاداب، النجف ١٣٩٥ / ١٩٧٥ ص ٢٦ .
- (٢) سالتامة ولاية الموصل لسنة ١٩٣٥ هـ / ١٩١٧ م ص ١٠٩ - ١١١٢ .
- (٣) محمد امين بن خير الله العمري الخليل، ومثل الاولياء وشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدياء ، تحقيق سعيد الديوجي مطبعة الجمهورية - ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٧ م ج ١ ص ٢٩٠ .

وبعد الاحتلال البريطاني للموصل اتخذت مستشفى حكومياً ومكث فيها حتى تم انشاء بناية المستشفى الجمهوري الحالي^(٥٢) سنة ١٩٣٧ ومن ثم خصصت بنايتها القديمة لاقامة اخواننا الفلسطينيين .

٣- مستشفى الهلال الاحمر العثماني :

قامت السلطات البريطانية بعد احتلال الموصل بتوسيع مستشفى الهلال الاحمر العثماني في الموصل وجعله مستشفى مدنيا فيه قاعات للنساء والرجال. وكان يساعد الجراح المدني فيه معاون طبيب انكليزي ورئيسة ممرضات مع ممرضتين انكليزيتين وعدد من الممرضات الارمنيات وطبيبان او ثلاثة من العراقيين^(٥٣).

وقبل ان ننهي موضوع المستشفيات المدنية لابد من الاشارة الى نقطتين الاولى انه في الوقت الذي كانت فيه المستشفيات العسكرية تقوم بمعالجة المرضى والجرحى العسكريين الخطرين كانت ايضا تقوم بمعالجة المرضى المدنيين وخاصة عند انتشار الوبئة^(٥٤). والثانية ان هذه المعلومات التي اوردها نقلا عن الدكتور اوزباي تكشف حقائق تاريخية عن الامور الصحية في العراق بشكل عام والموصل بشكل خاص على عكس ماوردته اغلب المصادر^(٥٥). بان العراق في اواخر العهد العثماني كان خاليا من اي اثر لمستوصف او مختبر صحي وان ذلك ان دل على شيء فانما يدل على انه كان هناك قنبر لآباس به من الاهتمام بالاحوال الصحية لكنه لايتناسب ومتطلبات العراق وحاجته لتطوير اوضاعه الصحية بشكل مرضي .

ج- المستوصفات :

١- طبابة البلدية :

حسب ماجاء في قانون البلديات لسنة ١٢٨٥ هـ = ١٨٨٩ م؛ طبابة البلدية يدير شؤونها طبيب قانوني يعاونه في اداء واجباته جراح وصيدلي

- (٤) عباد عبد السلام رؤوف الموصل في العهد العثماني، ص ٢٩٥.
- (٥) ابراهيم خليل احمد، «النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العراق ١٢٥٨هـ - ١٩٢١م»، مجلة اداب الراغبين، كلية الاداب جامعة الموصل (١٦) - ١٩٨٦ ص ٢٥٤.
- (٦) انظر المصادر التالية:
- ١- ياسين العمري / غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام - بغداد ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م ص ٣٦٢.
- ٢- محمد امين بن خير الله العمري الخطيب / منهل الاولياء - ص ٢٦٧ - ٢٦٩.
- ٣- داؤد الجلي، مخطوطات الموصل، (بغداد ١٣٤٦هـ = ١٩٢٧م) ص ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١١٨.
- ٤- محمد بن مصطفى الغلامي، شامة العنبر والزهر المعنبر، تحقيق سليم التميمي، مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٧٧.
- ٥- ابراهيم خليل احمد - النشاطات الطبية والخدمات الصحية في العراق - المصدر السابق.
- ٦- عباد عبد السلام رؤوف / الموصل في العهد العثماني ص ٣٩٨.
- (٧) داؤد الجلي / مخطوطات الموصل ص ٢١٣.
- (٨) انظر / ياسين بن خير الله العمري / غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام ص ٣٤٧ وكذلك داؤد الجلي مخطوطات الموصل ص ٢١٧.
- (٩) غاية المرام ص ٣٤٢.
- (١٠) غاية المرام ص ٣٣٨ - ٣٣٩.
- (١١) أنظر منهل الاولياء ج ١ ص ١٤ - ٢١.
- (١٢) انظر منهل الاولياء ج ١ ص ٢٩٠. غاية المرام ص ٣٦٧.
- (١٣) انظر المصادر التالية ١٠ - غاية المرام ص ٣٨٠
- ٢- عبد الله الجبوري، فهرس المخطوطات العربية في مكتبة الاوقاف العامة في بغداد. مطبعة الارشاد، بغداد (١٩٧٤) ج ٤ ص ١٨٣.
- (١٤) انظر غاية المرام ص ٣٦١ - ٣٦٢، منهل الاولياء ص ٢٤٧، ٢٦٨، مخطوطات الموصل، ص ١٣٧، ٢٢٣، ٢٤٥.
- (١٥) انظر غاية المرام ص ٣٦٢ - ٣٦٣، منهل الاولياء ١ / ٢٤٨.
- (١٦) منهل الاولياء ج ١ ص ٢٠٨.
- (١٧) انظر سليمان صانع، تاريخ الموصل ج ٢ ص ٢٢٢ - ٢٢٣، مخطوطات الموصل، الجلي ص ٢٦٦ - ٢٧٢، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٩٣، عباد عبد السلام ص ٣٩٦. وكذلك سالم عبد الرزاق احمد، مخطوطات الاوقاف العامة في الموصل ١٣٩٧هـ = ١٩٧٧م ج ٦ ص ١٧٣، ١٨٧، ١٨٣. الجبوري ص ١٧٥.
- (١٨) الجلي، مخطوطات الموصل ص ٢٧٢، سالم عبد الرزاق، فهرس مكتبة الاوقاف في الموصل ١٨٠ / ٦.
- (١٩) ابراهيم خليل احمد / الطبيب محمد الجلي، جريدة الهدباء ١٧ / تموز / ١٩٨٤.
- (٢٠) الجلي - مخطوطات الموصل ص ٣، ٢٨، سالم عبد الرزاق، فهرس مكتبة الاوقاف في الموصل ص ١٨٠.
- (٢١) فيصل دبدوب، الدكتور داؤد الجلي حياته ومخطوطاته ص ٣.
- (٢٢) بعض هذه المعلومات اخذت من قريبه الدكتور وليد غزاله في رسالة خاصة.
- (٢٣) عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، دار احياء التراث العربي، بيروت ص ٢٥٧.
- (٢٤) اكمل الدين احسان اوغلو، مخطوطات الطب الاسلامي في مكنتيات تركيا، ١٩٨٤ ص ١٩٩.
- (٢٥) الياهو دنكور ومحمود فهمي درويش، الدليل العراقي الرسمي سنة ١٩٣٦.
- (٢٦) عبد الرزاق الحسيني، تاريخ الوزارات العراقية ط ٥ ج ١ ص ١٣، ٦٩.
- (٢٧) ذنون يونس الطائي، الاتجاهات الاصلاحية في الموصل في اواخر العهد العثماني وحتى تأسيس الحكم الوطني - رسالة ماجستير غير منشورة - كلية الاداب - جامعة الموصل ١٤١١هـ - ١٩٩٠م ص ٢٥٧.
- (٢٨) عبد الحميد العلوجي، تاريخ الطب العراقي، مطبعة اسعد، (بغداد ١٩٦٧) ص ٣٦٩.
- (٢٩) العلوجي، المصدر نفسه ص ٣٨٧.
- (٣٠) معلومات مستقاة من احد اقربائها.
- (٣١) محمود الحاج قاسم / عود على بدء - حول ارجوزة في الحيات، مجلة المورد المجلد (١٦) العدد (٢) السنة ١٩٨٧.
- (٣٢) مجلة المهن الطبية، المجلد (٧) العدد (٢).
- (٣٣) سعيد الديوبجي رواية شخصية، نقل عن (قرة العين فيمن اسمه الحسن والحسين لياسين العمري - مخطوط).
- (٣٤) سعيد الديوبجي، مدارس الموصل في العهد العثماني، مجلة سومر، المجلد (١٨) السنة ١٩٦٢، حاشية ص ٥٥. الا اننا لم نعرف من هو الطائي الذي قصده الاستاذ الديوبجي فاذا كان المقصود به «الشيخ محمد الحبثي الطائي» فذلك مشكوك فيه حيث لم يذكر صاحب منهل الاولياء في ترجمة حياته انه كان ملما بالطب وتدرسه.
- (٣٥) انظر فيصل دبدوب، الدكتور داؤد الجلي ص ٣ - ٥، العلوجي، الطب العراقي ص ٣٩١. ذنون يونس الطائي المصدر نفسه ص ٢٤٤.
- (٣٦) مقابلة مع نجل المرحوم الدكتور عجي ترهت، الدكتور نزار يحيى ترهت.
- (٣٧) جون فييه، الاباء الدومنيكان وخدماتهم الطبية في الموصل (بحث مطبوع على الالة الكاتبة) في خزانة الاستاذ سعيد الديوبجي ص ١ - ٢.
- (٣٨) ابراهيم خليل احمد / المصدر السابق.
- (٣٩) احمد علي الصوفي / تاريخ المحاكم والنظم الادارية في الموصل ص ١٨.
- (٤٠) كمال اوزباي / تاريخ الطبابة العسكرية والمستشفيات العسكرية Türk Asker Hekimligi Tarihi Ve Asker Hastanaları Dr: Kemal Ozbay
- (٤١) كمال اوزباي / المصدر نفسه ص ١٥٩.
- (٤٢) كمال اوزباي / المصدر نفسه ص ١٥٩.

- (٤٣) كمال اوزباي / المصدر نفسه ص ١٦٠ .
 (٤٤) على ما اعتقد المقصود به هو الدكتور داؤد الجليبي .
 (٤٥) كمال اوزباي / المصدر نفسه ص ١٥٩ .
 (٤٦) كمال اوزباي / المصدر نفسه ص ١٥٩ .
 (٤٧) كمال اوزباي / المصدر نفسه ص ١٨٦ .
 (٤٨) احمد علي الصوفي ، تاريخ بلدية مدينة الموصل ص ٣٠ .
 (٤٩) يوسف ذنون ، «اضواء من رواد الآثار والتراث في الموصل ١٨٩٣-١٩٨١» ، مجلة الجامعة - العدد (٦) آذار / ١٩٨٢ ص ١١١ .
 (٥٠) الصوفي ، المصدر السابق ص ٣٠ .
 (٥١) كمال اوزباي ، المصدر السابق ص ١٥٩ .
 (٥٢) الصوفي ، المصدر السابق ص ٣١ .
 (٥٣) المس بل ، فصول من تاريخ العراق القريب ، ترجمة جعفر خياط ط ٢ ، بغداد ١٩٧١ ص ١٧٨ - ١٧٩ .
- (٥٤) كمال اوزباي ، المصدر نفسه ص ١٥٩ - ١٦٠ .
 (٥٥) على سبيل المثال جاء في مقدمة الدكتور حنا خياط لكتاب حالة العراق الصحية في ربع قرن تأليف الدكتور موسى ديرهاكويان - مطبعة الاتحاد - الموصل ١٩٤٨ ص ٨ مائي : انتهت الحرب عام ١٩١٨ ... والاطباء لا يتجاوزون عدد الاصابع ، ودور القرى اقتصرت على سبعين سريراً في الحواضر الثلاثة الكبيرة (بغداد ، الموصل ، والبصرة) ولا اترلمستوصف او مختبر .
- (٥٦) الصوفي ، المصدر السابق ص ٢٤ .
 (٥٧) هذه الفقرة مأخوذة بصرف عن الدكتور ابراهيم خليل احمد ، مجلة اداب الرافدين العدد (١٦) ، ١٩٨٦ انظر كذلك : مذكرات لاتزا ص ١٤ (مخطوط ، ترجمة الدكتور داؤد الجليبي) .

الموسيقى

د. عادل البكري

التسلط الاجنبي من مغول وغيرهم الا ان ملاحظنا بقيت عربية ترتبط بالماضي العريق. ولا يستند الى أدلة مقنعة الرأي القائل بأن المقام العراقي يرجع تاريخه الى حوالي الثلاثمائة سنة بحجة انه لم يرد له ذكر في المصادر القديمة. فهذا الرأي لا يصح لان عدم تسميته بالمقام لا ينفي وجوده ، وليس كل ما لا اسم له آنذاك (كبعض الامراض مثلاً) لم يكن موجوداً.

اما الادلة التي تنهض لاثبات صلة المقام العراقي بالغناء العباسي فهي كثيرة منها انسجامه مع التطريب الذي يألّفه الطبع العربي والذي يتم بالغناء المسترسل غير الصاخب ، وهو شائع في العصر العباسي ، ويغني بأبيات قليلة من الشرقد لاتزيد على البيت الواحد كما فعل (مخارق) أمام الرشيد فقد غناه بيتاً واحداً فبكى الرشيد لغنائه ومنع مخارق خمسة آلاف دينار^(١٢) . فلا يكون هذا الغناء الا المقام او ما يشبه المقام ومنها ان غناء المقام هو الفن الكلاسيكي بالنسبة للاجيال الماضية

لم تكن الموسيقى في الموصل في اوائل الحكم العثماني ذات طابع متميز^(١١) . فقد كانت مزيجاً من أصول عديدة : عربية وغير عربية ، فالاصول العربية هي الموسيقى العباسية القديمة التي أخذت شكلها النهائي على يد الموسيقار البغدادي صفي الدين الأرموي ، فهو الذي جدد قواعدها واساليبها ورسم حدودها الفنية ، إضافة الى أنواع اخرى من الفنون المحلية في الموصل كالالحن الدينية والاغاني العشائرية ومنها الهازيج والركباني.

إن من أبرز ما يجب ان نذكره في هذا المجال أن الموسيقى العباسية تركت في كل من بغداد والموصل لوناً غنائياً ذا أسلوب خاص بقي خلال فترة السيطرة العثمانية وما بعدها وهو غناء المقام الذي يطلق عليه الآن (المقام العراقي) فهو وليد تلك الحركة الموسيقية العريقة التي تتصل جذورها بموسيقى العباسيين منذ أيام ابراهيم الموصلي وابراهيم ابن المهدي وغيرهما . وهو وان طرأ عليه التطوير والتغيير ودخول المصطلحات الاعجمية عليه زمن

كبار المغنين.

ومن أول المواصلة الذين اشتغلوا بتوثيق غناء المقام والكتابة عن اصوله وفنونه: احمد بن عبدالرحمن الموصلي القادري الرفاعي، المعروف بالمسلم الموصلي، المتوفى في حدود سنة ١١٥٠ هـ (١٧٣٦م)، وهو شاعر له شعر رقيق وموشحات بديعة منها موشح (في هوى شمس الملاح) وموشح (يا عذولي ليك عني). ومن أهم اعماله ترجمة رسالة (الدر النقي في علم الموسيقى) الى اللغة العربية وهي رسالة تبحث في المقامات الغنائية وتتكون كما يقول الموصلي من مقدمة وثلاثة ابواب وخاتمة.

اما المقدمة فهي تتناول بيان أصل هذه المقامات وكيفية نشوئها وسبب تسميتها والباب الاول: يبحث في أن كل مقام كان لحن نبي من الأنبياء وان اصلها سبعة ثم تشعبت. والباب الثاني: في ذكر دائرتها وتعلقها بالبروج والافلاك على التفصيل. والباب الثالث: في ذكر طبائعها وما يوافقها من الأحرف حالة القراءة. والخاتمة: في ذكر المجالس وما يوافق كل مجلس منها على حسب طبائع المستمعين، وذكر كيفية قراءتها والتنقل من مقام الى مقام، وبأي منها يكون الابتداء والاختتام^(١).

ويذكر في هذه الرسالة اسطورة عن نشوء الموسيقى خلاصتها ان النبي موسى ناجى ربه في التيه وكان يشكو العطش فجاءه جبرائيل وقال له: يا موسى ان الله يقرئك السلام ويقول: اضرب بعصاك الحجر. فضرب موسى بعصاه الحجر (فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا) فبان من كل عين صوت حسن يختلف عن الصوت الآخر. فهذه الاصوات هي اصل المقامات الاثنتي عشرة، وعندها قال جبرائيل (يا موسى إسمي) فاندججت هاتان الكلمتان واصبحتا (موسى) او موسيقى.

ويقول ان هذه المقامات الاثنتي عشرة مركبة من الطبائع الاربع وهي النارية والمائية والترابية

ويتمتع بالاحترام المتوارث من المجتمع، بل كان الغناء الرسمي الذي يغني امام الملوك والامراء فهو الغناء الذي يناسب (المقام) اي مقام الملوك والامراء، وكان قبل ذلك يغني امام الخلفاء العباسيين ولم يكن يسمى بالمقام ومنها ورود كلمات في المصادر القديمة تستعمل حتى الآن في فنون المقام العراقي كالصنعة^(٢) والفرعات^(٣). وكذلك الابتداء ببعض الألفاظ وهو ما يشبه ابتداء المقام العراقي، فقد جاء في كتاب الاغاني ان عمرو بن ابي الكنتات حضر يوماً عند الرشيد وكان عنده كبار المغنين مثل ابراهيم الموصلي وزلز و ابن جامع وغيرهم فغنى أمامهم اغنية أولها «ألا لا» فطربوا جميعاً لصوته وطرب الرشيد وأجزل له العطاء، وخرج المغنون وكل منهم يسأل صاحبه عن الغناء الذي أوله «ألا لا»^(٤). وربما كان هذا الابتداء «ألا لا» في الغناء العباسي هو الابتداء المتوارث الذي نسمعه الآن في المقام العراقي مثل (آلال بالال) في مقام الطاهر، او (ألي لي) في مقام السيكاه او غير ذلك.

وقد اصبح للمقام العراقي مدرستان: المقام الموصلي والمقام البغدادي. وما يهنا هنا هو المقام الموصلي الذي أخذ اتجاهاً خاصاً له يختلف عن المقام البغدادي أو غيره (مقام كركوك) مما يدل على مكانة الموصلي في فنون الموسيقى والغناء وانتهاجها نهجاً فنياً يختلف عما هو في المناطق الاخرى. ووجه الاختلاف في غناء المقام العراقي هو انه ببغداد يلتزم المغني بعد الابتداء بقيود نغمية يحفظها حسب تسلسلها ولا يخرج عنها. اما في المقام الموصلي فان المغني بعد أن يبدأ الابتداء نفسه كما في المقام البغدادي يأخذ بالتصرف الحُر في الغناء، ولا يتقيد بتلك القيود، بل ينتقل بين النغبات كما يشاء مرتجلاً الألحان حسب براعته وتمكنه من الأداء، ثم يرجع الى النهاية التي يختم بها المقام. ولا شك أن في ذلك مجالاً للاجادة والابداع الذي لا يقدر عليه الآ

والهوائية. فبعض المقامات طبعها ناري كالراست والبوسليك، وبعضها مائي كالتخالف وبعضها ترائي كالحسيني والمقابل والنوى، وبعضها هوائي كالحجازي والزنكولة^(٧). ويضيف الى ذلك ان الناس على طبائع شتى في اللطافة والكثافة وانه لكل مقام (مقام) ومقال فاذا كنت بمجلس المشايخ والصفوية فلتكن قراءتك بمقام المقابل والعربون لأن قلوبهم رقيقة من الطاعات وأطباعهم سليمة لطيفة من المجاهدات فلو سمعوا من المقامات النارية لتزقت قلوبهم.

واذا كنت بمجلس العلماء فلتكن قراءتك بمقام العشاق والحجازي لانهم في غاية الحرارة بعلومهم وهذه مقامات باردة .

واذا كنت بمجلس العوام فاقرأ المقامات النارية لان طباع هؤلاء كثيفة قوية^(٨).

وكانت قد بدأت في الموصل في اواخر القرن السابع عشر الميلادي حركة فنية موسيقية واضحة المعالم، ربما كان سببها الاستقرار السياسي الذي صارت المدينة تشعر به حيث كانت الدولة الحاكمة (الدولة العثمانية) قد بلغت أوج عظمتها، وتوغلت جيوشها الى قلب اوربا، وهو الاستقرار السياسي الذي اعقبه استقرار اقتصادي واجتماعي. وكان من رواد هذه الحركة الشيخ عثمان الخطيب.

كان الشيخ عثمان الخطيب بن يوسف بن عز الدين الخلوئي القادري الموصل، المتوفى سنة ١١٤٥ هـ (١٧٣٢م) من اشهر الملحنين من اهل الموصل في اواخر القرن السابع عشر الميلادي، وقد اشتهر بتلحين الموشحات وله ما يزيد على الخمسين موشحاً من مختلف المقامات واشهرها الموشح المسمى بسلسلة الرست ويتألف من اربع قطع ومطلعه (باباهي الجمال جُذ لي بالوصل)، وكذا الموشح المسمى بسلسلة الصبا ويتألف أيضاً من اربع قطع ومطلعه (صلوا على طه حبيب الرحمن) كما له أيضاً موشح (دمعي جري كالانهار) من نغم

الابراهيمي، وموشح (يامليح الحبي صلني) من نغم الحسيني، وموشح (مَنْ مجيري من غرام قد توالى في القواد) من نغم المنصوري، وموشح (صلاة من الله رحمة) من نغم الحسيني، وموشح (صلاة من الله تغشى دائماً) وهو من نغم الجهاركاه ولا يزال ينشد حتى الآن في الموالد والحفلات. وكذلك موشح (يا الهي قد رجا منك الهوى) من نغم الجهاركاه ايضاً، وموشح (صلاتي وتسليمي وأزكى تحياتي) من نغم السيكاه، وغيرها من الموشحات الجميلة (وقد ذكرها العالم الدكتور المرحوم محمد صديق الجليلي: نقلاً عن كتيبه «التراث الموسيقي في الموصل».

اما أشهر من اهتم بالشعر والموسيقى من اهل الموصل في القرن الثامن عشر^(٩) فهو الموسيقار الشاعر الشيخ قاسم الرامي: وكان اديباً شاعراً، عارفاً بالموسيقى وخبيراً بالايقاع والنغمت والنقرات، لا يشذ عنه شيء منها. وكان يعاشر شيوخ الصوفية ويحضر معهم السماع، ويعدو لهم فيسكرهم طيب، حذوه وغرابه شدوه. وكان مشهوراً بسرعة نظم التاريخ الشعري وله قصائد جميلة في المديح والنقد والالغاز وتحتوي على كثير من الفنون البلاغية من تورية وجناس. وكان ينظم الموشحات وبلحنها ومنها الموشح المعروف (يارب صل على من للمعالي علا)، وقد لحنه من مقام (سلمك). وكانت وفاته في الموصل سنة ١١٨٦ هـ (١٧٧٢م)^(١٠).

واشهر من ظهر من الموسيقيين والمغنيين من أهل الموصل في القرن التاسع عشر: الاديب القرني الموسيقار الشيخ سعدي بن محمد امين بن سعد الدين ال شيخ القراء الموصل، وكانت له اليد الطولى في الالخان والموشحات. وقد سافر الى بغداد واقام فيها ونقل اليها الشيء الكثير من التواشيح والتزييلات الموصلية. وكانت اقامته في بغداد في زمن ولاية سليمان باشا الكبير ثم رجع الى الموصل

عام ١٢١٧هـ (١٨٠٢م) لحدوث الطاعون فيها ، وبعد ذلك عاد الى بغداد في ولاية داود باشا. وكان ينظم الشعر على وزن الموشحات ويغزى اليه نظم كثير من الموشحات التي تقرأ في الموالد في بغداد. وذكر مؤلف كتاب مطالع السعود انه التقى به في بغداد عام ١٢٣٤هـ. وقد اخبره ان له مؤلفاً في علم الموسيقى ولكنه لم يطلع عليه ، غير أن المعروف عنه عنايته بغناء المقام وقد ضمت أسماء عدد من المقامات في احد موشحاته وهو:

قلبي اليك قد صبا

مولّع من الصبا

نار الحجاز في الجوى

قد احرقتنى في النوى

الركب من نجد سرى

مقابلاً خير الورى

ذخري مخالف العجم

ليس مخالف الكرم

ياأبا طاهر أجر

من بحماك ينتصر

فقد ذكر مقام (الصبا) و (الحجاز)

و (النوى) و (المقابل) و (المخالف) و (العجم) و

(الطاهر).

وقد توفي سعدي بن محمد امين ببغداد ودفن في

جامع الفضل ، وهو جد عائلة (السعدي) المعروفة

في بغداد الآن^(١١)

ومن هؤلاء ايضاً: صالح السعدي بن يحيى

افندي آل محضر باشي ، وكان عالماً بالموسيقى وقد

حل رموز كتاب الاغاني الكبير للاصفهاني ،

وكانت وفاته عام ١٢٤٤هـ (١٨٢٩م).

ومنهم ايضاً حسن الشكرجي بن محمد بن

احمد البياتي : وهو لم يكن موصلياً وانما سكن

الموصل وتوفي فيها سنة ١٣١٦هـ (١٨٩٨م) ودفن

في مقبرة عمر المولى . وكان مشهوراً بغناء مقامات

معينة منها مقام الحويزاوي. وهو أول من أدخل

نغمة (المقابل) الموصلية في الغناء البغدادي. ومن اخذ عنه الحاج محمود بن طيبة الحائك البغدادي الذي سكن البصرة. وكان حسن الشكرجي ممجداً في جامع الرادية ببغداد ، وكان يقرأ في الذكر الرفاعي بجامع السيد سلطان علي^(١٢).

اما المغنون والموسيقيون من أهل الموصل الذين ادركوا القرن العشرين ، منذ ابتدائه وحتى سقوط الدولة العثمانية فهم :

١- عبدالله الكركوكي ثم الموصلي : أصله من كركوك ثم سكن الموصل وتعلم الغناء فيها ، وكان من مشاهير قراء المقام وقد تتلمذ عليه عثمان الموصلي الميسيقار المشهور واخذ عنه المقامات ، وكانت وفاته سنة ١٩٠٢.

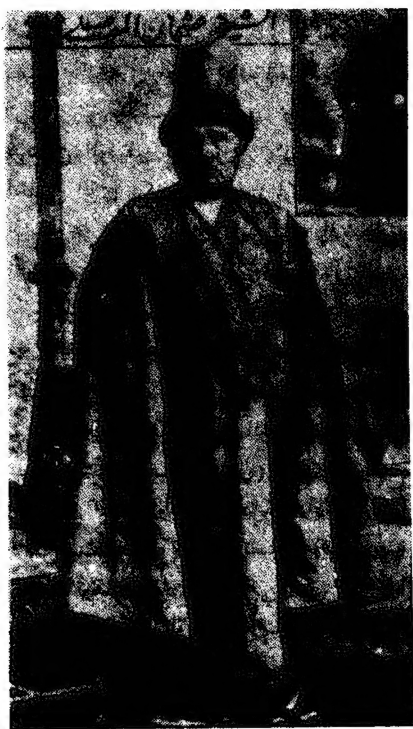
٢- اسكندر الموصلي آل يوسف زغي : كان استاذاً للموسيقى في مدرسة الدومينيكان في الموصل. وهو اشهر من نظم الانجال الانتقادية والاجتماعية باللهجة الموصلية على الالحان التي كانت شائعة آنذاك والتي تسمى الان (المونولوجات). نزح جده يوسف زغي من حلب الى الموصل سنة ١٧٥٨ وكان صرافاً لولاية الموصل. وقد توفي في حدود سنة ١٩٠٥.^(١٣)

٣- احمد علي الصفو : اشتهر بغناء شعب المقامات وقد سجل بعض الاسطوانات الفوتوغرافية ، وكانت وفاته في حدود سنة ١٩٠٨ ، وهو ابن علي الصفو الذي يعد من اشهر قراء ومنشدي التكية القادرية في الموصل.

٤- شكر الموصلي ، المتوفي سنة ١٩٠٨ ، وكان من يهود الموصل ويعد من أشهر عازفي القانون في عصره.

٥- ابراهيم بن حمادي العزاوي ، المتوفي سنة ١٩١٠ ، وكان من مغني المقام المعروفين وله بعض الاسطوانات الفوتوغرافية.

ونادرة عصره في الموسيقى والألحان والغناء ، ويعد من ألمع النوايع الذين أنجبهم الموصل الحدياء. ولد عام ١٨٥٤ في الموصل ، وتوفي والده وهو في السابعة من عمره ثم لم يلبث ان اصيب بفقد بصره على أثر إصابته بمرض الجدري فأصبح يتيماً كفيفاً لأميل له ، فطف عليه احد الوجهاء من جيرانه وهو محمود افندي العمري فأخذه الى بيته وضمه الى اولاده وجعله موضع عنايته ، وهناك حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلبه فقد عرف بشدة الذكاء وسرعة الحفظ ، كما حفظ الأشعار والموشحات وتنهأت له



• الملا عثمان الموصل.

دراسة الادب واللغة والموسيقى منذ صغره على علماء الموصل وشيوخها. وعندما بلغ أشده سافر الى بغداد ليكمل دراسته فيها ثم رجع ليواصل طريقه الى

٦- حسين الاعرج ، المتوفى سنة ١٩١٠ ، وهو من مطربي الموصل المشهورين وقد اشتهر بغناء مقام المقابل بشكل خاص.

٧- حسين علي الصفو ، المتوفى سنة ١٩١١ ، احد قراء المقام المشهورين وكانت له الرئاسة في الغناء الموصل. سافر الى بغداد واجتمع بالمطرب البغدادي المشهور أحمد زيدان وغنى معه وكانت محفوظاته من الشعر الراقي وله تسجيلات صوتية على الاسطوانات الشمعية القديمة المنقولة على الاشرطة.

٨- عزيز القصاب ، المتوفى سنة ١٩١٢ ، كان من تجار الاغنام ومن هواة الغناء ، وقد اشتهر بغناء القدود الحلبية والموشحات والادوار المصرية وله بعض الاسطوانات الفوتوغرافية. ٩- محمد حسكة الموصل ، المتوفى سنة ١٩١٢ ، كان من مشاهير قراء المقامات في عصره في الموصل.

١٠- حسن الوتار بن السيد محمود النوري الموصل ، المتوفى سنة ١٩١٦ ، من المغنين المشهورين في الموصل في اواخر الحكم العثماني.

وعندما اضطرت الدولة العثمانية في اواخر الحرب العالمية الاولى الى تجنيد الاطفال والشيوخ المتقدمين بالعمر للدفاع عن الامبراطورية كان حسن الوتار مع هؤلاء ، فسيقوا في طابور خاص لايزال الموصليون يتذكرون به ويطلقون عليه (طابور ابو شخاطة) الى مدينة حلب ، وفيها بهر حسن الوتار أهل حلب بصوته وغناؤه واخذوا يقيمون له الحفلات التكريمية ، ثم توجه بعد ذلك الى جبهة القتال وهناك انقطع خبره حيث لقي مصيره الابدي^(١١).

الملا عثمان الموصل : الموسيقار الشاعر المتصوف هو عثمان بن الحاج عبدالله الموصل ، عبقري زمانه

استانبول عاصمة الخلافة العثمانية وهناك درس القراءات العشر على مفتي لواء أزمير وتعرف على شيخ مشايخ الطرق الصوفية السيد محمد ابى الهدى الصيادي الذي قربه اليه وألحقه بمريدته ، ثم اوصله الى السلطان العثماني عبدالحميد حيث اصبح الرجل المقرب الى السلطان والموسيقار الخاص له ، وكان موضع عناية من البلاط الى درجة انه كان يمثل الخليفة العثماني في بعض البلاد الاسلامية. وزار مصر فبقي فيها خمس سنوات. وقد اعجب المصريون بعبقريته الموسيقية ونبوغه في الألحان والمقامات والموشحات فالتفوا حوله وأحاطوه باحترامهم وتقديرهم ، حتى ان مؤلفي تاريخ الموسيقى المصرية ذكروه في مقدمة الاساتذة الذين خدموا فنون الموسيقى والموشحات في مصر وقد درس عليه عدد من الموسيقيين المشهورين مثل محمد كامل الخلعي الذي ذكره في كتابه (الموسيقى الشرقي) والشيخ علي محمود الذي درس عليه الموشحات والمقامات ، والشيخ احمد ابو خليل القباني الذي درس عليه الألحان. كما درس عليه الشيخ محمد رفعة شيخ قراء مصر وهو أشهر طلابه في قراءة القرآن.

وفي مصر تعرف عثمان الموصلي على المغني المصري المشهور (عبده الحمولي) الذي كان يترجم على عرش الشهرة والمجد فيها ، وكان الالتقاء بينهما حافلاً حيث اعجب كل منهما بصاحبه وكانت بينهما صلات توثقت على ارهاق فني حتى انها كانا يجتمعان الليالي الطويلة في حفلات غنائية موسيقية يتناوبان فيها ضرب الغناء والعزف الى أن يدركهما الصباح.

لقد كانت إقامة عثمان الموصلي في مصر خصبة كثيرة العطاء ليس من الناحية الموسيقية فحسب بل من نواح اخرى. فقد طبع عدداً من كتبه الادبية والشعرية ، ومارس الصحافة إذ أصدر مجلة في القاهرة اسمها (المعارف) بين عامي ١٨٩٥ -

١٩٠٠. كما اتصل باقطاب الطريقة المولوية في مصر وكان يحضر جلسات الذكر معهم ، ثم إنتسب الى هذه الطريقة لانها لقيت هوىً في نفسه فهي تجمع بين التصوف والموسيقى. ومنذ ذلك الوقت ارتدى زي المولوية المكون من الرداء الفضفاض والقلنسوة الطويلة ذات العمامة ، حتى قبيل وفاته. وفي مطلع عام ١٩٠٩ كان الموصلي في بلاد الشام ، وإبان وجوده فيها قدمت فرقة غنائية من مصر برئاسة أمين عطا الله وأخيه سليم عطا الله. وكان بين اعضاء الفرقة فنان موهوب هو سيد درويش وكان لا يزال في طور نشوئه وقد تعرف عليه أمين عطا الله في القاهرة ولمس موهبته الفنية فقر الحاقه بهذه الفرقة. وقد مكثت الفرقة في الشام عشرة أشهر اتصل سيد درويش خلالها بالشيخ الموصلي وظل ملازماً له طوال تلك المدة. وقد كان نجاح الفرقة ضئيلاً فرجعت الى مصر لتجند مواهب جديدة وتبني نفسها لمرحلة ثانية بعد ثلاث سنوات. ورجع سيد درويش الى استاذة عثمان الموصلي ليواصل دراسته عليه في الاحان والمقامات والموشحات التركية ويستمتع الى انغام شرقية جديدة. وقد استطاع النابغة المصري خلال دراسته على عثمان الموصلي لمدة عامين (١٩١٢ - ١٩١٣) ان يأخذ الكثير من فنون الموسيقى وقد حفظ عن استاذة كل متع رافع من الغناء والالحان مما جعله قادراً على التصرف بالنغم الشرقي وادخاله في الاغاني المبتكرة^(١٥).

وقد أشاد المؤلفون المصريون بالدور الذي قام به عثمان الموصلي في تدريس الموسيقى والموسيقار المصري سيد درويش وتزويده بالالحان التي اقتبس منها اغانيه ، ومن هؤلاء الاستاذ محمد البحران الموسيقار سيد درويش ، فهو يقول عن هذه الاحان انها «الحجر الاول في بناء مجد أبيه سيد درويش ، وأنه رجع بعدها الى الاسكندرية بعد أن امتلأت جعبته الفنية من فن الاستاذ عثمان الموصلي.. وقد حفظ الكثير

من الاغاني والموشحات^(١٦).

(فصل هيثي) اي چالغي المقام ، فيشترك في الغناء مع عدد من الموسيقيين الاتراك المشهورين كعازف القانون شمس بك وعازف الكمان ممدوح ، والمغني المعروف قره قاش افندي وغيرهم الذين يشكلون جوقة موسيقياً كاملاً بصاحبه (كورس) من المغنين والمغنيات فيؤدون الاغاني الثقيلة والخفيفة والقطع الموسيقية من بشارف وسماقيات ، وكان عثمان الموصلي يقدم الحانه الشجية الخالدة ويقوم بالغناء وبالعرز^(١٨).

ومن الموسيقيين الاتراك الذين تأثروا بعثمان الموصلي : الموسيقار كاظم اوز (ويسمى ايضاً المعلم كاظم بك) ، وهو واحد الموسيقيين والمؤلفين الاتراك الذين لمع اسمهم في اوائل هذا القرن والذين كتبوا في فنون الموسيقى ومصطلحاتها ، وكان قد لازم الموصلي قبل سفره الى مصر وأخذ عنه المقامات العراقية ، كما استفاد منه في تحديد بعض المصطلحات الموسيقية التي جمعها في كتابه المسمى (موسيقى اصطلاحاتي) الذي طبع في استانبول عام ١٩٨٤ ، ويبدو أثر الموصلي واضحاً في هذا الكتاب^(١٩) ، ولا عجب في ذلك فان الشيخ عثمان كان استاذاً للموسيقى في مدارس العاصمة استانبول فترة من الزمن.

وقد أوجد هذا العبقري الموصلي في تركيا اسلوباً من الغناء لايزال الاتراك يعترفون به ويطلقون عليه اسم (اسلوب الحافظ عثمان الموصلي) ويذيعون أغاني تركية على نمطه من اذاعاتهم ، وقد سجلوا بعضه على اسطوانات تباع في الاسواق. وسمع بعض الفضلاء مرة في دار الاذاعة التركية بأنقرة تسجيلاً غنى فيه عثمان الموصلي على اسطوانة قديمة اغنية من نوع (غزل) وهو شكل غنائي يشبه المقام العراقي ويغنى فيه شعر غزلي. ومما يدل على قيمة الالحان التي وضعها عثمان الموصلي اهتمام الاتراك بها وتسجيلها بأصوات المطربين الجدد على اسطوانات موجودة في حوانيت الموسيقى. كما ان لهذا الموسيقار

ورجع عثمان الموصلي الى بلده الموصلي عام ١٩١٣ فأقام فيها فترة افتتح خلالها تكية مولوية في مسجد شمس الدين فكانت تقام فيها جلسات ذكر موسيقية. ولم تلبث الحال اذ قامت الحرب العالمية الاولى بين الامبراطورية العثمانية وخصومها وذلك عام ١٩١٤ واكتوت الاقطار العربية بلهيبها ووجد العراق نفسه مشتركاً فيها فساءت الظروف المعاشية في البلاد وعندئذ ترك الشيخ عثمان بلده الموصلي متوجهاً الى بغداد ليقم في دار ولده فتحي. واغلقت التكية المولوية ابوابها وانصرف الناس عن الموسيقى والغناء الى متابعة انباء المعارك الشرسة ، حتى كانت نهاية الحرب وتشكيل الحكم الوطني في العراق.

لقد استطاع عثمان الموصلي ان يترك في الموسيقى العربية آثاراً عميقة يلمسها من جاء بعده من الموسيقيين ، بل ترك الأثر العميق في الموسيقى التركية ايضاً. فنذ سفره الى عاصمة الخلافة العثمانية استانبول اصبح قبلة أنظار الموسيقيين الاتراك يقصدونه لدراسة فن الموشحات والمقامات النغمية عليه وكان منهم الموسيقار المعروف (سامي بك) والمغنية نصيب ، في الوقت الذي كان يمارس الغناء التركي الذي اخذه عن اساتذة اترك امثال (حسين فخر الدين دده) شيخ الطريقة المولوية (وذكاني دده) وغيرهما.

واشتهر عثمان الموصلي في اول أمره باحياء الحفلات الموسيقية الخاصة مع بعض الموسيقيين الهواة الاتراك ومنهم محمد امين باشا والحافظ شوقي وبسته نكار ضياء بك ، فيجتمعون في قصر شيخ الاسلام لاقامة حفلة غنائية فيه كل اسبوع ، وكان الشيخ الموصلي يعزف على آلة القانون^(٢٠). ثم صار بعد ذلك يحضر في ليالي رمضان في احد المقاهي المشهورة بمنطقة شهرزادة باشي ، وكانت تقام في هذا المقهى حفلات الغناء المعروف في تركيا باسم

وفي سوريا كانت له مواقف موسيقية وغنائية مشهودة ، منها نظمه وتلحينه وغناؤه لقصائد شعرية في حفلة ختان اولاد عبدالرحمن باشا اليوسف وهي قصائد طويلة تذكر المطلع من كل منها :

القصيدة الاولى ، مطلعها :

خليلي أدر لي كؤوس الطلا

وزمزم بما يطرب البلبل

والقصيدة الثانية ، مطلعها :

ظبي كحيل ذو حور

بدا فأخجل القمر

والقصيدة الثالثة ، مطلعها :

دارت بنا الاكواب كالكواكب

وزفها الساقى لخبر شارب

والقصيدة الرابعة ، مطلعها :

طائر الاقبال بالافراح بشر

حين غنى بلبل البشر وصفر

وقصيدة أخرى هنا فيها عبدالرحمن باشا اليوسف ،

كان بيت التاريخ فيها قوله :

وتغنى بأطيب اللحن أرخ

(مجد عبدالرحمن خير لبالا)

وفي هذه الحفلة طلب منه وجهاء القوم ان يغني

فأخذ القانون وعزف عليه فتجاوز بعزفه الساحر حد

الابداع ثم غنى موشح ابن سهل وهو :

يالبيالي الوصل في نادي الصفا

هل لك اليوم النيا من رجوع

فأجاد وأطرب ونال اعجاب الحاضرين^(٢٠).

وقد ترك عثمان الموصلي في العراق ، بعد رجوعه

من استانبول ، تراثاً غنائياً موسيقياً ثراً. ففي الموصل

درس عليه عدد من المشتغلين بالالحن والمقامات

والموشحات منهم الحاج سلو الجزيجي المتوفى سنة

١٩٣٣ ، والسيد احمد عبدالقادر الموصلي المتوفى

سنة ١٩٤١ ، ومحمد بن سرحان المتوفى سنة

١٩٤٩ ، والحاج محمد بن الحاج حسين الملاح

المتوفى سنة ١٩٤٩. اما في بغداد فقد درس عليه

معزوفات موسيقية كثيرة وضعها في اثناء وجوده في تركيا وهي مسجلة الآن في دار الاذاعة التركية في استانبول وقد اطلع عليها بعض الموسيقيين نذكر منها قطعة موسيقية من نعم (شرقي نهاوند) اطلع عليها الموسيقار المرحوم جميل بشير في احدى سفراته الى تركيا فنقلها كما هي واثبتا في كتابه المسمى (العود وطريقة تدريسه) .

ومن المعروف ان عثمان الموصلي كان يجيد الغناء التركي اجادة تامة ويؤديه بمصاحبة كبار الموسيقيين الاثراك ومنهم الموسيقار المشهور جميل بك ظنبوري (توفي سنة ١٩١٦) ، وقد سجلا معاً بعض الاسطوانات ، وكنت قد اطلعت على اثنتين منها واستمعت اليها ، الاولى يغني فيها الملا عثمان مقام اصفهان ومقام عشاق ، والثانية يغني فيها مقام حجاز كار شرقي ومقام هزام ويصاحبه فيها جميل بك بالعزف على الطنبور ، وقد كتب على كل من الاسطوانتين باللغتين : التركية بالحروف العربية والفرنسية اسم (الحافظ عثمان افندي) ، وهذا هو اسمه الذي يعرف به في تركيا .

اما في مصر فان عثمان الموصلي اول من ادخل نغمات الحجاز كار والنهاوند وفروعها حيث كانت غير معروفة فيها. وقد عُرف عنه انه كان له أسلوبه الخاص في غناء الأدوار المصرية. فثلاً كان الدور المشهور (سلمت روحك يا فؤادي للغرام من غير ماتعلم) وهو من مقام البيات ومن الحان داود حسني ، كان يغنيه ثم يصعد بميانة الخالف الموصلي (شرقي دوكان) مردداً (الأمر أمرك) الى ان يستقر على هذا المقام ثم يأخذ بالعودة الى لحن الدور نفسه وهذا من فنون الغناء التي لم يسبقه فيها أحد.

وقد ترك عثمان الموصلي في مصر الحاناً رائعة اقتبسها منه تلميذه سيد درويش وغناها بأسلوبه الخاص مثل (طلعت يا محلى نورها) و (زوروني بالسنة مرة) ، وكانت في الأصل الحاناً لموشحات دينية لا يزال ينشدها قراء الموشحات في الموصل .

كل من عبدالرزاق القبانجي المتوفى سنة ١٩٣١ ،
والحاج احمد بن ديبس المتوفى سنة ١٩١٧ ،
والحاج محيي الدين مكسي المتوفى سنة ١٩٤٣ ،
وعبدالفتاح معروف المتوفى سنة ١٩٨٩ وغيرهم .
وللملا عثمان كثير من الألحان التي اندثرت مع
الاسطوانات الشمعية التي كان يسجلها عليها
بصوته ويرسلها من استانبول الى اصدقائه في العراق
والتي لم يبق منها شيء الآن ، ومن ذلك اغنية من
نغم الراسن هي :

عرف الغرام بمهجتي فتمنعا
وراه قلبي لابرق فودعا

يومي اقلب راحتي وليلتي
ارعى النجوم وليته في ذا وعى
واغنية اخرى من نغم السيكاك في بيتين من الشعر
مع كلمات رقيقة تتضمن تحبة الى أهل بلده
الحدباء ، والبيتان هما :

أقول لصحب ضمت الكأس شملهم
وداعي صبايات الهوى يترنم
خذوا بنصيب من نعم ولذة
فكل وان طال المدى يتصرم
وكذلك اغنيته المشهورة وهي من نظمه وتلحينه
وغناؤه ومطلعها :

للعاشق في الهوى دلائل
لايسمح من كلام عاذل
يامن رحلوا وخلفوني
ابكسي اسفاً على المنازل

ومن لحن هذه الاغنية وضع النشيد المدرسي
(اطلال بني العرب الاوائل) الذي كان ينشد في
عهد حكومة فيصل الاول في المدارس الابتدائية
العراقية .

وللملا عثمان الموصلي ألحان رائعة لا تزال تتداولها
الحناجر ويغنيها المطربون الشباب في العراق منها :

١ - اغنية (فوق النخل فوق) الشهيرة والتي

هي من أقدم الحان عثمان الموصلي وكانت في
الاصل موشحاً دينياً اوله (فوق العرش فوق) .
٢ - اغنية (ريبتك صغيرون حسن) وهي في
الاصل موشح أوله : (ياصفوة الرحمن سكن -
فيكم غرامي) من نغم البيات .
٣ - اغنية (ياخشوف على المكربة) من نغم
السيكاك وقد أخذتها عنه (صديقة الملاية) وغناها
في الاذاعة . وتغنيها الآن فرقة الموشحات .
٤ - اغنية (يابنت المعيدي خلخالج دوى)
التي من نغم البيات .
٥ - اغنية (ياأم العيون السود) التي اخذها
عنه المرحوم ناظم الغزالي .
٦ - اغنية (اسمر ابو شامة) من نغم النهوند ،
ويغنيها احد المطربين المعروفين في العراق ، وهي
مأخوذة من موشح لعثمان الموصلي اوله : (احمر أثنانا
بحسنه سبانا) .
واقتراس الحان الموشحات وتحويلها الى اغاني
خفيفة بوساطة بعض صغار المغنين كان شائعاً في
العراق بعد الحرب العالمية الاولى . فكانت توضع
كلمات عامية بدلاً من كلمات الموشح الاصلية ،
وتغنى الاغنية من دون ان يعرف صاحبها . وكانت
الموشحات والقصائد الدينية في اواخر العهد العثماني
منتشرة وشائعة في البلاد الاسلامية لسيادة الجو
الديني آنذاك .
وكان الملا عثمان الموصلي قطباً من اقطاب
تلحين الموشحات ورئيساً روحياً لفرق الاذكار
والموالد في الموصل وبغداد لم يزاخمه في ذلك احد ،
فكان ينظم الموشحات ويلحنها وينشدها في
الحفلات والاجتماعات مع عدد من مريديه وطلابه .
ولم ينضب عطاء الموصلي حتى في ايامه الاخيرة
التي قضاها في بغداد فقد كان شاعراً وملحناً
ومعلماً للموسيقى ووطنياً مشاركاً في ثورة العشرين
ضد الانكليز حتى ادرسته الشيخوخة ثم وافاه الأجل
في ٣٠ كانون الثاني من عام ١٩٢٣ (٢١) .

الفنون الإيقاعية والفولكلورية :

وفي العهد العثماني أسهمت الطرق الصوفية في نشر الموسيقى والألحان الدينية والموشحات وكان من أبرزها الطريقة القادرية التي تقوم بعقد جلسات الذكر في التكية القادرية التي بناها السيد محمد النوري القادري ابن السيد جرجيس الموصلي المتوفى سنة ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧ م) داخل الجامع الكبير. وقلماً يوجد من سكان محلة الجامع الكبير في الموصل من أبناء الجيل الماضي من ليس له المام ولو قليلاً بالألحان والموشحات^(٢٢). وكان من أشهر قراء ومُنشدي التكية القادرية علي الصفو الموصلي (المتوفى حوالي سنة ١٨٩٥) وكان أيضاً ينظم المواليا الزهيريات.

وكانت الموسيقى العسكرية لها مكانتها في الموصل طوال سني الحكم العثماني ، وكانت تدعى (الطلبخانة) و (المهترخانة) وتتكون من ضاربي الطبول والصنوج ونافخي الابواق وعازفين على الآلات الوترية وتقدم الحاناً جميلة لاسيما في الاعياد والمناسبات السعيدة كارتقاء السلاطين للعرش وولادة ولي للعهد كما حدث عند ولادة سليم ابن السلطان مصطفى ، فزينت اسواق الموصل ومحلاتها وسمع الناس الموسيقى تنبعث من سراي الوالي صباحاً ومساءً لمدة سبعة ايام بليلاتها.^(٢٣)

اما فن الرقص في الموصل فلم تذكر المصادر التاريخية رقصاً متميزاً في هذه المدينة إبان العصر العباسي وما بعده. غير ان انواعاً من الرقص عرف منذ زمن الامويين وانتشر في البلاد العربية كالمشي بالدف ، وهو رقص خفيف لايزيد عن التمايل اثناء المشي والتحرك على ايقاع الدف ، وراقص الجواربي وكن يمارسه كما هو في بلادهم ، وكذلك رقص الهنود والاحباش. وتطور المشي بالدف بشكل خاص الى رقص جميل هو رقص (المثلثة).

ورقص المثلثة (او الرقصة المثلثة) مارسها أبناء

الموصل في اواخر العهد العثماني وادركنا بقية منها في الثلث الاول من هذا القرن ، وكانت تؤدي في الافراح والموالد ويقوم بها بعض النساء الوقورات والمتقدمات في السن و (الملايات) وهن متتابعات وراء بعضهن يؤديين حركات ايقاعية جميلة بأقدامهن ، ذات نظام خاص يعتمد على عدد الخطوات الكاملة وانصاف الخطوات ، والتمايل مع ايقاع الدف والنقارة وانغام الموسيقى. الا ان هذه الرقصة زالت في الوقت الحاضر ولم يبق لها اثر، وهي اشبه ماتكون برقصة السماح المعروفة في سوريا واطناها من أصل واحد نشأ مع دعاء (استي العطاش) وهو دعاء الاستسقاء المأثور لشيخ مشايخ الطرق الصوفية السيد محمد ابو الوفا المصري. وسميت بالسماح لانها تؤدي في فترات الاستراحة التي تتوسط جلسات الذكر فيسمح الشيخ للمريدين بادائها بعد أن يطلبوا منه الاذن بقولهم : السماح... السماح. وقد جددت هذه الرقصة في سوريا لتأخذ شكلها الحالي في مطلع عام ١٩٤٧ في حلب على يد شيخ الموشحات والسماح المرحوم عمر البطش والمرحوم عبداللطيف النبكي.

وعرفت الدبكة في القرى والارياف القريبة من الموصل وعند أبناء العشائر ، وهي رقصة جماعية تعتمد على حركات الأرجل غالباً وتؤدي على انغام المزمار بمختلف أنواعه وإيقاع الطبل. وعرفت رقصات اخرى عند البدو وغيرهم لأهمية لها في المنطقة.

الموسيقى والغناء في الموصل في عهد الحكم الوطني :

تشكل الحكم الوطني في العراق بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى. وقد ارتبط تطور الموسيقى والغناء في الموصل ، بنشاط الحركة الوطنية والمتبع كان يلاحظ انتشار انواع من الغناء في الموصل واطرافها كغناء الركباني وهو غناء محب أكثر من غيره يغنى في اطراف المدينة نظراً لسهولة وملاءمته للمواقف الحامسة والفروسية ، وهو من بحر الرجز

الذي يسهل التعبير به ومن نغم الاوج. وغناء السويحلي الذي ينتشر في المدينة والقرى المحيطة بها لاسيما القرى القريبة من الموصل^(٢٤) كما ان الاهازيج والعتابة تنتشر في القرى والارياف والمناطق التي تكثر فيها العشائر العربية حول المدينة. اما داخل الموصل، فضلاً عما ذكرنا هناك انواع اخرى من الغناء كالبالي وغانى الزفة والغانى الاجتماعية التي تغنى غالباً باللهجة الموصلية المحلية وكذلك اغاني الاطفال في العيد ورمضان، فضلاً عن المقامات الموصلية وخصصها مقام الناري والمنصوري والمخالف، والموشحات والتزيلات.

وهناك ضرب من الغناء يدعى بالمصلاوية، معروف في بغداد، ويعتقد انه نشأ في الموصل وانتقل منها الى بغداد، يغنيه مطربو المقامات العراقية بعد قراءتهم لمقام الحجاز والمدمي، وتكون كلماته منظومة بأبيات رباعية من الشعر الشعبي ويعنى بنغم الحجاز^(٢٥).

اما الاغاني الخفيفة التي تسمى في بغداد (الپستات) فهي قليلة في الموصل ومع ذلك فقد انتشر بعضها انتشاراً كبيراً في البلاد العربية كأغنية (الروزنة) وهي اغنية موصلية معروفة^(٢٦).

ولأهل الموصل تذوق خاص للغناء والموسيقى ولايفوتون فرصة التمتع بالمناسبات المختلفة فيقيمون حفلات الغناء والطرب. وكانت ايام الربيع مناسبات جيدة لظهور اغاني والحان جديدة وظهور مغنين وموسيقيين جدد. وقد اشتهرت الموصل بغناء الزهات في الربيع، فهناك في السهول والروابي المحيطة بالمدينة تضرب الخيام للترفة والمبيت فيها، ويقضي المتزهون الليل في الغناء والطرب.^(٢٧)

ومثل ذلك الغناء في اثناء الاصطياف في حمام العليل وهي بلدة صغيرة جنوب الموصل تشتهر بمياهها المعدنية ويقصدها اهل الموصل للاستحمام والاصطياف في مواسم معينة ويزدحم في تلك المواسم أهل الموسيقى والطرب، وتقام الولائم

وحفلات الانس وترتفع اصوات الموسيقى والمغنين من كل جانب، كان ذلك في الماضي القريب. اما الآن فلم يبق شيء من ذلك. وكان لأصحاب الحرف من بنائين وكوازين وحاكه وقزازين وغيرهم اغانيهم الخاصة بهم حتى ان بعض المقامات الغنائية اخذت اسمها من هذه المهن كمقام القزازي. كما ان مقام الناري اشتهر بأنه مقام الحاكه وذلك لكثرة غنائهم له ويظهر انه يتفق مع حركة الدقة والدواسات في آلة الحياكة القديمة في اثناء العمل.^(٢٨)

ومنذ السنوات مابعد الحرب بدأت فرق موسيقية وغنائية وتمثيلية تصل من بعض الاقطار العربية الى بغداد والموصل وتقيم حفلاتها في المقاهي بمصاحبة الآلات الموسيقية. وصار للمقاهي دور مهم في نشر الاغنية واللحن. وقد عُرف كثير من المغنين الموصلين والبغداديين المشهورين عن طريق غناء المقهى.

وعندما تشكلت الدولة العراقية وأولت عنايتها بترية الجيل الجديد عن طريق التوسع في فتح المدارس اهتمت بالشيد المدرسي وصار الناس يسمعون ألحاناً جديدة وجذابة وتتضمن كثيراً من المعاني القومية والوطنية وتناسب واقع تشكيل الدولة ونيل الاستقلال وتأسيس المملكة مثل نشيد (التاج ضفرناه والعرش أقتناه) وقد أنشد بمناسبة تشكيل اول حكومة ملكية في العراق وتتويج الملك فيصل الاول ملكاً عليها. ونشيد (ياظلام السجن خيم) ونشيد (اوريا لاتغالي فتقولي الفتح طاب) وتتجلى فيها الروح النضالية العربية والتحدى العنيف للاستعمار الاوربي. ونشيد (فزت يا قنطرة ظافراً بالمني) بمناسبة استقلال العراق ودخوله عصبة الأمم.

ولم تبق الايام كما هي فقد تطورت فنون الموسيقى والغناء وظهر المديح والتلفزيون والتسجيلات الصوتية الحديثة، واصبحت الاغنية العربية في

فونوغرافية .

٨- محمد بن نعمان ، المتوفى سنة ١٩٣٥ : ضابط ايقاع شهير في وقته في الموصل .

٩- السيد احمد السيد عبد القادر الموصل ، المتوفى سنة ١٩٤١ : اشهر مطربي الموصل على الاطلاق واقدروهم على اداء الالحان العراقية والشامية والمصرية وكانت له الرئاسة بالغناء دون منازع . درس على عثمان الموصل وكان يرافقه ويقصده الى بغداد عند اقامة الملا عثمان فيها . وقد اخذ عنه اغنية (للعاشق في الهوى دلائل) وسجلها بصوته على احدى الاسطوانات ، وهي من الالحان الجميلة والشائعة في الموصل . وقد سافر الى بيروت سنة ١٩٢٣ لتسجيل بعض اغانيه فسجل لشركة بيزافون ٢٨ اسطوانة . ثم سافر اليها ثانية سنة ١٩٢٤ فسجل لشركة اوديون ٣٠ اسطوانة . وسجل في بغداد لشركة بوليفون ٧ اسطوانات . وكانت بعض اغانيه تذاع من اذاعة بغداد . وقد اخذ جميع مطربي الموصل الذين جاءوا بعده اسلوبه في الغناء ، منه مباشرة او من اسطواناته .

١٠- الحاج محمد بن سرحان الموصل ، المتوفى سنة ١٩٤٩ : كان سابقاً من قراء قصبة عنتر في المقاهي ، ومن منشدي التكية القادرية ومن ملازمي الملا عثمان الموصل وقد اخذ عنه الشيء الكثير . وكان قد سافر الى بغداد للاجتماع بمطربها الشهير احمد زيدان وغنى معه .

١١- السيد سلمان بن السيد يحيى الموصل ، المتوفى سنة ١٩٤٩ : مطرب موصل مشهور درس الغناء على حسين علي الصفو وكان يتبع اسلوبه في الغناء . وقد سافر الى بغداد لتسجيل ١٥ اسطوانة غنائية في شركة بيزافون بقيت فترة طويلة في التداول .

١٢- فيض الله امين الموصل ، المتوفى سنة ١٩٥٠ كان مشهوراً بغناء المقامات وخاصة مقام الابراهيمي والتخالف .

١٣- علي بن محمد صالح آل شيخ القراء ، المتوفى سنة ١٩٥١ : كان من مشاهير قراء الموصل

النصف الثاني من هذا القرن مشاعة في جميع المدن العربية ومنها الموصل التي ظهر فيها نشاط فني ملحوظ كتشكيل فرق غنائية ومنها فرقة عثمان الموصل ، وأسس فيها نادي الفنون ، وبرز موسيقيون ومغنون وملحنون من الشباب الذين درجوا على طريق الفن الاصيل .

فنانون الموصل في القرن العشرين :

ونذكر في ما يأتي اسماء المغنين والموسيقيين والملحنين من اهل الموصل الذين ادركوا القرن العشرين منذ قيام الدولة العراقية الحديثة وحتى وقت قريب :

١- الحاج محمد ملا ابجون الموصل ، المتوفى سنة ١٩٢٤ : وكان من مشاهير قراء المقام في الموصل وقد اخذ ذلك عن ملا ولي الشهير وله بعض الاسطوانات الفونوغرافية .

٢- محمد بن ذنون الكواز ، المتوفى سنة ١٩٢٥ : من قراء المقام المعروفين وله بعض الاسطوانات الفونوغرافية .

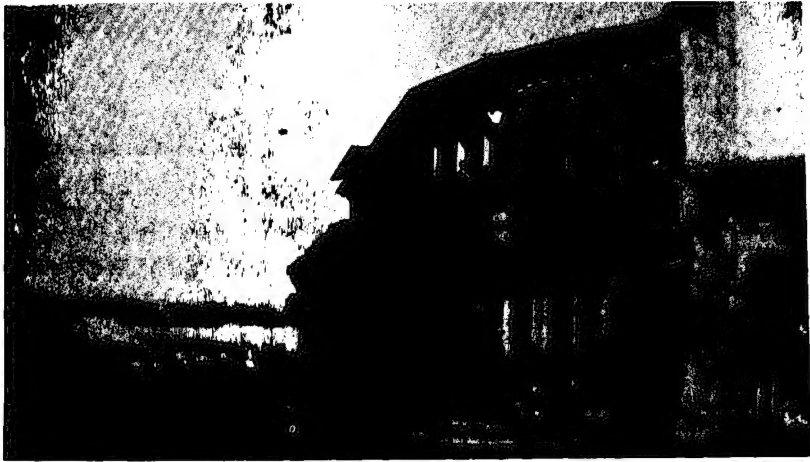
٣- السيد عبد القادر الموصل ، المتوفى سنة ١٩٢٦ : كان من اشهر قراء الموشحات ومنشدي التكية القادرية بالموصل ، وهو والد مطرب الموصل الكبير السيد احمد الموصل .

٤- سعيد بن محمد صالح آل شيخ القراء ، المتوفى سنة ١٩٢٧ وكان من منشدي حفلات المولد ومن مطربي الحفلات الغنائية الخاصة .

٥- عزيز خدوج ، المتوفى سنة ١٩٢٧ : وكان اشهر عازف سنطور في الموصل .

٦- السيدة منيرة الهوزوز : عاشت في الموصل خلال الثلاثينيات من سني هذا القرن ، وكانت من مشاهير المطربات المعروفات في العراق والاقطار العربية ولها اسطوانات فونوغرافية .

٧- الحاج سلو بن صالح الجزمعي ، المتوفى سنة ١٩٣٣ : كان يمتهن بيع التبوغ والسكاير ويعمل مجدداً في جامع نعمان باشا الجليلي ومن منشدي حفلات المولد النبوي كما له اسطوانات



مقهى الخضراء في ساحة بلدية الموصل ، حيث قام بدور مهم في ازدهار فن التلعين والغناء في الموصل .
عن أزهر العبيدي ، الموصل أيام زمان (الموصل ، ١٩٨٩) ص ٣١٥

تأسس في بغداد سنة ١٩٣٦ . توفي سنة ١٩٥٨ .

١٨- صالح جلبي بن الحاج قدّو بن شاهين
أغا ، المتوفى سنة ١٩٦٥ : كان من هواة الغناء يجيد
غناء الادوار والقذود الحلبية وله بعض الاشرطة
المسجلة .

١٩- جميل الاعظمي بن اسماعيل الموصل ،
المتوفى سنة ١٩٦٧ : أصله من الموصل ، وكان من
مشاهير قراء المقام في بغداد .

٢٠- صبحي بن احمد الكنجاني وكان من
عازفي الكمنجة المعروفين في الموصل . اشتغل في فرق
الملاهي الغنائية ثم سافر الى الكويت واشترك في
تسجيلات المطرب ناظم الغزالي التلفزيونية هناك .
وتوفي في حادثة سقوط الطائرة المصرية في البحر
المتوسط وهي في طريقها من القاهرة الى بيروت في
١٨ آب ١٩٦٨ .

٢١- ذنون بن احمد بن عبدالله الكواز درس
القراءات السبع على شيخ القراء محمد صالح
الجوادي . وكان من منشدي حفلات المولد . سجل
للاذاعة العراقية مقام النوى في تموز ١٩٦٦

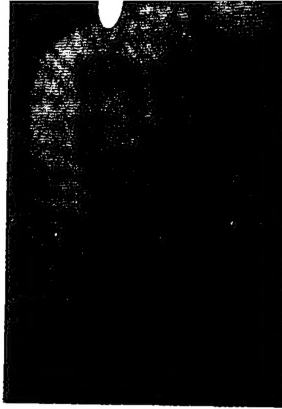
ومطربها . احترف الغناء في المقاهي وانشاد
الموشحات في حفلات المولد .

١٤- السيد ابراهيم بن السيد ياسين
الموصل ، المتوفى سنة ١٩٥٤ : وهو ابن اخت
السيد احمد الموصل . وكان من منشدي حفلات
المولد وقد سجل بعض الاسطوانات لدى شركة
اوديون لانتزال متداولة في الموصل .

١٥- آسي بن عطّو (عطا الله) ، المتوفى
ببغداد سنة ١٩٥٥ : كان بزازاً في سوق الموصل
ومن هواة الغناء . وكان ذا صوت جهوري ومشهوراً
بغناء مقام الابراهيمي والجبوري والمخالف .

١٦- فضيلة المصلاوية ، وتسمى ايضاً
(جليلة ام سامي) : وهي صاحبة الاغنية
المشهورة (دلوي) التي تغنى للطفل عند نومه .
وهي تمتاز بصوت عاطفي جميل وقد انتجت عدة
اغاني سجلتها في شركة بيضافون ، وقد توفيت في
الخمسينيات من سني هذا القرن .

١٧- حنا بطرس وكان معلماً للموسيقى في
المدارس الرسمية وملحناً للأناشيد المدرسية .
وعمل معاوناً لمدير المعهد الموسيقي العراقي الذي



اسماعيل السيد خليل الفحام
١٩٩٠ - ١٩١٠

في الغناء ، فقد درس عليه وتأثر به. كما درس على سلو الجزمجي والسيد امين عبدالقادر والسيد سلمان ، واتقن في عام ١٩٣٠ اداء جميع المقامات المعروفة. ويعد في الوقت الحاضر مدرسة في غناء المقام الموصل. وقد وصلت شهرته الى بغداد حيث غنى عام ١٩٧٠ في تلفزيون العراق فسمعه العراقيون واعجبوا بغنائه. وهو يتمتع بصوت قوي عذب. ومن انجازاته إدخاله بعض الاضافات في المقام ، كاضافة النقلة في مقام الرست مع المثنوي. وله في المجمع الاذاعي والتلفزيوني في الموصل تسجيلات تزيد مدتها على المائة ساعة. توفي في ٦ شباط سنة ١٩٩٠.

الهوامش

- (١) حول الحكم الثنائي في الاقطار العربية انظر: ساطع الحصري ، البلاد العربية والدولة الثنائية ، (القاهرة ، ١٩٥٧) ، ص ١٣٣
- (٢) أبو الفرج الاصفهاني ، الاغاني ، ج٢ ، (بيروت ، ١٩٥٦) ، ص ٣٥٦.
- (٣) المصدر نفسه ، ج٢ ، ص ١٩١
- (٤) علي بن الحسين بن علي السعودي ، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ج٤ ، ص ٢٢٣
- (٥) الاصفهاني ، الاغاني ، ج١٨ ، ص ٢٩٧
- (٦) الشيخ احمد بن عبدالرحمن القادري الرفاعي الشهير بالمسلم

بمصاحبة الجوق البغدادي وله بعض التسجيلات على الاشرطة. توفي سنة ١٩٦٩.

٢٢- السيد أمين بن السيد عبدالقادر الموصل: من المطربين المجيدين في الموصل ولكنه لا يلحق بشهرة اخيه السيد احمد الموصل. وقد سافر معه الى بيروت وسجل بعض الاسطوانات الغنائية في شركة اوديون. واشهر اسطوانة له هي مقام الناري فهو احسن من غنى مقام الناري في الموصل على الاطلاق سكن في بغداد في أواخر عمره ، وكان حياً في اوائل السبعينات.

٢٣- عبدالستار العاصي عواد ماهر وملحن موهوب تخرج في معهد الفنون الجميلة ببغداد. اشترك في بعض الفرق الموسيقية وله تسجيلات كثيرة. توفي سنة ١٩٧١ بمرض توقف الكلى وهو في اوج شبابه.

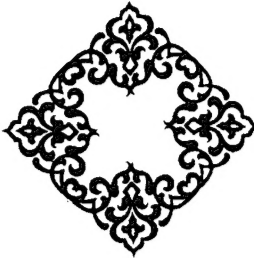
٢٤- جميل بشير وهو موسيقار كبير وملحن مشهور في الاقطار العربية. له عدة مقطوعات موسيقية. عاش في بغداد وتوفي في لندن سنة ١٩٧٧.

٢٥- سلطنة يوسف وهي مطربة كبيرة كانت تسمى (سلطنة الطرب). وقد انتقلت شهرتها الى مصر والقطار العربية الاخرى. ولها تسجيلات غنائية عديدة كانت تذاع من الاذاعة العراقية. توفيت سنة ١٩٨٠

٢٦- حسين عبدالله : وهو اشهر ضابط ايقاع في العراق. درس الايقاع على عثمان الموصل وعمل في الاذاعة العراقية والتلفزيون منذ تأسيسها. وكان احد افراد نخاسي الفنون الجميلة حتى وفاته سنة ١٩٨٢.

٢٧- السيد اسماعيل السيد خليل الفحام ولد سنة ١٩١٠ ودرس المقامات والالحن في مقتبل عمره واصبح اشهر من يغني المقام في الموصل بعد السيد احمد عبدالقادر الموصل الذي كان استاذة

- الموصل، تحقيق الشيخ جلال الحنني، (بغداد، ١٩٦٤)، ص ١٢.
- (٧) البوليك والزنكولة من أسماء المقامات الدخيلة على اللغة العربية.
- (٨) الدر النقي في علم الموسيقى، ص ٢٥ وكذلك محمد بك مصطفى الغلامي، شامة العنبر، (بغداد ١٩٧٧)، ص ١٢٥.
- (٩) محمد أمين بن خير الله الخطيب العمري، منهل الأولياء وشرب الاصفياء من سادات الموصل الحداة، تحقيق سعيد الديوه جي، ص ٢٤٧ وكذلك: سليمان صايغ، تاريخ الموصل، ص ٢، ص ١٧١، انظر: عصام الدين عثمان بن علي العمري، تحقيق سليم النعيمي، ص ١٦٤، (بغداد، ١٩٧٤) ص ٣٤٧، الغلامي، شامة العنبر، ص ١٢٥.
- (١٠) منهل الأولياء، ص ٣٠٤، صايغ، تاريخ الموصل ص ١٧٩، الغلامي، شامة العنبر، ص ٢٥٩، العمري، الروض النضر، ص ٢٤٦.
- (١١) الشيخ عثمان بن سند البصري، مطالع السعد بطيب اخبار الوالي داؤد، (القاهرة، ١٣٧١هـ) ص ٢٤٤ وكذلك: المغنن البغداديون والمقام العراقي، ص ٥٩.
- (١٢) المغنن البغداديون والمقام العراقي، ص ٥٩.
- (١٣) انظر: محمد صديق الجليلي، التراث الموسيقي في الموصل، (الموصل، ١٩٦٤)، ص ٦، ٨.
- (١٤) المعلومات الواردة عن المغنين المذكورين اعلاه مأخوذة عن مذكرات كاتب هذه السطور نقلاً عن بعض المعمرين من أهل الموصل.
- (١٥) محمود احمد الحنني، سيد درويش واثار عبقرته، (القاهرة، لا.ت).
- (١٦) محمد علي حماد، سيد درويش حياة ونغم، (القاهرة، ١٩٧٠)، ص ٣٣، ٣٤، ٤٥، ٤٧.
- (١٧) عطا ترزي باشي الهامسي «الملا عثمان الموصل في اثاره التركية» مجلة قارداشلق، العددان ١٤٥ - ١٤٦، حزيران ١٩٧٣.
- (١٨) المصدر نفسه، ص ٣.
- (١٩) قام الدكتور ابراهيم الداقي بترجمة هذا الكتاب الى العربية. وقد طبعه بمناسبة انعقاد المؤتمر الدولي للموسيقى العربية ببغداد واتجه بمسئورك، وقد اشار فيه الى العلاقة بين الموسيقى قاطم اوز والموصل.
- (٢٠) المعلومات الواردة عن عثمان الموصل في هذا البحث مأخوذة من الكتائب اللذين اصدرهما كاتب هذه السطور عن هذا الموسيقىقارهما: «عثمان الموصل الموسيقىقار الشاعر المتصوف، بغداد، ١٩٦٦» و «مع عثمان الموصل في فنه وعبقريته، بغداد، ١٩٧٣» وكذلك الوثائق والمذكرات الشخصية المتوفرة لديه.
- (٢١) راجع «عثمان الموصل الموسيقىقار الشاعر المتصوف» و «مع عثمان الموصل في فنه وعبقريته» للدكتور عادل البكري ففيها معلومات مفصلة.
- (٢٢) صديق الجليلي، التراث الموسيقي في الموصل، ص ٢.
- (٢٣) ياسين بن خير الله الخطيب العمري، منية الادباء في تاريخ الموصل الحداة، تحقيق سعيد الديوه جي، (الموصل، ١٩٥٥)، ص ١٨٤.
- (٢٤) حمودي الزويدي، الفناء العراقي، (بغداد، ١٩٦٤)، ص ٦٢.
- (٢٥) المصدر نفسه، ص ٤٨.
- (٢٦) عبدالكريم العلاف، بغداد القديمة، (بغداد، ١٩٦٠)، ص ١١٦.
- (٢٧) سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل، ص ٢٣٦.
- (٢٨) صديق الجليلي، التراث الموسيقي في الموصل، ص ٣.



رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٧٣٠ لسنة ١٩٩١



دار الكتب للطباعة والنشر
جامعة الموصل

